الكلديون / الكلدان منذ بدء الزمان

بحث في الهوية القومية الكلدية/الكلدانية



ܟܠܕܝܐ ܡܢ ܫܘܪܝܐ ܕܙܒܢܐ

CHALDEANS / KALDAEE

Since the Early Beginning of Time

5300 BC - 2004 AD

AMER H. FATUHI

عامر حنا فتوحي



Amer Hanna Fatuhi, www.amerfatuhiart.com
Studio : 248-582-9088 * P. O. Box 171 Hazel Park, MI 48030 USA

Second Edition

الأمة التي لا تعرف تاريخها يدركها الهوان وتأتي عليها عاديات الزمان

عامر حنا فتوحي

إهداء

إلى روحي أمي وأبي الطاهرتين

جميلة زيا حنو زورا وحنا فتوحي شندخ

اللذين غرسا فيّ محبة وطننا الأم بيث نهرين

وعلماني

أن أنظر مباشرة في عيني من أهوى ومن يبغضني ومن أحب

إهداء آخر

إلى زوجتي المحبة إيمان عادل إلياس

وأمل أمتنا الكلدانية

أولادي إنليل وننار وسومر وأبنتي أوروك

قد تكون أجسادنا في البعيد .. لكن قلوبنا تنبض دائماً بحب العراق

The Nation That Does Not Learn Its History Will Be Inflicted With Degradation And Be Worn Out !

Amer Hanna Fatuhi

الكلديون .. الكلدان .. منذ بدء الزمان

٥٣٠٠ ق . م - الآن

تأليف عامر حنا فتوحي

ܥܡܪ ܚܢܐ ܦܬܘܚܝ ܟܬܒܐ ܕܟܠܕܝܐ ܘܟܠܕܝܘܬܐ ܕܥܕܢܐ

المؤلف : عامر حنا فتوحي

التصميم والاخراج الفني : أتيليه أي Atelier A

الرسوم التوضيحية والمرسومات الأخرى التي تحمل الشعار ( ) من تصميم وتنفيذ المؤلف

الطبعة الثانية ١٠٠٠ نسخة

www.mesopotamiaartgallery.com

فهرس المحتويات

الجزء الأول / الكلدان منذ بدء الزمان

العراقيون القدماء
٢٥- سكان العراق الأصليون (Native Mesopotamians)
٣١- أصل التسميات القديمة بين القومية والإقليمية
٤٠- أفق آخر .. ساميون جزريون عرب أم كلدان ؟
أشهر ملوك الكلدان
٤٤- شروكين -Sargon or Sharru Kin- .. سرجون الكبير
٥١- حمورابي -Hammurabi- .. ملك العدالة وموحد البلاد
٥٩- مردوخ أبلا أدينا -Mardukh Apla Iddina II- .. الملك الكلداني الثائر
٦٣- نبوخذ نصر الثاني / نبو كودوري أوصر -Nebuchadnezzar II-
٧٠- نبونائيد -Nabonid- .. الملك الحالم والحاكم اللغز
٧٥- بابل أم الحواضر .. وكأس ذهبية بيد الرب
٨٢- الجنائن المعلقة وبرج بابل
٨٦- لعنة بابل
٨٨- بابل واليهود في التاريخ
الجزء الثاني / إستساغة الوهم
٩٣- الإله الأجنبي الآسيوي آشور
٩٩- الثرى والثريا بين الشوباريين بناة مدينة آشور والعموريين البابليين مؤسسو دولة آشور
تصويب لمغالطات
١٠٩- إدعاءات ومغالطات مبرمجة
١١١- إدعاء أن الكلدان طائفة حسب !
١١٤- إدعاء أن كلدان اليوم ليسوا كلدانِ الأمس ، أما الآثوريون فهم أحفاد آشوريي الأمس !
١١٦- إدعاء أن الكلدان لم يكونوا شعباً وإنما كهنة وسحرة وعرافين !
١٢١- إدعاء أن الكلدان قد حكموا وادي الرافدين لفترة لا تتجاوز ثلاثة أرباع القرن !!
١٢٣- إدعاء أن مسيحيي (دشتا وطورا) ليسوا كلداناً لأنهم يسكنون فيما كان يسمى قديماً إقليم آشور !!
١٢٦- إدعاء أنقراض الكلدان بعد سيطرة المسلمين على وادي الرافدين
١٣٨- إدعاء أن منجزات جيش دولة آشور المنقرضة هي منجزات قومية
١٤٠- إدعاء أن شمور آمات / شميرم -Shummuramat- آشورية قومياً
١٤٤- إدعاء أن العهد القديم يصلح ككتاب مدرسي في التاريخ
١٤٦- إدعاء أن مصطلح علم الآشوريات -Assyriology- يؤكد آشورية وادي الرافدين
١٥٠- إدعاء أن أستخدام الباحثين لعبارة (اللغة الآشورية) يثبت قومية الآشوريين !!
١٥٢- إدعاء أن إقليم الشمال كان يسمى آشور منذ أقدم العصور وحتى يومنا هذا
١٥٦- إدعاء أن السريان والآشوريين / الشوباريين شعب واحد !
١٦٤- إدعاء تعذر معرفة أصول الناطقين بالسورث إلى بابل أم آشور ؟
١٦٩- كلدانية الدم المسفوح على الصليب لخلاص العالم

١٧١- التاريخ السلالي لإقليم شوبارو / آشور -Shubaru- ودحض الوهم الآشوري
١٧٩- الخلاصة .. إشكالية التسمية المزدوجة كلدو آشور

الجزء الثالث / توصيل النقاط

القسم الأول / إضاءات وإضافات لا بد منها

١٨٥- شرعية الملوكية في العراق القديم بين بابل وآشور
١٨٨- نظام الكتابة السريانية .. قلم آرامي أم إبتكار كلداني ؟
١٩٧- الإتجاهات في الفكر العراقي المحلي / مفهوم الشرق والغرب في اللغة الدارجة والإستخدام اليومي العراقي
٢٠٠- البادية الغربية كمدخل للهجرات المحلية إلى بابل
٢٠٥- تماثيل اللاماسو (الحيوانات المجنحة الحارسة) .. هل هيّ من مبتكرات إقليم آشور حقاً ؟
٢٠٨- سنة آشورية .. أم سنة كلدانية بابلية ؟
٢١٢- من تزوير إلى آخر

القسم الثاني / المشهد الحضاري في العراق القديم

٢١٤- الفنون والعمارة
٢٢٣- الأزياء الكلدانية البابلية
٢٢٥- الموسيقى وأصولها البابلية (شومر وأكد)
٢٢٨- الآداب في العراق القديم .. منجز بابلي الأصول
٢٣١- الطب والصحة العامة والأصول الوسطجنوبية (شومر وأكد)
٢٣٤- العلوم البابلية / الرياضيات والهندسة والفلك وجدول الأعداد الرقمية
٢٣٩- التقويم في العراق القديم (شومر وأكد)
٢٤٤- السياسة والدين في العراق القديم
٢٤٨- آلهة العراق القديم
٢٥٢- تفاصيل أخرى عن آلهة العراق القديم
٢٥٦- الجن والشياطين والغيلان والعفاريت
٢٥٨- الوحوش والغيلان والمخلوقات الأسطورية الأخرى

القسم الثالث / الملاحق

٢٥٩- التاريخ الكرونولوجي للأمة الكلدانية
٢٦٥- الأعياد القومية الكلدانية
٢٦٦- أكيتو رأس السنة الكلدانية / البابلية ٥٣٠٠ ق.م
٢٧٠- علم وشعار الكلدان القومي من الألف إلى الياء
٢٧٤- نجمة الكلدان رباعية أم ثمانية ؟
٢٧٨- النخلة .. شجرة الحياة البابلية المقدسة
٢٨١- الأصول الرافدية للرموز الدينية
٢٨٥- خارطة العالم الكلدانية أول خارطة في التاريخ
٢٨٧- الرابع عشر من تموز ٢١٢٠ ق.م أول حرب تحرير تموزية في التاريخ
٢٩٠- البيت البغدادي أم البيت البابلي ؟

بلد أولى المبتكرات / أمثلة عن أهم المنجزات

٢٩٣- البطارية الكهربائية البابلية
٢٩٥- مزولة قطب المغناطيس الكلدانية
٢٩٦- العجلة ودولاب الخزف من كيش
٢٩٧- الحاسبة الرقمية
٢٩٨- القفة والكلك وقرب الغوص والسباحة
٢٩٩- لعبة الشطرنج الطاولي من أور
٣٠١- ودائع أو تماثيل الأسس
٣٠٢- الخمر والبيرة
٣٠٥- العملة والمصارف
٣٠٦- الأوقات
٣٠٨- الأوزان والمقاييس (المكاييل)
٣٠٩- الأطوال والمساحات

إحصاءات

٣١٠- مسيحيو العراق الأصليون (أحفاد الكلدان القدماء) :
٣١٤- التاريخ الكرونولوجي لوادي الرافدين ١٠٠,٠٠٠ ق.م -٢٠٠٤ م

التاريخ السلالي لوادي الرافدين

٣٢٧- جدول ملوك ما قبل الطوفان .. (أثبات الملوكية)
٣٢٨- جدول سلالات ما بعد الطوفان -post-diluvian dynasties-
I- سلالة كيش -Kish I-
II- سلالة أي أنّا -E-anna-
III- سلالة أور -Ur I-
IV- سلالة أوان -Awan-
V- سلالة كيش الثانية -Kiš II-
VI- سلالة حمازي أو خمازي -Khamazi-
VII- سلالة أوروك -Unug or Uruk II-
VIII- سلالة أور الثانية -Ur II-
IX- سلالة أدب -Adab-
X- سلالة ماري -Mari-
XI- سلالة كيش الثالثة -Kish III-
XII- سلالة أكشاك -Akshak-
XIII- سلالة كيش الرابعة -Kish IV-
XIV- سلالة أوروك -Unug or Uruk III-
أكد -Akkad or Agade- السلالة الخامسة عشر -XV-
XVI- سلالة أوروك الرابعة -Uruk IV-
سلالة أجنبية -Gutium- هيّ السلالة السابعة عشر -XVII-
XVIII- سلالة أوروك الخامسة -Uruk V-
XIX- سلالة أور الثالثة -Ur III-

إيسن -Isin- حيث تأسست السلالة العشرون -XX-
٣٣٤- سلالات مهمة لم يدخلها كتبة الإثباتات في جداول السلالات القديمة
I- سلالة لجش -Lagash- (ناحية الشطرة) ٢٥٧٠-٢٣٤٢ ق.م
مرحلة أمراء لجش -Ensis of Lagash- الفترة ٢٢٣٠-٢١١١ ق.م
II- سلالة أوما -Umma- (تل جوخة)
III- سلالة كيش الخامسة -Kiš IV-
٣٣٨- سلالات الإقليم البابلي
منذ عهد ميشالم ٢٥٥٠ ق.م حتى آخر ملوك الإنتفاضة الكلدية ٥٢٢-٤٨٢ ق.م
I- عصر فجر السلالات الثاني أو عصر مي شالم -M(e)i shalim Period-
II- سلالة أكد -Akkad also Agade- (دور شروكين البابلية) ٢٣٣٤-٢١٥٤ ق.م
٣٤٠- السلالات الحاكمة في العهد الوطني البابلي القديم
III- سلالة إيسن -Isin I- (إيشان بحريات)* ٢٠١٧-١٧٩٤ ق.م
IV- سلالة لارسا -Larsa- (السنكرة)* ٢٠١٧-١٧٩٤ ق.م
V-a- سلالة إشنونا -Eshnunna I- في حدود ٢٠٠٠ ق.م
V-b- سلالة إشنونا -Eshnunna II- (تل أسمر)* في حدود ١٨٥٠ ق.م
٣٤٣- السلالات البابلية ١٨٩٤-٥٣٩ ق.م
I- سلالة بابل الأولى -Babylon I- (باب إيلو) ١٨٩٤-١٥٩٥ ق.م
II- سلالة بابل الثانية -Babylon II / Sea Land- (القطر البحري) ١٧٤٠-١٥٠٠ ق.م
III- سلالة بابل الثالثة -Kassite / Kossaioi- (الكشيون) ١٧٣٠-١١٥٥ ق.م
IV- سلالة بابل الرابعة -Babylon IV / Isin II- (إيسن الثانية / إيشان بحريات) ١١٥٧-١٠٢٦ ق.م
V- سلالة بابل الخامسة -Babylon V / Sea Land II- (القطر البحري الثانية) ١٠٢٦-١٠٠٥ ق.م
VI- سلالة بابل السادسة -Babylon VI / Bazi- (سلالة بازي) ١٠٠٤-٩٨٦ ق.م
VII- سلالة بابل السابعة -Babylon VII- ٩٨٤-٩٧٩ ق.م
VIII- سلالة بابل الثامنة -Babylon VIII- ٩٧٨-٧٤٨ ق.م
IX- سلالة بابل التاسعة -Babylon IX- ٧٤٧-٧٣٢ ق.م
X- سلالة بابل العاشرة -Babylon X- ٧٣١-٦٢٧ ق.م
XI- سلالة بابل الحادية عشرة -Babylon XI- (سلالة الكلدان الذهبية) -Neo-Babylonian Empire- ٦٢٥-٥٣٩ ق.م
ملوك الإنتفاضة الكلدية ٥٢٢-٤٨٢ ق.م -Revolution Period-
سلالات الشمال الرافدي / إقليم شوبارو -šubaru- (آشور) انظر ص ١٧١
عصور الحكم الأجنبي الأول ٥٣٩ ق.م - ٧٥٠ م
الأخمينيون -Achaemenid- الفترة ٦٧٥-٣٣٠ ق.م
المقدونيون الفترة ٣٣١-٣٠٧ ق.م -Macedonian Dynasty-
السلالة السلوقية ٣١١- ١٣٩ ق.م - ١٢٥ ق.م -Seleucid-
عهد التسلط البرثي / الفارسي ١٢٥ ق.م - ٢٢٤ م -Parthian-
عهد التسلط الساساني ٢٢٤-٦٣٧ م -Sassanid-
الخلفاء الأربعة الأوائل ٦٣٧-٦٦١ م -Al-Khulafa-ur-Rashidun-

الأمويون الفترة ٦٦١-٧٥٠ م -Umayyad Caliphs / Ummawiyyn -
٣٦٢- العصر العباسي ٧٥٠-١٢٥٨ م -Abbasid {ab-bas'-ids} Caliphs of Baghdad-
العهد العباسي الأول ٧٥٠-٨٤٧ م -ab-bas'-ids I-
العهد العباسي الثاني ٨٤٧-٩٤٤ م -ab-bas'-ids II-
العهد العباسي الثالث ٩٤٤-١٠٣١ م -ab-bas'-ids III-
العهد العباسي الرابع ١٠٣١-١١٥٢ م -ab-bas'-ids IV-
العهد العباسي الخامس ١١٣٦-١٢٥٨ م -ab-bas'-ids V-
٣٦٧- عصور الحكم الأجنبي الثاني ١٢٥٨-١٩١٧ م
المغول ١٢٥٨-١٤١١ م -Mongols-
المغول الإيلخانيون ١٢٥٨-١٣٣٨ م -Ilkhanate Mongols-
الجلائريون الفترة ١٣٣٨-١٤١١ م -Jalayirid Mongols-
التركمان ١٤١١-١٥٠٨ م -Turkomans-
القرة قوينلو ١٤١١-١٤٦٨ م -Qara Koyunlu-
الآق قوينلو ١٤٦٩-١٥٠٨ م -Aq Qoyunlu-
الصفويون ١٥٠٨-١٥٢٣ م -Safavid-
العثمانيون ١٥٣٤-١٩١٧ م -Ottoman Empire-
٣٧٣- التاريخ الحديث ١٩١٧-٢٠٠٤ م -Iraq Modern History-
الإنتداب البريطاني ١٩١٧-١٩٢١ م
بداية العهد الملكي ، الإستقلال وفترة الحكم الملكي ١٩٢١-١٩٣٢-١٩٥٨ م
الجمهورية العراقية الأولى
التحالف الأمريكي البريطاني وسلطة الإئتلاف ٩ نيسان ٢٠٠٣ م - ٢٨ حزيران ٢٠٠٤ م
الجمهورية العراقية الثانية ٢٨ حزيران ٢٠٠٤ م
٣٧٧- خرائط ومرتسمات -Maps and Illustrations-

مصادر البحث عربي / كلداني / إنكليزي -References-

شكر وتقدير

أتقدم إبتداءً بوافر شكري وتقديري إلى زوجتي المحبة إيمان عادل إلياس دانيال أستاذة اللغات في جامعة بغداد والجامعة التكنولوجية سابقاً لما وفرته لي من ترجمات وساعدتني في فهم بعض المصادر الأجنبية بشكل علمي دقيق ، أشكر أيضاً الأستاذ عيسى حنا دابش الفنان العراقي الرائد والرئيس العام للرابطة الدولية للفنانين المحترفين الكلدان لملاحظاته السديدة ، كما أتقدم بجزيل شكري لأستاذة الفنون والتاريخ القديم في كلية ديترويت للفنون المبتكرة ماريان لامبرز لمراجعتها لتصاميم الرموز القومية الرافدية وتزكيتها لأصالة تصميمي (علم وشعار الكلدان القومي) ، كذلك أشكر الفنان الكلداني مسعود يلدو الرئيس التنفيذي لفرع الرابطة الدولية للفنانين المحترفين الكلدان في الولايات المتحدة لآرائه السديدة فيما يخص مقدمة الكتاب وتأكيده على أهمية إضافة ملحق خاص بالفنون والآداب الرافدية مما دعاني لإضافة الفصل الخاص بالمشهد الحضاري ، كما أتقدم بوافر شكري وتقديري للأستاذة الدكتورة بهيجة خليل إسماعيل المديرة السابقة للمتحف العراقي لتفضلها بإتاحة الفرصة لي للتطبيق لمدة فصلين في مختبر المسماريات ، كما أتقدم بوافر شكري وتقديري إلى الأستاذ الدكتور فوزي رشيد أستاذ مادة التاريخ القديم في جامعة بغداد لمراجعته لدراستي الموسومة (الكتابة الصورية والمقطعية وإستخدامها كعناصر تشكيلية) ، كما أشكره جزيل الشكر على ما منحه لي من وقت ثمين لتطوير إمكاناتي في مجال دراسة نظامي الكتابة الصورية والمقطعية . ولا يسعني أيضاً إلا أن أتقدم بشكري الجزيل للمربي الفاضل اللغوي يلدا قلا لمراجعته للنص العربي واللغوي والباحث الفاضل كوركيس مردو لمراجعته للمفردات الكلدانية الحديثة / السورث ، وكذلك شكري الجزيل لأخي الشماس زهير حنا لما وفره لي من مصادر تتعلق بنشأة وتاريخ المسيحية في وادي الرافدين .

المقدمة

كنت قد أنتهيت في منتصف عام ٢٠٠١م من كتابة القسم الأكبر من مخطوطة كتابي هذا (الكلدان منذ بدء الزمان) فعرضت فصوله على عدد من الأساتذة الأجلاء وعدد آخر من المثقفين العراقيين في المهجر الأمريكي والأوربي إضافة إلى مراجعة بعض المفردات االكلدانية من قبل بعض اللغويين الكلدان وبخاصة ممن ساهمت معهم في إنجاز بعض الكتب والمطبوعات الكلدانية ، وقبل أن أنتهي من كتابة القسم الثاني من الكتاب بحلته السابقة والمعنون (إغتيال الهوية العراقية .. عرب أم مستعربة ؟) قمت بزيارة سيادة المطران إبراهيم إبراهيم الجزيل الإحترام ، حيث أبدى سيادته بعض الملاحظات الأبوية القيمة بخصوص القسم الثاني من الكتاب مؤكداً على ضرورة تسليط الضوء على الجوانب الإيجابية والرئيسة من البحث (الكلدان) الذي هو أساس موضوع الكتاب ، لكن إنشغالي بمتابعة بعض الشؤون التي تتعلق بمشروع علم الكلدان القومي الذي أقر دولياً أواخر عام ١٩٩٩م أخذ الكثير من وقتي (الضيق أصلاً) وجعلني أرجئ استكمال الكتاب ونشره إلى وقت آخر يكون مناسباً بشكل أفضل .

وبرغم تفرغي لمزاولة عملي الفني وتدريسي لفنون وتاريخ وادي الرافدين وإنشغالي بإنجاز محاضرات تطبيقية -Workshops- لتعليم أسلوب الكتابة الرافدية الصورية -Pictographs- والمسمارية المقطعية -Cuneiform- بشكليها السومري والأكدي من خلال الفصول الدراسية المخصصة للمبتدئين التي كان يقيمها المركز الثقافي الكلداني في ديترويت إبان فترة رئاستي للمركز ١٩٩٧-٢٠٠٣م ، إلا أن مسألة إستكمال البحث ودفعه للنشر كانت تلح عليّ بشدة ، لاسيما وأنني كنت وما أزال أتابع المتغيرات التي تطرأ على ساحة العمل القومي التي شهدت الكثير من المتغيرات الدراماتيكية بعد سقوط النظام البائد في العراق ، وكان ما أثارني حقاً وشحذ همتي هو إستمرار الحملات المناوئة للتطلعات القومية الكلدانية سواء في الصحافة المقروءة والمسموعة والمرئية أو من خلال الوسيلة العصرية الأوسع إنتشاراً في يومنا هذا (المواقع الإلكترونية) ، مما دعاني للتفكير ملياً في إعادة ترتيب منهج الكتاب بشكل عملي يعرف بالهوية القومية الكلدانية وبالكلدان عبر التاريخ أي منذ ٥٣٠٠ ق.م وبالتالي نشر الفصل الخاص والموسوم (إغتيال الهوية العراقية ..) في دراسة منفصلة ، ومن ناحية أخرى الرد بشكل علمي مبسط ورصين على طوفان التجاوزات التي تسعى إلى نسف الهوية القومية الكلدانية أو تجييرها لحساب هويات أخرى ، فكان تصوري هو أن أنجز مطبوعاً يمكن نشره إلكترونياً ويتيسر قراءته وأعتماده من قبل المختصين الأكاديميين وغير المتخصصين على حد سواء لمعرفة التاريخ الواقعي للأمة الكلدانية وللرد على إستفزازات الآخرين بأسلوب علمي رصين .

يتجاوز هذا البحث (الكلدان منذ بدء الزمان) الذي هو نتاج أكثر من عامين من العمل المتواصل وخبرة ما يزيد على ربع قرن من الدراسة والبحث النظري والعملي حدود زاوية النظر التقليدية في تناول التاريخ الكرونولوجي للأمة الكلدانية إلى حالة فريدة تتمثل في سحب القارئ إلى منطقة لم يجرؤ الكثير من الباحثين الأكاديميين للتحرك فيها بسبب ما قد تثيره من إعتراضات من قبل الباحثين التقليديين ، كما حدث مع أنطوان مورتكات عند طرحه

لفكرة تبني (عهدِ ميسالم) كمرحلة تطورية رافدية معاصرة لفترة نضج الثقافة السومرية ، وكما حدث أيضاً مع لاندزبيركر عندما طرح بحثه حول أسلاف الكلدان القدماء (الفراتيون الأوائل) لكن تحديهما للتقليديين بأسلوب علمي رصين وتمسكهما بما طرحاه أدى إلى أقتناع العلماء آخر الأمر بآرائهما الأكاديمية وبخاصة بعدما بينت الإكتشافات اللاحقة صحة ما ذهبا إليه ، في المقابل لم يحتمل الأستاذ الكبير صامويل نوح كريمر عاصفة النقد التي وجهت له فتراجع عام ١٩٦١م عن آرائه التي تضمنها كتابه الموسوم (الأساطير السومرية ط١٩٤٤م) حول أسلاف الكلدان (الساميون بحسب شلوتزر) ، التي ثبت صحتها بعد وفاته !

من ناحية أخرى يسعى هذا البحث إلى التصدي العلمي لمفاهيم مغلوطة تم تضخيمها وإشاعتها بين عامة العراقيين منذ منتصف عقد السبعينات من القرن المنصرم ، وهي أن الكلدان ليسوا مجموعة عرقية وإنما طائفة حسب ، كما أنهم وفق تلك المغالطات لا يمتون بإيما صلة بسكان وسط وجنوب العراق القدماء ، إعتماداً على فرضية واهية مفادها : أن ما تبقى من بلدات الكلدان إنما تتركز اليوم في شمال الوطن الأم (تم أحتلال معظمها من قبل الكورد منذ ثلاثينات القرن المنصرم) ، ولأن هذه البلدات تتركز اليوم في الشمال أي ضمن الحدود الجغرافية لدولة آشور (المنقرضة منذ ما يزيد على خمسة وعشرين قرناً) فإن من المفروض أن يتخلى أصحاب تلك البلدات عن تسميتهم القومية !

يتصدى هذا البحث أيضاً ، للمفهوم القاصر الذي يجرد (مستعربة العراق) الحاليين من هويتهم الرافدية ومواطنتهم العراقية الأصيلة ويقدمهم بصفة (مهاجرون حجازيون) وفدوا إلى العراق الخالي من السكان (بحسب كتب التاريخ العربية) في فترات سبقت نشوء الإسلام ببضعة قرون ثم تنامت هجراتهم إبان التوسعات الإسلامية في عهد الخلفاء الأربعة الأوائل ، وحري بالذكر أن مثل هذه الطروحات تدعي أن موطن مستعربة العراق الأصلي وفق ما هو شائع اليوم وبخاصة في الكتب المدرسية هو (المناطق الصحراوية المقفرة في الجزيرة العربية وبخاصة منطقة الحجاز) ، مع أن الإمام علي بن أبي طالب يعترف صراحة في حديث له عن أبن عباس قائلاً : نحن معاشر قريش حي من النبط (الكلدان) من أهل كوثى (تل إبراهيم قرب بابل) ، كما تسمي عامة الشيعة الجعفرية مرقد الإمام علي في مدينة النجف بمرقد الضجيعين أي أنه مثوى آدم (الأب الأول) وعلي بن أبي طالب ، وهو ما يتوافق أيضاً وعراقية آدم التي يؤكدها الكتاب المقدس في سفر التكوين .

لكن الفهم العروبي المتزمت الذي أبتدأ مع عبد الناصر وتبناه البعثيون قد عمل على قلع الهوية الوطنية للعراقيين وتجييرها للحجاز مستغلين جهل (مستعربة العراق والكلدان المعاصرين على حد سواء) بتاريخهم الرافدي ، وذلك بسبب تجاهل مناهج التاريخ العراقي المدرسية الخوض في مثل هذه الموضوعات الأساسية لدى الناطقين بالسورث ، والتي تعتبرها بعض الفئات من العرب ومستعربة العراق مسألة ثانوية !

في المقابل رحبت الأحزاب القومية المتزمتة بمسألة ترويج هذه المغالطات التاريخية (خدمة لمصالحها) البعيدة عن الروح الوطنية ، ولهذا نجد أن مجتهدي الأحزاب العروبية ومنها حزب البعث العربي الإشتراكي وإلى حد ما الحزب الناصري قد طبقا بشكل قسري فكرة تذويب الجماعات العرقية المحلية في الهوية العربية التي تطالب بها مجاميعهم من أجل تهيئة الأجواء المناسبة لطرح شعارات (الفكر العروبي الإسلاموي) كفكر مستقبلي شمولي

للمنطقة ذات التعددية العرقية والدينية المعروفة .
وهنا جاء دور الجهة الأخرى التي وجدت في طروحات البعثيين مجالاً لترويج أفكارها السياسية الإحتوائية معتمدة الخلط ما بين الأوراق الكنسية / الطائفية والأوراق التاريخية (ذات السمة العمومية في الغالب الأعم) وذلك من أجل إحتواء غير المتحمسين من الناطقين بالسورث للطروحات العروبية ، ولا سيما الحلقات المحافظة على الجوانب الحيوية للعراقيين الأصليين وأعني بهما تحديداً (الإنتماء المسيحي والإعتزاز باللغة الأم) .
ولخلو الساحة العراقية من الناشطين القوميين الكلدان ، وبسبب من تواجد النسبة الأكبر (٦٠٪) من كلدان العراق في المدن الرئيسة لوطننا الأم ، لاسيما في بغداد والموصل والبصرة (قبل محاولات تخليتها من قبل الوهابيين والأصوليين) والتي كان مسيطراً عليها كلياً إبان العهد البائد من قبل أجهزة البعث القمعية ، فقد عمدت الأحزاب الآشورية (مصطلح سياسي) إلى محاولة إحتواء (البيت الكلداني / الناطقون بالسورث) بعد إعادة تشكيله بما يتوافق والتوجهات السياسية لتلك الأحزاب ، المدعومة منذ مطلع عقد التسعينات من القرن المنصرم من قبل المؤسسات السياسية الكوردية المهيمنة سياسياً وعسكرياً على شمال الوطن الأم بمباركة الأمم المتحدة في فترتي ما قبل وبعد العهد البعثي ، مستثمرة أي تلك (الأحزاب) عمقها السياسي في الولايات المتحدة وأستراليا ودول الجوار مثل إيران وسوريا ، مما هيأ لها العمل بشيء من الحرية على الأرض العراقية وبالتالي محاولة إحتواء الشارع الكلداني عبر واجهات كلدانية مغرر بها ، مما أدى بالنتيجة إلى تسويق عدد من المغالطات المبرمجة المتسترة بشعارات (الوحدة والحرص على اللغة والدين والحقوق المستباحة) ، وذلك للوصول إلى الهدف الرئيس للطرفين القياديين الكوردي الآشوري وهو خلق كونفيدرالية كوردية آشورية مستقلة عن العراق ، وذلك مقابل مكاسب منفعية مباشرة لزعماء هذه الأحزاب ومكاسب آنية وشكلية لعامة الناطقين بالسورث سرعان ما سيبتلعها القياديون الكورد مثلما أبتلع أغواتهم من قبل مناطقنا وبلداتنا الكلدانية منذ جلبهم من قبل الدولة العثمانية عام ١٥١٥ م لخلق جدار عازل بين العثمانيين السنة والصفويين الشيعة ، وأيضاً لمواجهة تيار التشيع الذي فرض على إيران الصفوية إبان القرن السادس عشر للميلاد .
في مقابل هذه التوجهات غير المقبولة من قبل الناشطين القوميين الكلدان تواجهنا حقيقة كتابية ترد في سفر التكوين الإصحاحين الثاني والحادي عشر ، ألا وهي أن الرب الإله قد غرس جنة في عدن شرقاً وأن الشعب الذي إنقسمت منه كل شعوب الأرض قد جاء من شرق بابل ونعلم أن كيش التي تقع شرقي بابل كانت أولى مدن ما بعد الطوفان التي أسسها الكلدان الأوائل وكذا كانت تقع بلدة أريدو (عاصمة الكلدان الأوائل) في شرقي بابل وفقاً لمفهوم الشرق المحلي الرافدي .
وبديهي ، أن في العراق القديم قد نشأت أول حضارة بشرية ، تواصلت في حلقاتها اللاحقة تحت مختلف التسميات الوطنية حتى نهاية الحكم الوطني الكلداني عام ٤٨٢ ق.م وفق التاريخ الوطني لملوك وادي الرافدين ، فيما يستخدم الكتاب الغربيون العام ٥٣٩ ق.م كتاريخ يحدد نهاية الحكم الوطني الرافدي القديم مع أن ذلك التاريخ يحدد نهاية الحكم الإمبراطوري الرافدي حسب .
وفي عصر الغزاة سواء أبتدأ عام ٥٣٩ ق.م أو في عام ٤٨٢ ق.م قدر للعراقيين القدماء

إحتواء الغزاة جميعاً في بوتقة ثقافتهم الراقية إلا من فترة محدودة هيمن فيها الإغريق المتحضرون ، فنشأت من تلاقي الحضارتين الرافدية المكسوة بثياب فارسية والإغريقية ما يطلق عليه الأكاديميون اليوم مصطلح الحضارة الهلنستية -Hellenistic- ، وفي العهدين الفرثي والساساني كان الإقليم البابلي كخلية نحل في شتى المعارف الإنسانية حيث قدم العباقرة الكلدان للبشرية كلها إنجازات ما زلنا نتداولها حتى يومنا هذا ، مما يؤكد بشكل واضح وجلي بأن العراق لم يكن أرضاً بوراً خالية من السكان يوم دخلته جحافل جيوش المسلمين عام ٦٣٦ م .

ومن الجدير بالذكر أن الحقيقتين الكتابيتين اللتين توضحان عراقية جنة عدن وقدم إقليم بابل بسلالاته لما قبل وبعد الطوفان ، إنما تؤكدان أيضاً على أن وسط وجنوب العراق كانا مهد الحضارة البشرية ، وإن السكان الأصليين لتلك المناطق (الكلدان الأوائل) سواء كانوا من بابل / كيش أو أريدو إنما هم عراقيون بالضرورة .

إن ما يهمنا من بحثنا هذا هو توضيح الحقائق التالية التي مفادها : أن الكلدان ، هم السكان الأصليين للعراق القديم وأنهم مواطنون عراقيون منذ القدم ، أي أنهم لم يفدوا لا من الحجاز ولا من غيرها من دول الجوار ، وأن على جميع العراقيين من مختلف الأطياف الإعتزاز بالكلدان ومعاملتهم بما يتناسب ومكانتهم كسكان أصليين للبلاد ، تماماً كما يفعل اليوم الأمريكيون المهاجرون النازحون من أوربا مع الهنود الحمر سكان البلاد الأصليين ليعوضوهم عن سنوات الإضطهاد التي عاشوها في القرون الثلاثة الأخيرة ، فكم بالحري إعطاء الحقوق الكاملة لأصحاب العراق الكلدان <u>الذين يتواصل إضطهادهم منذ ما يزيد على ألفين وخمسمائة عام</u> .

ومع أنه قد وفدت إلى وادي الرافدين في العهود اللاحقة مجاميع بشرية صغيرة (العرب) بين القرنين الثالث والسابع و(التركمان) في القرن التاسع للميلاد و(الكورد) في القرن السادس عشر للميلاد ، فقد أحتوتهم التركيبة السكانية الأعم والأقدم (الكلدان) ، إذ أنصهرت معظم الهجرات التي سبقت دخول جيوش المسلمين في السكان الأصليين ثقافة وتمازجت عرقاً ، بينما وقف التنوع الديني بين الهجرات اللاحقة كالتركمان والكورد وبين إنصهارهم في تركيبة السكان الأصليين ، مع أن ذلك لا يعني عدم أختلاطهم عرقياً بشكل أو بآخر مع السكان الأصليين للبلاد ، لهذا فإن في دم جميع العراقيين الحاليين من غير الناطقين بالسورث وعلى إختلاف مسمياتهم نسبة كبيرة من دماء العراقيين القدماء الكلدان الأوائل ، وبمعنى آخر أن الهوية الوطنية الوحيدة التي على السكان المحليين جميعاً أن يعتزوا بها وينتموا إليها على إختلاف مجاميعهم العرقية هي الهوية الوطنية العراقية بشكل مباشر والهوية القومية الكلدانية الرافدية العريقة بشكل غير مباشر ، وذلك بعيداً عن الهوى الإيراني الصفوي أو الوهابي الظلامي أو الشعارات العروبية التي لم تجر على بلادنا غير التخلف والدمار ، وهو ما ذهب إليه المرحوم محمد فاضل الجمالي الذي كان من أركان وزارة المعارف في الثلاثينات من القرن المنصرم عندما قال في رسالة له عام ١٩٨٠م : كان خطأنا الأساسي في الثلاثينات من هذا القرن ، <u>أننا لم نؤكد على الوحدة العراقية في سياستنا التربوية قدر تأكيدنا على القومية العربية</u> .

لربما يعتقد البعض بأن ما أطرحه في هذا البحث يتجاوز وإلى حد ما الحدود المتعارف

عليها بين الأكاديميين وهذا صحيح جداً ، ذلك أن هؤلاء الأكاديميين من غربيين ومشرقيين لم يكونوا في يوم من الأيام معنيين في كتاباتهم التاريخية بالمفهوم القومي لأمتنا الكلدانية من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن هؤلاء الأكاديميين كانوا معنيين أصلاً بتخصصاتهم التي لا غبار على نبوغهم فيها ، ولكن بعيداً عن الإهتمام بجمع تفاصيل المشهد العراقي القديم الحديث معاً ، والخروج بتصور واقعي شمولي لسكان البلاد الأصليين ، وهو ما فعلته هنا يحدوني الأمل بأن أبلغ رسالتي هذه دون إنحياز لمجموعة عرقية على حساب أخرى أو طائفة على أخرى ، وما يؤكد ذلك هو أنني أنتمي طائفياً لطائفة السريان الكاثوليك وهو الطقس الذي تحول إليه أجدادي السريان المشارقة أبناء كنيسة المشرق العظيمة بعد تخليهم الأول عن المذهب النسطوري في القرن السابع الميلادي على يد الراهب يوحنا الديلمي ، لكنني أؤمن إنطلاقاً من الحقائق العلمية والإثباتات المادية التاريخية التي قمت بتحليلها واستيعابها خلال دراستي الأكاديمية وخبرتي الميدانية التي تزيد على ربع قرن من البحث العلمي بأننا نحن المشارقة جميعاً كلدان قومياً برغم تنوع طقوسنا الكنسية ، وهو ما سيتوصل إليه جميع الرافديين الناطقين بالسورث إن آجلاً أم عاجلاً .

أخيراً ، أن الإعتزاز بهويتنا الوطنية العراقية / الرافدية وقوميتنا الكلدانية العريقة وبكوننا السكان الأصليين لوطننا الأم ، كان جُلّ ما يشغل تفكيري وهو ما سعيت لأن أثبته في بحثي هذا من أجل وحدة مؤسسة على الوعي والمعرفة ، ولأنه في تصوري الخطوة الأولى في مشوار الألف ميل نحو (المستقبل) العراقي الواحد ، عراق كل العراقيين دونما تمييز ، والله ولي التوفيق .

عامر حنا فتوحي

الخامس عشر من شهر أيلول عام ٧٣٠٤ كلدانية

الموافق ١٥ / أيلول / ٢٠٠٤ م

إنتباهة أولى : من المعروف أن الكتابات الرافدية القديمة أطلقت على الكلدان القدماء / العصر البابلي تسمية كلدايي ومفردها كلدايا وموطنهم كلدو ولغتهم الأم كلديثا وإنتمائهم لهذه الأرض واللغة كلديوثا وأيضاً (كلدنيوثا) وهيّ النحت الكتابي -Biblical- للمفردة ، وبديهي أن الحوليات والسجلات المسمارية (المقطعية) القديمة كانت تشير للكلدان بصيغة الجمع كلدي -Kaldee- ولموطنهم مات كلدي -Mat Kaldee- ، غير أن العهد القديم أطلق على الكلديين تسمية كشديم / كسديم -Kashdim / Kasdim- والتي من معانيها (الجبابرة أو المنتصرون) ، كما ورد الأسم في العهد القديم أيضاً بالصيغة الإغريقية كالدينس -Chaldeans- وترجمتها المصادر العربية إلى كلدان ، وهيّ الصيغة الشائعة المستخدمة اليوم والتي وردت مراراً في الكتاب المقدس بترجمته العربية .

والحقيقة فإن الأسم القديم (الأصلي) لم يكن يحتوي على الحرف (نون) كما أن مطلعه لم يكن يكتب بحرفين مدمجين وإنما كان يكتب بلفظ (كا) وهجائياً بالحرف (كاب - ܟ - الكلدانية أو كاف العربية) أي بصيغة -Kaldean / Kaldaee- وليس بطريقة دمج الحرفين -Ch- الإغريقية الشائعة في كتابة المصطلحات ، كما في كيمياء -Chemistry- وتكنولوجيا -

. -Technology
إن تبديل الحرف الأصلي بعد نقله إلى لغة أخرى مسألة معروفة بدليل أن أسم العراق يكتب في اللغة الإنكليزية -Iraq- وفي اللغة الفرنسية -Irak- ، كما أن إضافة حروف إضافية للأسم الأصلي ليطاوع طريقة لفظه في اللغة المنقول إليها هذا الأسم مسألة معروفة أيضاً ، بدليل أن العرب كانت تلفظ كلمة فرنسيون -French- بشكل فرنجة وتلفظ اليوم في اللغة العربية (فرنسيون) ، ولهذا عمد أساتذة التاريخ والمؤرخون والباحثون الأكاديميون في حقل الآثار والتنقيبات في دراساتهم الأكاديمية إلى إعتماد الأسم الأصلي للكلدان وهو -Kaldee or Kaldi- وباللغة الكلدانية الحديثة -Kaldaee- وموطنهم كلدو -Kaldu- أي القطر البحري -Mat Kaldee- ، وذلك بدلاً من صيغة كلدان وكلدانيين التوراتية والتي توحي بإنعكاسات دينية ، بخاصة وإن هذه المفردة باتت ترتبط اليوم وفق التقسيمات الكنسية بالكنيسة الكلدانية التي ينحدر أبناؤها عن الكلديين القدماء مما يحرم الشرائح الكلدية الأخرى والتي تتبع طقوساً كنسية أخرى من حق الإنتماء لأسلافهم الأصليين بسبب الحساسيات الطائفية ، ومع أن المعنى للكلمتين (كلديون وكلدانيون) هو واحد في الأصل ، فإن الدراسات الحديثة صارت تميّز بين المفردتين لكي تؤديا إلى معنيين متميزين ، أحدهما علماني والآخر ديني ، ففي الوقت الذي ترمز فيه مفردة (كلديون) إلى قدماء الكلدان وأيضاً إلى عموم الرافديين (العراقيين) الناطقين بالسورث على المستوى العلماني (القومي) بغض النظر عن تنوعاتهم الكنسية / الطقسية ، فإن مفردة (كلدانيون) صارت تتحدد بسبب إرتباطها الحديث بالكنيسة الكلدانية بشريحة محددة طائفياً ينتمي أبناؤها للكلدان القدماء سكان العراق الأصليين ، ولكنها هنا تشخصهم من الجانب الطقسي حسب .
ولأن هاتين الصيغتين لم تتميزا بعد بشكل واضح في الدراسات الصادرة في البلدان الناطقة بالعربية ، فإنني سواء أستخدمت هنا مفردة كلديون أم كلدان أم كلدانيون فإنني أعني بهم جميع الناطقين بالسورث من أبناء الأمة الكلدانية الذين يرجعون إلى الكلدان الأوائل .

إنتباهة ثانية : من المتعارف عليه بين دارسي الكتابات المسمارية أن المقاطع الأكدية تكتب بالحرف اللاتيني الصغير فيما يكتب الحرف الأول من المقاطع السومرية بالحرف اللاتيني الكبير وبخاصة في الكتابات الأكدية التي تحتوي على مقاطع ذات أصول سومرية ، أما آخر الإستحداثات بين المختصين في هذا المجال فكان كتابة الكلمات السومرية بالحرف اللاتيني الكبير وكتابة الكلمات الأكدية بالحرف اللاتيني المائل ، ولأن بحثي هذا ليس بحثاً لغوياً فإنني لم ألتزم بهذه القاعدة عند كتابتي للمفردات السومرية أو البابلية القديمة وإنما أكدت على دقة اللفظ والقراءة السليمة .
من ناحية أخرى قمت في متن الكتاب (بأستثناء الجداول) بكتابة حرف الشين (ش) بطريقة واحدة في المفردات المكتوبة بالحروف اللاتينية وذلك بإستخدام الحرفين (Sh) مع الكلمات والأسماء القديمة والحديثة معاً ، متجاوزاً الأسلوب الذي يستخدمه عادة بعض من الباحثين أي بإستخدام العلامة (Š) مع الأسماء الرافدية القديمة تمييزاً عن الأسماء المستجدة والحديثة ، لأن المهم بالنسبة لي هو كيفية قراءة الأسم وبخاصة وأن بعض الأسماء القديمة ما تزال مستخدمة حتى اليوم

ومنها على سبيل المثال عشتار وكلكامش وشروكين ، أما بالنسبة لصوت الحرف (خ) فقد أستخدمت الحرفين (Kh) وأحيانا الحرفين (Ch) كما هو الحال مع الكتابات التقليدية للملوك الأخمينيين ، كما أستخدمت للحرف (ح) الحرف اللاتيني (H) وتحته خط وللحرف طاء الحرف اللاتيني (T) وتحته خط ، أما مع الحرف صاد (ص) فقد أستخدمت الحرف اللاتيني المائل (S) وتحته خط متجاوزاً بذلك إستخدام البعض للعلامة (Ş) .
أما على صعيد كتابة الأسماء القديمة فإنني أستخدمت صيغتها الرافدية العتيقة بدلاً من الصيغة الكتابية -Biblical- ومنها على سبيل المثال نابو بدلاً من نبو وأوروك بدلاً من إريخ الكتابية والورقاء أو الوركاء العربية وكلخو بدلاً من كالخ ، أما الإستثناء الوحيد فكان بإستخدام تسمية أكد -Akkad- الكتابية بدلاً من أكد القديمة -Agade- وكذلك أسماء الملوك الشائعة كسرجون -Sargon / Sharru kin- ونبوخذنصر -Nebuchadnezzar-II / Nabu-Kudduri-Usur- ونبوبلاصر -Nabu-Apla-Usur / Nabopolassar- وسنحاريب -Sennacherib / Sin-Akhe-Eriba- وما إلى ذلك من أسماء متداولة ، وذلك لشيوع إستخدامها بين المؤرخين والآثاريين وبقية الباحثين الأكاديميين .
من ناحية أخرى أدت الإكتشافات اللاحقة أي تلك التي أجريت على المواقع الآثارية في وادي الرافدين إلى إعادة جدولة تأريخ بعض الحوادث والسلالات الحاكمة إضافة إلى إعادة قراءة بعض أسماء المواقع والأشخاص وفق التصحيحات اللاحقة التي أقرتها المؤسسات الأكاديمية والجمعيات المختصة بتاريخ وحضارة وادي الرافدين ، وعلى سبيل المثال فإن الأستاذ طه باقر يؤرخ عهد السلالة الأكدية بالسنوات ٢٣٧٠-٢٢٣٠ ق.م وهي ذات التواريخ التي أعتمدها هاري ساكز بينما أعتمد مؤرخون آخرون أمثال بوستيغيت وأوتس وبرنجمان وأوبنهايم وروو والمؤرخون العراقيون أمثال رشيد وسليمان وغيرهم تأريخ الأحداث والسلالات ومنها الأكدية بالسنوات ٢٣٣٤-٢١٥٤ ق.م ، كما صار أسم الملكة الأورية (أور الكلدان) شبعاد -Shub-ad- يقرأ (بو آبي) -Puabi- والملك أور ننكر -Ur Ningur- يقرأ أورنمو -Ur-Nammu- والملك كمل سين -Gimil Sin- يقرأ شوسين -Shu Sin- ، كما بدأ الباحثون بإستخدام التسمية الحديثة للملك أورو أنيمكينا -Uru (inim) enem gina- الذي ظل أسمه يقرأ خطأً حتى وقت قريب بصيغته القديمة الشهيرة أوركاجينا -Uru ka-gina- ، وذلك بعدما ترسخت طريقة قراءة الكتابة المسمارية بشكلها الصوتي .
وجدير بالذكر أيضاً ، أنني أستخدمت مصطلح (الكلدان الأوائل) لوصف مرحلة تواجد أسلاف الكلدان الحاليين الذين عاشوا في مستوطن الكلدان التاريخي منذ دور العبيد (الأطوار : أريدو وحاج محمد والعبيد الثالث والرابع) وكذلك الأدوار التي تنتهي بنهاية عصر ميسالم ٢٥٥٠ ق.م .
كما أعتمدت للتعريف بأحفادهم الذين عاشوا منذ العصر الأكدي حتى نهاية الحكم الوطني لوادي الرافدين تسمية (الكلدان القدماء) سواء في مستوطن الكلدان التاريخي أو في الشمال الرافدي ، ووفقاً لذات السياق فقد أستخدمت للتمييز العرقي بين الشوباريين مؤسسي آشور وبين أحفاد الكلدان الأوائل الذين حكموا إقليم الشمال منذ عصر شمشي أدد الأول ١٨١٣ ق.م عبارتي (الآشوريون الأوائل) تمييزاً للشوباريين و(الآشوريون القدماء) للبابليين العموريين أحفاد الكلدان الأوائل الذين أقاموا دولة آشور .

كما أستخدمت في كتابة بعض الأسماء حرفي السين والشين ترادفياً كما في سومر وشومر وسوبارو وشوبارو ومي سالم وميشالم ، وذلك لكون الأصل يقرأ في الغالب الأعم بحرف الشين ولكن التسمية الشائعة تقرأ بحرف السين ، مثلما أستخدمت ترادفياً كتابة بعض المصطلحات مثل كلدان وكلديين وكلدانيين ، لذلك إن وجدت بعض الإختلافات في قراءة بعض الأسماء أو التواريخ التي أذكرها في متن الكتاب بين فصل وآخر ، فإن مرد ذلك هو إلتزامي بطريقة العرض العلمية التي أعتمدتها في بحثي هذا أو إلتزامي بالأصول التي أستقيت منها إستشهاداتي على النقاط التي يتناولها البحث ، وعليه أستوجب التنويه .



ملك كلداني من بابل يقوم بإداء طقوس التجدد ، حيث يبدو وهو يسقي شجرة الحياة أمام إله العدالة

منهج البحث

أعتمدت في بحثي هذا جملة من المصادر الأكاديمية التي تتوزع على إختصاصات التاريخ والآثار واللغة وعلم الإجتماع وعلم الأديان المقارن إضافة لبحوث ودراسات ومقالات نشرت في العديد من المطبوعات والجورنالات الأكاديمية والمجلات العامة ، ومع أنني قد راجعت العديد من الكتب والمصادر المهمة فإنني لم أدرج إلا أهم المهم ، وبديهي أنني لا أدعي في إنجازي لبحثي هذا أنني قد أطلعت على كل المصادر المتوفرة فهي من السعة بحيث يصبح من المستحيل الإطلاع عليها في زمن محدود (سنتان من العمل المتواصل لإنجاز الدراسة وملاحقها) ولكن ما مكنني من الإستفادة من أغلبها هو إطلاعي على دراسات وبحوث تنحو ذات المنحى الذي أرتأيته لبحثي هذا والتي قدمت لي (خلاصات) للعديد من الدراسات التي تتضمنها مئات الكتب والنشرات الأكاديمية التي تتناول وادي الرافدين ، كما أستطيع أن أجزم بأنني قد راجعت أغلب هذه المصادر التي نشرت في السنوات الأخيرة علاوة على المصادر التي توفرت لي أثناء فترة الدراسة أو من خلال مطالعاتي الخارجية منذ أواخر عقد السبعينات أي ما يقرب على ربع قرن من تخصصي في مجال فنون وتاريخ وادي الرافدين .

يقع البحث في ثلاثة أجزاء رئيسة مع ملاحقها ، وقد قمت في الجزء الأول (الكلدان منذ بدء الزمان) بتقديم مختصر لمعنى القومية ثم بالتعريف وشرح معنى العراقيين القدماء أي المجاميع السكانية غير الوافدة (الأصلية) التي عاشت في العراق القديم ، مبيناً ما يؤيد عنصر أصالتها وموضحاً الفرق بينها وبين المجاميع الوافدة القديمة عرقياً ولغوياً ، كما بينت من خلال دراسة مقارنة ما يؤيد أو يحاجج التصنيفات الأكاديمية المعتمدة في الكتب التاريخية لسكان العراق القدامى وبالتالي إثبات أن (التسمية الكلدانية) هي (التسمية العرقية الوحيدة) بين كل التسميات القديمة في بلاد ما بين النهرين .

كما قمت بتقديم نماذج من الملوك الكلدان وفق منهج البحث المعمول به في هذا الكتاب مع تفاصيل وحقائق مهمة رافقت عصورهم كمسألة التشريع القديم من خلال مسلة حمورابي وما إلى ذلك من تفاصيل مهمة مؤكداً وحدة العناصر التي تجمعهم لغة وثقافة وتراثاً ، ولأن موضوع البحث يتناول (الكلدان) تاريخياً ، كان لا بد لي من أن أتناول ولو بإيجاز مدينة فخرهم (بابل) التي تناولتها بشكل مكثف تاريخاً وحضارة ومنجزات وذلك من خلال فصل منفصل ، أوضحت فيه مكانة بابل في التاريخ المادي والروحي لشعوب المنطقة والعالم ، وكنموذج لشعوب المنطقة فقد تناولت مكانة اليهود في بابل منذ تهجيرهم إلى بابل حتى العصر الحديث مؤكداً على عنصر أصالتهم العراقية ومواطنتهم العراقية الصادقة وذلك ضمن موضوع خاص .

وفي الجزء الثاني من البحث (إستساغة الوهم) أوضحت من خلال مداخلة تاريخية الحقائق التي تؤكد أجنبية الإله آشور شكلاً ومضموناً ، كما قمت بشرح الفروق العرقية الهائلة بين الآشوريين القدماء (السوباريين) الذين أسسوا مدينة آشور وبين الجماعات اللاحقة (العموريون الرافديون) أحفاد الكلدان الأوائل الذين هيمنوا على إقليم الشمال متبعين منهج أسلافهم الأكديين في حكم الشمال الرافدي ، موضحاً بأن المؤرخين المحدثين هم الذين عمموا تسمية (الآشوريون) الشوبارية القديمة على تلك السلالة العمورية الحاكمة منذ هيمنة

شمشي أدد الأول وذلك نسبة لمدينة آشور الدينية التي أختيرت كعاصمة للإقليم عند تأسيسه لدولته ، وأخيراً أوضحت الفرق العرقي بين الآثوريين المعاصرين من كلدان الجبال وبين قدماء الآشوريين / الآسيويين (الشوباريين) .
كما قمت بتصويب المغالطات والإلتباسات في المفاهيم التي أشيعت في العقدين الأخيرين من القرن المنصرم حول الكلدان ، والتي بات يرددها العامة وغير المختصين كحقائق لا تقبل الجدال دونما دراسة أو تمحيص ، وقد أشرت إلى بعض المصادر التي تمكن القراء الكرام من التوسع في فهم بعض النقاط التي كنت قد ضمنتها في بعض كتبي التي سبق لي نشرها خلال العقدين المنصرمين ، ثم ألحقت هذه الرؤية النقدية بموضوع كلدانية الدم المسفوك على الصليب لأهميته ، كما أدرجت جداول تشرح التاريخ السلالي لإقليم الشمال مبيناً من خلالها الحقائق التي لم يتم التأكيد عليها من قبل العديد من الباحثين ومنها تقديمهم لسلالات الشمال في الغالب الأعم وفق جدول متسلسل يوحي لغير المختصين بالوحدة العرقية لكافة السلالات الحاكمة على إختلاف إنحداراتها العرقية ، ثم أنتهيت إلى شرح إشكالية التسمية المزدوجة كلدوآشور وانعكاساتها المستقبلية سلباً على مسيرة شعبنا .
أما في الجزء الثالث من البحث (توصيل النقاط) فقد قمت في القسم الأول منه (إضاءات وإضافات) بتسليط الضوء على عدد من الموضوعات التي تدعم الطروحات التي أوردتها في الجزئين الأول والثاني من البحث ومنها شرعية الملوكية في العراق القديم بين بابل وآشور ، وأيضاً موضوع الكتابة السريانية .. قلم آرامي أم إبتكار كلداني ، الذي تناولت فيه تطور الحرف الكلداني كمنجز رافدي محلي داعماً ذلك بالوثيقة والدليل العلمي ، فيما قمت في القسم الثاني (المشهد الحضاري) من هذا الجزء بتقديم عدد من الموضوعات التي أرتأيت تناولها بما يمنح القراء الكرام صورة أوضح للبحث ويغني معارفهم في مجالات لم ترد مخيلاتهم من قبل .
وقد جاء القسم الثالث والأخير من الجزء الثالث (الملاحق) ليكون نتيجة حتمية متممة لأجزاء البحث الثلاثة الرئيسة التي كانت الأعمدة التي إستندت إليها في بحثي هذا ، والتي أحتوت من وجهة نظري على قواعد يمكن إعتمادها لترسيخ مكانة الكلدان في أية رؤية وطنية ينتهجها أبناء وطننا الأم على تنوعهم ومنها التاريخ الكرونولوجي للأمة الكلدانية منذ ٥٣٠٠ ق.م ، وأيضاً التاريخ الكرونولوجي لوادي الرافدين ١٠٠,٠٠٠ ق.م حتى عام ٢٠٠٤ م علاوة على العديد من الجداول والإحصاءات والخرائط والمرتسمات الفريدة التي أنجزت خصيصاً لهذا البحث بدقة علمية عالية ، ناهيكم عن العديد من الموضوعات التكميلية ، وذلك من أجل التعبير الحر والواضح عن طبيعة هويتنا القومية الكلدية العريقة وجذورنا الوطنية الرافدية الراسخة في القدم ضمن التعددية العرقية العراقية المتآخية المعاصرة ، مع التأكيد على حضورنا المتميز ضمن الموزائيك الوطني العراقي .
وقد ألحقت أيضاً مساحة خاصة بالمصادر التي أعتمدتها لإنجاز هذه الدراسة باللغات العربية والإنكليزية والكلدانية لمن يريد الإستزادة من بعض الموضوعات التي قد تكون مثيرة لإهتمامه ، علماً بأنني قد أكتفيت بالإشارة العمومية إلى المستلات والإستشهادات التي وردت في العديد من الدوريات الأكاديمية وغير الأكاديمية (العامة) والتي تتجاوز أعدادها المئات من الدوريات والنشرات .

مدخل .. تعريف القومية

لكون (القومية) هيّ العمود الفقري لهذا البحث فقد أرتأيت أن أتناولها بشكل مناسب ومكثف في آن ، إبتداءً بالتعريف بمعنى القومية وتاريخها كمصطلح أكاديمي ، إضافة إلى الإشارة إلى أهم وجهات النظر العلمية المعتمدة بهذا الصدد ، وأن أخلص بالتالي إلى آخر مستجدات هذا المصطلح مع إيضاح الأسس التي أعتمدتها في بحثي هذا لتمييز الكلدان عرقياً .
ان المعنى العام للقومية (الخصوصية القومية) وفقاً للدراسات الحديثة هو أنها : مجموعة محددة من البشر يلتقون في عدد من الصفات المشتركة كالصفات الطبيعية -Physical Anthropology- أو الإجتماعية / الثقافية -Social Anthropology- التي تميزهم بشكل أو بآخر عن مجاميع بشرية أخرى .
مع أن مصطلح القومية - Ethnicity and Nationalism- قد ورد في الدراسات الحديثة منذ مطلع عقد الخمسينات للقرن المنصرم ، وتحديداً بعد إستعماله عام ١٩٥٣م من قبل الأستاذ ديفد ريسمان -David Riesman- فقد شهد هذا المصطلح تطورات مستمرة لاحقة ، حتى تم إستخدامه لأول مرة في معجم أوكسفورد لعام ١٩٧٢م -Oxford English Dictionary, ١٩٧٢- ، لكن أصل هذا المصطلح يعود إلى منتصف القرن الرابع عشر حيث تم إشتقاقه من الكلمة الإغريقية -Ethnos- التي كانت قد نحتت بدورها من المفردة الإغريقية الأصلية -Ethnikos- التي تعني حرفياً (وثني) أما معناها المجازي فيعني كل من هو (غير مسيحي) ، وقد بقيت هذه الكلمة في الإستعمال بهذا المعنى حتى أواخر القرن التاسع عشر ، ثم تطور معناها في مطلع القرن العشرين فصارت تعني (العرق) ، وقد ترسخ هذا المفهوم إبان الحرب العالمية الثانية من قبل مجموعة من الكتاب الأمريكان للتمييز بين الأقليات من الإيطاليين والإيرلنديين واليهود وبين المجاميع البريطانية الأكبر عدداً ، وكان العامل الرئيس للتمييز بين هذه المجاميع البشرية هو الإختلاف السلالي بمعنى السمات الجسدية ثم الإختلاف الثقافي الديني الإجتماعي.
والحقيقة فقد أتفق العلماء في تقسيماتهم العرقية على ثلاثة أساليب تصنيفية رئيسة للجنس البشري -Race- معتمدين في ذلك إما على التقسيم الأنثروبولوجي -Physical Anthropology- الذي يشتمل على المواصفات الجسدية الأخرى كشكل الجمجمة وطول القامة ونوع الشعر أو التقسيم اللوني أي لون البشرة -Complexion- أو التقسيم الكتابي -Biblical- بحسب شلوتزر -Shlotzer- ولكن تمازج الأجناس عضوياً أدى إلى تحجيم أهمية العاملين الأولين ، فيما دحضت المكتشفات العلمية اللاحقة نظرية شلوتزر الكتابية .
يقول -Thomas Hylland Eriksen- في دراسته الموسومة -Ethnicity and Nationalism Anthropological Perspectives- المنشورة عام ١٩٩٣م بأن هنالك أكثر من ثلاثمائة تعريف لمفهوم القومية ، تعتمد معظم هذه التعريفات أما نماذج عامة أو خاصة أو مجموعهما ، ولعدم إمكانية إعتماد مثل هذه التصنيفات المطاطة الواسعة التي لا تلائم معظمها خصوصيتنا الرافدية من ناحية ، وعدم رجاحة التصنيفات التقليدية الثلاثة التي أوردناها آنفاً لتحديد الإنتماء العرقي للمجاميع البشرية التي قطنت وادي الرافدين على طول

تاريخه الطويل ، فقد أعتمدت في بحثي هذا على عامل التطور اللغوي أو المواصفات اللغوية -Lingustics Features- للغة الأم والتي يسميها إيريك فروم -Erich Fromm- اللغة المنسية -The Forgotten Language- ، وبمعنى آخر أنني قد أعتمدت في بحثي هذا على مبدأ التصنيف الثقافي أو المواصفات العرقية الثقافية -Cultural definition- التي باتت معتمدة منذ عقد الستينات للقرن المنصرم ، وهو ذات العامل الذي أستخدمه كبار المؤرخين والآثاريين ومنهم الأستاذ طه باقر الذي يقول في الصفحة ٦٥ من كتابه الموسوعي (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) : أن الرأي الحديث قد أتجه إلى البحث في هؤلاء الأقوام (سكان وادي الرافدين) من الناحية اللغوية وليس من الناحية العرقية أو الرسية -Racial- وكذلك ستكون معالجتنا للموضوع .

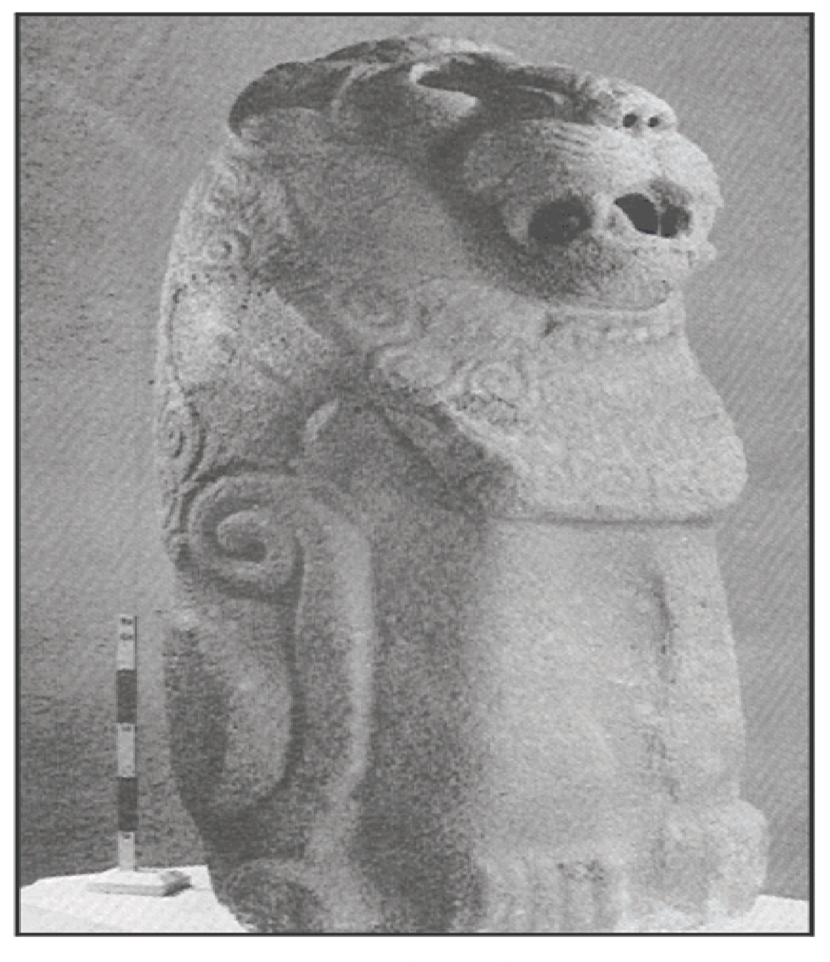


شابة ترتدي زياً فولكلورياً كلدانياً امام بوابة عشتار

٢

الجزء الأول

الكلدان منذ بدء الزمان



أسد أريدو

العراقيون القدماء

سكان العراق الأصليون (Native Mesopotamians) :

يعود تاريخ الإستيطان المعروف في العراق إلى ما قبل ١٠٠,٠٠٠ عام ق.م ، وتشير المكتشفات الآثارية إلى أن أقدم إستيطان واسعٍ في العراق القديم كان إبان العصر الحجري القديم الأوسط في حدود ٦٠,٠٠٠ ق.م ، علماً أن تاريخ الإستيطان المعروف في وادي الرافدين قد بدأ مع العصور الموغلة في القدم التي تقع ضمن ما يصطلح عليه بأسم دورة ورم -Würm- أي آخر العصور الجليدية التي يرجع زمنها للفترة من ١٢٠,٠٠٠ ق.م إلى ١٥,٠٠٠ أو ١٠,٠٠٠ سنة ق.م ، ومع أننا لم نعثر حتى اليوم على آثار الإنسان العراقي القديم التي تنتمي لمطلع دورة ورم ، إلا أنه توفرت لدينا من العصر الحجري القديم -Paleolithic- في العراق آثار إنسان النياندرتال -Neanderthal- التي تعود إلى ما يسمى بالعهد المستيري -Mousterian- ، وتعود آثار إنسان نياندرتال العراق المكتشفة في كهف شانيدر الطبقة D ، إلى ما يسمى بالعصر الحجري القديم الأوسط -Middle Palaeolithic- وتحدد تواريخ الهياكل العظمية لإنسان نياندرتال العراق والأدوات المستيرية التي أستخدمها بحدود ٦٠,٠٠٠ سنة ق.م علماً أن أقدم الأدوات الحجرية لأنسان النياندرتال قد عثرنا عليها في بردة بلكا قرب جمجمال -Chamchamal- / كركوك إنما يرقى زمنها إلى نحو ١٠٠,٠٠٠ عام ق.م وتعود هذه الأدوات إلى الطور الآشولي -Acheulian- الذي يعد أطول أدوار العصر الحجري القديم ، ويهمني قبل أن أعرج على التركيبة السكانية العراقية القديمة التي أدت إلى نشوء أول مدنية معروفة في التاريخ (في الإقليم البابلي) ، أن أعرف ببعض المراحل التاريخية التي مر بها وطننا الأم بعد الطور الآشولي مع ذكر أهم خصائصها ، وهيّ على النحو التالي :

العصر الحجري القديم الأعلى -Upper Paleolithic- :

شغل العصر الحجري القديم الأعلى في أوربا فترة العصر الجليدي الرابع أي قبل ٦٠,٠٠٠ أو ٤٥,٠٠٠ عام ق.م وتقابل العصور الجليدية -Ice Age- في أوربا ما تسمى بالعصور الممطرة -Pluvials- في الشرق القديم وشمال أفريقيا وقد ساد فيها نوع من الإنسان المتطور الذهن المسمى بالإنسان العاقل -Homo Sapiens- ، ويسمى هذا الدور في العراق بالدور البرادوستي نسبة إلى جبال برادوست ، وتعود إلى هذا الدور اللقى المكتشفة في كهف شانيدار -Shanidar- الطبقة B ، كما وجدت آثاره في كهفي زرزي -Zarzi- وهزارمرد -Hazar Mird- ضمن حدود محافظة السليمانية والتي تعود إلى ٢٠,٠٠٠ عام ق.م .

العصر الحجري الوسيط -Mesolithic- :

يقع زمن العصر الحجري الوسيط بعد العصر الجليدي الرابع والأخير ، ويطلق عليه في العراق أسم العصر الزرزي -Zarzian Culture- نسبة إلى لقى كهف زرزي التي أكتشفتها الباحثة الآثرية دوروثي كارود -Dorothy Garrod- عام ١٩٢٨ م وهيّ ذات الباحثة التي كشفت لقى كهف هزار مرد ، وقد وجدت آثار هذا العصر في مناطق أخرى من العراق

منها الطبقة C من كهف شانيدار وفي زاوي جمي -Zawi Chemi- على الزاب الأعلى أي بالقرب من كهف شانيدار وكذلك في بالي كورا -Balegawra- وملفعات -Malfa'at- وكريم شهر -Karim Shahir- ، وفي هذا العهد الذي يمتد من ١٢,٠٠٠ إلى ٨,٠٠٠ عام ق.م بدأت في العراق القديم أولى محاولات الزراعة التي أعتمدت الشعير البري تؤيد ذلك بقايا الشعير البري المزروع الذي يتميز عن الشعير البري بعدد من المواصفات المتميزة أهمها شكله وزيادة عدد حبوبه ، كما تؤكد ذلك مكتشفات أدوات الصوان في منطقة بردة بلكة -Parda Balka- القريبة من جمجمال -Chamchamal- .

العصر الحجري الحديث -Neolithic- :

يبدأ العصر الحجري الحديث في حدود الألف الثامن ويمتد إلى ٥٦٠٠ ق.م ، ويقسم في العراق وبعض بلدان الشرق القديم إلى ثلاثة أدوار ، وهيّ -Proto-Neolithic- ممثلاً بالطبقات A & B٢ من كهف شانيدار ، وكذلك بلقى زاوي جمي وكريم شهر وملفعات وكرد جاي . ثم دور ما قبل الفخار -Pre-Pottery Neolithic- ممثلاً في جرمو -Jarmo- بالطبقات ١٦-٦ حيث لم يعثر على أية آثار للفخار فيه إلا في الطبقة الخامسة الحديثة وما فوقها من طبقات أحدث ، كما يتمثل هذا الدور بالطبقات دون الطبقة العليا من زاوي جمي وكذلك في الطبقات التسعة التي تقع تحت الطبقات الخمسة العليا من طبقات تل شمشارا -Tell Shemshara- الذي يتألف من ستة عشر طبقة وقد عرف هذا التل كمستوطنة في عهد سلالة أور الثالثة بأسم -Shashrum- .

وأخيراً دور الفخار -Pottery Neolithic- ويتمثل في الطبقات العليا الخمس من جرمو والطبقات السفلى من تل حسونة -Tell Hassuna- والطبقات السفلى من تل الصوان -Tell-Al-Sawwan- ومواقع أخرى ، وإلى هذا العصر يعود نمط الزراعة المستقرة وتدجين المعيز والخراف الجبلية والطير البري ولا سيما في مستوطنة جرمو التي عرف سكانها أيضاً صناعة أسلحة متطورة كالرماح الخفيفة والقوس والنبال .

العصر الحجري- المعدني -Chalcolithic- :

يقع زمن العصر الحجري-المعدني في حدود ٥٦٠٠-٣٥٠٠ ق.م ويقسم إلى الأدوار التالية :

أ- حجري-معدني قديم -Early Chalcolithic- والذي يشمل دوري حسونة (حسونة وتل الصوان وشمشارا وغيرها من مواقع) ودور سامراء (تل الصوان وشمشارا تل حسونة) ، والحقيقة فإن دور سامراء كما يذهب إلى ذلك بعض الأساتذة الكبار يعتبر دوراً إنتقالياً بين الدورين الواقعيين حسونة وحلف ، ذلك أنه يمتلك صفات أواخر دور حسونة ومطلع دور حلف -Halaf- ، ولا يمتلك إلا في حالات إستثنائية نادرة صفات تميزه عن كلا الدورين السابق ذكرهما .

ب- حجري-معدني وسيط -Middle Chalcolithic- ويشمل أدوار حلف القديم والوسيط والمتأخر ، ويشتمل على النصف الثاني من دور سامراء كما يشمل دور العبيد الأول والثاني وتقع في دور العبيد الأول الطبقات ١٩-١٥ من أريدو ، كما يقع في الدور الثاني طور فخار الحاج محمد وفخار رأس العمية بالقرب من كيش .

ج- حجري -معدني متأخر -Late Chalcolithic- والذي يشمل دور العبيد الثالث -Ubaid-III- الذي كان يسمى سابقاً بدور العبيد القديم ، ثم دور العبيد الرابع -Ubaid IV- والذي

كان يسمى بدور العبيد المتأخر ٥٣٠٠ ق.م -Eridu / Ubaid (Late)- ، كما يشمل دور أوروك القديم الطبقات ١٢-٧ أي بحدود ٣٧٠٠ ق.م ، ودور أوروك المتوسط أو الوسيط ويضم الطبقتين ٦-٥ من موقع أوروك .
يتسم العصر الحجري المعدني بنمو بذور الحضارة الراقية التي أبتدأت بشكل واضح المعالم في مستوطنة جرمو / العصر الحجري الحديث التي عرفت بناء بيوت الطين المستديرة ، وقد شهد العصر الحجري المعدني تطور العمارة الرافدية وإبتكار العجلة ودولاب الخزف ، وتطور عملية تدجين الحيوانات فشملت الجاموس والأبقار والحمير والبط والكلاب التي تم تدجينها في أوروك بين أواخر الألف الخامس ومطلع الألف الرابع ق.م أي فترة أسلاف الكلدان القدماء ، كما تطورت وسائل الزراعة فشملت زراعة القمح التي تطلبت مهارات في صناعة المحراث وتنظيم الري والسدود ، كذلك نشأت في هذا العصر بدايات الكتابة ممثلة بخرزات الطين والفخار -Clay Tokens- المعلمة رقمياً أو بأشكال بدائية تجريدية ، وقد أحتوت هذه الخرزات الطينية والفخارية أحياناً على تجويفات تضم خرزاً أصغر يماثل عددها عدد الماشية المملوكة أو الممتلكات الشخصية لصاحب الخرزة .

العصر شبه التاريخي -Proto-Literate or Proto-Historic- والعصر التاريخي -Historic- :
أثبتت التنقيبات الآثارية في وسط وجنوب العراق وجود شعب (غيرسومري) قديم مارس منذ طور أريدو ٥٣٠٠-٤٩٠٠ ق.م حتى طور العبيد ٤٣٠٠-٣٥٠٠ ق.م حياة متحضرة في منطقة ما تسمى بالقطر البحري الكبير أي (مستوطن أسلاف الكلدان التاريخي) الذي يمتد من الحافات السفلى لمرتفعات حمرين شمالاً حتى قطرايا / قطر جنوباً ومن الأحواز شرقاً حتى مدينة ماري غرباً وكانت أشهر مدنه أريدو وأور وأوروك وكيش ولما لم تكن الكتابة قد أبتكرت بعد فقد أطلق العالم لاندزبيركر -Landsberger- التسمية الإفتراضية (الفراتيون الأوائل) -Proto Euphratin- على ذلك الشعب الذي كانت عاصمته مدينة أريدو -Eridu- التي تكتب مقطعياً (نون كي) -Nun ki- و يعني أسمها باللغة العتيقة أصل أو باب الحياة أو الرفاهية وفي قراءة أخرى بيت النخيل ، وبديهي أن أريدو كانت مدينة الإله إنكي / أيا (صاحب الكلمة الكلية القدرة أو أمير السحر) الذي كان بمقدوره وفق الميثولوجيا الرافدية القديمة أن يقول للشيء كن فيكون ، وهو والد (إله مدينة بابل الرسمي) مردوخ (إله المدنية والحضارة والإعمار) ومن الجدير بالذكر أيضاً أن بعض المؤرخين العراقيين أستخدموا تسمية الفراتيون الأوائل التي أستحدثها لاندزبيركر فيما أستخدم البعض الآخر تسمية الأكديون القدامى ومنهم الدكتور سامي سعيد الأحمد في كتابه الموسوم (السومريون) .
وقد أدت الدراسات اللاحقة إلى التأكد من أن ذلك الشعب المتواجد في جنوب وادي الرافدين كان هو منبع الهجرات التي كانت تنتهي في بابل ونواحيها ، علماً أن بابل كانت هي الأخرى تكنى بتسمية نون كي (أصل الحياة أو المنبت الطيب) ، كما أن بابل وفق جداول أثبات الملوك وبعض الإشارات المدونة في الألواح المسمارية والإسطوانات الملوكية تعد دونما جدال من أقدم المدن العراقية القديمة إن لم تكن أقدمها قاطبة وهذا ما سنتركه لموضوع لاحق منفصل ، علماً أنه قد سبق لي وأن نشرت هذه المعلومات في سلسلة من المواضيع على صدر صفحات مجلة (بابل اليوم) التي تصدر في الولايات المتحدة.

ما يهمني التأكيد عليه هنا ، هو أن هذا الشعب الذي أستخدم لغة أصلية (رافدية محلية) عتيقة دخلت بشكل حيوي ومؤثر في تركيب البناء اللغوي للشعب السومري سكان إقليم الشمال الأصليين، وذلك بعد هجرتهم إلى وسط وجنوب الرافدين في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد ، ومن تلك المفردات التي أستخدمها هؤلاء الأوائل (ملاخا / ملاك ، نكارا / نجار ، دقلات / دجلة ، دامكار / تاجر ، بوراتا / فرات ، آبن المعدلة إلى بنا / محراث أي بدنا ، إيد أي إيذا / يد ، أنكار المعدلة إلى أكارا / فلاح ، بوم -Pum- أي بوما / فم ، بحارا / خزف والعديد من المفردات التي ما زال الكلدان يستخدمونها حتى يومنا هذا) ، مما دعا بعض العلماء والآثاريين إلى إعادة النظر في نظرية الهجرات السامية أو كما يحلو للبعض أن يسميها بالجزرية أو العربية التي سادت كتب التاريخ حتى الربع الأول من النصف الثاني للقرن المنصرم ، وذلك قبل التأكد من بطلانها لأسباب عديدة منها :
أن أقدم الحضارات المعروفة في الجزيرة العربية هي الحضارات ذات الأصول الحبشية في منطقة اليمن ، لا يعود تاريخ أقدمها لأكثر من ألف ومائتي عام قبل الميلاد فيما تعود حضارة أسلاف الكلدان (الفراتيون الأوائل) وفي مستوطن الكلدان التاريخي بالذات لأكثر من ٥٣٠٠ عام ق.م ، كما تعود أولى المستوطنات العراقية إلى الألف العاشر قبل الميلاد ناهيكم عن الوجود البشري الذي يعود إلى الدورين الآشولي والمستيري من العصر الحجري القديم (الباليوليتي) ١٠٠,٠٠٠ ق.م والأوسط (الباليوليتي) ٧٠,٠٠٠ ق.م / (مستيري) ٥٠,٠٠٠ ق.م علاوة على العصر الحجري الوسيط في العراق بحدود ١٠,٠٠٠ ق.م ، هذا من ناحية الفارق الزمني الهائل بين إنسان وادي الرافدين والجزيرة العربية ، ومن الناحية اللغوية فإن هنالك تبايناً لغوياً وعرقياً شديداً بين الفراتيين القدامى من عنصر سكان البحر المتوسط (أسلاف الكلدان) وبين الناطقين بالحبشية القديمة في اليمن وجنوب غرب الحجاز (الأفارقة المضربين بجنس الجزيرة) ، إضافة إلى عدم توفر أي دليل مادي يدعم أهلية الجزيرة لإمداد بلاد الرافدين وسوريا بالموجات البشرية اللازمة بأستثناء سكان منطقة العروض (جنس البحر المتوسط) التي تعتبر إمتداداً طبيعياً للجنوب الرافدي وتتألف من البحرين (دلمون / تلما = كوز الماء) وقطر (قطرايا = الصخرة الكبيرة) والكويت (تصغير كوت أي بيت / تسمية مستحدثة) التي كان يحدها من الغرب النهر الرابع من أنهار الجنة -Pison- بحسب العهد القديم (حالياً وادي حفر الباطن) وهو ما أكدته صور المسح الطبوغرافي الملتقطة بواسطة الأقمار الصناعية ، علماً أن هذا القسم الهام من منطقة العروض كان حتى وقت إبرام إتفاقية الإستانة عام ١٩١٣م ثم التقسيم المجحف لبلاد ما بين النهرين في إتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦م إقتطاع قائمقامية الكويت عام ١٩٢١ م جزءاً من (مستوطن الكلدان التاريخي) ، ومما يدعم مسألة عدم أهلية الجزيرة لضخ الموجات البشرية الكبيرة طبيعتها طبوغرافياً ومناخياً وتوزعها بين صحارى مجدبة وجبال قاحلة وسواحل ضيقة مقفرة (الحجاز وتهامة والإحساء) ، وقد وصل الأمر ببعض العلماء إلى إثبات نظرية الهجرات المتعاكسة أي أن هنالك هجرات قديمة من وادي الرافدين إلى الجزيرة بدليل أن سكان واحة نجران الذين طردهم الخليفة عمر بن الخطاب إلى سوريا ومن ثم وادي الرافدين (منطقتي النجف وعاقولا لاحقاً) وتعني الأخيرة في اللغة الكلدانية (المستديرة) كانوا من المتحدثين بالكلدانية القديمة مما يؤكد الرأي القائل بأنهم كانوا من بقايا الكلدان الذين ساهموا في تأسيس

مدن يثريبو (يثرب / المدينة) وتيمو (تيماء) وغيرها على عهد الأمبراطورية البابلية الحديثة التي يسميها البعض مجازاً بالإمبراطورية الكلدانية (تسمية إختيارية مستحدثة) ، كما توصلت الباحثة العراقية الدكتورة حياة إبراهيم المختصة بالتاريخ الكلداني إلى حقيقة أن الكلدان ليسوا من القبائل الآرامية البدوية وإنما هم سكان القطر البحري الحضريين مؤكدة في ذلك ما ذهب إليه العهد القديم والحوليات الآشورية التي كانت تفصل بين جيوش الكلدان والقوات المتحالفة معها من آراميين وغيرهم وكذلك بعض مراسلات الإقليم البابلي التي أوضحت ذلك بصورة دقيقة (حول علاقة الآراميين بالكلدان أنظر موضوع أصل التسميات القديمة بين القومية والإقليمية) ، مما يؤكد أصالة الكلدان في منطقتهم التاريخية (القطر البحري) ، وإلى هذا ذهب أيضاً عدد من المؤرخين والآثاريين أبرزهم مورتكات وكارلتون وفون كريمر وكويدي وهومل وهوتجنسون -Hutchinson- الذي أفاد في كتابه الموسوم (قصة الأمم) : أن الساميين (أسلاف الكلدان القدماء) الذين يكونون جزءاً من المجتمع الذي أستوطن بابل (الإقليم) يجب أن يكونوا قد جاءوا من وطن (القطر البحري) الأكثر مدنية من صحارى جزيرة العرب القاحلة ، وهذا هو عين ما توصلت إليه في كتابي الأكاديمي (الآشوريون .. سكان دولة أم قومية / ديترويت ٢٠٠١م) حيث تبين لي من المقارنة اللغوية والفحوص الأنثروبولوجية (الإطلاع على تنوع الهياكل العظمية وطبيعة الجماجم المكتشفة في مقبرة أريدو وحضارة العبيد) علاوة على الدلالات الآثارية الأخرى .

لهذا لم يذكر الكلدان في حوليات حكام الدولة الآشورية إلا كشعب حضري متمدن ومنفصل ومتميز عن الآراميين البدو الذي أنفصلوا في زمن سابق عن جذرهم الكلداني المستقر (المديني) العتيق وأنتقلوا عكسياً بسبب عامل الهجرة المتواصل من الزراعة إلى حالة البداوة ، ووفق ذات السياق الحضري المتمدن جاء ذكر الكلدان بحسب كتبة العهد القديم ولا سيما في سفر التكوين وأسفار إرميا ودانيال وإشعيا مما يؤكد بأن سكان القطر البحري قد حملوا تسميات عديدة خلال تاريخهم الطويل (٧٣٠٠ عام) ، وذلك إما نسبة للمدينة التي يؤسسونها أو لواقعة تميزهم عن بقية أفخاذ أرومتهم ، ولذلك يقول عنهم الدكتور فوزي رشيد في كتابه الموسوم (الملك نبوخذنصر الثاني) ص٣٧ : إن الكلديين / الكلدان عموماً قد عاشوا بين السومريين ، مع أن الشائع خطأً بين غير المختصين هو أن الكلدان لم يؤسسوا إلا السلالة البابلية الحادية عشر حسب ٦٢٦-٥٣٩ ق.م ، غير إن العديد من الدلالات العلمية والتاريخية التي أوردناها تؤكد بأن الكلدان القدماء -Proto Kaldee- قد حملوا طوال تاريخهم الطويل تسميات مختلفة منها تسمية (الأكديين) نسبة إلى مدينة أكد التي أسسها شرو كين / سركون الكبير أو كما يلقب بالأكدي .

وتشير مسلة شروكين إلى أن مدينة (أكد) قد بنيت بتراب بابل ، بمعنى أنها كانت ضاحية من بابل (كا دنكر را أو بابيلم) مثلما أطلقت عليهم تسمية عمورو باللغة الرافدية القديمة ومارتو بالسومرية والتي تعني (الغربيين) وهو مجاز لغوي يعني (الشماليين) لأنهم دخلوا بابل من البوابة الشمالية ، وسنشرح هذا الإلتباس في المفاهيم أو بالأحرى المعنى المجازي الذي تأتى من دخول أحفاد الرافديين الأوائل (من عموريين / كلدان) إلى الإقليم البابلي عن طريق البوابة الشمالية (عشتار شكي بات لا بيشه) أي (عشتار قاهرة الأشرار أو الأعداء) وتسمى حالياً (بوابة عشتار إختصاراً) وبالتالي إستخدامهم لحركة الكماشة لإحتواء بابل

التي كانت تتألف من (أكثر من ٧٥ مدينة وما يزيد على ٤٢٠ بلدة) وهو ذات الأسلوب الذي أعتمده لاحقاً السكان الأصليون الكلدان (كيش دو / المنتصرون) في دورتهم لإحتواء بابل من الداخل منذ السلالة البابلية الثانية أواخر الألف الثاني ق.م .

المهم في هذا الموضوع من بحثنا أن نبين بأن السكان الأصليين للعراق القديم (الكلدان الأوائل) قد سبقوا السومريين في الإستيطان في الحوض الأوسط والأسفل من وادي الرافدين وإلى ذلك يذهب الأستاذ باقر في الصفحة ٦٤ من كتابه (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) حيث يقول : وسنرى من كلامنا حول الساميين أن السومريين لم يكونوا أقدم المستوطنين في السهل الرسوبي . والسهل الرسوبي هنا كما نعرف هو (المساحة الجغرافية) التي تمثل المستوطن التاريخي الرئيس للكلدان (القطر البحري) وعاصمته القديمة (أريدو) بتركيبتها العرقية الرافدية القديمةالتي تدعمها الأسانيد المختبرية لحضارة العبيد التي تبعد ثمانية كيلومترات عن أور الكلدان ، بأنهم في الواقع ووفق كل هذه الأدلة المادية وتراثهم اللغوي وبيانات الكتاب المقدس عن كلدان أور قبل سيادتهم سياسياً (الكلدان .. أمة عريقة منذ القدم) وتسمية الخليج ببحر الكلدان (تام تي شا مات كلدي) قبل ما يزيد على ألف عام من حكم السلالة البابلية الحادية عشر والتي يسميها المؤرخون المحدثون السلالة الكلدية ، علاوة على أن أسم أول ملك حكم أريدو قبل الطوفان ، أي منذ أن نزلت الملوكية من السماء بحسب جدول ملوك سومر هو الملك إيلوليم (تسمية كلدانية) ، وهذه جميعاً ما هيّ إلا دلائل دامغة على حضورهم القومي المتواصل تاريخياً في ذات المنطقة على (تنوع تسمياتهم) ، وبالتالي تأكيد تواجدهم الأقدم بين كل سكان وادي الرافدين ، والذي يعود بحسب الدلالات المادية والوثائق المتحفية إلى عام (٥٣٠٠ ق.م .) .

وجدير بالذكر ، أن تسمية وادي الرافدين -Mesopotamia- ليست تسمية أجنبية متأخرة كما يعتقد البعض ، مع أنها قد أشتهرت بعد إستخدامها من قبل المؤرخ الإغريقي فوليبوس ٢٠٢-١٢٠ ق.م -Polybius- في منتصف العهد السلوقي عندما أطلقها على القسم الشمالي من العراق القديم إلى حدود بغداد أي ما يرادف مصطلح الجزيرة الذي أستخدمه البلدانيون العرب ثم صارت تطلق على القطر كله لاحقاً ، ومع أن الأغريق كانوا يستعملون جرياً على العادة المحلية تسمية أثرا (الوطن) التي ترجموها إلى أسيرا ثم (آسيريا) لإقليم الشمال والتسميتان القديمتان (بابلونيا) للإقليم البابلي و(بارابوتاميا / حافات الرافدين) للقسم الصحراوي الذي يضم باديتي الشام والعراق ، غير أنهم كانوا يخلطون بين بابل وآشور في أحيان كثيرة .

إلا أن ما يؤكد قدم هذه التسمية (بلاد ما بين النهرين) وأصالتها البابلية هو إنها قد تأتت من الإستخدام القديم لهذه التسمية التي عرفت منذ العصر البابلي القديم ، حيث أستخدمت بصيغتها القديمة مات بريتم -Mat Biritim- أي أرض المابين كما أستعملت كصفة للمنطقة الواسعة من الإقليم البابلي التي كانت تحيط أو تقع بالقرب من كوثى / كوتم أو كودوآ القديمة -Kutha / Guduâ or Kutûm- ، حيث كان أسم تلك المنطقة يقرأ بيرت ناريم -Birit-Narim- أي ما بين النهرين وهما دجلة إيد دقلت / دكنا-Id-digna- ونهر الفرات -إيد بوراتم-Id-Puratum- وما زال الكلدان يستخدمون هذه التسمية المحلية الوطنية العريقة بين النهرين / وادي الرافدين حتى يومنا هذا بلفظتها الحديثة (بيث نهرين) .

أصل التسميات القديمة بين القومية والإقليمية :

لو راجعنا المعنى الدقيق للتسميات التي أطلقت على سكان العراق القديم منذ العصر المجهول وحتى نهاية الحكم الوطني لعموم وادي الرافدين عام ٥٣٩ ق.م أي مع نهاية الإمبراطورية البابلية الحديثة / السلالة الكلدانية الإمبراطورية لأستوقفتنا حقيقة دامغة ومثيرة في آن ، وهي أن من بين جميع التسميات القديمة سومر وأكد ، بابل وآشور وغيرها لم يعرف العراق القديم إلا تسمية قومية واحدة تنتمي إليها كافة السلالات الرافدية العظيمة (غير السومرية) تلك هي تسمية كلدو (الكلدان) فيما أستمدت التسميات الأخرى سومر وأكد وبابل وآشور تسمياتها إما بدلالة موقعها الإقليمي أو بسبب إنتسابها الجغرافي أو الطبوغرافي ، بمعنى أن أسماءها لاحقة للإستيطان ، ولتأكيد هذه الحقيقة فإننا سنستعرض سوية هذه التسميات مع تفسيرها بحسب شروحات الأساتذة والمختصين الأكاديميين في مجال التاريخ والآثار وهي :

السومريون :
يذكر جورج روو في كتابه الموسوم (العراق القديم) ص١١٩ : جاء أسم السومريين من الأسم القديم للقسم الجنوبي من العراق (سومر) وإن توخينا الدقة (شومر) والذي يكتب مقطعياً كي إن غي -Ki en ge (r)- ، أما طه باقر فيستخلص : أن المعنى الحرفي لأسم السومريين كي إن غي (إر) هو (أرض سيد القصب) ولعل المقصود هنا بسيد القصب الإله إنكي / أيا ، كما يعتقد أن تسمية شومر هي إشتقاق من أحد أسماء أحياء مدينة نفر العاصمة المقدسة للإقليم ، ويؤيد ذلك الدكتور فوزي رشيد في كتابه الموسوم (قواعد اللغة السومرية) حيث يشير : إلى أن السومريين وبالأكدية (شوميرو) كان أسم موقع يحيط بمدينة نفر وذلك قبل عام ٢٤٥٠ ق.م ، ثم صار بعد ذلك التاريخ يطلق على كامل القسم الجنوبي من العراق القديم .

الأكديون :
في كتابه الموسوم (السومريون) يقول د. سامي سعيد الأحمد في ص٥ : وهنالك أدلة تثبت على سكن الأكديين جنباً إلى جنب مع السومريين منذ عصور سحيقة في القدم ويصعب تحديدها ، وإلى ذلك يذهب كل من ليونارد وولي في كتابه الشهير (السومريون) وإدوارد مير في كتابه الموسوم (السومريون والساميون في الإقليم البابلي / بابلونيا) ، وفي كتاب (نرام سين .. ملك جهات العالم الأربعة) يوضح د. فوزي في الصفحة ١١ قائلاً : وتسمية الأكديين لا تمثل الأسم القومي لهم ، بل حصلوا عليه بعد تكوينهم لأول إمبراطورية في التاريخ وإنشائهم للعاصمة أكد ، لأن التسمية المذكورة كما هو واضح نسبة إلى عاصمتهم أكد وهو ما تذهب إليه جوان أوتس في كتابها (بابل) حيث تقول : لا يعرف متى اسس سرجون عاصمته الجديدة (أكد) أو دور شروكين القديمة ، غير أن الأسم (أكد) هو الذي أطلق لاحقاً على سلالته وعلى اللغة التي يتحدثون بها ، وإلى هذه الحقيقة يشير ليو أوبنهايم موضحاً بأن معنى اللغة الأكدية هو : أنها (لغة) دالة على اللهجات السامية (مصطلح حديث) التي تسمى أيضاً بالبابلية والآشورية وهي مشتقة من الصفة أكادو بمعنى لغة (مدينة أكد) التي أستعلمت

منذ العهد البابلي القديم .
وهكذا يتبين بأن الأكديين هم من العراقيين القدامى الوسط جنوبيين مع أن ظهورهم سياسياً كان في حدود عام ٢٣٤٠ ق.م وذلك كزعماء سياسيين في منطقة أكد (بين بغداد والديوانية) ، وكما لاحظنا فإن بعض المؤرخين والآثاريين نسبوهم إلى قدامى سكان العبيد (الفراتيون الأوائل أسلاف الكلدان القدماء) لكن المؤرخين من ناحية أخرى ألتزموا (التسمية الإختيارية / الساميون) تعريفاً بهم ، وبسبب عدم صلاحية الفرضية الجزرية وعدم وجود أي أثبات علمي أو إشارة تاريخية في الموجودات المادية المكتشفة في العراق القديم التي تذكر مثل هذه الهجرة (الوهمية) ، لذلك أرتأينا أن نعتمد الرأي القائل بأنهم من العراقيين القدماء الوسط جنوبيين / الكلدان الأوائل كما سنثبت ذلك في هذا الموضوع ، وبذلك يكونون هم والرافديون الأوائل / أسلاف الكلدان القدماء بناة أريدو وكيش جنس واحد أي السكان الأصليين (الوسط جنوبيين) للعراق القديم ، وأن تسميتهم كما أثبتنا ليست تسمية قومية وإنما تسمية إقليمية نسبة لإقليم أكد -Mat Agadim- وتحديداً عاصمة الإقليم أي مدينة (أكد) -Agade- ، لذلك أوردت المدونات التاريخية عبارات من نوع شروكين ملكِ شومر وأكد -Shar Mat-Shumerim u Agadim- وأيضاً نبوخذ نصر ملك أكد ، علماً أن كلاهما يرجعان للكلدان الأوائل وكلاهما ولدا في في بابل بمعناها الواسع سواء كانت كيش أم أزوبيرانو أم بابل المركز .

البابليون والآشوريون:
تسميتان لا تدلان وفق المدونات التاريخية والأثباتات العلمية على عرقين بمعنى قوميتين ، وإنما تدلان على مجاميع بشرية لسكان عاصمتين تعتبران من أشهر عواصم العراق القديم ، ومن أسم هاتين العاصمتين أشتقت تسميتا الدولة البابلية والدولة الآشورية ومنهما أيضاً جاء التعبيران شعب بابل وشعب آشور واللغة البابلية والآشورية ، والحق فإن بابل قد أخذت إسمها من الضاحية القديمة للعاصمة والتي تسمى باربار أو في قراءة أخرى كار دنغر را ونون كي والأسم الأخير هو صيغة أسم أو صفة قديمة لمدينة أريدو العاصمة الأولى للكلدان الأوائل ٥٣٠٠ ق.م ، أما أسم آشور فقد جاء من أسم آ-أوسار-A usar- وهو إله الأقوام الجبلية الآسيوية الهندوأوربية المعروفة بالسوباريين أو الشوبارو .
وخلاصة القول أنهما تسميتان غير قوميتين ، ويجمل ذلك الدكتور فوزي رشيد في كتابه الموسوم (سرجون الأكدي .. أول إمبراطور في التاريخ) حيث يقول : تؤكد الوقائع على أن الشعوب الكبيرة لا تحصل على أسمائها إلا من أسم المنطقة التي يسكنونها .
وهذه الحقيقة الخاصة في تسمية الشعوب متبعة منذ أقدم الأزمان وحتى الوقت الحاضر ، فالسومريون قد حصلوا على أسمهم من أسم منطقة سومر التي أقاموا حضارتهم فيها ، والأكديون نسبة إلى منطقة أكد والبابليون والآشوريون نسبة إلى منطقتي بابل وآشور .
بمعنى أن هاتين التسميتين (البابليون والآشوريون) هما تسميتان إقليميتان لا تدل أي منهما على فئة عرقية بمعنى قومية وإنما على نمط سكاني في موقع جغرافي محدد .

العموريون :
في المعجم الموسوم (معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم) يوضح الباحث التاريخي حسن النجفي بأن الأموريين (العموريون) الذين يوصفون بصفة (العمالقة) هم من الشعوب الجزرية (تسمية حديثة منتصف سبعينات القرن الماضي) وقد أسسوا مملكتهم الأولى في مدينة ماري (عاشر مدن ما بعد الطوفان) في الفرات الأعلى العراقي وقد كانت هذه المدينة في عهد لوكال زاكيزي ٢٤٠٠-٢٣٧١ ق.م تابعة لسلالة أوروك ويعني أسمهم (عمورو) الغربيون وفي لغة الإيمي سال السومرية تقرأ مارتو وذلك لسكنهم غرب الإقليم البابلي (سومر وأكد) ، كما أن عمورو قد يكون إشتقاقاً من حمو أو عمو إله الحرارة الذي عبده العموريون سكان البادية الرافدية بارابوتاميا ومن أسمه جاء الأسم المركب للملك البابلي العظيم حمورابي أو عمورابي أي معظم (هو) الإله عمو ، ويربط كتاب (الفن العموري) طبعة دمشق ص٥ : بأن العموريين والأكاديين من عرق واحد وأنهم سكنوا في وقت واحد في موقعين جغرافيين مختلفين ماري وأكد وأقام كل منهما حضارته التي كانت كما يؤكد البحث حضارة واحدة نظراً للأصل الواحد .
ويقول د. هورست كلنغل في كتابه الموسوم (حمورابي .. ملك بابل وعصره) بأن العموريين الذين يطلق عليهم أحياناً (الساميون الغربيون) تمييزاً عن الأكديين أنشأوا أولى ممالكهم في ماري الرافدية ، لكن موجة كبيرة منهم كما يقول الباحث أنشأت العديد من الممالك على الساحل السوري وتتسمى تلك الموجة بالكنعانيين الغربيين تمييزاً عن العموريين .
ويؤكد جورج روو في كتابه (العراق القديم) : كان الحكام الذين حلوا محل السومريين على الساحة السياسية أما أكديين عراقيين ، أو ساميين غربيين ، ويشرح الأستاذ طه باقر في كتابه الموسوعي (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) قائلاً : عمورو هي الصيغة الأكدية للتسمية السومرية مار تو ويعني هذا المصطلح في إستعمال سكان الرافدين الغرب والبادية الغربية (الجزء الشرقي من سوريا الحالية الذي كان جزءاً من العراق القديم) ، ويضيف الأستاذ طه باقر في الصفحة ٤٠٦ قائلاً : إن الموجات التي أنحدرت إلى وادي الرافدين جاءت بالدرجة الأولى من البوادي الكائنة شمال غربي الفرات (بادية الشام والعراق ومن أعالي الفرات وشمالي مابين النهرين) ، أي أنها وفدت جميعاً من المناطق التي كانت تابعة للعراق الطبيعي القديم ، وبمعنى آخر هجرات محلية .
اما د. فوزي رشيد فيقول في كتابه الموسوم (حمورابي .. مجدد وحدة البلاد) : لقد ورد أسم العموريين في النصوص السومرية بصيغة مار تو -Mar tu- وفي النصوص البابلية بصيغة (عامورو) وكلا الصيغتين السومرية والبابلية تعنيان (الغرب) ويعني أن أسمهم هو الغربيون . وتؤكد هذه الحقائق بأن تسمية عمورو هي صفة جغرافية وليست تسمية قومية .
علماً أن البعض من الباحثين خلافاً للمنطق التاريخي وإعتماداً على الأسم حسب ، الذي لم تطلقه تلك الموجات على مجاميعها ، يتعامل مع الهجرة العمورية على أنه تمثل فئات متميزة في خصوصيتها ، برغم تعدد متجهاتها وأختلاف مسميات مجاميعها بحسب المناطق التي أستقرت فيها ، وبرغم طول الفترة الزمنية التي أستغرقتها ما بين إنطلاقها وإستقرارها النهائي الذي أستغرق ما يقرب من ألف عام ، الغريب أن هؤلاء الكتاب لم يذكروا لنا ميزة واحدة أنفرد بها العموريون عن الأكديين الرافديين !

إن ما يدحض مثل هذه الفرضيات التي تفتقر إلى الموضوعية والدقة العلمية ، هو ما أوردته آنفاً ، علاوة على أن الجذور اللغوية للأكديين والعموريين واحدة ومنشأها واحد هو القطر البحري / مستوطن الكلدان الأوائل ، وهو ما أثبته في فصول خاصة من هذا البحث ، وبخاصة موضوع التسمية المحلية للعموريين وهجرتهم الموضعية التي أثبتنا بأنها سلكت الطريق الرافدي المحلي التقليدي (٢٧٠ درجة) ، أنظر موضوع (البادية الغربية كمدخل للهجرات المحلية إلى بابل) وذلك في القسم الأول من الجزء الثالث الذي يثبت المعنى الجغرافي للأسم عمورو الذي أوضحه هنا .

الآراميون :

في الجزء الثالث من هذا البحث وفي موضوع (البادية الغربية كمدخل للهجرات المحلية إلى بابل) ، أشرت بأن تسمية الآراميين الذين جابوا البادية الغربية منذ أواخر الألف الثاني ق.م ، قد جاءت من الأصل القديم أحلامو أو أخلامو وتعني (القبائل المتحالفة) الذي عرفت به هذه الموجة منذ أواخر القرن الخامس عشر ق.م ، حيث يرد ذكرهم بحسب رسائل تل العمارنة في منطقة سنجار ومدينة نفر وايضاً في دلمون أو تلمون / البحرين في الفترة ذاتها ، ثم صارت قبائلهم تعرف مع مطلع القرن الثاني عشر بأسم أحلامو آرامو حتى غلبت عليها منذ مطلع القرن العاشر قبل الميلاد تسمية آرامو وهي المرحلة الثانية من هجرة تلك القبائل الرافدية الجنوبية ، ويشير العالم الآثاري والمؤرخ الفرنسي المعروف أ. دوبون سومر بأن آرامو كان فخذاً من الأحلامو أخذ بالتوسع والقوة والسيطرة حتى غلبت تسميته على الأصل أحلامو ، وقد وردت في بعض الوثائق البابلية من العصر البابلي القديم مدينة بأسم آرام تقع في جنوبي إشنونا / الإقليم البابلي وقد جاء تعريف بها في كتاب المؤرخ موسكاتي الموسوم (الحضارات السامية القديمة) ط إ - ص١٦٨ كما وردت تسمية آر-را-آم في كتابات تعود للملك الأكدي نرام سين ، وإذا ما أستثنينا كتاب العهد القديم الذي ينسب فيه القبائل الآرامية إلى آرام بن سام بن نوح تك ١٠ : ٢٢-٢٣ أو إلى أسرة ناحور تك ٢٢ : ٢٠-٢١ فإن معنى كلمة آرامو أو آرامتو هو سكان الأراضي المرتفعة (التلال أو الهضبة) ذلك أن قبائل الآراميين كانت تنتشر وقت اشتهارها بهذه التسمية في هضبة العراق الغربية وهي منطقة تلال ومرتفعات وفي اللغة الكلدانية / العراقية القديمة تلفظ راما (مرتفع) أو أرعا رمتا (تلة) ، ومنها التسمية العربية الآراميون وإلى ذلك يذهب العديد من المؤرخين واللغويين ومن أبرزهم إي. جي. كرايلنغ وشيفر وآر. تي. أوكلاغهام و أي. دوبونت سومر وجاي. آر. كوبير والأستاذ طه باقر والدكتور فوزي رشيد والأب ألبير أبونا والمطران أوجين منا الكلداني والباحث الإجتماعي والمؤرخ سليم مطر ، والخلاصة أن الآراميين سواء في تسميتهم القديمة القبائل المتحالفة أو المتأخرة /الحديثة التي تعني سكان الهضبة ، إنما تدلان على دلالة معنوية أو موقعية (طبوغرافية) وبالتالي فإنهما لا تعنيان تسمية قومية على الإطلاق .

وهكذا يتبين لنا أن جميع التسميات العراقية القديمة للمجاميع السكانية التي بحثناها لحد الآن وهي السومرية والأكدية والبابلية والآشورية والعمورية والآرامية لا تعني مطلقاً تسميات قومية وإنما تسميات إصطلاحية ودلالية إقليمية في معظم الأحيان وطبوغرافية في أحيان أخرى ، ولكن هل ينطبق هذا على التسمية (الكلدانية / الكلدية) التي نعتبرها خلاصة تسميات العراقيين القدماء ؟

الكلدانيون / الكلديون :
بينت في مقدمة هذا البحث بأن الكتابات الرافدية القديمة أطلقت على كلدان العصر البابلي القديم تسمية كلدايي ومفردها كلدايا وموطنهم كلدو ولغتهم الأم كلديثا وإنتمائهم لهذه الأرض واللغة كلديوثا وأيضاً (كلدنيوثا) وهيّ النحت الكتابي -Biblical- للمفردة ، وبديهي أن الحوليات والسجلات المسمارية / المقطعية القديمة كانت تشير للكلدان بصيغة الجمع كلدي -Kaldee- ولموطنهم مات كلدي -Mat Kaldee- ، وهيّ ذات الصيغة التي أستخدمها العهد القديم وفق صيغة الجمع العبرية حيث أطلق على الكلديين تسمية كشديم -Ka(u)shdim- وكسديم -Ka(u)sdim- والتي من معانيها (الجبابرة أو المنتصرون) ، أما أصل كلمة كشديم أو كوشديم العبرية فمشتقة من كوش -K(C)ush- والد نمرود وهو بحسب العهد القديم : ابتدأ أن يكون جباراً على الأرض ، وأيضاً : الذي كان جباراً قانصاً أمام الرب ، وأيضاً : جبار صيد امام الرب ، ويحدد الكتاب المقدس إبتداء ملك نمرود بكونه : وكان إبتداء ملكه بابل -Babylon- وآراك / أوروك وآكاد / أكد وكلها كانت في أرض شنعار كما جاء في سفر التكوين : وأحياناً بصيغة كلنة (موقع) في أرض شنعار / مستوطن الكلدان التاريخي .. أنظر تكوين ١٠ : ٩-١٠-١١ .
ومعروف لدينا اليوم بأن أول ملك كلدي في التاريخ ذكر أسمه بصيغة كلدية هو ألولم -Alulim- الذي ملك على أريدو / مركز مستوطن الكلدان التاريخي القديم ، وذلك في أقدم سلالات ما قبل الطوفان ، وهو ما كان سيتوافق تماماً مع إنحدار الملوك من الإقليم البابلي ، فيكون ألولم موافقاً تماماً لنمرود أول ملك بحسب الكتاب المقدس ، إلا أن معضلة واحدة تواجهنا هنا وهيّ أن ألولم قد ملك قبل الطوفان مما يجعلنا نغض الطرف عنه .
لكننا سرعانِ ما نجد ضالتنا ، ذلك أن أسم نمرود الملك الأول في الإقليم البابلي وصفته كجبار تتوافق تماماً مع أسم وصفة الملك كاور أو كورا -Gaur / Gura- وهو أول ملك حكم في الإقليم البابلي في أول سلالة حكمت بعد الطوفان ، وكان ذلك في كيش / كوش الكلدية ، وهيّ ضاحية أو بلدة بابلية محاذية للعاصمة بابل ، يمكننا تشبيه مجاورتها للعاصمة بابل ، بمجاورة بعض ضواحي بغداد الشهيرة مثل بغداد الجديدة والكرادة والأعظمية والمنصور لمركز بغداد (الباب الشرقي/ باب كلواذى) والتي تقع اليوم جميعاً داخل محيط العاصمة بغداد ، وبذلك تكون كيش الكلدية / ضاحية بابل إبتداء ملك نمرود في بابل .
ولتأكيد جبروت كورا -Gura- الملك الأول في إقليم بابل ما بعد الطوفان ، فقد منحته سجلات الملوكية فترة حكم خيالية حيث حكم لمدة ١٢٠٠ عام دلالة على قوته وجبروته ، حتى أن أسمه كان يعني وفق بعض القراءات الرجل (كورا) ومعناه المجاز هو (المتمكن أو الجبار) والموافقة بشكل دقيق لعبارات الكتاب المقدس الواردة في الإصحاح العاشر من سفر التكوين .
وبغض النظر عن أي من الملكين (ألولم أم كورا) هو الذي أشار إليه الإصحاح العاشر بأسم نمرود أبن كوش (مع أن المنطق التاريخي ينطبق بشكل أفضل على الملك كورا) ، فإن ما يهمنا هو أن صيغة الجبروت / الجبار كانت لصيقة بنمرود أبن كوش ، وأيضاً بكونه أول ملك على الأرض وهيّ ذات الصفات التي تنطبق على هذين الملكين قبل وبعد الطوفان ، وكلاهما حكما في الإقليم البابلي ، كما أن كليهما ينتميان للكلدان الأوائل .

ومما يدعم تحليلنا هذا ، أن صيغة كوش الكتابية المنحوتة عن كيش البابلية ، هيّ مسألة شائعة لدى الباحثين والمؤرخين الدارسين لعلاقة الكتاب المقدس بالمدونات الرافدية من ناحية ، كما أنها من ناحية أخرى لا تختلف مطلقاً عن أسلوب النحت اللغوي المصطلح عليه بقاعدة الإعلال والإبدال (تغيير حرف علة بحرف آخر وتبديل مواقع الحروف) ، وهو ما أعتمده كتبة الكتاب المقدس عند تعاملهم مع أسماء الأعلام وكذلك مع العديد من المدن الرافدية الأخرى ، منها على سبيل المثال إستخدام صيغة أريخ الكتابية كأسم لمدينة أوروك الرافدية ، ولأن أهل كيش أو كوش البابلية كانوا من الكلدان الأوائل ، فقد أورد العهد القديم أسم الكلدان بهيأة كوشديم أو كشديم للدلالة بشكل لغوي وطبيعي متماسك على الكلدان المنحدرين من كوش / كيش في سهل شنعار / الإقليم البابلي .
ولرب سائل يقول ولكن كوش ورد في الكتاب المقدس بصيغة رجل أما كيش فهي مدينة ، وهنا ، أجيب معتمداً على بيانات الكتاب المقدس ذاته ، ذلك أننا لو تمحصنا جيداً أسماء أبناء وأحفاد نوح في سفر التكوين لوجدنا أنهم يتجاوزون حالة التمثيل الفردي إلى كونهم يمثلون أيضاً سلالات حاكمة وبمعنى آخر مدن حاكمة ، وعلى سبيل المثال : مصرايم / مصر وكنعان / بلاد كنعان (الساحل السوري الكبير) ، وأيضاً لود / بلاد اللوديين وعيلام / بلاد العيلاميين (الشوش) وآشور / مدينة آشور الشوباريين وماداي / بلاد الميديين (هضبة همدان) ، لذلك ليس من المستغرب أن يكون لمفردة كوش معنيين مثلها مثل بقية المفردات الأخرى التي أوردناها آنفاً والتي أستقيناها من ذات الأصحاح ، أي أن تأتي صيغة كوش الكتابية بمعنى الفرد أو الجذر السلالي الذي يمثله هذا الفرد ، وأن تأتي بصيغة كيش الرافدية بمعنى السلالة أو دولة المدينة بشكل عام .
وبديهي أن معنى عبارة سهل شنعار ذاته ، سواء كان معناه كما ورد وفق الصيغة الكتابية كموضع للخير والوفرة أم كما هو معناه وفق قراءته الحديثة (شومر) بمعنى أرض سيد القصب (أيا إله عاصمة الكلدان الأولى أريدو) والذي يعطي ذات المعنى الكتابي أي السهل المخضوضر ، الذي هو في الواقع السهل الذي يدعى أيضاً كلدو وأيضاً مات كلدي أي بلاد الكلدان .
ولو قمنا بدراسة تحليلية لأسماء كل من كيش / المدينة البابلية وكوش الملك البابلي وكوشديم أو كشديم أي الكلدان البابليون ، لوجدنا أن هنالك أكثر من مجرد التقارب اللفظي الذي قد لا يكون حاسماً ، إلى التشابه في الشكل العام والمعنى والمحتوى ، علاوة على التماثل الشديد في أدق التفاصيل ، علماً أن كوش وكشديم الكتابية هيّ كما بينت نحت لغوي شديد الوضوح لكلمة كيش البابلية ، تماماً مثلما تلفظ العديد من أسماء المدن الرافدية بشكل مختلف بعض الشيء كما في باب إيل / بابل -Babel / Bab-il- الكتابية وأوروك / إريخ الكتابية -Uruk-Erech /- ونوى / نينوى الكتابية -Ninua / Nineveh- وكلخو / كالح الكتابية -Kalkhu-Calah /- وأكادة / أكد -Agade / Accad, Akkad- الكتابية وميصير أو مصر البابلية بشكل مصرايم الكتابية -Mi-sir, Egypt / Mi(s)zraim- مع أن المعنى واحد .
وهكذا يتبين بأن كيش (المدينة الجبارة أو كل العالم) وكوش الذي منه نمرود الجبار وكوشديم / الكلدان (الجبابرة) إنما ينتمون جميعاً لمستوطن تاريخي واحد هو بابل ، بتاريخ متماثل واحد وأسم مشترك واحد .

وبكون أول ملك جبار نمرود الكوشي / كورا الكشي أول الملوك العالميين بمعنى الحاكمين لعموم القطر الرافدي ، وهذه بمجموعها دلالات يقبلها المنطق العلمي مثلما يتفق عليها وبشكل منقطع النظير كل من الكتاب المقدس / سفر التكوين المدون في حدود منتصف الألف الأول للميلاد مع أثبات الملوكية الرافدي المدون في الألف الثالث ق.م .
ولأنه ليس من المعقول أن يشترك هذان المصدران المادي والروحي في تناول أهم التفاصيل المثيرة عن الكلدان وملوكهم ومستوطنهم التاريخي مع كيش وكوش وكوشديم وغيرها من تفاصيل بابلية وكتابية أوردناها آنفاً دون أن تكون هنالك وشائج مشتركة بينهما ، لا سيما إذا ما أخذنا بنظر الإعتبار أن الفرق الزمني بين ما ورد في العهد القديم وما جاء في أثبات الملوكية يزيد على ١٥٠٠ عام ، فإن هذا يدعم بشكل كبير طروحاتنا حول أصل التسمية الكلدية وقدمها ومعناها التاريخي الدقيق ، بخاصة وأن التشابه هنا يتعدى اللفظ اللغوي إلى المعنى الواحد والتاريخ المدعم بالإثباتات المادية حول قدمية كيش البابلية وبكون ملكها الجبار أول ملك في التاريخ بعد الطوفان وبكون لغة الكيشيين هيّ ذاتها اللغة الكلدانية ، وأخيراً بكون الكلديين أو الكوشديم (صيغة جمع عبرية) هم أحفاد كوش الكيشي / البابلي ، وهو ما يؤكد إنحدار الكلديين عن جذر أبوي واحد وأن لغتهم هيّ الكلدانية الأم ، ناهيكم عن مستوطنهم التاريخي الثابت ، وكلها دلالات تؤكد بشكل علمي رصين كونهم أمة قومية عريقة ، وبأنهم السكان الأصليين لوطننا الأم بيث نهرين / العراق .

وزيادة في التأكيد على الخصوصية القومية للأمة الكلدية التي بقيت متوقدة على طول التاريخ الرافدي القديم ، تشير عالمة البابليات المعروفة جوان أوتس في الصفحة ١١٤ من كتابها الموسوم (بابل) ط إ ، إلى أهمية الخصوصية القومية للكلدان قائلة وبمنتهى الوضوح : كان الكلدان رمز الحركة المناوئة للدولة الآشورية ، وأبطال الحركة القومية في بابل (وثاق السماء والأرض) .
وفي فصل (الكلدانيون) تقول : لا تشير الأدلة المتوفرة إلى إستخدام الكلدان لغير اللغة البابلية (بمعنى الأكدية البابلية في الكتابة) والعمورية (العامية) في الشارع ، وتستطرد في مكان آخر بأنهم كانوا يتكلمون لهجة قريبة من الآرامية ، مما يؤكد بأن الأكدية والعمورية والآرامية منشأها واحد وهو ما أطلقنا عليه تسمية (الكلدية الأم) . وتؤكد الكتابات القديمة على أن السلالات العمورية الرافدية التي كانت الأساس لإزدهار العصر البابلي القديم والتي أعطت لبابل مكانتها ، ما جعل إستخدام مفردتي بابليين وعموريين تؤديان إلى المعنى نفسه ، وبسبب من عراقة الكلدان في وسط وجنوب الرافدين نجد أن الطبيب والمؤرخ الكلاسيكي كتيسياس -Ctesias- يقول : أن الكلديين / الكلدان هم قدامى البابليين بمعنى العموريين ، ومع إن الكتابات القديمة كانت تربط ما بين الكلديين والعموريين ، إلا أن الحوليات القديمة وبخاصة تلك التي جاءتنا من إقليم آشور كانت تفصل بين الكلديين والآراميين .
والحقيقة التي لا تخفى على أحد اليوم هو تحدث الوسط جنوبيين بلهجات مختلفة لكن لغتهم الأم كما ثبت لنا هي اللغة (الكلدية الأم) أي اللغة الرافدية القديمة التي كانت سائدة في وسط وجنوب الرافدين منذ العهد المجهول أي العهد البطولي -Heroic Age- بمعنى فترة (الإنتقال من العبيد إلى جمدة نصر) .

وتؤكد الباحثة أوتس بأن الكلدان كانوا (حضراً) ومن سكان المدن والأهوار الجنوبية الأثرياء ولم يكونوا من البدو الفقراء ، وبسبب هذا التمايز الإجتماعي أو الطبقي فرقهم الآشوريون عن الآراميين .
أما ليو أوبنهايم فيقول عنهم في كتابه الموسوم (بلاد ما بين النهرين القديمة) : بأنهم أي (الكلدان) كانوا آخر سلالة (قومية) . وفي مكان آخر يختصر أوبنهايم الموقف الكلداني من فترة السيطرة الآشورية المتقطعة على الإقليم البابلي ٧٢٩-٦٢٦ ق.م والتي أتخذت في أوقات كثيرة طابعاً شكلياً كما أستقلت بابل في بعض منها إستقلالاً كلياً وناجزاً ، بعبارته الشهيرة **كان الكلدان قوميين متطرفين ومناوئين على الدوام للدولة الآشورية** .
ويؤكد جورج روو في كتابه المعروف بعنوان (العراق القديم) بأن الكلدان هم فرع من الآراميين ولكنه يؤكد أيضاً بأن الآشوريين يميزون بين الكلدان والآراميين في حولياتهم ثم يؤكد في الصفحة ٣٦٨ ط ع : بان مسألة أصل الآراميين ما تزال مشكلة جد عويصة.
أما الدكتور فاضل عبد الواحد والدكتور عامر سليمان فيوضحان هذه النقطة البالغة الأهمية في الصفحة ٣٣ ط ع من كتابهما الموسوم (عادات وتقاليد الشعوب القديمة) حيث يستخدمان تعبير (قوم جمعها أقوام) كدلالة على قومية الكلدان ، ويؤكد الاستاذ طه باقر بأن الكلدان كانوا فرعاً قبلياً كبيراً حيث يقول في الصفحة ٤٩٢ من كتابه الموسوعي (مقدمة في تاريخ الحضارات) من أشهر القبائل الآرامية التي أشتهرت في التاريخ هي قبيلة (كلدو) ، وهو على ما يبدو الجد الأكبر للكلديين (الكلدان) الذي أنحدر نسله عن الرافديين الجنوبيين القدماء أصحاب حضارة أريدو ، وهنا يهمني أن أوضح النقطتين التاليتين : أولاً أن تأكيد الأستاذ باقر على كون كلدو قبيلة آرامية لا يتعارض مع المنطق التاريخي والجغرافي لنشأة الهجرات من مستوطن الكلدان التاريخي (القطر البحري) ، ثانياً أن هذا يؤكد بأن كلدو / كشدو (كوش) التي إنقسمت إلى إمارت حاكمة أشهرها بيث ياقين قد أنحدرت عن جذر أبوي بمعنى عرقي واحد ويؤكد بالتالي أن تسمية كلدو هي تسمية قومية ، وإلى ذلك يؤدي توضيح الدكتور جورج روو في كتابه (العراق القديم) حيث يستخدم عبارة بيت ياقين وكلدو بالتعاقب وبالتبادل في الصفحتين ٤٢٠ - ٤٢٩ ، كما استخدمت هذه التسمية تبادلياً من قبل العلماء العراقيين الآخرين حيث استخدمها الدكتور عامر سليمان أستاذ التاريخ القديم في جامعة الموصل في كتابه (الآشوريون) عند تناوله لإنتفاضات الملك الكلداني الثائر مردوخ أبلا إدينا ، مما يؤكد أن ياقين هو رأس عشيرة أنحدرت عن الجد الأكبركلدو أو كشدو بمعنى كورا / نمرود أبن كوش ، وبالتالي فإنه إنحدار رسي بمعنى عرقي قومي كما بينت في القسم الأول من هذا الموضوع .
ويؤكد ما نذهب إليه الدكتور سامي سعيد الأحمد في كتابه الموسوم (سلالة بابل الحديثة) بأن لا أحد يعرف التاريخ الفعلي للكلدان وإنما عرفناهم بعد أن صاروا قوة سياسية (منذ القرن الثاني عشر ق.م) ولكنه يؤكد بأنهم كانوا يهيمنون على كامل الساحل الذي يشكل الإمتداد الطبيعي للقطر البحري (موطن أسلاف الكلدان الأوائل بناة أريدو وكيش) ، ويؤكد أيضاً بأن الخليج كان يعرف آنذاك بأسم (البحر الكلدي) ، ويفيدنا كتياس المؤرخ والطبيب الإغريقي بالمعلومة التالية التي تقول : بأن الكلدان هم قدامى البابليين . وهو ما يؤكده ديدروس الصقلي حيث يقول: الكلدان هم الأقدم بين البابليين ، كما أن المؤرخ بيروسس / برحوشا في مؤلفه

الكبير (الكلدانيات / البابليات) الذي سجل فيه تاريخ العالم منذ بدء الخليقة يؤكد على أن الخليقة قد بدأت في بابل وبأن أول ٨٦ ملكاً حكموا وادي الرافدين كانوا من الكلدان وأن آخر ملوك بابل كانوا أيضاً من الكلدان ، ويذهب إلى ذلك أيضاً العلامة المطران أدي شير في المجلد الأول من كتابه الموسوم (كلدو وآثور) إذ يطلق على جميع الملوك البابليين من أكديين وعموريين وبابليين جدد / السلالة الحادية عشر أسم الكلدان ، وهذا ما تتبناه أيضاً العالمة المختصة بالبابليات مارغريت روثن في كتابها الموسوم (علوم الكلدان) الطبعة الفرنسية (La Science Des Chaleens) والذي حمل في طبعته العربية العنوان (علوم البابليين) ذلك أن د. يوسف حبى أستخدم في ترجمته عن الفرنسية المفردة الدالة على الموطن (بابليون) بدلاً من المفردة الدالة على القومية (كلديون) ، على أساس أن المنجز الكلدي هو منجز لكل الرافديين بمعنى أدق كل البابليين لأن بابل كانت تعني العراق القديم كله .

والحق فإنني أستطيع أن أورد عشرات لا بل ما يزيد على مائة مثال تؤكد جميعها على أن الكلدان هم عرق قومي وبأنهم الأقدم والأعرق بين جميع سكان وادي الرافدين القدماء ، لكنني بعد كل الإثباتات والدلالات التي أستقيتها آنفاً من المختصين في مجال التاريخ والآثار سأكتفي بالإشارة إلى عدد من الدلائل الكتابية / العهد القديم والتي يوردهما سفرا التكوين وإرميا اللذان يؤكدان بشكل صريح على قومية الأمة الكلدانية ، حيث ينسبان مدينة أور إلى الكلدانيين ويؤكدان بأن الكلدان أمة قومية وعريقة منذ القدم ، ومما يدفعنا إلى إستخدام هذين المثالين هو أن هذين السفرين قد كتبا بين القرن الثامن والسادس قبل الميلاد ، كما أنهما لم يوردا جداول تاريخية أو حوادث تفصيلية قد تنال من مصداقيتهما العلمية ، وإنما أستخدم هذان السفران صفات شمولية مما يجعلهما مقبولين من قبل المؤرخين العلمانيين والمختصين بالدراسات اللاهوتية على حد سواء ، وهو ما تؤكده الدكتورة حياة إبراهيم المختصة بالبابليات وتحديداً بالتاريخ الكلداني حيث تؤكد على الجانب القومي للأمة الكلدانية ، ولأن الكلدانية هي التسمية الوحيدة بين كل التسميات القديمة التي لا تنسب بشكل تقليدي إلى موقع جغرافي أو طبوغرافي محدد ، وإنما العكس هو الصحيح حيث تنسب أور المدينة والعاصمة الإمبراطورية إلى الكلدان ، وهي أول حالة في التاريخ الرافدي القديم كله .

وثمة حقائق أخرى ذكرتها في الكلمة الإفتتاحية (لماذا ينبغي علينا أن نفخر بالأسمين .. كلدان سريان) المنشورة في العدد الخامس من مجلة (بابل اليوم / الولايات المتحدة) والتي ينبغي إستذكارها هنا بما يعزز ما نذهب إليه ، حيث نسب الخليج العربي / الفارسي في العهود القديمة إلى الكلدان مع أنه قد حمل أيضاً تسميات أخرى عريقة منها بحر الشروق أو بحر الشرق والبحر الأسفل والبحر المر ، والسؤال الذي يفرض علينا نفسه هنا : هو لو لم يكن الكلدان أمة عريقة منذ القدم فلماذا لم ينسب الكلدان إليه جرياً على عادة العراقيين القدامى بنسبة السكان إلى المناطق بدلاً من أن ينسب الخليج إليهم ؟

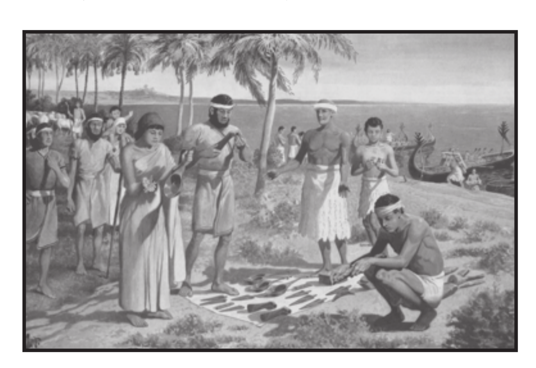
ولماذا كان يدعى هذا البحر ببحر الكلدان قبل هيمنتهم السياسية بألف عام تقريباً ، حيث كان يقرأ (تام تي شا مات كلدي) أي بحر الكلدانيين ، وأيضاً لماذا يستخدم العهد القديم عبارة أور الكلدانيين نقلاً عن لسان الله ذاته على عهد إبراهيم أبو الأنبياء / بابن أوراهم ١٩٠٠ ق.م ، أي أن تنسب الذات الإلهية بكل صراحة ووضوح الموضع (مدينة أور) إلى الكلدان وليس

العكس تكوين ١٥ : ٧ وذلك بما يزيد على ألف وثلاثمائة عام من تأسيس السلالة الكلدانية الإمبراطورية ؟

إن كل الدلالات السابقة من مدونات مادية تاريخية وموجودات متحفية ونصوص كتابية (العهد القديم) ، إنما تؤكد حقيقة دامغة تتعدى مسألة قومية الأمة الكلدانية إلى واقع أنها الأسم القومي الوحيد للفئات السكانية العراقية القديمة التي تنحدر أصلاً من الإقليم البابلي القديم (شومر وأكد) ، وتحديداً من مستوطن الكلدان التاريخي القطر البحري وأمتداده الطبيعي حتى قطرايا (قطر / الصخرة) ، وهو المستوطن الذي حمل أسم كلديا تيمناً بأسم الكلدان قبل العهد الإمبراطوري بما يزيد على ألف عام .

أما الأسماء الأخرى كالبابليين والآشوريين والآراميين فهي كما بينت محض تسميات إقليمية وطبوغرافية ، لكن العلماء بسبب من شيوعها وسهولة التعامل معها لإيصال معلوماتهم إلى المتلقي الإعتيادي ، وبخاصة وأنها من وجهة النظر التقليدية غير المعنية بالمسألة القومية تساعد القارئ بمنتهى اليسر وبسهولة أكبر على فهم المواضيع التاريخية المتشابكة التي تتناول فترات موغلة في القدم .

لذلك من حقنا اليوم نحن الناطقين بالسورث أن نفخر (بكلدو) الأسم القومي العريق والجامع لكل الرافديين الأوائل (الكلديون / الكلدان) مثلما ينبغي علينا أن نفخر بكوننا السكان الأصليين -Native Mesopotamians- لوطننا الأم بيث نهرين / وادي الرافدين .



مشهد من الحياة اليومية يصور العلاقة الودية بين الكلدان الأوائل و السومريين

أفق آخر .. ساميون جزريون عرب أم كلدان ؟

في عام ١٧٨١ م قام المؤرخ النمساوي شلوتزر -Schlotzer- بإبتكار تسمية إختيارية جامعة (الساميون) فأطلقها على المجاميع البشرية التي حكمت في وادي الرافدين والشرق الأوسط القديم من أكديين وبابليين وآشوريين وعموريين وآراميين ، وفي أواخر عقد الستينات ومطلع عقد السبعينات من القرن المنصرم طرح الدكتور أحمد سوسة لأسباب غير موضوعية فكرة تسمية سكان العراق القدماء (الساميون) بالعرب مكرراً النظرية القديمة (المأخوذ عن بعض كتاب القرن التاسع عشر) والتي تدور حول هجرات سكان العراق القدماء من شبه الجزيرة المحاذية للعراق (الجزيرة العربية الآن) والتي كانت وفق تصوره قبل مائة ألف

عام تزخر بجنات تجري من تحتها الأنهار وتضم حضارات ومدنيات زراعية متقدمة جرياً على تصورات بعض الغربيين دون سند علمي أو دليل مادي ، وقد ناقش الأستاذ طه باقر هذه الفكرة وتوصل إلى أن تسمية (العرب القدماء) هي تسمية غير دقيقة تاريخياً وغير موفقة من الناحية العلمية وطالب بإعادة النظر في التسميات المتداولة مؤكداً عدم قناعته التامة بالتصورات الغربية السابقة التي كانت ترجح قدوم تلك الهجرات من مناطق محددة من الجزيرة العربية ، كما أوضح الأستاذ طه باقر (عدم دقة) إستخدام مفهوم الأقوام العربية القديمة كبديل لتسمية السامية لكون مفهوم (العرب) لا يعبر عن المدلول التاريخي الدقيق لأصحاب تلك الهجرات ، ثم رجح فكرة تسميتهم بالأقوام الجزرية (الجزريون) ، التي صارت مصطلحاً علمياً عراقياً شائعاً بين علماء التاريخ من آثاريين ومؤرخين منذ أواخر عقد السبعينات من القرن المنصرم ثم ما لبث أن تجاوز هذا المصطلح (التوفيقي) حدود العراق الإقليمية ليستخدم في بقية البلدان الناطقة بالعربية .

لكن الإكتشافات اللاحقة أدت إلى نسف هذه الفكرة الشائعة عن الهجرات الجزيرية ، وطرحت بدلاً عنها ثلاثة بدائل هي : أن أصل سكان العراق القدماء هو من أفريقيا (أثيوبيا) وهي نظرية تعتمد على فرضيات واهية أساسها إكتشاف جماجم لإشباه بشر قدماء ، وهو ما لا نعول عليه في بحثنا هذا الذي يعتمد تسليط الضوء على الجانب الأثني والحضاري المتميز لسكان العراق القدماء ، البديل الآخر تبنى فرضية أن أصل السكان الشرق أوسطيين القدماء إنما يرجعون إلى سكان البادية العراقية السورية التي كانت قبل التقسيمات الأوربية الحديثة للشرق الأوسط جزءاً لا يتجزء من العراق القديم ، فيما ذهب أصحاب الرأي الثالث إلى أن منبع هذه الهجرات هي مناطق محلية رافدية غير محددة والرأي الأخير هو موضوع بحثنا الرئيس في هذا الكتاب .

عموماً ان ما يهمنا هنا ولاسيما بعد بطلان النظرية الجزيرية (العربية) هو أن نناقش صلاحية التسمية التصنيفية الدينية (السامية) التي فندها عدد من الباحثين منذ عقد السبعينات من القرن المنصرم وبالتالي طرح بديل موضوعي لها يتسم بالعلمية والدقة التاريخية .

المعروف أن تسمية (السامية) قد أستمدت من التقسيم الكتابي الوارد في الإصحاح العاشر من سفر التكوين ، وذلك بسبب من خلفية الأستاذ شلوتزر اليهودي الأصل بمعنى أنها جاءت كإنعكاس لثقافته الدينية ، غير أننا إحقاقاً للحق نقول بأن الأستاذ شلوتزر قد طرح تسميته هذه كبديل إختياري (بمعنى تسمية غير إلزامية) حاول من خلالها أن يصطنع مظلة تجمع بين شعوب منطقة الشرق الأوسط القديم ، وبديهي أن هنالك فرقاً شاسعاً بين إستخدام تسمية السامية وفق دلالاتها الدينية وبين إستخدامها كدلالة لغوية ، مع أنها في كلتا الحالتين تنزلق في الأخير إلى زاوية ضيقة تقلل من أهميتها العلمية (التصنيفية) بسب لا منطقية أبوة سام لكل من عيلام وآشور وارفكشاد ولود وآرام بحسب ما جاء في سفر التكوين ، لأن عيلام ولود وآشور (وهو غير آثور الذي بنى نينوى بحسب سفر التكوين) إنما يرجعون عرقياً ولغوياً إلى الشعوب الآسيوية الهندوأوربية / الطورانية فيما ينحدر الآراميون من أسلاف الكلدان القدماء كما بينا في الموضوع السابق ، وبالتالي يختلف الآشوريون الأوائل (السوباريون الآسيويون) ومثلهم العيلاميون واللوديون عن الآراميين أيضاً وفق التقسيم الأنثروبولجي (التقسيم على أساس شكل الجمجمة) والتقسيم اللوني (التقسيم على أساس لون البشرة)

لكون العيلاميين واللوديين يرجعون إلى الجنس الهندوأوربي ويرجع السوباريون (مؤسسو آشور القدماء) إلى الجنس الآسيوي الطوراني ، بينما يرجع الآراميون إلى ما يعرف بجنس البحر المتوسط الذي يمثل أسلاف الكلدان الرافديين القدامى أقدم نماذجه المعروفة في وادي الرافدين القديم .
وهكذا يتبين أن التسمية السامية قاصرة وغير موضوعية لكونها تخلط بين مجاميع عرقية ولغوية مختلفة ، بخاصة وأن العلماء المحدثون توصلوا إلى أن أفضل طريقة للتصنيف العرقي إنما تكون بإعتماد التطور اللغوي المحلي مع مساعدة العوامل الثانوية الأخرى التي تدعم التطور اللغوي لأبناء الأمة الواحدة .
ولكن ماذا عن إعتماد الدكتور أحمد سوسة لمفهوم (اللغة العربية الأم) ؟
الحقيقة أن محدودية العمر الزمني للغة العربية / لغة قريش الحديثة قياساً باللغات الرافدية القديمة يقف حائلاً أمام إعتمادها كلغة أم ، ذلك أن بدايات اللغة العربية أي إستخدامها منذ نشأتها كلغة غير أصلية إنما يعود للفترة ما بين القرنين الأول والثاني الميلادي ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، لوقوعها في سلسلة جداول التصنيف اللغوي ضمن مجموعة اللغات الجنوبية (غير الرافدية) والتي تضم الأثيوبية والأمهرية والمعينية والسبئية .
ولبطلان نظرية الأصل الجزري ، فإن أمامنا بديلاً واحداً هو بديل علمي وموضوعي مقبول وهو أن نعتمد مصطلح (الكلدانية الأم) تعبيراً عن اللغة الرافدية الوسط جنوبية الأم أي اللغة العراقية القديمة والتي منشأها الأصلي هو القطر البحري (مستوطن الكلدان التاريخي) ، لأنها كما سنثبت ذلك في المواضيع القادمة اللغة الأصلية التي تطورت عنها لهجات السكان الأكديين والعموريين البابليين والآشوريين (تسميات إقليمية) والآراميين (تسمية جغرافية طبوغرافية) ثم أنتهت إلى السلالات الكلدانية الحديثة منذ سلالة القطر البحري الأولى التي منشأها أيضاً (مستوطن الكلدان التاريخي) أي القطر البحري .
ولأن الكلدانية هي تسمية قومية كما أوضحتها في الموضوع السابق (أصل التسميات القديمة) فإنني سأعتمد في بحثي هذا تسمية (الكلدانية الأم) للغة الرافدية القديمة الأريدوية الكيشية الأكدية البابلية الآشورية ، كما سأستخدم مصطلح الكلدان الأوائل للتعريف بسكان حضارة أريدو وكيش وأورك جمدة نصر أي فترة ما قبل قدوم السومريين من الشمال الرافدي ، ولأنهما أي (اللغة الكلدانية الأم والكلدان الأوائل) تسميتان قوميتان وطنيتان عراقيتان ، بمعنى أن إشتقاقهما جاء من أصول عراقية رافدية محلية قديمة تحترم هويتنا الوطنية العراقية ولا تجيرنا لشعوب أو مناطق أجنبية .
ولتغطية كامل جوانب هذا الموضوع ، يهمني أن أصوب ما يرد أحياناً في كتب عدد من المؤرخين عند تناولهم للسلالات الكلدانية الحديثة حيث يشيرون إلى أن لغة السلالات الكلدانية الحديثة ولاسيما عند تحدثهم عن السلالات البابلية منذ السلالة البابلية الثامنة مطلع الألف الأول ق.م ، فيذكرون بأن لغة كلدان الإقليم البابلي كانت نوعاً من اللهجات الآرامية البابلية (الأكدية مجازاً) وهم في ذلك يتحدثون بالصواب ، ولكنهم يجعلون من العقب رأساً وبالعكس ، فالصواب أن نقول أنها بابلية آرامية بمعنى كلدانية رافدية أصلية مشوبة بالآرامية المستحدثة وهو ما تؤكده المؤرخة جوان أوتس في بحثها الموسوم (بابل) ط إ ص١١٢ ، ذلك أن الآرامية هي واحدة من لهجات اللغة الكلدانية الأم / لغة الإقليم البابلي العتيقة التي تطورت

بعيداً عن مركزها البابلي منذ القرنين الخامس والرابع عشر ق.م في البادية العراقية السورية جراء إختلاطها بالكنعانية الغربية ، بمعنى آخر مباشر ودقيق : أن لغة كلدان السلالات البابلية الحديثة هي مزيج من الكلدانية الأم ولهجة كلدانية كنعانية مستقلة سميت بالآرامية الرسمية في آشور منذ أواخر القرن الثامن ق.م نسبة للقبائل الآرامية التي أكتضت بها نينوى حد الإختناق وذلك منذ مطلع الألف الأول ق.م .

ܐܚܢܢ ܟܠܢ ܟܠܕܝ̈ܐ

ܘܒܒܠ ܛܠܢ ܫܘܒܗܪܐ

ܐܬܪܢ ܝܡܢ ܒܝܬܢܗܪܝܢ

ܐܪܥܐ ܕܫܠܡܐ ܘܐܝܩܪܐ

ܬܫܥܝܬܐ ܡܫܪܝܠܗ ܒܟܠܕܘ

ܒܚܝܠܐ ܗܘܢܢܐ ܘܟܒܪܐ

نحن جميعاً كلدان وبابل هيّ فخرنا	أخني كلن كلدايي وبابل طالن شوهارا
وطننا الأم وادي الرافدين بلد سلام واحترام	أثرن يمن بيث نهرين أرعا دشلاما وإيقارا
التاريخ بدأ في كلدو بإرادة متعقلة وقادرة	تشعيثا مشريلهة بكلدو بحيلا هونانا وكبارا

قصيدة من كتاب القراءة الكلدانية

أشهر ملوك الكلدان

بينت في موضوع أصل التسميات القديمة بأن التسمية الكلدانية هي التسمية المنطقية والعلمية الوحيدة التي تدل على قومية الأقوام التي تسمت بالأكدية نسبة إلى (أكد) العاصمة وبابلية نسبة إلى العاصمة الشرعية لوادي الرافدين (بابل) وآشورية نسبة لمدينة (آشور) التي بناها الآشوريون الأوائل (السوباريون) الذين لا يمتون بأيما صلة عرقية للعموريين / ملوك آشور القدماء الذين تسموا بالتسمية الإقليمية الآشورية نسبة للعاصمة (الشوبارية) الأولى للإقليم ، ولهذا فإن جميع من يطلق عليهم إختيارياً تسمية (ساميون) التي ابتكرها شلوتزر عام ١٧٨١م من إيلوليم / أريدو وميسالم / كيش وشروكين ونرام سين / أكد وإيشبي إيرا ونبوخذنصر

الأول / إيشن الأولى والثانية وشُمو آبوم وحمورابي / بابل وإيلوما إيلو وأيا موكن زيري / القطر البحري الأول والثاني وشمشي أدد الأول وإيشمي داكان / إيشنونا وآشور وإيلو ماش شاكن شُمي / بازي وشمور آمات (شميرم) / آشور ونبو موكن أبلي ومردوخ أبلا أوصر وأريبا مردوخ ونابو موكن زيري ومردوخ أبلا إيدينا وموشييزيب مردوخ ونبوبلاصر ونبوخذنصر الثاني ونبونائيد / بابل ويوسب برسكد أودو ناق / ميشان وتاج الدين المكتاس حدياب / أربيل ١٢٦١م حتى أغا بطرس / آثور هم كلدان قومياً من إقليمي بابل وآثور جغرافياً . بمعنى أنهم شعب قومي واحد بلهجات متنوعة ومناطق جغرافية متعددة ضمن وطن أصلي واحد هو بيث نهرين وادي الرافدين العريق .

شروكين -Sargon or Sharru Kin- .. سرجون الكبير
٢٣٣٤-٢٢٧٩ ق.م
أول إمبراطور كلداني في التاريخ

إن قصة ولادة ونشأة وفتوحات الملك شروكين (سرجون الكبير بحسب الكتاب المقدس) الملقب بالأكدي نسبة لعاصمة ملكه أكد والكلدي نسبة لإنتمائه القومي ، قد الهمت الكتبة القدماء في العراق القديم لكتابة العديد من المدونات الخالدة مثلما أججت جذوة الروح الوطنية الوثابة للرافديين القدامى فأتفق السومريون والأكديون على تبجيله ، والحق فأنه بالرغم من الفارق الزمني الكبير بين عصر شروكين ٢٣٣٤-٢٢٧٩ ق.م وعصر الإسكندر المقدوني ٣٣٠-٣٢٣ ق.م أي ما يزيد على ألفي عام فإن مقارنة صغيرة ستؤكد لنا بالحتم عظمة ذلك العاهل الرافدي الكبير الذي بقيت الأجيال اللاحقة تستنسخ ملاحمه وتتناقل أخباره حتى نهاية العهد الوطني عام ٤٨٢ ق.م ، بل حتى يومنا هذا .
من المعروف أن الأسكندر الكبير قد أستلم حكم البلاد في منتصف العقد الثالث من العمر (٢٦ عاماً) بمعنى أنه كان وريثاً لعرش والده وقد تلقن تلقيناً عسكرياً وتثقف سياسياً وإدارياً وقام بفتوحات هائلة في زمن قياسي مستخدماً وسائط نقل متطورة من خيول وجمال التي من شأنها إختصار الزمن ، في المقابل ولد سرجون الكبير في ضاحية أزوبيراني (الزعفران) من ضواحي مدينة سيبار في السر للكاهنة العليا إينوتم التي تدعى بالسومرية نن دنكر (السيدة الإلهية) كنتيجة لحمل قد يكون بفعل طقوس الزواج المقدس أي أن والده ملك أو من عرق ملوكي ، ولعدم السماح لكاهنة المعبد العليا بالحمل فقد وضعته في سلة ورمته في نهر الفرات (ربما يكون الفرع القديم) الذي يصل ما بين سيبار وكيش وينتهي في شط الحلة الحالي عند مدينة مارد أو مردو (ونة السعدون حالياً) حيث وجده (آقي) ساقي -cupbearer- الملك أور زبابا ملك مدينة كيش فرباه وجعله بستانياً في خدمة الملك أورزبابا وقد رقي إلى منصب ساقي الملك جرياً على العادات القديمة في إمتهان الأبناء مهن آبائهم ، وفي سن العشرين أو دون العشرين من العمر إنشق عن طوع الملك أور زبابا وأعتصم بمستوطن صغير من

ضواحي بابل سرعان ما جعل منه مدينة عامرة أطلق على مستوطنه ذاك تسمية أكد ن أما محلياً فقد أشتهر ذلك الموضع بأسم دور (حصن) شروكين -Dur Sharru Kin- لأنه قد تسمى بتسمية شروكين ومعناها الملك الصادق ومجازاً الملك الشرعي ، وقد ظل على مناوئته لسلالة كيش السلالة الشرعية الحاكمة في منطقة وسط الرافدين متحيناً الفرصة لكي يحسن موقفه بين بقية الملوك .
وتقول الملحمة التي كتبت عن لسانه بأن مبرر سخطه على أور زبابا هو إهمال الأخير لشعائر معبد إيساكيلا في بابل مما يؤكد إنتماؤه البابلي ، ثم ما لبث أن تمكن وهو الإنسان اللقيط الذي جاء من وسط عامة الشعب أن يتقلد في عنفوان شبابه مسؤلية حكم مستوطن زراعي صغير بقوة ذراعيه ورجاحة عقله وليجعل من ذلك المستوطن فيما بعد عاصمة لأول إمبراطورية في التاريخ البشري .
في كيش خلف الملك أور زبابا خمسة ملوك تذبذبت مقدراتهم في الحكم حتى أنتهت سلالتهم على يدي ملك سلالة أوما البطل لوكال زاكيزي ٢٣٤٠-٢٣١٦ ق.م الذي يعتبر وفقاً للألواح المسمارية أول ملك يوحد كامل قسمي وادي الرافدين القديم الشمال بالجنوب ويطلق على دولته تلك تسمية الإقليم (قلاما) ويتسمى بملك الإقليم -Lugal Kalamma- . لكنه وهو في ذروة إنتصاره على سلالة لجش الذي أوقع الرعب في قلوب ملوك السلالات الحاكمة الأخرى في وادي الرافدين لم يجد لوكال زاكيزي وأسم أبيه -Bubu- نفسه إلا أسيراً مصفداً بالسلاسل فيجر جراً من رقبته إلى معبد إنليل في نيبور ليعترف بشرعية ملوكية سرجون .
وهنا لم يقم سرجون بقتل البطل لوكال زاكيزي (الذي ينحدر مثل شاروكين عن الكلدان الأوائل بدلالة أسم أبيه) وإنما قام بإحتجازه في معبد الإله إنليل وهي مسألة محيرة بالفعل في أعراف ذلك العصر.
ولو نظرنا اليوم من زاوية عسكرية لما حدث لأذهلنا منجز سرجون الكبير ، فقد أنتظر سرجون حتى تمكن لوكال زاكيزي من القضاء على سلالة كيش الحاكمة وانشغال ملك سلالة أوروك الثالثة بحروبه لتوحيد البلاد التي أنهكته ، وهنا دخل سرجون (أبن كيش) محرراً وليس خصماً لمدينته الأم فكسب قلوب أهل المدينة وضمن ولاء جيشها الصغير ، ثم قاد جيشه الصغير هذا وهاجم به أوروك أكبرمدينة في التاريخ البابلي آنذاك والتي لم تضاهها سعة إلا بابل بعد أكثر من ألف عام ، وهنا تأخذنا الحيرة أيضاً ، ذلك أنه في الأعراف العسكرية ينبغي أن يزيد حجم الجيش المهاجم بخمسة مرات في الأقل على الجيش المدافع ، ولكن حساباً بسيطاً يؤكد لنا أن جيش سرجون كان من الصغر بشكل لا يصدق ومع ذلك فقد أستثمر شروكين عنصر المفاجأة إلى أقصى حد ممكن ، الشيء المحير الآخر هو أن لوكال زاكيزي لم يكن ملكاً فحسب وإنما مارداً عسكرياً ومقاتلاً صنديداً ورمزاً وطنياً ، ومع ذلك فشل في مواجهة سرجون الذي كما قلنا وضع في رقبته قيد العبودية الخشبي !
بعد أن سيطر سرجون على أوروك عاصمة البلاد بعد كيش قام سرجون بنقل السلطة السياسية إلى عاصمته أكد أو (دور شروكين) كما أثبت لنا ذلك الباحث الدكتور أحمد حسين الأعظمي في بحثه الموسوم (مدينة أكد أم دور شروكين) الذي نشرته المجلة الأكاديمية سومر / الجزء الأول والثاني - المجلد الحادي والأربعون لسنة ١٩٨٥م ، فيما بقيت نيبور وبابل المركزين الدينيين للبلاد ، فقام بتوسيع عاصمته التي نقل إليها تراب بابل المقدسة تبركاً (وهو ما يؤكد

قدسية وأهمية مدينة بابل قبل تأسيس سلالتها الأولى) ، ثم بدأ مشوار توسيع إمبراطوريته متجهاً غرباً وكانت بداية حملته مدينة توتول (هيت) حيث أنحنى للإله داكان إله الحبوب الذي وهبه على حد قوله مدن الفرات الأعلى ومنها ماري -Mari- ويارموتي -Yar-Muti- وإبلا -Ebla- ومضى غرباً حتى ساحل المتوسط / البحر الأعلى أي الشريط السوري من شماله حتى جنوبه ثم غزا مصر والحبشة التي يسميها بلاد القصدير وبالبابلية (مات أنكو) وبالكلدانية الحديثة (أنك) وهي ذات المرادف العربي الذي يعني القصدير أو الرصاص ، كما أحتل أسيا الصغرى ووصل مدينة بورش خندا -Purushkhanda- ثم عبر البحر بأسطول محارب فسيطر على قبرص وكريت التي يسميها كابتارا -Kaptara- ويطلق عليها الكتاب المقدس أسم كبتورة ، أما شرقاً فقد أخذ كل مدن زاكروس ومنطقة عيلام ومضى جنوباً إلى أبعد من حدود البحر الأسفل (تام تي شا مات كلدي) فأخذ مدن البحر الكلدي (الخليج العربي الفارسي حالياً) والذي تمكن من ضمها إلى وادي الرافدين من خلال ٣٤ معركة تلت إنتصاره على لوكال زاكيزي وهنا تمكن من احتلال ميلوخا -Melukha- حتى راحت سفنها وسفن مكان / عمان وتلمون / البحرين ترسو في ميناء عاصمة البلاد أكد .
إن نظرة سريعة على الحجم الهائل للإمبراطورية الأكدية من الهند إلى أفريقيا ومن أسيا الصغرى حتى الحافات السفلى للبحر الأسفل (بحر الكلدان) الذي مارس فيه سرجون طقوس غسل سلاحه الحربي بمائه المالح مسألة تبعث على الدهشة المشوبة بالإعجاب في ظل الإمكانات السوقية (التحرك العسكري) للجيوش القديمة أي قبل ما يقرب من أربعة آلاف وثلاثمائة عام .
لكن المثير حقاً أن (المعجم العراقي للمصطلحات والاعلام في العراق القديم) يشير إلى إمبراطورية سرجون الأكدي في الصفحة ١٢٧ على النحو التالي : إن إمبراطورية سرجون قد قضت على نظام دويلات المدن .. وأسس سرجون بعد قضائه على لوكال زاكيزي دولة موحدة (أي أنه وحد البلاد) تحت (حكم) الإمبراطورية الكلدانية العظيمة ، علماً أن واضع المعجم بجزئيه هو الباحث المؤرخ حسن النجفي ، وبذلك يكون النجفي أول باحث عربي حديث يطلق على الإمبراطورية الأكدية تسمية الإمبراطورية الكلدانية ، التي لم يستخدمها قديماً إلا وأحداً من أشهر المؤرخين القدامى هو المؤرخ الكلداني برحوشا المعروف بأسم بيروسس -Berossus- وذلك في مؤلفه الشهير (البابليات أو الكلدانيات) -Babyloniaca- أو -Chaldaica- والذي دون فيه برعوشا تاريخ بابل منذ الخليقة حتى حكم الأسكندر الكبير ذاكراً فيه ١٩١ ملكاً كلدانياً إبتداء بكوسما بيلوس -Kosmabelos- ، كما أستخدم هذه الصفة القومية (كلداني) لنعت ملوك سلالة أكد أيضاً العلامة الكلداني المطران أدي شير في المجلد الأول من كتابه الشهير كلدو وآثور والمؤرخ الوزير يوسف رزق الله غنيمة في مؤلفه الشهير نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق .
والحقيقة لم يكن سرجون بطلاً مغواراً فحسب ، بل كان أيضاً حاكماً عادلاً ومجيراً للضعفاء وليس أدل على ذلك من الملحمة الأدبية الرائعة (ملك الحرب) التي سنستعرضها بعد أن نأتي بشكل سريع على أهم منجزات سرجون الإدارية وأهم التقاليد التي أشاعها في تاريخ وادي الرافدين العتيق ، ومنها أنه أو حفيده نرام سين كان أول من أستخدم اللقب الديني الخاص بالآلهة الكبار مردوخ وإنليل وأيا وهو ملك الجهات الأربعة وبالبابلية (شار كبرات أربع إيم)

وبإستخدامهما لهذا اللقب صار الملوك الأكديون ممثلين للآلهة على الأرض ، مما منحهم حرية واسعة في تعديل القوانين القديمة ومنها تحديد القضاة الذين كانوا يلعبون في السابق دور حكام صغار فصاروا بعد تعديل سرجون موظفين حكوميين لكن أحكامهم التي تستقي مرجعيتها من الملك سرجون المعضد بالآلهة صارت أحكاماً لازمة .
وفي عهد سرجون أبطل نظام التجنيد العشوائي وأستبدل بنظام الجيش المنظم بمعنى نظام الخدمة التطوعية المجزلة العطاء وتم تحسين الجيش واستبدل نظام الصف التقليدي بنظام السرايا الحيوي المجهز بأسلحة خفيفة وأسلحة ضاربة ، وبسبب سعة إمبراطوريته التي دخل تحت لوائها شعوب مختلفة وآلهة مختلفة فقد فصل السياسة عن الدين ، ومع أن عشتار كانت هي الإلهة الحامية لأكد ، إلا أن نصوص سرجون كانت تنبع عن إرادة الحاكم الذي لا يفرق بين إله مدينة وإله مدينة أخرى ولا يقدم آلهته على آلهة الآخرين وبذلك كسب أحترام ومحبة جميع الرافديين .
كما عمد سرجون إلى تولية أتباعه المخلصين لحكم المدن المفتوحة ولكي لا تستقل هذه المدن لاحقاً فقد سن قانوناً ينص على عدم وراثة أبناء حكام المدن للمدن التي يحكمها آباؤهم بأسم سرجون ، وأيضاً قام سرجون بفصل السلطة التشريعية عن السلطة التنفيذية فجعل واجبات محددة للقضاة وواجبات أخرى للحكام المحليين ، مما قضى على حالة إستبداد الحكام المحليين عند جمعهم للسلطتين وهو إجراء ما تزال الدول الراقية تستخدمه حتى يومنا هذا .
ولكي يضمن وحدة البلاد فقد جعل لها تقويماً واحداً ومعايير وزنية ووحدات قياس واحدة ، ولربط أواصر الأخوة ما بين العنصرين القوميين الرئيسين للبلاد(الأكديين أحفاد الكلدان الأوائل والسومريين ، فقد عمد إلى تنصيب إبنته أنخيدونا كاهنة عليا لمعبد الإله ننار / سين الإله القمر (إله الحكمة) حامي مدينة أور ، وقد بقي الملوك البابليون يسيرون على هذا المنوال بتعيين بناتهم بمنصب الكاهنة العليا في أور حتى عهد نبونائيد آخر الملوك الإمبراطوريين الكلدان .

خلف سرجون من زوجته أشلولتوم وهو أسم كلداني قديم يعني الفاخرة ثلاثة أبناء وبنت واحدة هيّ أنخيدونا ،أما أبناء سرجون فهم ريموش الذي ملك بعد أبيه سرجون ، ثم مانشتوسو الذي ملك بعد أخيه ريموش والذي تؤكد بعض الدراسات الحديثة بأنه (مانوس) مؤسس الأسرة الحاكمة الأولى لفراعنة مصر القديمة، ثم (إمال أشدكال) الذي كان قائداً عسكرياً كبيراً غير أنه لم يحكم على أكد .
وقد كانت أبنته (إنخيدونا) الكاهنة العظمى لمعبد الإله ننار في أور الكلدان ، ومن الجدير بالذكر أن ملوية شامرا (سامراء) التي بناها الكلداني دليل بن يعقوب النصراني -Dalil Bin-Jacob A-Nasrani- تشبه إلى حد بعيد الزقورة الملوية المنحوتة على القرص الكلسي لأبنة سرجون (أنخيدونا) التي أشتهرت أيضاً في التاريخ القديم بكونها شاعرة كبيرة ، تؤكد ذلك قصيدتها (سيدة النواميس الإلهية) وهي قصيدة مكرسة لتمجيد الإلهة عشتار حامية أكد .
لقد حاول ملوك سلالات آشور المبكرة منها أو المتأخرة أن ينسبوا أنفسم مباشرة إلى سرجون الكلداني ملك أكد (وهو ما يؤكد أيضاً إنتماؤهم البابلي) ، لكن وجه التشابه الكبير بين سرجون الملك الكلداني وأول إمبراطور في التاريخ مع ملوك آشور القدماء / العموريين المنحدرين

عن أسلاف الكلدان الأوائل الذين يختلفون كلياً عن السوباريين بناة آشور ، هو أنهم جعلوا من عشتار حامية أكد / الإقليم البابلي الإلهة الرئيسة الحامية لمدن آشور وجيوشها .



تمثال برونزي يعتقد أنه يمثل شروكين أو حفيده نرام سين

إسطورة ولادة سرجون / شروكين

يعمد كاتب النص القديم إلى ترديد الحكاية عن لسان الملك سرجون / شروكين ، وهو ما فعله النساخ البابليون بعد قرون عندما قاموا بإستنساخ الملحمة وذلك وفق طريقة نسخها في عهد السلالة السرجونية / آشوربانيبال ، وذلك كتأكيد على أهمية سرجون في الذاكرة الجمعية لسكان وادي الرافدين الشماليين والوسط جنوبيين على حد سواء ، تبدأ الملحمة بعبارة :

أنا شروكين (الملك الصادق) الملك العظيم ، ملك بلاد أكد
كانت أمي كاهنة عظمى وأنا لا أعرف أبي (ولد أثر طقوس الزواج المقدس)
كان شقيق أبي يحب الجبال
ومدينتي كانت آزوبيرانو / الزعفران -Azuperano- التي تقع على ضفاف الفرات
لقد حملتني أمي سراً
ووضعتني في سلة من البردي ختمت غطاءها بالقير
ثم رمتني في النهر الذي لم يغرقني
فأتخذني الساقي آقي أبناً له
وجعلني الساقي آقي بستانياً عنده
وعندما كنت أعتني بالبستان منحتني عشتار حبها
فصيرتني ملكاً أربعاً و .....
لقد حكمت ذوي الرؤوس السوداء (الشعب / ينسب اللون الأسود للون شعر الرأس الأسود أو البني الداكن)
قهرت الجبال الشاهقة بفؤوس برونزية قاطعة
تسلقت القمم الشاهقة
وعبرت القمم الدنيا
طفت حول بلدان البحر ثلاث مرات
وأستوليت بيدي على تلمون / دلمون (جرة الماء / البحرين)

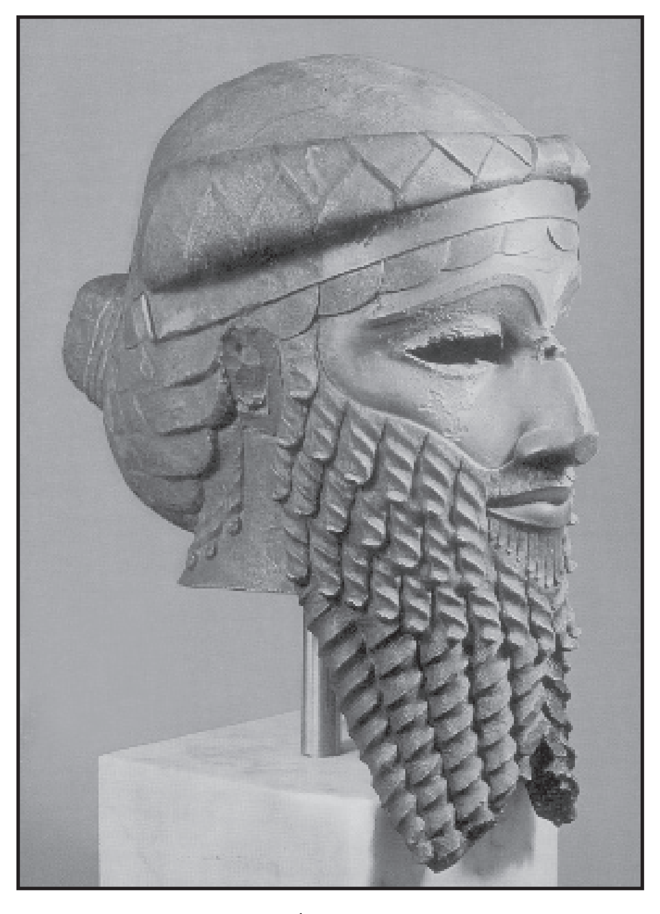
.... وغيرت .....
فأي كان الملك من بعدي
فعسى أن يحكم ذوي الرؤوس السوداء
ويقهر الجبال الشاهقة بفؤوس برونزية قاطعة
ويتسلق القمم السامقة
ويعبر القمم الدنيا
ويطوف حول البحر ثلاث مرات
وتستولي يداه على تلمون
ويقصد مدينة دير آنو (الدير) العظيمة
.... من مدينتي أكد .....

في أواخر عهد سرجون الذي حكم أكثر من ٥٥ عاماً ، قام الشوباريون / بناة آشور بتجميع جيوش هائلة وتوجهوا بها صوب أكد معتقدين أن الأسد العجوز قد تكسرت أنيابه لكن الأسد العجوز قرر أن يقود المعركة بنفسه ويلقنهم درساً لن ينسوه ، فقاد شروكين المعركة بنفسه مكشراً عن أنيابه ومخالبه معاً وفتك بجيوش الشوباريين الذين يقول فيهم : قبائل البربر الشماليين قد هاجمت البلاد لكنها أستسلمت أمامي أما مدنهم آشور ونينوى فقد بطشت بهما بطشاً شديداً ، نعلم الآن بأن نينوى لم تكن شوبارية المنشأ فقد بناها السومريون مثلما قاموا ببناء مدينة ننوى السومرية القديمة في لجش ولكن سرجون نعتها بالسوبارية لغلبة العنصر الشوباري آنذاك على العنصر السومري ، أما آشور فقد بناها السوباريون على مستوطن زراعي سومري ، والشوباريون هم الآشوريون الأوائل سكنة الخيام الذين أنتشروا في المستوطنات الزراعية السومرية الشمالية فغطت جموعهم خلال بضعة قرون على عدد السومريين في آشور ونينوى .
لقد كان سرجون ملكاً عظيماً قادراً عندما يريد على سحق أعدائه لكنه أيضاً كان مجيراً للضعفاء ومتسامحاً مع المنكسرين فعندما أستنجد به التجار الأكديون المقيمون في مدينة بوراش خندا -Purushkhanda- في آسيا الصغرى بالقرب من بحيرة توزكولو التركية جراء مالحق بهم من أذى حاكم المدينة نور دكال الذي شتم الأكديين بكلام جارح ، مما أغضب سرجون عند سماعه لذلك فقام للتو وجهز جيشاً عظيماً وتوجه نحو بوراش خندا، وعندما سمع نور دكال بجيش سرجون سخر منه قائلاً من يستطيع أن يقطع بجيش كبير هذه المسافات الطوال ويتسلق قمم الجبال التي لا تشبهها جبال ، ومن يستطيع أن يقطع الغابات الكثيفة ، حتى الأحراش ستصير شباكاً تصطاد جيش الملك سرجون .
لكن سرجون قطع المسافات الطويلة في زمن قياسي وتسلق الجبال العالية وأقتحم الغابات الكثيفة والأحراش المؤذية ودخل بوراش خندا وأسر نور دكال الذي تراجع عن كلامه وطلب المغفرة ، وهنا وبعد كل المشاق التي تكبدها سرجون عفا عن نور دكال .
وبسبب مكارم أخلاق هذا الإمبراطور العظيم وصفحه عن الملوك المنكسرين فقد اعتقد بعض المؤرخين بخيالية ملحمة ملك الحرب -Sharru Tamkhari- لكن المفاجأة كانت عندما أكتشف المنقبون نصاً مسمارياً مكتوباً باللغة الحيثية يعود إلى الملك خاتو شيلي الاول

١٦٥٠ ق.م وهو أقدم من النص البابلي المستنسخ الذي كتب بحدود ١٤٠٠ ق.م ، وبما أنه من غير المنطقي أن يختلق ملك حثي نصاً مهيناً لكبرياء الحثيين ويؤكد إستباحة مملكتهم من قبل ملك أجنبي فقد أقتنع العلماء بمصداقية ملحمة (ملك الحرب) ، وهنا أستشهد بمقطع من نص الملك الحثي الذي يؤكد نتائج ملحمة ملك الحرب :

لا أحد تمكن من عبور نهر مالا = الفرات
لكنني أنا الملك العظيم تابارنا = خاتوشيلي
قد عبرته على الأقدام وعبره جيشي من بعدي
ولكن الملك شروكين قد عبره كذلك على الأقدام
ودحر جيوش مدينة خاخا = بوراش خندا
ولكنه لم يهدم المدينة ولم يحرقها

هكذا كانت أخلاق هذا الملك العظيم إجارة الضعفاء و(العفو عند المقدرة) فكسب شعوب إمبراطوريته كلها .



امبراطور اكد سرجون الكلدي أول امبراطور في التاريخ

حمورابي -Hammurabi- ملك العدالة وموحد البلاد
١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م
أنا الراعي الذي لا يغفل .. أحرس جيداً وعصاي مستقيمة

إن عظمة بابل كعاصمة تاريخية لعموم وادي الرافدين جاءت أصلاً من عظمة المدنية التي أنشأها سادس ملوك سلالة بابل الأولى حمورابي ١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م ، هذا العاهل العراقي الذي ينحدر عرقياً من الكلدان الأوائل السكان الأصليين لوسط وجنوب العراق القديم ، ومما لا شك فيه أن مدنيتنا الحديثة اليوم إنما تدين بالكثير للقيم والتعاليم والقوانين التي جمعها وطورها ذلك العاهل العظيم قبل ما يقرب من أربعة آلاف عام .
يعني أسم حمو - رابي (الإله حمو من الآلهة الشمسية وهو إله الحرارة ، ورابي عظيم أو كبير) ، فتكون ترجمته (معظم هو الإله حمو أو عمو) . تسنم حمورابي عام ١٧٩٢ ق.م عرش بابل بعد وفاة والده سين مبلط وكانت بابل آنذاك مملكة صغيرة لا تتجاوز رقعتها حدود سبار المحاذية لبغداد شمالاً حتى مدينة مرد / الديوانية جنوباً ، كما كانت أيضاً في عهد تسنم حمورابي للسلطة محاطة بملوك أقوياء ومتمرسين ن حتى ليمكننا أن نشبه بابل وقتذاك (مثل شبل في قفص للذئاب) ، ففي الجنوب كانت مملكة لارسا ولاية عدو بابل التقليدي الملك الجبار ريم سين الذي تمكن في سنة حكم حمورابي السابعة من أن يدحر خصمه ملك إيسن دامق إيليشو ويضم ولايته إلى مملكة لارسا .
أما المناطق البطائحية والأحواز فكانت تحكم فيها سلالة عيلامية قوية ، وإلى الشمال الشرقي كانت ولاية إيشنونا بملكها دادوشا الذي تمكن أن يقتطع ولاية ماري من مملكة آشور التي أسسها الملك العموري الإيشنوني البابلي الأصل شمشي أدد الأول ، أما في الشمال فكانت مملكة شمشي أدد الأول والتي تضم أربعة مدن هي آشور وإيكالاتم -Ekallatum- ونينوى وماري التي كانت ولاية عمورية رافدية قوية لاسيما وأنها كانت مركزاً مهماً لسلالة رافدية حاكمة منذ عصر فجر السلالات .
كان الوضع بالنسبة لحمورابي مقلقاً فبدأ بعقد التحالفات ولاسيما مع قريبه الملك العموري شمشي أدد الأول مؤسس الدولة الآشورية لأن كليهما يرجعان أصلاً إلى الكلدان الأوائل ، وهكذا ضمن عدم إحتواء مملكته من قبل الملك الطموح وصاحب الخبرة الملكية الطويلة ريم سين ، ومن ناحية أخرى راح يقوي جيشه ويحسن المستوى المعاشي لسكان مملكته ويحصن أسوار بابل ويعمر المملكة فضمن ولاء شعبه المطلق ، وبعد أن ضمن تفوقه قام في السنة السابعة بالهجوم على مملكة خصمه القوي ريم سين فأقتطع منها ولايتي إيسن وأوروك ، أعقب ذلك بهجوم كاسح في السنة التالية ليضم إلى مملكته منطقة يموت بعل / يموتبال التي تمثل مسقط رأس الملك ريم سين في حركة تحد لم يجسر ريم سين أن يرد عليها فقد عرف بفطنته أن حمورابي يجره إلى معركة قد يخسر فيها ليس كل مملكته حسب بل وحياته أيضاً .
وقد واصل حمورابي توسعاته حتى السنة العاشرة من حكمه التي ضم فيها منطقتي مالقوم وشاليبي الإيشنونيتين ثم مدينة رابيقوم / الرمادي مطلع السنة الحادية عشر التي شهدت وفاة شمشي أدد الأول ، فكان لتبدل الأمور السياسية في شمال الرافدين بعد وفاة حليف حمورابي القوي شمشي أدد الأول الذي كان يمثل الحامي لظهر مملكة بابل (الواجهة الشمالية للمملكة)

ما جعل حمورابي يعيد النظر في مسألة مواصلة مشروع مهاجمة خصومه الأقوياء ، فقرر أن يتريث حتى تسنح له الفرصة المناسبة وهكذا أستبدل مخططاته فراح يؤكد على تقوية مملكته وتحصين مدنها الرئيسة والتأكيد على المشاريع العمرانية والإروائية وترميم المعابد وتحسين المستوى المعيشي للشعب ، فنشطت التجارة والزراعة وأمتلأت بابل بالثروات ، لكن حمورابي لم يتوان يوماً عن تقوية وتحسين جيوش مملكته لأن هدف حمورابي الرئيس كان السيطرة على (بحر الكلدان) الذي كان مهيمناً عليه من قبل خصمه ريم سين ، بخاصة وأن الأخير كان يستخدمه كسكين في خاصرة مملكة بابل لأهميته الحياتية ، لكونه منفذ الحياة التجارية على الدول البحرية وموانيء مكان -Magan- وميلوخا ، ومما ساعد حمورابي على مواصلة حروبه لتوحيد البلاد هو ضمان الواجهة الشمالية للمملكة بعد تسلمه لرسائل من أشمي دكان تطلب من حمورابي أن يعتبر إقليم آشور جزءاً من مملكة بابل ، كما أن رجال مخابراته أمثال بوقاقم وباخدي ليم كانا يعلمانه بمجريات الأمور وبخاصة في ولاية ماري ، وهكذا بعد عشرين عاماً من التحضيرات بدأت المعارك مع جيوش ريم سين التي كانت تحتوي على عناصر سومرية وعيلامية علاوة على الأغلبية الأكدية ، ففي السنة الثلاثين تمكن حمورابي من سحق جيوش خصمه التقليدي ريم سين بعد معارك ضارية ومتواصلة ، فهرب ريم سين إلى عيلام بينما تمكن حمورابي من توحيد وسط وجنوب الرافدين حتى السواحل الجنوبية لبحر الكلدان (الخليج العربي / الفارسي) .
وكان أول ما فعله حمورابي بعد ضمه للجنوب الرافدي أن قدم إحترامه لآلهة الجنوب ، ولم يكتف حمورابي بصيانة مدينة لارسا (بين أوروك وباد تابيرا) وإنما قام بإعادة بنائها وأرسل مائة وثمانين من خيرة البنائين / المهندسين لإعمارها مما أدى إلى زيادة العمل ورفاهية المدينة فكسب ولاء أهلها ، وفي العام الواحد والثلاثين تمكن من ضم مملكة خصمه دادوشا القوي (إيشنونا) في عهد خليفته أبالبي إيل الثاني الذي شارك في حلف قوي يتألف من جيوش ممالك عيلام وشوبارو وجوتيوم وتوبلياش / إيشنونا ومالكوم ، فألحق حمورابي بهم هزيمة ماحقة أدت إلى خسارتهم لممالكهم ، ثم ألحق مملكتي آشور وماري بشكل حاسم في عام حكمه الثاني والثلاثين .
وجدير بالذكر أن ماري كانت حليفة تقليدية لبابل لكن سياسة زمري ليم ملك ماري الذي تمكن من طرد يسمح أدد حاكم آشور العموري ، جعلته ينحاز إلى ياريم ليم حاكم مملكة يامشاد / سوريا ، وبخاصة بعد زواج زمري ليم من أبنة ياريم ليم وبالتالي تخطيطهما لتحجيم حمورابي فكان أن خسرا مملكتيهما ولم تقم لماري بعد ذلك قائمة ، وبذلك توحد وادي الرافدين ثانية في مملكة واحدة هي المملكة البابلية ، وفي عام حكمه الثامن والثلاثين كانت بابل إمبراطورية واسعة تضم علاوة على وادي الرافدين الطبيعي مملكة عيلام ودول بحر الكلدان الجنوبية حتى مكان / عمان وبلاد الشام / عامورو وأجزاء من أسيا الصغرى وبخاصة آمد / ديار بكر التي وجدت فيها منحوتة تعود لحمورابي وكذلك جزيرة قبرص .
وكان أول ما فعله حمورابي هو سن دستور خاص فصل فيه سياسة الدولة عن الدين وساوى فيه بين جميع أبناء المملكة بغض النظر عن دياناتهم وأعراقهم فالجميع سواسية في الحقوق والواجبات ، ومع أنه كان يتبع عبادة الإله مردوخ إلا أنه لم يميز في عطاياه للمعابد بين معبد وآخر ، وكتأكيد على عدم إنحيازه الديني عمد في مسلته الشهيرة إلى شكر جميع آلهة وادي

الرافدين الوطنية مستثنياً منهم الإله الآسيوي الأجنبي آشور ، كما ألغى منصب الإنسي الذي كان يجمع بين الصفتين الدينية والمدنية للمناطق الخاضعة لبابل ، حيث جعل وظيفة الكهنة ترتبط أرتباطاً كلياً بالمعبد فيما خص الحكام المدنيين بحسم الأمور المدنية ، كما جعل تقاويم البلاد وأوزانها متساوية وهو ذات الأسلوب الذي أستخدمه شروكين / سرجون الكبير عند تأسيه للإمبراطورية الأكدية .
ولسعة الإمبراطورية قام حمورابي بتنظيم (نظام البريد) وجعل عليه رسل مختصون يطلق على واحدهم (مارشبري) ، كما كان حمورابي يقوم شخصياً بالإشراف على نسبة الضرائب السنوية فيعفي المدن المتضررة ويقدر نسبة الضرائب من المدن الغنية فلا يثقل على كاهل العامة أو يؤثر على موارد الأغنياء ، ومثل ذلك فعل مع الموظفين الحكوميين الكبار فيما أعفى الصغار من الضريبة وليس أدل على ذلك من رسالته التي وجهها إلى سين ادينام .
كما أنتشرت في عصر حمورابي الذهبي المدارس والجامعات ، وكانت أهم تلك المؤسسات التعليمية الثقافية في سيبار وكيش ونيبور ، كما أعيد في عهده كتابة الملاحم والأساطير والتأكيد على دور مردوخ في خلق العالم مع إحترام آلهة الشعوب الأخرى ، كما أسس حمورابي نظام التجنيد الإجباري لزمن محدد (الذهاب في طريق الملك) .
ولأجل توحيد البلاد تشريعياً سن حمورابي قانونه الشهير الذي أنجزه عام ١٧٧٠ ق.م (قبل ثمانية وثلاثين قرناً بالضبط) الذي كان خلاصة الخبرة القانونية للملوك الذين سبقوه مضافاً إليها رؤيته المتقدمة للحقوق الإنسانية وكرامة البشر .
ولهذا نجد أن حمورابي لم يكن راعياً لأبناء قوميته من العموريين المنحدريين عن الكلدان الأوائل وإنما لجميع أطياف مملكته ، فشملهم جميعاً بعدله وتسامحه رجالاً ونساء حتى أن المؤرخ جورج كونتينو يقول : لقد أعطت قوانين حمورابي للمرأة البابلية حقوقاً لم تحصل عليها المرأة الفرنسية إلا مع مطلع القرن العشرين !
وكدليل على رجاحة أسلوبه في الحكم وتأكيده على العدل والمساواة نستل مقدمة مسلته التي يوضح فيها حمورابي بنفسه ما صنعه لمدن بلاده ومعابدها وشعبها دون أن يميز بين إله وآخر أو مدينة وأخرى ، فكلها من وجهة نظره كانت تمثل مدن رافدية وكل المعابد كانت مصانة ومبجلة وكل الشعب كان رعيته ، ولأن الراعي الصالح لا يغفل عن قطيعه كما يذهب إلى ذلك العهد الجديد ، لذلك لم تكن عينا حمورابي تغفلان ، وعصاه (سلطته) كانت دائماً بالمرصاد لمن يتجاوز على شعبه .



حمورابي يملي أوامره على كاتب القصر وإلى يمينه مسلته الشهيرة

مسلة حمورابي

مقدمة مسلة حمورابي بتصرف عن ترجمة د. فوزوي رشيد :
عندما قضيا الإله آنو المتسامي ملك الأنوناكي (آلهة السماء) والإله إنليل سيد السماء والأرض ، مقرر مصائر البلاد
قضيا لمردوخ (إله بابل) الإبن البكر للإله أيا / أنكي أن يتمتع بقدسية الإله إنليل على كل البشر وجعلاه عظيماً بين الإكيكي (آلهة الأرض)
وسميا بابل بإسمها العظيم وجعلاها (شامخة) المستقيمة في العالم ، وثبتا في وسطها ملكية أبدية أسسها ثابتة كالسماء والأرض
عندئذ أسمياني الإلهان آنو وإنليل بإسمي حمورابي الأمير التقي الذي يخشى آلهته
لأوطد العدل في البلاد ، فأقضي على الخبيث والشرير ، لكي لا يستعبد القوي الضعيف
ولكي يعلو العدل كالشمس فوق ذوي الرؤوس السوداء (الشعب) ، ولكي أنير البلاد من أجل خير البشر
أنا حمورابي الراعي ، المدعو من قبل الإله إنليل ، الذي يجعل الخير فيضاً وكثرة
الذي يمون نيبور دور أيا بكل شيء ، المصلح الورع لمعبد الإيكور
الملك القدير معيد مدينة أريدو إلى مكانتها (سابق مجدها) ،مطهر معبد الأبسو الذي ينشر سلطانه على جهات العالم الأربعة
المعظم لإسم بابل ، الذي يبهج قلب مردوخ إلهه ، الذي كرس وقته لخدمة معبد إيساكيلا
نسل الملوك ، الذي أنجبه الإله سين / ننار الذي جعل مدينة أور تزدهر
التقي المتضرع الذي جلب الخير إلى معبد إيكيش نوكال
إنه الملك المتأمل المطيع للإله شمش العظيم ، مثبت أسس مدينة سيبار
الذي أعاد بناء معبد أيببار للإله شمش ، معينه
أنه السيد الذي أنعش مدينة أوروك ، الذي جهز سكانها بفيض من الماء
الذي رفع عالياً قمة معبد أي أنا ، الذي أغدق الثروة على الإلهين آنو وعشتار
الحامي للبلاد ، الذي جمع شمل سكان مدينة إيسن المشردين ، الذي غمر معبد إيكال ماخ بالثروة
ملك الملوك ، الأخ المحبوب ، للإله زبابا (إله الحرب لمدينة كيش) الذي أعاد تأسيس مساكن مدينة كيش
الذي أحاط معبد ايمتي أورساك بالسناء ، الذي أتقن بناء المعابد للإلهة عشتار
الحامي لمعبد خورساك كلاما مصيدة الأعداء
الذي جعله الإله إررا / نيركال (إله العالم السفلي) رفيقه ليحقق رغبته ، الذي جعل مدينة كوثا قوية الشأن
الذي قدم كل شيء لمعبد ميس لام الثور الهائج نطاح الأعداء ، محبوب الإله توتو
مفرح مدينة بورسيبا التقي ، الذي لم يكن عائقاً امام معبد إيزيدا
إنه إله الملوك مقروناً بالحكمة ، الذي وسع الارض المزروعة التابعة لمدينة ديلبات -Dilbat-
الذي يخزن الحبوب للإلهة أوراش -Urash- ، القوي ، إنه السيد المحلى بالصولجان والتاج

وفق أمنية الإلهة ماما
الذي وضع تصاميم -Schematic Plan- مدينة لجش ، الذي أعد الوليمة الفاخرة للإلهة ننتو ، الرزين المتكامل
الذي يهيئ المراعي ومحلات الشرب لمدينتي لكش وكرسو الذي يقدم القرابين بسخاء إلى معبد إينينو الذي يقبض على الأعداء
إنه محبوب تيليتم ، الذي ينفذ توجيهات مدينة زبالام بدقة ، الذي يفرح قلب الإلهة عشتار .
الأمير اللامع ، الذي يتقبل صلواته الإله أدد ، الذي يريح قلب الإله أدد
إنه المحارب الساكن في معبد كركرا ، الذي نظم الشارات في معبد أي أودكال ، إنه الذي يمنح الحياة لمدينة ماشكان شابر
الذي يغدق على معبد ميسلام بالشراب (الخمرة الطقسية) ، الحكيم الإداري ، الذي بحوزته ينبوع الحكمة
المنقذ لشعب مالقوم ، الذي يبني كثيراً مرضاة للإله أنكي والإلهة دم كال نونا ، الموسع لمملكته
الذي يقدم الضحايا الطاهرة دائماً ، الأول بين الملوك
المسيطر على مناطق نهر الفرات بأمر خالقه الإله دكان ، الذي أحسن إلى مدينة ميرا ومدينة توتول
الأمير الورع الذي ينور وجه الإله تشباك ، المقيم للولائم العامرة للإله نن آزو المنقذ لشعبه من البؤس
الذي يوطد أقدامهم بأخاء وسط مدينة بابل
راعي الرعية الذي تأتي مآثره إرضاء للإلهة عشتار ، الذي ينصب الإلهة عشتار في معبد اي أول ماش وسط مدينة أكد
الذي يساعد على إظهار الحق ، الذي يقود الشعب في الطريق المستقيم
الذي أعاد إلى مدينة آشور ملاكها الرحيم الحامي ، المنتصر على المشاغبين
الملك الذي جعل ألقاب الإلهة عشتار تبرز في نينوى وفي معبد اي ميس ميس ، أنه الوقور الذي يصلي بخشية للآلهة العظام
إنه خليفة الملك شومولائيل الأبن القوي الوريث للملك سين مبلط
إنه النطفة الملكية العريقة ، الملك القوي ، شمس مدينة بابل
الذي يرسل النور إلى بلاد سومر وأكد ، إنه الملك الذي أخضع جهات العالم الأربع
أنا حمورابي ، محبوب الإلهة عشتار ، عندما أرسلني مردوخ لقيادة الشعب في الطريق السوي وإدارة البلاد
وضعت شريعتي ودستور العدالة بلسان البلاد لتحقيق الخير للناس .

معلومات عن المسلة :

أشرنا عند تناولنا لسيرة حمورابي ملك العدالة ومجدد وحدة بلاد الرافدين إلى أن مسلته كانت مرشدة للأمم القديمة والحديثة على حد سواء ، حيث تتضمن قوانين الأمم المتحدة والعديد من بلدان العالم العلمانية وحتى الدينية منها نصوصاً أو تعديلات عن نصوص وردت في المسلة

، فما هي هذه المسلة العظيمة الأهمية في حياة البشرية وكيف أكتسبت أهميتها ؟
تذكر أستاذتنا الفاضلة الدكتورة بهيجة خليل إسماعيل في كتابها الموسوم (مسلة حمورابي) بأن شريعة حمورابي لم تكن أول أثر قانوني وصلنا من وادي الرافدين القديم ، فقد سبقتها تشريعات رافدية أقدم جاءت بشكل نتف أو بضع مواد ، منها إصلاحات الملك أورو أنيمكينا / أوركاجينا الإجتماعية ٢٣٥١-٢٣٤٢ ق.م في لجش (قضى لوكال زاكيزي على سلالة لجش في عهد الملك المصلح أوروأنيميكينا) ، ثم تشريعات أورنمو ٢١١١-٢٠٩٤ ق.م مؤسس سلالة أور الإمبراطورية (أور الثالثة) وتشريعات لبت عشتار ١٩٣٤-١٩٢٤ ق.م خامس ملوك سلالة إيسن الأولى ، ثم تشريعات إشنونا بحدود ٢٠٠٠ ق.م ، كما أكتشفت قوانين لاحقة منها ما أكتشف في عهد الدولة الآشورية الحديثة ، أما آخر الشرائع الرافدية المكتشفة فقد كانت (الشريعة الكلدانية) -Chaldean Code of Law- أو كما تعرف بأسم شريعة نبوخذنصر الثاني .
ومن المهم أن نوضح بأننا قد علمنا عن تشريعات المصلح الكبير أورو أنيمكينا / أوركاجينا من خلال رقم طينية أشارت إلى أعتماد تلك الشريعة لإحقاق العدل في البلاد ،
لكننا لم نعثر على نسخة منها حتى الآن ، فيما وصلتنا بقية الشرائع أو كسرها بشكل نتف ، فقام العديد من الآثاريين والمختصين بالكتابة المسمارية بترجمتها .
ولعل كتاب الدكتور الأستاذ فوزي رشيد الشرائع العراقية القديمة هو واحد من أهم تلك المصادر ، فيما قامت العالمة العراقية د. بهيجة خليل إسماعيل بترجمة كسر النسخة الثانية من شريعة حمورابي وضمنتها كتابها الموسوم (مسلة حمورابي - بغداد / ط ١٩٨٠) ، لكن ما يهمنا هنا هو مسلة حمورابي التي أكتشفت في مدينة سوسة (الشوش) في عيلام ، ولعل من حسنات القدر أن الملك العيلامي شتروك ناخونتا الذي سرق المسلة وحاول أن يطمس معالمها ليكتب أسمه عليها ويدون ما يشاء ، أكتشف بعد طمسه لما يزيد على ٢٨ مادة قانونية أن هنالك لعنات ستصبها عليه آلهة بابل العظام إن تلاعب أحد بمواد المسلة أو قام بتحريفها فخاف وقام بدفنها تخلصاً من لعنات آلهة بابل وهكذا حفظت المسلة ، لأنها لو كانت قد بقيت في بابل لقضت عليها فعلة الملك سنحاريب بتحويل مياه الفرات إلى مدينة بابل التي أدت إلى إغراق المدينة وطمس معالمها وآثارها القديمة التي تعود إلى فترات ما قبل وبعد العهد البابلي القديم وذلك بسبب إرتفاع المياه الجوفية للمدينة .
وقد عثرت البعثة الفرنسية برئاسة العالم شيل عام ١٩٠١-١٩٠٢م على تسع كسر من حجر الديوريت الأسود إلى جانب المسلة الأصلية وأستدل من الكتابة المدونة عليها بأنها تمثل نسخة ثانية من مسلة حمورابي ، فقامت مديرية الآثار العامة عام ١٩٨٠م بتنسيب الدكتور مؤيد سعيد بسيم وأستاذة المسماريات الدكتورة بهيجة خليل إسماعيل للإجتماع بالبروفيسور أمييه مدير القسم الشرقي في متحف اللوفر بصحبة السفير الفرنسي في العراق المسيو جاك موريزيه وأتفقوا على تبادل كسرات مسلة حمورابي الأصلية لقاء مجموعة مكررة من الآثار العراقية ، ثم قام وفد عراقي برئاسة الأستاذة د. بهيجة خليل إسماعيل بإتمام المهمة في متحف اللوفر ، حيث تم جلب كسر المسلة التي حفظت لبعض الوقت في السفارة الفرنسية قبل تسليمها للمتحف العراقي في إحتفال مهيب .
ومن الجدير بالذكر أيضاً أن الملك اللص شتروك ناخونتي حفظ لنا أيضاً ومن دون قصد

مسلتين أخرتين هما مسلتا الملكين مانشتوسو إبن الملك شروكين / سرجون الكبير ومسلة حفيد شروكين الملك نرام سين حيث وضع أسمه عليهما .
نفذت مسلة حمورابي على حجر الديوريت الأسود بارتفاع ٢٢٥سم وقطر قمتها ١٦٥سم وقطر قاعدتها ١٩٠سم ، ويحتوي القسم العلوي من المسلة على مشهد يمثل الملك حمورابي بلباس التعبد الخاص وهو يتسلم بخشوع من الإله شمش حامي مدينتي أكد وأوروك رمزي (العدل والمساواة) وهما العصا المستقيمة وخيط القياس لكي تأتي أحكامه مستقيمة وثابتة كالمسطرة ودقيقة كحسابات خيط القياس (الفيته التي يستخدمها النجار) .
كتبت القوانين بالقلم المسماري وباللهجة الأكدية البابلية (تسمية مجازية) أي كلدانية الألف الثاني ق.م ، تتألف الكتابة من أربعين حقلاً (٣٠٣سطر) مقسمة إلى ثلاثة أجزاء يشمل الجزء الأول على المقدمة ، فيما يشمل الجزء الثاني أحكام شريعة حمورابي التي كانت تتألف من ٣١٠ مادة قبل أن يمحو شتروك ناخونته ٢٨ مادة منها فبقيت لدينا اليوم منها ٢٨٢ مادة فقط .
وبطبيعة الحال فإن بعض مواد الشريعة تتشابه إلى حد بعيد مع وصايا الله العشرة في العهد القديم ، وقد قسمت الشريعة إلى ١٣ باباً هي : القضاء والشهود ، السرقة والنهب ، شؤون الجيش (رواتب العسكريين المتطوعين والإحتياط ثم القوانين العسكرية) ، شؤون المزارع والعقارات ، القروض والفائدة ، قوانين بيع الخمور وحقوق وواجبات صاحبات الحانات ، الإئتمان (الرهنية) والديون ، الزواج والطلاق وشؤون العائلة والتبني ، العقوبات والغرامات ، الطب العام والجراحة وطب الأسنان والطب البيطري ، البناء والملاحة والسفن ، أجور الحيوانات والأجراء ، العبيد ، أما الأبواب التي محيت موادها فليس بإستطاعتنا البت فيها ، لكننا نستطيع أن نستشف بعضها من القوانين المنقولة عن مسلة حمورابي التي تعود إلى عهد الدولة الآشورية الحديثة والقوانين البابلية المعدلة عن شرائع أقدم ومنها بكل تأكيد شريعة حمورابي ، وتعود القوانين البابلية الحديثة إلى الملك الشمس نبوخذنصر الثاني ، لكننا لا نستطيع أن نجزم أياً من تلك المواد التي حذفها العيلاميون كانت قد عدلت وأدرجت في المسلات اللاحقة ، أما الجزء الثالث فيحتوي على خاتمة المسلة واللعنات على كل من يتلاعب فيها أو يطمسها .

خاتمة المسلة :
بعد أن سلطنا الضوء على حمورابي وشريعته ، أستل من خاتمة المسلة ما قد يعطينا خلاصة موضوعية عن حياة ذلك العاهل العراقي العظيم الذي يتفوق رغم الفارق الزمني الهائل بينه وبين معظم الحكام المعاصرين بالحكمة والديمقراطية الحقيقية وبالواقعية في إدارة شؤون الدولة وبنبذه للتسلط والقمع وتفضيله للعدل والمساواة في حكم الشعب ، وعلى الرغم من تقواه وتدينه البالغين إلا أنه لم يلزم أحداً بعبادة إلهه الشخصي (مردوخ) وإنما كما يتبين من خاتمة شريعته قد وفر حرية العبادة للجميع وقدم مساعداته لجميع معابد المملكة ولم يميز بين مواطني مملكته على أساس العرق أو اللغة ، بل إنه لم يوجه قوانينه لفئة دينية أو عرقية بل أستخدم بديلاً عن ذلك مفردة المواطنين العامة أي الشعب وبالبابلية (ذوي الرؤوس السوداء) ، فالكل سواء في دستور حمورابي والكل سواسية أمام الملك والقانون .
وهذا هو ما يتبن بشكل واضح وجلي من خاتمة المسلة التي أقدمها هنا بتصرف عن د.

هورست كلنغل -H. Klengel- و د. فوزي رشيد :

أنا حمورابي ، الملك الكامل ، لم أكن مهملاً أو مزعجاً للشعب (ذوي الرؤوس السوداء)
الذين قدمهم لي الإله إنليل وأودعني مهمة حكمهم الإله مردوخ
لقد بحثت لهم عن أماكن آمنة وأعنتهم على معاناتهم وجعلت النور يشرق عليهم
بالسلاح الفتاك الذي وهبني أياه الإله زبابا والإلهة عشتار
وبالرأي الذي هداني إليه الإله أيا / أنكي وبالقدرة التي منحني أياها الإله مردوخ
أستأصلت دابر العدو من الشمال إلى الجنوب وأنهيت الحرب وأرحت البلاد
وجعلت سكان المدن يسكنون في بيوت محمية ولم أدع أحداً أن يرهبهم أو يطردهم من بيوتهم
(ينعمون بالأمان والإستقرار)
الآلهة العظام كلفتني بذلك فأصبحت الراعي المحسن الذي صولجانه العدالة
وها أنا ذا الراعي الذي لا يغفل ، أحرس جيداً وعصاي مستقيمة
نشرت ظلي الوارف على مدينتي (بابل) وفي أحضاني حملت شعب سومر وأكد
فنعموا بحمايتي وحكمتهم بسلام وحميتهم بعميق حكمتي
لكي لا يظلم القوي الضعيف ولكي تحفظ حقوق اليتامى والأرامل
لقد كتبت كلماتي العذبة هذه على مسلتي ليتمكن المظلومون من الوقوف أمام صورتي ملك العدالة
(بمعنى أن يقرأ الجميع القوانين المدرجة في المسلة فلا يتجاوز أحد على حقوقهم)
وفي مدينة بابل (حيث ثبتت المسلة) التي رفع رأسها الإلاهان آنو وإنليل عالياً
وفي إيساكيلا المعبد الذي أسسه ثابتة كالسماء والأرض
لأقضي بالعدالة في البلاد
ولأوطد النظام في البلاد ولكي أنصف المظلوم
أنا الملك البارز بين الملوك
ان كلماتي هي المختارة وقدرتي ليس لها حدود
فبإرادة الإله شمش قاضي الأرض والسماء العظيم
عسى أن تسود عدالتي كل البلاد

أي نص وأي خاتمة تتشبه في قوتها الأدبية ووضوحها قوة ووضوح نص حمورابي هذا الذي كتب قبل أربعة آلاف عام ، نص لا فرق فيه بين مواطن وآخر ، الجميع سواسية في الحقوق والواجبات وويل لمن يتجاوز على حدود القانون الذي وضعه حمورابي فعندئذ لن ينفعه نسبه العائلي أو إنحداره الديني مثلما لن تنفعه ثروة أو جاه ، يقولها حمورابي بكل وضوح : إن المواطن الذي تستلب حقوقه ما عليه إلا أن يقرأ النص الذي يتعلق بقضيته ويطالب بتطبيق نصوص تلك المادة القانونية الملزمة للجميع صغيرهم وكبيرهم حقيرهم وأميرهم ، لأن وطن حمورابي هو وطن عدل ومساواة .



تمثال بابلي من حجر الديورايت يرجح أنه يمثل حمورابي مع المسلة المعروفة بأسم شريعة حمورابي

مردوخ أبلا أدينا -Mardukh Apla Iddina II- .. الملك الكلداني الثائر
٧٢١ـ٧١٠ وكذلك ٧٠٣ ق.م
رمز النضال القومي الكلداني

قلة هم الذين يجهلون حمورابي ونبوخذنصر الثاني وربما حتى نبوبلاصر مؤسس الدولة البابلية الحديثة / السلالة الكلدانية الإمبراطورية ، ولكن كم من القراء يعرف ولو معلومات موجزة عن الملوك الكلدان العظماء أمثال مردوخ أبلا أوصر وأريبا مردوخ الذي نال لقب واضع أسس البلاد الذي لم يكن يمنح إلا للملوك العظماء أمثال شروكين وحمورابي ، ومن الملوك العظماء أيضاً نابو موكين زيري / أوكن زير ونبونائيد إضافة إلى علم الثورة الكلدانية الخفاق مردوخ أبلا إيدينا الثاني / مردوخ بلادان بحسب الكتاب المقدس والذي هو محور موضوعنا هذا ، ترى من هو هذا الملك الكلداني وما هي أهميته التاريخية التي جعلت أسمه يتردد على شفاه البابليين في شبه صلاة خاشعة ، تماماً مثلما ظلوا لقرون لاحقة يتأملون دونما جدوى عودة ملكهم الشمس نبوخذنصر الثاني ؟

أعتلى مردوخ أبلا إيدينا الذي يعني أسمه الإله مردوخ أعطى وريثاً عرش بابل بصفته الوريث الشرعي للملك أريبا مردوخ ، وقد أشار مردوخ أبلا إيدينا إلى إنحداره عن أريبا مردوخ أثناء قيادته للمقاومة البابلية والشعب البابلي ، وقد صادفت مناسبة إعتلاؤه للعرش عام ٧٢١ م مناسبة تسنم الملك سرجون الثاني مؤسس الإمبراطورية الآشورية الحديثة لعرش الدولة الآشورية .

وجديرٍ بالذكر أن اعتلاء مردوخ أبلا إيدينا للعرش قد تم وسط مبايعة شعبية عارمة جاءت تتويجاً لسياسته التي أكدت ليس على إستقلالية بابل السياسية حسب ، وإنما على شرعية بابل في سيادة البلاد والتي كانت سمة ملازمة لوادي الرافدين منذ عصر جمدة نصر (كيش أكد بابل) ، وهكذا جرياً على إستقلالية أسلافه وقيادتهم للقطر رفض مردوخ أبلا إيدينا منذ بداية فترة حكمه كملك على مملكة القطر البحري أن يدفع الجزية للدولة الآشورية ، وذلك على عهد ملكها القوي تجلاث بلاصر الثالث ، لتبدأ به ومعه تشكيل ملامح الثورة البابلية ، مع أن بذور هذه الثورة كانت في الواقع قد غرست في عهد نابو موكين زيري ، لكن الملكين الآشوريين القويين آشور ناصر بال الثاني وشلمنصر الثالث تمكنا من كسر المقاومة البابلية وتنصيب حاكمين بابليين مواليين هما نبو أبلا إيدينا ومردوخ ذاكر شُمي الأول ، مع ذلك فقد كانت الجزية تدفع في عهديهما إلى دولة آشور على مضض لاسيما وأن سيطرة ملوك آشور على بابل كانت متقطعة ومتهرئة وشكلية في معظم الأحيان ، وبرغم كل الجهود التي بذلها حكام آشور لكسر شوكة البابليين فإنهم لم يتمكنوا إلا من تحجيم البابليين في كل مرة لبضع سنوات لا تزيد على أصابع اليد الواحدة .

ولعل فشل محاولة تجلاث بلاصر الثالث لإستمالة البابليين الكلدان رغم ما بذل لهم من وعود للتخلي عن ملكهم الكلداني المحبوب نابو موكين زيري خير دليل على حدة الشعور القومي للكلدان والوطني لعموم الإقليم البابلي ، وبرغم الفارق الكبير في الإمكانات العسكرية فقد واجه الملك الآشوري الثورة الكلدانية وجيشها المحدود العدة والعدد بإرسال جيش عرمرم يتألف من القبائل الجبلية الكبيرة التي أستوطنت المناطق التاريخية للشوباريين (الآشوريون الأوائل) ، كذلك أحتوى ذلك الجيش على قبائل الحوريين والحثيين ، علاوة على القبائل الجبلية الأخرى الأقل شأناً آنذاك كالميديين ، كما ضم جيشه أيضاً قبائل السوخو والخندانو ، فتمكن هذا الجيش الكبير من قهر البلاد مثلما فعل من قبل في عهد الملك البابلي مردوخ بلاصو إقبي .

لكن مردوخ أبلا إيدينا الذي يرجع أصله مثل نبوخذنصر إلى إمارة بيث ياقين الكلدانية الشهيرة سرعان ما أخذ زمام المبادرة بيديه وتمكن من تحويل نقاط الضعف في الجيش البابلي (محدودية العدة والعدد) إلى عامل حاسم في كسر التفوق الآشوري وبخاصة بعد وفاة تجلاث بلاصر الثالث فراح يهاجم الوحدات الآشورية في معارك خاطفة منزلاً بها خسائر فادحة وقاسية ، ولم يكن أمام سرجون الثاني إلا أن يعترف بإستقلالية بابل وبمردوخ أبلا إيدينا ملكاً شرعياً على بيث ياقين والأحواز / عيلام والقطر البحري / بلاد البحر وكل الإقليم البابلي وهكذا تحول اسم مردوخ أبلا إيدينا إلى إسطورة يلهج بها الصغار والكبار على حد سواء .

وقد ضمن هذا الملك الثائر دوام إستقلال البلاد البابلية بإعتماد مساندة القبائل الآرامية البابلية

من ناحية ودعم عيلام التي تمثل الإمتداد الطبيعي للجغرافية العراقية من ناحية أخرى ، مستخدماً في ذلك سياسة دبلوماسية حكيمة أعطت ثمارها في النصر الساحق الذي حققه الجيش البابلي في معركة دير / دور آنو أو دور إيلو بعدما أضطرت قوات الملك سرجون الثاني الجرارة للإنسحاب من المعركة التي حدثت منطقة الدير (تل العقر قرب بدرة) أثر التقدم السريع للقوات الكلدانية والخسائر الفادحة التي ألحقها الجناح العيلامي من الجيش البابلي بالقوات الآشورية الجرارة ، وهنا يسجل لنا التاريخ أول محاولة لتزييف التاريخ ، حيث ورد في حوليات سرجون الثاني بأن الجيش الآشوري قد محق الجيش البابلي وحقق إنتصاراً حاسماً !! وهو ما أستغربه المؤرخون والآثاريون ، ذلك أن النتائج الحقيقية للمعركة تكذب هذه الحولية الآشورية ، والدليل أن مردوخ أبلا إيدينا قد حكم الإقليم البابلي بعد هذه المعركة لمدة تقرب من أثنتي عشرة سنة أتسمت بإعتراف آشور بالسلطة البابلية وبخلو فترة حكم مردوخ أبلا إيدينا تلك من أية تهديدات عسكرية آشورية .

لكن تبدل الأوضاع السياسية والإقتصادية للبلاد ، أدى إلى تمكن الجيوش الموزائيكية الآشورية من الإستيلاء على بابل عام ٧٠٩ ق.م فلجأ مردوخ أبلا إيدينا إلى عيلام وتحديداً مدينة أقبي بيل الحدودية وهنا طور هذا الثائر الذي لا يكل ولا يمل أسلوباً جديداً في القتال أطلق عليه العسكريون المعاصرون تسمية (حرب العصابات) حيث تتمكن قوة مدربة صغيرة من مباغتة قوة أكبر فتلحق بها خسائر فادحة من خلال ضربة خاطفة وسريعة ، وهكذا توالت الضربات على الجيش الآشوري الذي ما أن يبدأ بتجميع قواه حتى تكون القوة الضاربة قد أختفت متخذة من المسطحات المائية الجنوبية (الأهوار) ملجأ لها ومنطلقاً للعمليات القادمة ، وقد أدت تلك العمليات السريعة والمتواصلة إلى زعزعة الجيش الآشوري وكسر معنوياته القتالية كما أدت في المقابل إلى إحراز نتائج باهرة مكنت مردوخ أبلا إيدينا من خلع الحاكم البابلي الألعوبة مردوخ ذاكر شمي الثاني والتربع ثانية على عرش بابل عام ٧٠٣ ق.م وسط إستقبال شعبي رائع ، مما حز في قلب سنحاريب الذي أرسل لمحاربة القوات البابلية جيشاً لم يشهد التاريخ حتى وقتذاك مثيلاً له ، وبعد سلسلة من المعارك كان آخرها المعركة الحاسمة بالقرب من مدينة كيش ، أضطرت القوات البابلية بسبب تفاوت عددها قياساً بالجيش الآشوري الجرار إلى الإنسحاب إلى الأهوار ومنها إلى مدينة كوزوممانو ، وهنا أخذ مردوخ أبلا يدينا معه تماثيل آلهة بابل الرئيسة وعظام أجداده لكي لا تقع في متناول يد الجيش الآشوري فتعبث بها .

وبرغم إنسحاب مردوخ أبلا إيدينا من الصورة فإن ثورته لم تنته ، إذ سرعان ما عمد ثائر كلداني آخر هو موشييزيب مرودخ / شوزيب إلى طرد الحاميات الآشورية وأعتلاء عرش بابل لمدة أربع سنوات ،عندئذ عمد سنحاريب إلى شن الحرب على بابل عام ٦٩٤ ق.م ثم دخلها بعد حصار طويل عام ٦٨٩ ق.م ، وقام بالإنتقام من أهل بابل نتيجة خسارته لإبنه آشور نادن شُمي الذي كان سنحاريب قد عينه حاكماً على بابل ، حيث أسر في سبار ثم قتل في عيلام من قبل العيلاميين حلفاء الملك موشييزيب ، فدمر سنحاريب العاصمة المقدسة بابل كما سمح لجيشه بإرتكاب الفضائع ، وقد وصلت تلك الأخبار إلى مردوخ أبلا إيدينا ، فراح يجمع قواته من جديد ويعقد التحالفات ويمد الثوار بمقومات القتال وتوفير السلاح لجولة جديدة ولكن المنية وافته في منفاه ، وهكذا تحول نهج مردوخ أبلا إيدينا الثوري ومواقفه الصلبة

التي لا تهادن ونضاله الذي واصله أبنه الثائر نابو زير كتي -Nabu-Zer-Kitti- من بعده ، إنطلاقاً من مركز حكمه في أور التي تحولت إلى مصدر إشعاع جديد للثورة الكلدانية البابلية ، كما صار مردوخ أبلا إيدينا رمزاً قومياً للبطولة عند عامة البابليين الكلدان الذين يقول عنهم ليو أوبنهايم : كانوا قوميين متطرفين ومناوئين على الدوام للدولة الآشورية .
أما العامة فكانت على الرغم من معرفتها بموت الملك الثائر في منفاه تتوقع مع كل إنتفاضة شعبية أن يطل عليها مردوخ أبلا إيدينا (المنتظر) على رأس الثوار ليقود بابل إلى مستقبل جديد ، تماماً مثلما كان والديّ (رحمهما الله) مع كل إنتفاضة ضد البعثيين يقولان رجع الزعيم (يقصدان عبد الكريم قاسم) مع معرفتهما بموته !
في المقابل أعتقد حكام آشور أنهم مع إختفاء هذا الثائر من مسرح الأحداث قد ضمنوا حكم البلاد البابلية ، لكنهم كانوا واهمين ، إذ أستمر وهج الثورة البابلية متألقاً وتواصل القتال حتى تمكن نبولاصر ملك القطر البحري (نابو أبلا أوصر شار مات تام تيم) بعد ثلاثة أجيال من طرد الحاميات الآشورية من الإقليم البابلي بعد تسلمه لحكم البلاد في خريف عام ٦٢٧ ق.م وهو التاريخ الذي توفي فيه كندلانو حاكم بابل .
والحقيقة أن معارك التحرير الرئيسة التي قادها نبوبلاصر بدأت فعلياً في آيار عام ٦٢٦ ق.م التي ألحق فيها نبوبلاصر هزيمة ماحقة بالجيش الآشوري ، وبموجب نص سبار فقد أعترف به ملكاً شرعياً في ٢٢ أيلول عام ٦٢٦ ق.م ونصب بإحتفال كبيربعد ذلك في بابل بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني من عام ٦٢٦ ق.م ، فأستعاد هذا الملك المغوار أمجاد سلفه مردوخ أبلا إيدينا وأعاد الشرعية إلى بابل لتواصل بلاد الرافدين رحلة مد البشرية بالمعارف والعلوم والآداب بعد سبات طويل نتيجة إنشغال حكام آشور بالحروب المتواصلة التي لم تستثن من آثارها المخربة حتى بابل المدينة المقدسة لدى البابليين وعموم الرافديين ، وهكذا أنقلب السحر على الساحر .
لقد خسر مردوخ أبلا إيدينا المعركة مع جيوش سنحاريب الجرارة فأنسحب إلى الأهوار ليواصل الثورة ومات منفياً ولكن (شهيداً) في نظر البابليين ، فيما أدت فعلة سنحاريب لتخريب المدينة المقدسة بابل إلى إنقلاب أولاده عليه فقتلوه شر قتلة جراء ما أقترفته يداه بحق بابل ، ثم عمد أبنه أسرحدون بسبب إعتقاده بأن ما أصاب أباه كان نتيجة غضب الآلهة البابلية عليه وكذلك بتأثير من أمه الكلدانية الأصل نقية زكوتو إلى الإشراف بنفسه على إعادة بناء المدينة المقدسة وثاق الأرض والسماء ، لكن أبطال المدينة التي أسكرت بسحرها وعظمتها كل الأرض ما لبثوا أن ألتفوا حول ثائر آخرهو نبوبلاصر الذي تشبه بمردوخ أبلا إيدينا ، فمنح العالم كله عصراً زاهراً في تاريخ البشرية وذلك في عهد السلالة الكلدانية الإمبراطورية ٦٢٦-٥٣٩ ق.م .
إن أجمل ما نمتلكه اليوم عن هذا الملك الثائر هو مسلته الموجودة اليوم في متحف برلين للشرق الأدنى والتي يظهر فيها الملك الثائر بثياب مدنية وهو يرتدي قبعة مخروطية مدببة يتدلى منها شريط قماشي حتى منتصف الظهر ويمسك بيده عصا طويلة (رمز الملوكية) فيما يحيي بيده الأخرى حاكماً إقليمياً نقشت صورته على المسلة بحجم أصغر .



مردوخ أبلا إيدينا مع أحد الحكام البابليين الصغار

نبوخذ نصر الثاني / نبو كودوري أوصر -Nebuchadnezzar II-
٦٠٤-٥٦٢ ق.م
صانع العجائب .. الملك الشمس

ما من ملك في التاريخ القديم أكتسب شهرة نبوخذنصر الثاني فهو صاحب واحدة من عجائب الدنيا السبعة القديمة (برج بابل وأسوارها) والملك الذي حيكت عنه إسطورة الملك العائد إلى الله في سفر دانيال بعد معاناة سبع سنين تحولت بالتوبة والصلوات إلى سبعة أشهر ، ناهيكم عن كونه ملك السبي اليهودي الذي أعاد اليهود إلى مسقط رأسهم في أرض بابل التي أنطلقت منها رسالة التوحيد في عهد أبينا إبراهيم الكلداني أبي الأنبياء / بابن أوراهم .
أما على الصعيد المادي للتاريخ فإنه الإمبراطور الذي وحد الشرق القديم ووصلت جيوشه شرقاً حتى مدن ميلاخا في الملابار وغرباً حتى مصر السفلي والساحل الليبي ، أما شمالاً فقد ضم إليه كل الشمال الرافدي العتيق بينما وصلت قواته جنوباً حتى (مكان) على ساحل البحر الواسع / البحر العربي ، وهو صاحب آخر التشريعات القانونية الرافدية القديمة (الشريعة الكلدانية) وباني بابل العظيمة في عصرها الذهبي .
إن المعنى الدقيق لأسم نبوخذنصر الثاني الحقيقي وهو نبو كودوري أوصر -Na bi um-ku dur ri u s̱u ur - أو بحسب الإيدوكرام السومري -Ag nig du u s̱ur- هو الإله نابو يحمي الوريث أي الأبن البكر ، ولكن كودوري تأتي بمعنى آخر وهو حجر الحدود أي الحدود مجازاً ، فيكون المعنى العام هو الإله نابو يحمي الحدود وهو لقب ملكي من غير المعقول أن يطلق على طفل رضيع بخاصة وأن أباه نبوبلاصر كان هو الملك آنذاك

، لذلك نرجح التسمية الأولى أي الإله نابو أحمي الأبن البكر ، أما الحرف (نون) فقد دخل على أسمه من الصيغة الآرامية المستحدثة ، ينحدر نبوخذنصر عن سلالة ملكية كان جدهم الأكبر وأسمه نبوخذنصر أيضاً نبيلاً من مدينة أوروك ثم تسنم أبنه بيل أبني عرش بابل في الأعوام ٧٠٢-٧٠٠ ق.م ثم خلفه أبنه نبوبلاصر كحاكم إقليمي (ملك محلي) على القطر البحري قبل أن يستقل ببابل بعد وفاة قندلانو الحاكم البابلي الموالي لآشور ويتمكن من دحر الدولة الآشورية وتوحيد بلاد الرافدين ضمن الإمبراطورية البابلية الحديثة / السلالة الكلدانية الإمبراطورية .

ولد نبوخذنصر في منطقة القطر البحري وعاش في مطلع حياته متنقلاً ما بين مثلث القطر البحري الشمالي أور وأريدو وميشن وبين مدينة جدهم الأكبر أوروك ثم بابل التي أستقر فيها مع أمه وأخيه نابو شم ليشير بعد تسنم والدهما عرش الدولة البابلية .

في عام ٦٢٧ ق.م توفي قندلانو الذي قد يكون ملكاً كلدانياً محلياً حكم بابل شكلياً بأسم آشوربانيبال كما أنه قد يكون الأخ الأصغر لآشوربانيبال أو ربما كما يعتقد بعض المؤرخين أنه آشوربانيبال ذاته الذي كان قد ملأ قلب البابليين بالحقد عام ٦٤٨ ق.م بعد حرقه لعاصمتهم ونهب مكتباتها وتنكيله بالثوار أثر ثورة البابليين عام ٦٥١ ق.م بقيادة شمشي شمو كين الأخ الأكبر لآشوربانيبال الذي إنحاز للقيم البابلية وتأثر بآلهة بابل .

ومع أن نبوبلاصر كان بصفته حاكماً على القطر البحري قد تحاشى الإصطدام بالجيش الآشوري القوي إلا أنه كان يتحين الفرصة المناسبة لتسديد ضربته ، ولذلك عندما طلب منه الأخ الأصغر لآشوربانيبال سين شار أوشكن أن يحمي الجنوب الرافدي من هجمات جيوش برابرة البحر كما يصفهم أبيدينوس وكذلك يوزبيوس نقلاً عن برحوشا فإن نبوبلاصر لم يتردد عن موافقة العاهل الآشوري وبذلك ضرب عصفورين بحجر واحد ، فقد أثبت للآشوريين بأنه الملك الشرعي للإقليم البابلي وليس الملك الشكلي قندلانو ومن ناحية أخرى ظهر بمظهر المخلص للشعب البابلي الذي وجد فيه مردوخ أبلا إيدينا جديد .

وقد تصاعد نجم نبوبلاصر بعد طرده للحاميات الآشورية وهجومه على آشور نفسها عام ٦١٥ ق.م وهي محاولة لم يكتب لها النجاح ، في هذه الفترة ظهر الميديون فهاجموا آشور عام ٦١٤ ق.م ودخلوها بعدما حطموا أسوارها وحرقوها وقتلوا منها خلقاً كثيراً بقيادة ملكهم كي إخسار ، بينما كان جيش الكلدانيين يتقدم صوب الشمال ، وهكذا عقد نبوبلاصر مع كي إخسار معاهدة صداقة وسلام على أن يخرج الميديون من إقليم الشمال الرافديي مع المنهوبات التي غنموها ، بمعنى الأرض للبابليين في مقابل الغنائم للميديين ، وكانت خطة نبوبلاصر أن يبعد خطر هؤلاء الغزاة الأقوياء عن وادي الرافدين ، وفي عام ٦١٢ ق.م دخلت جيوش الكلدانيين والميديين عاصمة الدولة الآشورية نينوى في شهر آب بعد حصار دام لمدة ثلاثة أشهر وثلاث هجمات كبيرة قادها الكلدان بذكاء لتدمير أسوار المدينة التي ما أن تداعت حتى أكتسح الميديون مدينة نينوى فخربوها تخريباً شاملاً ، ويشير النص الخاص بالمعركة عدم تورط الجيش الكلداني في تخريب نينوى حرصاً من نبوبلاصر على عدم إلحاق الأذى بمدن البلاد ، لكن جيوش الملك الميدي الكبيرة أسقطت مبادرة نبوبلاصر في الحفاظ على المدينة ، ومع سقوط نينوى عادت بلاد الرافدين موحدة تحت التاج البابلي ثانية ، فتفرغ نبوبلاصر لترتيب شؤون البلاد فيما أعتمد على أبنيه نبوخذنصر ونابو شُم ليشير

لقيادة الجيوش الكلدانية ، وكانت أولى مهمات نبوخذنصر إعادة الغنائم التي سلبها الميديون وإعادة تماثيل الآلهة الآشورية التي أسرها جيش كي إخسار ، فتمكن نبوبلاصر من تحقيق هذه المهمة الصعبة عام ٦٠٧ ق.م رغم أن حملته التي شنها على جيوش الميديين كانت في المناطق الجبلية البعيدة ، إلا أنه تمكن من إنجازها في مدة شهرين فقط .

وفي عام ٦٠٥ ق.م توجه نبوخذنصر تحت إشراف والده الملك نبوبلاصر لمحاربة الجيوب الآشورية التي تم طردها من حران عام ٦١٠ ق.م بعدما وصلت الأنباء عن مشاركة الجيش المصري في ترتيبات لهجوم معاكس على وادي الرافدين بالتحالف مع قوات ملك المنفى آشور أوبالط الثاني الذي كان قد تمركز في مدينة إيزالا التابعة للدولة الأورارتية ، فتمكن من إبادة الجيش الآشوري مما دعا القوات المصرية للإنسحاب .

وفي عام ٦٠٧ ق.م بقي نبوخذنصر في بابل كولي للعرش فيما قاد والده نبوبلاصر الجيش الكلداني حملة لتأكيد السلطة البابلية في بلاد حاتي / سوريا ووآسيا الصغرى ثم عاد إلى بابل بعد أن ترك حامية في مدينة كيموخو جنوب قرقميش ، لكن الجيش المصري هاجم الحامية الصغيرة وتمكن من ذبح جميع أفرادها بعد قتال طويل وذلك عام ٦٠٦ ق.م ، فأشتط غضب نبوبلاصر وتوجه بنفسه رغم كبر سنه لمحاربة الجيش المصري وتمكن من وقف زحف الجيش المصري لكنه وبسبب من حالته الصحية السيئة لم يتمكن من طردهم من قرقميش ، بل أن نتيجة معركة قورماتي كانت مخيبة للآمال فعاد إلى بابل وطلب من نبوخذنصر أن يتسلم قيادة الجيش رسمياً عام ٦٠٥ ق.م ، وهنا تقدم جيش نبوخذنصر بقيادة أميره الشاب (٢٥ سنة) متخذاً مسار نهر الفرات فهاجم الجيش المصري المرابط في قرقميش بصحبة قوات من المرتزقة اليونانيين ، وذلك في شهر آيار من ذلك العام فألحق بهم هزيمة ساحقة ، فر المصريون أثرها إلى حماة وهنالك أكتسحهم الكلدانيون أيضاً في معركة ثأرية حامية دحر فيها الجيش المصري وأبيدت قواته إلا من طلب الصحراء ، وفي ذلك يقول دي. جي. وايسمان في كتابه الموسوم بالحوليات ص ٦٨-٦٩ : أما بقية الجيش المصري الذي أفلت من الهزيمة في قرقميش .. فقد هاجمهم الجيش البابلي في حماة فلم تكتب العودة لأي فرد منهم لوطنه .

وهنا تقدم الجيش البابلي حتى مدينة بيلوسيوم في مصر السفلى ملاحقاً الفرعون نيخو الثاني ٦١٠-٥٩٥ ق.م الذي كان قد فر من المعركة مع مجموعة من فرسان حمايته تاركاً الجيش المصري طعماً لسيوف البابليين ، وعند دلتا نهر النيل بحسب المؤرخ يوسيفوس وصلته الأنباء بوفاة والده الملك نبوبلاصر في الثامن من شهر آب ، فيما يشير البعض بأن الأخبار التي نقلت إليه كانت تشير إلى إحتضار والده ، لأن مصدر الحوليات البابلية لكل من آر. باركر ودوبيرستاين تبين أن وفاة نبوبلاصر كانت في الخامس عشر من شهر آب ، وما أن علم نبوخذنصر بخبر والده حتى سلم قيادة جيشه لخاصته وعاد مع مجموعة من حرسه الخاص إلى بابل لحضور مراسيم الدفن وتبؤ عرش بابل ، فوصلها في الأول من شهر أيلول عام ٦٠٥ ق.م وأعتلى عرش بابل بموافقة أخيه نابو شُم ليشير وترحيب من قواته وخاصة الملك الراحل نبوبلاصر ، ويعتقد أن القبر الذي عثر عليه كولدوي في الزاوية الشمالية الغربية لقصر نبوخذنصر والمختوم بطابوقه الخاص هو المكان الذي دفن فيه نبوبلاصر .

بعد ثمانية أشهر من تبؤ نبوخذنصر عرش بابل أخذ يد الإله مردوخ بمناسبة رأس السنة

الكلدانية البابلية / أكيتو ، وبذلك تبدأ سنة حكمه الرسمية الأولى وفق التقليد البابلي ، وكانت أولى مهامه أن يعيد ترتيب البيت الكلداني وإمبراطوريته التي ورثها عن أبيه نبوبلاصر ، فركز على النشاطات الإعمارية وتقوية الجيش وتنظيم إدارة البلاد كما عمل على تطوير شريعة حمورابي ورفع منها عقوبة الإعدام إلا إذا كرر المجرم فعلته بمعنى أنه منح المخطئين ما يسمى بالفرصة الثانية ومن أجل ذلك أبتكر نظام السجون كعقوبة جزائية للمتجاوزين على القانون بدلاً من عقوبة قطع الرأس في الجرائم الكبيرة ، أو إتهام الآخرين بالقتل دون سند قانوني .

بعد أن أستتبت أمور الدولة البابلية أثر مشاركة نبوخذنصر في مراسيم الأكيتو قاد الملك نبوخذنصر حملة على البلاد السورية / بلاد حاتي التي كانت تتألف من ٢٤ دويلة مدينة فأمضى ستة أشهر قدم فيها حكام الدويلات الآرامية الولاء والجزية إلا حاكم عسقلون ، فما كان من نبوخذنصر إلا أن دخلها بالقوة وأسر حاكمها وخاصته وعدد كبير من الأسرى والغنائم ثم قفل راجعاً إلى بابل في شهر شباط من العام نفسه ، وفي عام ٦٠١ ق.م قرر نبوخذنصر فتح مصر التي كانت تحث الدويلات السورية للإنتفاض على البابليين ، فتوجه بقواته في شهر تشرين الثاني من ذلك العام عبر البلاد السورية التي قدمت فروض الطاعة والولاء ، وعندما سمع الفرعون نيخو الثاني بمجيء نبوخذنصر على رأس جيشه جمع بدوره جيشاً كبيراً من بلاد مصر / مات مي صير العليا والسفلى والنوبة وليبيا ، وتخبرنا المصادر البابلية بأن الجيشين قد أصطدما ببعض عند الحدود المصرية وإن كلا الجيشين قد تكبدا خسائر فادحة ، أنسحب أثرها نبوخذنصر عائداً إلى بابل ، عندئذ تمرد يهواكيم حاكم اليهودية معتقداً أن مصر ستعاضده لكن آماله سرعان ما خابت ، فقد دفعت معركة عام ٦٠١ ق.م الفرعون نيخو لأن يفكر أكثر من مرة قبل أن يقدم على مجازفة من هذا النوع بخاصة وأن حدود بلاده كانت آمنة وقتذاك ، وقد سارع نبوخذنصر بنفسه لتأديب يهواكيم وفي الوقت نفسه كان قد طلب من المدن الآرامية وعلى رأسها الإيدوميون والعمونيون والموآبيون أن توفر له قوات مساعدة وتمكن عام ٥٩٨ ق.م من السيطرة على قلعة راموث نقب ثم حاصر أورشليم ودخلها وألقى القبض على حاكم المدينة يهواكين الذي خلف أباه يهواكيم وعين بدلاً منه صدقيا الذي وعد بالولاء لنبوخذنصر وكان أسمه الأصلي متينا ، ثم عاد نبوخذنصر وبمعيته ثلاثة آلاف أسير يهودي .

وفي السنوات التالية كانت حملات نبوخذنصر من النوع الإستعراضي إذ لم تجرؤ أية دولة على مواجهة القوات البابلية ، ولكن في عام ٥٩٥ حشد العيلاميون جيشاً كبيراً لإحتلال بابل فسارع نبوخذنصر لمواجهتهم ، وما أن سمع العيلاميون بأن الجيش البابلي على مسافة ٣٥ كم حتى أرتعبت فرائصهم وولوا هاربين من المعركة ، وفي السنة العاشرة من حكمه حدثت خيانة القائد العسكري الكبير بابا أخو إيدينا أبن النبيل البابلي نابو آخي بوليط ، فتمكن نبوخذنصر من إحتواء حركة العصيان التي يقودها ثم قبض عليه وقدمه للقضاء ، وهنا نتعلم درساً جديداً حول أخلاق هذا الملك العظيم ، إذ عفا عن المشاركين في المؤامرة وأحال قادتهم إلى مجلس الشعب ليقرروا مصيرهم ويذكر النص البابلي هذه الحادثة المستلة من كتاب د. فوزي رشيد الملك نبوخذنصر الثاني بتصرف على النحو التالي : بابا أخو إيدينا أبن نابو آخي بوليط وسليل ليمير حنث بقسمه بأسم الملك ودبر خيانته ، نبوخذنصر ، ملك بابل ،

الأمير المستشار ، الراعي لرعيته أكثر الناس سعة ، الذي هو مثل الإله شمش في عدالته ، الذي يرعى كل البلدان ، مثبت الحق والعدل ، مبيد الأشرار ، ألقى القبض على بابا أخو إيدينا ، فعرضه على مجلس الشعب ، نظر مجلس الشعب في قضيته ثم بغضب قالوا لا يبقى الخائن على قيد الحياة.

في السنة الرابعة من حكم صدقيا حاكم اليهودية ، قام بالتآمر على سيده وشق عصا الطاعة على بابل ، فدخل نبوخذنصر أورشليم عام ٥٨٦ ق.م فيما قبض على صدقيا الهارب وجاءوا به إلى ربلة قرب حمص فأنزل به نبوخذنصر عقاباً شديداً وأخذه أسيراً إلى بابل مع أربعين ألف أسير ، ويعتبر هذا السبي البابلي الثاني لليهود حيث قام قائد الجيش نابو زير إيدينا / نبوزردان بحسب سفر الملوك بتدمير هيكل سليمان ودك أسوار أورشليم ، لكن اليهودية أنتفضت عام ٥٨٢ ق.م فعمد نبوخذنصر إلى ترحيل قسم منهم إلى وادي الرافدين ، كما توجه إلى لبنان (مات لا آب نا آنو) عام ٥٧١ ق.م فعزل حاكم صور القوي الذي كان يضطهد شعبه ، ونقش ذلك على الصخرة المعروفة في وادي بريصا على نهر الكلب -Wadi Brisa Nahr El-Kalb /- التي ذكر فيها أنه رفع الظلم عن كاهل اللبنانيين وجعلهم يعيشون في أمن وطمأنينة ونصب عليهم من بينهم الحاكم بعل الثالث ، ثم قرر نبوخذنصر أن يحتل مصر فأعد العدة لذلك ، لكن النص الذي يتحدث عن حملة نبوخذنصر على مصر وصلنا مخروماً ، ومع ذلك يؤكد بعض المؤرخين بأن هزيمة كبيرة قد ألمت بالجيش المصري بدليل وصول قوات الجيش البابلي إلى ليبيا ، وتشير المؤرخة د. حياة إبراهيم بأنه إستناداً إلى وثيقة بابلية عثر عليها مؤخراً وترد فيها أعداد من الأسرى من إغريقيين وميديين وليديين ويهود وصوريين ، علاوة على سكان مدينتي خومي وبيريندو بأن حملات نبوخذنصر قد وصلت في بلاد الأنضول حتى قلقيليا / الإسكندرونة ، مما يؤكد أن الدولة البابلية في عهد نبوخذنصر الثاني قد تحولت إلى إمبراطورية واسعة .

كان بودي أن أتناول أهم منجزات الملك الشمس نبوخذنصر الثاني المعمارية والإدارية بشيء من التفصيل ، ولكن البحث الذي أنا بصدده لا يتحمل تناول مثل هذه الجوانب الواسعة لذلك أكتفي هنا بالإشارة إلى أهم منجزات نبوخذنصر الثاني في هذا المجال ، علماً إن تكنية الملك نبوخذنصر بالثاني هي تكنية تمييزية حديثة لكي يعرف القارئ المعني بقراءة التاريخ الرافدي القديم ، بأننا عندما نذكر نبوخذنصر الأول فإننا نعني به ملك سلالة بابل الرابعة الذي حكم للفترة ١١٢٥-١١٠٤ ق.م ، وهذا الملك أي نبوخذنصر الأول هو الملك الرافدي الشهير الذي قام بتحرير وادي الرافدين من نير العيلاميين في المعركة التاريخية الشهيرة على نهر أولا / الكرخا .

والحقيقة التي ينبغي أن ينتبه إليها القراء إن نبوخذنصر الثاني سواء ذكر مجرداً من الترتيب أو مع صفة الثاني الحديثة ، فإنه بعيداً عن الهالة الكتابية حول شخصه ، وبرغم جميع منجزاته العسكرية التي ضاهت منجزات أقدر ملوك أكد وآشور ، إلا أن عظمته وشهرته لم تأت من كونه فاتح كبير أو قائد عسكري لا يشق له غبار وإنما بسبب منجزاته المدنية والفكرية ، فقد تمكن نبوخذنصر الثاني خلال سنوات حكمه الثلاثة والأربعين من تحويل بابل حمورابي المدينة الأهم في وادي الرافدين إلى أعظم مدينة عرفها العالم القديم كما يقول نيكولاس بوستيغيت ، حيث يصف أسوارها المزدوجة المؤرخ هيرودتس قائلاً أنها المدينة

الوحيدة في العالم التي تتمكن عربة تجرها أربعة خيول من السير على أسوارها / طرق سريعة -High-Way- ناهيك عن عظمة معابدها التي وصفها روبرت كولدفاي -Robert-Koldewey- في كتابيه الشهيرين معابد بابل وبورسيبا وبوابة عشتار وكتابه الآخر القلاع الملكية في بابل مثلما وصفها فريتز كريشن -Fritz Krischen- في كتابه الشهير عجائب الدنيا في عمارة بابل ، لكن القليلين يعرفون بأن آخر شريعة رافدية قبل عصر الغزاة كانت واحدة من إنجازات نبوخذ نصر الثاني ، كما أن اقدم متحف للآثار كان قد وضعه نبوخذنصر الثاني في قصره الشمالي المعروف بأسم القصر الرئيس والذي يقع خارج أسوار بابل الداخلية ، أكتشف هذا المتحف العالم الآثاري أونكر ويسبق هذا المتحف البابلي متحف الإسكندرية الذي يعتقد البعض خطأ بأنه أقدم متحف في التاريخ ، كما يعد المسرح البابلي الأصلي الذي كانت تجرى عليه تمثيليات تحاكي قصة الخليقة البابلية إينوما إيليش من قبل ممثلين / موميلو وممثلات / موميلتو ترافقهم جوقة من المرتلين والممثلين المساعدين والذي يقع تحت المسرح السلوقي الموجود حالياً في بابل أقدم مسرح معروف ، ناهيكم عن الجنائن المعلقة والتي هي في حقيقتها ثلاجة بابل الملكية ، وتقع في الموضع المسمى بيت الأقبية ، وهنالك العديد من المصادر الذي تناولت هذه المنجزات تفصيلياً ، لكنني سأكتفي هنا بالتعريف ببرج بابل الذي دمره الملك الأخميني أحشويرش الأول ٤٨٦-٤٦٥ ق.م ، وقد حاول الإسكندر المقدوني إعادة بنائه ولكن موته المفاجئ حال دون إتمام مشروع هذا الفاتح العظيم في جعل بابل العاصمة الرئيسة لإمبراطوريته الشاسعة .

يقول فريتز كريشن : أن معلوماتنا عن برج بابل جاءتنا من أربعة مصادر أهمها وصف هيرودتس ونص مسماري لكاتب بابلي هو (أنو بيل شونو) ثم كتاب العهد القديم الذي تناول البرج من زاوية رمزية . أما حقيقة وظيفة البرج فكانت للتقوى وتقرباً من الإله مردوخ وموطأ لقدميه ومكاناً لإستراحته على الأرض عندما ينزل من عليائه السماوي ، وهنا نستشهد بإسطوانة نبوخذنصر التي سجل فيها مهمة إنجاز البرج حيث يقول فيها :

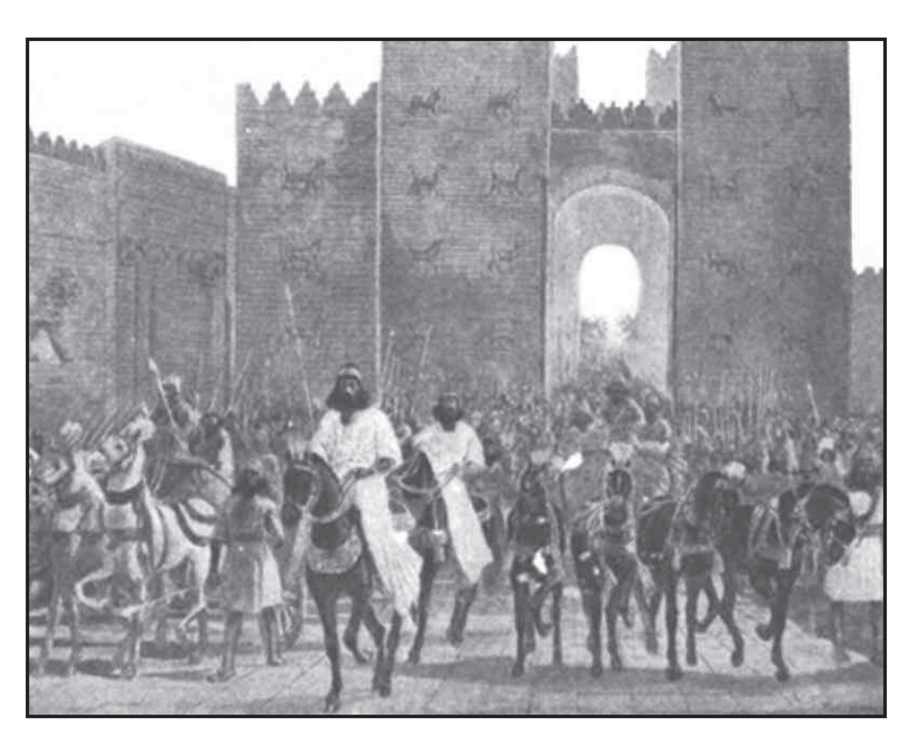
نبوخذنصر ملك بابل ، الحاكم العزيز المفضل من قبل الإله مردوخ الحاكم الأكبر ، محبوب الإله نابو صاحب الفطنة والذكاء ، الذي يبحث عن الحياة الكريمة الذي لا ينقطع عن إرسال الهدايا إلى إيساكيلا ، الحكيم المتعبد المهتم بأمور إيساكيلا وأزيدا .... إنني الأبن البكر لنبوبلاصر ، ملك بابل ، منذ أن جعل مردوخ السيد الكبير رأسي شامخاً وأعطاني تحت حكمي الناس القاطنين في الأقاليم القصية ، لأجل مردوخ أتردد دائماً على معابد نابو (أبن مردوخ) وريثه الشرعي الذي يحب ملوكيتي ، فأتحدث بما يسرهم ، آنذاك صليت لمردوخ السيد العظيم ، البطل القوي ..... ، النور الساطع الذي يبهر آباؤنا الآلهة ، سكن في إيساكيلا سيد بابل ، السيد الكبير ، سيدي ، و(إن تيمن آن كي) البرج المدرج / زقورة مدينة بابل ، الذي قام بتنظيف موقعه نبوبلاصر ملك بابل ، والدي ، بفن التعاويذ وحكمة الإلهين أيا ومردوخ ، وضع حجر أساسه وجدرانه الخارجية الأربعة بالقير والطابوق بإرتفاع ٣٠ ذراع ، ولكنه لم يقم بتعلية قمته ، لجعل اتتمنانكي عالياً وجعل قمته تناطح السماء ، الأقوام الساكنة في أقاصي البلاد والتي بسط حكمي عليها مردوخ سيدي المنتصر إله السماء ، جميع الأقطار وجميع الشعوب من البحر الأعلى / البحر المتوسط إلى البحر الأسفل / بحر الكلدان (الخليج الفارسي / العربي) ، والأقطار البعيدة ، والأفراد القاطنين في الأقاصي وملوك الجبال

النائية والجزر البعيدة وسط البحر الأعلى والأسفل التي جعل مردوخ سيدي لجامها بيدي ، قد دعوتها للمساهمة في البناء ووضعت سلة الطابوق على رأسي عند بناء اتمنانكي ... ثم يسترسل نبوخذنصر الثاني في تعداد الشعوب المساهمة في البناء وكيفية جلب مواد البناء من خشب الأرز والصنوبر اللبناني وصفائح النحاس حتى ينتهي إلى ... شيدت لمردوخ سيدي معبداً علوياً نظيفاً ومخدعاً للآلهة كما كان في الماضي فوق البناء العلوي كقطعة فنية .

سيدي مردوخ يا عظيم الآلهة ، الجبار ، تنفيذاً لأمركم الإلهي بنيت مدينة الآلهة وشيدت الجدران ، جدد المخدع وأكمل المعبد وبناء على أمرك السامي الذي لا يخالف ، وصلت الأوتاد الخشبية ، أنتهى عمل يدي ، جميع ما قمت به ، ليبقى قائماً خالداً في المستقبل ، لأتأمل روعته ومثل ثبات وخلود اتمنانكي إلى الأبد ليثبت عرش ملوكيتي إلى الأبد .

اتمنانكي بارك لي أنا نبوخذنصر الملك الذي جدد بناءك ، وبناء على أمر مردوخ أنجز بناءك أيها المعبد ، أذكر عند مردوخ سيدي تقواي .

في الثامن من شهر تشرين الأول عام ٥٦٢ ق.م توفي نبوخذنصر الثاني في قصره المعروف بإسمه وأستلم عرش بابل أبنه آميل مردوخ ، وفي ١٣ حزيران عام ٣٢٣ ق.م أي بعد ما يقرب من قرنين ونصف توفي الإسكندر المقدوني عن عمر ٣٢ عاماً بعلة التيفوئيد في ذات الغرفة التي توفي فيها نبوخذنصر الثاني ولم تشفه كل عروضه للإله أيا والد الإله مردوخ بإعادة عاصمة نبوخذنصر الثاني(بابل) إلى سابق عظمتها .



رسم يصور نبوخذ نصر الثاني يتوجه عبر بوابة عشتار لمحاربة الفرعون نيخو الثاني

نبونائيد -Nabonid- .. الملك الحالم والحاكم اللغز
٥٥٥-٥٣٩ ق.م

قد يستغرب البعض سبب أختيارنا للملك نبونائيد من بين عدد من أهم الملوك الكلدان العظماء ، بخاصة وأن عهده يمثل نهاية العهد البابلي الذهبي الحديث أي السلالة الكلدانية الإمبراطورية ، كما يمثل نهاية عهده نهاية عهد الريادة وسيادة وادي الرافدين على الشرق القديم ، الحقيقة ، أن هنالك العديد من الجوانب المضيئة في حياة هذا الملك العظيم لكن مصيبته أنه ملك في عهد أصبحت فيه المناطق المحيطة بالإمبراطورية البابلية تعج بأقوام جديدة وطموحات شابة تجاوزت في طموحها حدود الدول المحلية الضيقة الحلم ، في المقابل بدأت الإمبراطورية البابلية تعاني من أزمة إقتصادية وإجتماعية خانقة بسبب مخاطر الممرات المائية (بحر الكلدان) من ناحية والبحر الأعلى من ناحية أخرى لوقوع الأول تحت سيطرة الدولة الأخمينية الناشئة والثاني تحت سيطرة الأقوام الأيونية ، كما عمدت الخيانات والمصالح الضيقة للنبلاء في العاصمة بابل إلى لعب دورها الخطير في صناعة القرار السياسي للدولة ، علاوة على الصدام ما بين الدولة كسلطة زمنية والمعبد كسلطة روحية الذي كان الشعرة التي قصمت ظهر البعير ، فسقط الأسد البابلي الجبار خائر القوى لتنهال عليه السكاكين من كل حدب وصوب .

في المقابل كان هنالك من يحاول أن يتجاوز الحقائق الموضوعية التي تمر بها الدولة ويتحاشى حتى التفكير في عواقبها وأحيانا كان هنالك من يحاول أن يقنع نفسه بأن من غير الممكن أن ينقلب الحلفاء على بابل لأنها السفينة التي لا تغرق -Unsinkable Boat- تماماً مثلما أخذت الكبرياء البريطانية تروج عن السفينة تايتانك فغرقت في أول رحلة لها بجبل ثلج أعترضها مع أن المهارة العالية المقرونة بالخبرة الطويلة والحنكة على تسيير دفة السفينة إلى ميناء الأمان لم تكن لتعوز قبطانها وهو محور إهتمامنا هنا ، ذلك أن ما حدث قد يكون قد حصل بإرادة إلهية ليبين للإنسان مدى ضآلته أو ربما هي الصدفة الموضوعية التي أكدت أن ليس هنالك من شيء كامل ، وهذا هو ما كان قد قدر لنبونائيد آخر الملوك العظماء الكلدان بل وآخر إمبراطور وطني رافدي قديم .

ولد نبونائيد وعاش شبابه والقسم الأكبر من حياته في حران الواقعة على نهر البليخ المتفرع من نهر الفرات ، وكان والده نابو بلاصو أقبي من نبلاء المدينة الكلدان فيما يعتقد البعض أنه كان حاكمها المحلي حيث جاءتنا بعض النصوص المسمارية التي تشير إليه بلقب الأمير والحاكم ، أما أمه أدد قبي / نيتوكرس بحسب هيرودتس فقد كانت تتحدر عن العائلة السرجونية الحاكمة في آشور ، وقد كانت منذ صغرها كاهنة منذورة عرفت بشدة تقواها حتى أنها أصبحت فيما بعد الكاهنة العليا لمعبد إله القمر سين / ننار ، وقد عاشت أدد قبي ما يقرب على ١٠٤ أعوام (توفيت عام ٥٤٧ ق.م) وعاصرت ملوكاً آشوريين وبابليين منذ السنة العشرين من حكم آشوربانيبال ، لذلك كان لها تأثير كبير في حياة نبونائيد .

في تلك المدينة من إقليم شوبارو / كوتيوم في العهد البابلي الحديث ، تشرب نبونائيد بثقافته الكلدانية البابلية التي تتشبع بها الإقليم الشمالي منذ عهد ملكة آشور الكلدانية الأصل شمورآمات / شميرام وأبنها حدد نيراري الثالث الذي طبع آشور بالقيم والعادات البابلية فأختار إلهاً بابلياً

هو نابو أبن الإله مردوخ ليكون الإله الأوحد لدولة آشور ، وقد تواصلت هذه التأثيرات الكلدانية البابلية التي كلدنت آشور المشبعة بها أصلاً منذ عهد شمشي أدد الأول والتي ترسخت في عهد نقية زكوتو زوجة سنحاريب وأم أسرحدون وجدة آشوربانيبال (الذي كان مهوساً بمحبة بابل وكراهيتها !!) وشمشي شمو كين الذي نبذ آشور وأنحاز إلى أصوله البابلية .

في تلك المنطقة من وادي الرافدين رضع نبونائيد محبة إله الحكمة الإله القمر سين / ننار ، ولأن سين هو والد إله العدالة والقانون شمش / أوتو فقد شب نبونائيد مستقيماً تؤخذ أحكامه وآراؤه بنظر الإعتبار في مجلس الحكم في بابل حتى صار مقرباً من الملك الشمس نبوخذنصر الثاني فزوجه على كبر من أبنته الكبرى وصار نسيباً للإمبراطور ومن خلصائه الذين يعول على أحكامهم ويؤخذ بحكمته وسداد رأيه ، وهكذا عندما دب الخلاف عام ٥٨٥ ق.م بين دولتي ليديا وميديا وبدأت طبول الحرب تدق منذرة بجر المنطقة إلى حالة من الفوضى ، قام نبوخذنصر الثاني بإرسال نبونائيد فأجتمع بالملكين الميدي والليدي وتمكن من إنهاء النزاع بينهما ودياً ، ومما ساعده على ذلك قرابته من نبوخذنصر الثاني وتدينه وتشبثه بالعدالة .

بعد موت نبوخذنصر الذي حكم لثلاثة وأربعين عاماً أستلم مقاليد الحكم أبنه أميل مردوخ / أيل مردوخ بحسب العهد القديم ، وكان محسناً لليهود حيث فك أسر ملكهم يهواقاين ومنحه شرف تناول الطعام على مائدته الملكية ، وبسبب من ميل أميل مردوخ للديانة اليهودية ، فقد دبر كهنة معبد الإله مردوخ بالتعاون مع زوج (كا شا آ) أبنة نبوخذ نصر الصغرى إنقلاباً داخلياً قتل فيه أخيها أميل مردوخ في السابع من شهر آب عام ٥٦٠ ق.م ، فتسلم حكم البلاد نركال شار أوصر (نركلصار بحسب إرميا) الذي توفي بدوره بعد أربع سنوات أي في السادس عشر من شهر نيسان عام ٥٥٦ ق.م بطريقة غامضة !

حيث يعتقد بعض المؤرخين أنه قد قتل في إنقلاب مشابه للإنقلاب الذي أودى بحياة أميل مردوخ وهذا ما لا أرجحه ، وذلك لأن أبن نركال شار أوصر القاصر تولى حكم البلاد للفترة من ١٣ آيار ٥٥٦ حتى العشرين من شهر حزيران عام ٥٥٦ ق.م ، مما يقلل من أهمية الرأي القائل بإغتيال نركال شار أوصر ، لكن لاباشي مردوخ لم يحتفظ هو الآخر بالعرش طويلاً ، وذلك بسبب من عدم أهليته بسبب صغر عمره وبسبب المتغيرات التي كانت تجري على خارطة الشرق القديم التي دعت كهنة معبد إيساكيلا بالإتفاق مع نبونائيد على إزاحة الطفل القاصر لباشي مردوخ بعد شهرين من الحكم الشكلي (ليس لدينا دليل مؤكد على قتله) ، ونصبوا بدلاً عنه نبو نائيد الذي تسنم عرش بابل في يوم الخامس والعشرين من شهر أيار عام ٥٥٦ ق.م وهو في منتصف عقده السادس ، ومع أن الكثيرين من المؤرخين يرجحون زواجه عن كبر من أبنة نبوخذنصر الثاني الكبرى ، وهو السبب الوحيد الذي يرجح شرعية توليه حكم البلاد إلا أننا لم نحصل حتى الآن على وثيقة رسمية تؤيد هذا الزواج .

لقد كان نبونائيد من الحكمة والدهاء بحيث لم يصطدم في أول عهده برجال المعبد الذين تنامت ثرواتهم وصاروا يتحكمون بالأرض والعباد مقدمين مصالحهم الضيقة الأفق على مصلحة الآلهة والبلاد ، وهكذا عمت الإنتفاضات الشعبية أرجاء بابل بسبب الحالة الإقتصادية المتردية ، لكن نبونائيد تمكن بحنكته من معالجة أمور البيت الكلداني فصار يقرب قادة

الجيش ويقلل من امتيازات رجال المعبد بشكل غير مباشر ، وفي المقابل قام في سنته الأولى بترميم معبد الإله مردوخ وتجميله ، لكنه من ناحية ثانية وجه ضربة قاصمة لكهنة معبد أي أنا في أوروك وحدد صلاحياتهم وفي المقابل زاد عام ٥٥٣ ق.م من سلطة موظفين كبيرين (الشتامو والقيبو) اللذين كانا محل ثقته لمراقبة مدخولات المعبد وميزانيته ، كما قلص مستوى الضرائب التي كان المعبد يجبيها من الشعب وحدد نوع العطايا والقرابين التي تقدم للمعبد .

أما على الصعيد السياسي فقد عمد إلى حماية البلاد بتأكيد المعاهدات مع دول الجوار ولكنه لم يتوان عن وضع القوات اللازمة على الحدود مستفيداً من ولاء القبائل الآرامية التي منحها حرية الحركة داخل الدولة البابلية ، ومن أجل بث الروح القومية وتجنباً للتأثيرات السياسية العيلامية حارب نبونائيد الديانة الفارسية الزرادشتية ومنعها من دخول البلاد .

كما عمد نبونائيد إلى التنقيب في أسس الأبنية القديمة بحثاً عن ودائع الأسس (تمينو / ننشوبور) فأكتشف آثاراً تعود إلى ما قبل ألفي عام من حكمه مما جدد الروح الوطنية للبلاد ولاسيما مكتشفاته في أسس معبد حران التي وجد فيها آثاراً تعود إلى زمن ملك أكد الكلدي نرام سين ، البنّاء الأصلي لمعبد الإله القمر، من ناحية ثانية دفعته تقواه المفرطة لأن يكون متسامحاً مع كافة الديانات فمنح اليهود صلاحيات وأمتيازات كبيرة حتى صار لبعضهم سطوة وحظوة في البلاط ، كما راح يخص الإله سين بسبب من تعلقه بوالدته أدد قبي بالمزيد من الإهتمام ولاسيما بعد وفاة والدته مما أغضب كهنة الإله مردوخ ، وقد رمم معبد الإله سين في أور وجعل أبنته بعل شالتي ننار -Bel shalti Nannar- كبيرة كاهناته ، لكن الطامة الكبرى بالنسبة لرجال معبد الإله مردوخ كانت يوم راح نبو نائيد يعيد بناء معبد الإله سين / أي خول خول (معبد بيت المتعة) في مدينة طفولته حران ، مع أن المعبد كان وقتذاك يقع داخل نطاق الدولة الميدية (آمان ماندا) ، وقد كان مبرر نبونائيد لبناء معبد حران برغم الإعتراضات الكثيرة هو حلمه الذي دونه على إسطوانته الشهيرة الموجودة في المتحف البريطاني والتي تنبأ فيها بسقوط الدولة الميدية وأختفاء بلادهم من الخريطة.

بغض النظر عن حلم نبونائيد الذي نسبه لإرادة إلهية فإن واقع الحال يؤكد أن التضخم الإقتصادي الذي حصل في البلاد وتفشي الأمراض بسبب تعطل التجارة قد دفعت نبونائيد لكسب أهل حران وفتح منفذ تجاري له في شمال الرافدين ، لاسيما وأن تلك المدينة الرافدية القديمة كانت عقدة المواصلات المؤدية بين وادي الرافدين وبلاد حاتي وميديا وليديا ، لكن فشله في تحقيق نتائج مرضية بسبب قوة الملك الميدي دعاه إلى التحالف مع كورش الأخميني ملك عيلام ، وهنا قرر أن يتحاشى الدولتين الأخمينية والميدية ويبحث عن طريق جديد للتجارة بشكل عام ولتجارة التوابل بشكل خاص فوجه نظره صوب بلاد حاتي وبلاد الواحات / معروا ، فنصب أبنه بعل شار أوصر / بيلشاصر ولياً للعهد وحاكماً على بابل ، وتوجه بجيش بابلي في مستهل سنة حكمه السابعة بأتجاه الفرات الأعلى ومن هنالك توجه عبر البادية إلى واحات تيمو وأيايثريبو وأدومو / دومة الجندل ودادانو / العلا -Dadanu- وبادوكو / فدك -Padakku- وخيبرا / خيبر -Hi-ib-ra-a- و ياديخو / يدعوت أو الحويط -Yadihu- ، فبنى قصراً يشبه قصر نبوخذنصر الثاني في تيمو وجعلها عاصمة بلاد الواحات (الشمال الغربي للجزيرة العربية) .

وتخبرنا المسلات التي عثر عليها في حران مطلع القرن الماضي حيث كانت تستخدم كعتبات في جامع حران ثم نقلت إلى مدرسة أورفا الإبتدائية عامي ١٩٥٦-١٩٥٧ م وقام الآثاري جي. جاي. كاد -G. J. Gadd- بالكشف عن الكثير من التفاصيل حول ترميم نبونائيد لمعبد حران وأيضاً أخبار نبونائيد في تيماء / تيمو وكيف أسكن فيها هذا الملك الكلداني عدداً كبيراً من البابليين التجار والحرفيين (من كلدان ويهود السبي) ، وبرغم منفذ تيمو قد أعطى بابل متنفساً صغيراً ، إلا أن الحصار على الدولة البابلية بسبب إنعدام المنافذ على الخليج والبحر المتوسط أدى إلى إختناقها إقتصادياً ، فتفشى القحط وأستفحلت الأمراض ومنها مرض الطاعون ، كما أرتفعت الأسعار من ٥٠٪ بين عامي ٥٦٠ ق.م و ٥٥٠ ق.م إلى نحو ١٠٠٪ إبان عهده وأستمر هذا الغلاء ليصل إلى ٢٠٠٪ عام ٤٨٥ ق.م .

في ذلك الوقت كان كورش الأخميني قد أبتلع دولة سيده الملك أستياجس الميدي وبدلاً من توجيه قواته نحو حليفته بابل بسبب تخوفه من مواجهة الأمير الكفؤ بيلشاصر قرر أن يبتلع دولة كرويسس ملك ميديا الشهير في المصادر العربية بأسم (قارون) ، ومن أجل أن ينجح في مسعاه أحتل مدينة قليقية التابعة لبابل منهياً بذلك حلفه مع نبونائيد ، تواجه جيشا كورش وكرويسس في منطقة هالس فأنكسر كرويسس وعاد إلى عاصمته ساردیس وهنا باغته كورش فأستولى على سارديس وجعل من ليديا إقليماً فارسياً ، لكن بابل بقيت عصية عليه ، فما كان منه إلا أن راح يستميل رجال المعبد وقادة الجيش ، باذلاً الوعود لرجال المعبد بعودة امتيازاتهم وإعادة منزلة الإله مردوخ إلى سابق عهدها ، كما راح يجزل الوعود أيضاً لقادة الجيش ، ولما ضمنت المراسلات المؤيدة له نجاح خطته قرر مهاجمة العاصمة بابل المنهكة بالإضطرابات من الشمال الشرقي ، لكن نبونائيد فطن إلى مخططات كورش فعاد في حدود عام ٥٤٦ ق.م إلى بابل بعد عشر سنوات قضاها في تيمو بعيداً عن العاصمة ، وقرر أن يستميل النبلاء وقادة الجيش في بابل كما قرر أن يقوم بنفسه بالمشاركة في إحتفالات رأس السنة الكلدانية أكيتو بعد أن توقفت لسنوات بحجة غياب الملك نبونائيد الذي شارك في إحتفالات عيد الأكيتو لعام ٥٣٩ ق.م وهي سنة نهاية الحكم الإمبراطوري لوادي الرافدين القديم .

في تلك السنة قرر كورش الذي قدم نفسه للبابليين من خلال أعوانه كمخلص للبلاد من حالة العسر التي تعيشها أن يحسم المعركة المؤجلة بينه وبين نبونائيد مستغلاً الموالين له من البابليين الذين ضرب نبونائيد مصالحهم ، فراحوا يروجون قصصاً عن رحمة كورش بالبلدان المفتوحة والرخاء الذي سيعمها جراء خضوعها له والحرية الدينية التي سيكفلها لمعابد بابل وسماحه لعودة الأسرى إلى بلدانهم مستغلين عامل الإنهيار الإقتصيادي وإنكماش الروح القومية والوطنية التي كسرهما الغلاء المعيشي ، كما توهم نبلاء بابل ورجال المعبد فيها بأنهم بتواطئهم هذا سيستعيدون أمتيازاتهم السابقة ، في المقابل لن يخسروا إلا القليل ، ذلك أن ما سيحدث هو إستبدال سلالة حاكمة بأخرى جديدة .

في خريف عام ٥٣٩ ق.م توجه كورش على رأس جيوش جرارة جمعها من البلدان التي كانت تابعة له ، فلم تعترضه أية موانع حتى وصل أعتاب مدينة أوبيس / سلوقيا فيما بعد جنوبي بغداد (بعل أدد) وهنالك أصطدم بالجيش البابلي الذي تمكن من صد الجيش الأخميني برغم التفوق العددي للجيش الفارسي ، لكن خيانة النبيل الشمالي غوبارو -Ugbaru- قائد

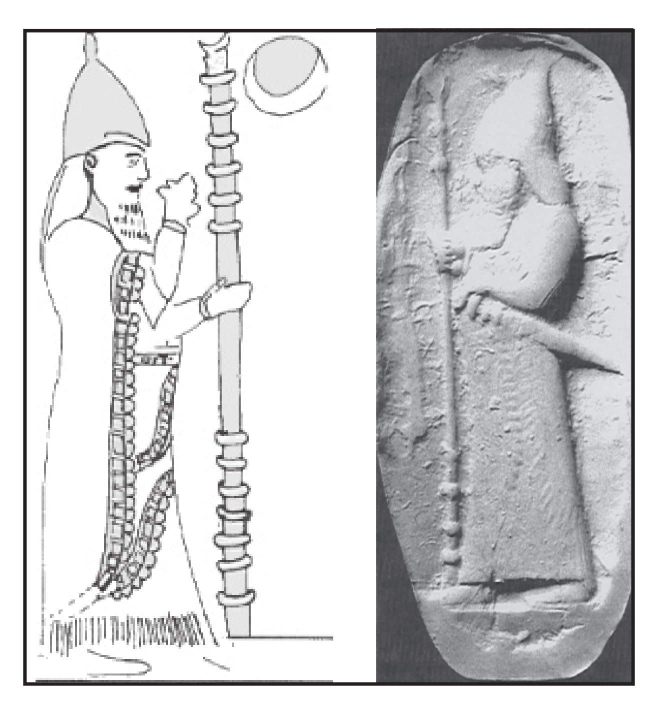
جيش كوتيوم -Gutium- أي (إقليم آشور) وإنحيازه إلى كورش كشف ميسرة جيش بابل وقلب موازين المعركة ، وهكذا وفقاً للإتفاق مع كورش تم ذبح قلب الجيش البابلي وقتل ولي العهد الأمير بعل شار أوصر / بيلشاصر -Bel-Shazzar- في المعركة ، فيما أنسحبت بقايا كتائب الجيش البابلي إلى العاصمة المنيعة بابل ، عندما علم كورش بأن المعركة لم تحسم كما كان يتوقع ، عاد إلى عاصمته فيما ترك قيادة الجيش للقائد الخائن غوبارو ، ومن أعرف ببابلٍ غير قادة جيوشها ، وهنا تمكن كوبارو من إقناع سبار بعدم القتال وأن كورش لا يضمر شراً بالبلاد فدخلها دون قتال ثم توجه لمحاصرة العاصمة بابل ، وعلى أعتاب السور الخارجي للمدينة جرت المناوشات فلم يتمكن الجيش الأخميني مع قوات الشمال الرافدي المتحالفة معه والقبائل الجبلية من دخول المدينة لمدة يومين رغم معدات الحصار والتفوق العددي للجيش الإمبراطوري الأخميني ، وذلك بسبب الخسارات الفادحة في صفوف القوات المحاصرة للمدينة ولمناعة أسوار بابل ، فما كان من غوبارو إلا أن حول نهر الفرات عن المدينة إلى المنخفض الذي يسمى اليوم ببحيرة الرزازة -al-Razza Lake- قرب عقرقوف كاشفاً عن منافذ المدينة لتصريف المياه التي تصب في النهر ، فدخلت قوات الفرس المدينة ليلاً وبسبب ضخامة حجم بابلٍ لم يعلم السكان بما حصل ، برغم سقوط مدينة بابل بأيدي غوبارو الذي أعلن نفسه حاكماً عليها بأسم كورش ، إلا أن القوات المتبقية من الجيش البابلي والحرس الملكي الخاص للملك نبونائيد وحراس معبد مردوخ ظلوا يقاومون من القلعة والقصر الملكي لأكثر من شهر حتى تمكن غوبارو من إقتحام موقع الحامية البابلية الأخير بالحيلة وتم القضاء على رجال الحرس الملكي مع الملك نبونائيد الذي قتل بتاريخ الثالث عشر من شهر تشرين الأول عام ٥٣٩ ق.م ، مع أن هنالك بعض المدونات التي كتبت لاحقاً في العهد الأخميني والتي تدعي بأن نبونائيد لم يقتل وإنما أصيب في المعركة وتم نفيه إلى كرمانيا وهو ما لم تؤكده الوثائق البابلية .

مع نهاية عهد نبونائيد تغيرت الأمور السياسية في الشرق القديم كله وبدأت دورة تاريخية جديدة أصبحت فيها الدول الكبيرة القديمة مقاطعات لدول حديثة كانت فيما مضى وخلال ما يقرب من ثلاثة آلاف عام مقاطعات تابعة لوادي الرافدين .

والحق فإن منطق التاريخ لا يركن للسكون ولا يقبل بالمراوحة ، لذلك فإن الدول مثل الكائن البشري تولد صغيرة فتحبو على أربع حتى تمر بالشباب وفورة الرجولة ثم لا تلبث أن يدركها المشيب والموات ليقوم بعدها وليد جديد ، لقد تجمعت الظروف على نبونائيد إبتداء بسلسلة الإضطرابات والإغتيالات بين الملوك الذين سبقوه ، مروراً بالأوضاع الإقتصادية التي ضربت الشرق القديم وإنتهاء بنشوء دول جديدة بدماء جديدة فوارة ومتعطشة للتوسع والفتوحات ، لقد كان نبونائيد ضحية عصر مليء بالمتناقضات والمتغيرات السريعة على صعيد المجتمع والسياسة والدين والإقتصاد ، وقد حاول قدر المستطاع أن يقف في وجه عاصفة التغيير تلك وكاد أن ينجح لولا أنه ركن لمنطق الأخلاق والفروسية والقيم ، فداس على طموحاته النبيلة تلك المنطق البديل ، منطق المصلحة والأنانية وقصر النظر ، وهكذا سلم غوبارو (حاكم شوبارو) وقائد جيوشها وطنه وتاريخه للمحتل الأجنبي لقاء منصب لم يبق فيه طويلاً .

لقد تكالبت المحن على نبونائيد فحاول بكل كفاءة أن يتجاوزها ، لكن منطق العصر الجديد

تجاوز إمكانات الرجل والملك الكفء ، لذلك ينبغي لنا أن نعيد النظر في تلك الكتابات التي أشاعها كتبة العهد الأخميني الموالون لكورش من أجل إحتواء بابل التي سلخت الغزاة عن ثقافتهم المحلية البربرية وطبعتهم بثقافتها وحضارتها ، ومما يؤكد عظمة نبونائيد أن الثورة الكلدانية سرعان ما أشتعلت ثانية عام ٥٢٢ ق.م بشخص ملك كلداني شجاع هو نبوخذنصر الثالث الذي جمع بين أسمين عظيمين ، حيث إدعى بأن أسمه هو نبوخذنصر وبأنه من نسل نبونائيد الملك الشرعي للبلاد ، وهكذا نشبت الثورة التي هزت كيان الإمبراطورية الأخمينية وهي في ذروة قوتها .



نبونائيد كما تصوره واحدة من مسلاته المكتشفة في حران مع تخطيط مستمد من مسلة ثانية

بابل أم الحواضر .. وكأس ذهبية بيد الرب

ما أن نخوض في أي موضوع كلداني أو نبحث في أية شخصية كلدانية حتى تنبري لنا بابل كحجر زاوية للموضوع ، كيف لا وهي المدينة الأم ووثاق الأرض والسماء . من الجدير بالذكر ونحن نخصص هذا الموضوع لهذه المدينة التي كانت وما تزال قبلة أنظار كل العراقيين على تنوع مللهم ونحلهم بأن نوضح خطأ ما يعتقده عدد كبير من العامة الذين يتصورون بأن مدينة بابل قد نشأت في عهد السلالة البابلية الأولى (العمورية) لأن هذا يتنافى مع الواقع التاريخي تماماً ، ولأن ما بات متفقاً عليه اليوم بين جمهرة المؤرخين وعلماء الآثار هو قدم بابل المدينة الأم لكل بلاد الرافدين وبخاصة بعد مشروع إحياء بابل الذي أشرنا في حينه إلى العديد من الأخطاء الجسيمة التي حدثت خلال مراحل تنفيذه نتيجة إنعكاس

طموحات السياسيين على عمل الآثاريين والمنقبين العراقيين .

تعتبر بابل -Bâbel- اليوم وفق أحدث المكتشفات الآثارية أقدم عاصمة إمبراطورية رافدية متواجدة في بيث نهرين منذ التاريخ المجهول لوطننا الأم ، حيث تشير الدلائل المادية ومنها جدول أنساب الملوك سلالات ما بعد الطوفان (أثبات الملوكية) ، بأن الملوكية نزلت بعد الطوفان من السماء وحلت في كيش شمالي شرقي بابل التي كانت في عصر إكتمال الملامح النهائية لمدينتنا الأم (عصر نبوخذنصر الثاني) جزءاً مكملاً لبابل الكبرى ، أما في العصور المبكرة فكانت بلدات تميزت كل واحدة منها بإستقلالها الإداري ، وكان للمعبد عهد ذاك الدور الرئيس في صياغة الحياة الروحية والزمنية (السلطة المدنية) لمجتمع البلدة ، تماماً مثلما هو عليه الحال في بلداتنا وقصباتنا في منطقتي دشتا وطورا شمال بيث نهرين (منطقة سهل ومرتفعات العراق الشمالية) ، أو كما هو الحال عليه في مجتمع الجاليات في بلدان المهجر والشتات .
وطبيعي أن هذه البلدات قد تنازعت فيما بينها فغلبت أسماء بعضها على بعضها الآخر في تلك الفترة المبكرة من التاريخ ، وفيما كانت الغلبة لكيش في تمشية أمور المنطقة سياسياً ممثلة بالملك الأول كورا مروراً بالملك الوطني ميسالم والملك الإسطورة أكا -Agga- نظير كلكامش -Gilgamesh- ، فقد كانت الغلبة لبابل في مركزيتها كمدينة مقدسة للإقليم ممثلة بإله العمران والحضارة مردوخ أبن الإله الكلي القدرة أيا / أنكي معبود أريدو .
وبرغم الخراب الذي ألحقه سنحاريب بمدينة بابل وتحويل ماء الفرات إليها وإغراقها ، مما أدى إلى عدم تمكن الآثاريين من مواصلة تنقيباتهم لأبعد من العصر البابلي القديم بسبب إرتفاع المياه الجوفية للمدينة ونتائجها المخربة بسبب الملوحة ، وبرغم الخراب الذي ألحقه بها آشور بانيبال بعد أربعين عاماً من خراب سنحاريب لها وخرابها الأخير على يدي جيوش أحشويرش الأول ، إلا أننا تمكنا من معرفة الكثير حول تاريخ بابل من المدونات المادية التي أكتشفت خارج بابل وكذلك أثر قرار النظام العراقي البائد بتجفيف الأهوارمنتصف ثمانينات القرن المنصرم ، وقد بات من المتعارف عليه الآن أن بناة بابل الأصليين يرجعون إلى الرافديين / الكلدان الأوائل الوسط جنوبيين بناة أريدو في عصر ما قبل الطوفان ، كما يؤكد ذلك العالم بورخارت كيناست -Burkhart Kienast- في بحثه الموسوم (أسم مدينة بابل) المنشور في مجلد سومر رقم ٣٥ الجزء الأول والثاني لعام ١٩٧٩ م ضمن الندوة العلمية العالمية الأولى لإحياء بابل .
وقد أستمر حال تلك البلدات في نزاعاتها المحلية وتوجهاتها الإنفصالية حتى تبلورت الصورة في العهد الأكدي فتوحدت تلك البلدات في أروع أسم في تاريخ البشرية كلها (بابل) التي وصفها النبي إرميا في العهد القديم بقوله : بابل .. كأس ذهبية بيد الرب .. أسكرت (سحرت ببهائها) كل الأرض ، حتى لقد عد الإغريق برجها المدرج وأسوارها عجيبة من عجائب الدنيا السبعة القديمة ، وبديهي أن بابل قد سكنت من قبل الكلدان الأوائل في العصور المجهولة ما قبل الطوفان ثم تنازعت عليها السلالات الحاكمة لاحقاً ، وإلى هذا يشير أحد نصوص الفأل الشهيرة ، حيث يرد فيه أن شروكين الكلدي ٢٣٣٤-٢٢٧٩ ق.م ملك أكد وأول إمبراطور في التاريخ البشري قد بنى بتراب بابل عاصمته أكد التي تبين لاحقاً أن أسمها المحلي وبشكل

أدق مركزها الإداري هو دور شروكين -Dur Sharru Kin- ، بمعنى أن أكد أول عاصمة إمبراطورية في التاريخ البشري كانت هيّ بابل نفسها أو ضاحية منها ، ولهذا نجد أن الباحث الآثاري نورمان بانكروفت هنت -Norman Bancroft Hunt- يعتمد العام ٣٠٠٠ ق.م كتاريخ لتأسيس بابل المدينة بمعنى ١٠٠٠ عام قبل تأسيس مدينة آشور من قبل الشوباريين ، وذلك إعتماداً على الكثير من المعطيات ومنها تشابه فخار كيش وضواحي بابل الأخرى مع فخار أريدو من مطلع عصر جمدة نصر ٣١٠٠-٢٩٠٠ ق.م ، مع أن هنالك من بين الباحثين من يعتقد بأن تاريخ تأسيس مدينة بابل إنما يرقى إلى زمن أقدم بما يزيد على خمسة قرون في الأقل .

كانت مدينة بابل تتألف في الماضي السحيق علاوة على ضواحيها من قسمين واسعين رئيسين يفصلهما نهر الفرات تماماً مثلما يفصل نهر دجلة جانبي بغداد / بعل داد (بعل أدد) البابلية إلى قسمي الرصافة والكرخ ، وكان القسم الشرقي القديم (باربار أو بابل / Bâbel) هو القسم الأكبر ثم القسم الغربي (بابل الجديدة / Alû Eshshu) ، وقد أشتهرت فيها عدد من المحلات لعل أشهرها كلاب وشو آنا والمركز ، وبديهي أن مدينة بابل قد حملت تسميات عديدة خلال تاريخها الطويل ولكن المعنى كان واحداً في معظم الأحيان هو (باب ألله) ، كما كنيت بابل بتكنيات عديدة تؤكد قدم كلدانيتها وإنتمائها إلى الكلدان الأوائل بناة أريدو .

أما أشهر تسمياتها القديمة التي تعني بوابة ألله فهي : كار دنكر را -kâ Dingir Râ- كما وردت على لسان الملك شاركالي شري ٢٢١٧-٢١٩٣ ق.م وهي أيضاً باربار -Bâr Bâr- وباب إيلو وبابيلم -Bâb ilim- كما عرفت محلياً بأسماء أو تكنيات أخرى منها (تر بابيلا) وفق التقليد الكيشي و تن تر كي -Tin tir ki- وبالبابلية شباط بلاطي (موطن الحياة) وشو أنا كي (كف أو يد السماء) ونون كي وهو من أسماء المدينة الأم أريدو ويعني(أصل الحياة أو بيت النخيل) وكش كالا (البوابة أو المدخل الرئيس) ، وأسماها الفرس القدماء بابيروش -Bâbi rush- كما أطلق عليها في الكتاب المقدس / العهد القديم تسمية شيشك -إرميا : ٢٥-٢٦ ، وأسماها الكشيون في مراسلاتهم الرسمية كار دونياش -Karduniash- مرفقة بأسمها المحلي باب إيلو ، أما الأغريق فقد أسموها بابلون وباللفظة الكلدانية الحديثة بابل أو باول تركيخاً بمعنى بابل مخففة وبابل كما تكتب في الكلدانية هي ذات المفردة التي تستخدم في اللغة العربية الحديثة بعد رفع التخفيف أي التركيخ الكلداني لحرف بيث / الباء .

تقع مدينة بابل على بعد ٩٠كم إلى الجنوب من العاصمة العراقية بغداد (بعل داد) التي كانت يوماً واحدة من مقاطعاتها ، وبديهي أن بابل تعد من أشهر المدن القديمة قاطبة ، إذ تضرب الأمثال بعظمتها وجمال أبنيتها وثقافة أبنائها ، ولا تعرف مدينة أستمرت في هذا المركز المرموق بقدر ما بقيت فيه بابل ماسكة بزمام الحضارة ومنمية أياها لعشرين قرناً متواصلاً منذ فترة ما قبل العهد البابلي القديم أي منذ ما يزيد على ٢٥ قرناً قبل الميلاد ، ثم ما لبثت بلداتها ومقاطعاتها التي أنبثقت عنها كسلوقيا وقطيسفون وبغداد اللاتي يسميها العامة جميعاً ولاسيما الناطقون بالسورث بابل أيضاً ، حيث أستقر فيها وما يزال مقر بطريرك بابل على الكلدان لقرون طوال منذ عهد مار طيمثاوس الكبير ٧٨٠-٨٢٣ م حتى عام ١٢٩٤ م ، ثم عاد الكرسي البطريركي إليها ثانية عام ١٩٦٠م حتى يومنا هذا ، وقد شهدت بابل أحداثاً جساماً وعرفت رجالاً تأله بعضهم فيما نظر العامة إلى البعض الآخر منهم نظرتهم إلى

القديسين والشخصيات الإسطورية إبتداء بالملك كورا وأكا وميسالم وشروكين وحمورابي مروراً بنبوخذنصر الثاني والإسكندر المقدوني ويوسب بر سكد أودو ناق وإنتهاء بالجثالقة الآباء وأبي جعفر المنصور وهرون الرشيد و وغيرهم .
في عهد نبوخذنصر الثاني أعيد بناء بابل وتم توسيعها فصارت أرحب وأجمل وأكثر رخاء من أية مدينة أخرى ، ينساب فيها نهر الفرات من الشمال إلى الجنوب وهي محاطة بخندق وسورين الخارجي منهما شلكو -Shalku- وعند عامة البابليين أمكربعل أو إنليل -Imgur-Bel / Enlil- ومعناه شموخ الرب أو شموخ إنليل وطوله ١٦ كم أما السور الداخلي دورو / الحصن -Duru- ويسميه عامة البابليين نمتي بعل أو إنليل -Nimiti Enlil- أي عرش إنليل وطوله ثماني كيلومترات ، وكانت بابل تحتوي تحت مبانيها الرئيسة على شبكة من المجاري المؤلفة من توصيلات تحت أرضية منفذة بإسطوانات من الفخار السميك ، تسير تحت أرضية شوارع مستقيمة عريضة نظيفة ومعبدة بالآجر والقار ، ويشاهد منها الآن شارع الموكب بقسميه الشمالي الذي يمر بالبوابة الشمالية المعروفة بأسم بوابة عشتار -Ishtar Sharkipat Tebisha- أي عشتار قاهرة الأشرار (الأعداء) وينتهي حيث كان البرج المدرج أي زقورة -الأيتيمنانكي- ، وعلى الجانب الغربي لهذا الشارع يشاهد القصر الجنوبي الذي شيده نبوخذنصر الثاني بأبعاد ٣٠٠ في ١٩٠ متراً والذي يتكون من خمس باحات كل منها وسط مجموعة من الحجرات والصالات ومن ضمنها قاعة العرش بأبعاد ٥٠ في ١٦متراً ، وقد كانت مزينة بصور ملونة ، وداخل القصر تشمخ الجنائن المعلقة .
إلى الشمال قليلاً يقع القصر الرئيس الذي ما زال أسد بابل يشاهد فيه ، فيما يشاهد معبد ننماخ أو إيماخ -E makh- في الجهة الشرقية لشارع الموكب والمكرس للإلهة ننخرساك -Ninkhursag- أما القسم الجنوبي من شارع الموكب فكان يسمى عشتار لاماسو أومياشو -Ishtar Lamasu ummaishu- ومعناه عشتار حامية الجيوش ، ويشير الأستاذ طه باقر في مجلده الموسوعي (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) بأن بابل على عهد ملكها نبوخذنصر الثاني أصبحت أكبر مدينة في العالم القديم كله ، إذ بلغ محيطها ثمانية عشر كيلومتراً ومساحتها ٢٥٠٠ إيكر فيما يقدر عدد سكانها بما لايقل عن ربع مليون نسمة .
ويتضح كبر المدينة الشاسع وبكونها أوسع مدينة عرفها التاريخ القديم مقارنة بمدينتي أثينا ٥٠٠ إيكر وآشور ١٥٠ إيكر ، أي أنها كانت أكبر من مدينة أثينا بخمس مرات وأكبر من مدينة آشور بسبعة عشر مرة ، وكانت بابل تشبه إلى حد بعيد العاصمة الحديثة بغداد ، إذ كان نهر الفرات يقسمها إلى قسمين بابل القديمة على الضفة الشرقية للنهر وبابل الجديدة على الضفة الغربية للنهر وكان هنالك جسر حجري يوصل بينهما أسمه (أي بور شابو / لن يعبر الأعداء) ، شيد على أساسات حجرية تشبه السفن .
وكان الشكل العام للمدينة بصوبيها القديم والجديد مستطيلاً يحيط بها كما ذكرنا سوران ضخمان أعتبرا مع الجنائن المعلقة أو برج بابل من عجائب الدنيا السبع القديمة . ويبلغ معدل المسافة بين السورين زهاء الكيلومترين ، حيث خصصت المساحة ما بين السورين لضواحي المدينة الداخلية التي كانت تنتشر فيها البيوت الريفية المشيدة باللبن (الآجر غير المفخور) أو الطين المجفف والحصير تحيطها بساتين النخيل السامقة وأشجار الفواكه والحمضيات المثمرة .

ولم يشيد في ضواحي المدينة من المباني الرسمية الضخمة غير بنايتين ، إحداهما قصر نبوخذنصر الثاني الصيفي (قصر حياة نبوخذنصر) بمحاذاة السور الخارجي من جهة الشمال والأخرى بناية معبد (بيت أكيتو) المخصص لإحتفالات رأس السنة الكلدانية البابلية (أكيتو) ، وبخاصة طقوس الزواج المقدس -Hashadu- .

أما بوابة عشتار فتعد من أكبر وأروع آثار مدينة بابل ، وقد ثبت تدوين أسمها على الصخرة الجيرية التي عثر عليها بين أنقاض المبنى عام ١٩٠٢ م ، إن بوابة عشتار هي أحدى بوابات الواجهة الشمالية للسور الداخلي للمدينة والذي كان يحيط بها على الضفة اليسرى لنهر الفرات ، والحقيقة أن هذا السور قد بني على ذات الموضع الذي شيد فيه سور المدينة لأول مرة في عصورها السحيقة القدم وهي مرحلة تحول الموقع من مستوطن زراعي إلى مدينة مسورة .

ومن المسلم به اليوم وفقاً للمكتشفات الآثارية بأن مدينة بابل هي أكبر وأحكم مدن العراق القديم تحصيناً وأقوى من نينوى ولذلك فكر كورش الفارسي أكثر من مرة قبل مهاجمتها لا سيما وأنه كان ملماً بالمثل العراقي الشعبي القديم الساخر الذي ردده المؤرخ هيرودتس في كتاباته (لن يتمكن الفرس من إحتلال بابل إلا عندما يلد البغل) ، ويشير هذا بكل وضوح إلى إستحالة إقتحام بابل ومناعتها ، ويؤكد هذا عالم البابليات فريتز كريشن الذي يقول : لا يتغنى القدماء بالإتساع العظيم لأسوارها ولكنهم يتغنون أيضاً بأبعادها .

فمن المعلوم للمختصين بأن وسائل الدفاع بين السورين الداخلي أمكر بعل أو أمكر إنليل والخارجي نمتار إنليل كانت تتسم بالإختلاف المدروس ، فالسور الداخلي في الجانب الشرقي وعند بوابة مردوخ -Mardukh- بالتحديد كان مؤلفاً من جدارين يحتويان على عدد من الأبراج بمسافات منتظمة بين ١٠ و١٨ متراً تتناوب تباعاً وبجبهة طولها تسعة أمتار ونصف ، بينما يحتوي السور الخارجي على أبراج يسمى واحدها صراتي -Sarati- على مسافة عشرين متراً ونصف ، فيما تبلغ واجهة البرج خمسة أمتار وستين سنتيمتراً .

وكان يوجد أمام السور الخارجي خندق ، عليه أبراج على مسافة ٦٠ متراً ، أما فيما يخص الناحيةالمعمارية للسور الذي نسجت عنه الحكايات المثيرة والروايات المشوقة عن مرور العربات فوقه ذهاباً وإياباً وكذلك عن زخرفته التي أعيد تركيبها في متحف برلين من قبل فالتر أندريه ، حيث تمكن من إعادة تركيب ١٥٢ تكوين للحيوانات الخرافية المزججة والناتئة من أصل ٥٧٥ نحتاً ترمز للإلهين مردوخ (إله الحضارة) ممثلاً بحيوانه الإلهي التنين موشخوششو -Mushkhushshu- و أدد (إله البروق والعاصفة) ممثلاً بالثور المتوسط العمر (العجل) ، أما رمز الإلهة عشتار (الأسد) فلم يكن يزين واجهة البوابة وإنما كانت صفوف هذا الرمز قد صفت على طول جانبي شارع الموكب ، ويقول روبرت كولدفاي المتخص بالبابليات : أن بوابة عشتار كانت من نوع البوابات المزدوجة ، إذ يتألف بناؤها من بوابتين الواحدة خلف الأخرى ، يوصل بينهما جدار قصير يجعل منهما وحدة بنائية متكاملة ، وفي مدخل كل بوابة يوجد برجان بارزان خلف كل واحد منهما غرفة مسقفة لها باب آخر ، ويتصل بالسور الممتد على طول النهر جسر الفرات الذي ذكره مراراً قدامى المؤرخين والذي وصف بكونه أقدم جسر حجري معروف علماً أن هنالك معبراً آخر منفذاً بجذوع الخشب القوي يقع قرب الحافة الشرقية للقصر الجنوبي بني على الموقع المائي

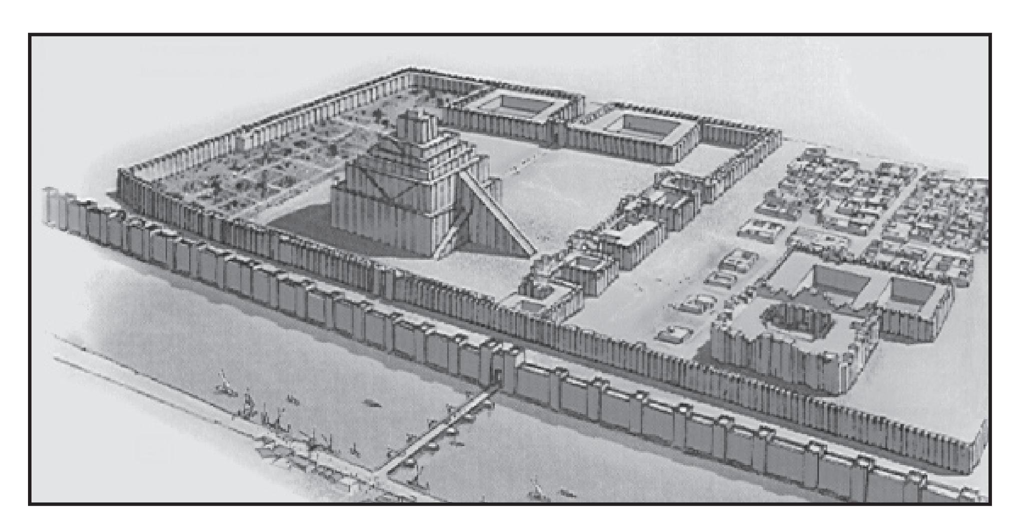
المعروف بأسم جالب الخير -Libil Khegalla- ، أما الجسر الحجري أية بور شابو -I-bur sha bu- ومعناه لن يعبر العدو ، فيتصل مباشرة بشارع الموكب الذي يفصل البرج (اي تيمين آن كي) عن معبد الإله مردوخ / إيساكيلا -E sag ila- ، ومعبد إي ساكيلا أي المعبد المرفوع الرأس بمعنى الشامخ هو بناء مكون من مجموعة من الأبنية المتداخلة قوامها الساحات والحجرات ، وفي القاعة الكبرى للمعبد نصب تمثال الإله مردوخ من الذهب الذي زنته ثلاثة أطنان وقد صنعت له منضدة وعرش من الخشب المغلف بالذهب ويقوم خارج المعبد مذبحان واحد من الذهب لإحتفالات رأس السنة وآخر من الخشب حيث كان تجرى عليه عملية تقديم الذبائح والقرابين .

وكان السور الرئيس للمدينة يحتوي على تسع بوابات ، أربعة رئيسة وخمسة مساعدة وهي : بوابة الإله الهواء أو الجو المحيط إنليل -Enlil gate- وأسمها القديم هو إنليل موكن شروتيشو -Enlil Mukin sharrutishu- ومعناه إنليل مثبت ملوكيتها أي ملوكية بابل ، وبوابة الإلهة الأرض أوراش -Urash gate- في القسم الجنوبي من المدينة الكبيرة بمعنى الشرقية أي رصافة بابل ، أما من الشرق فكانت هنالك بوابة الإله مردوخ الرئيسة وتسمى شي آشو إيريمو -Shi ashu irimu- ويمر منها شارع مردوخ رعيو ماتيشو -Mardukh-Ra'aiu Matishu- ومعناه مردوخ راعي أرضها أي أرض بابل ، وإلى الجنوب منها بوابة إله المعارك لمدينة كيش وزوج الإلهة عشتار في التقليد القديم الإله زبابا -Zababa-gate- وفي الغرب تقع البوابة الرئيسة الخاصة بالإله أدد إله البروق والرعود وأسمها أدد نبشتي أوماني أوصر -Adad Napiti Ummane Usur- ومعناها أدد يحمي نفوس الجند ، ويمتد شارع هذه البوابة من الجانب الغربي للمدينة الغربية عابراً السور الشرقي للمدينة الغربية والجسر الحجري الذي يربط الصوبين ، أما في الشمال فتقع بوابة سميرآميس بحسب هيرودتس وهي بوابة عشتار الشهيرة -Ishtar gate- وأسمها القديم هو عشتار شيكيبات تبيشه -Ishtar shakipat ta bisha- ومعناها عشتار قاهرة الأشرار أي أعداء بابل وإلى شرقها تقع بوابة الإله سين / ننار -Nannar gate- ، وهنالك بوابات أخرى تقع في المدينة الغربية وهي البوابة الجنوبية أو بوابة الإله شمش -Shamash gate- وبوابة إله القدر والكتابة نابو الذي أصبح لاحقاً يكنى بتكنية الإله ننار / سين إله الحكمة -Nabû gate- أو كما تسمى أيضاً باب لوكال كيرا -Bâb Lugal Girra- .

وفي الواقع فإن النصوص المسمارية تعد لمدينة بابل نحو ١١٧٩ معبداً بين كبير وصغير ، كما بلغ عدد المعابد المخصصة لمشاهير الآلهة وكبارها ١٥٣ معبداً إضافة إلى المزارات وأماكن القرابين ، ولعل من أشهر معابد المدينة التي كشفت عنه التنقيبات هو معبد الإله الرئيس مردوخ (إيساكيلا) ومعبد الإلهة ننماخ / أي ماخ-E-Makh- بجوار بوابة عشتار ومعبد الإلهة عشتار في مركز المدينة (منطقة سكن الخاصة) ومعبد الإله المحارب ننورتا -Ninurta- ومعبد إلهة الشفاء كولا -Gula- ويقع المعبدان الأخيران في الجزء الشمالي من المدينة أي في محلة كولابا -Kulaba- ، وقد كان نهر الفرات كما بينا يقسم مدينة بابل إلى قسمين حيث كان القسم الغربي بمعنى كرخ بابل أي بابل الجديدة يحتوي على سبعة معابد مهمة منها معبد الإله الشمس شمش / أوتو -Shamash / Utu- وهو إله العدل والقانون الذي أوحى لحمورابي بشريعته الشهيرة وكان أسم معبده إيه دي تار كالاما -E di tar

kalamma- ويقرأ أيضاً أي ساكود كلاما -E sa kud kalamma - ومعناه معبد قاضي البلاد ، ثم برج بابل الشهير أو الزقورة (إي تيمن آن كي) الذي يعني بيت أسس السماء والأرض ، ومعبد إي ساكيلا ومعناه البيت الشامخ وهو المعبد الرئيس ليس لمدينة بابل حسب إنما في كل البلاد بخاصة وأنه كان يشكل محور إحتفالات وادي الرافدين بمناسبة رأس السنة الجديدة / أكيتو -Akitu- .

أما عن القصور الضخمة لهذه المدينة الواسعة والتي كانت تقع خلف جداري شارع الموكب ، فإن أبرزها هو ما عرف بالقصر أو الحصن الشمالي والذي تتواجد فيه عدد من المنحوتات ومن بينها (أسد بابل) الشهير ، وقد أشتهر هذا القصر بأسم القصر الصيفي ويقع شمالي بابل ، وكان هذا القصر مفضلاً لدى نبوخذنصر حتى أنه أطلق عليه تسمية (قصر حياة نبوخذنصر) أو كما كان يسمى أيضاً الواجهة السامقة أبا دانوم -appa dan num- ، أما القصر الجنوبي المطل على قناة ليبيل خيكالا والذي كان يسمى قصر ملك بابل -Al bit shar Babili- فقد كان واحداً من القصور الضخمة الذي يشبهه المنقبون كمدينة صغيرة داخل مدينة بابل وقد شيده الملك الشمس نبوخذنصر الثاني بجانب قصر أبيه نبوبلاصر الذي كان أصغر حجماً من قصر نبوخذنصر ، وكان هذا القصر يمثل آنذاك المركز السياسي والإداري والعسكري للإمبراطورية البابلية الحديثة / السلالة الكلدانية الذهبية، ويقع القصر الجنوبي بمحاذاة شارع الموكب وكان يحتوي على مئات الحجرات والمرافق الأخرى ، ومعلوم أن الجنائن المعلقة كانت تحتل الركن الشمالي الشرقي من القصر الجنوبي وقد أسماه المنقبون بالقصر الجنوبي نسبة إلى القصر الصيفي الذي يقع في شماله ، علماً أن كلا القصرين يقعان في الزاوية الشمالية الغربية من المدينة الشرقية .



رسم لمنطقة برج بابل (إيتمنانكي)

الجنائن المعلقة وبرج بابل

لعل الجنائن المعلقة واحدة من أعقد المشاكل عند الآثاري والمنقب ، ولكنها عند المؤرخين أقل تعقيداً ، ذلك أننا لم نعثر حتى اليوم على أدلة قاطعة حول تفاصيل الطبقات العليا لتلك الجنائن أو حتى على أدلة مادية تدعم وجود مثل ذلك البناء بحسب المواصفات التي أوردها القصاصون الإغريق ، ومما زاد من إشكالية هذا الموضوع أن المؤرخين القدامى قد خلطوا ما بين الزقورة الرسمية لبابل أي البرج المدرج (الإيتيمنانكي) وبين البناء المدرج الأصغر الثلاثي الطبقات والمغطى بالأشجار والنباتات المزهرة (الجنائن) ، التي تواجهنا بقاياها في الزاوية الشمالية الشرقية من القصر الجنوبي والتي أعتمد في بنائها على الأبعاد المثالية للمثلث المكتشفة أبعاده في مدينة شادوبوم / تل حرمل في بغداد الجديدة ، وهو النص الرياضي المعروف بنظرية تشابه المثلثات القائمة الزاوية المتشابهة المحدثة من إنزال عمود من الزاوية القائمة في مثلث قائم الزاوية على الوتر التي تسبق نظرية إقليدس من القرن الثالث ق.م بسبعة عشر قرناً ، وبما أننا لم نعثر حتى اليوم على أدلة قاطعة تدعم الحكايات الكلاسيكية القديمة ، فليس أمامنا إلا نأخذ بعين الإعتبار البناء الثلاثي الطبقات كبديل موضوعي لذلك المبنى المثير الذي نسجت عنه العديد من الروايات الإغريقية.

عندما عثر كولدفاي على أسس هذا البناء لم يتوصل أول الأمر لمعرفة الغرض منه فأطلق عليه تسمية (بيت الأقبية) الذي يتألف من ١٤ رواقاً مقبباً محاطاً بسور سميك بشكل غير مألوف مع وجود نوع من الأبار غير المعروفة في وادي الرافدين القديم ترتبط فيما بينها بمنافذ تشكل أساس نظام رفع هيدروليكي يضم سلسلة من الدلاء -Chain pump- ، وهكذا أعلن كولدفاي عام ١٩١٣ م بأن هذا البناء هو ما كان يطلق عليه سابقاً تسمية (الجنائن المعلقة) الشهيرة وذلك إعتماداً على ما ورد في كتابات المؤرخين الكلاسيكيين من أن الجنائن المعلقة قد بنيت فوق بناء مؤلف من عدة أقبية .

والحقيقة أننا لا نجد أي صدى في النصوص البابلية كما تقول الباحثة المؤرخة د. حياة إبراهيم حول القصة الرومانسية التي أختلقها القصاصون الكلاسيكيون وأشهرهم يوسفوس نقلاً عن بيروسس والتي تدعي زواج نبوخذنصر الثاني من الأميرة الميدية أموهين أبنة أشدهاك ، ولفرط محبته لها قام بعد تسع سنوات من زواجه منها ببناء الجنائن المعلقة ، وذلك من أجل إدخال السرور إلى نفس زوجته ذات التربية الجبلية ، وإذ لم تكن هنالك أموهين كما تؤكد ذلك النصوص البابلية ، فما هي حقيقة الغرض من بناء هذا الصرح الغريب على عالمنا المعاصر ؟

لقد أراد المعمار الكلداني على ما يبدو أن يبني صرحاً تتوفر فيه عوامل العزل الحراري المركزي ، بمعنى أن تقوم الجدران المركبة الخارجية بعزل مركز البناية عن عوامل الضوء والحرارة وتيارات الهواء الخارجية الساخنة ، لذلك كانت أرضية هذا البناء تحت مستوى أرضية الشارع دون غيرها من أرضيات مرافق القصر الأخرى التي كانت بمستوى أرضية الشارع ، وهذا التصميم تصميم يقترب إلى حد ما من مفهوم الأقبية / السراديب البغدادية وسراديب مدينة النجف الشهيرة أو بتعبير أدق تصميم الثرمس الذي يحتفظ بالسوائل الباردة والحارة في داخله ، ويدل ذلك أن بيت الأقبية قد تم بناؤه ليكون ثلاجة للقصر يخزن فيها الثلج

ليكون متوفراً للملك خلال أيام الصيف القائضة ولتوفير الماء البارد للطقوس الدينية علماً أن أقدم إشارة وصلتنا عن تقديم الماء المبرد للآلهة كانت قد وردت في إشارة للحاكم السومري كوديا ٢١٤٤-٢١٢٤ ق.م ، ولذلك كانت تلك الأقبية الطولانية بمثابة أقسام تؤلف بمجموعها (الثلاجة الملكية) التي كان يشرف عليها موظف كبير يسمى حامل الكأس .
إن أفضل سيناريو لوظيفة هذا المبنى هو ما قدمه الدكتور فوزي رشيد بتأثير كولدفاي ، وذلك في كتابه الموسوم (الملك نبوخذنصر الثاني) حيث نوجزه على النحو التالي : يبدأ خزن الثلج بعد جلبه من المناطق الجبلية برصفه على أرضية الأروقة حتى يصل الإرتفاع إلى حد معين عندئذ يتم تغطية الثلج المرصوص بنوع من الأحجار الكلسية التي تكون بعرض الرواق وبإرتفاع متر تقريباً ، ثم يهال على هذه الحجارة الثلج ثانية حتى يصل إلى المستوى المطلوب فيتم تغطية هذه الطبقة من الثلج بطبقة ثانية من الحجارة الكلسية وهكذا حتى يتم ملأ الرواق الأول إلى مستوى السقف ، ليبدأ خزن الثلج في الرواق الثاني ، ثم تتكرر عملية الخزن على التوالي حتى يمتليء البناء كله بالثلج ، أما في الصيف فتجري العملية عكسياً حيث يبدأ الإستهلاك بأخذ الثلج من الرواق الأول حتى ينتهي خزينه فتزاح الحجارة الكلسية ويبدأ المستهلكون بأخذ الثلج من الرواق الثاني فالثالث وهكذا بالتتابع .
وبديهي أن هنالك عدة أسباب دعت القدماء لإطلاق تسمية (الجنائن المعلقة) على هذا البناء ومنها أن هذا الأسم هو ما جاء على لسان الكاتب الكلداني برحوشا مطلع القرن الثالث ق.م -Pardisa Telie- ، ومنه أقتبس عدد من المؤرخين الكلاسيكيين تلك التسمية ومنهم سترابو ٦٤-١٩ ق.م الذي سماها -Krematos Kepos- كما سماها الكاتب الروماني كورتيوس روفس -Pensiles Horti- ودعاها المؤرخ اليهودي جوزيفوس بأسم -Pensile Paradise- ومن هذه التسميات الأخيرة التي تعني جميعاً الجنائن المعلقة أشتق الأسم الإنكليزي - The Hanging Gardens- وهو ترجمة حرفية عن الأصل الكلداني القديم والمطابق إلى حد كبير للتسمية الكلدانية الحديثة حيث أن أصل كلمة بارادايس هو برديسا الكلدانية ومرادفتها الأخرى -Ganne- إنما تعني الجنة أو حدائق عدن (المساحات الخضراء في منطقة القطر البحري) .
أما لماذا سمي بيت الأقبية هذا أو الثلاجة الملكية أصلاً بالجنائن المعلقة مع أنها كانت تتألف من ثلاث طوابق تقترب في تصميمها الخارجي من شكل زقورة أور ولاسيما طابقيها الثاني والثالث الذي يحتل مركزه مضيف ملكي بدلاً من المعبد العلوي التقليدي ، فمرد ذلك أن المعمار الكلداني جرياً على تراثه البابلي القديم حاول أن يزيد من إمكانات العزل الحراري للمبنى مع التأكيد على الناحية الجمالية للبناء وتلطيف الجو العام لمجمل منشآت القصر وذلك من خلال طلاء سطح المبنى بطبقات سميكة من القير ، مما يعزله حرارياً ويقلل من إستخدام كميات كبيرة من المياه لسقاية النباتات المزهرة المزروعة على سطوحه المدرجة ، وذلك بسبب عدم تسرب ماء السقاية إلى داخل المبنى المعزول بطبقات القار ، مما يعني كفاية الأبار الخاصة بالمبنى لتوفير المياه اللازمة للسقاية وبواسطة الدلاء حسب ، اما زراعة سطح المبنى المدرج بالأشجار والنبات المزهرة ، فقد كانت فكرة إضافية أخرى أراد منها المعمار العبقري الكلداني ضرب أكثر من عصفور بحجر واحد ، لأن وجود مثل حدائق الشرفات هذه تزيد من مستوى العزل الحراري وتلطف جو المكان الذي تزرع في محيطه ،

كما أن منظرها الخلاب يقلل من شدة التوتر العصبي ويمنح المشاهد استرخاء نفسي محبب بخاصة إذا ما وضعت فيها أقفاص الحمام والطيور المغردة ، لذلك شبه كتبة بابل تلك الحقول المعلقة في الهواء ذات النسمات العليلة والأطيار المغردة بنوع من الجنان الأرضية ، وهكذا أشتهرت تسمية الجنان المعلقة.

أما برج بابل الشهير أو زقورة بابل المعروفة بأسم الإيتيمنانكي الذي يعني أسمه كما بينا بيت أسس السماء والأرض والذي دمره الملك الأخميني أحشويرش الأول ٤٨٦-٤٦٥ ق.م ولم تفلح محاولات الإسكندر المقدوني لإعادة بنائه بسبب توقفها بعد موته المبكر ، فيعود زمن إنشاء هذا البرج بحسب الوثائق المادية المتوفرة لنا إلى النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد ، مع أن الإشارات التاريخية غير المشخصة بدقة ترجعه إلى أزمنة أقدم ، أما البناء النهائي للبرج فقد ابتدأ به الملك نبوبلاصر ووصل به إلى إرتفاع أكثر من خمسة عشر متراً لكنه لم يتمكن من إكماله فأنجز أبنه الملك نبوخذنصر الثاني طبقاته العليا .

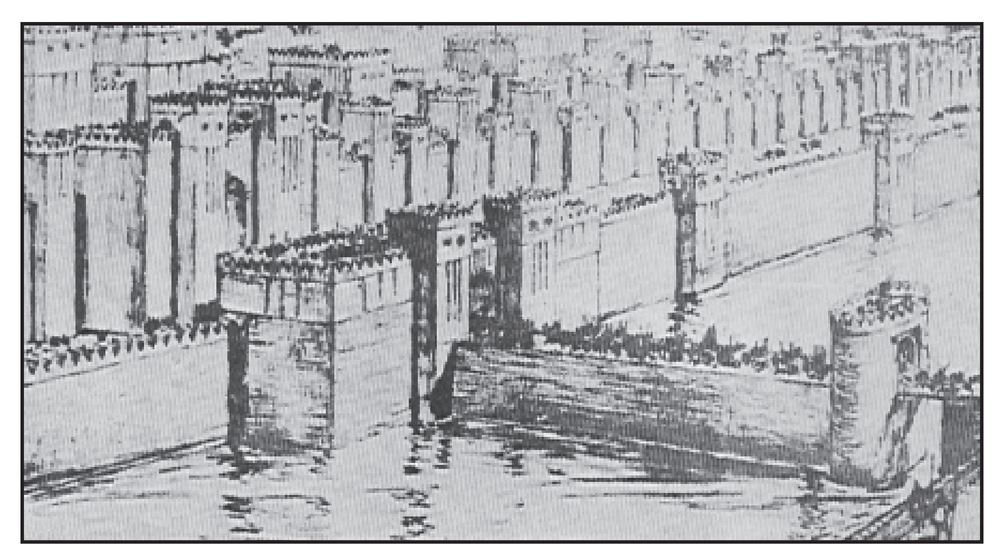
إن التصورات التي خرج بها الآثاريون والباحثون والآركيولوجيون تختلف في بعض التفاصيل ولكنها تتفق على مسائل رئيسة منها أن البرج كان يتألف من سبع طبقات مع معبد علوي وأن السلم المركزي يتجه من أرضية المبنى حتى نهاية الطابق الثاني ، ثم ليستمر عبر سلالم جانبية إلى أعلى نقطة في طابقه السابع والذي يشكل أرضية المعبد العلوي .

والحقيقة فإن معلومتنا عن البرج قد جاءتنا من أربعة مصادر وهي التنقيبات الحديثة والنص المسماري المعنون بأسم كاتبه (آنو بعل شونو) ثم المدونات الكلاسيكية وعلى رأسها نص هيرودتس ، وأخيراً ما ورد في العهد القديم والذي يعد عظيم الأهمية برغم أبتعاده عن التفاصيل المعمارية المهمة ، ذلك أن ذكره في العهد القديم هو ما جعل هذا البرج يحظى بشهرته الواسعة ولاسيما في زمننا الحاضر .

لقد تناولت العديد من الدراسات برج بابل درساً وتمحيصاً ولكن أهم المصادر التي تناولته بشكل سلس ومناسب لكل القراء هي سلسلة من الكتب الميسرة باللغة الإنكليزية لدار نشر فرانك شيفرو دار نشر تي. إيس. دينشن ودار نشر ميليكان ، أما لقراء العربية فإن أهم ما كتب عن هذا الموضوع قد أورده كتاب العالم الآثاري الألماني فريتز كريشن (عجائب الدنيا في عمارة بابل) وكتاب الباحثة د. حياة إبراهيم (نبوخذنصر الثاني) وكتاب أندرية بارو (برج بابل) وكذلك الكتاب الموسوعي لأستاذنا الكبير طه باقر الموسوم (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) ويمكن لمن يرغب في قراءة المزيد من المعلومات عن برج بابل ومعبد الأي ساكيلا أن يرجع لتلك المصادر.

يقع برج بابل -E temen an ki - في جنوب القصر الجنوبي -Al bit shar Babili- وإلى الجنوب منه يقع معبد الإي ساكيلا البابلي الشهير ، علماً أن الإيساكيلا أصلاً هو معبد قديم في مدينة الكلدان الأوائل أريدو ، ومن الجدير بالذكر أن (برج بابل) هو من نوع الأبراج المربعة القاعدة بطول ٩١،٥٥ متراً وعرض ٩١،٥٥ متراً ، وقد بني هيكله الداخلي باللبن المجفف والمغلف بآجر سميك وبغلاف يصل سمكه ١٥ متراً ، ومعلوم أن الأبراج المربعة القاعدة تعتمد نظاماً خاصاً وهو أن أرتفاع الطبقة / ريكبي فيه تساوي طوله تماماً أي أن شكل الطابق الأول العام مكعباً متساوي الأضلاع (كعبة) يطلى باللون الأسود ، لكن الإشارات التي جاءتنا حول برج بابل لم تشر إلى إرتفاع طبقته الأولى ، لذلك من المرجح

أن يكون الأرتفاع مساوياً لنصف أو ثلاثة أرباع الطول كما جاءتنا من نماذج آخرى من الأبراج المدرجة / الزقورات ، ومما يدعم إستنتاجنا هذا إرتفاع الطابق الثاني ، أنظر الرسم التوضيحي المرفق (ضمن الملاحق) .
أما الطبقات العليا للبرج فتعتمد نظاماً آخر ، وعلى سبيل المثال فإن أرتفاع الطابق الثاني يساوي ربع طول ضلع الطابق ، ثم تتناقص معدلات الإرتفاع لكل طبقة جديدة قياساً بطول ضلع الطبقة الجديدة ويشذ عن هذه النسبة المزار الإلهي العلوي ، حيث يكون مكعب الشكل وبابعاد ٢ روتة بحسب القياس البابلي لكل ضلع أي أن طول كل ضلع هو ستة أمتار بالقياس المتري ، ويمكن أرتقاء هذا البرج عن طريق السلم الرئيس غير المخصص للإستعمال العام وإنما لنزول الإله حيث يصل هذا السلم أرض البرج بقمة طبقته الثانية ، يكون عرض سلم المرحلة الأولى تسعة أمتار ، وأرتفاع السلم الرئيس مع السلالم الثانوية ٦٢ متراً ، وفي قمة البرج أي طبقته السابعة بني معبد أو مزار يسمى ساخورو -Sakhuru- لإستراحة الإله مردوخ بعد رحلته من السماء إلى الأرض حيث وضع فيها سرير ضخم مزين بزينة فاخرة ومنضدة من الذهب ولا يجرؤ أحد على دخول المزار العلوي سوى كاهنة أصطفاها الإله لخدمته ويحرم على هذه الكاهنة الإتصال بالرجال .
وقد لونت كل طبقة من طبقات المعبد بلون خاص إبتداء من الطبقة الأولى التي تمثل يوم السبت حيث لونت باللون الأسود ونسبت إلى الإله ننورتا أي كوكب زحل ، ثم الطبقة الثانية يوم الجمعة حيث لونت باللون الأبيض ونسبت إلى الإلهة عشتار أي كوكب الزهرة ، ثم الطبقة الثالثة يوم الخميس حيث لونت باللون الارجواني / أحمر ماجنتا ونسبت إلى الإله مردوخ أي كوكب المشتري ، ثم الطبقة الرابعة يوم الأربعاء حيث لونت باللون الأزرق ونسبت إلى الإله نابو أي كوكب عطارد ، ثم الطبقة الخامسة يوم الثلاثاء حيث لونت باللون القرمزي / الأحمر الفاقع ونسبت إلى الإله نركال -Nergal- أي كوكب المريخ ، ثم الطبقة السادسة يوم الأثنين حيث لونت باللون الفضي ونسبت للإله سين / ننار أي القمر ، وأخيراً الطبقة السابعة يوم الأحد حيث لونت باللون الذهبي ونسبت إلى الإله شمش أي الشمس .
وقد وضعت الطبقات الستة العليا التي تمثل أيام العمل على الطبقة السابعة التي تمثل يوم السبت وهو يوم الراحة عند البابليين القدماء ، وبديهي أن الطبقة الأرضية كانت تزين برموز الإله ننورتا وبتزويقات زخرفية منفذة بالآجر المزجج (القاشاني) -Faience / Qashani- مشتقة من الورود والطيور والحيوانات المدجنة علاوة على الاشكال الهندسية التجريدية تماماً مثلما كانت تزوق الزقورات القديمة في أور وأريدو ، وربما كانت الطبقات الثلاثة الأولى هي التي تقتصر عليها عملية الزخرفة والتزويق لأسباب عملية وجمالية ، وحول هذه الزخارف والتزويقات نستشهد بمقطع من ترجمة فايسباخ لإسطوانة نبوبلاصر الذي أستكمل الطابق الأول من البرج حيث ترد في إسطوانته : وعلى غرار أي شارا شيدت بيتاً وسط السرور والأفراح وجعلت رأسه عالياً مثل الجبل ، ولأجل سيدي مردوخ أمرت بزخرفته مثل ما كان في أيامه الخوالي ليكون مدعاة للتعجب .



رسم يصور سور مدينة بابل من الزاوية الجنوبية الغربية مع الجسر الحجري
(أية بور شابو)

لعنة بابل

مع أن بابل قد خضعت لعدد من الإحتلالات العسكرية مثلها مثل أي مدينة من مدن العالم القديم ، غير أن ما يميز هذه المدينة التي أمتازت ببهائها وسطوتها وبالكم الهائل من الأساطير التي نسجت عنها ، وبخاصة من قبل الكتاب الكلاسيكيين القدماء ، أنها قد تميزت بصفة أخرى وهيّ تحقق لعنات حماتها على من يتجرأ على إلحاق الأذى بها ، ولو قمنا بمراجعة تاريخية سريعة لوجدنا أن الملوك الذين أحتلوا بابل وقدموا فروض الطاعة لآلهتها وأحسنوا معاملة شعبها قد عاشوا حياة رغيدة ، ولعل في مقدمة هؤلاء الملوك آشور أوبالط الأول الذي لم يحتل بابل ولكنه تدخل في سياستها إلى حد الهيمنة الفعلية ، وأيضاً شلمنصر الثالث الذي دخل معبد الإيساكيلا وقدم فروض الطاعة للإله مردوخ وأقسم على أن لا يؤذي بابل أو أهلها ، ومع أنه قد ضيق على الإمارات الكلدانية في الإقليم البابلي فشهد آخر عهده نشوب ثورة الفلاحين في آشور بقيادة أبنه المدعو آشور دانن أبلي الذي لم تكتب لثورته النجاح برغم إستمرارها لمدة أربع سنوات .

في المقابل نجد أن الملوك الذين ألحقوا الأذى بمدينة بابل وبأهلها ، إما قد ماتوا ميتات عنيفة أو تعرضوا للإغتيال على يد أبنائهم أو المقربين منهم فماتوا بئس الميتة ، ومنهم توكلتي ننورتا الأول الذي سيطرٍ على بابل لمدة سبع سنوات حكم خلالها على بابل ثلاثة ملوك كشيين تابعين له ، وأيضاً الملك العيلامي شوتروك ناخونتي -Shutruknakhunte- الذي دمر بابل ونهب مسلاتها الشهيرة ومنها مسلة مانشتوسو ومسلة نرام سين / مسلة النصر وبضع مسلات تخص قوانين حمورابي الشهيرة ، فقتل أبنه الذي خلفه لحكم بابل على يدي

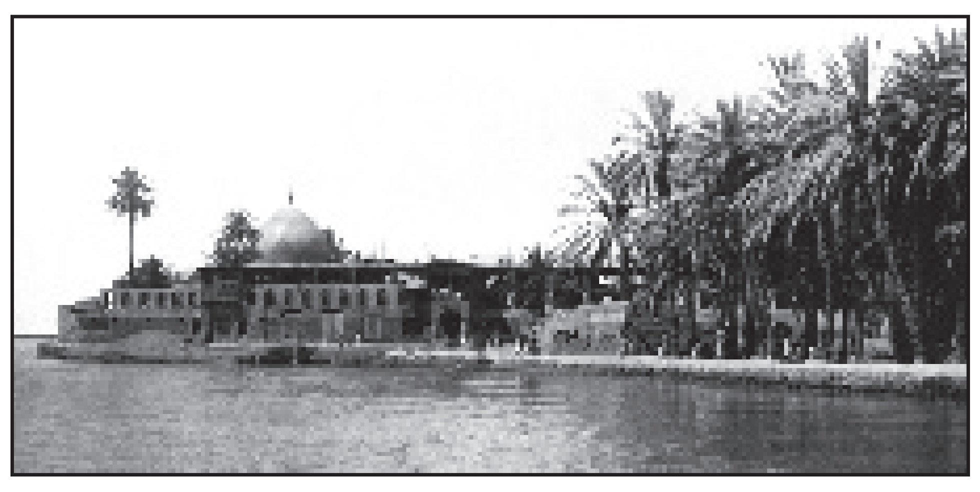
الملك إنليل نادن آخي ، وكان هذا مصير شيلاك أنشو شناك -Shelak Anshu Shinak- الذي أنهى حكم السلالة الكشية عام ١١٦٢ ق.م ، وقام بتدمير بابل ونهبها ، بل أنه تجرأ على أسر تمثال كبير الآلهة مردوخ ونقله مصفداً بالأغلال إلى عيلام ، ويعتبر هذا الأسر بمثابة الأسر الثاني للإله مردوخ بعد أسر الحثيين له قبل ذلك التاريخ بما يقرب من ٤٣٣ عام ، ومعلوم أن نبوخذنصر الأول تمكن بمساعدة قائد وحدة العربات الحربية رتي مردوخ من دحر جيوش العيلاميين في عقر دارهم وإسترداد تمثال الإله مردوخ .
وفي عهد السلالة السرجونية في إقليم آشور أتى أثنان من ملوك تلك السلالة بما لم يؤته من قبل أي ملك وطني رافدي ، وذلك عندما أقدم سنحاريب على تدمير بابل وإغراقها بمياه نهر الفرات وأرتكاب البشاعات مع أهلها فيما قام حفيده آشور بانيبال بحرقها بعد أربعين عاماً ونهبها ونهب مكتباتها ونقلها إلى آشور ، وقد أنتهى عهد الأول بإغتياله من قبل أحد أبنائه (أدرملك) جراء تدميره لبابل ، وهذا ما تؤكده حوليات أبنه أسرحدون الذي يعتقد أن ما حل بأبيه كان بسبب تجاوزه على حرمة المدينة المقدسة بابل ، لذلك سارع إلى مساعدة البابليين لإعادة إعمار بابل تدفعه إلى ذلك محبته لوالدته الكلدانية وإحترامه لقدسية المدينة ، وقد تناول الكتاب المقدس في أسفار الملوك الثاني ١٩ : ٣٦-٣٧ عملية إغتيال سنحاريب على يدي أبنه وكذلك الحرب الأهلية بين أبنائه بشيء من التفصيل ، حيث يشير الكتاب المقدس بأن ولداه أدرملك وأخيه شر أوصر إغتالاه وهو يصلي في معبد نسروخ (ربما يكون معبد مردوخ ، لأن تمثال مردوخ كان قد نقل آنذاك إلى نينوى) وهو ما يذهب إليه كل من العلامة وينكلير وكذلك أدي شير ، ويشير برحوشا في التواريخ الكلدانية البابلية إلى أن قاتله هو أردومزان وهو كما يتبين تحريف عن أسم أدرملك ، أما الأب دروم في مجلة الكتاب المقدس فيشير إلى أن أدر ملك قد قتل سنحاريب بمساعدة قائده نابو شر أوصر وكان ذلك بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ٦٨١ ق.م .
أما آشور بانيبال حارق بابل وناهب مكتباتها وقصورها فقد أكتنف الغموض سنوات حكمه الأخيرة وتردت حالته الصحية ومكانته بين الملوك ومات بطريقة غامضة عام ٦٢٧ أو ٦٢٦ ق.م !
وفي العهد الأخميني قام أحشويرش الأول بتدمير بابل ومزاراتها المقدسة ونكل بسكانها وبالمقاومة الكلدانية فكان مصيره المحتوم أن يقتله حجاب قصره عام ٤٦٥ ق.م بطريقة مهينة وبشعة .
لذلك عندما تمكن الفاتح المقدوني الإسكندر الكبير من إحتلال وادي الرافدين فأن أول ما فعله هو تقديم فروض الطاعة للإله مردوخ ووعده بجعل بابل عاصمة للعالم القديم ، وقد باشر فعلاً بإعداد مواد البناء لمشروعه الكبير هذا لكنه أصيب بالحمى ومات في غرفة نوم نبوخذنصر الثاني .
والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ، لماذا عاش الملوك الذين أكرموا بابل وأهلها عيشة هانئة تحيط بهم آيات الأبهة والإجلال فيما أنتهت حياة الملوك الذين أجرموا بحق بابل وأهلها حياة تفتقد إلى الأمن والأمان وماتوا ميتة بشعة ؟
قد تكون المسألة مصادفة حسب ، لكنها أيضاً قد تكون نتيجة لعنة ، يجوز لنا أن نسميها (لعنة بابل) !

بابل واليهود في التاريخ

مع أن المزمور ١٣٧/١٣٦ (نشيد المنفى) الذي يبدأ بعبارة : على أنهار بابل هناك جلسنا ، فبكينا عندما تذكرنا صهيون . فإن يهود السبي لم يتوعدوا بابل بالعقاب بل توعدوا أدوم التي نعتوها بأبنة بابل ، ولرب سائل يقول لماذا لم يطلب المسبيون في ذلك المزمور الحزين خراب بابل ؟

الجواب لأن بلاد بابل أولاً هي مسقط رأس اليهود ، فمن أحدى مدن بابل (أور الكلدان) خرج (أبو الأنبياء) إبراهيم (بابن أوراهم) ومن بابل أخرج ملوك أشور بعض من أهلها وأسكنوهم في مدن السامرة كما جاء في سفر الملوك الثاني ١٧ : ٢٤ ، ولأن بابل وأهلها ثانياً لم يعاملوا يهود السبي بالطريقة المهينة التي عاملهم بها المصريون ، وإلى هذه الحقائق أشار أكثر من مؤرخ وآثاري ، ويشير الأستاذ طه باقر إلى السبي الثاني لليهود قائلاً : دمرت أورشليم ودكت معالم هيكل سليمان (سفر الملوك الثاني ٢٥ : ٦-٧ وسفر الأيام الثاني ٣٦ ، ١٣-٢٠) وهذا هو السبي البابلي الثاني لليهود الذين مكثوا في بابل إلى زمن الدولة الفارسية الأخمينية حيث رجع بعضهم إلى فلسطين . ويضيف الأستاذ باقر في مقطع آخر : مما يقال عن بقاء اليهود في بلاد بابل وما تركه هذا الحضور المتميز من تأثيرات كبيرة في الديانة العبرانية وفي تطور معتقداتها الوحدانية .. فبدأ فيها أي في بابل جمع أسفار التوراة وتدوينها بين القرنين السادس والخامس ق.م (مع العلم أن سفر دانيال وفق أكثر من مصدر كان قد جمع ودون في القرن الثاني ق.م) ، وفي بابل أيضاً دون التلمود البابلي الشهير في القرنين الخامس والسادس الميلاديين .

ويؤكد المؤرخ الوزير الكاتب يوسف رزق ألله غنيمة بأن اليهود تطبعوا بعادات البابليين الذين كانوا يقدسون السبت حيث يقول : كان محظوراً على البابليين أن يطبخوا يوم السبت وأن يغيروا ثيابهم ويقدموا قرابينهم كما كان محظوراً على الملك أن يكلم الشعب في يوم السبت أو أن يركب مركبة أو أن يقوم بواجب عسكري أو مدني وأن يأخذ دواء .



مرقد عزرا الكاهن وكاتب الشريعة

وتؤكد التوراة / العهد القديم بأن أميل مردوخ / أويل مردوخ بحسب العهد القديم قد أبدى عطفاً كبيراً على اليهود وسمح ليهواقين (يائو قينا باللغة البابلية الكلدانية) بتناول الطعام على مائدة الملك طوال حياته ، كما خصص الملوك الكلدان جرايات أشبه بالضمان الإجتماعي ليهود السبي الذين لا يعملون وقد ذكر ذلك هاري ساكز في الصفحة ١٤٤ من كتابه الموسوم (عظمة بابل) الطبعة الإنكليزية ، ولم يحارب الكلدان الديانة اليهودية بل أن بعض الكلدان تحولوا عن دياناتهم الوثنية القديمة وتقبلوا اليهودية كديانة توحيدية ، وقد أشتهرت الأسر اليهودية بمزاحمتها لبنوك المعبد حيث طوروا طريقة الإئتمان المصرفي -Credit- ومن أشهر تلك العوائل المصرفية عائلة بيث مراشو في نيبور ٤٦٠-٤٠٠ ق.م التي توسعت أعمالها فأفتتحت لها فرعاً ثانياً في مدينة أوروك ثاني أكبر مدن ما بين النهرين ، كما أشتهرت عائلة مصرفية أخرى هي بيث إيقبي -Beth Eqibi- التي تمركز عملها في العاصمة بابل وقد أسس (مصرف عائلة إقبي) في عهد نبوخذنصر الثاني وأستمر بالعمل حتى عهد داريوس / دارا الأول ، ولم تكتف هذه الأسر المصرفية العريقة بالتعامل بأسلوب الأرباح والقروض الذي كان معمولاً به في المكاتب المالية الملحقة بالمعابد وإنما تحولت إلى بيوت تعنى بإستثمار الأرباح -Mutual Funds- وبالصفقات السريعة والجيدة .
وقد وصلت محبة أنبياء اليهود لبابل إلى درجة كبيرة ، فها هو ذا إشعيا النبي يقول عن بابل : بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين .. إش : ١٢-١٩ ، ويقول المؤرخ يوسف رزق الله غنيمة في الصفحة ٧٠ من كتابه الموسوم (نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق) : لم يعتبر البابليون اليهود عبيداً في منفاهم ولم يثقلوا وطأتهم عليهم بل كانوا يجاملونهم ، وكانت شرائع البلاد تجيز لهم أن يتسنموا المراتب الرفيعة في المملكة وقد كسب دانيال النبي شهرة بعيدة بين رجال الحكومة ونال منزلة سامية في القصر الملكي ، وتؤكد نصائح إرميا النبي الحظوة التي حباها الكلدان ليهود السبي التي تتجلى في أزهى صورها في إرميا ٢٩ ٤-٦ كما تتوضح أمتيازات يهواقين في ملوك ٢٥ ٢٧-٢٩ ، ولذلك عندما ملك كورش على بابل وسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين لم يهاجر منهم إلا صغار الكسبة ومجاميع من رجال الدين ، أما التجار ورجال الأعمال والزراعة فإنهم أختاروا البقاء في بابل يرتعون فيها في بحبوحة الهنا ويدأبون في زيادة ثرواتهم وإنماء غناهم كما يذهب إلى ذلك المؤرخ يوسف رزق الله غنيمة .
وقد بقيت مكانة اليهود العراقيين معززة حتى لعبت سياسات القرن الماضي وأفكار عبد الناصر وحزب البعث والظلاميون من السلفيين بمصائرهم ، أما العراقيون فقد ظلوا موحدين ومتآخين وفي ذلك يقول الشاعر الكبير جميل صدقي الزهاوي :

عاش النصارى واليهود ببقعة   والمسلمون جميعهم إخوانا

وتتأكد هذه المحبة ليهود العراق الذين عرفوا كبقية العراقيين بوفائهم للوطن في مرثية الشاعر العراقي الكبير معروف الرصافي التي يرثي فيها صديقه ساسون حسقيل أول وزير مالية في حكومة العراق الوطنية قائلاً :

نعى البرق من باريس ساسون فأغتدت   ببغداد أم المجد تبكي وتندب

حتى يقول :

فقدنا به شيخ البرلمان ينجلي ... به ليله الداجي إذا قام يخطب
وكان إذا ما قال أوجزٍ قوله ... ولكنه في فعله الخير مسهب

حتى ينهي مرثيته قائلاً :

لئن كان ، يا ساسون قد غيبك الثرى ... لذَكرك بالعلياء لا تتغيب

وكتأكيد أخير على إعتزاز اليهود بمسقط رأسهم بابل فإن عزرا الكاهن وكاتب الشريعة وقائد الإسرائيليين في رحلة رجوعهم إلى أرض الميعاد لم يرق له العيش في إسرائيل بسبب تقاليده العراقية فعاد إلى بابل ودفن فيها ، ويسمى مرقده الذي يقع بين القرنة وميشان بمرقد العزير ، كما يوجد في بلاد بابل الكبرى أي العراق مراقد حزقيال النبي الذي تسميه العامة (بذي الكفل) ويقع مرقده في قرية الكفل على بعد عشرين ميلاً جنوبي بابل ، ومرقد (يهوشع كوهين كادول) وكوهين كادول تعني في العبرية الكاهن الأكبرأو الأعظم ويسميه العامة النبي يوشع أو ربن يوشع ويقع مرقده في جانب الكرخ من مدينة بغداد قرب مدفن الشيخ معروف الكرخي ، ومرقد النبي ناحوم الألقوشي يقع بالقرب من قرية ألقوش الكلدانية وكان آخر مرة جدد فيها عام ١٧٩٦م بحسب المطران يوسف بابانا ، مع أن بتاخيا يقول أن قبر ناحوم الألقوشي يبعد عنٍ قبر باروخ بن نيري أربعة فراسخ وقبر باروخ بن نيري لا يبعد عن قبر حزقيال إلا ميلاً واحداً ، فيكون موضع قبر ناحوم على وصف هذا السائح في سهل بابل وليس جبالها .

ومع أن كتب الديانات الكبرى الثلاث قد أتفقت على أن ألله القدير قد منح أرض إسرائيل لإبراهيم ونسله من بعده (تكوين ١٥ : ٧) وكذلك سورة المائدة (٥ : ٢٠ ـ ٢١) وأيضاً سورة الأعراف (٧: ١٢٧) . إلا أن يهود العراق الذين كانوا دائماً وطنيين في مشاعرهم ومنجزاتهم ، تمسكوا بالعراق لأنه موطن أجدادهم الذين نزحوا من أور الكلدان إلى أرض الميعاد ، ولعل الشاعر اليهودي المجيد مراد ميخائيل ١٩٠٦ـ١٩٨٦م خير من يعبر عن مشاعر يهود العراق تجاه وطنهم الأم حيث يقول :

يا وطني ، يا وطني ... حبك قد تيمني
حبك أقصى مأربي ... فأنت أمي وأبي
بل مطلبي ، بل مكسبي ... ومقصدي في الزمنَ


مشهد يصور هجرة أبينا إبراهيم من أور الكلدان / بلاد بابل إلى الأرض التي وعده ألله أن تكون له ولنسله من بعده

II

الجزء الثاني

إستساغة الوهم



الإله الجبل أقدم رمز للإله الآسيوي آشور وفي الأعلى التأثير الحوري في رمزه من الألف الأول ق.م

الجزء الثاني .. إستساغة الوهم

الإله الأجنبي الآسيوي آشور / آ-أوسار

يعتقد كلدان الجبال / الآثوريون أن الإله آشور هو إله وطني رافدي مثله مثل أي إله رافدي الأصول ، كما يعتقدون بأن صفة (الآشوريون) التي أطلقت على البابليين العموريين الذين حكموا إقليم الشمال إبتداء من عاصمة حكمهم الأولى (آشور) في زمن الملك شمشي أدد الأول ١٨١٣-١٧٨١ ق.م إنما قد نعتوا بها بسبب إنتمائهم القومي للآشوريين الأوائل (الشوباريون) بناة مدينة آشور الذين لم يكونوا هم أنفسهم إلا مجاميع قبلية آسيوية مجهولة العروق ، والذين أشاعوا بعد غزوهم للشمال الرافدي عبادة هذا الإله القبلي الأجنبي في سهل نينوى (دشتا) الذي لم تكن تعبد فيه غير الآلهة السومرية الأكدية / الكلدانية القديمة ، فما هي حقيقة هذا الإله الأجنبي (آشور) وما هي علاقته بمجمع الآلهة الرافدية ؟

من المعروف لنا أن الإله آشور هو إله القبائل الجبلية الآسيوية البدوية المعروفة بأسم شوبارو ، الذين غزوا شمال الرافدين في منتصف الألف الثالث ق.م ودفعوا بالمستوطنين المحليين أي سكان الشمال الأصليين (السومريون) للتوجه نحو المناطق الجنوبية من البلاد ، ولا يعرف معنى أسم هذا الإله الأجنبي ، مع أن د. فوزي رشيد قد أقترح تسميته (أفق السماء) وهي تسمية مبتكرة وليست ترجمة دقيقة للأسم الذي يكتب بالعلامات المسمارية آ أوسار -A Usar- ، والحقيقة أن أفق السماء تسمية لمكانة أو وظيفة الإله أيا / انكي إله أسلاف الكلدان الأوائل في أريدو ، فهو الإله الموكل بفصل السماء بحسب الفلكيين الرافديين بين آنو وإنليل .

لقد كانت هنالك محاولة سابقة للعالم النمساوي الأصل الألماني الجنسية فريدريخ ديليتزخ -Friedrich Delitzsch- عمد فيها عام ١٨٩٦م إلى تفسير مقاطع أسم (الإله الآسيوي آ أوسار) وفق الألفاظ الأكدية وهي (طريقة إجتهادية) تشبه طريقة الأستاذ د. فوزي رشيد عندما فسر أسم الإله الأجنبي آشور وفق رؤيته الشخصية الإختيارية فأستخدم عبارة (أفق السماء) كمعنى دلالي ، والمعنى الأخير الذي أبتكره الأستاذ ديليتزخ كما بينت آنفاً ليس ترجمة للأسم وإنما وضع إجتهادي ، وكلا التفسيرين لا يسندهما المنطق العلمي لذلك يوردان في بعض المطبوعات والمعاجم كإجتهاد فحسب ، لكنهما من الناحية العلمية غير نافذين -Invalid-.

وبديهي أن المعجميين المحدثين والباحثين الذين ينشرون مؤلفاتهم اليوم ، أي بعد ما يقرب من قرن على تأليف الأستاذ فريدريخ لمعجمه قد أتفقوا على أن (آ أوسار) هي كتابة رمزية مسمارية غير معروفة بمعنى لا يمكن تفسيرها أو معرفة معناها ، لأن اللغة السوبارية التي لم تستخدم في شمال الرافدين هيّ لغة منقرضة لم يصلنا منها إلا أسماء بعض الشيوخ الذين حكموا من خيمهم بعض مستوطنات الشمال الزراعية إبتداء بالشيخ توديا ، ولهذا السبب ، فإننا لا نعرف المعنى الدقيق لكلمة آ أوسار (لأنها كما ثبت لنا كلمة أجنبية وليست أكدية) .

وقد وردت إشارات في مصادر سابقة إلى أن الذكر الأقدم للإله آشور الذي جُلب مع السوباريين من خارج ما بين النهرين إنما يعود إلى نحو ٢٥٠٠ ق.م وذلك بناء على توقعات

أولية للباحث والمنقب الإيطالي كلوفاني بيتيناتو -Glovani Pettinato- الذي عاد فأقترح تاريخ تقريبي آخر يقل بنحو مائة عام أو يزيد ، وقد أعتمد التاريخ الأول من قبل بعض المؤرخين لسنوات حتى أجريت على مكتشفات (مكتبة إبلا) دراسات لا حقة كان من أهمها دراسة الأستاذة كارول ميللر -Carol Miller- التي أثبتت بأن تلك المعاهدة التي أبرمت ما بين حاكم إبلا إبريوم والشيخ أو الحاكم المحلي (إنسي) آشور البدوي توديا الشوباري لا تعود لأكثر من ٢٢٠٠ إلى ٢٢٥٠ ق.م .

ومن الجدير بالذكر أن الإثباتات التاريخية توضح لنا بأن أول من بنى معبداً لآشور هو الأمير المحلي السوباري أوشبيا -Ushpia- وذلك على أصل معبد سومري قديم كان مخصصاً لعبادة الإلهة إنانا / عشتار ، ولأن الشوباريين الغزاة أستخدموا لغة سكان الإقليم المحلية (السومرية) ، لذلك أطلقوا على معبدهم أسم (أي خورزاك كوركورا) وهيّ تسمية سومرية تعني معبد جبل الأقاليم الجبلية .

ولأن مدينة آشور تقع في غربي حوض سهل نينوى الخالي من التضاريس الجبلية وبمعنى أدق أنه منطقة سهلية (دشتا) ، فإن الغاية من أسم المعبد هو للدلالة على المنطقة التي نزحوا منها ، وهو ما يتطابق واقعياً مع أسم (آ أوسار / آشور) الذي قد يعني مجازاً (سيد شوبارو أو جبل شوبارو) ، أي أنه إله مستوطن الشوباريين الأصلي الذي كان يقع آنذاك في محيط مدينة بتلس -Bitlis- التي تقع اليوم ضمن سلسلة جبال طوروس -Taurus- جنوب منطقة أرضروم ، علماً أن مفردة كور في السومرية تؤدي إلى معنيين ، حيث تعني مفردة كور (الجبل) وأيضاً (الأجنبي) .

الطريف أن البعض من المؤرخين العرب جرياً على تعريب كل ما هو غير عربي ، عمدوا في الكتابات التي تعود إلى سبعينات وثمانينات القرن المنصرم إلى إعتبار الإله آشور من الآلهة العربية !

ولأن مفهوم العربي للدلالة على حضارة وادي الرافدين القديمة لم يعد مقبولاً بعد منتصف السبعينات من القرن المنصرم ولاسيما من قبل المؤرخين الثقاة ، فقد أستبدل مصطلح العربي بمفردة (الجزري) ، لكننا رغم كل هذه المحاولات غير المجدية من قبل بعض المؤرخين العراقيين لم نستدل حتى اليوم على أي أثر لعبادته في ما تسمى اليوم بجزيرة العرب ، بل أننا لو تمحصنا في تسمية معبده الأول في إقليم الشمال لتبين لنا وبوضوح تام أصله الجبلي (الميتاني أو الحيثي) ، لكون الميتانيين والحيثيين من الأقوام الأسيوية الجبلية مثلهم مثل السوباريين ، مع أنهم كانوا أكثر تحضراً من الشوباريين ، وهو ما يدفعنا لأن نرجح كونهم من نشر عبادة هذا الإله الأجنبي أولاً في بلاد حاتي التي تعد مملكة أبلا بعضاً منها والتي ورد في وثائقها أسم هذا الإله لأول مرة في المعاهدة التي أبرمت بين الإبليين والشوباريين ، ومن خلال هذين المنفذين (بلاد ميتاني وبلاد حاتي) أو من أحدهما دخلت عبادته إلى وادي الرافدين .

ويؤكد المؤرخان جيرمي بلاك -Jeremy Black- وأنثوني كرين -Anthony Green- على الأصل الأجنبي لهذا الإله الذي شاعت عبادته بين الأقوام الآسيوية ومنهم الحيثيون والميتانيون والآشوريون الأوائل (الشوباريون) وكذلك عند الأخمينيين الذين أعادوا تشكيله ليوافق إلههم آهورا مزدا -Ahura Mazda- ، أما العراقيون القدماء ولاسيما في الإقليم البابلي فقد رفضوا تماماً عبادة هذا الإله الأجنبي فلم يدخل يوماً في طقوسهم ، بل أن

حمورابي الملك البابلي العظيم لم يدخله بين الآلهة الرافدية التي قدم شكره لها في مقدمة مسلته مع أنه شكر كل آلهة المدن التي قام بتعميرها ومنها مدينة آشور ! وذلك لتخوفه من شكر الآلهة الأجنبية .
والحقيقة أن العموريين البابليين الذين حكموا إقليم الشمال تقربوا من ذلك الإله وتقبلوه كإله رسمي جرياً على عادة السكان الوسط جنوبيين في التقرب من آلهة المدن البابلية الأخرى التي ينتقلون للعيش فيها ، ولكنهم لم يتقبلوا عبادة هذا الإله الأجنبي إلا بعد أن قاموا بإعادة تشكيله ليتوافق مع عقليتهم البابلية ، وفي ذلك يقول المفكر والمختص بالأساطير القديمة الأستاذ فراس السوح في الصفحة ٢٩٨ من كتابه الموسوم (مغامرة العقل الأولى) : بأن آشور (الذي عبده العموريين) هو نسخة عن الإله البابلي مردوخ ، ومعروف للمختصين بان العموريين الذين حكموا آشور جردوا ذلك الإله الأجنبي من جذوره الجبلية البدوية القديمة وحاولوا أن يلبسوه صفات حضارية مستمدة من أصولهم البابلية ولاسيما بعد صعود النجم السياسي لإقليم الشمال ، إذ لم يعد إله شوبارو البدائي العنيف (آ-أوسار) يتلائم مع العقلية المثقفة الجديدة للعموريين البابليين ، وبخاصة بعد ترسخ بابلية إقليم آشور (ثقافياً وإجتماعياً) على عهد ملكة آشور الكلدانية الأصل شمورآمات ، حيث اكتسحت الثقافة البابلية والآلهة البابلية إقليم آشور وأعادت لحمته مع الإقليم البابلي بعد قرون من الإنفصال الحضاري الذي عاشه الإقليم في العهدين الميتاني والحيثي اللذين تواصلا لعدة قرون .
وبعد إعادة لحمة الشمال الرافدي بالأصل الوسط جنوبي ، راح سكان آشور منذ عهد السلالة السرجونية يحتفلون بعيد أكيتو البابلي وهو عيد رأس السنة الجديدة الرسمي للإله السيد مردوخ ، ولم يكتف سكان إقليم آشور بأضفاء صفات الإله مردوخ على إلههم الأجنبي بل أمعنوا في بابليته عندما جعلوا من الإلهة صربانيتوم زوجة الإله مردوخ زوجة لآشور ومن أبن مردوخ الإله نابو إبناً له حتى تفوقت عبادة الإله البابلي نابو فيما بعد على عبادة الإله الأجنبي آشور .
والطريف هنا ، أنه برغم كل المحاولات التي حاولها سكان إقليم آشور لإضفاء صفات رافدية على إلههم الأجنبي الأصل والمستعارة من الإلهين إنليل ومردوخ منذ القرن الثالث عشر ق.م ، علاوة على محاولتهم في عهد الملك سرجون الثاني ٧٢١-٧٠٥ ق.م خلق رابطة تشد بينه وبين الإله أنشار -Anshar- والد الإله آنو -Anu- ، بقي هذا الإله معزولاً ومنعزلاً بحسب دراسات العديد من العلماء الآثاريين والمؤرخين .
ولعل خير من وصف حالة الرفض الذي جوبهت بها عبادة هذا الإله الأجنبي من قبل البابليين ، ورفضهم المطلق لإدخاله ضمن مجمع الآلهة الرافدية الشرعي هما كل من جيرمي بلاك -Jeremy Black- وأنثوني كرين -Anthony Green- حيث يقولان في الصفحة ٣٨ من كتابهم الموسوم (آلهة ، شياطين ورموز وادي الرافدين القديم / ط٢٠٠٠ م) : بقي الإله آشور (رغم كل المحاولات المستميتة المبذولة من قبل سكان إقليم الشمال) إلهاً معدوم الملامح والخصوصيات ومن دون شخصية مميزة أو تقليد ديني يخصه أو حتى أو رمز أصلي خاص به !
ومما يؤكد أجنبية هذا الإله هو أنه كان يصور أما على شكل خوذة مقرنة وهيّ إستعارة مكشوفة عن رموز الإقليم البابلي أو على شكل (هالة مجنحة أو قرص مجنح) وهو رمز

أجنبي أيضاً مع أن هنالك الآن أكثر من علامة إستفهام حول إنتساب هذا الشعار للإله آشور بدلالة الرموز الأثني عشر في خانيش -Khinnish- التي نفذت بأمر من سنحاريب حيث صور فيها رمز آشور بشكل خوذة مقرنة (رمز الإلهين آنو وإنليل) ، فيما صور الإله شمش بشكل قرص مجنح ، وبديهي أن الهالة المجنحة هيّ رمز عرفه المصريون القدماء قبل إستخدامه في بلاد آشور ، إذ كان واحداً من رموز الإله الشمس حورس / رع / آمون - رع -Horus / Ra / Amun-Ra- مثلما كان الرمز الشائع للجعل -Scarab- السماوي ، ثم أنتقل عن طريق الساحل السوري إلى الإبليين وقد عرفت نماذج منه تعود للإله تيشوب -Teshup- منذ الألف الثاني ق.م ، كما أستخدم من قبل الميتانيين ٢٥٠٠-١٢٧٠ ق.م حيث عبد بأسم مترا -Mitra- الذي يلوح جلياً في أختامهم الإسطوانية ١٤٥٠-١٢٧٠ ق.م وكذلك في أعمال النقش في الذهب ، علماً أن إعتماده من قبل الحثيين والميتانيين / الخوريين قد لا يكون مصدره مصر وإنما الهند أو أواسط آسيا ، ولكنه في كل الأحوال قد عرف في مصر وحوض الإندوس منذ أواخر الألف الثالث ق.م ومطلع الألف الثاني ق.م ، أي قبل إستخدامه في إقليم آشور مطلع الألف الأول ق.م وشيوعه في كلخو في القرن التاسع ق.م بقرون عديدة .

ومن أفضل الأمثلة التي توضح التأثير الحوري على سكان إقليم الشمال الرافدي ما أورده مورتكات على الصفحة ٣٣٣ من كتابه الموسوم (الفن في العراق القديم) حيث يوضح مورتكات بشكل واقعي إنتقال هذا الرمز الأجنبي من الأختام الحورية إلى الأختام المنفذة في شمال الرافدين إبان العصر الوسيط لإقليم آشور ، ويشير إلى ذلك المؤرخ والآثاري المعروف وأحد مؤسسي المتحف العراقي سيتون لويد -Seton Lloyd- في كتابه الشهير (فن الشرق الأدنى القديم) وعلى الصفحة ١٥٦ حيث يوضح حقيقة الأصل الأجنبي لهذا الإله مؤكداً على أنه (من بنات أفكار الميتانيين عن الكون) ، وقد أشتهر هذا الرمز في مجمع الآلهة الهندية -Indic- والآلهة الآسيوية التي يصطلح على تسميتها أحياناً بأسم -Vedik- قبل إستخدامه في إقليم آشور ، كما لا يخفي لويد في صفحة ٢٠٦ تأثر سكان إقليم آشور بسبب من علاقتهم الوطيدة بالحثيين بالفنون والمعتقدات (الدينية) الحثية .

والحقيقة يمكننا اليوم أن نحدد ثلاثة مراحل تطورية (إستعارية) لرموز هذا الإله الأجنبي وهيّ على النحو التالي :

-١ المرحلة الأولى تتمثل في إستعارة الغزاة الجبليين (الشوباريون) بسبب تخلفهم الثقافي للمعنى الرمزي الخاص بالإله السومري كور (الإله جبل العالم السفلي / الجحيم) للتعبير بتأثيرات فنية هندوأوربية عن إلههم الآسيوي آ-أوسار (سيد شوبارو أو جبل شوبارو) مجازاً ، وذلك بعد غزوهم للشمال السومري ، ومما يدعم هذا الرأي أننا لم نعرف رمز الإله الجبل بشكله الشمالي (رجل بلباس وخوذة ترمز للجبل) إلا داخل حدود إقليم آشور ، ولعل المنحوتة الموجودة في متحف برلين من الألف الثاني ق.م والتي عثر عليها في بئر معبد آشور أصدق تصوير لهذا الرمز الأجنبي وهو ما يؤكده مورتكات .

-٢ المرحلة الثانية وتتمثل في تصوير الإله آشور وفق تأثيرات العقائد الميتانية والحيثية (بين القرنين الخامس والرابع عشر ق.م) وكذلك العقلية المصرية بعد خضوع الإقليم لحكم الفرعون أمينحوتب الثالث -Amenhotep III- منتصف القرن الرابع عشر ق.م ، علاوة على التأثيرات الحيثية إبان الفترات المظلمة التي مر بها الإقليم والتي أنتهت عام ٩١٢ ق.م

، حيث أستبدل رمز الإله آشور منذ القرن التاسع ق.م بالرمز الميتاني الحيثي (المحارب داخل الهالة المجنحة) ولعل خير الأمثلة على ذلك ما جاءنا منها من آشور وكلخو القرن التاسع ق.م .

-٣ المرحلة الإستعارية الثالثة جاءتنا من عهد السلالة السرجونية حيث تم إستبدال الشعار الأجنبي للإله الشوباري آشور برمز رافدي شهير هو الخوذة المقرنة رمز الإلهين الشهيرين في الإقليم البابلي (آنو وإنليل) ومع ذلك لم تتخلص العقلية الشمالية من التأثيرات المصرية والهندوأوربية حيث صور الإله شمش في العديد من مسلات الإقليم الآشوري بشكل قرص مجنح .

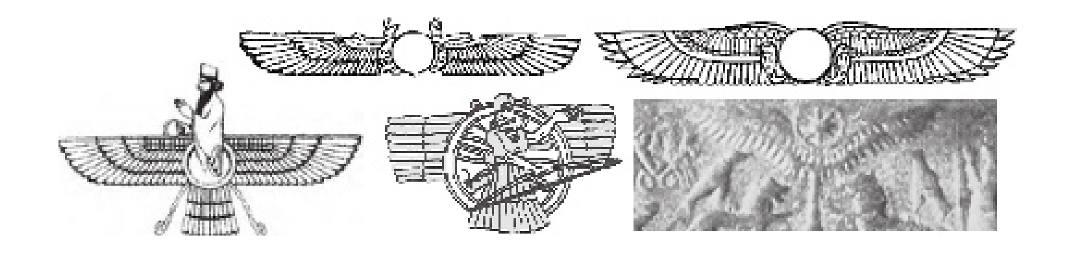
وبعد إنقراض الدولة الآشورية نبذ الرافديون الشماليون عبادة هذا الإله الأجنبي ولكن الأخمينيون (هندوأوربيون) أعادوا هذا الرمز الهندوأوربي إلى الحياة بشكل إلههم الوطني آهورامزدا الذي صار ينحت كهالة مجنحة أو كرام للقوس في القرص المجنح أو بشكل زوروأستير / أصل زرادشت -Zoroaster- أو هوار خاشيتا -Hvar Khashitai- إله الشمس الإيراني القديم الذي يصور بشكل هالة مجنحة وهو ذات الشعار الميتاني الأصل -Mithra- الذي أستخدم في عهد الدولة الآشورية لتمثيل الإله شمش وبخاصة في عهد السلالة السرجونية التي أستبدلت الرمز الحوري المصري برمز الخوذة المقرنة الرافدي ، كما عاد الرمز المصري الحوري في الإستخدام ثانية بأسم زرادشت -Zarathushtra- عن طريق الفرثيين الهندأوربيين الذين أعادوه إلى شمال الرافدين وتحديداً إلى مدينة حلفائهم في حترا القريبة من مدينة آشور المنقرضة وقتذاك ، حيث تمت عبادته كإله ثانوي بأسم آشر- بيل بعد مثلث آلهة حترا الرئيس (مارن / سيدنا ومارتان / سيدتنا وبرمارين / أبن سيدينا) ، كما عبد قرص الشمس المجنح أيضاً في حلف / كوزانا وبارسيب -Barsip- في سوريا ، بينما لم يعبد على الإطلاق في الإقليم البابلي الذي ظل محافظاً على التقاليد الرافدية القديمة .

ومن البديهي أن هنالك العديد من الآلهة الهندوأوربية والآسيوية علاوة على الآلهة المصرية القديمة التي رمز لها بقرص مجنح أو بمحارب داخل قرص مجنح والتي سبقت إستخدام السلالة السرجونية له بين بضعة قرون إلى ما يزيد على ألف عام ، وهو ما يؤكد أجنبية رمز الإله آشور الذي لم يعتمد مطلقاً في الإقليم البابلي الذي يعد المصدر الرئيس والشرعي لكافة الآلهة الرافدية المعروفة .

والجدير بالذكر هنا، أنه على العكس تماماً من رفض البابليين عبادة الإله الأجنبي آشور ، فأن الإله البابلي الوطني مردوخ قد عبد بشكل واسع النطاق في إقليم الشمال منذ القرن الرابع عشر ق.م بسبب التواجد العموري البابلي الأصل ، وأزدادت عبادته إتساعاً على عهد توكلتي ننورتا الأول ١٢٤٣-١٢٠٧ ق.م الذي نقل تمثال مردوخ إلى آشور لكسر شوكة البابليين السياسية ، ولكن ما حدث هو العكس تماماً ، إذ راح سكان آشور ولاسيما الوافدون والمهجرون منهم من الإقليم البابلي إلى تقديم فروض العبادة لإله بابل الرسمي حتى صارت أسماؤه الحسنى المزدوجة الخمسون تتردد على ألسنة سكان إقليم الشمال جميعاً وذلك بسبب من شعبيته كإله وطني رافدي ، بل أن رمزه الإلهي صار ينحت في عهد السلالة السرجونية مع رموز الآلهة الكبار لإقليم آشور كما في مسلة أسرحدون الذي عثر عليها في سمعال / زنجرلي .

وإثباتاً لأهمية الإله مردوخ حتى بين أفراد الأسرة الحاكمة ، فإن إغتيال سنحاريب لم يحدث في معبد آشور وإنما تم في معبد الإله مردوخ ، حيث كان سنحاريب راكعاً هنالك وهو يؤدي صلاة الصبح فأنهال عليه أبنه أدر ملك بسيفه وقتله ، وكتأكيد قاطع وأخير على أهمية مكانة الإله مردوخ لدى سكان إقليم آشور البابليو الأصل بشكل عام وملوك العائلة السرجونية بشكل خاص ، فأن آشور بانيبال أدعى في حولياته وبشكل مناف للتقاليد المتبعة في إقليم آشور ، بأن الفضل في توليه حكم الدولة الآشورية إنما يعود لرضا الإله مردوخ عليه ، وهو ما يعطي الإله مردوخ مكانة متقدمة وينتقص في نفس الوقت من مكانة إله إقليم الشمال التقليدي (آشور) ، وهذا ما تثبته جوان أوتس في الصفحة ١٢١ من كتابها الموسوم بابل ط إ نقلاً عن حوليات الملك آشور بانيبال .

وهكذا يتبين لنا بأن عبادة الإله الأجنبي (آشور) قد ولدت على يد أقوام آسيوية أجنبية غازية (الشوباريون) وأنتهت على يد أقوام هندوأوربية أجنبية غازية (الميديون) ، وبديهي أيضاً أن هذا الإله الآسيوي الأصل برغم كل ما أسبغت عليه من مواصفات رافدية ولاسيما في عهد السلالة السرجونية ، وبرغم تمجيده كإله حروب من قبل حكام آشور طوال فترة تواجده في إقليم الشمال إلى جانب الإلهة عشتار ، إلا أنه لم يشكل مركز ثقل لدى الرافديين القدماء أحفاد الكلدان الأوائل سواء كانوا من سكان الإقليم البابلي أو من عامة الشعب في إقليم آشور ، وهكذا ولد الإله آشور غريباً وأجنبياً ومات دخيلاً وأجنبياً ، فجرد من صفاته الرافدية المنتحلة عن إله بابل الشرعي مردوخ ، ثم طواه النسيان أثر عودة الشرعية إلى بابل ، بعد ثلاثة قرون من تذبذب إقليم بابل ما بين إنكسار ونجاح .



مجموعة من الرموز التي تصور تأثير عقائد الشعوب الأجنبية في تكوين رمز الإله الشوباري آشور

الثرى والثريا
بين الشوباريين بناة مدينة آشور والعموريين البابليين مؤسسو دولة آشور

في كتابه الموسوم (من نحن) يقول الكاتب الإيراني بيرة سرس : نحن الآشوريين القاطنين في إيران والعراق لسنا سرياناً ، كما أن لغتنا بأي حال من الأحوال ليست سريانية ؟!
وفي مجلة (بهرو سوريويو) يؤكد السيد بدروس كيفا في موضوعه (أبحاث وقضايا معاصرة) إلى أن الآشوريين ليسوا من الأرومة الآرامية بل أنهم شعب مستقل مثل السومريين .
والحقيقة برغم ما قد تثيره كتابات هذين الكاتبين المتخصصين في الشؤون الآشورية (مصطلح سياسي) من علامات إستفهام لدى العامة وغير المختصين إلا أنهما لم يجانبا الصواب ، ذلك أن الآشوريين الأوائل هم شعب آسيوي من الأرومة الهندو-أوربية وأسمهم القديم الذي يتفاخرون به هو شوبارو أو سوبارتو -Shubaru- وهم قبائل بدوية مقاتلة بربرية من منطقة جبال بتليس ، أقتحمت شمال الرافدين الذي كان يقطنه المزارعون السومريون في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد وأستقروا هناك .
وإلى هذه الحقيقة (الشمال السومري) ، يشير الوزير الكاتب والمؤرخ يوسف رزق ألله غنيمة قائلاً : أثبتت التنقيبات التي قام بها الألمان بين سنة ١٩٠٣ و١٩١٤م بأن سكان (إقليم) آشور القدماء لم يكونوا ساميين (تسمية أبتكرها المؤرخ اليهودي شلوتزر عام ١٨٧١م) بل شمريين (سومريين) .
وبديهي أن المعنى من كلام الأستاذ المؤرخ يوسف غنيمة والذي يؤكده الباحث الآثاري نورمان بانكروفت هنت -Norman Bancroft Hunt- هو أن شمال الرافدين كان أصلاً موطن الشمريين (السومريون) ، لكن قبائل البدو الشوبارية غزته على مراحل زمنية متفاوتة وطويلة كان آخرها في حدود ٢٢٥٠ ق.م ، ولطبيعتهم البدوية فقد عاشوا في الخيام أي أنها لم يعرفوا المدنية بل تسلطوا على رقاب المزارعين السومريين سكان المستوطنات الريفية الزراعية الشمالية ، ولتأكيد حضورهم في المنطقة فقد أرتبطوا بمعاهدة تحالف مع مملكة أبلا وهيّ المعاهدة التي أبرمت ما بين حاكم (إبلا) إبريوم وإنسي آشور توديا السوباري والتي لا تعود لأكثر من ٢٢٠٠ إلى ٢٢٥٠ ق.م ، وفي تلك المعاهدة ، تعهد الشيخ الشوباري توديا (وهو أول شيخ في جدول حكم الشيوخ الشوباريين سكنة الخيام) لحاكم دولة مدينة أبلا إبريوم بعدم مهاجمة القوافل الإبلية شرط أن لا يخضع الشوباريون للحكم الإبلي المباشر ، ولكن سرعان ما تنصل الإبليون من إلتزاماتهم ، حيث قام (إيبي سيبش) أبن الملك إبريوم بإحتلال ذلك المستوطن السوباري وضمه لمملكة إبلا ، حتى تمكن سرجون الأكدي من طرد الإيبليين من ذلك المستوطن الزراعي السومري الأصول ، ثم تمكن حفيده نرام سين من القضاء على دولة المدينة (إبلا) وضمها للإمبراطورية الأكدية .
وما يهمنا هنا أن الهجرات الواسعة للشوباريين وقلة الحاصل الزراعي في القسم الشمالي من العراق بسبب عامل التنافس على الأراضي المعدة للزراعة (المحدودة أصلاً) والتي كانت تعتمد أسلوب سقاية الديم علاوة على الضرائب (الأتاوات) التي كان الغزاة الشوباريون يجبونها من المزارعين السومريين ، والتي كانت عادة ما تطبق بأسلوب همجي يناسب عقليتهم البدوية ، مما أدى إلى هجرة السومريين في موجات بشرية مكثفة إلى مستوطن

الكلدان التاريخي (وسطجنوب الرافدين) ومن تمازج معارفهم ولدت أول حضارة بشرية ، تمكن السومريون من الأخذ بزمامها لزمن بسبب داينميكيتهم وثقلهم العددي في المناطق التي استوطنوها ، قبل أن يسلموا قيادهم لأحفاد الكلدان الأوائل (سلالتي كيش وأكد) ، فالكلدان الجدد (السلالات البابلية بإستثناء السلالة الكشية) .
ويمكن تشبيه ما حدث في وسط وجنوب العراق في عهد التمازج السومري بالكلدان الأوائل ، بما حصل في عصر الهجرات المكثفة لمجاميع البلقانيين المنحدرين من القبائل الاليرية البدوية المقاتلة وإحتلالهم لمستوطنات التراقوفريجيين الذين دفعت جموعهم بدورها شعوب ما تسمى بالدوريانيين والآيونيين والآيوليين للهجرة إلى شبه الجزيرة الهلينية والقضاء على الأمبراطوريةالآخية / المسينية في الحرب التي خلدتها الألياذة والمعروفة بحرب طروادة ، وهكذا فقد تمكنت قبائل الغزاة السوباريين (الآشوريون الأصليون) من دفع السومريين إلى الهجرة نحو الجنوب بأعداد كبيرة .
ولو أمعنا النظر في شمال الرافدين محور إهتمامنا هنا ، فأنه يمكننا تشبيه ما حدث فيه جراء هجرة القبائل الشوبارية الآسيوية المقاتلة (بناة مدينة آشور) تماماً بما حصل أثر هجرة الشعوب الإيجية المعروفة بأسم البلسيت -Palsit- وبالبابلية -Palastu- من مستوطنهم الأم -Philistia- في أبيروس إلى الساحل السوري القديم الذي يمتد إلى شبه جزيرة سيناء وتأسيسهم لدولتهم الفلسطينية -Palastine- في القرن الثالث عشر ق.م على حساب الكنعانيين الغربيين ، وهو ما حدث تفصيلياً في المستوطن الزراعي السومري القديم الذي كان سكانه السومريون يمارسون فيه حياتهم اليومية ويتعبدون فيه للإلهة السومرية البابلية (إننانا / عشتار) ، حيث تمكنت الأقوام السوبارية من فرض إلهها المحلي الجبلي الآسيوي (آشور / لا يعرف معناه) على المزارعين السومريين ، وبالتالي أستبدال المعبد السومري المخصص للآلهة إننانا بمعبد خصص للإله آشور في عهد الحاكم السوباري المحلي (أوشبيا) ، ومن هذا الإله أستمد ذلك المستوطن السومري أسمه الذي عرف به (آ-أوسار) الذي يتألف من علامات ليست سومرية أو أكدية بصورة قاطعة ، مع أنها تبدو أقرب إلى السومرية في شكلها الرمزي ربما بسبب إستخدام الشوباريين للغة السومرية .
وفي عهد الحاكم المحلي السوباري (كيكيا) بحدود ٢٠٠٠ ق.م تم بناء سور ذلك المستوطن الزراعي فتحول إلى مدينة صغيرة ، ظلت تلك المدينة على هامش التاريخ الرافدي حتى أحتلها الملك العموري البابلي الأصل (شمشي أدد الأول وقرر أن يجعل منها عاصمة لمملكته) ، وهنا يوضح الكاتب الآثوري المعروف إيشو مالك خليل جوارا في ص١٣ من كتابه الموسوم (الآشوريون في التاريخ) فيقول : كانت بلاد الرافدين منذ أقدم العصور تضم القسم الشمالي ، ولم تطبع بأسم آشور بإستثناء آشور العاصمة إلا بعد ظهور المملكة الآشورية (أي بعد تأسيس سلالة شمشي أدد الأول وذلك عام ١٨١٣ ق.م) .
ومن تسمية تلك المدينة أخذت مملكة شمشي أدد الأول حفيد الكلدان الأوائل الوسط جنوبيين تسمية الدولة الآشورية ، ولو كان الملك شمشي أدد الأول قد أختار عاصمة لمملكته مدينة أخرى كنينوى التي أستقر فيها لاحقاً لتسمت مملكته تلك بأسم تلك المدينة (أي المملكة النينوية) ولما عرف التاريخ دولة بأسم آشور ولما إدعى اليوم أخوتنا الآثوريون من كلدان الجبال العائدين من تياري وحكاري وأورميا بهذه التسمية الأجنبية الآسيوية التي أبتكرها لهم

رئيس أساقفة كانتربري ، وذلك حينما أوفد لكلدان حكاري الجبليين وفداً بهذا الخصوص عام ١٨٨٦ م ، وطبعاً لم يكن دافع الإنكليز ولا رئيس أساقفتهم مصلحة كلدان الجبال الآثوريين ، ذلك انهم سرعان ما تخلوا عنهم بعد أن أستخدموهم كورقة لتمرير السياسة البريطانية في وادي الرافدين والشرق الأوسط ، ولم ينجهم من الإبادة إلا كلدان الرافدين الألاقشة .
وبرغم أن هنالك من لا يريد أن يعترف بهذه الحقيقة الناصعة كالشمس ، إلا أنها نادراً ما تذكر بشكل عرضي أو بسبب عدم إنتباه الكاتب لأهمية ما يعنيه إيراد مثل هذه الحقيقة على مجمل طروحاته ، وهكذا نجد أن الكاتب المحامي د. جميل ميخا شعيوكا في كتابه الموسوم (أقليات شمال العراق بين القانون والسياسة) الذي حاول فيه الترويج لأفكار حركته السياسية عبرتسويق نظرية آشورية كلدان وادي الرافدين قد وقع في خطأ قاتل في الصفحة ٧٣ عندما قال : قبل مائة وثلاثين سنة تقريباً أبدل أسم النساطرة (طائفة دينية) إلى الآثوريين ، ثم يمعن في تأكيد أن التسمية الآثورية المستحدثة هي نتيجة لعبة سياسية بقوله في ذات الصفحة : وهكذا نرى كيف لعبت الأيادي الأجنبية (الإنكليز) في تمزيق وحدة الشعب وجعله شتات متوزعة التسميات المذهبية الأمر الذي أدى إلى ضياع هويته القومية الصحيحة كأبناء العراق تمتد جذورهم إلى بابل ونينوى . ومرة ثالثة يؤكد دون أن يعلم ليس على طائفية الآثوريين حسب وإنما على أصلهم الكلداني ذلك أن بابل (المدينة الأقدم) كانت كما بينا بالدليل العلمي مستوطن الكلدان الأوائل بعد الطوفان وفخر الكلدان القدماء من بعدهم .
كما أن مدينة ننوى ومعناها السمكة ، التي يعتقد بأنها قد بنيت من قبل آثور أبن نمرود ملك بابل وفق العهد القديم (بمعنى بنيت على يد البابليين) ، أما وفق المدونات المادية التاريخية التي يعتمدها المؤرخون فإنها كلدانية الأصل وذلك ليس لأن أسمها مشتق من أسم مدينة في الإقليم البابلي ، وإنما لأنها المدينة التي أختارها شمشي أدد الأول البابلي الأصل المنحدر عن الكلدان الأوائل كعاصمة نهائية لمملكته وقام بتعميرها .
وتأكيداً على هذه الحقيقة (عدم إنتماء عموريي إشنونا وغيرهم من البابليين المنحدرين عن الكلدان الأوائل ومن تلاهم من رافديين قطنوا لاحقاً في إقليم آشور عرقياً بالشوباريين) ، يؤكد المؤرخ أوبنهايم في كتابه الموسوم بلاد الرافدين على الصفحتين ٢٠٤-٢٠٥ ط ع : يسود التاريخ الآشوري تباين واضح حيث تختلف الفترات الواقعة قبل العصر المظلم (الشوباري) وبعده (العموري البابلي) في مجالات أساسية (سكانية ولغوية) ، ويستطرد في مكان آخر أن شمشي أدد الأول كان فاتحاً أجنبياً (قياساً بالشوباريين الآسيويين) أغتصب آشور(مدينة الشوباريين) وحاول خلق دولة أقليمية .
أما نيكولاس بوستيغت في كتابه الموسوم الإمبراطوريات الأولى فيقول عن حكم شمشي أدد الأول وسلالته العمورية التي أسست دولة آشور: إن هؤلاء العموريين لم يحاولوا السيطرة على شؤون المدينة (آشور) الداخلية ، وكانت عاصمتهم الإدارية شمالي المدينة آشور على الضفة الأخرى من النهر في إيكالات -Ekallate- ، ورغم أنهم تبنوا التاريخ المحلي الآشوري إلا أنهم كتبوا بالقلم البابلي وتحدثوا باللغة البابلية .
ويعزز هذا حقيقة الفاصل التاريخي بين الشوباريين / الآشوريين الأوائل الذين هيمنوا على المنطقة عسكرياً ثم أنصهروا بالسكان المحليين في العهد التاريخي المجهول التفاصيل لإقليم الشمال وبين السلالات اللاحقة التي حملت التسمية الآشورية نسبة لآشور العاصمة المقدسة

لإقليم الشمال .
وحري بالذكر أن شمشي أدد الأول عند إحتلاله لمدينة آشور السوبارية (قبل إنتقاله إلى نينوى) لم يبن معبداً (لإله المدينة الأجنبي آشور) ، وإنما بنى بسبب من إنتمائه البابلي معبداً (لإله بابل الكبير إنليل / إيليل) وعندما أنتهى من بنائه قال : لقد أطلقت عليك أسم (المعبد الذي هو الثور البري للبلاد / إيما كور كورا) معبد الإله إنليل سيدي داخل مدينتي آشور .. المصدر مجلد سومر رقم ٤١ ص٦٢ بقلم العالم الآثاري يواخيم كيرخر ، وبالمناسبة أيضاً ، بعد إنتقال شمشي أدد الأول للسكن في نينوى فإنه لم يبن معبداً للإله الأجنبي آشور ، وإنما أعاد بناء معبد الإلهة عشتار (حامية أكد / بابل) والذي كان مانشتوسو أبن سرجون الكلدي إمبراطور أكد أول من بناه .
كما أن شمشي أدد الأول بسبب من أصوله البابلية ، كان أول ملك لإقليم الشمال يستخدم اللقب الأكدي -Shar kishat matati- ملك جميع الأقطار وكذلك اللقب الأكدي -Shar-kishshati- بمعنى ملك العالم المستمد من أسم مدينة كيش البابلية ثاني عواصم الكلدان الأوائل ، وهو ما يؤكد بأن مؤسس الدولة الآشورية القديمة (نسبة للعاصمة الشوبارية الأصل آشور) لم يكن آشورياً ، وبمعنى أدق لم يكن ملكاً شوبارياً آسيوياً بل كان ينحدر عن الكلدان القدماء أحفاد الكلدان الأوائل أي السكان الأصليين للإقليم البابلي كما بينا في الجزء الأول من الكتاب .. حول آشور ومدن إقليم الشمال راجع التفاصيل في كتاب نينوى لعالم الآشوريات الدكتور طارق مظلوم والمنقب الآثاري علي محمد مهدي .
ولعل خير ما يوضح هذه الصورة ، أي إنعدام العلاقة العرقية ما بين الآشوريين الأوائل / الشوباريين بناة مدينة آشور ومن تلاهم في حكم المنطقة ممن تسموا أو تكنوا بالتسمية الآشورية من العموريين الوسط جنوبيين الأصل منذ عهد شمشي أدد الأول ، هو أن أثبات الملوك الآشوريين بمعنى حكام دولة آشور منذ أقدم أزمان تاريخهم كما يقول الأستاذ طه باقر في مؤلفه (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) يهمل الفترة الشوبارية الأجنبية ويبدأ عادة بفترة حكم شمشي أدد الأول ، وهو ما يتوافق جملة وتفصيلاً مع أثبات اللمو -Limmu- للدولة الآشورية .
ومن أهم هذه الأثباتات التاريخية ثبت خرسباد -Khorsabad- وثبت الملوك المتعاصرين -Synchronistic history- وفي جميع الحالات فإن مؤرخي الدولة الآشورية لم يدخلوا ضمن تاريخهم السلالي عهد الغزاة السوباريين أي ملوك الخيام الآسيويين الذين أسسوا مدينة آشور ، التي أعطت (مدينة آشور) أو إله الغزاة المحلي للمنطقة وسكانها تلك التسمية الأجنبية الدخيلة .
ومعلوم أن عهد هؤلاء الغزاة يبدأ مع شيخهم البدوي توديا -Tudiya- بحدود القرن الثالث والعشرين ق.م ثم يستمر إلى عهد شيخهم ذو التسلسل رقم ٣٠ وأعني به بوزر آشور -Puzur Assur- في حدود ١٩٦٠ق.م وهو خليفة الشيخ آكيا -Akia- الذي حكم في حدود ٢٠٠٠ / ١٩٨٠ ق.م ، ذلك أن الحكام الأثني عشر الذين ينسبون إلى الفترة الأخيرة من العصر الشوباري / الآشوري الأول والذين حكموا مستوطنات الشمال الزراعية تلك منذ صوليلي -Sulili- حتى آخر الحكام المحليين إيري شوم الثاني -Eri Shum II- الذي قضى عليه الملك العموري الأصل شمشي أدد الأول ، ما هم في ضوء إنعدام المدونات

والمعلومات الآثارية الدقيقة ، إلا رافديين ظهروا على السوباريين بسبب ضعف السوباريين عهدذاك فحكموا كحكام محليين أو كأمراء يحكمون نيابة عن ملوك السلالات الرافدية الوسط جنوبية ، ولهذا نجد أن تسلسل الحاكم رقم ٣٧ من حكام تلك المنطقة يتطابق في الأسم تحديداً ، وأحياناً في الأسم والفترة التاريخية المتقاربة مع الملك الإيشنوني نرام سين -Naram-Sin- أو الملك الأكدي نرام سين ، ومما يدعم هذا الرأي هو العثور على النصف السفلي من تمثال نحاسي يعود للملك نرام سين الكلدي حفيد الملك سرجون إمبراطور أكد في موقع يقع بين قرية باسطي ومنطقة الكلي وكذلك عثر له على مسلة في نينوى .

إلا أننا لا بد وأن نأخذ بنظر الإعتبار الإحتمال الآخر ، وهو أن بعض من هؤلاء الحكام الأثني عشر وبخاصة الستة الأوائل منهم ربما كانوا شيوخاً شوباريين تسموا بتسميات رافدية محلية بسبب تمازج الشوباريين الشديد بالعناصر الرافدية المحلية كما يذهب إلى ذلك الباحث جيمس كرستيان -James Christian- في بحثه الشهير حول ملك كيش الكلدي الشهير ميشالم ، كما يجوز تداخل الإحتمالين .

وما يهمنا هنا ، هو تأكيد الحقيقة الناصعة التي مفادها ، أن دولة آشور قد أسستها في الواقع منجزات حكام رافديين غير آشوريين وبمعنى أدق غير شوباريين ، وهذا ما يؤكده أيضاً عدد كبير من المؤرخين ومنهم المؤرخ (الآثوري) الروسي المولد قسطنطين ماتفيف الذي يوضح التالي : في العهد البابلي القديم توجهت موجة أخرى من العموريين الذين ينحدرون عن الكلدان الأوائل / الرافديون الأوائل نحو تلك المدينة (آشور) وتمكنوا من الإستحواذ عليها ودفع العدد الأكبرمن جموع السوبارتو (شوبارو) إلى خارج الحدود وبالتالي تأسيس مملكة جديدة كانت عاصمتها آشور ، ويستطرد أيضاً : أسس الخارجون من بابل (أحفاد الكلدان الأوائل) موطناً لهم في شمال ما بين النهرين كانت أكبرمدنهم آشور . ويقول في موقع آخر : ينتسب الآشوريون ويقصد هنا (العموريون ومنهم آثوريو اليوم) إلى مجموعة الشعوب السامية ويرجعون إلى البابليين .

ويثبت هذه الحقيقة أيضاً مؤرخ آثوري آخر هو إيشو مالك خليل جوارا في كتابه الموسوم (الآشوريون في التاريخ) ص١١ الذي يشير فيها إلى هجرة من يتسمون بالآشوريين العموريين من مسقط رأسهم في بابل التي يسميها سهل شنعار -Shinar- وهيّ تسمية كتابية تعني بلاد كلدو .

المثير للإستغراب حقاً هذا التشبث الغريب بالوهم القومي الآشوري ، رغم إتفاق جميع المؤرخين الأكاديميين والكتابيين وبالإجماع على أن أصل مؤسسو مملكة آشور سواء على عهد نمرود (كتابياً) أو عهد شمشي أدد الأول (مادياً) هم أصلاً من البابليين أحفاد الكلدان الأوائل الذين تسموا بتسميات مختلفة نسبة للموضع الجغرافي الذي قطنوه ، وأقصد هنا تحديداً آشور المدينة التي طبعت الإقليم لبعض الوقت بهذه التسمية اللاحقة للإستيطان ، والتي لا تحمل مطلقاً أي مدلول قومي ، ناهيكم عن حقيقة أن ملوك آشور العموريين ، مختلفون لغةً وعرقاً عن الشوباريين (الآشوريون الأصليون) الذين أخذ مستوطن آشور (المدينة لاحقاً) عن قبائلهم الآسيوية الغازية أو عن إلاههم الآسيوي تسميته الإقليمية ؟

وإذا ما كان الآشوريون الأوائل (الشوباريون) أجانب يتفاخرون بالأسم الوثني لإلههم الجبلي المحلي (آشور) الذي رفض العراقيون القدامى عبادته بدليل عدم ذكر حمورابي له في

مسلته الشهيرة رغم ذكره لإصلاحاته في مدينة آشور كواحدة من مدن الأمبراطورية البابلية آنذاك ، وبرغم ذكره لما يقرب على ٢٥ إلهاً وطنياً بابلياً ، فلماذا مثل هذا التشبث اللامنطقي بالأوهام ؟!!

من ناحية أخرى إذا ما كان كلدان الجبال أي آثوريو اليوم يرجعون أصلاً إلى البابليين (أحفاد الكلدان الأوائل) بإتفاق جميع العلماء ، ومن بين تلك الشهادات شهادة العالم الروسي الآثوري (قسطنطين ماتييف) وغيره من المؤرخين الذين يؤكدون ذلك ، فلماذا أذن كل هذه المهاترات الكلامية ولمصلحة من تلغى كل أرتباطات كلدان الجبال التاريخية العرقية الكلدية والوطنية الرافدية .. ولماذا التشبث بالتسمية الشوبارية / الآشورية الأجنبية الوثنية ؟

إذا كان مبعث ذلك ، أن بلدات المسيحيين اليوم (والتي لا تمثل نسبة ٤٠٪ من مجموع مسيحيي العراق) تتوزع في المناطق الشمالية (المحتلة معظمها من قبل الكورد) والتي كانت يوماً تابعة (سياسياً) للدولة الآشورية الموزائيكية الشعوب ، فيا له من مبرر واه ، لا سيما وأن معظم تلك البلدات قد أسست على أسس مدن ذات أصول أكدية وطنية وأصول شوبارية أجنبية قديمة وأصول شومرية محلية وطنية أقدم ؟!!

لقد أعترف (بيرة سرس) بأن أصل تسمية آشوري هي تسمية آسورابي (المحرفة عن كلمة سوباري بقاعدة تبادل الحروف اللغوية الشائعة) ، ولو عدنا للتاريخ القديم لوجدنا أن العديد من المدونات التاريخية تذكر الدولة الآشورية بأسم (بلاد شوبارو) ، وذلك خلال ما يقرب من ألفي عام ٢٢٥٠-٦٠٤ ق.م ، أما إستخدام تسمية آشور والدولة الآشورية فقد كان إستخداماً محلياً محضاً ، لا بل أن بعض الملوك الآشوريين قد أعترفوا صراحة بالتسمية الشعبية للإقليم (بلاد سوبارتو أو شوبارو) وذلك في عدد من نصوص الفأل الشهيرة .

وأذن فالآشوريون الأوائل (شوبارو أو سوبارتو) -Shubaru- الذين بنوا مستوطن آشور وعبدوا إلههم الآسيوي الجبلي (آشور / آ-أوسار) -A usar- هم شعب أجنبي غاز طرد معظمه من شمال الرافدين في العهد البابلي القديم وأنصهرت بقاياه في بوتقة العموريين المنحدرين عن أسلاف الكلدان الذين تسموا بالآشوريين (تسمية إقليمية) نسبة لعاصمة ملكهم (آشور الشوبارية) .

كما أن تسمية آثوريي اليوم (أثرايي) هي غير تسمية آشوريين (الأقليمية القديمة) ، لأنها وبمنتهى البساطة تعني الوطنيون أي السكان المحليون نسبة للأرض (الوطن / أثرا) ، ولو تناولناها من الوجهة الكتابية (العهد القديم) فإنها مشتقة من آثور البابلي الأصل أبن الملك نمرود والذي بنى مدينة نينوى بحسب ما جاء في سفر التكوين - تك ١٠ : ١١ وهو أي آثور بن نمرود البابلي بن كوش بن حام وهو الذي بنى نينوى ليس آشور بن سام ، وفي كلتا الحالتين لا علاقة للآثوريين عرقياً أو لغوياً بالآشوريين الأوائل (الشوبارو) سواء على صعيد الوثائق التاريخية أو المدونات الكتابية .

وإلى ذلك يشير العالمان العراقيان الدكتور فاضل عبد الواحد والدكتور عامر سليمان في كتابهما المهم (عادات وتقاليد الشعوب القديمة) الذي نستل منه العبارة التالية (الواضحة كالشمس) : لا علاقة تاريخية بين الآشوريين (الشوباريين الآسيويين) في التاريخ القديم ومن يتسمون بالآشوريين (الآثوريين / كلدان الجبال) في العصور الحديثة / ص٢٥ ط ١٩٧٩ .

أما العموريون المنحدرون عن الكلدان الأوائل (بناة أريدو وكيش) الذين أسسوا سلالات

حاكمة في الشمال وكانت أقدم عواصمهم (مدينة آشور السوبارية) فإنهم قد أستخدموا جغرافياً أي إقليمياً (وأؤكد هنا على كلمة إقليمياً ذات المدلول السياسي) تسمية آشوريين نسبة للدولة الآشورية (الأقليم) ، مثلما يتسمى الكلدان المقيمين اليوم في أميريكا بالأمريكيين ودولتهم هي أميريكا ، لكن هذا لا يعني أن قوميتهم أمريكية لأن أميريكا هي تسمية جغرافية سياسية وطنية أقليمية مثل بابل أو آشور تماماً ولكنها ليست تسمية قومية للمنحدريين من العموريين الذين يرجعون لأسلاف الكلدان من الرافديين الوسطجنوبيين الكلديين الأوائل بناة كيش وأريدو .
وهكذا يمكننا أن نقسم تاريخ إقليم الشمال إلى أربعة عهود رئيسة هيّ :
-١ العصر السومري القديم ، وهو عهد إنتشار المستوطنات الزراعية في إقليم الشمال وأشهرها هيّ مستوطنة الأربجية قرب الموصل والتي تعود إلى طور حلف ٤٩٠٠-٤٣٠٠ ق.م ويستمر العهد السومري القديم هذا أو عصر ما قبل السلالات حتى القرن الثالث والعشرين ق.م أي منذ التاريخ المجهول / عصر ما قبل التاريخ أو ما قبل الكتابة إلى عصر فجر السلالات ٣٠٠٠-٢٤٠٠ ق.م
-٢ العصر الشوباري / الأكدي / السومري الجديد / الشوباري أو (العصر الآشوري الأول) ، ينقسم هذا العصر إلى عهدين ، يبدأ العهد المبكر بغزو السوباريين الآسيويين (الجبليون) لشمال العراق القديم ، ثم تمكنهم بعد هيمنتهم العسكرية على المنطقة من تأسيس مدينة آشور على أصل مستوطن زراعي سومري ، ويستمر عهد الهيمنة الشوبارية هذا من القرن الثالث والعشرين ق.م حتى أواخر القرن العشرين ومطلع القرن التاسع عشر ق.م ، في هذا العهد بقي الشمال الرافدي جزءاً من الوطن الرافدي الواحد بإستثناء فترة التدخلات الإبلية ، وقد كانت العواصم الرافدية الجنوبية كمدن أور وأوروك أو الوسطية كمدينة بابل وضواحيها ومن أشهر تلك الضواحي مدينتي كيش وأكد علاوة على إيشنونا البابلية تمثل السلطة المركزية للبلاد .
أما العهد الثاني فيبدأ بسيطرة شمشي أدد الأول ١٨١٣-١٧٨١ ق.م وأبنه أشمي دكان ١٧٨٠-١٧٤١ ق.م على الإقليم الشمالي وتأسيس سلالة وطنية أدت منجزاتها إلى تأسيس دولة آشور التي أخذت أسمها من مدينة آشور عاصمة الإقليم الأولى ، علماً أن شمشي أدد الأول سرعان ما نقل إدارة المملكة إلى مدينة إيكالات بسبب الأعداد الكبيرة للسوباريين في مدينة آشور ثم أنتقل بعدئذ ليستقر في نينوى التي عمرها وجعلها مدينة واسعة ، وفي فترة حكم أشمي دكان أبن شمشي أدد الأول عاد إقليم آشور إلى العرش البابلي في عهد الملك حمورابي ، وينتهي هذا العهد بإستيلاء عدد من السلالات الأجنبية على إقليم آشور كان آخرها الفرعون أمينحوتب الثالث ١٣٨٦-١٣٤٩ ق.م -Amenẖotep III- والملك الحثي شوبيلوليوما ١٣٨٠-١٣٤٠ ق.م .
تميز العهد الثاني من هذا العصر بتبادل سيطرة العراقيين القدماء الوافدين من وسط وجنوب العراق على إقليم الشمال تارة ووقوعه تارة أخرى تحت السيطرة الأجنبية الحيثية والميتانية (الحورية) لعدة قرون ، ثم تلاشيه تماماً من خارطة المنطقة أثناء إستيلاء أمينوحتب الثالث قبل إسترداده ثانية من قبل الحيثيين ، وقد كانت سيطرة المصريين على الإقليم مؤقتة ، أما الميتانيون فقد أنقطع دابرهم من المنطقة التي عاشت فراغاً سياسياً وأمنياً لما يقرب من ربع قرن حاول الحثيون أن يسدوه دونما جدوى .

ومن الجدير بالذكر أن بعض المؤرخين يجعلون من تاريخ ١٥٢١ ق.م نهاية العصر الآشوري القديم على أساس أن إستقلال بوزر آشور الثالث -Puzur Assur III- بالمنطقة عام ١٥٢٠ ق.م هو مطلع العصر الآشوري الوسيط ، ولكنني إرتأيت غير ما أرتآه البعض من المؤرخين ، لأن إستقلال بوزر آشور بالإقليم لم يكن إستقلالاً ناجزاً بل أنه لم يتمكن أصلاً من تأسيس سلالة حاكمة طويلة الأمد ، إذ أنتهت فترة حكم سلالته المضببة بإستيلاء دولة ميتاني أو خانيكلبات على الإقليم وإقتطاع هذا الجزء من وادي الرافدين وضمه إلى الدولة الميتانية حيث يطلق على تلك الفترة من حكم الملك بوزر آشور الثالث حتى إيريبو أدد الأول بالفترة المظلمة ، والتي كان فيها الحكام الآشوريون مجرد دمى تحركها أهواء وسياسات الملوك الميتانيين .

-٣ عصر إقليم الشمال الوسيط أو عصر إنقسام العراق القديم إلى مملكتين بابلية عاصمتها بابل وسط جنوبية وآشورية شمالية عاصمتها آشور ، يبدأ هذا العصر بحكم الملك القوي آشور أوبالط الأول -Assur uballit I- ١٣٦٣-١٣٢٨ ق.م ، الذي يقول عنه بوستيغت بأنه أول ملك حقيقي لآشور ، إذ تحولت آشور في عهده من دولة مدينة تجارية مسالمة إلى عاصمة بلد دعي (بلاد آشور) ص ١١٦ الإمبراطوريات الأولى .

يتميز هذا العصر بإندماج بقايا السومريين والسوباريين القدماء والشعوب الغازية التي أستقرت في إقليم الشمال من حيثين وحوريين وكوتيين بالعموريين الوافدين من وسط وجنوب الرافدين وبداية تكوين ملامح الهوية الوطنية الجديدة للإقليم الشمالي الذي كان برغم إستخدامه للغة الأكدية / البابلية والقلم الأكدي / البابلي ، غير أن تأثيرات الأقوام الهندوأوربية صارت تنأى به شيئاً فشيئاً عن الأصل الوسط جنوبي للكلدان الأوائل ، كما أن عامل التقادم الزمني للكلدان الأوائل الوسط جنوبيين من الذين أستقروا في الإقليم الشمالي منذ العهد الأكدي أضعف عندهم إنتمائهم الوسط جنوبي بفعل العامل الجغرافي ، مما جعلهم يدورون إلى حين في بوتقة التمازج الموزائيكي لسكان إقليم آشور .

لهذا نجد أنه برغم تمكن بعض الأسر ذات الأصول العمورية من تأسيس سلالات حاكمة في إقليم الشمال غير أن نظرتها إلى بابل والحضارة البابلية كانت مزيجاً متوزعاً بين الحب والكراهية كما يقول ليو أوبنهايم في الصفحة ٢٠٨ من كتابه الموسوم (بلاد ما بين النهرين / ط٢- ١٩٨٦) ، وقد أنتهى عهد الملوك الأقوياء الذين خلفوا آشور أوبالط الأول فعلياً بعد أغتيال الملك القوي توكلتي ننورتا ١٢٤٣-١٢٠٧ ق.م على يد أبنه آشور نادن أبلي وكذلك إغتيال الملك تجلاثبلازر الأول ١١١٤-١٠٧٦ ق.م ، لكن هذا العهد واصل إستمراره بواسطة مجموعة من الملوك الضعفاء كان آخرهم آشور دان الثاني ٩٣٥-٩١٢ ق.م ، لكن الفترة الأخيرة من هذا العهد كانت بصورة عامة عهد إنحلال وضعف ، ويذكر الأستاذ باقر : أستمرت تلك الفترة المظلمة الأولى قرابة القرن والفترة المظلمة الثانية أثر إغتيال تجلاثبلازر الأول ما يقرب من ١٦٦ عاماً عاد فيها الإقليم إلى حكم السلطة المركزية في بابل على عهد السلالة البابلية الرابعة الشهيرة بملكها نبوخذ نصر الأول ١١٢٥-١١٠٤ ق.م .

ويذكر المؤرخ جورج روو في الصفحة ٣٧٨ من كتابه الموسوم (العراق القديم) : في نهاية القرن العاشر ق.م أي بعد ما يقرب من ألف عام من تأسيس شمشي أدد للدولة الآشورية لم تكن المساحة التابعة للدولة الآشورية لتزيد على شريط ضيق من الأرض لا يكاد يبلغ طوله

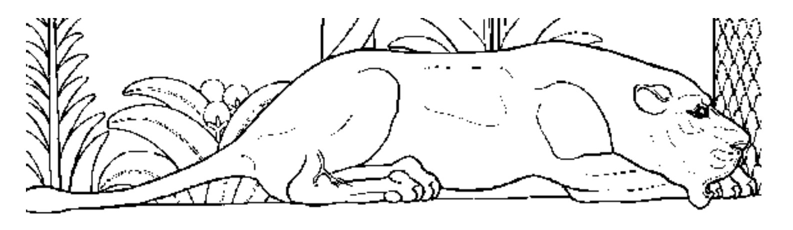
المائة ميلاً ولا يزيد عرضه على الخمسين ميلاً .
-٤ العصر الحديث (الإمبراطوري) ٩١١-٦١٢ ق.م ، في الواقع أن كل المجد الذي يرفل به تاريخ إقليم آشور إنما يعود الفضل فيه للفترة التي تقرب من ثلاثة قرون ، حيث أزدهرت فيها المملكة الآشورية لتتحول في بعض من فتراتها القصيرة إلى إمبراطورية واسعة أمتدت من أرمينيا حتى بلاد مصر .
ينقسم التاريخ الإمبراطوري إلى عهدين ، الإمبراطورية الأولى التي أبتدأت مع حكم الملك حدد نيراري ٩١١-٨٩١ ق.م -Adad Nirari - وخلفاؤه الذين كان آخرهم آشور نيراري الرابع -Assur Nirari V- حيث دام حكم هذه الأمبراطورية زهاء ١٥٠ عاماً وفي عهد هذه الأمبراطورية جرى إكتساح بابل عسكرياً ، لكن بابل رفضت حكم الدولة الآشورية المباشر فحكم بضعة ملوك في بابل بأسم الملوك الآشوريين الفعليين ، ومن أشهرهؤلاء الملوك نبوناصر الذي وصلت التسجيلات الفلكية في عهده مرحلة راقية ولكن ما يؤخذ عليه تدميره لحوليات الملوك الكلدان الذين سبقوه ، وفي هذا العهد أيضاً حكمت الأميرة الكلدانية شمورآمات كملكة أم ووصية على عرش آشور ، وقد بدأ الضعف يدب في أوصال هذه الإمبراطورية منذ عهد الملك القوي شلمنصر الثالث الذي أنتهى بثورة داخلية قادها أحد أبنائه المسمى آشور دانن إبلي عام ٨٢٠ ق.م .
بدأ العهد الإمبراطوري الثاني بثورة داخلية أيضاً قادها الملك تجلاثبلاصر الثالث -Tiglath-Pileser III- ٧٤٤-٧٢٧ ق.م ضد أخيه آشور نيراري الخامس ، وقد تمكن تجلاثبلاصر من قتل أخيه والسيطرة على العرش ، ويمتاز عهد هذا الملك العاتي بإبتكاره لإسلوب تهجير سكان المدن والمناطق الثائرة وإسكانها في مناطق قريبة من مركز الدولة الآشورية لكسر روح السكان الوطنية وسهولة كسرها عسكرياً ، وكان هذا الملك أول ملك يحكم بابل بصورة مباشرة وذلك عام ٧٢٩ ق.م ، لكن حكمه المباشر لم يستمر لأكثر من عامين ، ثم حكم أبنه شيلمنصر الخامس لمدة خمس سنوات أتسمت بالضعف ، فتداعت الإمبراطورية وعادت إلى حدودها الإقليمية السابقة ، وهنا قفز إلى سدة الحكم قائد طموح لا يعرف أصله أنتحل أسم ملك أكد الكلدي العظيم شاروكين ليؤسس سلالة حاكمة سميت بالسلالة السرجونية التي تمثل ذروة مجد الإمبراطورية الآشورية ، أتسم عهد الإمبراطورية الثاني برفض البابليين الكامل للحكم الآشوري وبالثورات المستمرة ، وفي المقابل أتسم حكم هذه الأسرة بإزدواجية مشاعرها بين الولاء ومحبة بابل كما في عهدي أسر حدون وشمشي شمو كين وبين القسوة وأرتكاب الفضائع كما في عهدي سنحاريب وآشوربانيبال ، كما أتسم عهد هذه الأسرة بتبديل اللغة الرسمية للإقليم من الأكدية القديمة (لهجة إقليم آشور البابلية) إلى اللغة الآرامية الكلدانية (آرامية الرافدين) وذلك في عام ٧١١ ق.م إبان عهد الملك سرجون الثاني . وقد أنتهى حكم هذه الأسرة على يدي الملك البابلي نبوبلاصر وحليفه الميدي كي إخسار عام ٦١٢ ق.م .
وهكذا يتبين بأن تاريخ دولة آشور هو تاريخ الدولة المنعطف أو بشكل أدق تاريخ دولة التقاطع ، لأنها مزيج من ثقافات الشعوب التي صنعتها ، وفي ذلك يقول الأستاذ باقر في الصفحة ٥٢٩ من كتابه الموسوم (مقدمة في تاريخ الحضارات) : إن الثقافة الآشورية إلى جانب صلتها بالحضارة الأم السوبرية (شوبارو) والبابلية أثرت وتأثرت بدورها بثقافات شعوب أخرى كثيرة .

إن الإثباتات التي أوردناها تؤكد وبشكل لا يقبل الجدال بأن المفهوم الآشوري هو مفهوم وطني / إقليمي وليس كما يتوهم البعض بكونه تسمية قومية ، لأن هذا كما بينا بالدليل المادي العلمي من رابع المستحيلات ، وإن لم يكن الآشوريون القدماء قومية في الماضي البعيد كما أثبتنا ، فكيف يمكنهم أن يكونوا قومية اليوم ؟؟؟

أن أمام أخوتنا كلدان الجبال (الآثوريون) الذين يتمسكون بالتسمية الآشورية الأجنبية خيارين لا غير ، فإما أن يتسموا بتلك التسمية الوثنية الأجنبية الآسيوية الدخيلة ويتخلوا عن إنتمائهم الوطني العراقي الرافدي ، وإما أن يتمسكوا برافديتهم ويعلنوا كلدانيتهم ، والأمر أولاً وأخيراً متروك لهم ولمستوى وعيهم وأستيعابهم لحقائق التاريخ بعيداً عن الخلط الذي يعتمده البعض للأوراق الدينية والطائفية والجغرافية ، والتي يحسن البعض الآخر تمريرها من خلال خلطها بأوراق القضية القومية .

أن من يريد أن ينتمي للآشوريين عرقياً ينبغي عليه أن يفهم بأن الآشوريين الأصليين (السوباريون / شوبارو) كانوا قبائل موزائيكية بدوية جبلية آسيوية غازية مثلهم مثل الحيثيين والكوتيين والحوريين واللولوبيين واللوديين ، لا تعرف لهم لغة أو قومية ، ذلك أنهم أستخدموا إبان تواجدهم وهيمنتهم لغة السومريين سكان الإقليم الشمالي الأصليين مثلما أستخدمت في الإقليم اللغة الكلدية الأم أبان عصر ميشالم والهيمنة الأكدية ، والشوباريون كما بينا شعوب موزائيكية تختلف لغة وعرقاً عن العموريين (مؤسسو دولة آشور) الذين يرجعون للبابليين المنحدرين عن الكلدان الأوائل .

أما الكلدان كما بينا في موضوع (أصل التسميات القديمة) فهم سكان العراق الأصليون الوسط جنوبيين الذين يعودون عرقياً إلى ما أتفق بعض العلماء على تسميتهم بالساميين / الأكديين القدماء أو الرافديين الأوائل سكان مستوطن الكلدان التاريخي وبشكل أدق الكلدان الأوائل ، وأن لغتهم الأم -Ursprache- هي اللغة الرافدية الأم -Kaldiyoutha Atiqta or Lushana D Eridu- التي تأسست في بيث نهرين منذ القدم ، وقد عمد المدرسيون إلى نسبة لإنجازات أبنائها اللاحقة بالأكدية التي ميزها المؤرخون أيضاً بلهجتيها الأقليميتين (البابلية نسبة لأقليم بابل والآشورية نسبة لأقليم آشور) علماً أن الأخيرة (الآشورية) لم تستخدم داخل الحدود الرافدية ، ومن تلاقي هذه اللغة الأم الرافدية بلغة الكنعانيين التي تطورت من الرافدية القديمة في مستوطنها الجديد (الساحل السوري القديم) نشأت لغة الأخلامو آرمو (الآرامية) التي تطورت بدورها عبر العصور ، ومن امتزاجها بالكلدانية تفرع عنها لهجات السورث التي نستخدمها اليوم والحافلة بمفردات رافدية توارثناها أباً عن جد خلال آلاف السنين من لغتنا الكلدانية الأم التي تأسست في مستوطن الكلدان التاريخي (القطر البحري) الذي يرجع إليه عموريو الدولتين البابلية الآشورية والأكديون على حد سواء .



تصويب لمغالطات

إدعاءات ومغالطات مبرمجة :

دأبت الواجهات السياسية وفق رؤية منهجية مقررة على أعضائها والمحيط الذي يتحركون فيه على تكريس مجموعة من الأفكار المبرمجة الخاطئة لإحتواء الرافديين الناطقين بالسورث من الذين لا يتبعون كنسياً طقس الطائفة الآثورية ، مستثمرين فرصة الفراغ الفكري الذي رسخت له منذ منتصف القرن الماضي العقلية الشوفينية المتمثلة بحزب البعث العربي والحزب الناصري ، اللذين تبنيا نظرية إستعراب المواطنين غير العرب ، وفقاً لبرامج عمل تلك الأحزاب منطلقين من عبارات غيبية تمييزية (العرب .. خير أمة أخرجت للناس) .
في ظل ذلك الفراغ الفكري وهيمنة الأفكار الشوفينية العروبية ومحاربة الإنتماء الوطني للعراقيين عبر تشويه التاريخ الوطني العراقي وحذف ما يقرب على ألف وثلاثمائة عام من تاريخ العراق إبتداء بالغزو الأخميني وأنتهاء بالغزو الإسلامي للعراق وبلاد الشام ، علماً إن مفردة (غزو) المستخدمة في موضوعنا هذا لا تعني هنا إلا إلآ مفهوماً عسكرياً ، يطابق تماماً ما أستخدمه العرب المسلمون في وصفهم لحروبهم السابقة مثل (غزوة بدر وغزوة أحد وغزوة الأحزاب وغزوة خيبر) وغيرها من غزوات ، لاسيما وأن دافع جميع هذه الأعمال ذات الطابع العسكري هو غزو مجموعة بشرية لمجموعة أخرى لغايات محددة تختلف بإختلاف الغزاة .
وعوداً على بدء ، فقد تعمدت المناهج الدراسية العراقية لأسباب بعيدة عن المنطق إلى إلغاء الهوية الوطنية العراقية وتذويبها في الهوية العربية (المطاطة) التي تفتقد للمنطق العلمي وللموضوعية ، ذلك أن تلك الهوية (العروبية) التي يشبهها الباحث الإجتماعي المسلم سليم مطر بمؤسسة حزبية تحتوي ضمناً كلداناً وآراميين وتركماناً وقبطاً وبربراً وأمازيغاً ونوبيين وكورداً وأفارقة مستعربة علاوة على الأعداد الحجازية الهامشية التي ذابت منذ قرون في المجاميع الوطنية التي حلت بينها ، وقد أشرت إلى ذلك في العدد الأول من المجلة الساخرة (المطرقة) التي تصدر عن دار نشر كالدينس فور كالدينس / الولايات المتحدة وذلك في العمود المعنون.. كتب تاريخ العراق المدرسية تلعب الطفيرة ؟!
ذلك أنه في ظل غياب الحصانات القومية الموضوعية التي رسخت لها العقليات الشوفينية الحاكمة من ناحية ، وطابع العلاقة الرسمي الحساس بين رئاسات المؤسسة الدينية (للناطقين بالسورث) ، مما أدى إلى إختلاق مناطق عزل عرقية ما بين أبناء الشعب الواحد واللغة الواحدة والدم الواحد لخلافات أو تنويعات في التفاصيل العقائدية من نوع هل يرسم الصليب من اليسار إلى اليمين أو بالعكس ، والتي تشبه في تفاصيلها الصغيرة تلك الحوارات العقيمة حول (ماهية جنس الملائكة) بمعنى هل الملائكة من جنس الذكور أم الإناث في الوقت الذي كانت فيه مدافع محمد الخامس تدك أسوار القسطنطينية ، مما أطاح بالإمبراطورية البيزنطية فنكبت أوربا وبلاد المشرق على حد سواء !!
هذا الخواء الفكري والعزلة ما بين أبناء الدم الواحد التي أوجبتها دوافع عديدة سهلت عملية اللعب على عقول العامة من خلال خلط الأوراق الدينية بالأوراق القومية والوطنية ، ومكن

الأحزاب الآشورية (تسمية سياسية) إلى إشاعة نمط من الأفكار التي كانت تأمل منها وضع العصا في عجلة أي نهوض قومي كلداني ، وذلك قبل إنتقالها إلى تكتيكات ما بعد سقوط النظام الصدامي ومواجهتها لحقيقة (هامشية العامل العددي الآثوري) قياساً بعامل العدد الكلداني السرياني (كلدان الرافدين القدامى) .
والحق فإن مثل هذه المغالطات عادة ما تجوز على العامة الذين يفتقدون للرؤية القومية السليمة وللثقافة والحس التاريخي بسبب المناهج العروبية الشوفينية التي تعمدت إلغاء الحس الوطني العراقي وإعادة أصول جميع السكان الناطقين اليوم (رسمياً) بالعربية إلى الحجازيين وجيرانهم ، وكأن البلاد التي غزوها مثل وادي الرافدين والشام ومصر ودول الشمال الأفريقي الأخرى كانت قبل (مكرمة الإحتلال الحجازي) أرضاً جرداء خالية من السكان ومدن أشباح ؟!!
ولعل من أهم تلك المغالطات التي ما زال المنتمون إلى هذه الأحزاب يلوكونها كالعلكة ويكررونها في كل حين ، رغم عشرات لا بل مئات الدراسات والمقالات (الفردية) التي دحضت تلك المغالطات والتي نشرها المثقفون الكلدان من الناطقين بالسورث على أختلاف طوائفهم :

١- إدعاء أن الكلدان طائفة حسب !
٢- إدعاء أن كلدان اليوم ليسوا كلدان الأمس ، أما الآثوريون فهم أحفاد آشوريي الأمس !
٣- إدعاء أن الكلدان لم يكونوا شعباً وإنما كهنة وسحرة وعرافين !
٤- إدعاء أن الكلدان قد حكموا وادي الرافدين لفترة لا تتجاوز ثلاثة أرباع القرن !
٥- إدعاء أن سكان القرى المسيحية (دشتا وطورا) هم آشوريون وليسوا كلداناً !
٦- إدعاء أنقراض الكلدان بعد سيطرة المسلمين على وادي الرافدين !
٧- إدعاء أن منجزات جيش دولة آشور هي منجزات قومية !
٨- إدعاء أن شمور آمات (شميرم) آشورية قومياً !
٩- إدعاء أن العهد القديم يصلح ككتاب مدرسي للتاريخ !
١٠- إدعاء أن مصطلح (علم الآشوريات) يعني علم تاريخ وادي الرافدين !
١١- إدعاء أن الإستخدام المجازي (اللغة الآشورية) يثبت قومية الآشوريين !
١٢- إدعاء أن إقليم الشمال كان يسمى آشور منذ العصر المجهول وحتى يومنا هذا !
١٣- إدعاء أن السريان والآشوريين الأوائل / الشوباريون هم عرق واحد !
١٤- إدعاء تعذر معرفة إنتساب الناطقين بالسورث .. إلى بابل أم آشور ؟!

هذه هيّ أهم المحاور التي يستخدمها أعضاء هذه الأحزاب ومناصريهم لإحتواء العامة من الناطقين بالسورث ، وبخاصة لكسب المتحمسين للوحدة والغيارى على اللغة ممن لا يمتلكون الخلفية العلمية الأكاديمية أو المعرفة بالمخططات الحقيقية لمروجيها ، وقد كنت شخصياً قد أجبت على مثل هذه الإدعاءآت الخاطئة في مجموعة كتبي (أور الكلدان - بغداد ١٩٨٨م) ، (الكلدان شمس لا تنطفئ - ديترويت ١٩٩٧م) ، (الآشوريون .. سكان دولة أم قومية - ديترويت ٢٠٠١م) ، وكذلك في الصحف المهجرية التي تصدر في الولايات المتحدة

وكندا وأستراليا ، وبخاصة مجلات (الحارس الكلداني وبابل اليوم وكلدو والمطرقة والقيثارة والشرق الأوسط والحقيقة والكلمة) ، وأيضاً من خلال مجموعة من الدراسات التي من المؤمل أن أدرجها ضمن كتابي القادم .

إدعاء أن الكلدان طائفة حسب !

من المعلوم أن البشارة المسيحية دخلت أرض الرافدين مطلع الجيل الأول على يدي الرسول توما وهو في طريقه إلى أرض شهادته في الهند ومار أدي أحد تلاميذ السيد المسيح السبعين (بمعنى ٧٢ بحسب متى ومرقس) ، ومن ثم تبعه تلميذه مار ماري بعد صعود سيدنا إلى السماء بثلاثين سنة بحسب أخبار فطاركة كرسي المشرق ، وعندما دخلت البشارة أرض النهرين (بيث نهرين) كانت السيادة للثقافة واللغة الكلدانية الزاهرة التي رسخ لها عباقرة أمثال كيدينو ونبو رماني وسيدينو وبرحوشا (بيل ريش إيشيشو / بيروسس) علاوة على مدارس الكتبة الكلدان أمثال (إيكور ذاكر) و(سين ليقي أونيني) و(أخوتو) و(خونزو) ، لكن الأسم الكلداني كان قد شوه في العهد الأخميني لكسر الروح الوطنية ، فألحقت به وببابل (كأس الرب الذهبية وزهو الكلدانيين) من الإتهامات ما جعل متقبلي البشارة الجدد ينفرون من ذلك الأسم الذي أشتهر في العهود الوثنية بالجبروت وأرتبط في بعض أسفار العهد القديم بالخطيئة فصاروا يتسمون سرياناً (سورايي أو سوريايي) التي تعني مسيحيين (مشيحايي) تماماً مثلما تؤدي كلمتي (شوف وباوع العراقيتين المحليتين) إلى معنى واحد هو (أنظر) ، وأسم سورايي أو سوريايي جاء من أسم سوريا الذي من المرجح أنه قد أشتق بدوره من أسم الملك الخرافي السوري المحلي (سورس) ، لكن هنالك وجهات نظر أخرى بعضها لغوي وبعضها الآخر ينحو منحى جغرافي أو سياسي محض وبعضها دلالي (أي دلالة أسم بدلالة أسم آخر) ، المهم هنا أن المسيحيين الرافديين (الكلدان) تخلوا عن الأسم الرافدي القومي القديم (كلدو / كلدايي) وأعتمدوا بدلاً عنه الأسم العالمي الروحي (سوريايي) طاوين بذلك صفحة وثنيتهم .

ولو راجعنا التاريخ المسيحي للعراق لوجدنا أن أول كنيسة رافدية رئيسة أسست في العراق لم تكن في أقليم آثور وإنما كانت في إقليم بابل وتحديداً في ساليق في موقع بيت الأصنام وهو معبد وثني كان يعود للملك أفراهاط ، وكانت تلك الكنيسة الأولى قد بناها الطوباوي مار ماري على شكل كوخ كبير ومن هذا الشكل أخذ الموضع والكنيسة تسميتهما ، ولأهميتها أوعز مار ماري أن لا تتم رسامة الرؤساء إلا فيها ، ويؤكد ذلك روفائيل بابو أسحق في كتابه الموسوم (تاريخ نصارى العراق) .

ثم بنى الطوباوي مار ماري كنيسة ثانية في منطقة (دير قني أو دير ماري) في موقع تلول الدير شمالي مدينة العزيزية الحالية الواقعة جنوبي بغداد ، وقني أو قنّى نبيلة فارسية من الأسرة الحاكمة ، لكنها (بحسب الحموي) أخت الملك أفراهاط التي قبلت البشارة المسيحية على يد الطوباوي مار ماري .

والحق فأن كنيسة قني تضاهي كنيسة كوخي منزلة لأن القديس مار ماري هو الذي بناها ولأن فيها قد دفن الطوباوي مار ماري كما تشير إلى ذلك بعض المصادر ومنها كتاب

التنبيه والأشراف ، ولا بد من الإشارة إلى أن ماري بن سليمان صاحب أخبار الفطاركة قد أشار إشارة عابرة بأن كنيسة داورتا ضمن حدود كرخ بغداد كانت الكنيسة الثانيةِ التي بناها الطوباوي مار ماري ، أما ثالث كنيسة فقد بنيت في الإقليم البابلي أيضاَ وتحديداً في كشكر أو كسكر قرب واسط (ملكيئوم القديمة) وأطلالها باقية حتى اليوم .

كما أن الكرسي المميز بين كراسي كنيسة المشرق كان كرسي كرخينا في مملكة ميشان / محافظة ميسان (آخر الممالك الكلدانية في بيث نهرين) وتشمل العمارة والناصرية والبصرة والأحواز ، وقد أسس هذه المملكة الملك الكلداني يوسب بر سكد أودو ناق عام ١٢٧ ق.م و أستمرت حتى عام ١٨٧م أو ٢٢٥م ، إلا أن أول كرسي جاثاليقي لكنيسة المشرق كان في كوخي (كوتم / المدائن) قرب سلمان باك الحالية ، حيثَ كانت تعقد في ساليق المجامع الكنسية ومن أشهرها مجمع مار أسحق عام ٤١٠م ، علماً أن هنالك من المصادر ما تجعل من كرسي كشكر في الإقليم البابلي الأقدم بين كراسي المشرق ومنها كتاب (أخبار فطاركة كرسي المشرق) ، مع أن ذات المصدر يشير إلى أن أول أسقف كان قد أسيم لكرسي المشرق حدث في ساليق عند إجتماع مار ماروثا أسقف ميافارقين مع مار إسحق الجاثليق وترتيبهما للقوانين الكنسية ، وكان من جملة تلك القوانين بحسب هذا المصدر هو ترتيب أسقف كشكر كأول الأساقفة وناطر الكرسي ، مما يؤكد بأن نشأة المسيحية وأنتشارها وتمركزها كان في وسط وجنوب العراق بمعنى الإقليم البابلي .

ولو عدنا بذاكرتنا إلى حادثة زيارة الملوك المجوس القادمين من الشرق بمناسبة ميلاد الطفل يسوع وإشارة الكتاب المقدس الواضحة إلى أن هؤلاء المشارقة (مدنحايي) كانوا من الفلكيين ، فإن من حقنا أن نتساءل ومن غير علماء الكلدان قد أشتهر برصد الأفلاك ودراستها ؟

حتى أن العالم الرياضي الفلكي كيدينو الكلداني يعتبر اليوم صاحب أول تسجيلين علميين دقيقين لمذنب هالي . وبسبب تمركز المسيحية في مستوطن الكلدان التاريخي التي تعود بداياتها الإيمانية (كما نعتقد لحادثة الولادة المعجزة) ، مع أنها قد أبتدأت عملياً بالرسول توما ، ولكون المسيحية ديانة عالمية غير عرقية وروحانية غير مادية فقد هجر الكلدانِ تسميتهم القومية (كلدو) وتمسكوا بالتسمية الجديدة التي أعتبروها تجديداً كاملاً وخالصاً لحياتهم وعلاقتهم مع الله والعالم.

وفي عصر البدع والصراعات السياسية ما بين الدولتين الفارسية المجوسية والرومانية المسيحية دعم المجوس الإنشقاق النسطوري عن الكنيسة الجامعة لضمان ولاء المسيحيين الرافديين الذين كانوا مرتبطين روحياً بالكنيسة الجامعة ومقرها روما عاصمة أعداء الفرس ، فكان على الفرس من أجل حماية مملكتهم من الداخل أن ينشروا ويدعموا المذهب النسطوري المحلي المناوئ للكنيسة الكاثوليكية الجامعة .

وقد بقي الحال على هذا المنوال حتى مطلع عصر شهداء المسيحية الأوائل المشرقيين (مدنحايي) ، والذي تميز بإضطهادات الملوك الفرس ومن أشهرهم شابور الثاني وأردشير الأول ويزدجر إلى آخر هذه السلسلة من الملوك الجلاوزة ، وهنا وبسبب تشبع الكلدان بالفهم المسيحي الذي وجدوه لا يتعارض مع إعتزازهم بإنتمائهم القومي طالما أبتعدوا في إعتزازهم هذا عن عنصري المغالاة والعصبية (لأن لا عصبية في المسيحية وإنما تسامح ومحبة خالصة) ، لذلك راحوا يحنون إلى أسمهم القومي (الكلداني) حتى أستردوه عام

١٤٤٥م .
وإلى هذه الحقيقة يشير بطرس نصري في مصنفه الموسوم ذخيرة الأذهان ص٣٠ حيث يقول : أما الذين أهتدوا إلى الكثلكة فتسموا كلدانا وبذلك عادوا إلى تسمية أجدادهم الأولى ..
، ومما يؤكد أيضاً على أن قداسة الحبر الأعظم أوجيانوس الرابع لم يكن هو من أطلق تسمية الكلدان على السريان النساطرة الراجعين إلى الكثلكة في ٧ آب عام ١٤٤٥م فإنني أذكر حادثة مهمة تسبق عودة السريان المشارقة المتنسطرين إلى الكنيسة الجامعة بما يقرب على ٢٢٠ عام وهي على النحو التالي : (أصبحت قبرص ملاذاً لكثير من المسيحيين اللاجئين إليها من مناطق الحرب ، وكان في نيقوسيا مهجر نسطوري يلتف حوله مطران يخضع لرئيس أساقفة طرسوس ، وفي الثاني عشر من شهر شباط عام ١٢٢٢م (لاحظ عزيزي القارئ التاريخ ١٢٢٢م) ، أرسل البابا هنوريوس الثالث رسالة إلى بطريرك أورشليم ومطران قيصرية ومطران بيت لحم يوصي فيها برسله إلى جزيرة قبرص لرد النساطرة أن ينظموا لمطران اللاتين في نيقوسيا ولإساقفته ، فلم ينجح المشروع ، إذ قاومه العلمانيون من يونانيين **وكلدانيين** (لاحظ عزيزي القارئ كلمة **كلدانيين**) التي وردت في ذلك النص قبل مائتي عام من عهد البابا أوجيانوس الرابع !!!
ولو لاحظنا رسالة الإيمان الكاثوليكي التي أرسلها سيادة المطران طيمثاوس الأول فإننا سنعجب بمقدمته الشهيرة التي يقول في مطلعها بكل جلاء ووضوح : (أنا طيمثاوس مطران الكلدان) ترى إن كان سيادة المطران طيمثاوس يعتقد بأنه من أصل غير كلداني فلماذا أرتضى تلك التسمية التي جاءت في بعض أسفار العهد القديم مرتبطة أحياناً بالخطيئة ولماذا أيضاً يقر الحبر الأعظم مثل تلك التسمية التي يشار إليها في بعض الأسفار(بأشياء غير مستحبة عند المؤمنين المسيحيين) فيطلقها على شعب حاول قداسته والكثيرون من الآباء الأحبار إعادتهم لحظيرة الإيمان الكاثوليكي .. وهو ما لايقره عقل أو يقبله منطق ؟!!
ولو عدنا بذاكرتنا أيضاً إلى مطلع القرن الخامس للميلاد أي قبل ما يزيد على ألف عام من براءة البابا أوجيانوس الرابع فإننا نجد أن مار ماروثا أحد أعمدة كنيسة المشرق وكاتب مجموعة تراتيل الشهداء لكنيسة المشرق باللغة الكلدانية وهي صلوات تتلى في الرمش (العصر) على مدار أيام الأسبوع ، لوجدنا أن مار ماروثا لا يذكر فيها شعب الرافدين (بيث نهرين) آنذاك إلا بالتسمية القومية (كلدان) ، إذ ترد هذه التسمية قومياً (بكل نصاعة ووضوح) في عبارة تتضمنها الترنيمة التاسعة ليوم الجمعة والتي تصف أمراً بقتل عدد من المؤمنين المسيحيين حيث يقول فيها مار ماروثا : (ثار الكلدان متعجبين ورفعوا إصبعاً قائلين : أن رب الأرباب (إله) المؤمنين الذي لا يرى هو من سيخلصهم ..) ، طبعاً هذه الترنيمة كتبت قبل تأسيس كنيسة بابل على الكلدان وقبل إعتماد تسمية الكلدان التي وافق عليها الحبر الأعظم البابا أوجيانوس الرابع بألف عام ، وهنالك أمثلة وأثباتات أخرى عديدة تدحض علمياً وعملياً مغالطة (أن أسم الكلدان هو أسم طائفي) والتي تفتقد للمنطق والموضوعية كما بينت بكل وضوح ، علماً أنني كنت قد أجبت عليها سابقاً وبشكل تفصيلي في دراسة منفصلة .
المهم هنا أن (تسمية الكلدان القومية) عادت إلى الإستخدام منذ أواخر القرن الرابع للميلاد وذلك بعد ترسخ المسيحية في أقليم ما بين النهرين الذي كان يسمى عهد ذاك بمرزبانية بابل وبضمنها منطقة آثور (تسميتان الأولى جغرافية والثانية جغرافية بابيلية نسبة لآثور بن

نمرود) ، الأهم من هذا وذاك أن إثباتاتنا المادية التي أوردناها تنفي وبشكل علمي وقاطع إدعاء الجهات المناوئة للتطلعات الكلدانية والتي تدعي بأن روما هي التي أسبغت هذه التسمية الطائفية على السريان النساطرة المتكثلكين وهو ما أثبتنا عدم صحته ، مما يؤكد بأن تواصل الكلدان في التواجد في وطنهم الأم لم يتأثر بفعل المتغيرات السياسية أو الدينية ، فقد تقلبت بهم صروف الدهر وأنتقلوا من حكم أجنبي إلى حكم آخر ، وتنوعت عقائدهم فمنهم من ظل على وثنيته ومنهم من أعتنق اليهودية ، ثم جمعتهم البشارة المسيحية إلى حين ، حتى سيطرت جيوش المسلمين على وادي الرافدين ، وهنا أيضاً حافظ من حافظ من الكلدان على عقيدتهم المسيحية ، فيما أنخرط الكثيرون منهم في الدين الجديد ترغيباً أم ترهيباً ، لكن من بقي منهم محافظاً على ديانته المسيحية حافظ أيضاً على لغته الأم وتراث أسلافنا الكلدان الأوائل ، وهنا لابد لنا أن نخلص إلى نتيجة واحدة وهيّ أن الكلدان دونما جدال أعرق أمة قومية عرفها وطننا الأم بيث نهرين .

إدعاء أن كلدان اليوم ليسوا كلدان الأمس ، أما الآثوريون فهم أحفاد آشوريي الأمس !

بينا في الموضوع السابق وبما لا يقبل الشك بأن التسمية الكلدانية قد تسيدت الساحة الرافدية منذ عصر الملك البابلي الشهير نبوكيدوري أوصر الأول (نبوخذنصر الأول ١١٢٤-١١٠٣ ق.م) الذي أنتصر على الملك العيلامي خولتي لوديش في واحدة من أشهر معارك التاريخ وأصعبها ، حتى أن الملوك البابليين والآشوريين / العموريين على حد سواء كانوا يعدونها من المآثر الوطنية الخالدة ، في تلك المعركة التي كان فيها الكلام الفصل لأمير الجند وقائد العربات الملكية الكلداني (رتي مردوخ) من إمارة بيث كرزيابكو الكلدانية .
ومع أن معظم الملوك الكلدان بدافع الحرص الوطني لم يستخدموا في مسلاتهم ومراسلاتهم تسمية الكلداني والكلدانية القومية وإنما أستخدموا المصطلح الأقليمي (بابل) تأكيداً منهم على مسألة المساواة بين جميع مواطني الدولة البابلية ، ومن ضمن هؤلاء الملوك ملوك سلالة بابل الحادية عشر / السلالة الإمبراطورية (الشهيرة بالتسمية الحديثة الإمبراطورية الكلدانية) ، إلا أن بعض الملوك كشفوا العوامل تعبوية عن إنتمائهم القومي كرد فعل موضوعي للظروف التي كانوا يمرون بها وذلك منذ فترات زمنية مبكرة ، لذلك نجد أن السلالات البابلية منذ عصر سلالة إيسن الثانية كانت تحمل تسميات كلدانية ، كما أن بعض الملوك تفاخروا علناً بإنتمائهم الكلداني ومنهم مردوخ أبلا أوصر وأريبا مردوخ ونابو موكن زيري ومردوخ أبلا أدينا وغيرهم من ملوك السلالات البابلية السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة وفي العصرين الأخميني والسلوقي أقام الكلدان عدداً من الإمارات أو الممالك المحلية كان آخرها مملكة ميشان ، ثم مملكة حيرتا التي حكمها خمسة ملوك كلدان ثم أحتوتها قبيلة المناذرة المسيحية النسطورية في حدود ٢٨٨م في عهد الملك أمرؤ القيس بن عدي ٢٨٨-٣٢٨م -Umrou Al Qayis Bin Uday- وقد كانت لغة هذه المملكة ومراسلاتها الرسمية وطقوسها

الكنسية تجري بقلم ولغة ممزوجة من الكلدانية الرافدية والآرامية البرابوتامية .
كما بدأت التسمية الكلدانية بأحتلال موقعها ثانية في بيث نهرين كما بينا منذ أواخر القرن الرابع للميلاد وبقيت في الإستعمال رغم شيوع التسمية الدينية سورياي حتى مطالبة طيمثاوس الأول الموصلي بأستعادة التسمية القومية الكلدانية وهو في الحق لم يفعل بذلك جديداً ، إذ تسمى الأرمن الذين يعدون من أقدم بناة الكنائس في العالم بتسمية الأرمن الكاثوليك ومثلهم فعل القبط في مصر وكذلك الروم الكاثوليك وهم أقوام لم تلغي هويتهم المسيحية عملية تقبلهم للبشارة المسيحية .
فلماذا يحق لأبناء هذه الكنائس التي لا جدال على تميزها العرقي وعراقتها التاريخية أن يجمعوا بين إنتمائهم العرقي وإنتمائهم الديني ، فيما ينبغي علينا أن نضحي بهويتنا العرقية ونصنف طائفياً فحسب لأننا تقبلنا البشارة المسيحية ؟
إن إستسهال إلغاء الآخر مسألة ينبغي أن لا تخضع للمزاجيات والمعايير المزدوجة والأهداف المبطنة البعيدة عن منطق التاريخ والثوابت الكنسية العالمية ، أن مثل هذه التوجهات قد تجوز على البعض بعض الوقت لكنها لن تجوز على الكل كل الوقت !
لقد تبين بالدليل القاطع بأن الناطقين بالسورث من الذين أسترجعوا أسمهم القومي القديم (الكلدان) إنما هم العمق القومي لبقية الرافديين الناطقين بالسورث كالسريان والآثوريين الذين هم أيضاً كلداناً عرقاً ولغة ، لأن كليهما كان يشكل جزءاً من كل هو كنيسة المشرق القديمة التي قامت في كوخي / بابل ، لكن ريادة أبناء الطائفة الكلدانية تتحدد في نقطة واحدة وهي أن جميع الرافديين الناطقين بالسورث تخلوا عن تسميتهم القومية القديمة كلدي / كلدايي بعد تقبلهم للبشارة المسيحية وتسموا سرياناً (سورييي) إيماناً منهم بعالمية وروحانية الديانة المسيحية ، ثم تنسطر بعضهم في الجيل الخامس فيما بقي البعض الآخر محافظا على تسرينه ، وفي القرن السابع الميلادي تحول بعض السريان المشارقة المتنسطرين إلى الطقس السرياني الغربي (المونوفيسي) على يد عدد من الرهبان أشهرهم الراهب يوحنا الديلمي وكان من بين من تحول من السريان المشارقة / عيتا دمدنحا الكلدانية إلى الطقس السرياني الغربي أهالي بلدات بخديدا / قرقوش وبرطلة وبعشيقة وغيرها من بلدات ، حتى عاد من تسرين وتنسطر طواعية لإستخدام الأسم العريق (الكلداني) ، فيما بقي الآخرون على تسرينهم ومونوفيسيتهم أو نسطرتهم بحسب الطقوس التي صاروا يتبعونها حتى عودت المونوفيسيين للكثلكة ، كما أختار البعض التسمية الآثورية (الوطنية / أثرايي) لكنيستهم عام ١٩٧٥م ، والمحصلة أن الكلدان والسريان والآثوريين هم أحفاد الرافديين الأوائل وبشكل أدق أحفاد الكلدان الأوائل وهم شعب الرافدين الأصلي بمعنى أنهم لم يفدوا من خارج الرافدين مثل الأقوام الآسيوية كالشوباريين (بناة مدينة آشور) أو الأقوام القديمة الأخرى من العنصر الهندوأوربي كالميديين والكشيين والحوريين والحيثيين والكوتيين وفي العصور الحديثة كالتركمان والكورد والأرمن ، فلماذا يحاول البعض أن يرجع أصولنا لأوائل الآشوريين الأجانب (الشوباريين) الآسيويين .. ألا يكفينا تفريطاً بهويتنا القومية وانتمائنا الوطني الرافدي ؟!!
وبالتالي ، بماذا يختلف هذا التوجه الذي يدعو لإلباسنا اللباس الآشوري الشوباري الآسيوي الأجنبي عما فعله معنا المتزمتون من العروبيين والمستعربة طوال العقود الماضية عندما حاولوا أن يعيدوا تشكيل هويتنا وفق مقاييسهم الشوفينية ويرجعوا أصولنا إلى الأقوام البدوية

الأجنبية الوافدة من الحجاز ؟؟؟
نحن مع إحترامنا لكل الأعراق والقوميات لسنا عرباً حجازيين ولسنا آشوريين (شوبارو) آسيويين ، وإنما نحن بأختصار سكان العراق الأصليين ، ننحدر بكل فخر عن الكلدان الأوائل (بناة أريدو وكيش) ، ونحن شاء البعض أم أبى رافديون كلدان دماً ولغة وتاريخاً .

إدعاء أن الكلدان لم يكونوا شعباً وإنما كهنة وسحرة وعرافين ؟!!

نشرت جريدة مهجرية محلية تصدر في كندا مقالة أحتلت مساحة واسعة بقلم أحد القراء (تميزت بالإسلوب المعروف الذي أبتكرته وأشاعته منذ ما يزيد على عقدين من الزمان بعض الحركات السياسية المناوئة للكلدان) ، والحق فإنني لم أقرأ سابقاً لهذا لكاتب أي موضوع ، بل أنني لم أسمع به من قبل !
المهم أن كاتبنا هذا حاول أي يلقي علينا موعظة في كيفية كتابة التاريخ ، فأنتقى مقاطع معينة من العهد القديم ومقاطع أخرى من معاجم كلدانية لينتهي إلى نغمة أن الكلدان بمعنى (الأمة الكلدانية) المتوغلة في عمق أعماق وطننا الأم بيث نهرين والتي خرج منها أبونا إبراهيم (بابن أوراهم) كانوا جميعاً كهنة ومنجمين ؟!!
الغريب أنه نشر إدعاءاته أو أوهامه تلك برغم وجود ما يدحضها في ذات الصفحات التي كان هذا الكاتب قد أستل عباراته منها ؟!!
ومع أن أكثر من باحث ومختص في حقل التاريخ الرافدي كان قد أجاب على هذه الإدعات الباطلة ، مثلما دحضها أكثر من معني في علمي الثيولوجي والميثولوجي ومنهم الدكتورة حياة إبراهيم أستاذة البابليات / جامعة بغداد في كتابها الشامل (نبوخذنصر الثاني) والدكتورة ماركريت روثن في كتابها الموسوم (علوم الكلدان) والعديد من المؤرخين المهمين كجورج روو وليو أوبنهايم وسيتون لويد ونيكولاس بوستغيت وجوان أوتس والبروفيسور إج. ساكس وغيرهم ، وهي أن الكلدان شعب قومي متحضر (غير بدوي) معروفة منطقة إستيطانه التاريخي (القطر البحري) ، لكنهم أختلفوا على نقطة واحدة وهي هل هو شعب وافد إلى وادي الرافدين أم شعب أصلي ؟
في الوقت الذي أيد فيه العدد الأكبر من العلماء مسألة أصالة الكلدان في مستوطنهم التاريخي فإن هنالك عدد آخر من العلماء الذين وقفوا بسبب من إنتماءاتهم الدينية مترددين أمام هذين الخيارين وذلك بسبب من عدم وضوح هذا الأمر في الكتاب المقدس ، وهنا أنبرى لهذا الموضوع علماء عراقيون ورجال دين مسيحيون منهم المطران أوجين منا الكلداني والأب سهيل قاشا والمؤرخون العراقيون الدكتور عامرسليمان في دراسته الموسومة (جوانب من حضارة العراق القديم) التي تضمنها المؤلف الموسوعي (العراق في التاريخ / ثلاثة عشر جزءاً) ، علاوة على سلسلة طويلة من الباحثين العراقيين والأجانب .
وخلاصة الموضوع أن تسمية الكلدان قد وردت أحياناً (بشكل غير مباشر) في العهد القديم

(التوراة) مع مهن قديمة كالعرافة والسحر ، كما تسللت هذه الأفكار إلى اوربا بفعل العهد القديم (الأسفار التي كتبت في القرن الثالث أو الثاني ق.م ومنها سفر دانيال) وكتابات المؤلف القصصي الصقلي ديودرس سيكيلوس ٤٠ ق.م (أي بعد خمسمائة عام من خسارة الكلدان لإستقلالهم السياسي) ، لتنتقل منها إلى المعاجم القرونوسطية وتتلاقفها أيادي المعجميين في (البلاد الناطقة بالعربية) فيترجمونها دونما تمحيص أو يستخدمونها وفق قاعدة (الخطأ الشائع) .

إلا بعض المتمحصين الأوربيين والعراقيين وبعض رجال الدين المسيحين تناولوا هذه الإشارات فصوبوها ومنهم المطران أوجين منا الكلداني في معجمه المعروف (دليل الراغبين في لغة الآراميين الكلدان) والأب سهيل قاشا في كتابه الموسوم (أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية) ، لاسيما وأن العهد القديم يذكر الكلدان أيضاً (وبكل وضوح) في سفر إرميا بأنهم (أمة عريقة منذ القدم) كما يذكرهم في أكثر من موقع من كتب العهد القديم كأمة وكشعب قومي ولا سيما في سفر التكوين وإرميا .

ومن الطبيعي أن يعمد من يهمه الإنتقاص من الكلدان إلى أن يستعير من العهد القديم ما يتصوره ملائماً من عبارات (حتى لو كانت تقبل أكثر من تفسير) ، وذلك ليدعم توجهاته متناسياً أو متجاهلاً الأستشهادات الأخرى الواردة في العهد القديم التي تبين بشكل واضح وجلي (قومية الأمة الكلدانية) .

والحق فإن أرتباط السحر والعرافة (بعلماء الكلدان) مسألة لا خلاف عليها وهي بكل تأكيد (تدعم) مسألة إنتماء الكلدان للرافديين القدامى (بناة أريدو) ذلك أن عاصمة الفراتيين الأوائل (أريدو) كانت مدينة الإله أنكي / أيا (إله العرافة والسحر وسيد الكلمة المقتدرة) أي كان بمقدوره (أن يقول للشيء كن فيكون) ، ومعلوم أيضاً أن (أيا / أنكي) الإله الوطني لأريدو هو والد الإله مردوخ الإله الوطني لكل البابليين / الكلدان ، الذين أطلق الآخرون على علمائهم بسبب من تمكنهم من علم الفلك تسمية (المنجمون) ، وبحسب قاعدة أطلاق الجزء على الكل ، وهكذا صفت الكتابات اليهودية والأغريقية المتأخرة زمنياً (بين قرنين إلى خمسة قرون) الكلدان بالمنجمين (وهذه الصفة كانت تطلق تحديداً على طبقة دينية يدعى أفرادها أبناء أنميدو رانكي) .

ولو أستخدم أي أنسان جزءاً صغيراً من عقله لتبين له ، أن ليس من المعقول أن يتصف بصفة العرافة والتنجيم والسحر كل الشعب الكلداني صغيرهم وكبيرهم رجالهم ونساؤهم ، ذلك أن صفة الإطلاق والتعميم هذه يمكن أن ترتبط بشخص فرد أو عائلة أو حتى مجموعة من التلاميذ أو حزب ما ولكن لا يمكن أن نقول عن أمة أو شعب بأجمعه (هذا شعب الأطباء وذاك شعب المحامين وذلك شعب المهندسين) ، لأن هذا من السذاجة بمكان .

النقطة الأخرى التي يهمنا أن نبينها هنا هو أنه لم يرد عن الكلدان في أي كتاب تاريخي أكاديمي أو رقيماً بأنهم كانوا شعباً من المنجمين ، ولكن الرقم الرافدية تؤكد بأن الكلدان كانوا دونما جدال أساتذة علم الرياضيات والفلك .

وفي هذا نشرت المتاحف والجهات الآثارية والجامعات المختصة عشرات المجلدات التي تبين منجزات الكلدان ، لكنها لم تقل بأن الشعب كله كان مجموعة من أساتذة الرياضيات والفلك القديم (أسترولوجي) ، ولو تمكن أي معني بهذا الموضوع من مراجعة (فهرست

مخطوطات علم الفلك والتنجيم) في المتحف العراقي لتبين له وبكل وضوح مبالغة الأغريق واليهود في هذا المجال .
أخيراً فإن العهد القديم ليس كتاباً مدرسياً في حقل التاريخ وإنما هو كتاب روحي خالص ، لذلك فإن تفسير أسم بابل من فعل بلبل ، وأعتقاد اليهود بأن القصد من الأبراج المدرجة الزقورات وتحديداً برج بابل هو لمنافسة الرب في عليائه ، والجمع بين شخصيتي نبوخذنصر ونبونائيد ، وإقصاء الكنعانيين والفينقيين من الأرومة السامية وإدراج اللوديين والعيلاميين الهندو-أروبيين فيها ، وجعل آثور البابلي من بني حام ينتقل من بابل ليبني نينوى وتيميزه في سفر التكوين عن آشور السامي من نسل سام ، وجعل كنعان السامي من بني حام ، كل هذه الأمور التي ترد في العهد القديم والتي قد تبدو لأول وهلة مربكة ، إنما تؤكد حقيقة واحدة وهي أن كتاب العهد القديم هو كتاب روحي خالص ولكنه ليس كتاباً مدرسياً في التاريخ .
وبديهي أن هذا لا يعني عدم إعتمادنا للإشارات التاريخية التي تتحدد بواقعة معينة ولكنها لا ترتبط بزمن محدد ، لاسيما إذا ما كانت مقبولة ومنطقية ضمن السياق التاريخي المادي ، علماً أن مثل هذه المعلومات التاريخية العامة الواردة في الكتاب المقدس ليس الغرض منها دعم سجلاتنا المدرسية وإنما تعزيز الجانب الروحي للمؤمن الذي هو أساس خلاصه .
ولتأكيد خطل مغالطة الإدعاء الذي نبحثه ، سأستشهد هنا بعدد محدود من الأمثلة حسب ومن يريد المزيد مراجعة المصادر الملحقة بهذه الدراسة :
في الكتاب الموسوعي (العراق في التاريخ / ثلاثة عشر جزء) وفي فصل (العراق خلال عصور الإحتلال الأخميني السلوقي الفرثي الساساني وفي موضوع / الشعور القومي لدى البابليين) ، يذكر المؤرخ والآثاري العراقي الدكتور مؤيد سعيد الأحمد رئيس المؤسسة العامة للآثار والتراث قائلاً : لم يكتف البابليون القدماء (سكان العراق آنذاك / الكلدان) بالثورات المتعددة ضد الملوك الفرس ، وإنما حاولوا (كما لاحظنا) إستخدام أسم الملك (الكلداني) نبوخذ نصر مجدداً كرمز قومي .
وهنا أتساءل وببراءة مطلقة : لماذا لم يستخدم العراقيون القدماء آنذاك أسم آشوربانيبال أو سنحاريب كعنوان لإنتفاضتهم القومية لو كانت (الآشورية) تعني بالنسبة لهم تسمية قومية ؟
في كتابها الذائع الصيت (علوم الكلدان / الطبعة الفرنسية والذي ترجم إلى اللغة العربية تحت أسم (علوم البابليين) تذكر الباحثة وأستاذة علم التاريخ ماركريت روثن : بأن تعجب المؤلفين الكلاسيكيين (الأغريق) من حكمة (الكلدانيين) دفع ديودروس الصقلي الذي أشتهر بكتاباته القصصية لأن يقول : (بأن الكلدان هم الأقدم بين البابليين مرة وبأنهم منجمون وفلكيون مرة أخرى) ، ومثله فعل سترابون المؤرخ الأغريقي الذي قال : بأن الأغريق تعلموا رصد الكواكب (بمعنى التنجيم) من الكلدان وهذه هي في الواقع بعض من الأصداء التي أشاعها أشخاص أمثال هيرودس ويوسفوس وكلوديوس بطليموس من الذين لم يعاصروا الكلدان أو يعيشوا في عصر هيمنتهم السياسية .
ويؤكد الدكتور عامر سليمان فيقول : بلغ الفلكي البابلي (الكلداني) من الشهرة لدى اليونان ما جعلهم يطلقون على هذا العلم مصطلح (العلم الكلدي) .
ويقول المطران أوجين منا في معجمه الشهير (دليل الراغبين) : الأمة الكلدانية ، سكان (أقليم) بابل خاصة ، ويقول في مكان آخر من معجمه بأنهم أي الكلدان : جيل من الشعوب

القديمة كانوا أشهر أهل زمانهم في سطوة الملك والعلوم وخاصة علم الفلك) .
وإلى ذلك يشير أيضاً العالم المؤرخ لوي أوبنهايم في كتابه الشهيربلاد ما بين النهرين حيث يوضح بأن علم الفلك الكلداني الذي يسمى أسترولوجي كان من الشهرة عند الكلدان حتى (طغى على ذكرهم دون غيره من العلوم العديدة التي أبدع بها الكلدان) ولهذا يقول في الصفحة ٤٠٦ ط ع : أدى علم التنجيم (البابلي) إلى شهرة (ما يسمى) (بالعلم الكلداني) ويضيف موضحاً في الصفحة ٤٨٢ ط ع : تعد السلالة الكلدانية آخر سلالة قومية وبنهايتها ينتهي التاريخ الوطني للعراق القديم .
أما جورج روو وهو أحد أكثر العلماء المؤرخين دقة ومصداقية فيقول في الصفحة ٤٧٩ط ع من كتابه الشهيرالعراق القديم : تسبب اليونان الذين عرفوا الكلدان وأعجبوا بهم (أي بصفتهم كفلكيين) والتي يترجمونها وفق مفهومهم (المحدود علمياً قياساً بمستوى علماء بابل) بالعرافة والسحر في إلحاق الكثير من التشويه والأذى بسمعتهم .
وكتأكيد أخير على خطأ الإدعاء الشائع بأن الكلدان كانوا طبقة من الكهنة المنجمين والسحرة أورد فيما يلي تسميات ورتب طبقات الكهنة في بابل من ألفها إلى يائها منذ العصر البابلي القديم حتى نهاية العصر البابلي الحديث ، وليس بينها كما سيتضح بالدليل المادي أي طبقة أو رتبة كهنوتية يدعى أصحابها بالكلدان .
وللعلم أيضاً فقد تبادلت بعض المناصب الكهنوتية في مستوى أهميتها وموقعها بين الدرجات الثلاثة الأخيرة ، وأيضاً بين مدينة وأخرى ومن عصر إلى آخر ، أما رتب الكهنة فقد كانت على النحو التالي :
-١ أصحاب المراتب الرفيعة السانكا أو الشانكو -Shangû- ومنهم الكاهن الأعظم الإينو -Enu- الذي يسكن الكيبارو -Giparu- ، تتبعه الكاهنة العليا أي رئيسة الكاهنات إينتو أو إينتوم -Entum- التي تسكن الكاكوم -Gagum- ، ويقرأ أسم رئيس الكهنة باللغة البابلية شيشكالو -Sheshgallu- ، تعاونهما طبقة من الموظفين الدينيين ناديتو -Naditu- وأوكبابتو -Ugbabtu- الذين يعيشون داخل المعبد ويجمعون بين الصفتين الدينية والمدنية ولهم الحق بأمتلاك الأراضي والعقارات والتداول بالأعمال ، وهنالك نوع من الكهنة الإداريين كالرئيس الماخو -Makhu- والمسؤول المالي الذي قد يكون من كهنة الشابرا -Shapra- ثم الشادو -Shadu- المشرف على أراضي المعبد وأخيراً الكاكور -Gagur- المسؤول عن مخازن حبوب المعبد .
-٢ كهنة القداديس الإحتفالية ومنهم الأوريكاللو -Urigallu- الذي يلعب دوراً كبيراً في احتفال رأس السنة الجديدة (أكيتو) -Akitu- وهم أيضاً حراس البوابة المقدسة
-٣ الكهنة الأختصاصيون وهم :
أ- المطهرون بالماء المقدس آشيبو -Ashipu- ومنهم المنظفون الرامقو -Ramqu- الذين يعملون في بيت الوضوء بيت رامقي -Beth Ramqi-
ب- المدهنون بالزيت المقدس الباشيشو -Pashishu-
ب- المضحي النياككو -Niaggu- وهو معاون الرامقو ويدعى أيضاً كاهن الذبائح وبالبابلية ناش بطري -Nash Baṯri- أي حامل السكين
ج- يليهم الكهنة المختصون بالقرابين إيشيبو -Ishibu- ويشترك معهم في طقوس تقدمة

القرابين الباشيشو -pashishu-
هه- المعزمون وطاردو الأرواح الشريرة وهم المشماشو -Mashmashshu- الذين يقومون بشعائر الطب والسحر ويشاركهم في بعض طقوس التطهير كهنة الماء المقدس آشيبو -Ashipu-
و- المرتلون والمنشدون الكالو -Kalu- وعادة ما يؤدون تراتيلهم بشكل جوق غنائي موسيقي مصحوب بالطبول
ز- الندابون نار وباللغة البابلية نارو -Naru- وعادة ما يصحبون بفريق من العبيد
٤- المختصون بطقوس الأسرار الإلهية وهم :
أ- العرافون ماش شو كد كد -Mash shu gid gid- وفي البابلية بارو -Baru- ويلقب العرافون والمنجمون أيضاً بأبناء أنميدو رانكي -En medu Ranki-
ب- كهنة الإنسي -Ensi- وهم مفسرو ومفسرات الأحلام الذكور الشائيلو والإناث الشائيلتو -Sha'ilu & Sha'iltu-
ج- المتنبئون الزاقيقو -Zaqiqu-
٥- رتبة صغار الكهنة
أ- الكهنة المبتدئون موهالديم وبالبابلية نوهاتيمو -Muhaldim or Nuhatimmu- وهم حاملو مواكب الآلهة والمعتنون بحمام وطيور المعبد وصانعو الكعك المقدس والبيرة الخاصة بالمعبد
ب- الكوكارو -Kugaru- والإيشنو -Eshnu- خصيان المعبد وهي من أوطأ المناصب الكهنوتية
ج- وهنالك مرتبة أخرى لمن نذروا أنفسهم طواعية لخدمة المعبد ولا تتعدى نشاطاتهم حدوده ، أي أشبه بحياة الرهبنة مع الفارق في طبيعة الوظائف ، وتتألف هذه المرتبة من القاديشتو -Qadishtu- ثم الكولماشيتو والشاكيتوم -Kulmashitu & Shakitum- والناريتو أي العقيمة -Naritu- وهن مجموعة من النساء اللواتي تسكن في الغرف الخارجية الملحقة بالمعبد ويستخدمن أثناء طقوس الزواج المقدس .
وفي عهد نبوخذنصر الثاني أبتكرت وظيفتان محليتان تجمعان بين المنصب الديني والوظيفة المدنية وهما الشتامو -Shatammu- وهو مدير الشؤون الإقتصادية للمعبد والقيبو -Qipu- ممثل الملك نبوخذنصر الثاني ، وقد أنحصرت هاتان الوظيفتان اللتان أوجدهما نبوخذنصر الثاني بمعبد واحد هو معبد مدينة أوروك المسمى (أي أنا) لأهمية هذه المدينة التي ينحدر منها النبيل المعروف بأسم نبوخذنصر وهو جد أبيه (الملك نبوبلاصر) .



الفلكي كيدينو ومساعده يرصدان حركة الأجرام السماوية

إدعاء أن الكلدان قد حكموا وادي الرافدين لفترة لا تتجاوز ثلاثة أرباع القرن !!

في لقاء تم عام ١٩٩٧م في قاعة قصر الشرق في مدينة هيزل بارك / ولاية ميتشغان بطلب بعض السادة من قيادة حزب زوعا ومنهم السيد يونان هوزيا ، وذلك لمناقشة كتابي الموسوم (الكلدان .. شمس لا تنطفيء) .

أنبرى أحد الحضور الزوعيين (ينحدر من قرية كلدانية شهيرة) ساخراً من الكلدان ، وملوحاً بأن تاريخ الكلدان لا يتجاوز ثلاثة أرباع القرن بينما يتجاوز تاريخ الآشوريين ثلاثة آلاف عام ، فما كان مني إلا أن أبتسمت وقلت له : مشكلتك يا أخي الكريم عدم فهمك لمعنى آشوري أولاً ، وثانياً أعتقادك بأن الكلدان نزلوا هكذا فجأة من السماء على عهد نبوبلاصر ثم تلاشوا كالدخان مع دخول الخائن الشمالي كوبارو إلى بابل ، بالنسبة لي أفهم مبرر سخريتك هذه لأنك هكذا لقنت وهذه هي حدود معلوماتك ، وبقدر معلوماتك تتحدث .

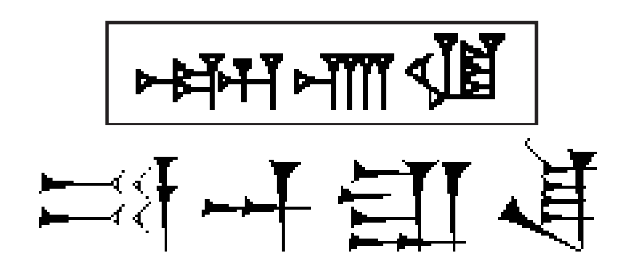
والحق فإن هذا الإعتقاد السطحي هو ما يؤمن به جمهور كبير من العامة الذين لا تتجاوز آفاقهم في هذا المجال أرنبة أنفهم ، ربما لأنهم غير معنين أساساً بتقصي الحقيقة أو ربما أن مسألة كالأمانة العلمية هيّ شأن غير ذي أهمية وثانوي !

لاسيما إذا ما كان هذا الشأن يتعارض وما تلقنوه على أيدي قادتهم السياسيين ، والواقع أنني قد أوضحت في الفقرات السابقة بأن المدونات المادية قد كشفت بأن التسمية الكلدانية قد عرفت في بابل منذ عهد سلالة بابل الثانية (١١٧٥-١٠٢٦ ق.م) كما حكم الكلدان في مجموعة من السلالات البابلية إبان عهد الدولة الآشورية الحديثة الذي لا يتجاوز أمده ٢٩٩عاماً ، وكانت مرحلته الثانية المسماة بالعصر الأمبراطوري هي أهم فتراته ، والتي تبدأ بالسلالة السرجونية ٧٢١ ق.م وتنتهي في عام ٦١٢ ق.م ، بمعنى ما يقرب من قرن وبضع سنوات ، وهو ما يعادل سلالة كلدانية واحدة هي السلالة الحادية عشر الأمبراطورية ، والحق فإن السلالة السرجونية هي التي منحت أقليم الشمال سمعته المؤثرة لدى المؤرخين الأغريق ، ذلك أن أقليم الشمال منذ تأسيس مدينة آشور كان تابعاً إما لممالك وأمبراطوريات وسط وجنوب العراق من كيشية -Kish- وسومرية وأكدية وبابلية ، وإما للغزاة الهندوأوربيين من حوريين وحيثيين ، ولم ينفصل هذا الإقليم عن السلطة المركزية في الإقليم البابلي ويستقوي على مرجعيته إلا في عهد بضع سلالات محلية لا يربطها أي رابط عائلي ، وما لبث أن عاد ثانية بعد نهاية عهد الإستقواء السرجوني إلى مظلته التقليدية (الحكم البابلي) حتى أنتهاء العهد الوطني في العراق القديم .

أما ممالك الكلدان ، فإننا حتى لو قمنا بسلخها عن أصولها الرافدية الأولى وقطعنا صلات رحم الكلدانيين بالأكديين والعموريين (تسميتان إقليميتان) ، فإن تاريخ ممالكهم وإماراتهم المتواصلة التي تثبتها المدونات المادية تبقى أطول زمناً وأشد تأثيراً في الحضارة الرافدية ، ذلك أن تاريخ هذه السلالات فقط يمتد من أواخر الألف الثاني ق.م حتى أحتواء آخر ممالكهم حيرتا (الحيرة) من قبل الملك النسطوري أمرؤ القيس بن عمرو بن عدي بحدود عام ٢٨٨م ، أي ما يقرب من ألف وخمسمائة عام ، علماً أن التاريخ السلالي الواقعي للأمة الكلدانية إنما يعود لعاصمة الكلدان الأوائل (أريدو) ٥٣٠٠ ق.م .

إن هؤلاء الذين يغالون (عن جهل) في تصوراتهم المبهمة وغير الواقعية عن الدولة الآشورية التي يعتقدونها دولة واحدة بسلالات متصلة تناسلت واحدة عن الأخرى في وحدة عرقية ولغوية إنما يجعلون من أنفسهم مجالاً للتندر وسخرية الآخرين .
الحق إن ما جعل المؤرخين يهملون تناول أقليم الشمال بالشرح المفصل هو إنعدام توفر المدونات المادية التي يعول عليها من ناحية وبخاصة إبان العهد الشوباري ، ومن ناحية أخرى بسبب هامشية هذا الإقليم الحضارية طوال العهود التي سبقت إقامة دولة آشور الإشنونية نسبة للملك العموري الإشنوني شمشي أدد الأول (١٨١٣ - ١٧٨١ق.م) ، التي ما لبث أن صارت تابعة لبابل في عهد خليفته أشمي دكان لتعود ثانية إلى هامشيتها وتختفي من المشهد التاريخي لعدة قرون حتى مجيء سلالة جديدة أسسها الملك بوزورو آشور (١٥٢١ق.م) والتي لا نعرف الكثير عنها أو عن ملوكها لكننا نعرف أن هنالك ملكاً آخر يحظى بأهمية نسبية جاء إلى الحكم بعد مؤسسها بفترة تقرب من مائة عام ؟!! هو آشوربل نيشيشو ١٤١٧-١٤٠٩ ق.م ثم خضعت آشور لحكم الفرعون أمينوفس الثالث لبضعة أعوام حتى مجيء الملك آشور أوبالط ١٣٦٣-١٣٢٨ ق.م ، ثم تمكن العيلاميون من الإستيلاء على آشور التي تقلبت بها الأمور بين عدد من الملوك والحكام المحليين حتى نهاية الفترة الآشورية الوسطى ، لتبدأ ثانية تحت حكم سلالة جديدة أسسها حدد نيراري الثاني أنتهت بإغتصاب العرش في ظروف غامضة من قبل عسكري طموح لا يعرف أسمه الحقيقي (تسمى بأسم ملك أكد الكلدي) الشهير سرجون ، ليبدأ تاريخ السلالة الأمبراطورية السرجونية التي أنتهى مصير معظم ملوكها بالأغتيال أو بطرق غامضة إبتداء بمؤسسها سرجون الثاني وولده سنحاريب ومروراً بآشوربانيبال وأنتهاء بآشورإيتيل إيلاني وسن شمو ليشير !!
المسلمة الأخرى التي يجهلها البسطاء ويتجاهلها المتعلمون المروجون للتسمية الآشورية الحديثة ، هي أن الهيمنة السياسية الفعلية للدولة الآشورية على وادي الرافدين ليست كما يهول البعض أو يغالي البعض الآخر بين ألف عام وألف وخمسمائة عام ، ذلك أن هذا البعض قد خلط كما يبدو بين إستقلال أقليم الشمال غير الناجز عن الأقليم البابلي (السلطة الشرعية للبلاد) عام ١٣٦٣ ق.م ، وبين تأسيس الأمبراطورية الآشورية الأولى عام ٩١١ ق.م فالأمبراطورية الثانية (الأخيرة) عام ٧٤٥ ق.م ، ولو جمعنا سنوات حكم هاتين الإمبراطوريتين لما ساوى فترة حكم سلالة بابلية واحدة هي سلالة بابل الأولى التي هي كما نعرف ليست أطول السلالات البابلية حكماً وبالتالي لما ساوى حكم هاتين الإمبراطوريتين خمس فترة حكم السومريين لوادي الرافدين ، ويمكن لمن يشاء الرجوع إلى الجداول التاريخية المتخصصة بهذا الشأن .
ولعل ما يجدر بنا ذكره هنا ، أن الكلدان (بسبب من خصوصيتهم القومية) قد تمكنوا حتى بعد أنتهاء دورهم السياسي أواخر القرن الثالث للميلاد من الهيمنة ثقافياً ولغوياً وبشكلٍ مطلق على جميع المحتلين الذين غزوا بلادهم بأستثناء المسلمين العرب الذين عملوا وفقاً لتوجهاتهم الدينية وسياسة قادتهم الإحتوائية على فرض نظام الموالاة (الموالي) واللغة العربية والدين الجديد على السكان الأصليين (الكلدان) ، ومما ساعدهم على ذلك سياسة هدم المدارس الكلدانية الملحقة بالكنائس والأديرة التي يتم التدريس فيها باللغة الأصلية للسكان (لغة السورث / الكلدانية الحديثة) ، وبالتالي كان على من يريد التعلم من السكان الأصليين

(الكلدان) الإلتحاق بمدارس المسلمين (من عرب ومستعربة) طلباً للعلم أو طمعاً في الوظيفة الحكومية ، فيما بقيت لغة (السورث) مهيمنة على الشارع حتى القرن العاشر الميلادي ، وفي المناطق الريفية (نطقاً وكتابة) حتى القرن الثالث عشر للميلاد وأخيراً تواصلت نطقاً بشكل واسع وكتابة بشكل محدود في قرى وبلدات وطننا الأم حتى تاريخ صدور هذا البحث .



أسم أريدو عاصمة الكلدان الأوائل وأسم بابل العاصمة التاريخية للكلدان بالقلم المسماري

إدعاء أن مسيحيي (دشتا وطورا)
ليسوا كلداناً لأنهم يسكنون فيما كان يسمى قديماً إقليم آشور !!

من بين الموضوعات التي روجت مؤخراً : أن الكلدان (ليسوا كلداناً) وإنما آشوريين ، وذلك بحسب إدعاء هؤلاء ، لأن البلدات والقصبات الكلدانية تتوزع جغرافياً الآن فيما عرف يوماً بإقليم آشور !

ومع أن مثل هذا الرأي يشبه من يمسك العصا من المنتصف مدعياً أنه يمسك ببدايتها ، ذلك أن السومريين هم السكان الأصليين لشمال وادي الرافدين كما أثبتت ذلك دراسات العديد من المؤرخين الذين أوردت في الجزء الأول من البحث جملة من آرائهم ، كما أن آخر الأقوام القديمة التي ورثت الأرض عن السومريين كانوا كلدان الألف الأول ق.م ، ثم أستولت بعد ذلك على الإقليم مجاميع جديدة من الغزاة إبتداءً بالإخمينيين وأنتهاء بالعرب فالكورد ..

الغريب أيضاً ، أن أصحاب هذا المنطق اللاعلمي يتناسون الحقائق التاريخية الدامغة التالية :

١- أن كلدان العهد البابلي الحديث كآخر سلالة قومية وطنية ، كانوا هم وليس أحد غيرهم ورثة ما يزيد على خمسة آلاف عام من الحضارة الرافدية التي أبتدأت في أريدو عاصمة الكلدان الأوائل ، لذلك بقوا مؤثرين في وادي الرافدين منذ الإحتلال الأخميني حتى ما بعد الغزو الحجازي إبان التوسعات الإسلامية ، الذي أنهى الإحتلال الساساني ليبدأ مع الحجازيين إحتلال جديد ، وفي كلتا الحالتين لم يدخل الغزاة على بلدان خالية من السكان أو شعوباً تفتقر إلى المدنية والحضارة ، وإلى ذلك يشير الباحث الإجتماعي العراقي المسلم سليم مطر قائلاً : عندما دخل المسلمون وجدوا أمامهم كنيسة بابل النسطورية (مقرها في المدائن) التي كانت تضم ٩٠٪ من العراقيين وتمتد أسقفياتها من نينوى حتى قطرايا (دولة قطرحالياً) ويقول في مكان آخر : عندما زار بنيامين التودلي جبل سينا حوالي ١١٧٠م وجد على قمته

معبداً مسيحياً وعند سفحه قرية كان أهلها يتكلمون باللغة الكلدانية مما يدلل على عمق إنتشار اللغة الكلدانية وأيضاً إلى هجرات الكلدان الذين أرادوا التخلص من الإضطهادات الدينية فقصدوا المناطق الجبلية والصحراوية النائية .
وها هو أمين الريحاني يقول في المجلد الرابع من ملوك العرب ص ٣٦ : أن تسمية بغداد بابلية الأصل وقد أستمدت أسمها من مزار بناه الملك الكلداني نبوخذنصر أثر معركة أنتصر فيها هناك على أعدائه . كما أقتنى الطبيب الفرنسي أندريه ميشو عام ١٧٨٠م كودورو / حجر حدود كان قد عثر عليها في المدائن بالقرب من ضفة النهر تعود للملك البابلي الكشي كوريكالزو وقد سميت فيها منطقة يعتقد أنها كانت مجاورة لبلدة دوركوريكالزو / عقرقوقوف بأسم بكدادا -Bag da da- ويورد هذه المعلومة أيضاً معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم .
وقد ثبت كلدانية بغداد أيضاً أثر أكتشاف سور حصن قديم في جانب الكرخ من بغداد حملت آجراته أسم الملك الكلداني نبوخذنصر الثاني ، والطريف ذكره هنا ، أن بعض المسلمين بنوا مقاماً أسموه مقام (الخضر) بجانب ذلك السور الكلدي ، يؤمه اليوم المسيحيون والمسلمون على حد سواء للتبرك والدعاء !
مما يؤكد أن بغداد التي تسكنها اليوم الأغلبية الناطقة بالسورث قياساً بناطقي السورث في مدن العراق الأخرى بما فيها بلدات الشمال ليست أرض مهجر ، لأنها كانت منذ العهد البابلي القديم مدينة أسلافهم الكلدان الأوائل فالكلدان القدماء الذين أسسوا أشهر السلالات البابلية ، وبالتالي فإن سكانها الحاليين من الناطقين بالسورث ليسوا نازحين شماليين كما يتوهم البعض ، وإنما الصحيح هو أنهم من العائدين إلى ديارات آبائهم وأجدادهم الكلدان ، مما يدحض الرأي القائل بأن مسيحيي (دشتا وطورا) ليسوا كلداناً لأنهم يسكنون الآن فيما كان يسمى قديماً إقليم آشور ، الذي تسمى ولزمن محدود كما بين ذلك آنفاً بأسم دولة آشور ، بعكس بغداد التي كانت دائماً جزءاً لا يتجزء من الأقليم البابلي والتي تضم اليوم غالبية الناطقين بالسورث / الكلدانية الدارجة .
-٢ كان كلدان الحيرة وبغداد وسامراء وحدياب والموصل (السريان المشارقة المتنسطرين والمونوفيسيين) في العهد العباسي يمثلون طبقة كبيرة من الشعب (وصل تعدادها في بعض المصادر العباسية إلى ما يزيد على مائتي ألف) وكان جلهم من المتعلمين وأصحاب المهن من كوازين وخمارين ووراقين وبزازين وغيرهم مثلما كان من بينهم عدد كبير من المترجمين والأطباء والمستشارين والمهندسين والفلكيين ، ناهيكم عن المزارعين الذين كان يطلق العرب عليهم تسمية النبط والذين كان أعدداهم بعد ما يزيد قرنين من الصهر والتذويب يزيد على المليونين (للمزيد من المعلومات يرجى مراجعة دراستنا الموسومة / سكان العراق / بلاد بابل .. عرب أم مستعربة) .
وحري بالذكر هنا أن المأذنة الملوية في شمرا / شيمورم (سامراء) التي بناها المهندس الكلداني دليل بن يعقوب النصراني قد أستوحى تصميمها من تراث أجداده الكلدان الذين تناقلت أخبارهم كتب اليونان وأشار العهد القديم إلى برجهم العظيم ، لذلك جاءت تلك المأذنة مطابقة في الرؤية لطراز الأبراج البابلية وتشبه إلى حد بعيد برج كاهنة القمر (ننار / سين) من منطقة أور الكلدان الكاهنة إنخيدونا أبنة ملك أكد الكلدي شروكين (سرجون الكبير) ، لكن

الكلدان قصدوا البلدات الكلدانية التي أبتناها أجدادهم من قبل في عصر التهجيرات الآشورية ، وذلك بعد سقوط الدولة العباسية وتزايد الإضطهادات الدينية في عصر الصراع الفارسي العثماني .

وإلى ذلك يشير الوزير الكاتب والمؤرخ الكلداني يوسف رزق ألله غنيمة في كتابه الموسوم (نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق) ص ١٧٢ : أن يهود العراق بقوا في هذه الديار في القرون التي أعقبت إستيلاء المغول والتتار ، ولم يضطروا إلى مغادرة أوطانهم مع ما كان فيها من المظالم والإضطهادات كما فعل النساطرة (السريان من أحفاد الكلدان الأوائل) الذين هجروا بغداد والبصرة وكل مدن العراق ما خلا الموصل ونواحيها وألتجأوا إلى قمم الجبال حتى أنقطع ذكرهم من عاصمة العباسيين عهداً ، فخربت بيعهم وهدمت معابدهم ، ولم تعد فئة النصارى إلى مدينة السلام إلا بعد مرور قرن أو أكثر.

تؤكد هذه الحقائق على أن تنقل الكلدان بين مستوطنهم التاريخي وسط وجنوب العراق وبين بلداتهم التي أنشئت في منطقة دشتا وطورا إبان عهد تنامي قوة الدولة الآشورية كان واقعاً مفروضاً تطلبته متغيرات الحياة ، علماً أن تلك البلدات كانت قد أقيمت على مستوطنات عمورية قديمة ومستوطنات أكدية وسومرية أقدم ، أما السبب الرئيس لتوجه كلدان الإقليم البابلي نحو الشمال الرافدي في فترة الإضطهادات الكبرى ، فكان بدافع حماية العرض والدين والنجاة بحياتهم وحياة عوائلهم من سطوة المحتلين الظلاميين من مغول وفرس وعثمانيين .

-٣ أن نسبة تزيد على ٦٠٪ من الناطقين بالسورث المتبقين في العراق من أبناء مختلف الطوائف المسيحية الناطقة بالسورث لا يقيمون اليوم في البلدات الشمالية وإنما في منطقة أجدادهم التاريخية بغداد والمدن الكبيرة الأخرى ، وما دفعهم إلى مثل هذه الهجرة المعاكسة هو أن معظم القرى والبلدات الكلدانية الشمالية قد تم أحتلالها من قبل الكورد بتخطيط من الدولة العثمانية أبتداء من تاريخ جلب الكورد إلى العراق عام ١٥١٥م ، ولا تزال عدد من البلدات والقرى في دهوك وأربيل وسهل نينوى حتى اليوم تتعرض للإحتواء الكوردي المبرمج ، ناهيكم عن أن تحسن الأوضاع الإقتصادية منذ أواخر القرن التاسع عشر ، ولاسيما في المدن الكبيرة مثل بغداد والبصرة دفع بالعديد من العوائل للنزوح إليها لتحسين المستوى المعاشي والحصول على الخدمات الإجتماعية والثقافية المتميزة قياساً بمستواها في البلدات الشمالية وأرياف المدن الكبرى .

يتبين لنا مما ذكرت آنفاً ، بأن التعكز على المنطق الجغرافي لتحديد الأعراق البشرية هو من السذاجة بمكان ، بحيث لا يمكن لأي عاقل تصوره ، فقد بينت الأثباتات الآثارية بأن السلالة السرجونية التي أنشأ ملوكها أعظم إمبراطورية في إقليم آشور إنما تنحدر عن البابليين (تسمية أقليمية) ، كما أن مؤسس الدولة الآشورية الأولى شمشي أدد الأول ينحدر أيضاً عن البابليين .

إن أستخدامي لتسمية البابليين الوطني هنا ، هو في الواقع محاولة لتوضيح أن العموريين الذين ينحدرون عن الكلدان الأوائل وكلدان اليوم هم شعب واحد ، لغته وعرقه وأصله واحد ، إلا أن الهجرات والتهجيرات التي نقلت ما يقرب على المليون كلداني إلى الأقليم الشمالي في عهد تسلط الدولة الآشورية وخاصة السلالة السرجونية ، علاوة على الهجرات اللاحقة التي

أتخذت طابعاً دينيياً أثر تقبل الرافديين للبشارة المسيحية ومحاولتهم للتخلص من مضطهديهم أبان عصور الغزاة التي أبتدأت بالأخمينيين وأنتهت بالعثمانيين والبريطانيين أنتهت بهم إلى الإستقرار في إقليم الشمال .

وهنا ينبغي علينا أن ندرك بأن مثل هذه التبدلات المكانية لا يمكن لها أن تنسينا أصلنا الوسط جنوبي ، أما إعتماد منطق الجغرافيا وحده فإنه منطق عاجز ، ذلك أننا بحسب منطق الجغرافيا هذا ينبغي أن نعتبر الكورد والتركمان والكلدان وكلدان الجبال والعرب الذين يقيمون الآن في القسم الشمالي من العراق سومريين ، لأن أقليم الشمال أصلاً هو مستوطن السومريين (شومرايي) .

وإذا ما قمنا بتطبيق هذا المنطق اللاعلمي على الشعوب التي تسكن اليوم في أمريكا وكندا ومنهم العرب والأكراد والتركمان والكلدان والآثوريين (كلدان الجبال) وكذلك بقية الشعوب الأخرى من أوربيين وصينيين وأفارقة ، فليس أمامنا إلا أن نعتبرهم جميعاً هنوداً حمر !!!

لأن هذه البلاد (أميريكا وكندا) هي مستوطن الهنود الحمر وبالتالي فإن زنج البصرة والهنود السيخ وبعض العشائر الحجازية التي هاجرت إلى العراق بعد الغزو الإسلامي يضاف لهم العشائر المسيحية العربية من بني طي وربيعة وتنوخ وتميم والعباد النجديين الذين أستقروا في العراق قبل الغزو الإسلامي هم كلدان بابليون !!

إن منطق الجغرافيا المحدود هذا لا يمكن أن يقنع أو يرضى به إلا البسطاء والسذج ، كما إن مثل هذا المنطق المتهريء لا يمكن أن يروج له إلا المتعصبون الذين يسعون لتمرير أهداف غير سوية ، ذلك أن منطق الجغرافيا البشرية هو منطق زمكاني متغير زماناً ومكاناً ، يخضع دائماً للتبدلات المستمرة بحسب المتغيرات الجيوسياسية وليس أدل على ذلك من التغيرات الدراماتيكية الهائلة التي طرأت على الخارطة الأوربية ليس منذ منذ عصر النهضة الأوربية وما تلته من متغيرات كبيرة ، بل منذ سقوط جدار برلين حتى يومنا هذا .

إدعاء أنقراض الكلدان بعد سيطرة المسلمين على وادي الرافدين ؟

في كتابي الموسوم (الكلدان .. شمس لا تنطفيء) تناولت في الفصل المعنون (هجرة الكلدان نحو الشمال) الأسباب التي أدت إلى هجرة الكلدان نحو الشمال ومن ثم أتيت على ذكر التهجيرات التي أدت إلى نقل ما يقرب على المليون كلداني من الإقليم البابلي إلى إقليم آشور في عهد السلالة السرجونية علاوة على الهجرات والتهجيرات اللاحقة ، لذلك سأكتفي هنا بالإشارة إلى العوامل التي أدت إلى ترك الكلدان لمستوطنهم التاريخي في وسط وجنوب العراق القديم مع ذكر أهم الهجرات والتهجيرات المدعمة بالإثباتات المادية ، وذلك لتفنيد إدعاء إنقراض الكلدان القدماء بعد دخول القوات الحجازية المسلمة إلى وادي الرافدين عام ٦٣٦م أثر معركة القادسية الحاسمة .

أثبتنا فيما سبق بأن السلالات الكلدانية التي تواجدت تحت هذه التسمية بشكل واضح وجلي منذ عهد الملك البابلي نبوخذنصر الأول ما هم إلا آخر السلالات القومية التي ينتمي إليها الأكديون (نسبة للعاصمة أكد) والعموريون (تسمية جغرافية) وعموريو آشور (منذ شمشي أدد الأول) وأخيراً الآراميون (تسمية موقعية جغرافية) ، وبالتالي فإنهم جميعاً ينتمون إلى المجموعة العرقية التي أطلق عليها تسمية الكلدان القدماء أحفاد الرافديون الأوائل (تسمية إختيارية) أي سكان القطر البحري (مستوطن الكلدان التاريخي) وبمعنى آخر الكلدان الأوائل .
وقد بينا في موضوع (أصل التسميات القديمة بين القومية والإقليمية) إنتماء هذه الجماعات لبعضها الآخر عرقياً ، وبالتالي إنحدارهم جميعاً عن الكلدان الأوائل .
والحقيقة ، أن هجرة الكلدان وبتحديد أدق إنتقالهم بين مناطق وادي الرافدين يعود إلى عصور موغلة في القدم ، ذلك أن سهولة الأرض في وسط وجنوب العراق القديم وعدم وجود موانع طبيعية وتوفر مناطق جيدة لممارسة الحياة الزراعية وخاصة حول النهرين العظيمين دجلة والفرات علاوة على فروعهما ، كل ذلك أدى إلى إنتقال العشائر التي لا تمثل الحلقة الأقوى في الموضع الأصلي بحثاً عن موضع جديد يكون خاصاً بها ، علاوة على أسباب أخرى إجتماعية أو دينية منها الخلافات العشائرية وتأكيد أولوية إله على آخر وما إلى ذلك من أسباب عديدة ، ولهذا وجدنا مدناً تحمل تسميات متشابهة في مواقع متباعدة جغرافياً ، مع أن أحداها تنتمي إلى عصر ما قبل الطوفان الكبير فيما تنتمي الأخرى إلى عصر ما بعد الطوفان منها أريدو / نون كي وبابل / نون كي ، ومنها كش وكيش ونينا أو ننوى في لجش ونينوى في إقليم الشمال ، وقد تشابهت هذه المدن في العديد من التفاصيل ومنها التشابه السلالي واللغوي والتشابه الديني والتشابه الإجتماعي ، مما يؤكد حدوث مثل هذه الهجرات منذ فترة ما قبل العصر البطولي - Heroic Age - ، وقد أستمرت هذه الهجرات بشكل غير محسوس تارة كما في إنتقال مجموعة من العوائل ولعل أفضل مثال على ذلك هو هجرة عائلة إبراهيم (بابن أوراهم) من أور الكلدان التي لم تكن محسوسة أو مؤثرة على تاريخ دولة مدينة أور لو لم يسجلها العهد القديم ، فيما أتخذت تلك الهجرات في أحيان أخرى شكل الهجرات الواسعة المصحوبة بالفعل العسكري كهيمنة العموريين على مدينة بابل (السلالة البابلية الأولى / شموأبم ١٨٩٥-١٨٨٢ ق.م) ثم مدينة آشور (سلالة شمشي أدد الأول البابلي الإيشنوني) ، وكلتا الهجرتين تمثلان إنتقال عناصر عرقية تنحدر عن أسلاف الكلدان الأوائل وتلتقي مع الكلدان القدماء والمعاصرين في اللغة والعرق والمستوطن التاريخي الواحد ، مع تميزها في بعض المفردات اللغوية بإختلاف اللهجة المستخدمة التي تؤثر وتتأثر بعاملي التقادم الزمني واللغات المستخدمة في دول الجوار ، وكمثال على ذلك إختلاف اللهجة بين أبن البصرة وإبن دهوك أو بشكل أخف بين سكان مدينة المنصور وسكان مدينة الثورة في بغداد ، كذلك تميزت هذه الهجرات بالتسميات المحلية التي أطلقت عليها وذلك بحسب زمانها ومكانها .
ومع يقيننا الكامل الذي تدعمه الإثباتات المادية التاريخية الذي يؤكد الوحدة العرقية لجميع أبناء هذه التسميات من أكدية وعمورية وبابلية وآشورية وآرامية ، وبأنهم ينتمون جميعاً إلى الكلدان الأوائل ، إلا أنني سأكتفي هنا بالتركيز على العصر الوطني الأخير للسلالات الكلدانية والذي يبدأ مع السلالة البابلية الأولى وبخاصة تأكيد العوامل العرقية منذ سلالة القطر البحري أي السلالة البابلية الثانية والتي تصاعدت حدتها بسبب سيطرة الكشيين على

عاصمة البلاد .
ولأن ما أريد أن أثبته في هذا الموضوع يجعلني أكتفي بإعتماد أمثلة تعود إلى عصر الكلدان الوطني الأخير الذي تميزت فيه التسمية الكلدانية بطريقة مباشرة إبان الإنكفاء السياسي وغير مباشرة في عهود السيادة الوطنية ، ومن ثم سأسترسل مروراً بالعهود اللاحقة التي تبدأ بالإحتلال الأخميني عام ٥٣٩ ق.م .
بعد صعود نجم السلالة السرجونية في إقليم آشور على عهد مؤسسها سرجون الثاني الذي صادف تسنمه للعرش تسنم الملك الكلداني الثائر مردوخ أبلا إدينا الثاني الذي يسميه الكتاب المقدس (مردوخ بلادان) عرش بابل ٧٢١-٧١٠ ق.م وأيضاً عام ٧٠٣ق.م ، وقد نشب صراع هائل بين هذين الملكين كان إمتداداً للصراع ما بين مردوخ أبلا إيدينا والملك الآشوري القوي تجلاثبلازر الثالث ، أخيراً أقتنع كل منهما بعدم التدخل في شؤون الآخر لما يقرب من أحد عشر عاماً ، ولكن سرجون تمكن من الإنتصار على مردوخ أبلا إيدينا (الذي أصيب بجراح بالغة) لكنه لم يستطع القضاء على مقاومة الثائر الكلداني ، حيث إلتجأ مردوخ أبلا إيدينا إلى مدينة أقبي بيل الحدودية ومن هناك راح يوجه الثوار الكلدان مستخدماً منطقة الأهوار لشن عملياته (حرب عصابات) على جيش الدولة الآشورية الذي كان آنذاك في ذروة قوته ، وقد تم نقل العديد من الحرفيين والعلماء والأطباء إلى إقليم آشور للمساهمة في بناء مدينة دور شروكين / خرسباد (بين تلكيف وألقوش) ، وفي عهد خلفه سنحاريب ثار مردوخ أبلا إيدينا ثانية فشن سنحاريب حملة حشد لها جيوشاً جرارة لم تستطع قوات المقاومة البابلية أن تتصدى لها فأنسحبت إلى الأهوار ثانية وإلى ذلك يشير سنحاريب في حولياته قائلاً : أنه أسر ٧٥ مدينة من مدن مردوخ أبلا إيدينا ذات الأسوار القوية و ٤٢٠ بلدة أصغر منها وأنه نقل من بابل إلى آشور ما يقرب على (ربع مليون أسير كلداني) اسكنهم في آشور ، حيث أسكن الخاصة منهم وطبقة العلماء والكتبة في خرسباد بينما أسكن سكان البلدات الزراعية في المناطق المحيطة بعاصمته وتعد هذه الفترة متوافقة مع عهد نشوء القرى والبلدات الكلدانية القريبة من نهر دجلة في شمال الرافدين ومن أهم تلك القرى باشبيتا وبخديدا وكرمليس وبرطلة وبعشيقة وبحزاني وتلكيف وباطنايا وباقوفا وتلسقف وألقوش وآزخ وبينبوزي وبيهندوايا وألكا ومعلثايي وكرب صلحا (خربة صالح) ودهوك وغيرها .
ومع ذلك لم تهدأ المقاومة البابلية حيث شن سنحاريب حملة ثانية أكد فيها على أسر أفراد إمارة بيث ياقين الكلدانية أكبر الإمارات الكلدانية قاطبة والتي كانت تمتد من الأحواز شرقاً حتى قطرايا جنوباً ، حيث قام بنقل أعداد كبيرة منهم مع آلهتهم إلى آشور ، لكن سنحاريب خسر أبنه في تلك المعركة التي واجههم فيها جيش الثائر البابلي موشيزيب ، وبعد تلك الحملة شن سنحاريب حملة ثانية على بابل عام ٦٩٠ ق.م وقام بمحاصرة القوات الكلدانية داخل العاصمة لمدة تزيد على تسعة أشهر حتى نفذت المؤونة ، ثم تمكنت الجيوش الآشورية الجرارة من دخول بابل بسبب المجاعة وتفشي الأمراض ، وبسبب خسارته لإبنه فقد قام سنحاريب بفعلة لم يسبقه إليها أي ملك رافدي وطني من قبل حيث قام بتحويل مياه الفرات إلى بابل ودمر معابدها وحرق قصورها وخرب أسوارها وأساساتها مما أضاع علينا تراث ما يزيد على ثلاثة آلاف عام جراء أرتفاع المياه الجوفية وتفشي الملوحة ، كما أطلق سنحاريب أيدي جنوده في النهب والإغتصاب ثم قام بالتمثيل برجال المقاومة البابلية الكلدان بعد أن

ألقى بأساسات الأبنية المهدمة في نهر الفرات ، وعن ذلك يقول سنحاريب : أكملت تدميرها (بابل) بفيضان ، لكي لا يذكر أحد بعد اليوم تلك المدينة ومعابدها وآلهتها ، دمرتها تماماً بالمياه وجعلت منها أرضاً مسطحة كالمرج .
ومع أن المؤرخة جوان أوتس التي تناولت هذه الأحداث في كتابها بابل .. ط إ / ص ١١٩-١٢٠ لم تشر إلى مصير النساء والأطفال والحرفيين البابليين بعد تخريب تلك المدينة الكبيرة ، إلا أن من البديهي جرياً على سياسة سنحاريب في نقل الأسرى إلى الشمال ، فأنه قد قام بنقل أسرى تلك المدينة الذين يتراوح عددهم بين سبعين ومائة ألف إلى عاصمته وأطرافها ، أي البلدات الكلدانية في سهل نينوى (دشتا) .
والحق لم ترض فعلة سنحاريب بحق مدينة بابل أبناؤه ، بخاصة وأن سكان آشور كانوا يقدسون ويهابون آلهة بابل ، فأنتفض عليه أبناؤه بعد فترة وقام أدر ملك بإغتياله ، وهنا تسلم أسر حدون (آشور احا إيدينا) مقاليد الحكم فتبنى بتشجيع من أمه الكلدانية نقية زاكوتو وزوجته الكلدانية سياسة المصالحة مع بابل وقام بمساعدة كلدان الإقليم البابلي الذين نجوا من حملات والده بإعادة بناء بابل ، مثلما أعاد تمثالي مردوخ (الذي قتل عنده سنحاريب) وكذلك تمثال زوجته الإلهة صربانيتم إلى معبدهم في بابل ، كما أعيدت حقوق وأمتيازات المواطنين البابليين القديمة كاملة .
لكن الأمور لم تسر على هذا النحو من اليسر ، إذ قام آشوربانيبال بعد أربعين عاماً بمحاصرة بابل ثانية أثر ثورة شمشي شمو أوكين عام ٦٥٢ ق.م الذي تأثر بالقيم البابلية ورأى أن بابل وآلهتها أجدر من آشور بالهيمنة على العالم القديم كونها مصدر الشرعية في البلاد ، فراح يحارب دون جدوى جيوش آشور بانيبال الجرارة لمدة ثلاث سنوات ثم أنسحب إلى العاصمة بابل معتصماً بها ، وقد أستمر حصار بابل لمدة ثلاث سنوات أخرى أي حتى أواخر عام ٦٤٨ ق.م وعندما ضربت المجاعة بشدة أهل بابل صار البابليون يأكلون اللحوم الدنسة (لحم الخنزير) وهددت المجاعة بتفشي حالة أكل اللحم البشري كما يقول ساكز في كتابه الموسوم البابليون ط إ / ص ١٦١ ثم يستطرد على لسان آشور بانيبال : أما هؤلاء المقاومون الذين أسرتهم فقد حطمتهم بتماثيل الآلهة التي سبق لها وأن نصرتهم ثم قدمت أجسادهم قرابين لروح جدي سنحاريب ، كما جعلت من أشلائهم المقطعة طعاماً لوحوش البر وسمك الأعماق / البحر .
وعن هذه القسوة التي أبداها آشور بانيبال بحق الكلدان وعاصمتهم المقدسة يذكر روو في كتابه العراق القديم ط ع / ص ٤٤٧ وعلى لسان حال آشوربانيبال : دمرت بابل وملئت قلوب أهلها حقداً على آشور .
وتؤكد كتابات الباحثين الآثاريين والمؤرخين على أن آشور بانيبال لم يكتف بالتمثيل بالثوار وإنما قام بحرق بابل ونهب مكتباتها التي تختزن تراث آلاف السنين وقد أكتشفت العديد من الرقم البابلية والملاحم والأساطير والمدونات المنهوبة التي تعود للملوك البابليين في الحجرة التي يطلق عليها اليوم تسمية (مكتبة آشور بانيبال) ، كما قام آشور بانيبال بسوق الآلاف من الكلدان ولا سيما الكتبة والفنانين والحرفيين المهرة إلى نينوى وضواحيها .
وفي عهد الأخمينيين نشبت في بابل أربع ثورات كبيرة أبتدأت عام ٥٢٢ ق.م بقيادة نبوخذنصر الثالث / ندنتو بيل ، ونبوخذنصر الرابع / عراقا بركلديتا عام ٥٢١ ق.م في

عهد دارا الأول ، ثم ثورتي بيل شماني وشمشي إيريبا عام ٤٨٢ ق.م أثناء حكم أحشويرش الأول ، تمكنت بابل خلالها من الإستقلال لبعض الوقت وتم حكمها من قبل ملوك محليين ، لكن إجراءات الأخمينيين الإنتقامية بحق الثورة والثوار الكلدان كانت من البشاعة حتى أنها فاقت ما عمله آشور بانيبال بالثوار الكلدان ولا سيما وأن دارا الأول قد أضطر لأن يقوم بالاشراف على أخماد الثورة البابلية بنفسه مرتين مستعيناً بقائديه (أولا) ثم (ويند افارنا) ، وتؤكد بعض الوثائق بأن جيش ويند افارنا قد نهب المدينة وسرق قبور الملوك فيها ودمرها وتشير المصادر كما يقول الدكتور مؤيد سعيد بأن ثلاثة آلاف ثائر قد وضعوا على الخازوق عقاباً على ثورتهم ضد دارا .

وفي عهد ابنه أحشويرش الأول ٤٨٦-٤٦٥ ق.م قامت الثورتان الكلدانيتان الأخيرتان في السنة الرابعة من حكم أحشويرش ، وقد أدت إلى مقتل حاكم بابل الأخميني المرزبان (زوفيروس) وهنا كان إنتقام الأخمينيين بالغاً وبخاصة بعد المقاومة البطولية التي أبداها المقاومون الكلدان مما أنزل خسائر فادحة بالجيش الإمبراطوري الأخميني بقيادة (مغابيسيوس) فقام الأخير بتعذيب وذبح الثوار ، فتخلى أحشويرش عن لقب ملك بابل وأنزلها لمدة (سبعة عشر عاماً) من مستوى مرزبانية إلى ما دون درجة إقليم الشمال (كوتيوم / إقليم آشور) الذي كان قبل الثورة تابعاً لبابل فألحقه بسوريا ، ولم يكتف الجيش الأخميني بطلب من أحشويرش بالتنكيل بالثوار وإنما قام الجيش المحتل بتدمير بابل وتخريب معبد مردوخ الإيساكيلا وسرقة تمثال الإله مردوخ مما دفع بالعديد من العوائل إلى ترك بابل والهجرة نحو الأنحاء الشمالية من وادي الرافدين هرباً من سطوة الأخمينيين .

وإذا ما أستثنينا فترة حكم الإسكندر المقدوني الذي أعاد فيها الهيبة والعزة لبابل ، حتى أنه باشر فعلاً بجعل بابل عاصمة لأمبراطوريته الواسعة ، فإن خلفاءه إبتداء بسلوقس مؤسس الإمبراطورية السلوقية قد شجع الكلدان من أهل بابل لتركها والتوجه نحو المناطق الوسطى والشمالية من وادي الرافدين ، لا سيما بعد بنائه لعاصمة ملكه (سلوقيا) على الجانب الغربي من نهر دجلة كما أستقدم من بابل الحرفيين ورجال العلم والمعرفة مما ألحق ضرراً كبيراً بمدينة بابل فراح ينزح عنها سكانها شيئاً فشيئا ، وكانت الضربة القاصمة جفاف نهيرها الداخلي ليبل خيكالا / جالب الخير -Libil Khigalla- وأبتعاد نهر الفرات عن المدينة .

وبعد زوال ملك السلوقيين أبتنى الملوك الفرس عاصمة شتوية لهم في الجانب الشرقي من نهر دجلة بمواجهة سلوقيا أطلقوا عليها تسمية قطيسفون مما زاد من أهمية المنطقة إجتماعياً وأدى إلى توجه الكلدان إليها .

كما لا بد لنا من الإشارة إلى عامل آخر مهم وهو زيادة نسبة الملوحة في وسط وجنوب العراق القديم جراء فتح القنوات الإروائية غير المتوازنة مع نسبة البزل أي تصريف الأملاح مما أدى بالسكان إلى إستبدال زراعة القمح بزراعة الشعير الذي يمتاز بإستهلاكه السريع لخصوبة التربة ، وجعلهم يتحولون إلى زراعة الرز / الشلب الذي يكتب مقطعياً (شي لي آب / الشعير المشتول في الماء) شي = شعير، لي= مشتول ، آب= الماء ، والمهم هنا أن عامل فقدان الخصوبة بسبب زيادة الملوحة أدى إلى هجرة الوسط الجنوبيين الكلدان ولاسيما المزارعين منهم إلى البلدات الكلدانية التي تأسست في عهد التهجيرات الآشورية وهنالك عادوا ثانية لزراعة القمح وبالتالي تحسين وضعهم الحياتي والإجتماعي .

لكن الأمور بالنسبة للكلدانيين القاطنين في وسط وجنوب البلاد التي تمثل المستوطن التاريخي للكلدان راحت تتأزم ثانية ، وبدأ الكلدان منذ القرن الثاني للميلاد يعانون هذه المرة من ضائقة جديدة لا علاقة لها بالجانب الإقتصادي أو الحروب ما بين إقليمي شمال وجنوب وادي الرافدين ، أما تلك الضائقة الجديدة فقد كان سببها تقبلهم للبشارة المسيحية مما جعلهم عرضة للإضطهادات الدينية .

ولعل مراجعة سريعة لأحوال الكلدان في وسط وجنوب العراق القديم ستمكننا من فهم الرغبة العارمة عند الكلدان للتوجه نحو الشمال الرافدي ، بخاصة بعدما مرت على الكلدان العديد من سنوات الإضطهاد المريرة ، ولاسيما سنوات الإضطهاد الأربعيني / أربعون عاماً في عهد الملك الفارسي شابور الثاني ٣٤٠-٣٨١م ، ثم توالت المذابح والإضطهادات على الكلدان الذين تقبلوا المسيحية ونزعوا عنهم تسميتهم القومية وصاروا يتسمون سورايي أو مشيحايي / السريان المشارقة ، ومن أشهر تلك الإضطهادات بعد الإضطهاد الأربعيني ما حدث في عهد أردشير الأول ٣٧٩-٣٨٣م وبهرام الرابع ٤٢٠-٤٣٨م ويزدجر الثاني ٤٣٨-٤٥٧م أي لفترة ٦٤ عاماً متواصلة .

وقد أعتقد المسيحيون الرافديون الذين تنسطروا في الجيل الخامس تخلصاً من عذابات الفرس أن المسلمين العرب هم فرقة مسيحية أبيونية بخاصة وأن دعاتها ينتمون لقصي مؤسس مكة الذي كان النصير الأكبر لهذه البدعة في بلاد الحجاز ، فطلبوا إليهم أن يأتوا ويخلصوهم من ويلات الوثنيين الفرس ، وقد ساعد النساطرة العراقيون القوات العربية المسلمة في الإنتصار على الفرس في معركة القادسية التي جرت قرب قلعة قديس التي تبعد ١٥ ميلاً عن الحيرة وكان القول الفصل فيها لنصارى بني تغلب الذين انقلبوا على الجيش الفارسي ، كما أن الفارس هلال بن علقمة الذي قطع رأس رستم كان من نصارى بني النمر التابعين لولاية حيرتا / الحيرة الكلدانية العربية (أول خمسة ملوك كانوا من الكلدان فيما إبتدأ حكم النصارى العرب بالملك أمرؤ القيس بن عمرو بن عدي ٢٨٨-٣٢٨ م) ، لكن مسيحيي العراق كانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار ، إذ مالبث الجيش الغازي أن راح يمارس معهم ذات الممارسات التي يستخدمها أي جيش فاتح لأي مدينة منتهكة ، فكان جزاء الكلدان / السريان المشارقة المتنصطرين الذين يمثلون نسبة ٩٠٪ من سكان البلاد الذين كان يقدر عددهم بتسعة ملايين نسمة وخيماً .

إذ راحت القوات الغازية بإمتهانهم بواسطة فرض الجزية الباهضة والإنتقاص منهم بإستخدام الكلمات النابية والنعوت المهينة ، ولأن عامة سكان البلاد كانوا من المزارعين وليسوا من المقاتلة الذين ضمهم الجيش العربي ، راح العرب ينعتون الكلدان من أهل العراق الأصليين بالنبط بمعنى المزارعين وبالعلوج بمعنى الكفرة ، مما دفع بالكثيرمن العوائل التي عجزت عن دفع الأتاوات الباهضة (الجزية) بالتحول إلى الإسلام ، فيما هرب القسم الأكبر منهم إلى المناطق الجبلية المحاذية لقرى السهل الكلداني في نينوى ولا سيما القرى المنتشرة اليوم في شرقي الزاب الكبير / الأعلى ونهري الخازر والخابور فأبتنوا لهم بلدات صغيرة منها أرادن وإينشكي وخربا ودينارتا وصورا وإصن وطلانيثا وملختا وبي تنوري وبشميلي وهيز وإينا دنوني وديرشكي ومايي وباز وصنايا وبيناثن وتنا ومانكيش ومار ياقو وشيوز وبي نوخرايي وشرانش وزاخو وبيدارو وغيرها من بلدات وقصبات كلدانية بني بعضها

على أرض بكر فيما بني بعضها الآخر على أسس مدن وبلدات تعود للدول القديمة البائدة التي سادت قديماً في ذات المنطقة كالدولة الآشورية الحديثة أو الفترات الأقدم منها كالأكدية والسومرية ، والمهم هنا أن الكلدان الوسط جنوبيين المتسرينين من المشارقة المتنصطرين لم يجدوا إلا خيارين كان أحلاهم مر ، وهما إما أن يواصل الحجازيون الغرباء إمتهانهم أو أن يفروا إلى الجبال فيسلموا على دينهم وأعراضهم وأموالهم التي أستباحها الغزاة ، فيما تحول من بقي منهم ممن لم يتمكن من دفع الجزية أو القدرة على النزوح إلى الإسلام وصار من الموالي التابعين للقبائل الحجازية الكبرى مثل هاشم وثقيف ومرة ويشكر وربيعة وكندة ، ثم ما لبث أن تركت الاجيال الجديدة منها تسمية الموالي وصارت تتسمى مباشرة بأسماء تلك العشائر الحجازية التي والتها ، فصار موالي بني هاشم (هاشميون) وموالي بني ربيعة (ربيعيون) وهكذا بالنسبة لبقية موالي القبائل الكبيرة الأخرى ، وفي عهد الدولة الإسلامية في الشام والعراق تحول بعضهم من المذهب السني إلى المذهب الجعفري الشيعي أو من مذهب سني إلى آخر ، وأنتهى بهم الأمر ليصبحوا من العرب المسلمين / لغة وديانة ، أما من كان قادراً من الكلدان على دفع الجزية فقد بقي على ديانته متحملاً المهانة وذل الحياة وهوانها حتى يفرجها الله .

وإلى ذلك يشير أكثر من كاتب وباحث تاريخي وإجتماعي ، أما بخصوص تسمية النبط التي أستخدمها أبن قتيبة ص ٢٣٦ من كتاب المستعرب الإسلاموي عمر فاروق (التاريخ الإسلامي) الذي نعت فيه جميع المثقفين من الكلدان / السريان المشارقة والموالي الذين شاركوا الشيعة الجعفرية في ثورة أهل التسوية قائلاً : هم (الكلدان) أوباش النبط وأبناء (المزارعين) أجراء القرى .

ويذكر البلاذري في كتابه فتوح البلدان ص٣٢٦ : أن عثمان بن حنيف قد ختم في يوم واحد على رقاب ٥٥٠ ألف علج / كافر من أبناء قرى وسط وجنوب العراق بمعنى علمهم مثلما تعلم الأبقار بسيخ الحديد المكوي بعلامات مهينة (رسم شيطان في الغالب الأعم) لكي يتجنبهم المسلمون والموالون للجيش الحجازي ، أما مسخ الأمويين الحجاج بن يوسف الثقفي الذي بنى واسط على أرض تابعة للكلدان بعد أن طرد أهلها منها ، فإنه لم يكتف بنهب الأديرة والكنائس وتخريبها وسلب أراضي المواطنين الكلدان بل أنه أصدر مرسوماً يحرم فيه على النصارى / الكلدان من دخول واسط أو التواجد في جنوب العراق ، ثم أمعن في غيه حتى أنه طردهم من بلداتهم التاريخية كالعمارة / ميشان وأور وعاقولا / النجف والحيرة وكربلاء (كربة إيل / قرية ألله) وغيرها من بلدات ، بخاصة بعد تضامن الكلدان مع ثورات الشيعة الكبرى ومساهمتهم فيها ومنها ثورتي أهل التسوية وثورة الأشعث في الكوفة (نهر كوثا) وهيّ ذاتها أولكاشيا الكلدانية القديمة ، حتى قيل فيهم إنما الموالي علوج (كفار) حتى وإن أسلموا .. ص٦٣ من كتاب المستعرب عبد العزيز الدوري (التكوين التاريخي للأمة العربية) ، ولعل أهم مصدر يؤكد ما نذهب إليه هنا هو ما ورد من معلومات قيمة في كتاب الباحث الإجتماعي سليم مطر (الذات الجريحة) .

والحق فقد عمدت الإضطهادات البالغة في العهد الأموي وخاصة في فترة حكم عبد الملك بن مروان ٦٨٥-٧٠٥ م -Abd al-Malik ibn Marwan- الذي امر بتعريب دواوين الدولة ، وبنى جامع قبة الصخرة على أساس كنيسة مسيحية قديمة ، وحول كنيسة القديس

يوحنا في دمشق -Church of St. John in Damascus- إلى الجامع المعروف اليوم بجامع الأمويين -Umayyay mosque- ، كما نجح في أعادة العراق لحكم الأمويين بعد أن قتل مصعب بن الزبير -Mus'ab ibn al-Zubayr- في معركة مسكن -Maskan- ، ثم ولى الحجاج بن يوسف الثقفي -Hajjaj ibn Yusuf- على رقاب العراقيين ٦٩٤-٧١٤ م فقام هذا بإضطهاد المسيحيين والعلويين على حد سواء ، ولا سيما بعد ثورة عبد الرحمن بن الأشعث -Abd ar-Rahman ibn al-Ash'ath- في الكوفة ، ومنع بأمر من الخليفة إستخدام اللغة الكلدانية قراءة وكتابة في العراق ، كما قام هذا السفاح الأموي الذي رفع شعاراً له الحديث الذي يقول : أمرت أن أحارب الناس حتى يقولوا لا إله إلا أللہ محمد رسول أللہ ، فإن قالوها منعوا عني دماؤهم وأعراضهم وأموالهم إلا بحقها ..!

علماً أن البعض من الدارسين يعتقدون بأن هذا الحديث المنسوب إلى نبي المسلمين ، وقد أشتهر في عهد عثمان بن عفان مصحف القرآن وصاحب مصحف عثمان .

لكن هذه الغمة سرعان ما أزيحت عن الأمة وذلك بعد قيام أبو جعفر المنصور ببناء مدينة السلام (بغداد / بعل داد) ، حيث أمن المسيحيون على أرواحهم وديانتهم وأقطعهم الأراضي وساعدهم في تعمير البيع والأديرة .

ولم يدم هذا طويلاً إذ سرعان ما بدأ عهد جديد من الإضطهادات الطويلة الأمد إبتداء من أواسط العصر العباسي الأول ، إذ سام المهدي ٧٧٥-٧٨٥م مسيحيو بغداد مر الهوان والعذاب ، كما حدثت نتيجة معاملة المأمون القاسية هجرة كلدانية واسعة إستقر بها المقام في منطقة سينوبي على البحر الأسود ، وقد أشار المؤرخ أوبري فاين في كتابه الموسوم (الكنيسة النسطورية) إلى هذه الهجرة المسيحية التي رحب بها بحفاوة بالغة الإمبراطور البيزنطي تئوفيلوس .

أما سيء الصيت الخليفة المتوكل ٨٤٦-٨٦١م (قتله ابنه المنتصر) فيعد أول من أستقدم التركمان من بلاد الترك بأعداد كبيرة ، وبرغم مما قدمه له الكلدان / السريان المشارقة من خدمات جلى في مجال الطب والعلوم ومراجعة حسابات بيت المال والهندسة ، ناهيكم عن أن المأذنة الملوية في سامراء هيّ في الواقع من أعمال المهندس وأمين وزارته دليل بن يعقوب النصراني ، لكن المتوكل بدفع من وزيره الحاقد الفتح بن خاقان (قتل مع المتوكل) وكاتبه المتملق والخبيث الجاحظ ، عمم القوانين العمرية السيئة الصيت ، فألزم المسيحيات بإرتداء الحجاب ومن فوق لباسهن ألزمهنّ بإرتداء عباءات مهينة تميزهن عن المسلمات ، ومنع المسيحيين من ركوب الخيل أو النزول إلى الأسواق أيام الجمع ودمر مقابرهم في بغداد ، كما قام بتدمير عدد من الأديرة والكنائس / البيع وحول ما لم يكتمل بناؤه من كنائس إلى جوامع وتكايا دينية ولم يسمح بإلحاق أولاد المسيحيين بالمدارس العامة التي خصها بالمسلمين ، وزيادة في التنكيل فقد أمر بوضع علامات خشبية بشكل شياطين على أبواب منازلهم للتعريف بهم ووسم جباه رجالهم بعلامات مهينة كما فعل ذلك من قبل عثمان بن حنيف .

وقد أستمرت هذه المعاملة المهينة والمذلة لأهل العراق الأصليين (الكلدان) في عهدي المقتدر ٩٠٨-٩٣٢م والقادر ٩٩١-١٠٣١م حيث جرت في عهد الأخير مجزرة راح ضحيتها العديد من الكلدان الأبرياء ، وفي العصر المغولي المتذبذب قتل خلق كثير من المسيحيين وفرت أعداد كبيرة منهم إلى الشمال ، وفي عهد جلوس السلطان غازان على العرش ١٢٩٥م

عمد عامله نوروز الحاقد على إصدار مراسيم تقضي بإقتلاع كنائس المسيحيين ومنع إقامة طقوسهم ونهب ممتلكاتهم وقتل رؤسائهم ومنع رجالهم من النزول إلى الشارع وتبديل أسماء شوارع بغداد الكلدانية ، وقد حذا حذوه الخان المغولي خربندة فبالغ في إيذاء المسيحيين (الكلدان) حتى أنه أصدر مرسوماً بإخصائهم وقلع إحدى أعينهم في حالة رفضهم الدخول إلى الإسلام ، وفي عامي ١٣٣٣-١٣٣٤م أمر السلطان أبو سعيد بهادر المغولي جميع المسيحيين واليهود بالغيار ثم نقضت كنائسهم ودياراتهم ، وإن ننس فلا ننسى ما فعله تيمورلنك بالمسيحيين من مذابح مما دفع بالكلدان إلى الهجرة إلى المناطق التي يسكنها المسيحيون في الشمال الرافدي دشتا وطورا ، وفي عهود تسلط الآق والقرة قوينلو ساد الجهل والتخلف الشارع العراقي ومعهما زادت حدة التجاوزات الدينية والعرقية فلم ينج الكلدان من مجازر غلاة المسلمين المتعصبين من صفويين وغيرهم ممن عملوا السيف في رقاب المسيحيين الأبرياء وهتك أعراضهم ونهب ممتلكاتهم وتدمير كنائسهم وأديرتهم وتخريب مقابرهم فهجروا البصرة وميسان وبغداد وجميع المناطق في وسط وجنوب العراق ما خلا الموصل وتوابعها (وقصدوا قمم الجبال في بلاد فارس وحوض حكاري وتياري) حتى أنقطع ذكرهم من عاصمة العباسيين كما يقول الوزير الكاتب والمؤرخ يوسف رزق الله غنيمة في مؤلفه (نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق) .
وهكذا يتبين لنا أن سكان شمال الرافدين ومناطق سكنى المسيحيين في تركيا وإيران هم أصلاً من الكلدان الوسط جنوبيين الذين فرضت عليهم الهجرة القسرية إما لدوافع سياسية كما في عهد الدولة الآشورية أو لدوافع إقتصادية (قلة خصوبة التربة وزيادة الملوحة) وإما لأسباب دينية سواء بعد تقبلهم للبشارة المسيحية التي عرضتهم للإضطهادات المجوسية أو بعد هيمنة البعض من المتزمتين من الخلفاء المسلمين على العراق ، مما يبطل حجة القائلين بأن الكلدان الذين كانوا يؤلفون نسبة ٩٠٪ من أصل سكان الرافدين إبان السيطرة الحجازية الإسلامية على العراق بمعنى (ثمانية ملايين ومائة ألف كلداني) قد (تبخروا في الهواء) أي إنقرض منهم ما يقرب من سبعة ملايين من سكان وسط وجنوب العراق ما بين قتيل أو متحول إلى الإسلام وذلك بين ليلة وضحاها !
علماً أن اللغة العربية كانت حتى أواخر القرن التاسع للميلاد لغة العاصمة ودواوين الخلافة فيما كانت اللغة الكلدانية الحديثة / لهجات السورث هي المهيمنة في الضواحي والبلدات والقرى الكلدانية على طول وادي الرافدين وعرضه ، يؤكد ذلك الخطيب البغدادي في كتابه المعروف بأسم (تاريخ بغداد) متحدثاً عن أرض السواد أي العراق فقال : أنه كان في أيدي النبط (الكلدان) فظهر عليهم أهل فارس فكانوا يؤدون الخراج ، فلما ظهر المسلمون على أهل فارس تركوا السواد ومن لم يقاتلهم من النبط والدهاقين ، بمعنى أنهم لم يتدخلوا بشؤون حياة أهل السواد ، ومع أن هذه السياسة قد تبدلت بعد هيمنة الأمويين إلا أن اللغة الجديدة لم تتمكن من مزاحمة لغة أهل البلاد الكلدان (السريانية كما يسميها العرب) إلا مطلع القرن الثامن للميلاد / مع ذلك بقيت اللغة الكلدانية لغة السريان المشارقة / مدنحايي ، لغة الثقافة والعلوم وحجر الزاوية في حركة الترجمة طوال العهدين الأموي والعباسي .
ومما يؤكد عدم انقراض الكلدان في وسط وجنوب العراق نضيف إلى الشهادات الآنفة الذكر والدلائل التي أوردناها ، مثالين يدعمان موضوع الهجرة وهما :

-١ الهجرة العكسية من الشمال الرافدي ومناطق أورميا وتياري وحكاري بعد الهيمنة العثمانية واستقدامهم للكورد حيث أدت مذابح الكورد منذ إستقدامهم عام ١٥١٥م حتى يومنا هذا ، أنظر الدراسة الموسومة (الكورد بين الإيهام الفيدرالي والطموح الإنفصالي) إلى نشأة هجرة عكسية توجه الكلدان فيها إلى المناطق التي يسكنها العرب المسلمون طلباً لحمايتهم فتركز معظمهم في بغداد والموصل والبصرة أي (العودة) إلى أراضيهم التاريخية قبل نزوحهم منها .

-٢ هجرة الكلدان من وطنهم الأم بيث نهرين / وادي الرافدين بعد تصاعد حدة الشعارات القومية العروبية منذ عهد جمال عبد الناصر في مصر وتأثيراتها على حكام العراق كالملك غازي صاحب مذبحة سميل مطلع آب عام ١٩٣٣م والتي تسمى (فتنة الآثوريين) في المراجع العراقية ، وعهد عبد السلام عارف الذي أدت ممارساته إلى الهجرة الستينية الكبرى إلى كل من الولايات المتحدة وأستراليا ، ومن ثم هجرة الكلدان بعد حرب الخليج إلى بلدان الشتات التي تضم اليوم ما يقرب على مليوني كلداني يتركز معظمهم في أمريكا وأستراليا وأوربا ، وما أعقبها من هجرات لاحقة إلى مناطق دشتا طورا وإلى خارج العراق بعد تفجير الكنائس في يوم الأحد الدامي في الأول من آب عام ٢٠٠٤م في بغداد والموصل أثر مؤامرة السلفيين لإفراغ العراق من سكانه الأصليين والتي تشبه إلى حد بعيد الممارسات التي أدت إلى نشوء الهجرات الكبرى نحو الشمال إبان العهد الأموي والإستقرار في مناطق دشتا وطورا أي سهل نينوى وجبالها والمناطق الرافدية القديمة التي تمتد إلى أورميا وتياري وحكاري من ناحية وإلى القامشلي وأورفا وماردين ونصيبين والأسكندرونة .

فهل بوسع أي كان أن يدعي بأن الكلدان قد أنقرضوا لأنهم لم يعودا سادة أراضيهم التي تحولت إلى مناطق كوردية ومقاطعات مستعربة ، أو لأنهم تركوا بغداد والبصرة وبلداتهم التاريخية الأخرى بأعداد هائلة متوجهين إلى بلدان الشتات طلباً للعيش الكريم والحفاظ على قيمهم الدينية وسلامة عوائلهم ؟

إن الكلدان لم ينقرضوا وسوف لن ينقرضوا طالما بقينا نتحدث بلغتنا الأم وطالما آمنا بأننا السكان الأصليون لوطننا الأم العراق (بيث نهرين) ، فالدهر يومان يوم علينا ونحن صابرون على شدته ويوم لنا وهو اليوم الذي يعترف فيه أخوتنا في الوطن الأم من القوميات والديانات الأخرى بحقنا الشرعي كسكان أصليين في وطننا الأم ، ولن يكون ذلك إلا بسيادة العلم ومنطق الحوار البنّاء والقضاء على الجهل والتخلف والفقر والمرض وكافة الآفات التي تفتك اليوم بالعراقيين دونما تمييز بين دين وعرق ، ولأن العراق بلد عريق ولأن العراق بلد غني فأن العراقيين أهل الحمية والقلوب الرحيمة النظيفة قادرون لأن يتوصلوا إن آجلاً أو عاجلاً إلى هذه الحقائق .

ويهمني أن أؤكد وأنا أتناول عهود الإضطهادات ، بأن الذين دعوا إلى إضطهادنا هم النخبة المتسلطة صاحبة المنفعة التي تزيت بزي المحافظة على الدين لتمرير سياساتها ، أما العامة ولاسيما في عصور التنور والإنفتاح فقد رفضوا هذه التجاوزات وأدانوها كما في دراسات وبحوث العديد من الفقهاء المسلمين والعلمانيين وعلى رأسهم الكاتب الفيلسوف مصطفى جحا في كتابه الموسوم (محنة العقل في الإسلام) والدكتور سيار الجميل في دراسته الموسومة (المسيحيون العراقيون.. وقفة تاريخية عند الأدوار النهضوية والوطنية الحديثة) والدكتور عبد الخالق حسين في رسالته إلى المرجع الشيعي الأعلى حول قتل المسيحيين في العراق والدكتور تيسير عبد الجبار الآلوسي في

مقالاته الجريئة المدافعة الحقوق المدنية لجميع العراقيين وغيرهم من مثقفين .
وهو ما يؤكد بأن العامة قد رفضت ما جادت به قرائح الحكام الإنتهازيين ولم يباركهم إلا قلة من الظلاميين ، كما أن العرب ومنهم الأغلبية من المستعربة العراقيين شاء البعض أو لم يشأ ، هم اليوم أبناء وطننا الواحد وقد جاورناهم وعرفنا سماحة أخلاقهم ومعدنهم الإنساني الذي تشترك فيه الإنسانية جمعاء ، لذلك نرى أنه بإستثناء بعض الفترات القصيرة من الحكم العباسي التي أضطهد فيها المسيحيون ولاسيما الفترة الأخيرة الحرجة من العصر العباسي الأول كتدابير المامون التمييزية ، مع أنه هو ذاته من أسس دار الحكمة الذي كان يديره الكلداني سهل بن هارون وكانت أعمدته تقوم على العلماء الكلدان / السريان المشارقة ومنهم كاتب المأمون علي بن هيثم الملقب بجونقا (الشاب / الوسيم) ، لكن سرعان ما تبدل المأمون وبخاصة عندما أنحاز إلى المعتزلة في شهر حزيران عام ٨٢٧م الذين أوغروا صدره نحو بقية العقائد ، علماً أن فلسفة المعتزلة تؤمن : أن الحرية الإنسانية لا تلغيها عقيدة القدر بمعنى أن القرآن هو شرع المسلمين ولكن لا يجوز تطبيقه على الذميين من مسيحيين ويهود .
ومع ذلك دأب المتزمتون وبعض العمال / الولاة والمقربين من دار الخلافة وبعض الوزراء السلفيين بالتضييق على المسيحيين ومنهم أخو المعتصم المكنى بأبي داود ووزيره الواثق المعروف بإبن الزيات والمتزمت المعروف الفتح بن خاقان ، لكن تلك الفترة أتسمت أيضاً بسماحة الخلفاء وتعاملهم الطيب مع المسيحيين وكمثال على ذلك نذكر المساجلة التي حدثت بين الخليفة المهدي والبطريرك الكبير طيمثاوس الأول ٧٢٧-٨٢٣ م الذي عاصر المهدي وهارون الرشيد ووالأمين والمأمون ، وفي تلك المساجلة تمكن البطريرك من إقناع الخليفة بالأفكار الرئيسة للمسيحية مثل تجسد السيد المسيح والثالوث الأقدس ودحض شهادة العهدين عن نبي المسلمين وموت المسيح على الصليب وغيرها من دفاعيات مسيحية لعبت دوراً كبيراً في إحترام الخلفاء للمسيحيين وتقريبهم من الخلفاء وتمكينهم من دواوين الدولة .
كذلك اذكر رسالة المسلم التقي عبد ألله بن إسماعيل الهاشمي لصديقه المسيحي عبد المسيح بن اسحق الكندي يدعوه فيها إلى الإسلام مبرراً له بالحجة أهمية ذلك ، فرد عليه صديقه برسالة يدعوه فيها إلى المسيحية بعد أن فند حجج صديقه المسلم وبين له أهمية الخلاص بالمسيح ، وقد أورد البيروني هاتين الرسالتين في مؤلفه (الآثار الباقية عن القرون الخالية) ، لا سيما بعد أشتهارهما بين العامة حتى وصلت دار خلافة المأمون ٨١٣-٨٣٣ م ، فطلب أن يأتوه بالرسالتين وبعد أن قرئتا عليه وهو مصغ لهما بعناية بالغة ، أجاب الوشاة قائلاً : ما كان له (عبد ألله بن إسماعيل) إلى أن يتعرض لما ليس من عمله حتى أجاز كتاف نفسه (أن يخسر المساجلة) ، فأما النصراني فلا حجة لنا عليه ، لأن الأمر لو لم يكن عنده هكذا لما أقام على دينه . والدين دينان : أحدهما دين الدنيا ، والآخر دين الآخرة . أما دين الدنيا فالدين المجوسي وما جاء به زرادشت . وأما دين الآخرة فهو دين النصارى وما جاء به المسيح . وسكت لكنه بعد أن رأى وجوم المستمعين من حوله أضاف قائلاً : وأما الدين الصحيح فهو دين التوحيد الذي جاء به صاحبنا ، لأنه الجامع للدنيا والآخرة . فأنفرجت أسارير من حوله .
وكمثال أخير أذكر حادثة الرجل العجوز التي أوردها أبن الأزرق ص٤٥٠ والتي يذكر فيها بأن كهلاً من العامة كان في سبيله لقضاء حاجة له في سوق سامراء (شيمورم الكلدانية) في يوم ممطر فوقع حمله على الأرض مع مرور موكب يضم الخليفة المعتصم وبعض خواصه

، فنزل الخليفة عن فرسه وراح يساعد الشيخ المرتبك غير مبال بتوسيخ ملابسه ، وعندما شكر العجوز الغريب الشاب اللطيف على مساعدته له باللغة الكلدانية رد عليه المعتصم بمثلها (أي بالكلدانية) وأعطاه أربعة آلاف درهم ومضى .
كما لا بد لي من ذكر العلاقة الصادقة والود الحميم ما بين المكتفي ٩٠٢-٩٠٨ م وكاتبه الكلداني / السرياني المشرقي الحسين بن عمرو النصراني التي دفعت إبن المعتز إلى القول :

أفما ترى بلداً أقمت به — أعلى مساكن أهله خص
وولاته نبط (كلدان) زنادقة — ملأى البطون ، وأهله خمص ؟!!

الغريب في شعر أبن المعتز أنه أعتبر أهل البلاد الكلدان الذي يرجع تواجدهم في العراق عهدذاك إلى ما يزيد على ٦,٢٠٠ سنة غرباء ، بينما أعتبر الحجازيين الذين وفدوا بعد معركة القادسية أهل البلد مع أن تواجدهم لم يكن ليتجاوز المائتي عام !
لكن أبو نواس يعطي الصورة الطبيعية عن حالة المسيحيين في العصر العباسي في قصيدته القافية التي يقول فيها :

بمعمودية الدير العتيق — بمطريينها / مطرابوليط بالجاثليق
بشمعون بيوحنا بعيسى — بما (مار) سرجيس بالقس الشفيق
بميلاد المسيح يوم دنح — بباعوثا بتأدية الحقوق
باشموني وسبع قدمتهم — وما حادوا جميعاً عن طريق
بمارت مريم وبيوم فصح — وبالقربان والخمر العتيق
وبالصلبان ترفعها رماح — تلألأ حين تومض بالبروق
بحجك قاصداً ما سرجسان — بدير النوبهار فدير فيق
بهيكل بيعة ألله المفدى — وقسان أتوه من سحيق
وبالناقوس في البيع اللواتي — تقام بها الصلاة لدى الشروق
بمريم بالمسيح وكل حبر — حواري على دين وثيق
برهبان الصوامع في ذراها — أقاموا ثم في جهد وضيق
بأنجيل الشعانين المبدى — بشمعلة (قراءات) النصارى في الطريق
بالصلب (جمع صليب) العظيمة حين تبدو — وبالزنار في الخصر الدقيق

أما الشدة الحقيقية فقد شهدها المسيحيون في فترات العهد العباسي التي تفجرت فيها البدع والإختلافات المنهجية الإسلامية التي راح ضحيتها أهل الذكر / أهل الكتاب الذين لا ناقة لهم فيها أو جمل ، وكذلك في بعضٍ فترات الهيمنة البويهية السلجوقية على دار الخلافة العباسية ، لكن العصر العباسي إجمالاً كان يمثل عصر إزدهار الثقافة السريانية (ترجمة عربية للمعنى الأصلي مسيحي والمرادفة لكلمة مشيحايا) حيث عمرت البيع / الكنائس وأزدهرت الأديرة والمدارس المسيحية كما نشأت دواوين خاصة يؤمها المسيحيون والمسلمون للحوار والتفاهم الديني وحل المجهول من الإلتباسات العقائدية .
كلمة أخيرة بهذا الصدد ، وهي عندما كان الجهل والتخلف يتفشيان في المجتمعات وهنا يهمنا

مجتمعنا العراقي بأغلبيته المسلمة ونخبته السنية المهيمنة على مقاليد الحكم كان المسيحيون وبقية الطوائف غير المسلمة أول ضحاياه ، لكن هذا لا يعني أن الفرق الإسلامية الأخرى كانت بمعزل عن الطغيان والإضطهاد وخير مثال على ذلك معاملة أصحاب السلطة للشيعة الجعفرية التي تساوت في شدتها أحياناً مع معاملتهم للمسيحيين ولم تنته تلك المعاملة التي كان يشوبها نوع من القسوة حتى بعد عام ٨٧٨م وهي سنة اختفاء الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن) المعروف بالمهدي وهو بعد حدث في ظروف غامضة ، في سراديب سامراء . وطبعاً لم تكن أصابع عمال المعتمد ورجال شرطته بعيدة عن الصورة .





نقش صليب من كوخي (بابل الجديدة) مع ختم غبطة البطريرك مار شمعون بطريرك الكلدان

إدعاء أن إنجازات جيش دولة آشور المنقرضة هي منجزات قومية !!

الحق تناولت في كتابي الموسوم (الآشوريون .. سكان دولة أم قومية ؟) وبشكل مفصل تركيبة الجيش الآشوري ، لذلك أكتفي هنا بإستذكار أهم ما أوردته في ذلك الكتاب مع الإشارة إلى أن الجيش الآشوري كان يتألف من تشكيلتين رئيستين هما وحدات (الكوردو) الحرس الملكي المحلية وهي فرقة تتشكل من نبلاء الإقليم الآشوري وأبنائهم ممن يرتبطون بالملك إما بعلاقات نسب أو بمصالح أساسية وأنصارهم وتابعيهم وهم عادة ما يكونون من سكان العاصمة التي يقطنها الملك ولهم أمتيازات خاصة ومهمتهم الرئيسة هي المحافظة على حياة الملك وتوجيه الوحدات الأجنبية ، أما عامة الجيش الآشوري فيتألف من المجندين والمرتزقة من الأقاليم التابعة للمملكة وهم الذين يشكلون العدد الحقيقي الهائل للجيش الآشوري ، وكانوا يتألفون من وحدات للمشاة من أقليم وسط وجنوب العراق ومنطقة عيلام والفرات الأعلى ومجموعة الخيالة وكانوا من العنصر الهندوأوربي والبابلي والقوات البحرية وكان جلهم من الفينقيين أما الجمالة فكانوا من العناصر البدوية الصحراوية ، علماً أن تاريخ دخول الجمال في الحياة اليومية لبدو البادية الغربية والجزيرة لا يعود لأكثر من القرن الثاني عشر ق.م . والمحصلة فإن الجيش الآشوري لم يكن كما يتخيله بعض العامة جيشاً يضم عناصر تتميز بوحدتها العرقية وإنتمائها إلى إقليم آشور وبالتالي حسب مغالاة البعض الآخر جيشاً قومياً صرفاً .

وجدير بالذكر أن الجيش الآشوري كان رمز سيطرة إمبراطورية آشور وعنوان هيمنتها السياسية ورسول الخراب لإعدائها ، حيث يذكر جورج كونتينو أن ذلك الجيش : كان يضم قوات متطوعة تتصف بالتشوق إلى أعمال النهب والإستعداد للهجوم بنفس الإستعداد للهرب تماماً !!

ويضيف في موضع آخر من كتابه الموسوم (الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور) : أمر سرجون الثاني بإحراق ملك دمشق الآرامي المندحر حياً أمام زوجاته وبناته اللواتي صار مصيرهن إلى بيت الحريم الآشوري ، ومن لم تكن (من بين الأسيرات) من أصل نبيل صارت من عداد الرقيق ، ومن ثم بدأ الآشوريون بذبح السكان وإلقاء رؤس الضحايا أمام الملك لكي يتم إحصاؤها من قبل الكتبة !!

ولم تكن عملية ذبح الأسرى كما يشير كونتينو عملية إنتقامية قدرما كانت واسطة نذرية ! ونستشف من موضع آخر في كتابه بأن الأسم الآشوري لم يكن إلا إسماً إقليمياً سياسياً لا يتطلب من حامله (بغض النظر عن لغته أو عرقه) إلا الولاء للدولة الآشورية ، ذلك : أن صغار أعضاء الأسرة المالكة المغلوبة المنقولين من بلادهم الأجنبية إلى بلاط الفاتح الآشوري ، يباشر على الفور بتربيتهم هناك ، وما أن يبرهنوا بأنهم قد (تآشروا) بدرجة تفي بكسب ثقة الفاتح الآشوري حتى يمنحوا حرية التصرف بميراثاتهم ، وهنا يرجى الإنتباه إلى كلمة (تآشروا) التي تكتب في اللغة الإنكليزية -Assyrianized- بمعنى أصبحوا آشوريين ، والمشابهة تماماً لمن يتقدمون اليوم لطلب الجنسية الأمريكية أو الأسترالية ليصبحوا أمريكيين أو أستراليين بعد تجاوزهم لعدد من الإمتحانات الخاصة بالحصول على الجنسية .

كما تشبه كلمة تآشروا قولنا تعرق أو تمصر أي أصبح عراقياً أو مصرياً ، وهو ما يمكن تقبله في حالة الإنتماء الوطني أو الإقليمي لكنه غير مقبول على الإطلاق عند التحدث عن الإنتماء العرقي ، وهو ما يؤكد بأن الإنتماء الآشوري هو إنتماء وطني لدولة آشور حسب .

وعوداً على بدء ، فإن جيش دولة آشور كان يعتمد أسلوب التجنيد الإجباري ، حيث يقوم آمر التجنيد الذي كان من رتبة (ناقر إيلي) بدعوة المشمولين بالخدمة العسكرية من أبناء المناطق المحتلة ، إضافة إلى أبناء إقليم آشور على إختلاف إنحداراتهم العرقية ، ومن الجدير بالذكر ، هو أن أبناء إقليم آشور كانوا عادة ما يرسلون عبيدهم للإيفاء بإلتزاماتهم العسكرية ، لكن قوات الكوردو (الحرس الملكي الخاص) كانت ولإسباب أمنية هيّ القوات الوحيدة المنتخبة من أقرباء ملك آشور أو أبناء مدينته ، والذين كانت تقع عليهم واجبات رئيسة تتمثل في الحفاظ على السلامة الشخصية للملك إبان المعركة وأيضاً أثناء ممارسته لمهامه الملكية .

ويذكر جورج روو : <u>أن الجيش الآشوري كان يتألف في الأصل من جنس هجين من المحاربين الجبليين</u> ، ولكن بعد توسع حدود المملكة وأحتياجها المستمر لجيش متفوق عدة وعدداً ، فإن قوات الجيش الرئيسة صارت تتألف من تشكيلة متنوعة وفوق العادة من القوى الضاربة والمدافعة التي يصفها روو وكونتينو وباقر على النحو التالي : كان الجيش الآشوري يضم فرساناً من إيران والمستوطنات الآرامية (البدو) والكلدانية (الحضر) من مملكة بابل وراكبي الجمال من منطقة الجزيرة (تيامو وأيايثريبو وادومو) ومشاة من الأناضول بلاد حاتي والشريط الساحلي السوري وراكبي زوارق وسفن صغيرة (بلامة) من فينيقيا ، إضافة إلى ذلك كان الجيش الآشوري المتعدد الجنسيات والأعراق يضم قبائل آسيوية بكامل عددها أسقطت عنها الضرائب مقابل تجنيدها بالكامل كقبيلة (إيتواي) على سبيل المثال ، كما كان العديد من سكان الولايات الخاضعة للنفوذ السياسي لدولة آشور يتطوعون في الجيش بصفة جنود مرتزقة طمعاً في الغنائم .

وهكذا يتضح من المصادر التي إعتمدناها لثقاة المؤرخين والآثاريين وبناءً على الحوليات

الآشورية نفسها ، بأن جيش الدولة الآشورية كان مؤلفاً من عناصر عديدة ومختلفة في الجنس والعرق واللغة ، ولم تكن توليفة هذا الجيش الهائل التنوع إلا نموذجاً مصغراً عن التنوع العرقي الموزائيكي لدولة آشور البائدة ، وأن التسمية الآشورية في الزمن القديم لم تكن إلا تسمية سياسية إقليمية أرتبطت بإقليم محدد ولزمن محدود .



مشهد يصور إقتحام مدينة نينوى من قبل التحالف الكلدي الميدي

إدعاء أن شمور آمات -Shummuramat- (شميرم) آشورية قومياً !!

بينت في كتابي الموسوم (الآشوريون .. سكان دولة أم قومية ؟) وفي موضوع (شميرام .. أميرة بابل الكلدانية .. ملكة آشور) حقيقة أصل الملكة شمورآمات الكلداني عرقياً والإقليمي بابلياً ، والحقيقة التي لا يجهلها أي مطلع على التاريخ الرافدي أن شمورآمات الذي تفسيره (محبوبة الحمام) والتي يسميها الأغريق سميرآميس ونطلق عليها بالسورث (شميرم) هي فتاة كلدانية من مدينة بورسيبا البابلية ، تزوجها ملك آشور شمشي أدد الخامس وبعد وفاته حكمت آشور وصية على أبنها أدد نيراري الثالث ، وفي فترة حكمها القصيرة طبعت إقليم آشور ذو الطابع العسكري الجاف بالطابع الحضاري البابلي ، كما رسخت لعبادة إله الكتابة البابلي نابو ابن الإله الوطني للبابليين (مردوخ) ودعت لتوحيده حتى أن أبنها أدد نيراري الثالث كتب متأثراً بتقواها وعاداتها الدينية البابلية على مسلته الرسمية عبارته الشهيرة (ثق بنابو ولا تثق بإله غيره) .
نعم لقد أخلصت شميرم لآشور كأي زوجة مخلصة يعهد لها بإمانة فتحافظ عليها ونعم أنها كانت ملكة أم على آشور ، لكنها عرقياً كانت كلدانية بابلية بالولادة ، ويؤكد جورج روو في (كتابه العراق القديم) ط ع - ص ٤٠٥ : أن هيرودوت -Herodotus- قد أخترع تلك المبالغات الاسطورية عن شمورآمات البابلية الكلدانية بالولادة .
أما من الناحية الدينية فقد كانت شمورآمات مخلصة لعبادة إله مدينتها البابلي (نابو) إبن الإله (مردوخ) ولم تقدم يوماً نذراً لآشور (إله أقليم آشور) أو تشارك في أي من أحتفالاته .
أن سميرآميس كما جاءت في الأساطير الإغريقية التي أبتدعت عن تلك الطفلة البارعة الحسن التي رباها الحمام ثم تزوجها عاهل آشور الخرافي نينوس بعد سلسلة من الأحداث الدرامية ، فشاركته الحكم مظهرة حكمة وشجاعة فائقتين ، ثم حكمت أثر وفاة زوجها الملك وصية على أبنها حتى كبر وعندئذ تحولت إلى حمامة وأختفت في السماء .

وقد يتساءل البعض كم من الحقيقة وكم من الخيال في مثل هذه الحكايات الأسطورية ، ولماذا لم يزل العديد من كلدان الجبال يتصورونها آشورية قومياً برغم تأكيد المصادر التاريخية على أصلها البابلي الكلداني ؟!
يذكر د. فوزي رشيد في كتابه الموسوم (آشور) بأن سميرآميس بحسب ما كتب عنها هيرودتس أثناء حديثه عن (بابل) بأنها هيّ من بنت الجنائن المعلقة ، لكن المختصين يعلمون جيداً بأنها معلومة غير صحيحة ، أما المؤلف القصصي ديودروس سيكيليوس -Diodorus Siculus- المشهور بأسم ديودروس الصقلي بحدود ٤٠ ق.م ، ففي كتابه التاريخي ذو الطابع القصصي في أربعين جزءاً بقي منه خمسة عشر جزءاً ، إدعى بأنها أبنة الإلهة العسقلانية (ديرسيت) التي نصفها سمكة ونصفها الآخر حمامة ، ويضيف بأن أوانيس -Oannes- مبعوث الملك الآشوري الخرافي نينوس -Ninos- شاهدها في بابل فذهل بجمالها ورجاحة عقلها فتزوجها وعندما عاد بها إلى البلاط الآشوري فتن بها نينوس فأجبر زوجها على التخلي عنها ففعل ومات كمداً .
أما نينوس فقد تزوجها وأعلنها ملكة على آشور ، وبعد وفاته ، إستلمت شمورآمات مقاليد حكم البلاد ، فبنت بابل وشادت الجنائن المعلقة وفتحت بلاد الهند ومصر وشيدت السدود ومشاريع الري العجيبة ، وحكمت بالعدل والحزم لأثنين وأربعين عاماً ثم تخلت عن الحكم لولدها نيناس -Ninas- وهيّ في عمر يقرب من ٦٢ عاماً وتحولت إلى حمامة حلقت عالياً في السماء حتى أختفت عن الأنظار .
وقد أستخلص المرحوم الخوري عيسى أسعد في كتابه الموسوم (تاريخ حمص ص٥١) والمطبوع عام ١٩٣٩م بأن أسطورة سميرآميس التي ذكرها إكتازياس اليوناني وديودروس الصقلي والتي ذكرناها آنفاً مع تغيير بسيط في بعض المسميات والأماكن وبعض الشخصيات ، لا يجوز إعتمادها كمصدر تاريخي .
ويشير د. فوزي رشيد ، إلى أن الأساطير المنسوجة عن هذه الملكة لم تتناقلها إلا حكايات المؤرخين اليونان حسب ، إذ <u>لم يعثر في المدونات العراقية القديمة ومنها الحوليات والأدبيات التي عثر عليها في آشور ما يشير إلى تلك الأساطير</u> ، ومن ناحيته يشير الأستاذ طه باقر قائلاً : أن هيرودتس قد ذكر علاوة على (الأميرة الكلدانية) شمورآمات ملكة بابلية أخرى هيّ (نيتو كرس) التي نستدل من بعض إشاراته عنها وعن حملة كورش على بابل في عهد ولدها لابينيوس (نبونائيد) بأنها الملكة الأم حدد قبي زوجة النبيل الكلداني نابو بلاصو أقبي وأم الملك نبونائيد وجدة الأمير بلشاصر ، وبديهي أن هذه المرأة التي تميزت بحضورها الكبير في بابل ، لم تكن أكثر من أمرأة تقية ومؤمنة بوحدانية الإله سين / ننار ، وبسبب من صلاحها وتقواها وتأثيرها الإيجابي على نبونائيد فقد أحبها البابليون .
وجدير بالذكر هنا بأن كل القصص المنسوجة عن الأميرة الكلدانية الأصل شمورآمات التي أختلقت عنها إسطورة النسب إلى الإلهة نصف السمكة ونصف الحمامة (ديرسيت) لم تكن في الواقع إلا إنعكاساً لأسمها البابلي ، الذي يفسره د. فوزي رشيد بحسب قراءته : شمور رمات = محبوبة الحمام ، وفي قراءة أخرى شمو رامات = الأسم العالي والذي يعني مجازاً السماوي .
والحق فإن شميرم أو شمورآمات كما يوضح الباحث غسان زكريا في دراسته الموسومة

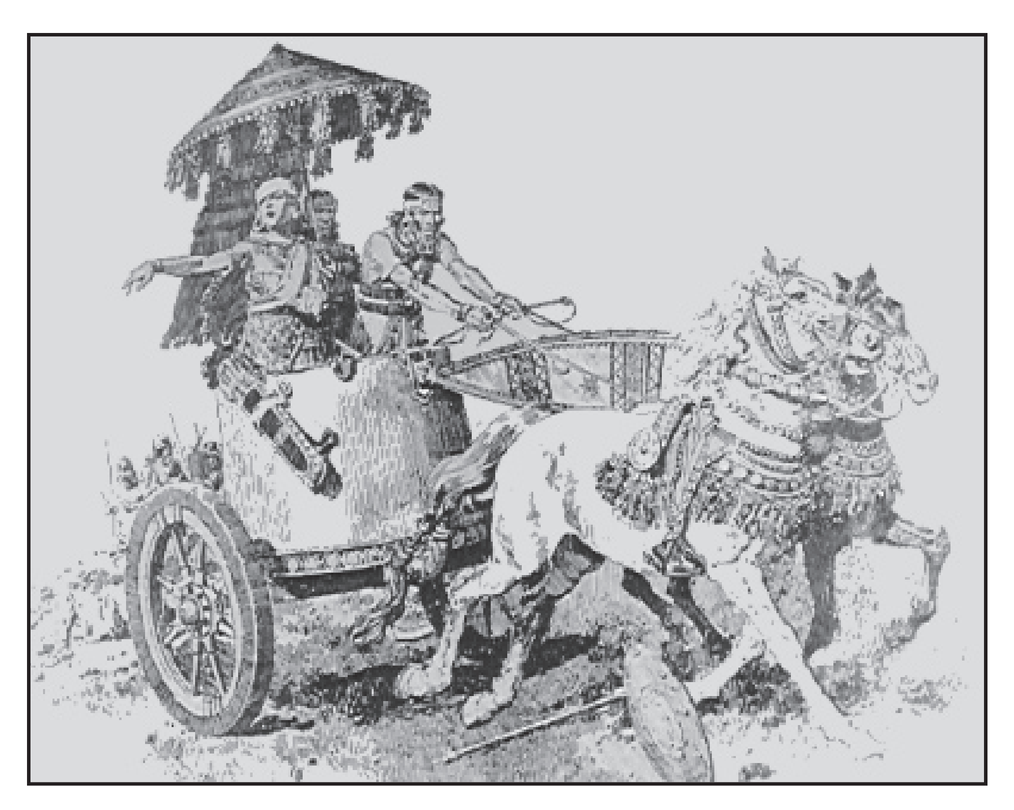
(سمير آميس) لم تكن شخصية خرافية ولم تكن لقيطة عثر عليها سائس الخيول الملكية أثناء تجواله في سهول بابل ، وإنما هيّ أبنة الأمة الكلدانية وإقحوانة بابلية وواحدة من رموز بابل الزاهية بالحضارة المتلألئة بدورها وقصورها ومعابدها الشامخة وبدعوتها الوحدانية (لتمجيد إله واحد حقيقي) وهو ذات ما يذهب إليه مؤلف معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم ص ١٩٥ .
ويشير زكريا في موضع آخر من دراسته : لم يسعفنا التاريخ الكرونولوجي بيوم زواجها ، ولكنه وكما تأكد لنا فإن الفضل يعود لها في ترسيخ بابلية آشور ، وذلك أثناء ممارستها لمقاليد الحكم مع زوجها عاهل آشور (شمشي حدد الخامس) حيث راحت تؤكد على إستخدام اللغة البابلية الحضارية في المراسلات بعد إستصدارها إرادة ملكية بذلك ، وإليها يعود الفضل في ترسيخ عبادة أبن كبير الآلهة البابلية (مردوخ) الإله البابلي (نابو) إله الكتابة والمعرفة ، حيث راح يزاحم آشور الإله السوباري الرسمي لدولة آشور ، ويذهب إلى هذا العديد من المؤرخين ، وهو ما تؤكده جوان أوتس على الصفحة ١٩٢ من كتابها الموسوم (بابل .. تاريخ مصور) حيث تقول : أستمرت السيطرة الثقافية البابلية حتى في ذروة القوة الآشورية ، وكرس سرجون في نمرود وفي خرسباد ، وهيّ عاصمة شيدها سرجون شمال شرقي نينوى ، أكبر معبد للإله نابو أبن مردوخ ، الذي نشرت سمير آميس وأبنها أدد نيراري الثالث عبادته في بلاد آشور .
ويؤكد الباحث زكريا بأن شمورآمات راحت تدعو لعبادة إلهها الواحد وعملت كل ما في وسعها لنقل السمات الحضارية والمنجزات المدنية البابلية إلى آشور بدافع من محبتها للدولة التي أحتضنتها وملكت عليها ، ومما يؤكد نجاحها في مسعاها هو ما أن تسلم أبنها (حدد نيراري الثالث) مقاليد الحكم حتى أمر ببناء معبد كبير للإله البابلي نابو في كلخو / نمرود وتمثال للإله نابو كان هو الأكبر بين كل تماثيل آلهة آشور ، ولم يكتف بذلك ، بل نقش عليه عبارة (ثق بالإله نابو ولا تثق بإله غيره) !
ونتيجة لحرصها الكبير من ناحية على مصلحة الدولة الآشورية وتضحياتها الجسام للحفاظ عليها لا سيما وأنها قد حملت محبتها للإقليم في قلبها فقاتلت من أجل دولة آشور وأعطتها زهرة شبابها وحبها .
من ناحية أخرى عملت بدافع توحيد وادي الرافدين ، أن تنقل لآشور خلاصة الثقافة والحضارة البابلية من آداب وعلوم ومعارف راقية قياساً بآشور التي كان يغلب عليها الطابع العسكري الجاف ، ومن أجل هذا كله كرمها شعب آشور على إختلاف مذاهبه وأعراقه وذلك من خلال تقبله لديانة مليكته الكلدانية البابلية التي كانت ثمرة تعلقها بحضارتها البابلية التي تربت عليها وونتيجة لمحبتها وإشتياقها الدائم لبابل ، ناهيكم عن الشعور العام الذي كان يسود آشور والذي مفاده هو عراقة بابل والبابليين في الفكر والحضارة ، مما جعل ملوك آشور اللاحقين يحرصون على إختيار زوجاتهم من النبيلات الكلدانيات البابليات كما فعل سنحاريب وآشوربانيبال وشمشي شمو كين وغيرهم .
والواقع أن بابلية آشور لم تبدأ على يدي شمورآمات ، وإنما يعود ذلك لزمن أبعد ، إذ أنها تعود مع أول ملك أسس دولة آشور وهو الملك العموري البابلي الأصل شمشي أدد الأول الذي أستخدم اللغة البابلية والقلم البابلي ، ولكن ضياع آشور في غياهب المحتلين الهندوأوربيين

لقرون وإختفائها من خارطة وادي الرافدين طمس تلك الشعلة البابلية ، حتى تأججت ثانية في عهد القهر الأول لبابل كما يشير إلى ذلك ليو أوبنهايم ، حيث يقول : حمل الملك الآشوري توكلتي ننورتا الأول ١٢٤٣-١٢٠٧ ق.م تمثال الإله مردوخ كرمز للإنتصار ، إلا ان نتيجة ذلك كانت بداية بابلية آشور .

ومما يؤكد أهمية بابل في صناعة أسطورة شمورآمات في التاريخ الإغريقي هو ما يفسره الأستاذ طه باقر بقوله : من غير المعقول أن تحظى بمثل هذه السمعة الخارقة ملكة حكمت بلداً أجنبياً (آشور) لمدة خمس سنوات فقط وبصفتها وصية على العرش لا غير ، لو لم يلعب إعتزاز (الكلدان) البابليين بها دوراً حاسماً في إختلاق هذه السمعة ، حيث يؤكد في موضع آخر : إن إعتزاز كهنة / كتبة بابل بأميرتهم (الكلدانية) البابلية حملهم على المبالغة في شهرتها وأعمالها التي رووها لهيرودتس ، وأضاف هيرودتس بدوره من خياله القصصي الخصب أشياء أخرى ، وتراكمت عليها الأعمال العجائبية من بعد هيرودتس وأنتشرت شهرتها إلى أمم وأقطار عديدة ، حتى أن أحد أنهار أرمينيا بالقرب من بحيرة وان يدعى اليوم نهر سميرآميس !!

ما يهمنا من هذه الدراسة ، هو أن شمورآمات كانت ملكة على آشور ولكنها كانت كلدانية النسب بابلية الموطن ، بدليل أن مسقط رأسها هو الضاحية البابلية الجنوبية التي تأسست فيها مدينة بورسيبا -Borsippa- ، وبورسيبا هذه هيّ مدينة الإله نابو أبن إله الكلدان البابليين الرسمي مردوخ ، ومعبد مردوخ القديم كان في مدينة الكلدان الأوائل أريدو ، كما أن تأكيد الأسطورة الإغريقية على بناء سميرآميس لمدينة بابل (المنافس الوحيد للتاج الآشوري) وجنائنها المعلقة ، يجعلنا نتساءل ، لو كانت شمورآمات كما يدعي البعض مواطنة آشورية بالولادة ، فلماذا لم تعبد إلهاً آشورياً ، ولماذا جعلتها الأساطير تبني مدينة بابل بدلاً من بنائها لمدينة آشور أو أية حاضرة شمالية أخرى ؟

عموماً ، أثبتت المدونات المادية بأن شمورآمات كانت أميرة كلدانية من بورسيبا الكلدانية ، وأنها قد عنيت بتكريم الإله البابلي نابو المفضل لدى الكلدان بدلاً من أبيه مردوخ الذي كان الإله الوطني للبابليين بدليل أن أسماء مؤسسي السلالة الإمبراطورية الكلدانية وملوكها الرئيسين قد أحتوت أسماؤهم على أسم الإله نابو ضمن تركيبتها مثل نبوبلاصر ونبوخذنصر ونبونائيد ، وإلى ذلك يذهب الباحث والروائي ميخائيل أورو في روايته الملحمية الموسومة (شميرام .. ملكة بلاد النهرين الخالدة) ، لهذا يحق اليوم لكل العراقيين أن يفخروا بهذه الحسناء الكلدانية البابلية الفاضلة الشجاعة الحكيمة ، التي حكمت آشور بكل إخلاص ومنحتها مكانة مرموقة بعد أن جبلتها بزخم حضاري لم تتعوده من قبل تمثل في خلاصة الحضارة البابلية آنذاك ، كما يحق لنا جميعاً أن نفخر بها وبمنجزاتها سواء في الحرب وإدارة الحكم أو الإعمار ، وسواء كانت منجزاتها حقيقية مئة بالمائة أم أن تكون الذاكرة الشعبية قد أسبغت عليها بفعل المحبة والإجلال هالات من السحر وخوارق الأعمال .



مشهد يصور شمورآمات الكلدانية وهيّ تشارك جيش دولة آشور في المعركة

إدعاء أن العهد القديم يصلح ككتاب مدرسي في التاريخ !!

في اللقاء التلفزيوني الذي نقل عبر محطة -Fox News- ضمن برنامج -O'Reilly Factor- بتاريخ الثامن من شهر نيسان عام ٢٠٠٤م ، وأثناء حوار كان فيه ضيف البرنامج البروفيسور المختص بعلم الدراسات الدينية جان دومنيك كروسان -John Dominic Crossan- يبدي إعجابه بفلم المخرج ميل كبسن -Mel Gibson- آلام السيد المسيح -The Passion of the Christ- فاجأه السيد أورايلي -Bill O'Reilly- قائلاً : هل تعتبر الكتاب المقدس كتاباً في التاريخ ؟

فما كانٍ من هذا البروفيسور المختص بعلم الأديان وصاحب الكتاب المعروف (المسيح تاريخياً) إلا أن أجاب بثقة ووضوح : كلا أنه ليس كتاباً في التاريخ وإنما بشارة إيمانية ، بمعنى كتاب روحي عظيم .

والحقيقة فإن هذا البروفيسور الكاثوليكي كان بالصواب قد أجاب ، لأن الكتاب المقدس كما يعلم أي مؤمن مسيحي متنور ولاسيما العهد القديم -Old Testament- الذي يحتوي

على تراث الشعب اليهودي عبر مسيرة إيمانه الطويلة وهو ما يهمنا في بحثنا هذا ، ما هو في الواقع إلا كتاب للتعاليم الروحية الخالصة ، ولأن أسفاره قد كتبت خلال عدة قرون فقد أحتوى على إشارات ومعلومات تأريخية وجغرافية لتأكيد الواقع الإيماني للشعب ، ولكن العهد القديم لم يكن في يوم من الأيام كتاباً في التاريخ أو الجغرافيا ، مع ذلك يسعى البعض عن رغبة متزمتة أساسها الجهل أو التجاهل إلى إعتماده كموسوعة تاريخية ، وذلك لتمرير أفكار ومخططات لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالمفهوم الروحي للكتاب المقدس والتي هي علة وجوده .

وقد أشرنا في باب الإدعاء بكون الكلدان كهنة ومنجمين ، كيف يستغل البعض حتى الكتاب المقدس دون وازع لتمرير أهدافهم الخاصة والتي لا تتجاوز حدود الطعن بقومية الأمة الكلدانية وحشر الكلدان في زاوية المنجمين والعرافين حسب .

وتأكيداً على أن الكتاب المقدس لم يكن مطلقاً كتاباً في التاريخ ، نشير إلى أن كتبة العهد القديم جعلوا من بلشاصر (أبن الملك نبونائيد) أبناً لنبوخذنصر كما في سفر دانيال فيما عده آخرون آخر ملك كلداني مع أنه كان ولياً للعرش وحاكماً على بابل التي ولد فيها فيما كان والده نبونائيد الكلداني الحراني المولد مقيماً في تيمو (تيماء) ، ووفق ذات السياق يجعل سفر آخر داريوس الأخميني (الهندوأوربي) خليفة لبلشاصر ، ناهيكم عما ورد من حكايات حول نبوخذنصر في سفرأخبار الأيام الثاني الذي يعتقد أن زمن تدوينه كان في القرن الثالث ق.م أي بعد قرنين من وفاة نبوخذنصر الثاني ، من ناحية ثانية يذكر سفر دانيال الذي لا يعرف تماماً زمن كتابته مع أن هنالك من يرجح تدوينه في حدود القرن الثاني ق.م ، كما أن هنالك الكثير من النقاشات حول واقعية وجود دانيال ، ومع ذلك فإن ذكر الكلدان في ذلك السفر لا يأتي بصفة سحرة وعرافين ومنجمين وإنما يأتي ضمن من طلب إستشارتهم مع جملة من السحرة والعرافين والمنجمين وهو تأكيد بأنهم لم يكونوا هم أنفسهم سحرة أو منجمين أو عرافين وإلا لماذا تم تمييزهم عنهم ؟

ومما يؤكد ذلك أن نبوءات إرميا النبي تشير وبكل وضوح إلى أن الكلدان (أمة قوية منذ القدم) وهو ما يثبت بأن الكتاب المقدس لا يناقض نفسه ، ذلك أن الكلدان وبحسب الكتاب المقدس ، أمة قوية منذ القدم وأمة الكلدان هيّ الأمة التي خرج منها أبونا إبراهيم (بابن أوراهم) ليعلم العالم كله محبة ألله ، لكن البعض من الكتبة يستخدم أحياناً صفات يشتهر بها قسم من الناس فيعممونها أما تحبباً وإما إنتقاصاً وهذه بديهية يعرفها كل الدارسين ، ويمكن بكل سهولة تطبيقها على العهد القديم الذي لم يصنف الكنعانيين كأبناء لسام بينما جعل من العيلاميين الهندوأوربيين أبناءاً له ، ولو تذكرنا حادثة السامري الطيب فإن الكتاب المقدس يحدد مفهوم القرابة بغير مفهوم الإنحدار العرقي ، حيث يورد ما مفاده : قريبك هو من يودك ويعطف عليك .

الخلاصة التي يهمني أن يفهمها الجميع ، هي ما يؤكده العديد من رجال الدين الكاثوليك ، ولعل أبرزهم الأب الفاضل سهيل قاشا في دراسته الموسومة (أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية) ، والذي يؤكد فيه بأن الكتاب المقدس قد أستثمر التاريخ والحكاية والأمثال لتوصيل مسألة رئيسة هي محبة ألله للعالم ، بمعنى طريق الخلاص الوحيد (الحق والحياة) ولكن ألله لم يعطنا كتاباً في التاريخ ولو شاء جل وتعالى لفعل .

إدعاء أن مصطلح علم الآشوريات -Assyriology- يؤكد آشورية وادي الرافدين !!!

ذات يوم أستلمت عبر البريد الإلكتروني (الإيميل) من أحد الشباب المتحمسين للأفكار السياسية الآشورية تعريضاً ينتقص فيه من الكلدان مشيراً : لو أن الكلدان أو البابليين كانوا يشكلون أهمية في العراق القديم لما أستقر رأي العلماء والمؤرخين والآثاريين على مصطلح (علم الآشوريات) كخلاصة لحضارة وادي الرافدين وثقافتها ، ولأنه يجهل أن المؤرخ بيروسس / برحوشا كان قد أبتكر مصطلحاً قديماً هو الكلدانيات أو البابليات في القرن الثالث ق.م وذلك من خلال مؤلفه الموسوعي الشهير -Babyloniaca- أو -Chaldaica- فأن ذلك الشاب قد أضاف : في اليوم الذي يبتكرون فيه (علم البابليات أو الكلدانيات) فإنه سيعيد النظر في مسألة إنحداره العرقي !

الحق لم تكن هذه أول مرة أستلم فيها مثل هذه الملاحظة التي تتسم بقلة المعرفة ، فقد أستلمتها من أفراد ومنظمات ومواقع إلكترونية كان من بينها موقع بأسم نينوى مذيلاً بأسم متزمت معروف ، ورغم وضوح إجاباتي وأعتمادها للأسلوب العلمي معلوماتياً والأسلوب الحضاري في لغة المخاطبة لكنني غالباً ما كنت أصطدم بإستجابات غير منطقية وتسويفات لا علاقة لها بمنطق الحوار العلمي ولم أكن أتوقف عن مقارعة تلك الحجج الواهية بالإثباتات العلمية إلا عندما يصل الحوار إلى منطقة المهاترات والإتهامات المكررة والعبارات البعيدة عن اسلوب الحوار المتحضر .

على كل ، كنت قد أشرت أكثر من مرة إلى هذا الموضوع في كتاباتي السابقة سواء في مجلة بابل اليوم أو غيرها من المطبوعات التي تصدر في الولايات المتحدة وأوربا ، مثلما كنت قد أوضحتها بشكل مبتسر في الصفحتين ١٠-١١ من كتابي الموسوم (الآشوريون .. سكان دولة أم قومية ؟ - ديترويت ط١/ ٢٠٠١) ، ولأهمية توضيح هذه المسألة الأكاديمية المحضة التي حاول البعض أن يهولها ويبني عليها ركائز متخيلة لمنطلقاته السياسية أقول :

أن علم الآشوريات إنما يعني منذ وقت إبتكاره (علم الكتابة المسمارية وآدابها) وتحديداً تلك الكتابات التي تتعلق باللغة والآداب والمعارف المكتوبة وفق الكتابة المقطعية المسمارية ، أما سبب تسميتها بعلم الآشوريات فمرده هو ، في عام ١٨٤٣م أرسل بول أميل بوتا -Paul Emile Botta- إلى الموصل بصفة قنصل فرنسي لكن مهمته الحقيقية كانت البحث عن دلالات تؤكد أحداث الكتاب المقدس وبعد محاولة فاشلة في تل قوينجق -Kouyunjik- حول وجهة بحثه إلى موقع خورسباد -Khorsabad- بنصيحة من أحد القرويين وهنالك أكتشف غرفة ألواح ملك آشور سرجون الثاني -Sargon II- فأرسل خلاصة بحثه إلى الأكاديمية الفرنسية -The French Academy- التي أسسها الكاردينال ريشيليو -Cardinal Richelieu- عام ١٦٣٥م ، مبلغاً أياهم (خطأ أو مبالغة) بأكتشافه لأقدم كتابات وادي الرافدين القديمة ، ولما تبين أنها تنتسب للدولة الآشورية ، أطلق على هذا النوع من الكتابات المسمارية منذ ذلك الحين تسمية (علم الآشوريات) إعتماداً على ذلك الإستنتاج الخاطئ ، ومع ذلك ظلت هذه التسمية محدودة الإستخدام .

وفي عام ١٨٤٥م وفي قصر (سنحاريب) عثر المنقب الآثاري الإنكليزي أوستن هنري لايارد

فقام رولنسن -Rawlinson- بمحاولة دؤوبة لفك رموزها وقدم حصيلة ترجمته لهذه الألواح التي أكتشفها أصلاً مواطنه لايارد -Layard- إلى الجمعية الآسيوية الملكية في إنكلترا -Royal Asiatic Society- ، ولإزالة أي شك في دقة هذه الترجمة فقد عمدت الجمعية الآسيوية الملكية عام ١٨٥٧م إلى إجراء أختبار بهذا الخصوص فأختارت لجنة من الجمعية أربعة من العلماء هم هنري كريسويك رولنسن -Henry Creswicke Rawlinson- و القس إدوارد هنكس -Revd. Edward Hincks- وفوكس تالبوت -W. H. Fox Talbot- والعالم الفرنسي أوبير جول -Oppert Jules- وسلمتهم أربعة نماذج مختومة مستنسخة عن حوليات الملك الآشوري تجلاثبلاصر الأول -Tiglath pileser I- وبعد فترة أستلمت الجمعية ترجمات هؤلاء العلماء الذين تشابهت ترجماتهم إلى حد بعيد رغم وجود بعض الإختلافات الطفيفة ، وهنا ترسخ هذا المصطلح وأصبح إستخدامه متفق عليه بين العلماء من آثاريين ومنقبين ، بخاصة وأن التنقيبات اللاحقة التي أجريت في الإقليم البابلي لم تكن قد كشفت بعد عن أصول تلك الكتابة الشمالية البابلية الأصل .

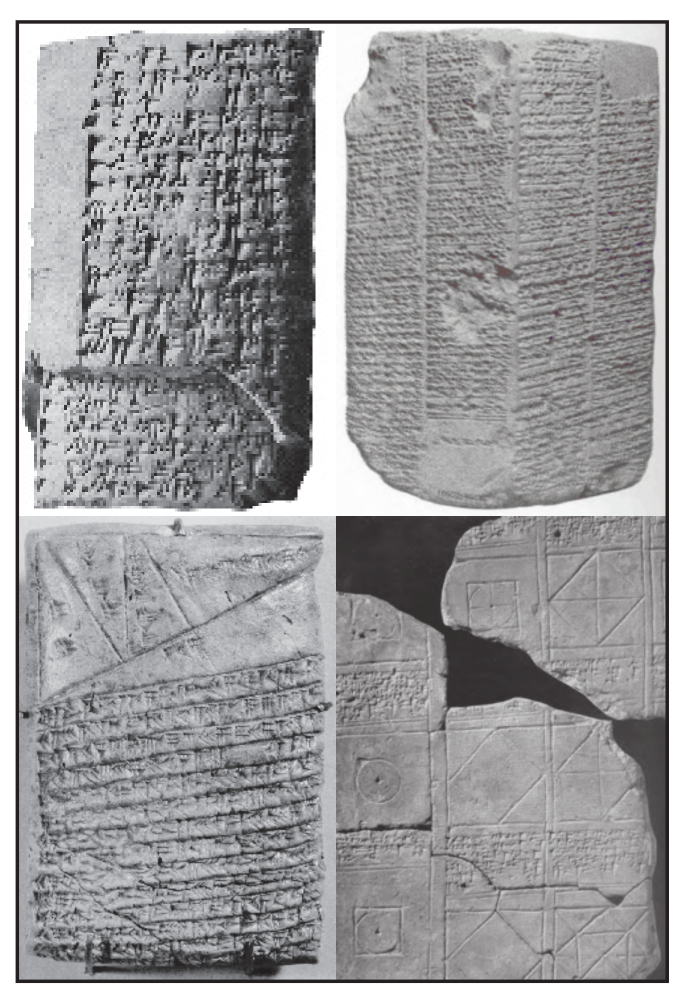
وفي هذا الصدد يقول أوبنهايم -Leo A. Oppenheim- : شرعت أطلال وكتابات ما بين النهرين تكشف عن الحضارة التي أنتجتها ، فأطلق عليها أولئك الذين فكوا رموزها باللغة (الآشورية) ولكن أتضح لهم بعد فترة زمنية بأن هنالك لهجة آشورية ولهجة بابلية وهما لهجتان نشير لكليهما الآن بالأكدية ، إلا أن مصطلح (علم الآشوريات) بقي كما هو (أي لم يبدل لشيوعه) وليدل على حقل الدراسة الذي هو كما يؤكد أوبنهايم (حقل الدراسة الذي يتعامل مع اللغة ولهجاتها الكثيرة العدد وجميعها مدون بعلامات مسمارية أما على طين مفخور أو حجر أو على المعدن) ، وتؤكد هذه الحقيقة التي يعرفها جيداً كل الدارسين الأكاديميين لهذا العلم العالمة المؤرخة ماركريت روثن قائلة : كان فك رموز اللهجة الآشورية يسير عهدذاك في طريق ممهدة وخيل للجميع يومذاك أنهم توصلوا إلى أقصى حدود ما توصلت إليه حضارة الشرق القديمة ، وتضيف في مقطع لاحق (لكن الإكتشافات اللاحقة) قدمت ألواحاً قديمة تسبق الألواح الآشورية .. ودللت على وجود شعب عرف فيما بعد بأسم السومريين كما دلت تلك المكتشفات على أن ثمة حضارة قديمة سبقت في الزمن العهد الآشوري والبابلي الزاهر ، بمعنى أن المنقبين ولسنوات طوال أعتقدوا أن الكتابة التي أصطلح على تسميتها بالآشورية (السرجونية) وتمثل قمة تطور القلم الشمالي البابلي الأصل كانت حسب أعتقاد العلماء أقدم كتابة مسمارية رافدية فأطلقوا على ذلك الحقل الخاص بهذا العلم (علم الآشوريات) حتى تبين لهم أن هنالك كتابة مسمارية أقدم من الكتابة التي حصلوا عليها من فترة الأسرة السرجونية بما يزيد على ألفي عام تقريباً ولكنهم أستمروا رغم ذلك على إستخدام المصطلح الذي تم التعارف عليه لشيوعه بين العلماء من مؤرخين وآثاريين .

وكتأكيد أخير على أن هذا المصطلح ليس أكثر من مصطلح أكاديمي يدل على أية مدونات مسمارية سواء كانت مدونات لغوية أو ثقافية أو علمية أو إجتماعية سواء جاءت من بلاد سومر وأكد أي الإقليم البابلي أو جاءت من إقليم آشور أو من بلاد الحثيين او غيرها من البلدان التي كتبت بالقلم المسماري ، فإننا نستشهد بما يورده العالم العراقي الدكتور فاضل عبد الواحد علي عميد كلية الآداب في جامعة بغداد وأستاذ السومريات فيها والذي يؤكد بأن

فك رموز الكتابة المسمارية في إقليم آشور هو الذي دعا العلماء لإستخدام هذه التسمية مع أن القلم المسماري كان قد أبتكر أصلاً في الإقليم البابلي قبل نشأة الدولة الآشورية بما يزيد على ألف عام ، حيث يقول في كتابه الموسوم (السومريين والأكديين) وهو أحد كتب موسوعة العراق في التاريخ : توصل عدد من العلماء في أول الأمر إلى قراءة النصوص المسمارية المدونة باللغة (اللهجة) الآشورية ، وقد أجري لأربعة منهم ما يشبه الأختبار وعندما أعطي كل واحد منهم نصاً للملك الآشوري تجلاثبلازر الأول ١١١٦-١٠٧٦ ق.م ، فكانت تراجمهم للنص متقاربة فأقرت المحافل العلمية ميلاد علم جديد هو علم الآشوريات (Assyriology) .
ولعل من المفيد هنا أن أشير إلى ما أورده مؤخراً الباحث ستيفن بيرتمان -Stephen-Bertman- في الصفحة ١٤٢ من كتابه الموسوم (الدليل للحياة في وادي الرافدين القديم) والذي وصلني وأنا أعد الكتاب للطبع فآثرت أن أضيف ملاحظته القيمة التي تؤيد ما أوردته آنفاً ، والتي لا يمكن لأي كان تجاهلهما لما فيها من صراحة ووضوح ، حيث يقول : بسبب أن أولى المكتشفات الآثارية لوادي الرافدين قد أكتشفت في بلاد آشور ، فقد أطلق علماء الآثار الذين كانوا يدرسون الكتابة المسمارية آنذاك على ذلك النوع من المكتشفات مصطلح (علم الآشوريات) . وبديهي أن هذا يفند وبشكل أكيد إعتقاد البعض (الباطل) بأن قدم آشور وأفضليتها على وادي الرافدين قد دعت العلماء إلى إبتكار علم الآشوريات .
وللعلم فإن هذه ليست هيّ المرة الأولى التي يعتمد فيها الأكاديميون مصطلحاً ثم يتبين لهم عدم دقته ومع ذلك يبقى ذلك المصطلح الخاطئ في الإستخدام بسبب شيوعه ، وكدليل على ذلك فقد أعتقد الباحثون الذين أبتكروا ما يصطلح عليه اليوم بالصليب المالطي الذي أكتشف أولاً في مالطا بأنه أقدم أنواع الصلبان التي لها تلك الهيأة ، ولكن بعد بضعة عقود تبين لهم أن تصميم الصليب المالطي قد عرف في وادي الرافدين منذ عصور الفخار الأولى ، كما نسب الباحثون قوس النصر إلى التقاليد الرومانية ثم تبين لهم أن قوس بوابة عشتار هو أول قوس نصر معروف في العالم ، وأخطأوا ثالثة عندما نسبوا خاصية الأعداد الفيثاغورية إلى فيثاغورس -Phythagore- ثم تبين لهم أن البابليين عرفوا خاصية الأعداد الفيثاغورية قبل ولادة فيثاغورس بقرون عديدة ، وأخطأوا رابعة عندما تم في عام ١٧٥٩م نسبة مذنب هالي إلى الفلكي الإنكليزي إدموند هالي -Edmond Halley- الذي تنبأ عام ١٧٠٥م بظهوره في ذلك العام الذي سمي فيه المذنب بإسمه ، ثم بينت الإكتشافات الآثارية اللاحقة بأن العالم الكلداني كيدينو كان قد تنبأ نظرياً وسجل عملياً تسجيلين عن هذا المذنب قبل ما يزيد على ألفي عام من تنبؤ العالم هالي ، وأخطأوا خامسة عندما نسبوا كاديكوس الطب إلى إله الطب الإغريقي إسكالييوس ثم أكتشفوا أنه رمز عراقي قديم كان شائعاً في الإقليم البابلي منذ عهد سلالة لجش أي قبل تبنيه من قبل الإغريق بألفي عام ، وأخطأوا سادسة عندما أطلقوا على ما يسمى اليوم بمصطلح الحيثيات أو اللغة الحيثية ، ثم تبين لهم أنها لغة الشعب الهندوأوربي المعروف بأسم النيساتي وتدعى لغته بالنيساتية -Nesitian- ، وأخطأوا سابعة عندما أعتقدوا بأن إقليدس الذي عاش في حدود القرنين الرابع -Euclid of Megara- أو الخامس -Euclid of Alexandria- سواء كان الأول الفيلسوف أو الثاني الرياضي (مع أن هنالك من يرجح أنهما شخصاً واحداً) هو مبتكر النظرية المنسوبة إليه والتي ماتزال حتى اليوم تعرف بأسمه أي (نظرية إقليدس) ، وهيّ النظرية التي تعتمد مبدأ تشابه المثلثات القائمة

الزاوية المحدثة من إنزال عمود من الزاوية القائمة في مثلث قائم الزاوية على الوتر ، غير أن الحفريات في مدينة شادو بوم البابلية (تل حرمل) بينت بأن الرياضيين البابليين قد أبتكروا وطبقوا هذه النظرية عملياً قبل أن يعرفها اقليدس بسبعة عشر قرناً !!

فلا يستغرب أحد إذا ما بقي في الإستعمال مصطلح (علم الآشوريات) برغم كونه خطأ لا يغتفر ، ذلك أن صليب أريدو (الألف الخامس ق.م) ما زال يدعى بالصليب المالطي وقوس النصر البابلي ما زال ينسب للرومان ، وما زالت خاصية الأعداد الفيثاغورية تنسب إلى فيثاغورس ، وما زال مذنب (البابلي كيدينو) يدعى مذنب هالي ، وما زال رمز الطب الخاص بننكشزيدا ينسب للإله الإغريقي إسكلابيوس -Asclepios- ، وما زالت اللغة النيساتية تدرس تحت تسمية علم الحيثيات ، وما زالت نظرية (شادوبوم البابلية) تدعى حتى اليوم نظرية إقليدس !



ألواح ترجع إلى عصر الكلدان الأوائل والسومريين والفترة البابلية القديمة التي تسبق ألواح آشور بين عدة قرون إلى ما يزيد على ثلاثة آلاف عام

إدعاء أن أستخدام الباحثين لعبارة (اللغة الآشورية) يثبت قومية الآشوريين !!

يستخدم المؤرخون والآثاريون عبارات معينة لتوصيل أفكارهم من أجل توضيح الصورة للآخر (المتلقي) وعلى سبيل المثال يستخدم المؤرخون مصطلحات تستمر بعضها في الإستخدام في حين لا تصمد الأخرى للمتغيرات والمستجدات وعلى سبيل المثال أستخدم المؤرخون عبارات من نوع اللغة الأكدية واللغة البابلية واللغة الآشورية ، وفي أحيان أخرى يستخدمون عبارة اللغة الأكدية بينما يستخدمون للآشورية والبابلية عبارة اللهجة الأكدية الشمالية الآشورية وعبارة اللهجة الأكدية الجنوبية البابلية ، ولو عدنا وناقشنا الأصل أي اللغة الأكدية لوجدناها هيّ الأخرى مجرد إصطلاح أبتكر لتحديد نوع اللغة المستخدمة في أقليم ما ، ولو تعمقنا أكثر لوجدنا أن ذلك الأقليم نفسه قد أتخذ التسمية من موقع جغرافي هو مدينة أكد عاصمة أمبراطور أكد الكلدي سرجون الكبير / شروكين ، بمعنى أن تسمية أكد أوأكدي ليست تسمية قومية لأنها تسمية لاحقة للإستيطان في موقع جغرافي محدد ، ومثلما أخذت الدولة البابلية أسمها من المدينة العاصمة بابل والدولة الآشورية من المدينة العاصمة آشور كذلك أخذت الدولة الأكدية تسميتها الإقليمية من المدينة العاصمة أكد ، ولما كانت الأكدية هي ذاتها لغة أسلاف الكلدان أي الرافديون الأوائل من سكان القطر البحري كما يشير إلى ذلك أكثر من مؤرخ وآثاري فإن تسمية اللغة الأكدية لا تحمل أي دلالة قومية لأنها أصبحت في عصر الأمبراطورية الأكدية اللغة الرسمية لشعبين مختلفين عرقياً يسكنان في وسط وجنوب وادي الرافدين هم أحفاد الكلدان الأوائل الذين أطلق عليهم المؤرخون لاحقاً تسمية الأكديين علاوة على السومريين كما أستخدمها في الشمال كلغة رسمية الشعب الشوباري الآسيوي الذي كان قد إستخدم قبل ذلك اللغة السومرية ، ثم أستخدم هذه الأكدية لاحقاً في وسط وجنوب العراق من قبل السلالة الكشية الهندوأوربية ، وهذا يشبه تماماً إستخدام العراقيون اليوم على تنوعهم القومي اللغة العربية كلغة رسمية علاوة على إستخدام كل فئة قومية للغتها الأم فيما بين أفرادها .

وهكذا يتبين أن اللغة الأكدية لم تكن لغة قومية لجماعة متجانسة عرقياً ، فكيف يمكن أن تكون لهجاتها لغة قومية ؟

لا سيما وأنها قد أستخدمت من قبل مجاميع عرقية متعددة كالشوباريين / الآشوريين القدماء والعموريين / ملوك إقليم آشور والأكديين والكشيين ؟

الحقيقة الأخرى التي يحاول البعض تجاهلها ، أن إقليم الشمال على طول تاريخه الطويل لم يتحدث سكانه بلغة خاصة بهم بإستثناء الفترة السومرية القديمة ، فعندما غزت القبائل السوبارية إقليم الشمال تحدثوا بالسومرية حتى أصبح الإقليم تابعاً للإمبراطورية الأكدية ، فطغت لغة أهل أكد على المكاتبات والإستخدامات اليومية والتي تدعى مجازاً باللغة الأكدية (نسبة للإقليم الذي جاءت منه) ، ثم تراجعت الأكدية أمام السومرية في عصر السومريين الإمبراطوري (سلالة أور الثالثة) ، غير أن السومرية بدأت بالإنكماش أمام الأكدية الحديثة على عهد آخر ثلاثة ملوك لسلالة أور حتى أن تسمياتهم كانت أكدية أو كما يحلو للبعض تسميتها بالجزرية نسبة للجزيرة وهي كما بيّنّا تسمية غير صائبة لأنها بالأساس لغة الكلدان

الأوائل .
وإبان الحكم العموري (ممالك آشور في العصر الوسيط) نشأت لهجة جديدة من إمتزاج الأكدية اللغة الفصحى القديمة بالعمورية العامية (أي أشبه ما يكون بالجمع بين اللغة الإنكليزية الفصحى ولغة الكوكني) ، وسرعان ما أحتوت لغة المدينة لغة الأرياف ونشأت ما تسمى بالبابلية الوسيطة التي تطورت في عهد السلالات الكلدانية منذ أواخر الألف الثاني ق . م ، فنشأت لهجة جديدة أصطلح على تسميتها بالبابلية الحديثة التي طغت عليها لاحقاً اللغة الآرامية الكلدية وهي لغة تطورت في منتصف الألف الثاني ق .م من تلاقي اللغتين الرافدية الوسط جنوبية (لغة الكلدان الأوائل) والكنعانية الغربية (تسمية إقليمية / لغة سكان الساحل السوري) .
وفي إقليم آشور أو بلاد شوبارو أستخدمت الأكدية البابلية منذ عهد شمشي أدد الأول حتى تاريخ إستبدالها باللغة الآرامية عام ٧١١ ق.م ، وهو ما تذهب إليه البروفيسورة مورين كاليري كوفاكس -Maureen Gallery Kovacs- في الصفحة ١١٨ من كتابها الموسوم ملحمة كلكامش -The Epic of Gilgamesh- حيث تقول : وهنالك لهجة غير محددة المرجع تاريخياً أو جغرافياً وهي البابلية القياسية (بمعنى التقليدية) وهيّ لهجة حرفية طورت عن البابلية القديمة في الفترة ما بين القرنين السادس عشر والثاني عشر ق.م ، وأستخدمت كلغة أدب في كل من بابل وآشور .
أما ما تسمى باللهجة الآشورية القديمة فلم تستخدم في الواقع داخل حدود إقليم الشمال الرافدي كما يتوهم البعض ، ويشرح ذلك الأستاذ الدكتور نائل حنون في الصفحة ١٣٣ من معجمه المسماري حيث يقول حول اللهجة الآشورية القديمة ١٨٠٠-١٦٠٠ ق.م : أن وجه الغرابة في ظهور هذه اللهجة يتمثل في أنها لم تتكون في بلاد آشور . ففي بلاد آشور سادت اللهجة البابلية القديمة آنذاك ، أما الآشورية القديمة فقد سادت في المستوطنات التجارية الآشورية في بلاد الأناضول .
بمعنى أنها كانت لهجة هجينة غلبت عليها المفردات الميتانية (أسلاف الأرمن الحاليين) والحيثية .
وللعلم فقد طورت اللهجة البابلية القياسية المنحدرة عن لغة الكلدان الأوائل مطلع القرن العاشر ق.م بعد أن أمتزجت بها اللهجة الآرامية الكلدية ، ثم ما لبث أن هيمنت على كل وادي الرافدين أثر الثورة البابلية الكبرى في منتصف القرن السابع ق.م ، ومما ساعد على ذلك إستبدال إقليم الشمال للهجة البابلية القياسية بالآرامية الرافدية رسمياً في عام ٧١١ ق.م ، وهيّ الآرامية التي تطورت في وادي الرافدين وتشبعت بالمفردات المحلية للكلدان الأوائل وباللفظ الكلداني المحلي .
وتشير الأستاذة كوفاك في ذات الصفحة من كتابها (ملحمة كلكامش) : بأن تقسيم البعض للهجة الأكدية في إقليم آشور بقديمة ومتوسطة وحديثة هو في الواقع مجاراة للتقسيمات السياسية لذلك الإقليم على الصعيد التاريخي .
وهكذا يتبين لنا ثانية بأن الآشورية أو اللهجة الأكدية المستخدمة في إقليم آشور ، وبمعنى أدق لغة أهل بابل الشمالية لم تكن أساساً لغة أصلية في الشمال الرافدي وإنما لغة مستوردة من الإقليم البابلي ، وبالتالي ، فإنها لم تعنَ في يوم من الأيام لغة قومية لسكان الشمال

الموزائيكيين ، ذلك أنها وكما أثبتنا عبارة عن لهجة أكدية بابلية أستنبطت عن لغة الكلدان الأوائل ودخلت عليها مفردات أجنبية ، أما لهجة الشمال المركبة من العناصر المحلية الهندوأوربية ومزيج الكلدان القدماء أهل بابل فلم يتعد حدود إستخدام هذه (اللهجة الهجينة) نطاق التجار الآشوريين على إختلاف إنحداراتهم العرقية .
الأهم من هذا وذاك أنها لم تستخدم في وادي الرافدين على الإطلاق لأنها نمت وتطورت وأنقرضت في بلاد الأناضول خارج حدود إقليم آشور .

إدعاء أن إقليم الشمال كان يسمى إقليم آشور منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا !

من المعروف لدينا أن أسم آشور قد إستخدام كتسمية لإقليم شمال الرافدين في الأدوار الآشورية الحديثة (السلالة السرجونية) كما يذكر ذلك الاستاذ طه باقر في الصفحة ٤٧١ من كتابه الموسوعي (مقدمة في تاريخ الحضارات) حيث راحت التسمية آش شور تسبق بالعلامة المقطعية مات أي بلاد وتلحق بالعلامة المقطعية كي الدالة على المدينة لتميز الأسم عن المعنى الديني (آشور الإله) الذي يسبق بالعلامة الدالة على الإله دنكر أو آن .
ويؤكد الأستاذ باقر في الصفحة اللاحقة قائلاً : ويوجد أسم آخر لموطن الآشوريين يرجح أن يكون الأسم الأصلي الأقدم هو سوبارتو أو شوبارتو أو شوبر نسبة للأقوام الذين أستوطنوا هذا الجزء من شمالي العراق منذ أقدم العصور .
وبديهي أن العديد من الدراسات والكتب المدرسية والتعليمية الحديثة تطلق تسمية (العصور الآشورية) على إقليم الشمال الرافدي بسبب منجزات العائلة السرجونية ، تثبت ذلك بكل وضوح تسجيلات اللمو الآشورية -Khorsabad- وأثبات ملوك آشور -The Assyrian King-List- منذ أقدم أزمان تاريخهم ، والتي يحددها الأستاذ طه باقر في الصفحة ١٤٧ من كتابه الموسوم (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) بعد إنفصال إقليم الشمال عن وسط وجنوب العراق القديم أي بعد سقوط سلالة أور الثالثة ، حيث يشار إلى هذا التاريخ كبداية للعهد الآشوري الوطني كما في ثبت خرسباد -Khorsabad List- وكذلك أثبات الملوك المتعاصرين -Synchronistic King-Lists- .
كما أعتمد بعض منسقي مناهج التاريخ (من أجل سهولة توصيل المعلومات) إلى تقسيم فترات الإقليم الشمالي بعبارات مدرسية تصنيفية ، حيث تذكر ذلك الإقليم بأسم آشور إبتداء بعصر ما قبل الآشوري القديم (السومري) وهو ما يخالف الواقع التاريخي للمنطقة تماماً ، ذلك أن العصر الآشوري المبكر (السوباري) هو العصر الآشوري الوحيد الذي تطابقت فيه صفة المنطقة مع تسمية السكان الأعم من الشوباريين الذين منحوا أسمهم الوطني أو أسم إلههم لمدينة آشور ، أما بإستثناء تلك الفترة ، فقد كانت الأقوام المختلفة التي تستوطن آشور تتكنى بالتسمية الآشورية نسبة للإقليم حسب .

ومع أن هذه الحقائق ليست مسألة يصعب إدراكاها من قبل العامة ، لكن البعض للأسف الشديد لا يريدون أن يفهموا مثل هذه الوقائع والإثباتات التاريخية الموثقة بالدليل العلمي لانها وبكل بساطة ووضوح تتعارض مع أوهامهم ، عموماً فقد إلتصقت تسمية بلاد سوبارتو بذلك الإقليم خلال عصوره القديمة كلها ، لكن المحدثين من المؤرخين أشاعو إستعمال التسمية الأغريقية المتأخرة (بلاد آشور) وذلك إبان عصر الإكتشافات الآثارية في العراق منتصف القرن التاسع عشر بسبب من إعجابهم بمنجزات الإغريق القدماء ولأن الإغريق أطلقوا على بلاد شوبارو تسمية -Assyria- ، أما الأسم الحقيقي لإقليم الشمال فهو بلاد شوبارو الذي ظل لصيقاً بالإقليم حتى نهاية العصر البابلي الحديث ، وتأكيداً على ذلك نجد أن بلاد شوبارو قد أستخدمت بشكل شمولي منذ مطلع العصر الأكدي ، كما في ملحمة ملك الحرب الخاصة بالإمبراطور الأكدي شروكين (سرجون الكبير) والنص الملحمي لإسطورة الملك الأكدي نرام سين وإسطوانة الملك الإشنوني دادوشا التي تذكر جيوش الملك يسمح أدد بجموع الشوبارتو وكذلك إستخدام حمورابي لهذه التسمية (شوبارتو) في العامين ٣٢ و٣٧ من سنوات حكمه للإشارة إلى أقليم الشمال وهو ذات الأسم الذي يستخدمه الملك نبوبلاصر في مقدمة إسطوانته الشهيرة التي تتحدث عن إستعادة البابليين للشمال الرافدي بعبارته الشهيرة (ذبحت بلاد الشوبارو) ، و أخيراً وكما يقال (شهد شاهد من أهلها) حيث ترد في أحد نصوص الفأل الآشورية عبارة لملك آشوري يقول فيها : (نحن الشوباريين) وهو إعتراف تجنبه الكثير من ملوك آشور ، لأن المعنى المرادف لهذه المفردة الشائعة في وادي الرافدين بلغة البابليين هو (العبد أو الخادم) ، ذلك أن سكان الأقليم البابلي (سومر وأكد) كانوا منذ العهود القديمة يستوردون عبيدهم من المناطق الشوبارية (إقليم الشمال الرافدي) .

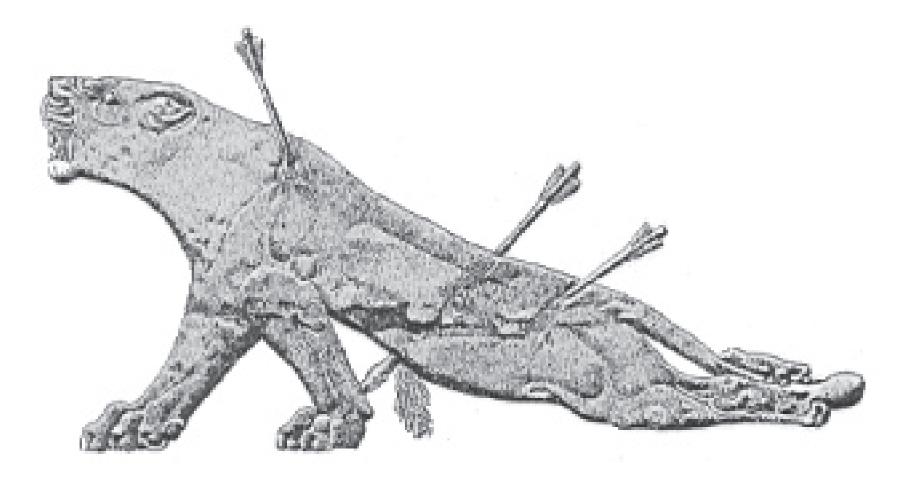
أما كتابات المؤرخين المحدثين وخاصة من يتناولون في دراساتهم إقليم الشمال فأننا نجدهم يستخدمون الإسم الإغريقي الشهير آسيريا ويقدمونه في عناوين دراستهم تحت تسمية آشور ، أما في متن دراساتهم فيعمدون إلى الإشارة للتسمية الحقيقية للإقليم (شوبارو) ومصدر أشتقاقها ، ففي الصفحة ٤٥ من كتابه الموسوم (حمورابي .. ملك بابل وعصره) يقول المؤرخ والآثاري المعروف د. هورست كلنغل : القوات التابعة لشوبارتو والمسماة آشوريين مع وحدات شعب الجبال الكوتيين -Gutians- ...، والمقصود من عبارته القوات التابعة ... أن هؤلاء (الشوباريين) الذين نُعَرفهم (بتسمية الآشوريين) ، ثم يستطرد بأنهم وأقرباءهم الجبليين الكوتيين (الآسيويين) أقاموا حلفاً ضد بابل ، وذلك أن سيطرة شمشي أدد العموري المنحدر عن أسلاف الكلدان الأوائل كانت مؤقتة برغم هيمنته العسكرية على إقليم شوبارو وتوحيد مدنه في دولة إقليمية عاصمتها آشور ومنها جاء أسم الإقليم الذي كان عامة الشعب أي أغلبيته من العنصر الشوباري الذي ذابت فيه بقايا السومريين القدماء سكان إقليم الشمال الأصليين .

إن هذا التعميم وتبادل التسميات بين المواقع القديمة وتسمية الوافدين الجدد بأسماء المواقع القديمة هي مسألة طبيعية ما تزال سارية حتى يومنا هذا ، لذلك نجد المؤرخ الإغريقي هيرودوتس الذي يعتقد بأنه زار وادي الرافدين في حدود عام ٤٦٠ ق.م قد أعتقد أن آسيريا هي تسمية ثانية لبابل لكون بلاد بابل كانت تعني عهدذاك القطر الرافدي برمته ، كما أن مصدر توهمه ذاك كان بسبب معرفته بالأصل البابلي لملكة آشور الكلدية شمورآمات ، التي

أعتقد أنها هيّ من بنت بابل .
وفي العهد الأخميني كانت آشور التي كانت تلفظ (آقور) تابعة إلى إقليم بابل حيث كان وادي الرافدين الولاية الأخمينية الحادية عشرٍ أو كما كان يدعى وفق الكتابات الأخمينية (بمرزبانية بابل) وكانت آشور المندثرة جزءاً من هذه المرزبانية، ولكثرة جرايات بابل من ناحية وصعوبة السيطرة عليها من ناحية أخرى ولا سيما بعد ثورتي نبوخذنصر الثالث ونبوخذنصر الرابع ، فصلت منطقة آقور عام ٤٨٧ ق.م وألحقت بولاية عبرنهري / عبرنهرا الذي كان يضم سوريا الداخلة (الساحل السوري حتى غزة) وسوريا الخارجة (بادية الشام والعراق التي كانت قبل الإحتلال الأخميني أرضاً عراقية تدعى باللغة الإغريقية بارابوتاميا أي حافات الرافدين) ومعهما جزيرة قبرص ، مما يعني أن آشور وقت إلحاقها بسوريا لم تكن تدعى آسيريا وإنما آقور ومعلوم أن سوريا كما هو مرجح قد أشتق إسمها من (الملك الإسطوري السوريٍ سورس) وليس كما يشيع البعض بأنها مأخوذة عن آسيريا ، إذ من غير الممكن منطقياً أن تتسمى مرزبانية / خششثارأبوانية -Khshshtharapvan- واسعة كسوريا بأسم مندثر لمقاطعة صغيرة ألحقت بها للتو ، بخاصة وأن تلك المقاطعة الصغيرة لم تعد تستخدم ذلك الأسم أصلاً !
وبديهي أنه حتى بعدما تمكن حكام مدينة آشور إبان عصر تنامي قوتهم من التوسع على حساب جيرانهم ، فإن حدود مملكتهم لم تتعد مساحة تحسب بعشرات الأميال ، وبهذا الصدد يقول الباحث وأستاذ التاريخ جورج روو في كتابه الموسوم (العراق القديم) : في نهاية القرن العاشر قبل الميلاد أي بمعنى بعد ما يقرب من ألف عام من تأسيس شمشي أدد للدولة الآشورية بتركيبتها السكانية المتنوعة وبتناوب المحتلين من ميتانيين وحثيين على ضمها لممالكهم لعدة قرون ، لم تكن مساحة إقليم آشور لتزيد على شريط ضيق من الأرض لا يكاد يبلغ طوله المائة ميل وعرضه على الخمسين ميلاً .
أما التقارب في مسميات المنطقة شوبارو وآشور وآسيريا وسوريا فهو تقارب لفظي وليس إشتقاقي لأن آسيريا (اللفظة الإغريقية) هيّ صياغة لفظية لكلمة آشور المعدلة بدورها عن اللفظة الأصلية القديمة شوبارو الآسيوية الأصل ، وتأكيداً على ذلك فإن أسم آشور أو آسيريا سرعان ما زال من الإستعمال كلياً ، وتحديداً بعد إشتهار المنطقة بتسمية جديدة مشتقة عن موضع بابلي قديم هو - بيرت ناهريم- فصارت تدعى ميسوبوتاميا -Mesopotamia- وهي تسمية أطلقها المؤرخ الإغريقي فوليبوس (٢٠٢-١٢٠ ق.م) في منتصف العهد السلوقي على إقليم آسيريا بسبب من أصلها البابلي ثم أطلقت لاحقاً على القطر كله ، بخاصة بعدما أستبدل السكان المحليون المتقبلون للبشارة المسيحية أسم المنطقة تسمية آقور الوثنية الأخمينية إلى تسمية إقليم آثور التي لم تشتق عن آسيريا كما يتخيل البعض وإنما أستمدت من الكتاب المقدس أي من أسم الملك البابلي آثور بن نمرود البابلي الذي كان أساس ملكه في سهل شنعار وفقاً لما جاء في الإصحاح العاشر من سفر التكوين الطبعة الكاثوليكية القديمة / طبعة الأباء الدومنيكان عام ١٨٧٥م .
والحقيقة فأن الرافديين جميعاً وبضمنهم رجل الشارع في إقليم الشمال وكذلك (السلطة الشرعية في بابل) كانوا جميعاً يطلقون على إقليم الشمال أسم (بلاد شوبارو) التي بقيت في الإستخدام حتى نهاية الحكم الامبراطوري في بلاد الرافدين عام ٥٣٩ ق.م ، ولعل الفترة

الوحيدة التي تجاوزت تسمية آشور حدودها الإقليمية المحلية الضيقة وصارت تستعمل بشكل واسع كان في عهد الأسرة أو السلالة السرجونية التي حكمت ١٠٩ سنوات ، ومع ذلك لم يستخدم البابليون في مدوناتهم حتى في ذلك الحين تلك التسمية الأجنبية الدخيلة (آشور) ، وإنما بقوا يستخدمون التسمية القديمة شوبارو أو سوبارتو كما بينا في الأمثلة السابقة ، وما لبث أن أستبدل أسم الإقليم في عهد الإغريق إلى آسيريا ثم أبدله الإغريق ثانية إلى ميسوبوتاميا ثم تسمى محلياً آقور وفي العهود المسيحية المبكرة أستخدمت للإقليم التسمية الكتابية -Biblical- آثور التي تعني موطن آثور بن نمرود (الملك البابلي) بن كوش بن حام بن نوح وذلك بحسب سفر التكوين كما أشرت آنفاً ، ولهذا يقول الأب ألبير أبونا في الصفحة ١٧ من كتابه الموسوم (شهداء المشرق ج١) : أن آثور أسم عام كان يطلق على المنطقة التي تشمل الموصل الحالية وأربيل وما فيها من المقاطعات الكنسية والأبرشيات ، وبمعنى آخر أنها تسمية محلية دينية مسيحية أساسها ما ورد عن آثور في سفر التكوين ، ولكن هنالك رأي آخر يعتمده الدارسون أيضاً وهو أن أصل أسم آثور هو (أثرا) أي الأرض أو الوطن المشتقة من الكلدانية الحديثة التي ترجع للغة الرافدية القديمة لغة الكلدان الأوائل الوسط جنوبيين ، أما التسمية الرسمية التي أطلقت على الإقليم في العصور المسيحية الأولى فقد كانت (حدياب) وكما يعرف المختصون لم تكن مدينة آشور الزائلة من الوجود آنذاك مركزاً لتلك المقاطعة وإنما كان مركزها مدينة أربيل / أربا إيلي -الآلهة الأربعة- الشهيرة والتي تقع على نحو ٨٠ كم شرقي الموصل ، وأصل هذه اللفظة الأكدية يرجع للغة الكلدية الأم لغة أهل أريدو وكيش / بابل ، أما الغزاة الكورد والمنتسبين إلى أحزابهم من آثوريي كلدان الجبال فيسمونها اليوم كوردستان .

وهكذا يتبين أن تسمية آشور لم تستخدم للدلالة على إقليم الشمال الرافدي إلا بشكل محلي صرف ولفترة لا تتجاوز ثلاثة قرون من أصل عمر المنطقة التي يقرب من ٤,٢٥٠ عاماً أي بنسبة ١ / ١٤ من عمر المنطقة !



اللبوة الجريحة من كلخو ، مع أن المشهد هو جزء من جدارية صيد الأسود إلا أن البعض يعتقد بأن اللبوة هنا ترمز لثورة الكلدان في السنوات ٦٥١-٦٤٨ ق.م

إدعاء أن السريان والآشوريين / الشوباريين شعب واحد !

ثمة موضوعان يبدو ظاهرهما واحداً مع أنهما من وجهة النظر العلمية لا يلتقيان إلا بتشابههما اللفظي كتشابه تسمية شكسبير -Shakespeare- بلفظة شيخ زبير (منطقة في محافظة البصرة) ، وهذان الموضوعان هما أن مصدر الأسم سوريا الذي نحتت منه تسمية سورايا وسوريا هو أسم مشتق من أسم دولة آشور المنقرضة وبسبب هذا الاشتقاق (الوهمي) فأن السريان المشارقة الذين تأنطكوا (أتبعوا المونوفيزية) في الجيل السابع هم من الآشوريين ! ويعول بعض أنصار التسمية الآشورية بأن سوريا قد أخذت اسمها من المفردة الإغريقية آسيريا التي تعني بلاد آشور ، وذلك جراء حذف حرف الألف أو نتيجة تخفيفه صارت تقرأ سيريا أوسوريا ومنها نحتت مفردة سورايا أو سوريايا بعد دخول المسيحية إلى وادي الرافدين ، وقبل أن نفند هذا الإدعاء الذي يدحضه بيرة سرس في ص ٩٩ ، أود أن يسأل أصحاب هذا التوجه المرتبك أنفسهم السؤالين التاليين :

-١ إذا كانت سوريا وباللغة اللاتينية سيريا قد عانت من تخفيف الحرف الأول حتى تم حذفه ، فلماذ لم تطبق هذه القاعدة أصلاً على الأسم الذي أشتق منه أسم سوريا أي آسيريا نفسها ؟ وبالتالي لماذا طبقت هذه القاعدة على بلاد سوريا الواسعة وليس على الإقليم الآشوري المحصور بين الزاب ودجلة ، وأيضاً لماذا كانت هنالك سيريا وآسيريا في زمنين مختلفين ، ولماذا حدث مثل هذا الإشتقاق (المفترض) بعد إختفاء آشور المدينة والدولة من على خارطة المنطقة بأكثر من ثلاثة قرون ؟؟؟

-٢ على إفتراض أن اسم سوريا قد أشتق من التسمية الإغريقية آسيريا المفترض ترجمتها عن تسمية آشورالآسيوية (وهو إفتراض لم تثبت صحته إطلاقاً) ، فما علاقة هذا النحت اللغوي المحض لأسم دولة (سوريا) التي ينتمي غالبية سكانها المشرقيين إلى الآراميين بالأصل الأجنبي الآسيوي لمفردة بلاد آشور / شوبارو ؟

وإذا لم تكن هنالك ثمة من علاقة تربط بين حملة هاتين التسميتين سيريا وآسيريا بدليل العداء المستحكم ما بين الدولة الآشورية الموزائيكية الأقوام والقبائل الآرامية التي عملت على إحتوائها وبالتالي إلى المساعدة (بشكل غير مباشر) في إسقاطها ، فما جدوى إرجاع الكلدان القدماء قومياً والمتجددين بالمسيحية الذين يرجع تاريخهم الجمعي الرافدي إلى ما قبل نشوء التسمية السوبارية بما يزيد على ٣,٠٥٠ عاماً ، وقبل نشوء التسمية الآرامية ذاتها بثلاثة آلاف وثمانمائة عام ؟

وهل يعني مثل هذا المنطق أن كل آسيوي أو هندو أوربي تقبل الديانة المانوية التي نشأت في بابل وأنتشرت في معظم بلاد آسيا في القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد وتسمى مانوياً صار بالنتيجة بابلي المواطنة وكلداني القومية ؟!!

أن الحقائق التي تخص هذا الموضوع لا تحتاج إلى بيانات وشروحات مطولة ، لأن التسمية (السريانية) ليست أكثر من ترجمة عربية أعتمدت بحدود القرن التاسع للميلاد أي في العصر العباسي للتسمية الكلدانية المحلية (سورايا أو سوريايا) بمعنى (مسيحي مشيحايا) التي شاع إستخدامها في وادي الرافدين بعد قبول الكلدان للبشارة المسيحية ولنا في رواية هاربو كراتيون الإسكندري الذي زار بابل عام ٣٥٥ م حيث يسمي الكلدان بتسمية سريان فيقول متحدثاً عن خرائب برج بابل : بأن شيخاً سريانياً (بمعنى شيخاً مسيحياً من أهل بابل الكلدان)

قد أخبره وهو يتأمل خرائب البرج بأن قوماً من العمالقة القدماء قد بنوه ليرتقوا منه إلى السماء فضربهم الله بصواعق غضبه .
وهو ما يؤكد أن تسمية سورايا وسوريايا كانت شائعة في بابل آنذاك حيث عرف سريان وقتذاك بالسريان المشارقة / مدنحايي ، وفي ذلك خصص المطران أوجين منا الكلداني في معجمه الشهير (دليل الراغبين في لغة الآراميين الكلدان) فصلاً عنونه (في تسمية الآراميين بالسريان) وكذلك خصص رئيس أساقفة سعرد المطران أدي شير مقدمة كتابه الشهير (تاريخ كلدو وآثور) لتناول هذا الموضوع وقد أكد كلا المطرانين على الحقائق البالغة الأهمية التالية : وهي أن لغة الكلدو آثوريين هي الكلدانية وقدأسمياها أحياناً آرامية كما أستخدما التسمية كلدان واللغة الكلدانية أكثر من مرة منفردة فيما لم يستخدما تسمية آثور إلا كدلالة على الموقع الجغرافي أو مرتبطة بالأسم كلدو ، والأهم من هذا وذاك أنهما إستخدما تسمية الكلدان مرتبطة بجنس الكلدان القدماء فيما جاءت تسمية آثور بدلالتها الكتابية الواردة في الإصحاح العاشر من سفر التكوين ، ولم يستخدما تسمية آشور (الآسيوية) على الإطلاق لأنها تعني غير ما تعنيه مفردة آثور الكتابية ، مع أن سيادة المطران أدي شير قد أورد (نقلاً عن مصدر) كلمة آشور مرة واحدة مرفقة بما تعنيه أصلاً أي آثور في العهد القديم في الصفحة (الخامسة / هيه) ، وذلك نقلاً عن بطريرك السريان اليعاقبة .. طبعة شابو ص ٧٤٨ ، وتأكيداً على فهمه الكتابي العميق فقد إستخدم سيادته صفة الكلداني الآثوري لأهل الشمال الرافدي ، لأن الأولى تدل على الجنس / العرق فيما تدل الثانية على موضع السكن .
ولتوضيح طبيعة إستخدام المفردتين من قبل كلدان إقليم آثور أستشهد بما ورد في الوثيقة الفاتيكانية (AÁ الخزانة ١-١٨ رقم ١٧٩٦ الصفحة ١-٤) والتي جاء فيها على لسان المطران مار إيليا هرمز رئيس أساقفة آمد في بلاد ما بين النهرين حيث يقول سيادته فيها : كلداني من آثور ، بمعنى (كلداني عرقاً) ومن (آثور إقليماً) .
ومع أن العديد من الآثوريين يخلطون ما بين المفردتين الكتابية آثور والوثنية آشور ، وبالتالي ينسفون العديد من التفسيرات التي توضح أصل تسمية سوريا ويتشبثون بالتفسير اللفظي حسب ، مع أنهم لا يرتبطون عرقياً بهذه التسمية (شوبارو أو سوبارتو) ، إذ شتان ما بين الثرى والثريا وما بين آشور الشوبارية الوثنية الآسيوية وبين آثور الكتابية ، إلا أنهم للأسف يعتقدون بأن مثل هذا التشبث إنما سيمنحهم عمقاً تاريخياً يمكنهم من المزايدة به على اخوتهم بالدم الكلدان ، متجاهلين أن عمق الكلدان التاريخي يزيد على سبعة آلاف وثلاثمائة عام بينما لايعود العرق الشوباري الآشوري الآسيوي لأكثر من ثلاثة آلاف وثلاثمائة عام والذين سرعان ما إنصهروا في حدود ٢,٠٠٠ ق.م في المجاميع الأكدية التي ترجع لسكان القطر البحري القدامى / الكلدان الأوائل ٥٣٠٠ ق.م .
من البديهي ونحن نتناول أصل تسمية سوريا أن نورد بعض أهم ما قيل في أصل هذه التسمية بعد أن طرحنا في مقدمة هذا الموضوع ما يذهب إليه أخوتنا كلدان الجبال / الآثوريين ، حيث يورد الرهاوي المجهول في كتابه (تاريخ الرهاوي) الذي عربه عن السريانية (الكلدانية) ووضع حواشيه الأب ألبير أبونا : حينما كان بنو إسرائيل في مصر حوالي ١٧٠٠ ق.م ظهر أخوان يقال لهما سورس وقيليقوس تنازعا الملك ، فسار قيليقوس إلى ارض جبل أمانوس ودعيت قلقيليا بأسمه وتسلط سورس على الأرض غرب الفرات ودعاها سوريا .

ويذهب يوسف الدبس إلى التفسير الذي أورده في كتابه الموسوم (تاريخ سوريا) فيقول : أن أسم سوريا مشتق من جبل سريون / جبل حرمون ، وهو ما يرد أيضاً في مزمور ٢٩ : ٥-٦ وإرميا ١٨ : ٤ وتثنية ٣: ٩ ، ٤ : ٤٨ .
أما أبن الصليبي في كتابه المعروف بكتاب (المجادلات) فيقول : أن السريان صفة نسب إلى سوريا وأن سوريا نسبة إلى ملك يسمى سورس ، وفي الكتاب المقدس / العهد الجديد وتحديداً في إنجيل لوقا ٤ : ٢٧ فإننا نجد المترجمين عن اليونانية يستخدمون عدة صيغ (كصفة) لنعمان الذي برئ بنعمة الرب ، فأستخدموا التسميات سوري وشامي وسرياني ترادفياً بحسب طبعات الكتاب المقدس (طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ١٩٩٤ / طبعة الآباء الدومينيكان ٢٠٠٠ / طبعة دار نشر الكتاب المقدس في المشرق ١٩٩٧م)، كما ذكر الكتاب المقدس نعمان قائد جيش آرام أو سوريا دمشق في ٢ملوك ٥: ٢٠ ولوقا ٤ : ٢٧ ، ويلمح بعض المفسرين بأن شخصية سورس الخرافية هي إنعكاس لجملة شخصيات تاريخية منها سلوقس نيكاتور الذي بنى عاصمتين له هما سلوقيا الرافدية وأنطاكيا في آسيا الصغرى ، ومنهم أيضاً سايروس -Cyrus II- أي كورش الأخميني مؤسس الإمبراطورية الأخمينية التي عده يهود بابل الميسايا / المسيح المخلص لأنه سمح لهم بالعودة إلى إسرائيل / أرض الميعاد .
وهنالك طبعاً تفسيرات أخرى ترى أن سوريا هي تحريف من كلمة خارو المصرية التي كانت تطلق على الساحل السوري وحرفت إلى سارو ثم أبدلت بلفظة سوريا وفق نظرية تبادل مواقع الحروف المعروفة (الإبدال) ، كما أن هنالك من يعتقد بأن أصل كلمة سوريا مشتق من أسم المملكة المنيعة (صور) أو من الكلمة العبرية الإيبلية الأصل (شور) والتي تعني سور كما وردت في العهد القديم / تكوين ١٦ : ١٧ و ٢٥ : ١٨ .
كما أنني أرى أن أصل كلمة سوريا ربما قد نحت من الكلمة الأكدية صيري -Seri- بمعنى صحراء أو قفر وهو ما يواجه الرافدي عند تركه لبلاد ما بين النهرين متوجهاً إلى سوريا عبر طريق الفرات خانة (عانة) ، ومن هذه المفردة جاءت الكلمة الإغريقية -Seria or -Syria .
كما أن هنالك إحتمال آخر ، وهو إحتمال على جانب كبير من الأهمية ، إذ أن من المعروف بأن الأقوام الهندوأوربية بدأت بالتوسع والإستقرار في سوريا الشمالية منذ الربع الأول من الألف الثاني ق.م بشكل هجرات حورية -Hurrian- وكونوا في حدود ١٨٠٠ ق.م أكثرية السكان في مدينة ألالاخ -Alalakh- (بين حلب وإنطاكيا) ، كما تسللت هجرات صغيرة منهم وأستقرت في مدينة كاسر -Ga sur- القديمة في كركوك إلى نوزي أو نوزو -Nuzi- ، ومعلوم أن من أشهر الآلهة الآرية التي عبدتها الأقوام الهندوأوربية منذ أقدم الأزمنة هو الإله سوريا -Surya or Suryia- الذي عبده الكشيون -Kassaites- في العراق بأسم شوريا أو شورياش -Shuriash- ، ومن الشعوب الهندوأوربية التي هيمنت على الأناضول وبلاد سوريا هو الشعب الحثي -Hittites- الذي بدأ إستقراره هناك منذ أواخر الألف الثالث ق.م ، ومنه أخذت سوريا أسمها بلاد حاتي لأكثر من ألف عام ، ومعلوم أن الحثيين عبدوا الآلهة الآرية القديمة ومنها أشكال عن الإله الهندي الأصل سوريا -Surya- .
ومع تحفظنا على بعض كتابات البلدانيين والمؤرخين العرب المنقولة عن مصادر شفاهية

إلا أننا سنورد أهمها على سبيل الحصر لا القياس ومنهم المسعودي الذي يقول في التنبيه والإشراف ص٦٨ : الكلدانيون هم السريانيون ، وفي موضع آخر : اللسان السرياني هو اللسان الأول ، لسان آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام وغيرهم من الأنبياء . وإلى ذلك يذهب إبن العبري في كتابه المسمى (معلثا) حيث قال : المشرقيون العجيبون (السريان المشرقيون / مدنحايي) أولاد الكلدان القدماء .

وعن لغة أهل جبال آثور / كلدان الجبال يقول أبن العبري في كتاب تاريخ الدول : لغة أهل جبال آثور هي الكلدانية النبطية .

أما الخطيب البغدادي فيذكر في كتابه المعروف بأسم (تاريخ بغداد) متحدثاً عن السواد أي العراق فيقول : أنه كان في أيدي النبط (الكلدان) فظهر عليهم أهل فارس فكانوا يؤدون الخراج ، فلما ظهر المسلمون على أهل فارس تركوا السواد ومن لم يقاتلهم من النبط والدهاقين .

ويقول د. هاشم الطعان في الصفحة ٣٠ من كتابه الموسوم (مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية) : أن معرفة أن الكلدانيين هم سريانيون تؤكدها الدراسات الحديثة ، وهنا يقدم الطعان ويؤخر لكن المعنى واحد وهو أن الكلدان القدماء هم من يطلق عليهم العرب تسمية (السريان) .

وبديهي أن العراقيين القدماء قد أطلقوا على سوريا الداخلة بمعنى الساحل السوري الذي سمي هكذا في العهد الإغريقي تسميات عديدة أشهرها (بلاد حاتي) التي لازمتها حتى نهاية الحكم الوطني لوادي الرافدين إضافة إلى ما عرفت به من تسميات أخرى منها بلاد عمورو (بلاد الغرب) وبلاد آرامو (البلاد المرتفعة أو القفر العالي / البادية) أو بلاد الإله عمورو ، وهكذا يتبين لنا أن هنالك أكثر من رأي في أصل تسمية سوريا ، علماً أن هنالك آراء أخرى عديدة بعضها لغوي وبعضها إجتهادي ، ولكن المهم هنا أن ليس بين جميع هذه الآراء رأي واحد قاطع بأصل تسمية سوريا مع أن أغلب المصادر المعروفة تنسبها إلى الملك الخرافي سورس .

الأهم من هذا وذاك هو أن أسم سوريا سواء كان مشتقاً من كلمة آسيريا الإغريقية أو من سورس الخرافي ، فإن هذا لا علاقة له من قريب أو بعيد بالأصل القومي لسكان سوريا الآراميين الذين لا تربطهم أي صلة عرقية بالشوباريين بناة مدينة آشور الآسيويين ، مثلما لا يمت هؤلاء الشوباريين بأي صلة عرقية لسكان وادي الرافدين الكلدان سواء في الإقليم الوسط جنوبي (بلاد بابل) أو الإقليم الشمالي (بلاد آشور) ، وإن كان الأمر كما أثبتناه ، فمن هم السريان أذن ، ومتى إشتهرت هذه التسمية ؟

السريان في التاريخ :

تؤكد المصادر التاريخية أن تسمية السريان المشارقة والسريان المغاربة هي تسمية دينية (مسيحية) أشتهرت بعد الميلاد للتمييز بين مسيحي شرق وغرب الفرات في العهود المسيحية المبكرة وتحديداً منذ مطلع العصر الارشاقي (البرثي / الفارسي) وترسخ إبان العهد الساساني ومع أن التسميتين قد أبتكرتا أصلاً للتمييز العقائدي إلا أن كلا الفريقين إشتركا طقسياً في إعتماد الترجمة المبسطة للكتاب المقدس والمسماة (بشيطتا) ، علماً أن السوريين -Syrians-

هم الأقدم في إستعمال هذه التسمية التي أطلقت أساساً على بلادهم ، في حين تسمى بها الكلدان الرافديون بعد تقبلهم للبشارة المسيحية التي جاءتهم عن طريق سوريا .
ومعروف لجميع المهتمين بتاريخ وادي الرافدين أن الكلدان القدماء الذين أحتوا القبائل الآرامية الوافدة إلى بابل من منطقة بارابوتاميا (البادية العراقية الغربية وبضمنها بادية الشام العراقية الأصل) هيمنوا ثقافياً وأدبياً على كل الرافدين ، في المقابل أدخل الآراميون الوافدون من باربوتاميا لهجتهم الرافدية التي طوروها في البادية عن الكلدانية القديمة في لهجة بابل الديناميكية الحديثة ، وهيّ لهجة محلية تطورت بدورها عن الكلدانية القديمة لغة الكلدان الأوائل والعمورية الغربية أي الكنعانية .
وفي ذلك يقول ألبير أبونا في كتابه الموسوم (آداب اللغة الآرامية) ص ١٦ : ولما تشكلت المملكة البابلية الحديثة / الكلدانية أمتزج بها آراميو بابل وذابوا فيها .
دخلت البشارة المسيحية بلاد الرافدين كما هو معلوم على يدي مار توما الرسول وتلميذه مار أدي الذي أوصى بدوره تلميذه مار ماري قبل إنتقاله إلى الأمجاد السماوية في يوم الخميس الموافق ١٥ أيار لينشر كلمة البشارة في كل بلاد بابل ، وتمكن الطوباوي مار ماري من نشر البشارة المسيحية في ساليق وبنى فيها كنيسة قني على أسم نبيلة برثية أو أخت الملك أرطبان ، ثم ترك ساليق بعدما ترك فيها تلميذه دانيال وتوجه لتبشير بلاد الفرس والأحواز (القسم الشرقي الشمالي من مستوطن الكلدان التاريخي العتيق) التي كانت تتواجد فيها آنذاك مملكة الكلدان المعروفة بأسم مملكة ميشان أو كرخينا ، وبعد أن تقبلت كل البلاد (بيث نهرين) البشارة المسيحية نبذ المسيحيون الأوائل التسمية الوثنية القومية القديمة كلدو / كلدايي وصاروا يتسمون سورايي أو سوريايي بمعنى مشيحايي أي مسيحيون لأن المسيحية جاءتهم من بلاد سوريا ، وأيضاً مدنحايي لأنهم كانوا يسكنون في شرق الفرات .
وقد أستمرت المسيحية في الإنتشار برغم ظهور العديد من البدع التي تشبهت بها أو تجاوزت على تعاليم الكنيسة الجامعة إبتداء بالقرن الأول للميلاد كبدعة سيمون الساحر وتلميذه منيندروس ثم البدعة الأبيونية التي أنتشرت في شمال الجزيرة العربية وتأصلت في الحجاز على عهد قصي مؤسس مكة ، كما نشأت بدعتي ساتورنينوس وباسيليدس المحدودتي التأثير وفي القرن الثاني نشأت بدع شردون وفالنتينوس وتاسيان ومنتانوس الذي إدعى بأنه البارقليط ، وفي القرن الثالث للميلاد أعلن بطريرك أنطاكيا بولس السميساطي بدعته التي نصرته فيها زبيدة ملكة تدمروكان من الفسقة ومحبي جمع المال فأشتكاه رجال الكنيسة الأبرار إلى الملك أورليان فقطع دابره عام ٢٧١م ، كما نشأت البدعة المانوية وهي البدعة التي أسسها البابلي ماني فنافست المسيحية الرسمية / السريانية في كل آسيا حتى تمكن بهرام الأول عام ٢٧٦م من القبض على ماني فسلخه حياً وقطع رأسه .
أما أشهر بدع القرن الرابع فكانت الآريوسية التي أنكرت ألوهية المسيح حتى تخلى عنها صاحبها بأمر الملك قسطنطين ومات بعدها عام ٣٣٦م ، وفي القرن الخامس نشأت عدد من البدع لم يكتب لها النجاح كسابقاتها ومنها بدعة الراهب البريطاني بيلاجيوس عام ٤٠٤م وفي المقابل نجحت البدعة الأوطاخية التي أنشأها الراهب القسطنطيني أوطيخا الذي يعتقد أنه مات بعد تحريمه عام ٤٥٥م ، لكن أحد مؤيديه وهو الراهب توادوسيوس حاول نشر بدعته في أورشليم بالقوة ثم هرب إلى بلاد العرب حيث أختفى أثره هناك ، أما أكبر البدع

وأهمها فكانت تلك التي أبتدعها نسطوريوس المرعشي عام ٤٢٨م ومن تعاليمه أن في المسيح طبيعتين وإقنومين وشخصاً واحداً ، وأيضاً أن ألله لم يلد ولم يولد وأن المسيح ليس إلهاً بل هيكلاً لله وقد إنتقلت بدعته من أنطاكيا حتى وصلت ما بين النهرين وفارس ، وفي عام ٤٣١م أنعقد مجمع أفسس حيث حرم فيه نسطوريوس بطريرك القسطنطينية بسبب خروجه على تعاليم الكنيسة الجامعة ، وأنعكس ذلك سلباً على كنائس مابين النهرين ، فأنعزلت كنيسة المشرق (إيتا / عيتا دمدنحا) أي كنيسة وادي الرافدين وتوابعها في بلاد فارس وشرقها عن الكنيسة الجامعة ولقبت منذ آنذاك بالكنيسة النسطورية ، مع إنها في الواقع لم تنبذ تعاليم الكنيسة الجامعة أو تتجاوزها بدليل إلتزامها بمجمعي ساليق لعامي ٤١٠م و٤٢٠م اللذين ينصان صراحة على الإلتزام بكافة قوانين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية إبتداء من مجمع نيقيا عام ٣٢٥م ، ولكن الخلافات السياسية الفارسية الرومانية أدت إلى خلق قطيعة مصطنعة وإلى إبعاد المؤمنين المشرقيين عن الكنيسة الأم الرئيسة كنيسة القديس بطرس في روما .

وفي مجمع خلقيدونيا عام ٤٥١م حرم المونوفيزيون المنادون بالطبيعة الواحدة للمسيح من بركات الكنيسة الجامعة فتأسست الكنائس الشرقية الآرثوذوكسية ، وفي القرن السادس نشأت بدعة يعقوب البردعي المسماة باليعقوبية والتي صار أتباعها يتسمون لاحقاً بالسريان الأرثوذوكس ، وفي القرن السابع لم تظهر بدع ذات تأثير بإستثناء ما نشأ في أرض الجزيرة العربية والذي كان بتأثير الأبيونيين في مكة ، ولكن هذا القرن شهد إنفصال قسم من السريان المشارقة من أبناء كنيسة المشرق النسطورية وتحولهم بهمة الراهب يوحنا الديلمي عن المذهب النسطوري فكانوا أول مجموعة من أبناء كنيسة المشرق الذين رفضوا سطوة الدولة الفارسية ويسمى هؤلاء الكلدانيون الأصلاء اليوم بأسم السريان الكاثوليك ومنهم أبناء بخديدا وبرطلة وبعشيقة وغيرهم من الذين عادوا إلى طاعة خليفة مار بطرس في النصف الثاني من القرن الثامن عشر .



إزار من بخديدا.. لاحظ في بعض الرموز تأثير النقش البابلي

لكن الأمور على الصعيد المسيحي شهدت العديد من الأزمات ، وزادت القضايا العقائدية الخلاف حدة وبخاصة تلك العقائد التي نوقشت في عام ١٠٥٣م بين الكنيستين الرومانية الكاثوليكية والبيزنطينية الآرثوذوكسية وأنتهت بتبادل الحرم بين موفد البابا لاون التاسع ولاريوس بطريرك القسطنطينية مما نصب جداراً من العزلة بين مسيحي الشرق والغرب حتى أواخر الربع الأول من القرن الثالث عشر للميلاد وتحديداً عام ١٢٢٢م حيث عمد البابا هنوريوس الثالث في محاولة لم يكتب لها النجاح لرد السريان المشارقة / النساطرة المقيمين في قبرص إلى الكثلكة وصرف أنظارهم عن دعوات مطران اللاتين ، كما جرت محاولة أخرى بين البطريرك سبريشوع ١٢٢٧-١٢٥٧م والبابا أنوشنسيوس الرابع وأيضاً بين يهبالاها الثالث / مرقص المغولي ١٢٨١-١٣١٧ والبابا بندكتس التاسع وكانت هنالك محاولات أخرى ولكن لم يكتب لها النجاح إلا في عام ١٤٤٥ حيث أبرم المطران طيمثاوس وثيقة الاتحاد مع الكنيسة الجامعة / الكاثوليكية ودون وثيقته تلك باللغة الكلدانية التي ترجمت إلى الإغريقية واللاتينية ، وفيها تخلى طيمثاوس وجماعة المؤمنين الذين يتبعونه عن التسمية السريانية الشرقية النسطورية وتسموا كلداناً أي إستعادوا تسمية آبائهم وأجدادهم القديمة ، ونتيجة لطلب طيمثاوس صدرت براءة البابا أوجيانوس الرابع في ٧ آب عام ١٤٤٥م ، التي تنص على أن لا يسمى هؤلاء السريان النساطرة بعد اليوم هراطقة بل كلداناً (بحسب إرادة المطران طيمثاوس الموصلي) .

وبعد ذلك التاريخ صعد الراهب يوحنان سولاقا رئيس دير الربان هرمزد إلى مدينة الحبر الأعظم لينال رسامته بتدبير من أساقفة أربيل وسلامس وأذربيجان ، فبلغ الفاتيكان في ١٥ تشرين الثاني عام ١٥٥٢م ، حيث رسمه قداسة البابا يوليوس الثالث بطريركاً بأسم مار شمعون سولاقا في ٢٠ شباط ١٥٥٣م وفي ٢٨نيسان من ذات العام منح البطريرك يوحنا سولاقا درع السلطة الكنسية ليبدأ عهد كنسي جديد في بلاد ما بين النهرين حيث صارت في البلاد رئاستان واحدة كاثوليكية على كنيسة المشرق ومقرها الذي تبدل من ديار بكر إلى سلامس وأورميا في إيران وأخيراً قوجانس في تركيا ، والأخرى تمثلها أسرة أبونا في دير الربان هرمزد ، وكان من نتائج أبتعاد خلفاء مار شمعون سولاقا عن وادي الرافدين أثره العميق إذ فترت همتهم الكاثوليكية وأرتدوا إلى النسطورية بحدود العام ١٦٧٠ على عهد البطريرك شمعون الثالث عشر ، وفي المقابل كان السريان النساطرة التقليديون من أسرة أبونا المستقرة على كرسي الرئاسة في دير الربان هرمزد مقبلين على تحول مهم حيث نجحت الإتصالات بين الفاتيكان والمطران يوحنان هرمز من عشيرة أبونا فأعترفت به روما عام ١٨٣٠م بطريركاً على الكلدان وصار لقبه بطريرك بابل على الكلدان فيما حمل المرتدون عن الكثلكة لقب بطريرك الآثوريين بمعنى الذين هم في بلاد آثور الكتابي وليس بالمعنى الوثني (آشوريون) أي أنهم من نسل آثور بن نمرود .

وهكذا يتبين لنا أن السريان المشارقة أحفاد الكلدان القدماء توزعوا آخر الأمر على قطبين رئيسين ، قطب أول تخلى عن تسميته القومية القديمة (كلدو) وتسمى بالسريانية ثم تنسطر وتيعقب وتكثلك لاحقاً دون أن يستعيد التسمية القومية القديمة وهم السريان الكاثوليك المتواجدون اليوم في بخديدا وبرطلة وبغداد والموصل والبصرة وهاجر منهم من هاجر لاحقاً إلى أمريكا وأوربا وأستراليا ، وقطب ثان من السريان المشارقة وهو القسم الذي

تنسطر أيضاً ثم أنقسم بعدئذ إلى قسمين تكثلك أحدهما وبقي الآخر على نسطرته حتى إرتد المتكثلك إلى نسطرته وأنقسم إلى فرعين ببطريركين منفصلين يحمل أحدهما (الأنكليكاني) التسمية الآثورية (التوراتية/ الكتابية) رسمياً منذ أواخر القرن السابع عشر بينما حمل الفرع الآخر التسمية الآشورية (الوثنية) عام ١٩٧٥م .

في المقابل أعلن القسم المتنصطر التقليدي في وادي الرافدين (أسرة أبونا) عن قبوله المطلق لوثيقة الإيمان الكاثوليكي عام ١٨٣٠م وأستعاد تسميته الكلدانية القومية القديمة ، والنتيجة التي نستخلصها بكل بساطة ووضوح هي أن كلدان الرافدين الوثنيين تسرينوا بعد قبولهم للبشارة المسيحية ثم فرقتهم البدع والإجتهادات فمنهم من بقي على التسمية الدينية / الطائفية كالسريان الكاثوليك ومنهم من أتخذ أسم المنطقة الجغرافية علماً له كالكنيسة الآثورية في إقليم آثور ومنهم من مزج بين التسمية الإقليمية والقومية العتيقة بابل على الكلدان والتي تشبه تماماً ما ورد في الوثيقة الفاتيكانية (AÁ الخزانة١-١٨ رقم ١٧٩٦ الصفحة ١-٤) والتي جاء فيها على لسان المطران مار إيليا هرمز رئيس أساقفة آمد في بلاد ما بين النهرين حيث يقول فيها : كلداني من آثور . بمعنى كلداني عرقاً ومن آثور إقليماً .

فالسريان المشارقة الرافديون بمعنى المنحدرين عن الكلدان القدماء وأسلافهم الكلدان الأوائل هم ذاتهم من يتسمون اليوم بالسريان الغربيين في وادي الرافدين وأيضاً بالكلدان والآثوريين / كلدان الجبال ، دمهم واحد وعرقهم واحد ولغتهم واحدة وطقسهم واحد ، ومن لا يؤمن بهذه الحقيقة الدامغة إنما يتجاوز منطق الأشياء ويوهم نفسه أيما إيهام .



مشهد يصور إستشهاد مار بهنام وأخته سارة

إدعاء تعذر معرفة أصول الناطقين بالسورث إلى بابل أم آشور ؟

يدعي البعض صعوبة وتعذر معرفة إنتسابنا نحن الناطقون بالسورث ، بمعنى هل يرجع أصلنا إلى بابل أم إلى نينوى (إقليم آشور) ؟
مع أن مسألة تحديد إنتسابنا هذا هو مسألة مفروغ منها تماماً عند الأكاديميين والمتخصصين بتاريخ وادي الرافدين ، وهو ما يهمني أن أبينه هنا ليكون واضحاً للجميع ، وعلى سبيل المثال في المجلة الأكاديمية (سومر) مجلد ٢٦ ص١٣٣ وفي موضوع (العراق في كتابات اليونان والرومان للدكتور سامي سعيد الأحمد) يذكر بطليموس الكلدان قائلاً : وكانت دار مملكتهم العظمى كلواذى .. ثم يستطرد في محل آخر قائلاً : وكانوا (الكلدان) قبائل منهم النونيون (أهل نينوى) والآثوريون (كلدان الجبال) والأرمان (آراميون) والأردوان (وهم نبط الشام في زمن الملك أردشير بحسب الكرملي) والجرامقة (أهل الموصل) ونبط العراق أهل السواد .
وهو ما يذهب إليه المؤرخ صاعد الأندلسي في طبقات الأمم حيث يقول : الكلدانيون وهم السريانيون البابليون ، أي أن المفردات الثلاثة تؤدي لمعنى واحد ، ومنهم الكوثائيون (أهل كوثى) أي (كودو آ / تل إبراهيم قرب بابل) والآثوريون (كلدان الجبال) والأرمانيون (الآراميون) والجرامقة وهم (أهل الموصل) والنبط وهم (أهل السواد) .
وبديهي أن هذا معروف للمختصين والباحثين الأكاديميين للأسباب التالية :
أ- أن مدينة آشور قد أسسها شعب آسيوي أجنبي يطلق عليه المؤرخون تسمية (شوبارو/ سوبارتو) على أصل موقع زراعي سومري ، وذلك في عهد الشيخ السوباري كيكيا الذي بنى سوراً للمستوطن الزراعي وحوله إلى ما يعرف بدولة المدينة ، وقد أخذت تلك المدينة تسميتها من أسم ذلك الشعب الأجنبي أو إلههم الوثني (آ-أوسار / آشور) الذي بنى معبده الشيخ السوباري أوشبيا على أسس معبد سومري مخصص للإلهة السومرية البابلية (إننانا / عشتار) .
ب- أن نينوى آخر عواصم الدولة الآشورية قد أخذت أسمها من المدينة الجنوبية (الإقليم البابلي) الموغلة في القدم (ننوى أو نينا) مدينة معبد الإلهة السمكة نانشة ربة لجش ، بمعنى أن ننوى الإقليم البابلي الموغلة في القدم هي مصدر تسمية ننوى أو نينوى الشمالية التي لم تعرف كمدينة مهمة إلا بعد أن إنتقل إليها شمشي أدد الأول ١٨١٣-١٧٨١ ق.م ، منتقلاً إليها من مدينة إيكلاتم لكي يعمرها ويحولها من مدينة ريفية صغيرة إلى عاصمة تليق بملكه بدلاً من آشور العاصمة الدينية للشوباريين والأقوام الجبلية الاخرى بطقوسهم الغريبة عن أصله البابلي ، ولهذا أنشأ فيها معبد الإلهة عشتار (حامية أكد / بابل) كما أستعمل القلم البابلي طوال فترة حكمه وحكم ولده إشمي دكان الأول -Ishme Dagan I- ، ويؤكد ذلك الأستاذ طه باقر في الصفحة ٢٨٢ من كتابه الموسوم (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) حيث يقول : أن أسم نينوى -Ninua- نفسه هو أسم سومري وهو الأسم نفسه الذي كانت تسمى به أحدى مدن لجش في بلاد سومر ، أي مدينة نينا -Nina- التي تعرف بقاياها الآن بأسم سرغل .
ج- أما مدينة بابل فقد كانت كما بينا في الجزء الأول من الكتاب تتألف من قسمين واسعين يفصلهما نهر الفرات تماماً كما يفصل نهر دجلة جانبي بغداد (بعل داد البابلية) إلى الرصافة

والكرخ ، وبديهي أن مدينة بابل كانت واحدة من البلدات القديمة في عهد ما بعد الطوفان ويرجح العلماء بأن بلدة (كيش) التي هبطت عليها الملوكية من السماء بحسب ما جاء في جداول الملوك العتيقة (الجداول السومرية) كانت المركز السياسي للمنطقة ، فيما كانت بابل تمثل الجانب الديني ممثلاً بإله العمران والحضارة مردوخ أبن الإله الكلي القدرة أيا / أنكي معبود أريدو .

برغم الخراب الذي ألحقه سنحاريب بمدينة بابل وتحويل ماء الفرات إليها وإغراقها مما أدى إلى عدم تمكن الآثاريين من مواصلة تنقيباتهم لأبعد من العصر البابلي القديم بسبب إرتفاع المياه الجوفية للمدينة ، وبرغم الدمار الذي ألحقه بها آشور بانيبال بعد أربعين عاماً من خراب سنحاريب لها ، إلا أننا تمكنا من معرفة الكثير حول تاريخ بابل من المدونات المادية التي أكتشفت خارج بابل ، وقد بات من المتعارف عليه الآن أن بناة بابل الأصليين يرجعون إلى الرافديين الأوائل الوسط جنوبيين (الكلدان الأوائل) الذين أسسوا أريدو في عصر ما قبل الطوفان ، وقد حملت بابل تسميات عديدة لها معنى واحد ، فمن أسمائها القديمة كار دنكر را وباربار وباب إيلو وبابيلم كما عرفت محلياً بأسماء أخرى منها تن تر كي وشباط بلاطي وشو أنا كي ونون كي (وهو من أسماء المدينة الأم أريدو) وكش كالا (البوابة) كما أطلق عليها في العهد القديم تسمية شيشك / إرميا : ٢٥-٢٦ ، أما الأغريق فقد أسموها بابلون وباللفظة الكلدانية الحديثة بابل وهو ذات الأسم المستخدم في اللغة العربية الحديثة .

ومن الجدير بالذكر أن الدراسات المعاصرة قد توصلت إلى أن مدينة أكد (دور شروكين بابل) عاصمة الإمبراطورية الأكدية لا بد وأن تكون واحدة من محلات مدينة بابل القديمة ذلك أن سرجون الكبير قد ذكر في مسلته بأنه قد بنى عاصمته (أكد) بتراب بابل بمعنى أن أكد كانت ضاحية جديدة من مدينة بابل القديمة ، وإلى هذا ذهب الباحثون الذين ساهموا في ندوات أحياء بابل منذ أواخر عقد السبعينات حتى منتصف عقد الثمانينات من القرن المنصرم ، أما سكان بابل القدامى أي منشؤوها فقد كانوا من الكلدان الأوائل بدليل جداول أنساب الملوك -The Babylonian King-List A & B- ، ومع مضي الوقت تحولت أكد إلى مدينة عامرة وصارت بابل واحدة من من ضواحيها ، لتصبح أكد بعد ذلك عاصمة لأول إمبراطورية في التاريخ على عهد مؤسسها شروكين / سرجون الكبير حتى خربها الكوتيون .

وفي عهد حمورابي عادت مدينة بابل إلى الريادة بسبب الموجة العمورية التي أستقرت في بابل ثم تفرعت منها موجات أصغر توجهت إلى إشنونا ومدينة آشور ليؤسسوا فيها الدولة الآشورية على عهد شمشي أدد الأول ، وقد بينا آنفاً بأن العموريين هم من الأقوام التي تنحدر عن الكلدان الأوائل ، والحق فإنه مع فترة حكم حمورابي تحولت بابل تلك المدينة المقدسة القديمة إلى عاصمة لإمبراطورية كبيرة أمتدت من غرب إيران حتى جزيرة قبرص ومن الشمال الرافدي الأعلى حتى أقصى جنوب القطر البحري الذي تقع قطرايا ضمن حدوده ، وما لبث أن شهدت بابل موجة جديدة من الكلدان القدامى وذلك منذ القرن الثاني عشر للميلاد وحتى سقوطها أثر خيانة قائد قوات الشمال الرافدي (جوبارو) الذي انحاز بجيشه الشمالي مع الأعداء فتمكنت القوات المتحالفة من الإنتصار على الجيش البابلي وقتل ولي العهد (بيل شاصر) في موقعة أوبيس (سلوقيا) ثم دخلوا بابل بخدعة النهر الشهيرة وذلك في ١٣ تشرين

الأول من عام ٥٣٩ ق.م ، مع أن القلعة والقصر الملكي ظلا يقاومان الجيش الأخميني لأكثر من شهر حتى قتلوا جميعاً .. بحسب ما أورده د. مؤيد سعيد الأحمد الرئيس السابق للمؤسسة العامة للآثار والتراث في دراسته الموسومة (العراق خلال عصور الإحتلال) .
يتبين لنا مما ذكرناه بأن بابل كانت (مهد الهجرة) التي أسست الدولة الآشورية (نسبة لمدينة آشور عاصمة الشوباريين الأجانب) .
والحق فقد نشأت بابل بأياد رافدية كلدانية وتكفلتها بالرعاية والتطوير أياد رافدية كلدانية ، وقد بقيت محافظة على القيم الرافدية الكلدانية حتى القرن الخامس للميلاد وهو عصر إندثارها لعوامل عديدة لا مجال لذكرها هنا ، إلا أن من الضروري أن بابل أو ضواحيها كانت منذ القديم وحتى يومنا هذا العاصمة الشرعية لوادي الرافدين ، ولو قمنا بمراجعة بسيطة لوجدنا أن كيش واحدة من البلدات البابلية المجاورة كانت عاصمة الرافدين بعد الطوفان العظيم ثم تنقلت السيادة بين أوروك وأور في الإقليم البابلي حتى وصلت إلى أكد ضاحية بابل ثم إلى بابل نفسها ، التي جمعت البلدات المحيطة بها لتصير أكبرعاصمة في التاريخ القديم ، ذلك أنها كانت أكبرمن أوروك المدينة العظيمة بثلاث مرات تقريباً وأكبر بأربع مرات من مدينتي كلخو (نمرود) ودورشروكين الشمال (خرسباد) وأكبربخمس مرات من مدينة أثينا في أوج إتساعها وأكبر بسبعة عشر مرة من مدينة آشور.
وعندما أحتل الأخمينيون وادي الرافدين أطلقوا على بابل وكل وادي الرافدين تسمية مرزبانية بابل ، وكانت آشورواحدة من مناطقها أول الأمر ثم فصلت آشور عن بابل وألحقت بسوريا ، وعندما فتح الأسكندر الكبير العالم القديم لم يختر آشور (كانت مدينة دارسة وقتذاك) أو نينوى عاصمة عالمية لإمبراطوريته وإنما أختار(بابل) لأن بابل كانت عاصمة بلاد الرافدين الشرعية .
وعندما تأسست الإمبراطورية السلوقية بنى سلوقس الأول على الجانب الغربي من نهر دجلة عاصمته الجديدة في أطراف بابل على أسس مدينة بابلية عتيقة هي أوبس التي قتل فيها بيل شاصر(حاكم بابل وولي عرش نبونائيد) ، وفي العصر الفرثي أتخذ الفرثيون من طيسفون على الجانب الشرقي من دجلة مقابل سلوقيا القديمة (خربة ساليق) عاصمة شتوية لهم ، وفي العصر الساساني وسع الساسانيون طيسفون التي صارت تسمى بالمدائن (جمع مدينة) وتسمى بالكلدانية (مذيناثا أو ترتين مذيناثا) وتشمل طيسفون وماحوزا / القلعة وسلوقيا أي ساليق التي فيها كنيسة كوخي وهي موقع أول كرسي جاثليقي (أبوي رئاسي) لكنيسة المشرق العتيقة / إيتا دمدنحا .
لكن الأب ألبير أبونا كتب مؤخراً موضوعاً مكثفاً في العدد الرابع عشر / السنة الرابعة من مجلة (نجم المشرق) أعتماداً على دراسة موسعة للباحث الأب فييه المنشورة في مجلة (الشرق المسيحي) ، أورد فيها أسماء خمس مدن بدلاً من ثلاثة وهيّ ساليق / فيه أردشير (كوخي) التي أدى إنحراف نهر دجلة إلى وقوعها على الضفة الغربية منه بعد أن كانت في السابق تقع على الضفة الشرقية من مجرى دجلة القديم ، ثم ولغاشية / ولش آباد التي تقع أيضاً على الضفة الغربية من نهر دجلة ، فيما تقع الرومية / أنطاكيا كسرى وأسبانير وقطيسفون على الضفة الشرقية من النهر ، وقد أطلق على مجموع هذه المدن تسمية بنتابول أو المداين / ماحوزي .

وبرغم تبدلِ موقع عاصمة الرافدين من بابل المدينة إلى ضواحيها غير أن تسمية إقليم بابل ظل ملتصقاً بالمنطقة فيما تبدل أسم إقليم الشمال إلى مقاطعة حدياب وكانت عاصمته أربيل ، وبعد سيطرة جيوش المسلمين على وادي الرافدين قسمت البلاد إلى مقاطعتين الشمال أرض الجزيرة أو العراق الأعجمي ويشمل ولاية وسط وشمال العراق والهضبة الإيرانية بما فيها همذان وقزوين ، أما الجنوب فسمي بالعراق العربي أو أرض السواد وكانت البصرة عاصمته أما إقليم الشمال فكانت عاصمته مدينة الكوفة التي بناها المسلمون على أسس بلدة مسيحية وسكنها الخليفة الرابع علي بن أبي طالب ، فقد كانت في محيط إقليم بابل القديمة ، ولم تكن لتتعدى في بنائها حدود أية مدينة ريفية قياساً بمجاورتها مدينة الحيرة التي كانت تعج بالكلدان / السريان المشارقة والعرب المسيحيين النساطرة .

وفي عصر الدولة العباسية بنيت بغداد المنصور (مدينة السلام) على أسس مستوطن بابلي قديم كان يعج بالأديرة والكنائس المسيحية في زمن بنائها ، وذلكِ في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور الذي أقتطع المسيحيين من سكان المنطقة قسماً كبيراً من جانبها الغربي سميٍ (بقطيعة النصارى) ، وكان لهذه المنطقة أمتيازاتها وجمالها الخاص حتى صارت متنزهاً يؤمه العامة في المناسبات .

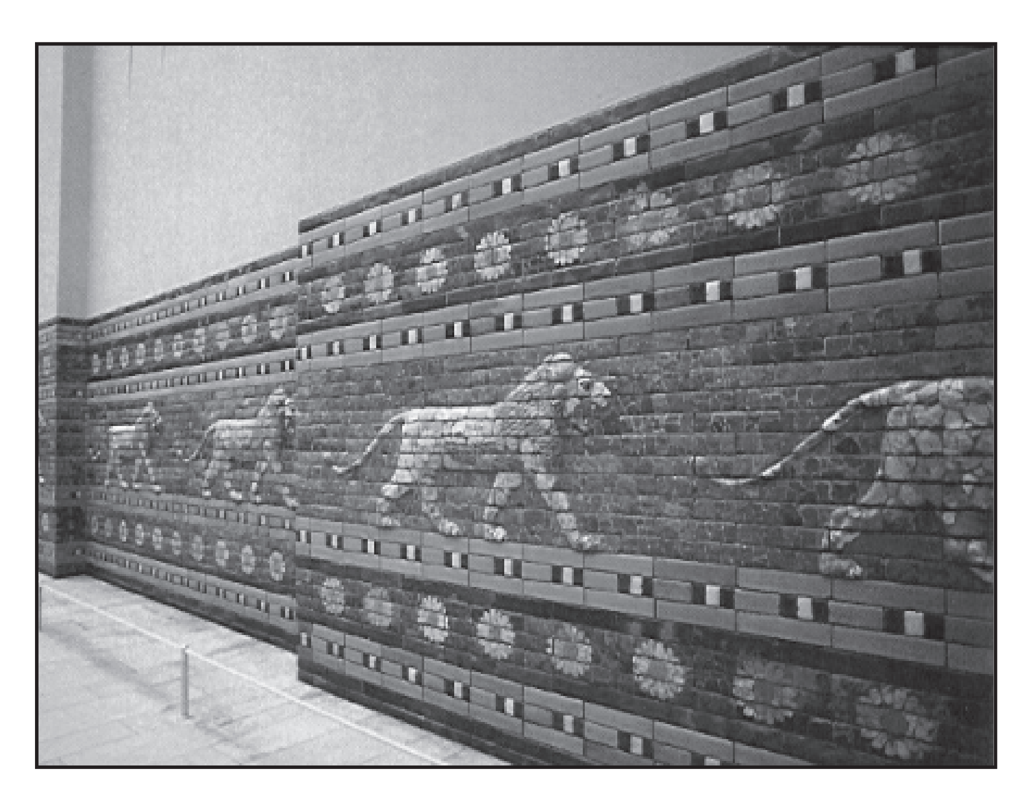
وبسبب المتغيرات السياسية آنذاك تم نقل الكرسي الجاثليقي إلى بغداد (بعل داد الكلدانية البابلية) ، حيث بقي المسيحيون يسمونها في مخاطباتهم بأسم (بابل الجديدة) وظلت بغداد (بابل الجديدة) عاصمة للعراق حتى يومنا هذا ، بمعنى آخر أن بابل بضواحيها وبلداتها المجاورة ظلت عاصمة لوادي الرافدين منذ العصر المجهول لما بعد الطوفان وحتى يومنا الحاضر ، فإلى بابل والإقليم البابلي نرجع .

وهو ما يهمنا هنا لأن هؤلاء البابليين كانوا من أحفاد الرافديين القدامى على تنوع مسمياتهمٍ (جغرافية أم إقليمية) ، وبالتالي فأنهم كانوا شعباً واحداً بمسميات مختلفة ، مع أنهم جميعاً يرجعون لأرومة الرافديين الأوائل (الكلدان الأوائل) ، وهو ما يثبت (إنتسابنا جملة وتفصيلاً) إلى **بابل** التي يقول عنها الدكتور فوزي رشيد في كتابه الموسوم (الملك نبوخذنصر الثاني) : وأن شهرة هذه المدينة (بابل) هي التي جعلت منها عنوان حضارة بلاد وادي الرافدين ونسب إليها القطر العراقي كله .. بحيث سمي بلاد بابل وسكانه وصفوا بالبابليين . ويذهب إلى ذلك التلمود البابلي الذي يسمي كل البقاع التي يرويها دجلة والفرات وعلى كل بلاد النهرين أسم بلاد بابل .

وتأكيداً لما أذهب إليه أورد شهادة المؤرخ الآثوري إيشو مالك خليل جوارو المستلة من الصفحة ١١ لكتابه الموسوم (الآشوريون في التاريخ) والذي يقول فيها بأن جد الآشوريين (يقصد عموريو الشمال) هاجر من سهل شنعار (بابل) وحل في آشور (بمعنى أن آشور كانت موجودة قبل هجرته إليها من بابل) وبمعنى آخر أن أسم هذه المجموعة النازحة نحو الشمال لاحق لإستيطانها ولا علاقة له بالمعايير القومية .

وإن لم تكف شهادة المؤرخ إيشو مالك لإقناع المترددين ، فإنني أورد لهم حول أصل الآثوريين شهادة آثوري آخر هو المؤرخ الآثوري المعروف الروسي الأصل قسطنطين ماتفيف لتكون خاتمة المطاف أوكما يقولون (شهد شاهد من أهلها) ، حيث يذكر هذا الكاتب الآثوري الروسي الأصل في كتابه الموسوم الآشوريون والمسألة الآشورية : توجهت

في العهد البابلي موجة أخرى من العموريين / البابليين نحو تلك المدينة (آشور الموجودة أصلاً) وتمكنوا من الإستحواذ عليها ودفع العدد الأكبرمن جموع السوبارتو (شوبار) إلى خارج الحدود وبالتالي تأسيسٍ مملكة جديدة كانت عاصمتها آشور ، ويستطرد أيضاً : أسس (الخارجون من بابل) موطناً (دولة) لهم في شمال ما بين النهرين كانت أكبر مدنهم آشور . ويقول في موقع آخر : ينتسب الآشوريون (عموريو الشمال) إلى مجموعة (الشعوب السامية) ويرجعون إلى **البابليين** . ترى هل هنالك إجابة أوضح ؟!



أسود عشتار من شارع الموكب في بابل



كلدانية الدم المسفوح على الصليب لخلاص العالم

لم يكن في نيتي طرح هذه النقطة الحساسة لأنها أشبه ما تكون بسيف ذي حدين ، فمن ناحية يمكن لهذه الإشارة ذات الأبعاد الدينية أن تحسم مسألة إنتماء الكثيرين من أبناء شعبنا الواحد لأن النسبة الغالبة ستفضل الإنتماء للسيد المسيح على الإنتماء لصنم وثني أجنبي ، لكنني من ناحية ثانية أردت أن أتحاشى طروحات غير المتدينين وبعض العلمانيين الذين قد لا يروقهم إدخال الدين كعامل لحسم المناقشات الزمنية ولهم أي الفريق الأخير الحق (إلى حد ما) في ذلك ، ولكن إن كان طرح هذه المسألة ضمن المعايير المنطقية والأدلة المادية ووفقاً لضوابط الحوار العلمي المتحضر فإن المسألة تستحق الطرح ، لذلك فقد ضمنتها في بحثي الأكاديمي هذا .

بديهي أن البعض من أبناء شعبنا الواحد يتزايد معنا على مكاسب وهمية وأحياناً على نتائج جاءت كتحصيل حاصل أو بسبب من صدفتها الموضوعية كما يقول أندريه بريتون ، لقد بدأ أخوتنا من كلدان الجبال (الآثوريون) تحت راية البطل آغا بطرس (الكلداني) رحلة ترسيخ الهوية القومية والوطنية بدوافع دينية وذلك كإنعكاس لعامل تكريد مناطق الرافدين العليا إبان الحكم العثماني ، ولو كان الحيف قد وقع على المسيحيين في مناطق منعزلة أخرى لكانت هي السباقة في رفع لواء المقاومة .

ومع ذلك ، برغم الروح الوطنية التي أبداها أغا بطرس (الكلداني الكاثوليكي) والحرص الذي أبداه سيادة المطران أدي شير (الكلداني الكاثوليكي) على تقريب أبناء الشعب الواحد ، إلا أنهما ولأسباب عديدة لا مجال هنا للخوض فيها ، فقد ماتا في ظروف مريبة عززت من الواقع الإنفصالي بين أطياف الشعب الواحد وأصابت بالعوق جهدهما لرأب الصدع الذي خلقته الصراعات الطائفية والمكاسب الزمنية التي تعمي البصر والبصيرة ، مع أنهما حسماً للنزاعات التي تأسست على قلة الوعي والتخلف الإجتماعي قد نجحا : أولهما في إبتكار جيش

كلدو آثور فيما رسخ ثانيهما لفكرة أخوة (كلدو وآثور) الخيالية .
نعم لقد كان قصب السبق في تأسيس المنظمات السياسية لأخوتنا من كلدان الجبال ، لكن هذا قد دعاهم فيما بعد للمبالغة والتعصب حتى راح البعض يلوح (بالدم الأورمي النقي - الأزرق) كشرط للرئاسة والزعامة وكمدعاة للمفاخرة فيما راح البعض الآخر ينتقص من الكنيسة الكاثوليكية المقدسة ومن رجال الدين الكاثوليك ويؤكد على أن مسيحيته هي خير من مسيحية السريان / الكلدان الكاثوليك ، وهنا كان لابد لنا من وقفة .
أولاً المسألة ليست مسألة دينية وإنما هي قضية قومية بمعنى أن الفرق بينهما هو كالفرق بين الأرض والسماء ، فلماذا أذن يزج البعض بالورقة الدينية كورقة رئيسة ؟
وثانياً ، إن كان حسم المسألة يتحدد في من هو الأقرب للمسيح ومن هو الأحرص من بين الفرقاء على رسالته فلابد لي أن أوضح ما يلي :
-١ التسمية الكلدانية هيّ تسمية لشعب قومي تثبت كل المصادر التي أوردناها بأنه شعب رافدي عريق بينما التسمية الآشورية تؤكد على الإنتماء الجغرافي لإقليم شهد تغيرت بالغة في تركيبته السكانية منذ نشأته حتى اليوم ، وأن هذه التسمية الدخيلة قد تكون مستمدة من إله وثني (صنم) أجنبي ، وهو ما يتعارض كلياً وتربيتنا المسيحية وتوجهاتنا القومية التي ندعو إليها .
-٢ إن تمسكنا بالتسمية الكلدانية يمنحنا أمتيازين رئيسين وهما : أن تمسكنا هذا يربطنا بأصلنا القومي والوطني الرافدي البابلي من ناحية ، كما أنه يعزز من ناحية أخرى من مكانتنا كمسيحيين ويربطنا مباشرة بالسيد المسيح ، وهذان الإمتيازان لا يوفرهما لنا التشبث بالتسمية الأجنبية الآشورية سواء جاءتنا من الآشوريين الشوباريين الآسيويين الأجانب أو من صنمهم المعبود .
وقد يتسائل البعض وكيف ذلك ؟ .. فأجيب : يؤكد الكتاب المقدس على أن إبراهيم (بابن أوراهم) بن تارح هو رجل كلداني هاجر وأسرته وفق بيانات الكتاب المقدس من أور الكلدان (أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين لأعطيك هذه الأرض ميراثاً لك .. تك ١٥: ٧) ، ولأنه كلداني فإن أبناءه ومنهم أسحق كلدان بالضرورة ، ونعلم أن أسحق عندما أراد أن يتزوج فقد تزوج من أمرأة رافدية هي رفقة بنت بتوئيل فولدت له رفقة يعقوب / إسرائيل الذي تزوج من أربعة نساء حرانيات وحران هي مسقط رأس آخر ملوك الكلدان نبونائيد ، فولدن تلك النساء وهن (ليا ووصيفتها زلفة ثم راحيل ووصيفتها بلهة) الأسباط الأثني عشر الذي منهم داود الملك (أنظر نسب يسوع في متى ١ : وأيضاً لوقا ٣) ، ومعلوم أن داود الملك هو جد يكنيا ويكنيا هو جد يوسف ومريم العذراء (مريم بثولتا) ، ومريم العذراء هي أم الرب بالجسد ، ولأنها من نسل داود الذي هو من نسل يعقوب / إسرائيل الذي هو من نسل إبراهيم الكلداني فإن يسوع المسيح هو كلداني بحسب نسبه الأرضي .
وبالتالي فإن دمه المقدس الذي سفحه على صليب الفداء لخلاص كل العالم هو دم رافدي كلداني بالضرورة ، فهل هنالك أسمى من الإنتساب لذلك الدم المقدس وللرب يسوع ، أم أن هنالك من يعتقد بأن بوسعه المفاخرة علينا بالإنتساب لصنم وثني (آشور) على أن ينتسب للكلدان وعلى رأسهم الرب المخلص يسوع المسيح ؟؟؟

التاريخ السلالي لإقليم شوبارو / آشور -Shubaru-
ودحض الوهم الآشوري

من الغريب أنه مذ بدأت عام ١٨٨٦م عملية (تشكيل) ذهنية كلدان الجبال وتمريرها ضمن قناة الفهم السياسي الآشوري حتى يومنا هذا ، فإننا ما أن نسأل أي من هؤلاء الذين يتنادون بهذه التسمية ، حتى نتفاجأ بجهلهم المدقع بأبسط المعلومات الأولية ومنها على سبيل المثال ، إعتقادهم بأن تاريخ إقليم الشمال كان وحدة واحدة متماسكة عرقاً ولغة ، وبأنه يبدأ سلالياً وفق تصورهم الخاطئ منذ العام ٤٧٥٠ ق.م بسلالة محلية رافدية ، وجميع هذه الإعتقادات (كما يعرف المختصون ذلك جيداً) يدحضها الواقع العلمي والدليل التاريخي ، لأن إقليم الشمال قد بدأ سلالياً في حدود مطلع القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد أو في منتصفه وهذا يزيل ما يقرب من ٢,٥٠٠ عام من التاريخ الوهمي للمتنادين بالآشورية ، كما أنه لم يبدأ بسلالة وطنية محلية وإنما بسلالة أجنبية (آسيوية) غازية (شوبارو) .

المسألة الثانية التي يتنادى بها أتباع الحركات الآشورية وتدحضها الوقائع العلمية والمكتشفات الآثارية ، هيّ أن تاريخ الإقليم خلال الألف والأربع مائة عام الأولى من عمر المنطقة من أصل ١,٧٠٠ عام تمثل كامل تاريخ الإقليم السلالي أجنبياً ووطنياً ، أي أن نسبة ما يقرب من ٨٢,٤٪ من تاريخ الإقليم ، كان تاريخاً متأرجحاً بين التبعية للسلطة المركزية (الشرعية) في الإقليم البابلي (سومر وأكد) والسلالات البابلية القديمة ، وبين التبعية للمحتل الأجنبي من شوباريين وإبليين وميتانيين وفراعنة وحثيين .

والواقع أن الإقليم قد شهد إستثناءات تتمثل بشكل ومضات مشرقة خلال عهود التبعية الطويلة ، كما في عهد شمشي أدد الأول وآشور أوبالط الأول وشلمنصر الأول وتوكلتي ننورتا الأول وآشور ناصر بال الأول ، بمعنى خمسة ملوك كبار من أصل ٩٨ حاكماً (معظمهم بدرجة إنسي) أي بنسبة ٥,١٪ ، وهيّ نسبة كما يبدو بشكل واضح وجلي لا تبعث على السرور أو توحي بالفخر ، ومما يزيد الطين بلة أن فترة الثلاث مائة عام التي تشكل التاريخ الإمبراطوري لإقليم آشور (شوبارو) التي تبدأ بالعام ٩١١ ق.م وتنتهي في ٦١٢ ق.م لم تكن هيّ الآخرى تاريخاً زاهراً كما يتوقع هؤلاء الموهومين إذ شهد الإقليم فترة مظلمة أمدها ٨٠ عاماً ، وتحديداً بعد ثورة أبن شلمنصر الثالث المدعو آشور دانن أبلي على أبيه في سنوات حكمه الأربعة الأخيرة ، كما عاش الإقليم فترات مظلمة ومضطربة أخرى لمدة ٢٧ عاماً تبدأ بسنة حكم آشور بانيبال عام ٦٣٩ ق.م ، وبمعنى آخر فترة ١٠٧ عام من أصل ٣٠٠ عام ، أي بنسبة ٣٥,٦٪ من أصل الفترة الإمبراطورية التي لم يتجاوز أمدها الفعلي ١٩٣ عاماً لسلالتين منفصلتين نسباً وعاصمة ، الأنكى من هذا وذاك إعتقاد معظم من قمت بمحاورتهم بهذا الخصوص من الذين ينتمون لشرائح إجتماعية مختلفة ويتنوعون في مستوى تعليمهم ، بأن مدينة آشور كانت على طول التاريخ الآشوري وبشكل أدق معظم التاريخ الآشوري عاصمة أزلية للإمبراطورية الآشورية وبأن إقليم آشور كان منذ نشأته وحتى نهاية العصر الآشوري الحديث عام ٦١٢ ق.م يمتد من من هضبة إيران وجبال تركيا وسوريا الكبرى (بلاد الشام) وأجزاءاً من مصر والجزيرة (العربية) علاوة على كامل العراق الحالي ، وهو كما يعرف المطلعون بجلية الأمر ليس أكثر من تصور ساذج ووهم تدحضه الحقائق العلمية .

ذلك أن إقليم آشور كما يؤكد جورج روو في كتابه الموسوم (العراق القديم) : كان حتى نهاية القرن العاشر ق.م لا يتجاوز في مساحته على شريط ضيق من الأرض لا يكاد يبلغ طوله المائة ميل ولا يزيد عرضه على الخمسين ميلاً .

ومن أجل توضيح الصورة بشكل أفضل لهؤلاء الموهومين ، فإنني أرتأيت تثبيت التاريخ السلالي للمنطقة ، لا كما تعود عليه القارئ الإعتيادي ، أي وفق التاريخ السلالي التقليدي لإقليم آشور الذي دأب الكتاب والباحثين التاريخيين على تقديمه للقارئ بشكل غير مضبب مبسط وغير دقيق ، أي وفق جداول متسلسلة ومتواصلة ، دون الأخذ بنظر الإعتبار الإختلافات الشاسعة في المعايير القومية أو السلالية بمعنى (عاصمة السلالة) ، في الوقت الذي دأبوا فيه على تقديم تاريخ الإقليم البابلي (شومر وأكد) وفقاً للتاريخ السلالي بحسب دول المدن أو العاصمة الإمبراطورية أكد (دور شروكين) حيناً وبابل في معظم الأحيان ، آخذين بنظر الإعتبار الإنحدار الأبوي أو المديني للسلالة ، وهو الإسلوب الذي أعتمد من قبل الكتبة القدماء منذ أثبات (الملوكية) الشهير ، وهذا ما أوقع الكثيرين في (وهم) أن إقليم الشمال كان وحدة سلالية متماسكة وبأن السومريين والشوباريين الآسيويين والعموريين الكلدان الذين حكموا الإقليم علاوة على العديد من الغزاة الأجانب كانوا مجموعة عرقية واحدة !!

في المقابل أشاع نفس الكتاب التصور المغلوط حول الإقليم البابلي الذي قسموه إلى شومري وأكدي وبابلي ، مع أنه كان وحدة متماسكة حضارياً وتاريخياً بدلالة أن تاريخ الإقليم البابلي يبدأ بسلالة ترجع للكلدان الأوائل (أريدو) قبل الطوفان ، وتتوسطه سلالة أخرى ترجع للكلدان الأوائل (كيش) بعد الطوفان ، وينتهي بسلالة ترجع للكلدان البابليين (السلالة الكلدية / الكلدانية الإمبراطورية) .

ومن أجل وضع النقاط على الحروف وتصويب الإسلوب القديم الذي أتبعه الباحثون وأشاع الإرتباك والفوضى في عقول غير المختصين ، فإنني أدرج هنا التاريخ السلالي لإقليم الشمال الرافدي وفقاً لذات السياقات المتبعة في الإقليم البابلي ، إذ ليس من المنطقي إستخدام معايير مختلفة لتقديم حالات متشابهة ، وإليكم التاريخ السلالي لإقليم الشمال الرافدي :

I- العهد الأجنبي / سلالة شوبارو أو الآشوريون الأوائل -Shubaru / Proto Assyrians,-Asians-

١- توديا -Tudiya- عقد محالفة مع إبريوم حاكم أبلا في حدود ٢٢٥٠ أو ٢٢٠٠ ق.م
٢- أدامو -Adamu-
٣- ينكي -Yanki-
٤- كتلامو -Kitlamu-
٥- هرهارو -Harharu-
٦- مندارو -Mandaru-
٧- إمشو -Imshu-
٨- هرشو -Harshu-
٩- ديدانو -Didanu-
١٠- هانو -Hanu-

١١- زوابو -Zuabu-
١٢- نوابو -Nuabu-
١٣- أبازو -Abazu-
١٤- بيلو -Belu-
١٥- أزراهو -Azarah-
١٦- أوشبيا -Ushpia- أول من بنى معبد للإله السوباري آ-أوسار (آشور) على أساس معبد سومري مخصص للإلهة إنانا / عشتار
١٧- أبيا شال -Apiashal-
هؤلاء الشيوخ الأوائل السبعة عشر عاشوا في الخيام ومارسوا منها سلطتهم
١٨- هالي -Hale-
١٩- سامانو -Samanu-
٢٠- هايانو -Hayanu-
٢١- إيللومير -Illumer-
٢٢- ياكميسي -Yakmesi-
٢٣- ياكميني -Yakmeni-
٢٤- يزكوريل -Yazkurel-
٢٥- إيلكابكابي -Ilakabkaba-
٢٦- أمينو -Aminu-
هؤلاء الشيوخ التسعة يعدونٍ آباء الحكام الشوباريين ، إذ مارسوا سلطتهم كحكام من مبان بسيطة شيدت بالحجارة بدلاً من الخيام .
٢٧- سوليلي -Sulili-الحكام من التسلسل ٢٧-٣٢ يعتبرون وفق بعض الآراء سلالة منفصلة لا ترتبط بصلة قرابة للحكام التسعة الذين سبقوهم وإنما يرجعون للحكام الذين مارسوا سلطتهم من الخيام
٢٨- كيكيا -Kikkia- باني سور مدينة آشور ، أي حول ذلك المستوطن الريفي الزراعي إلى مدينة محصنة .
٢٩- آكيا -Akia- حكم بحدود ١٩٨٠ / ٢٠٠٠ ق.م
٣٠- بوزر آشور -Puzur-Ashur I- حكم بحدود ١٩٦٠ ق.م
٣١- شاليم آخوم -Shalim-Akhum-
٣٢- إيلوش أوما -Ilush-Umma-
٣٣- إيريشوم -Eri-Shum I- السيطرة الكيشية الأكدية -Kishian & Akkadian- !
٣٤- إيكونوم -Ikunum-
٣٥- شاروكين / سرجون الأول -Sharru-kin-
٣٦- بوزر آشور الثاني -Puzur Ashur II-
٣٧- نارام سين -Naram-Sin- أصله من سلالة إشنونا
٣٨- إيريشوم الثاني -Erishum II- في حدود ١٨٢٠ ق.م .
يختلف ترتيب حكام مدينة آشور بين جدول -Assur List - وجدول -Khors. List-

وجدول -SDAS List- ، كما تختلف هذه الجداول التي تعاني من تشوه بعض الأسماء في ترتيبها عن ترجمة -Grayson's translation- ، ومما يؤكد عدم دقة تسلسل هؤلاء الحكام أن تسلسل كل من سرجون إمبراطور أكد ونرام سين ملك إشنونا يتداخل أحياناً مع ملوك حكموا في آشور في أوقات متزامنة كما هو الحال مع نرام سين أو يأتي بعد حكام محليون حكموا بعد إنقضاء فترة حكم سرجون بأكثر من مائة عام .

II- العهد الوطني الأول / سلالة شمشي أدد الأول أو الآشوريون القدماء -Old Assyrian Period / Prpto-Kaldean's descendants, Babylonians- تتسم هذه السلالة التي تتألف من ملكين بكونها آشورية بالأسم (نسبة للإقليم) وكلدانية بالجذور (تتحدر عن الكلدان الأوائل) .

-١ شمشي أدد الأول ١٨١٣-١٧٨١ ق.م -Shamshi-Adad I- تسميه المصادر الرافدية الشمالية أبن كاردونياش -Karduniash- أي أبن بابل ، لأن الشوباريين والقبائل الهندوأوربية المنتشرة على الحدود الشمالية لوادي الرافدين كانت تطلق على بابل أسم كاردونياش ، الذي شاع إستخدامه بشكل كبير أبان العهد الكشي فوصل إلى مصر التي تبنته كتسمية للدولة البابلية / عموم وادي الرافدين (راجع مدونات العمايرة) ، حكم شمشي أدد ويقرأ أيضاً شمشي أدو -Shamshi-Addu I- أول الأمر في مدينة آشور -Assur- لذلك تسمت دولته بالآشورية ، ثم أنتقل بإدارته إلى إيكالات تخلصاً من جموع الشوباريين الذين كانوا يطبعون المدينة بطابعهم الأجنبي البعيد عن تقاليده البابلية ، فحكم من إيكالات -Ekallate- لمدة ثلاث سنوات ثم أنتقل إلى مستوطن آخر أشبه بالمدينة الريفية (نينوى) -Ninevah- فحولها إلى مدينة منيعة وجعلها عاصمة لمملكته .

-٢ إشمي دكان -Ishme-Dagan- خلف أباه شمشي أدد ، حكم للفترة ١٧٨٠-١٧٤١ ق.م ، كتب إلى حمورابي موضحاً رغبته لضم إقليم آشور للإمبراطورية البابلية ، في عهده عادت آشور إلى حكم السلطة المركزية في بابل .

* في حدود ١٧٥٠ ق.م أي بعد وفاة حمورابي ، قام الخوريون وهم من الشعوب الآسيوية -Asianic- بالتسلل من موطنهم "بين جبال طوروس بالقرب من كركميش (جرابلس) حتى بحيرة وان" إلى شمال الرافدين وأسسو مستوطناً صغيراً في كركوك كانت عاصمته نوزي (يورغان تبه) وهيّ ذاتها مدينة كاسر -Gasur- القديمة ، وقد تمكن الخوريون من الهيمنة على معظم شمال الرافدين (إقليم شوبارو) الذي بدأ الوضع الحياتي فيه ينحدر خلالها من سيء إلى أسوأ ، ومع ذلك فقد حكم في الإقليم بعد أشمي دكان مجموعة من الحكام المحليين الضعفاء التابعين للسلطة المركزية في بابل حيناً وحيناً آخر كحكام تابعين للخوريين وهم :

آشور دوكل -Assur-dugul- وآشور أبلا أيدي -Assur-apla-idi- وناصر سين -Nasir-Sin- وسين نامر -Sin-namir- وأبقي عشتار -Ibqi-Ishtar- وأدد صلالو -Adad-salulu- وأداسي -Adasi- الذي يعتقد أنه أسس سلالة خاصة به ، خلفه كل من بيلو باني -Belu-Bani- ولبايا -Libaya- وشرما أدد الأول -Shar ma adad I- وبازيا -Bazaya- وأبطار سين -Iptar sin- وللايا -Lulaya- وشرما أدد الثاني -Shar ma-

وإيرشيم الثالث -Erishum III- وشمشي أدد الثاني -Shamshi Adad II- adad II - وأشمي دكان الثاني -Ishme Dagan II - وشمشي أدد الثالث -Shamshi Adad III- - وآشور نيراري الأول -Ashur Nirari I- . بعدئذ خضع الإقليم للدولة الميتانية .

III- سلالة آشور الوطنية الثانية في مدينة آشور / بوزر آشور الثالث -Puzur Ashur III- ، حكم بحدود ١٥٢٠ واصل إستخدام اللغة البابلية والقلم البابلي وحاول إعادة هيمنة الرافديين على الشمال الرافدي ، ولكن في عام ١٥٧٠ ق.م سيطر الكشيون على بابل مؤسسين السلالة الكشية ، وتمكن كاشتيلياشو -Kashtiliashu- في حدود ١٤٩٠ ق.م من إعادة سيطرة بابل على شمال الرافدين لكن الحثيين تمكنوا من إحتواء الإقليم ثانية .

* في أواخر عهد الملك الكشي بورنا بورياش -Burna Burish I- أي بحدود ١٥٠٠ ق.م حاول الخوريون / الميتانيون (أسلاف الأرمن) إحتواء شمال الرافدين ، وفي أواخر عهد كاشتيلياشو رزح الإقليم تحت سيطرة الميتانيين -Mitanni- لغاية ١٤٠٠ ق.م ، حيث أصبح الإقليم جزءاً من الإمبراطورية الخورية -Hurrian- لما يقرب من قرن ونصف القرن ، وكانت عاصمة حكم دولتهم الرئيسة واشك كاني -Washuk kanni- أما عاصمتهم الأخرى فكانت مدينة خانيكلابات -Khanigalbat- على نهر الباليخ ، وقد حكم في مدينة آشور حكام محليون تابعون للخوريين بدرجة أمير وهم :
إنليل ناصر -Enlil Nasir- ونور إيلي -Nur ili - وآشور شدوني -Ashur Shaduni - وآشور رابي -Ashur rabi - وآشور نادن آخي الأول -Ashur Nadin akhe I - وإنليل ناصر الثاني -Enlil Nasir II - الذي بدأ الإقليم فيه يتمتع بشيء من النفوذ ١٤٣٠-١٤٢٥ ق.م وأيضاً في عهد خليفته آشور نيراري الثاني -Assur Nirari II- الفترة ١٤٢٤-١٤١٨ ق.م .

IV- سلالة آشور الوطنية الثالثة في مدينة آشور / آشور بيل نشيشو Assur Bel Nisheshu- ، خلص مدينة آشور من نير الميتانيين / الخوريين وحكم مساحة ضيقة من الإقليم للفترة ١٤١٧-١٤٠٩ ق.م ، بعد وفاته دخل الإقليم مرحلة جديدة من الضياع ، حكم خلالها عدد من الحكام الضعفاء وهم :
آشور ريم نشيشو -Assur Rim Nisheshu- وآشور نادن آخي الثاني -Assur Nadin akhe II - وأريبا أدد الأول -Eriba-Adad I-

* بعد عقدين من الفراغ السياسي أصبح الإقليم خاضعاً لسلطة الفرعون أمينحوتب الثالث -Amenhotep III- ويسمى أيضاً أمينوفس الثالث -Amenophis III- الذي كانت سلطته تشمل كل سوريا القديمة بحدود ١٣٨٦-١٣٤٩ ق.م ، ثم مالبث العاهل الحثي شوبيلو ليوما ١٣٨٠-١٣٤٠ -Shubilu-Leomma- أن أنتزع آشور وضمها للدولة الحثية قبل أن يستردها منه آشور أوبالط الأول .

V- السلالة الوطنية الرابعة / سلالة آشور الرابعة في مدينة آشور -Assur IV-
١- آشور أوبالط الأول -Ashur Uballit I- ، تميز هذا الملك الشجاع ١٣٦٣-١٣٢٨ ق.م وأبن أريبا أدد -Eriba-Adad- ، بثورته على الخوريين الذين أنتزعوا الإقليم من الحثيين وتمكن بمساعدة الحثيين من القضاء على دولتهم ، كما زوج أبنته للملك البابلي -Burna-Burish II- من أجل المصاهرة السياسية وبعد إغتيال بورنا بورياش الثاني ، عمل آشور أوبالط على تنصيب حفيده البابلي ملكاً على بابل.
٢- إنليل نيراري -Enlil-nirari- حكم للفترة ١٣٢٧-١٣١٨ ق.م
٣- أريك دين إيلي -Arik-den-ili- الفترة ١٣١٧-١٣٠٦ ق.م
٤- أدد نيراري الأول -Adad-Narari I - الفترة ١٣٠٥-١٢٧٤ ق.م

VI- السلالة الوطنية الخامسة / سلالة كلخو الأولى -Kalkhu I-
١- شلمنصر الأول -Shalmaneser I- فترة إزدهار ١٢٧٣-١٢٤٤ ق.م بنى عاصمة جديدة هيّ كلخو (نمرود) ، أضعف الحثيين -Hittite- وأحتل أورارتي -Urarti-
٢- توكلتي ننورتا الأول -Tukulti-Ninurta I- ملك قوي غزا بابل فكسره البابليون وأنتهى عهده ١٢٤٣-١٢٠٧ ق.م بإغتياله على يدي أبنه آشور نادن أبلي
٣- آشور نادن أبلي -Assur-nadin-apli- الفترة ١٢٠٧- ١٢٠٤ ؟ ، بداية عهد مظلم أستمر قرابة مائة عام
٤- آشور نيراري الثالث -Assur Nirari III- بحسب باقر ١٢٠٣-١١٩٨ ق.م
٥- إنليل كودوري أوصر -Enlil-Kudur-usur- بحسب باقر ١١٩٧-١١٩٣ ق.م
٦- ننورتا آبل إيكور -Ninurta-apil-ekur- بحسب باقر ١١٩٢-١١٨٠ ق.م
٧- آشور دان الأول -Ashur-Dan I- للفترة ١١٧٨-١١٣٣ ق.م ، عادت آشور في عهده للسلطة المركزية في بابل
٨- آشور ريش إيشي -Assur-resh-ishi I- للفترة ١١٣٢-١١١٥ ق.م حروب مع نبوخذ نصر الأول وإنتزاع بعض أراضي الإقليم من بابل ، بداية إنتعاش دولة آشور
٩- تجلاثبلاصر الأول -Tiglath-Pileser I- خلف أباه آشور ريش إيشي ووسع مساحة دولة آشور على حساب الأخلامو في سوريا القديمة ، تم إغتياله من قبل أشارد آبل إيكور الذي حكم بحسب باقر للفترة ١٠٧٦-١٠٧٥ ق.م ، بعد إغتيال تجلاثبلازر دخل الإقليم فترة مظلمة جديدة أستمرت زهاء ١٦٦ عاماً حكم خلالها كل من :
١٠- أشارد آبل إيكور -Ashared-apal-ekur- حكم بحسب باقر للفترة ١٠٧٦-١٠٧٥ ق.م
١١- آشور بيل كالا -Assur-bel-kala- الفترة ١٠٧٣-١٠٥٦ ق.م
١٢- شمشي أدد الرابع -Shamsi-Adad IV- الفترة ١٠٥٣-١٠٥٠ ق.م ، حكم بعده ستة من أحفاده ، تزايد في عهده سطوة القبائل الآرامية
١٣- آشور ناصر بال الأول -Assur-nasir-pal I- بحسب باقر ١٠٥٠-١٠٣٢ ق.م
١٤- شيلمنصر الثاني -Shalmaneser II- بحسب باقر ١٠٣١-١٠٢٠ ق.م
١٥- آشور نيراري الرابع -Assur narari IV- بحسب باقر ١٠١٩-١٠١٤ ق.م

١٦- آشور رابي الثاني -Assur-rabi II- بحسب باقر ١٠١٣-٩٧٣ ق.م
١٧- آشور ريش إيشي الثاني -Assur-resh-ishi II- بحسب باقر ٩٧٢-٩٦٨ ق.م
١٨- تجلاثبلاصر الثاني -Tiglath-Pileser II- بحسب باقر ٩٦٧-٩٣٥ ق.م
١٩- آشور دان الثاني -Assur Dan II- بحسب باقر ٩٣٤-٩١٢ ق.م

VI- السلالة الوطنية السادسة / سلالة كلخو الثانية -Kalkhu I- الإمبراطورية الأولى
١- أدد نيراري الثاني -Adad-nerari II- الفترة ٩١١-٨٩١ ق.م ، بداية إزدهار إقليم آشور وتواصل عصر الملوك الأقوياء
٢- توكلتي ننورتا الثاني -Tukulti-Ninurta II- جدد أسوار مدينة آشور
٣- آشور ناصر بال الثاني -Assur-nasir-pal II- الفترة ٨٨٣-٨٥٩ ق.م ، أعاد إعمار كلخو وزينها بالثيران المجنحة / لاماسو
٤- شلمنصر الثالث -Shalmaneser III- أنتهى عصره ٨٥٨-٨٢٤ ق.م بثورة الفلاحين قادها أحد أبناءه (آشور دانن أبلي) بمؤازرة ٢٧ مدينة بينها آشور ونينوى وأربيل وأرابخا (كركوك) فكلف الملك أبنه شمشي أدد الخامس للقضاء على هذه الثورة ، وبرغم تمكن شمشي أدد الخامس من القضاء عليها بعد أربع سنوات من نشوبها إلا أن إقليم آشور دخل اثرها دوراً جديداً من الإنكماش أستمر لما يقرب من ثمانين عاماً .
٥- شمشي أدد الخامس -Shamshi-Adad V- زوج شمورآمات / سمير آميس -Shammurammat or Semiramis- أتصف حكمه ٨٢٣-٨١١ ق.م بعدم إستقرار البلاد
٦- أدد نيراري الثالث -Adad-nerari III- حكمت أمه وصية عليه لمدة خمس سنوات قبل إستلامه للحكم ٨١٠-٧٨٣ ق.م ، إنصهار إقليم آشور بالحضارة البابلية
٧- شلمنصر الرابع -Shalmaneser IV- أبن أدد نيراري الثالث ٧٨٢-٧٣٣ ق.م بدأت في عهد ملامح تفكك الدولة الآشورية بتأثير من بابل
٨- آشور دان الثالث -Assur-dan III - أتسم عهده ٧٧٢-٧٥٥ ق.م بتحرش الدويلات الآرامية بالإقليم ومحاولة إحتوائه ، وباء الطاعون يفتك بإقليم آشور
٩- آشور نيراري الخامس -Assur-nerari V- حدثت في عهده ٧٥٤-٧٤٥ ق.م ثورة أدت إلى القضاء عليه في قصره في كلخو
١٠- تجلاثبلاصر الثالث -Tiglath-Pileser III- أخو آشور نيراري الخامس ٧٤٤-٧٢٧ ق.م ، يعتبر عهده بداية نهضة جديدة للإقليم ، حكم في بابل لمدة عامين بأسم بولو -Pulu-
١١- شلمنصر الخامس -Shalmaneser V- دام حكمه مدة خمس سنوات تقريباً ٧٢٦-٧٢٢ ق.م وقد حكم في بابل بأسم أولولو -Ululaiu-

VII- السلالة الوطنية السابعة / السلالة السرجونية -Sargonic Dynasty-
لم تستقر هذه السلالة في مدينة واحدة بل أنتقل ملوكها بين مدينة وأخرى من مدن إقليم الشمال (شوبارو) ، وكان بداية عهد مؤسس هذه السلالة في مدينة آشور -Assur V- ومالبث أن

بنى له عاصمة أسماها دور شروكين / الثانية -Dur Sharru Kin II- وأسمها الحديث خورسباد -Khorsabad- ، وكانت نهاية هذه السلالة الإمبراطورية في مدينة نينوى -Ninevah- .

لم يكتف مؤسس هذه السلالة المجهول الأسم بإنتحال أسم العاهل البابلي (ملك كيش) ومؤسس إمبراطورية أكد الملك الكلدي شاروكين -Sharru Kin- بل أنه أطلق على مدينته الجديدة أسم دور شروكين وهو ذات الأسم الذي كان يطلقه سرجون الأكدي على المنطقة الإدارية لعاصمة ملكه (أكد) وهو ما بينته نتائج التنقيبات التي أجريت مؤخراً ، ولعدم إستقرار ملوك هذه السلالة في مدينة محددة فقد إعتمدت التسمية الشائعة السلالة السرجونية إسماً للمرحلة الإمبراطورية الثانية والتي قدمت العديد من الملوك الأقوياء .

١- سرجون الثاني -Sargon II- مؤسس السلالة ٧٢١-٧٠٥ ق.م أعتمد في عام ٧١١ ق.م اللغة الآرامية الرافدية لغة رسمية للدولة ، بنى مدينة دور شروكين

٢- سينحاريب / سين آخي إريبا -Sennacherib / Sin-Akhe-Eriba- أبن سرجون الثاني ٧٠٤-٦٨١ ق.م دمر بابل ، تزوج الأميرة الكلدانية زوكوتو -Zukutu- الذي ترجمته نقية وهيّ أم أسرحدون ، أنتقل إلى نينوى وقام بتعميرها وإتخاذها عاصمة للدولة الآشورية ، وبقيت كذلك حتى إنهيار الدولة الآشورية ، إغتاله ولداه أدرملك وأخيه شر أوصر بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ٦٨١ ق.م

٣- أسرحدون -Essarhedon- أعاد بناء بابل وتعظيم آلهتها وتزوج من أميرة كلدانية ٦٨٠-٦٦٩ ق.م

٤- آشور بانيبال -Assurbanipal- وأسمه الأصلي هو آشور أبلا إيدينا وهيّ صيغة لغوية بابلية تعني (آشور / الإله يمنح الأبن الوريث) ، حكم هذا الملك في الفترة ٦٦٨-٦٢٧ ق.م ، وقد بينت الحوليات بأنه قد قام بحرق بابل ونهب مكتباتها وتخريبها بشكل مروع ، وذلك بعد أربعين عاماً من تخريبها من قبل جده سنحاريب

٥- آشور آطل إيلاني -Assur-etillu-ilani- الفترة ٦٢٦-٦٢٣ ق.م أبن آشوربانيبال

٦- سين شمو ليشير -Sin shumu lishir- فترة بضعة أشهر من عام ٦٢٣ ق.م ، مغتصب للعرش

٧- سين شر أشكن -Sin shar ishkun- أخو آشور آطل إيلاني ، نهاية الدولة الآشورية ٦٢٣-٦١٢ ق.م ، سقوط نينوى -Fall of Ninevah- ٦١٢-

VII- سلالة المنفى / سلالة حران -Harran Dynasty-

١- آشور أوبالط الثاني -Assur Uballit II- قائد عسكري كبير ٦١١-٦٠٩ ق.م ، أسس دويلة منفى في مدينة حران تشبه إلى حد ما حكم الأمويين في الأندلس

الخلاصة .. إشكالية التسمية المزدوجة كلدو آشور :

بعدما قمنا بشرح خلفيات التسميتين الكلدانية والآشورية وأثبتنا بأن التسمية الكلدانية هي تسمية قومية لأقدم شعب رافدي أنتشرت مجاميعه على طول رقعة أمتدت في بدايتها أي منذ ٥٣٠٠ ق.م من الأحواز شرقاً حتى منطقة دير الزور غرباً ومن قطرايا (قطر) جنوباً حتى الحافات الجنوبية لمرتفعات حمرين شمالاً ، ثم مالبث أن أنتشر هذا الشعب الرافدي العريق بمرور السنين تحت تسميات جغرافية لاحقة توزعت على طول وادي الرافدين القديم وعرضه ، حتى أمتد شمالاً شرقاً إلى بحيرة أورميا في إيران الحالية وشمالاً غرباً حتى بحيرة وان ومدينة أورفة .

أما التسمية الآشورية فقد أستمدت من إله وثني آسيوي أخذت عنه مدينة آشور أسمها الذي عرفت به ، بمعنى أنه ليس أسماً قومياً بدليل أنه أطلق على السومريين الشماليين والشوباريين الآسيويين الذين عاشوا في تلك المدينة القديمة ، ثم أطلق على الأكديين الوسط جنوبيين الذين أستوطنوا آشور المدينة والإقليم ومن بعدهم على العموريين البابليين الوسط جنوبيين ، ثم على الحوريين والحيثيين الذين سكنوا ذلك الإقليم ، وأخيراً على الكلدان المهجرين من وسط وجنوب الرافدين ولو كانت تسمية آشوريين تسمية قومية لما شملت شعوباً مختلفة في العرق واللغة .

أن قناعة من يتسمون بالآشوريين اليوم وهم أصلاً من الكلدان الأقحاح لا تختلف جملة وتفصيلاً عن من يتسمون اليوم بالعرب ويدافعون عن هويتهم العربية التي تمتد من العراق وحتى بلاد المغرب ، مع أن نظرة متمحصة على هؤلاء المستعربة ستوضح لنا وبكل بساطة بأن سكان المغرب العربي ماهم في الواقع إلا تشكيلات سكانية من البربر والأمازيغ والطوارق والليبيين القدماء أما مصر فهي بأغلبية قبطية والسودان بأغلبية نوبية زنجية ، أما الشرق الأوسط القديم فهم في سوريا الكبرى خليط من أحفاد الكلدان الأوائل الذين سكنوا الساحل السوري وأطلق عليهم تسمية (الكنعانيون) إضافة إلى مجاميع العبرانيين والفينقيين والآراميين الغربيين والتي تنتمي بدورها بشكل أو بآخر إلى المزيج السكاني الذي تألف من إختلاط أحفاد الكلدان الأوائل بشعوب سوريا الكبرى القديمة ، علاوة على الحيثيين والمصريين القدماء والأغريق ، أما وادي الرافدين القديم بحدوده التاريخية الطبيعية القديمة فهو خليط من أغلبية سكانية تتألف من أحفاد الكلدان الأوائل في الإقليم البابلي ومن أقلية من السومريين النازحين من شمال الرافدين .

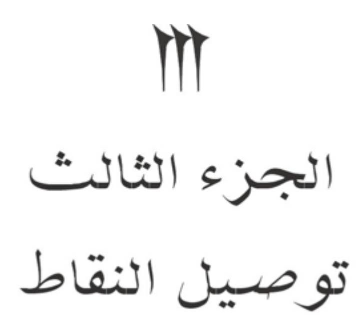
أما شمال الرافدين فكان يتألف من السومريين القدماء والشوباريين والميتانيين أسلاف الأرمن الحاليين في العهود القديمة جداً ، أما في فترة ما بعد الميلاد فكان يتألف من الكلدان بنسبة ٩٠٪ وأيضاً من قبائل الحجازيين ومن التركمان والكورد الأرمن والأتراك والفرس والهنود الذين وفدوا إلى العراق بين مهاجر وغاز منذ القرن الثالث الميلادي ، والطريف أن هنالك في البادية العراقية قبيلة مستعربة من الغجر تدعى (الصليبة) وهم من البدو المسلمين الذين يتصفون بملامح الأوربيين في أدق ملامحهم يرتزقون من الرقص والغناء ، ويطلق عليهم في العراق باللهجةالعامية تسمية (الكيولية) التي تعني تماماً معنى الكلمة الأوربية -Gypsies- أي الغجر ، وقد استضافني مرة أحد شيوخهم أثناء عملي في منطقة أور الكلدان

فسألته قائلاً : يا عم لماذا تتسمون بالصليبة وهل أنتم حقاً من الأعراب ، ذلك أن ملامحكم لا توحي بذلك ؟
فأجابني الشيخ مبتسماً : كلا نحن أصلاً لسنا من العرب مع أننا ندعي ذلك من أجل متطلبات الحياة ، أما أصلنا فكما ذكر جدي (رحمه أﷲ) عندما كنت صغيراً هو أننا من بقايا جيوش الصليبة (الصليبيون) التي أستوطنت البادية فاختلطت بالسكان المحليين أو من الأسرى الذين وقعوا بأيدي جيوش المسلمين ولم تدفع دياتهم (الفدية) فلم يرجعوا لأوربا ، فأسلموا بالأسم مجاراة للسكان في المنطقة وأختلطوا بالبدو لأن سكان المدن لم يقبلوهم !
والحق تشبه قناعة الناطقين بالعربية ، أي عرب ما يسمى اليوم بالعالم العربي قناعة المستعربة الذين يتسمون اليوم في إسرائيل بالفلسطينيين ، ولو عرفوا من هم الفلسطينيون الأصليون لما أدعوا بنسبهم لهم ، ذلك أن الفلسطينيين القدماء أي قبائل البالسيت -Palsit- وبالبابلية -Palastu- هم من القبائل الإيجية الهندوأوربية الأجنبية ولاترابطهم بالمستعربة من الآراميين السوريين وشيجة دم أو لغة ، ولكنها قناعات ترسخت بفعل الصهر السياسي للمنطقة ولاسيما بعد التوسعات الإسلامية في القرن السابع للميلاد ، ثم ترسخت عند العامة منذ القرن الثالث عشر للميلاد .
وهذا هو تماماً ما حدث لكلدان الجبال الذين أبدل المستعمرون عام ١٨٨٦م تسميتهم وفق مخطط مدروس من التسمية النسطورية المذهبية إلى التسمية المستحدثة الآشورية لتمرير أهدافهم التوسعية على حسابهم ، ويعترف بذلك المحامي الدكتور جميل ميخا شعيوكا من حزب زوعا عندما يقول في كتابه الموسوم (أقليات شمال العراق بين القانون والسياسة) ما مفاده : قبل مائة وثلاثين عاماً أبدل المستعمرون الإنكليز أسم النساطرة إلى الآثوريين .
وبديهي أن الإنكليز قد تخلوا عن الآثوريين (طائفة النساطرة الوافدين من إيران وتركيا) بعدما أحترقت أوراقهم وأصبحوا مكروهين من العرب والكورد ، ولهذا يقول المؤرخ عبد الرزاق الحسني في كتابه الموسوم (العراق قديماً وحديثاً) : المسيحيون في العراق هم قسمان ، الأول المتوطنون (الكلدان السريان) من بقايا سكان العراق القدماء من الآراميين (بمعنى المنحدرون عن الكلدان الأوائل) ويصفهم المؤرخ الحسني بأنهم أي (المستوطنون القدماء) هادئون وادعون متفاهمون مع الأغلبية المسلمة مخلصون للحكم الوطني وميالون للثقافة والتطور ، أما المهاجرون بمعنى الوافدون بمعية الإنكليز (الآثوريون / كلدان الجبال) فمعظمهم مصدر قلق للحكومة على الدوام .
وما يهمنا هنا هو أن قناعة النساطرة المنحدرون عن الكلدان القدماء بكونهم من الآشوريين الأجانب (السوباريين الآسيويين) ، هيّ قناعة كما أعترف بها صراحة د. جميل شعيوكا تم فبركتها / إبتكارها كنتيجة للأطماع الإستعمارية الأجنبية قبل ما يزيد على القرن ، لكن الأجيال الجديدة التي ولدت فيما بعد وهيّ تعتقد بأصلها الآشوري ، قد تولدت لديها قناعات ترسخت بفعل مرور الزمن وعامل حياة العزلة الأولية التي عاشها الآثوريون في العراق والتي غلب عليها طابع التواجد قرب الثكنات العسكرية الإنكليزية وشركات النفط الأجنبية .
إلا أن واقع الأمر كما بينا ينقض قناعاتهم الوهمية تلك التي لا تختلف عن وهم الأغلبية من مستعربة العراق وبخاصة الشيعة الجعفرية الذين يرجعون في أغلبهم لكلدان وسط وجنوب العراق الذين طبق عليهم الغزاة الحجازيون نظام الموالاة (الموالي) وجلهم من الكلدان الذين

قتل آباؤهم بعد غزو الحجازيين للعراق القديم أو من البالغين الذين خيروا بين الدخول في الإسلام وبين دفع الجزية أو القتل فدخلوا الإسلام لعدم تمكنهم من دفع الجزية متبعين عشائرياً قبيلة القائد المسلم المشرف على أمورهم ، ثم تحول أبناؤهم وأحفادهم بعد جيلين أو ثلاثة من موالي بني هاشم وتميم وربيعة (على سبيل المثال) إلى عرب مسلمين أقحاح هاشميين وتميميين وربيعيين متخلين أولاً عن ديانتهم المسيحية وبالتالي عن هويتهم القومية الكلدانية وتاريخ أجدادهم الرافدي العريق .
وبديهي أيضاً أن هنالك ضوابط رئيسة تحدد التميز القومي لأية أمة ويمكن تحديد هذه العناصر الرئيسة بثلاثة عوامل وهيّ : (اللغة الأم -Mothertongue- / الوطن الأم -Homeland- / وأخيراً الإنحدار الأبوي أي العامل الرسي -Eponym or Race- وهو عامل لا يعول عليه كثيراً لصعوبة تحقيقه) ، فهل يتوفر هذا في من يتسمون اليوم بالآشوريين ؟

١- معلوم أن اللغة الأم التي أستخدمها مؤسسو دولة آشور لم تكن لغة محلية شمالية وإنما كانت لغتهم الأصلية هيّ اللغة الأكدية الوسطجنوبية (لغة الإقليم البابلي) ثم أستبدلوها بالآرامية الرافدية وهيّ لغة تأسست خارج إقليم آشور ، وهذا العامل اللغوي الوسطجنوبي (البابلي) يعرفه أي مبتديء في حقل التاريخ .
٢- أن الوطن الأصلي لمؤسسي دولة آشور هو بابل وفقاً للمدونات المادية التاريخية والكتابية (الكتاب المقدس) ، وقد تناولت هذا في المواضيع السابقة بشكلٍ تفصيلي .
٣- أما الإنحدار الرسي لمؤسسي دولة آشور فإنه يرجع وفقاً للكتاب المقدس إلى آثور / نمرود أول ملك على بابل بحسب الكتاب المقدس ، ويرجعون إلى شمشي أدد الأول البابلي بحسب المدونات التاريخية التي تثبتها جداول الدولة الآشورية وحولياتها .
مما يعني أن جذور مؤسسي دولة آشور اللغوية الأم والوطن الأم والإنحدار الرسي / العرقي إنما ترجع للإقليم البابلي مهد الكلدان الأوائل ٥٣٠٠ ق.م ، وليس إلى إقليم آشور السومري الأصل الشوباري التكوين ، وهو ما يثبت (وهم) كلدان الجبال الحاليين الذين يتسمون بالآثوريين ، وذلك إن لم يكن أسلافهم مؤسسو دولة آشور القدماء أنفسهم قومية متميزة عن أسلافهم القدماء (الكلدان الأوائل) سكان الإقليم البابلي الأصليون ، فكيف يمكن أن يكون أحفادهم (الآثوريون) قومية متميزة اليوم ؟
وبالتالي ، ما هو مدى صحة أو خطأ التسمية التوفيقية السياسية المركبة (كلدوآشوريون) التي أعتمدها البعض مؤخراً بعد خلع نظام صدام في إجتماعٍ لم يستفت فيه الناطقون بالسورث ؟
الحق أن الإجابة على سؤال من هذا النوع يعتمد أساساً على زاوية نظر المتعامل معها ، ذلك أن الإثباتات المادية التي أوردتها في دراستي هذه تؤكد خطأ وعدم واقعية هذه التسمية ، لأنها تتجنى على الأدلة التاريخية مثلما تتعارض والمعايير التصنيفية للمصطلحات ، إذ لا يجوز تصنيفياً وضع مفردة غزال مع مفردة بيت ، مثلما لا يجوز وضع مفردة منشار مع مفردة تفاحة في خانة تصنيفية واحدة ، لأن كل مفردة تنتمي لصنف معين من الأصناف ، ذلك أن كلمة غزال على سبيل المثال تعني كائن حي من اللبائن من صنف الضلفيات بينما تعني كلمة بيت جماد يتألف في الغالب الأعم من الطابوق أو من أية مادة إنشائية أخرى ، ويعني هذا أنه ليس هنالك أية رابطة تصنيفية تجمعهما .

وبذات السياق العلمي لا يمكن أن نجمع بين مفردتين تعود أولاهما (الكلدان) لشعب عرقي له لغته الخاصة ووطنه الأم وإنتماؤه العرقي الواضح (كما بينا بالدليل العلمي والإثباتات المادية التاريخية) مع مفردة (آشور) التي تعني صنماً أسطورياً أو في أحسن الأحوال دولة مدينة أو إقليماً محدداً زماناً ومكاناً بمنطقة جغرافية لا تتجاوز عدد مدنها أصابع اليد الواحدة ، هي آشور ونينوى كلخو وخورسباد بتركيبتها السكانية المتنوعة عرقياً ولغوياً .
علماً أنه بأستثناء الفترة السومرية القديمة لم يستخدم رسمياً في ذلك الإقليم إلا اللغة الأكدية أي لغة (الرافديين الوسطجنوبيين القدامى الكلدان الأوائل) ومن ثم أستخدمت اللغة الآرامية الرافدية (كلدانية الهضبة الغربية) وهي كما أثبتنا لغة خليطة نشأت من تمازج الرافدية الكلدية بالكنعانية الغربية في أواسط القرن الخامس عشر ق.م ، مثلما تستخدم اليوم رسمياً اللغة العربية التي تبلورت في أواخر القرن الأول للميلاد أو في منتصف القرن الثاني للميلاد كما يذهب إلى ذلك بعض اللغويين والتي نشأت من إختلاط الكلدانية التي عرفتها مدن شمال غرب الجزيرة مثل تيمو (تيماء) ويثريبو (يثرب) باللغة الحبشية التي هيمنت على اليمن منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد .
وإذن إن كان الأمر يتطلب منا حمل تسمية موحدة واقعية تجمع بين الناطقين بالسورث ، فإن المنطق يتطلب منا أن : نتمسك بالتسمية الأصل أي الكلدانية العريقة لأنها بكل بساطة تعني عرقياً ولغوياً أقدم شعب رافدي ما زال أحفادهم يتناقلون تراثهم العريق الحي حتى يومنا هذا .
أما إن ألح الأخوة الذين يطالبون بإقحام الآشورية على ما فيها من إعجام ومغالطة لكل الإثباتات العلمية التي أوردناها ، فإنني ومن منطق العلم والتاريخ والحرص على مستقبل الأمة الكلدانية ، لا يسعني إلا أن أرفض هذا جملة وتفصيلاً ، لما في مثل هذه التوجه من دعوة مستقبلية مبطنة للشقاق والإقتتال بين أبناء الأمة الواحدة .
أما الخيار الآخر (المؤقت) فهو إستخدام تسمية جامعة كالرافديين الأوائل -Native-Mesopotamians- ، مع أننا جميعاً عندما نتدارس هذا الموضوع بوعي مشفوع بعقول متنورة وعيون وقلوب مفتوحة ، فإننا جميعاً (وبقناعة تامة) سنتوصل إلى إقرار التسمية القومية (كلدان) ونتفاخر بها ، لأنها الأكثر مصداقية من الناحيتين التاريخية والأكاديمية ، ولأن إليها يرجع جميع أحفاد العراقيين الأوائل بناة أريدو وكيش من الناطقين اليوم بالسورث ، والأهم من هذا وذاك لأن إليها يرجع النسب الأرضي للسيد المسيح .



الجزء الثالث

توصيل النقاط



كتابة صورية من طور أوروك الحديث بحدود ٣٢٠٠ ق.م / متحف الآرميتاج - روسيا

القسم الأول
إضاءات وإضافات لا بد منها

للإحاطة بشكل أكبر بجوانب أخرى تتعلق بإشكالية التسمية التي أبتكرت جراء إختلاط الأوراق القومية بالطائفية الدينية والوطنية ، ومن اجل توضيح صور أخرى قد تكون غائبة عن تصور المهتمين بهذه المسألة الشائكة التي زادتها تشابكاً وتعقيداً التطلعات السياسية والإهتمامات الزعامية الفئوية لبعض شرائح شعبنا ، فقد إرتأيت أن أتناول بالشرح والتحليل بعض النقاط الإضافية التي ستعمل بكل تأكيد على توضيح الصورة بشكل أفضل .

شرعية الملوكية في العراق القديم بين بابل وآشور

في الوقت الذي كانت فيه آشور معترفة كلياً بالثقافة والحضارة البابلية بمعنى الجوانب الحضارية لأقليم وسط وجنوب العراق ، وكانت اللغة البابلية والقلم البابلي يهيمنان على المؤسسات الإدارية للدولة والشارع على حد سواء منذ عهد شمشي أدد الأول ١٨١٣-١٧٨١ ق.م حتى عهد آشور دان الثاني ٩٣٥-٩١٢ ق.م -Assur Dan II- بل أن تأثير القلم البابلي أستمر حتى القرن السابع ق.م بحسب د. إيريكا سي. دي. هنتر -Erica C. D. Hunter PH.D.- وآن كوبيه -Annie Caubet- وباتريك بويسكر-Patrick Pouyssegur- ومايكل روف -Michael Roaf- وغيرهم ، وبالمقابل فإن وسط وجنوب العراق تجاوزا وبشكل تام الثقافة الشمالية (غير الناضجة) التي تطبعت ببصمات العديد من المحتلين الأجانب من شوباريين وحوريين وحيثيين وغيرهم ، ولهذا يقول نيكولاس بوستيكت -Nicholas Postgate- في كتابه الشهير (الأمبراطوريات الأولى) : لم تكن المشكلة سهلة (مع البابليين) فقد كانت بابل تمثل حضارة بلاد ما بين النهرين .. فأعترف الآشوريون بالثقافة البابلية وكبير الآلهة مردوخ ، إلا أن محاولة ملوك آشور في العهد الإمبراطوري لتسنم ملوكية بابل قد أنطوى على محاذير كثيرة ومنها طقس مسك يدي الإله مردوخ ، وقد أدى هذا التعكز الثقافي على الأخر بالأستاذ طه باقر لأن يقول في كتابه الموسوعي مقدمة في تاريخ الحضارات ص٥٢٩ : أن الثقافة الآشورية إلى جانب صلتها بالحضارة الأم السوبارية / البابلية أثرت وتأثرت بثقافات شعوب أخرى !

لذلك في الوقت الذي عبد فيه سكان أقليم الشمال الشوباري منذ تاريخهم القديم ألهة جنوب ووسط العراق السومرية الأكدية فإن البابليين رفضوا كلياً فكرة إدخال الإله آشور في طقوس العبادة البابلية أو حتى في تصويره على المسلات التي أنجزت في الأقليم البابلي وخير مثال على ذلك ، أنه لا تتوفر لدينا حتى إشارة واحدة إلى مشاركة الإله آشور في العيد السنوي لسكان وادي الرافدين (الأكيتو) ، الذي كان يحتفل به رسمياً في بابل من الأول حتى الحادي عشر من شهر نيسان (وهو أول شهور السنة الرافدية) فيما كان يحتفل بعيد الأكيتو في المدن الأخرى من وادي الرافدين بعد أنتهاء الأحتفالات المركزية في بابل ، وإلى هذه الحقيقة يشير

جورج روو قائلاً : كان يحتفى بمراسيم عيد السنة الجديدة في مدن أخرى خارج بابل في آشور ونينوى وأربيل وحران ودلبات وفي أوروك ولكن في تواريخ مختلفة (بمعنى لاحقة لأنه من غير الجائز الأحتفال بعيد رأس السنة قبل اليوم الأول من نيسان وهو موعد الأحتفال الرسمي الذي يجرى في بابل) ، وتتأكد لنا مسألة عدم إعتراف الأقليم البابلي بربوبية آشور لكونه إله أجنبي (شوباري) أن حمورابي لم يذكره في مسلته الشهيرة مع أنه شكر ٢٥ إلهاً من مختلف مدن العراق القديم ورغم إشارته لإصلاحاته المعمارية في مدينة آشور التي كانت وقتذاك جزءاً من الأمبراطورية البابلية .

وهنالك حقيقة أخرى أشد نصوعاً وهي أن أي ملك سواء كان سومرياً أم أكدياً أم بابلياً لم يكن بحاجة لمراسيم أخذ يد الإله آشور ليعترف به ملكاً شرعياً على البلاد ، لكن أي ملك آشوري لا يأخذ يد الإله مردوخ لا يعد ملكاً شرعياً لوادي الرافدين وإنما ملكاً محلياً على أقليم الشمال وحده حسب .

ولهذا عمد عدد من الملوك إلى أخذ يد الإله مردوخ في اليوم الخامس من عيد رأس السنة البابلية الأكيتو -Akitu- لكي يعترف بهم كملوك شرعيين للبلاد ، مما يؤكد أن شرعية البلاد كان مصدرها بابل لا آشور .

والحقيقة فقد تحرج عدد من ملوك دولة آشور من أخذ يد الإله مردوخ وهيّ العادة المتعارف عليها في إحتفالات الأكيتو لما في تلك العملية من تفاصيل تتعارض مع سلطتهم المدنية ، ومنها أن لا يحكم هذا الملك الشمالي بابل بأسمه الرسمي وإنما أن يتخذ له أسماً بديلاً ، ومع ذلك فقد مارس هذه العملية عدد من ملوك دولة آشور أشهرهم تكلاثبلاصر الثالث (...) وسرجون الثاني (بولو) وآشوربانيبال (كندلانو ؟) ، مما يؤكد أيضاً بأن بابل كانت هي مصدر السلطة الشرعية في البلاد حتى أثناء بعض فترات التسلط المؤقت لإقليم الشمال والذي كان تسلطاً شكلياً على بابل في معظم الأحيان .

وحول طقس مسك عدد من الملوك الآشوريين ليد الإله مردوخ في اليوم الخامس من إحتفالات أكيتو ، ننقل لكم صورته مستلة عن كتاب المؤرخ جورج روو (في باب المعبد كان على الملك (وهنا نعني ملك آشور الذي يريد أن يحكم على بابل) أن يتخلى عن أسمه الرسمي ثم يتخلى عن شارة الملوكية (الصولجان والحلقة والسيف) مسلماً أياها إلى كاهن القداديس الإحتفالية الأوريكالو -Urigallu- الذي يضعها على كرسي أمام تمثال الإله مردوخ ، ثم يقوم الكاهن البابلي بلطم الملك على خده (يصفعه) .. بعدئذ يمضي الكاهن وهو يجر الملك (الآشوري) من أذنيه ، ثم يركعه على الأرض أمام الإله مردوخ .. وهنا على الملك أن يعترف وهو راكعاً : لم أذنب يا سيد البلدان (بابل وآشور) ولم أغفل ربوبيتك ولم أخرب بابل ولم أسبب لها الهوان .. لم أنس مناسك معبد إيساكيلا كما لم أصفع بيدي خد أيٍ من عبادك ولم أهنهم ، لقد حرصت على بابل ولم أقوض جدرانها ، فيطمئنه الكاهن قائلاً : لا تخف سيستجيب الإله مردوخ لصلواتك .. سيعظم سلطانك ويعلي ملوكيتك وسيباركك الإله مردوخ إلى الابد ويحطم أعداءك ويوقع بمناوئيك .

ثم يعيد الكاهن للملك شاراته ويصفعه مرة أخرى ، وهنا على الكاهن أن يصفع الملك بقوة فإن سالت دموعه (فهذا معناه) أن الإله راض وإن لم تظهر الدموع (فتلك دلالة على) أن الإله مردوخ غاضب وأن العدو سينتفض ويسقط عرشه .

ورغم مهانة هذه الطقوس فقد مارسها عدد من ملوك دولة آشور من أجل كسب رضا الشارع البابلي ، الذي لم يستسلم مطلقاً لسلطة الدولة الآشورية على حد قول العالم الآثاري ورئيس متحف اللوفر أندريه بارو في الصفحة ١٨٣ من مجلده الضخم (بلاد آشور) ، وهو ما يؤكده المؤرخ ليو أوبنهايم قائلاً : كان (الكلدان) قوميين متطرفين ومناوئين على الدوام للدولة الآشورية .

والحقيقة أن مرد ذلك هو شعور البابليين بأن بابل وليس آشور هي المصدر الشرعي (الوحيد) في البلاد كلها ، لذلك لم نقرأ عن ملك سومري أكدي أو بابلي أخذ في يوم من الأيام يد الإله آشور ليؤكد شرعية ملوكيته على وادي الرافدين القديم .



مدينة بابل كما كانت في عهد نبوخذنصر الثاني

نظام الكتابة السريانية .. قلم آرامي أم إبتكار كلداني ؟

مع أن الحضارة المصرية تشهد لنفسها بالعظمة إلا أنها لم تكن أول حضارة في التاريخ كما أنها لم تكن حضارة مصرية محلية خالصة ، يؤكد ذلك بحث البروفيسور البريطاني الأستاذ إل. أي. وادل الموسوم الأصول السومرية / الرافدية للحضارة المصرية / ط١ -١٩٩٩م حيث يثبت أن مانيستوشو أبن شروكين الكبير / سرجون الأكدي هو الغازي الآسيوي الذي لقب بفرعون قوبتا بعد تأسيسه لسلالة / أسرة منيس المصرية التي تعد أول أسرة حاكمة في تاريخ مصر القديمة ، ويؤكد أي. وادل بأن التاريخ المصري القديم تشوبه المتناقضات وعدم الدقة ويستطرد : إن سؤالين أساسيين ما زالا مجهولين وهما أصل الحضارة المصرية ومسألة تاريخ ملوكها وسلالاتها . ويقول في موضع آخر : أن غياب الأدلة فيما يتعلق بالترتيب الزمني لمصر القديمة جعل تحديد تاريخ الفراعنة الأوائل منذ سلالة مؤسسها الأول مينس يختلف من مؤرخ إلى آخر بما يزيد على ألف عام !!

مع أن موضوعنا لا يتعلق بتفاصيل الحضارة المصرية ، إلا أن من المهم أن نوضح ولا سيما في خضم طوفان تهافت وسائل الإعلام العالمية على تضخيم وتهويل كل ما هو مصري على حساب كل ما هو رافدي ، حتى وصلت عدوى هذه الوسائل إلى طلبة المدارس عبر منفذ المؤسسات التعليمية نفسها ، علماً أن الفارق الزمني بين أولى أشكال الكتابات الرافدية ٤١٠٠ ق.م وأولى أشكال الكتابات المصرية ٢٨٠٠ ق.م (؟) يقرب من ألف وثلاثمائة عام (وأن جداول أي. وادل تنقص منها ما يقرب من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ عام لكي تنسجم مع تاريخ مانيسو أي منيس ملك قوبتا) ، مما حدا بالعديد من العلماء والآثاريين إلى إعتبار الكتابة الهيروغليفية إنجازاً مصرياً محلياً نقل بتصرف عن نظام الكتابة الصورية الرافدية الأعرق تاريخاً .

أما الجرعة الثانية التي تلقاها المصريون من نهر الكتابة الرافدية فكانت في عهد تل العمارنة حيث أستخدم المصريون الكتابة المسمارية واللغة الأكدية في مراسلاتهم الرسمية مع بلدان الشرق القديم وهو ما يجعل العارفين بهذه التفاصيل يتضايقون من سطحية طروحات وسائل الإعلام التجارية منها على سبيل المثال ، بينما كانت معلمة الدراسات الإجتماعية لمرحلة الصف الثامن الأمريكية والمعادلة للصف الثاني متوسط في المدارس العراقية تشرح قبل أكثر من عام للطلبة درساً عن تطور الكتابة فقالت : بأن على الجميع أن يشكروا المصريين القدماء لإبتكارهم الكتابة ، وهنا نهض أبني ننار -Nannar- وقال بإنزعاج : مع كل أحترامي لك ، فأن المصريين القدماء لم يبتكروا الكتابة وإنما أبتكرها أجدادي الكلدان العراقيون القدماء ، أما المصريون القدماء فقد أبتكروا قلماً خاصاً بهم متأثرين بالكتابة الصورية لوادي الرافدين ولذلك تمكن أجدادنا الرافديون القدماء (كما يقول أبي) من تطوير الكتابة الصورية إلى شكلها المقطعي وبالتالي المسماري الهجائي فيما بقيت الكتابة الصورية الهيروغليفية أسيرة الشكل الصوري ، وأضاف ننار بأنني كنت قد قدمت مع زملائي وزميلاتي في مشروع اللغات القديمة مخططاً يثبت كلامي هذا وسأجلب لكم غداً ملصقاً كبيراً يؤيد كل ما أقوله ، لذلك أرجو منك أن تبلغي الإدارة لكي تكتب لمديرية المدارس العامة من أجل إصلاح هذه المعلومة الموجودة في الكتاب .

والحقيقة فأن الكثيرين من غير المختصين يعتقدون بأن الكتابة نشأت فجأة بشكلها الهيروغليفي في وادي النيل بحدود ٢٨٠٠ ق.م وبقيت على وضعها الصوري حتى زمن إنقراضها دون أن تمر بالحلقات التطورية التقليدية اللاحقة !!
وهنا يهمني أن أوضح بأن الرافديين الوسط جنوبيين القدماء / الكلدان الأوائل مع السومريين المهاجرين من شمال الرافدين إلى جنوبه في منتصف الألف الرابع ق.م قد عملوا يداً بيد لإبتكار وتطوير نظام الكتابة الرافدي القديم الذي يعد أقدم نظام كتابة معروف في التاريخ ، وقد كان الكلدان الأوائل بناة أريدو وكيش السباقون إلى إعتماد العلامات الحسابية ثم الصورية التعبيرية كمفردة لغوية مخطوطة ، فيما تمكن السومريون بعد هجرتهم إلى الجنوب من تطويع الطين وأختزال الصور وتطويرها إلى رموز مسمارية ، وبالتالي قطعوا شوطاً كبيراً في تأسيس نظام الكتابة وتحويله من أداة للتعبير عن المرئيات إلى أداة للتعبير عن الملموسات والمحسوسات في آن واحد .
من البديهي أن اللغة قد نشأت قبل الكتابة بزمن طويل ، كما أن المحاولات الإنسانية الأولى لتطوير معارفها إنما تمتد إلى عصور تسبق بكل تأكيد عصر تصاوير الكهوف ، أما على الصعيد الرافدي فإننا إذا ما تجاهلنا الحضور البشري في الشمال الرافدي الذي يعود إلى حقبة العهد الباليوليثي ١٥٠ ألف عام إلى ١٢ ألف عام مضت ، فإن مخلفات الإنسان النيندرثال (تسمية مشتقة عن مدينة ألمانية تقع قرب دوسل دورف) التي عثر عليها في كهف شانيدار بمنطقة راوندوز بمحافظة أربيل والتي تعود إلى الدور المستيري بين ٦٠ ألف عام وبين ٤٥ ألف عام من الحقبة الباليوليتية تكشف لنا من خلال الأدوات البدائية لذلك الإنسان عن بداية المعرفة والتعامل مع الأدوات ، لكن مستوطنة زاوي جمي التي تعود إلى العصر الميسوليتي ١٠ آلاف عام ق.م تؤكد لنا بشكل واضح وجلي عن نضوج عراقي قديم في مجال المعارف وبخاصة في مجال بناء البيوت التي تسمى بالبيوت الدائرية ، والتي تمثل أقدم ما شيده إنسان العصر الحجري الوسيط من أبنية سكنية .
ولأننا لا يمكن أن نعتبر التحزيزات والخربشات التي أكتشفت في بعض تلك الحلي البدائية نوعاً من البذخ الفكري ، مثلما لا نستطيع أن نعتبرها ملامح أولية لفن الكتابة ، فإننا سنعتبرها نوعاً من المعرفة السحرية (الطقسية) التي تستدعي وجود مواهب فكرية متميزة ، وقد تطورت هذه المعرفة لاحقاً في مستوطنة جرمو على نهر العظيم من الفترة الوسيطة بين العهدين الحجري القديم الميسوليتي والعصر الحجري الحديث النيوليثي قرب جمجمال شرقي كركوك ، حيث وجدت أنواع من الحلي والأساور المتطورة علاوة على تماثيل الآلهة والحيوانات التي كانوا يصطادونها أو يدجنونها وإلى هذا الدور بحدود ٦٧٥٠ ق.م تعود جذور الأشكال أو المحاولات الأولى المؤدية إلى الكتابة القديمة في وادي الرافدين وبخاصة في المنطقة التي أطلق عليها تسمية أكد التي تلفظ بالسومرية -Ki Uri- وهيّ القسم الشمالي من الإقليم البابلي الذي كانت كيش عاصمته الرئيسة بعد الطوفان ، كما أنها كانت من بين المدن الأربع المهمة التي سكنها الكلدان الأوائل منذ عصر ما قبل الطوفان وهي أريدو وكيش وسيبار وأوروك أو (كولابا) القديمة التي كانت مدينة منفصلة قبل أن تصبح بسبب من توسعها شرقاً وأندماجها بالمدينة الشرقية (أي أنّا) جزءاً من أوروك الكبرى ولتصبح بالتالي الجزء الغربي من مدينة أوروك الكبرى .

لكن فجر الكتابة الرافدية بمعنى أقدم أشكال الكتابة البدائية العراقية بشكلها العملي المتميز ككتابة متخصصة ، إنما تعود إلى عصر ما بعد طور أريدو / حضارة الكلدان الأوائل ، وتسمى تلك الحضارة بحضارة طوري العبيد الثالث الرابع ٤٣٠٠-٣٥٠٠ ق.م ، وتقع العبيد على بعد نحو أربعة أميال غربي أور الكلدان في المسافة ما بين مدينتي أريدو عاصمة الكلدان الأوائل ومدينة أور الكلدان التي نزح منها بابن أوراهم / إبراهيم أبو الأنبياء بحدود ١٩٠٠ ق.م ، ومن فترة العبيد هذه وتحديداً بين ٤١٠٠ ق.م و ٣٩٠٠ ق.م وصلتنا الحصى الرقمية الصورية -Clay Tokens- المعلمة بعلامات واضحة لتدوين حسابات غير محددة بشكل صور تجريدية واضحة المعالم كرمز الشعير والخروف والنباتات علاوة على الأرقام التي تسجل بطريقة بدائية تشبه إلى حد بعيد الطريقة التي يستخدمها العامة حتى اليوم لتسجيل نقاطهم في لعبة الدومنة (الدومينو) ، وقد وصلتنا من بين تلك الحصى الطينية نماذج تشبه التقاويم البدائية فيما تخصصت بعض تلك الحصى بتسجيل واردات المعبد من النذور أو عدد رؤوس الماشية أو نتاج الحقل .

وتعتبر هذه الكتابة البدائية التي تعود إلى الألف الخامس ق.م أول كتابة معروفة في التاريخ البشري وصلتنا من مستوطن الكلدان الأوائل ، وذلك قبل تواجد السومريين في الجنوب الرافدي بنحو ألف وخمسمائة عام ، أما أولى أشكال الكتابة الصورية المتطورة فقد وصلتنا من فترة جمدة نصر وهو موقع أثري صغير يبعد ١٥ ميلاً شمالي شرقي مدينة كيش المجاورة لمدينة بابل ، والتي تأسست فيها أول سلالة حاكمة بعد الطوفان تنتمي عرقياً إلى الكلدان الأوائل بناة العاصمة العتيقة أريدو ، ويسمى هذا الموقع حالياً بتل نصر ويؤرخ هذا الطور التاريخي بين ٣٢٠٠-٢٩٠٠ ق.م ، ولدينا من هذا الطور العديد من الكتابات الصورية العمودية المحفورة على الحجر ولعل أفضلها تلك التي تعود إلى ٣٢٠٠ ق.م وأيضاً ما أكتشف منها في أوروك من المرحلة قبل السومرية بمعنى قبل التواجد السومري المكثف فيها ، ولأن الكتابة هنا هيّ من النوع الصوري فإنه من الصعوبة أن نجزم عائدية هذه اللقى إلى أسلاف الكلدان أم السومريين وهو ما يرجحه أيضاً الأستاذ جان بوتيرو في كتابه الموسوم (بلاد الرافدين .. الكتابة / العقل / الآلهة) وذلك في إشارته التي يقول فيها : أننا لا نكاد نستطيع حل رموز الرقم المكتشفة في أوروك وجمدة نصر ورقم أور وأقل منها رقم فارة / شروباك .

ولكن ما يرجح عائدية هذه اللقى للكلدان الأوائل ، أن المنطقة التي وجدت فيها تلك الكتابات كانت تابعة لأسلاف الكلدان القدماء من ناحية ، ومن ناحية ثانية كانت الهجرة السومرية التي قد بدأت قبل ما يقرب من ثلاثمائة عام قد توجهت أول الأمر إلى المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية كما في مدن نيبور / نفر وتلو وأوما وغيرها من مدن ما بين نهري دجلة والفرات القريبة من بحر الكلدان (تام تي شا مات كلدي) أو كما يسمى أيضاً بحر الشرق أو البحر المالح الذي كان في مستوى مرتفع عن مستواه الحالي وكانت البصرة الحالية منطقة بطائح مائية أي بين الدرجتين ٣٠-٣١ طولاً ودرجتي ٤٦-٤٩ عرضاً ، في تلك المناطق تكاثر السومريون معتمدين على حياة الأهوار والزراعة البطائحية التي هي غير الزراعة الديمية المتطورة التي كان يمارسها الكلدان الأوائل ، ثم ما لبث أن أندمجوا بالثقافة المحلية للمنطقة .

وقد كان لتلاقي معارف الوسط جنوبيين من الكلدان الأوائل مع موجة العراقيين الشماليين (السومريون العباقرة) إنعكاساته الكبيرة والحاسمة للقفز بالمنطقة ككل من حياة المستوطنات الزراعية الريفية إلى مستوى دولة المدينة ومن مستوى الكتابة الصورية إلى مستوى الكتابة المسمارية المتطورة ، ونتيجة لإضافاتهم الخلاقة وتمكنهم القتالي عرفت المنطقة ببلاد سومر Ki en ge, r- - نسبة لمناطق الأهوار التي تزخر بها المنطقة أو إلى إله القصب إنكي / أيا أمير السحر حامي أريدو وأبو إله بابل مردوخ وحامي الفنون والآداب والصنائع .

وهنا طبعت المفردات غير السومرية التي تمثل لغة الكلدان الأم أي (اللغة الرافدية القديمة) ونظامها الكتابي القديم (الكتابة الصورية الأولى) المكتشفة في مدن الكلدان الأوائل لتصبح الأسس التي بني عليها نظام الكتابة المسماري المقطعي السومري بين ٢٩٠٠ ق.م و ٢٨٠٠ق.م ، والذي تم تطويره ثانية (لغة ونحواً) في كيش الكلدانية بين ٢٧٠٠ ق.م و ٢٥٥٠ق.م ، وقد مرت طريقة الكتابة المقطعية بمراحل تطورية عديدة بعد العهد الأكدي تشبه تطور الكتابة الصورية التي كانت تكتب بشكل عمودي فصارت (لأسباب عملية يعرفها المختصون) تكتب منذ بداية الألف الثالث ق.م الميلاد منحرفة بزاوية قائمة (٩٠درجة) ، وهكذا تحول نظام الكتابة من أسلوب التدوين بأعمدة من اليمين إلى اليسار (فترة الكلدان الأوائل) إلى كتابة أفقية من اليسار إلى اليمين (فترة التألق السومري) .

كما أن العلامات قد قلصت من تسعمائة علامة إلى ثلاثمائة علامة ، أما على صعيد نظام الكتابة نفسه فقد إنتقل من أسلوب رسم الصور التجريدية الأولية إلى أسلوب مقطعي مسماري يمثل العلامة نفسها ، بمعنى أن صورة ثلاثة جبال وتقرأ كور تعني جبل أو بلاد أجنبية ، كما أن الجمع ما بين صورة الرجل / لو وصورة الفالة / كال ستعني (ملك = لوكال) ، وهذا هو ما كانت تعنيه أيضاً الكتابة المقطعية الأولى المسمارية الشكل ، لكن الثورة الكبيرة التي طرأت لاحقاً هو إعتماد صوت الصورة لتشكيلها بحسب الصورة التي تجمع بها وكمثال على ذلك فإن أسم حمورابي الذي يعني عظيم هو الإله حمو ، حيث حمو=أسم إله ، رابي = عظيم أو مكثر ، كان يكتب مقطعياً بالأصوات حا=سمكة + آم= ثور بري + مو= سنة + را ؟ تفسرها جين بوتيرو بكلمة أسس + بي = صاحب الخان ، وبشكل أكثر تبسيطاً فإن شكل السهم ويقرأ تي كان يرمز في الكتابة المقطعية الصوتية إلى معنى آخر هو حياة لأن لفظة تي في السومرية تعني الحياة ، وبنفس السياق كانت تكتب مدينة أوروك / أورمكي= صوتياً آنو كي من المقطعين آنو= بحر أو زرقة + كي= مدينة .

وفي عهد إمبراطورية أكد تم تطوير الكتابة المقطعية وتشكيلها لتتلائم مع النظام اللغوي للكلدان القدماء / الأكديين البابليين وهنا تم إستخدام قاعدة متقدمة أعتمدت عزل الأصوات التي تؤدي بمفردها معنى كلمة أصلية (صحيحة) عن المقاطع الصوتية التي يمكننا أن نسميها حروف العلة ، فصارت الكلمة تشكل من صحيح وعلة أو من صحيحين وبينهما علة وهكذا ، وفي العهد البابلي الآشوري زوق البابليون المهاجرون إلى الشمال في عهد السلالة السرجونية كتابتهم المسمارية البابلية الشمالية بإطالة وزيادة العلامات الأفقية بينما أعتمد البابليون أسلوب الأشرطة الإفريزية ، ويمكننا تشبيه كلتا الطريقتين بما فعله العرب لاحقاً إبان الدولة العباسية حيث أخرجوا من الكوفي المربع المستمد من الخط الكلداني (القلم المشرقي) خطوط الرقعة والنسخ والثلث لكن الكلمات ومعانيها بقيت كما هي .

وفي أوغاريت الفينقية (سلالة عمورية غربية) تطور القلم المسماري البابلي من شكله المقطعي الذي يضم حروفاً محدودة إلى نظام هجائي خالص أساسه القلم المسماري ، وقد طور الفينقيون (عموريون غربيون) والآراميون فيما بعد هذا النوع من أنظمة الكتابة مبتكرين تشكيلاتهم الخاصة منذ القرن الحادي عشر ق.م وسرعان ما تطور في الإقليم البابلي على يد الآراميين الرافديين في القرن الثامن ق.م .

وما لبث أن أندمج الآراميون بالبابليين ولغتهم المركبة بلغة أهل بابل الكلدان ، لاسيما وأن اللغتين ترجعان أصلاً للكلدانية الأم ، لغة الرافديين لغة بناة أريدو وكيش ، فأنتشرت الآرامية الرافدية في الشارع الرافدي بشكل محدود حتى أعتمدها رسمياً لدولته الملك سنحاريب عام ٧١١ ق.م كتابة ولغة ، فأزدهرت في العهد البابلي الحديث (الكلداني الإمبراطوري) وبقيت مهيمنة على الثقافة الرافدية والشرق القديم ، ثم ترسخت بعد نهاية الحكم الوطني القديم في وادي الرافدين والعهد الأخميني حيث صارت اللغة الرسمية للعالم القديم كله ، ومع ذلك فقد أستمر نظام الكتابة المسماري في التداول وبخاصة في عاصمة الرافدين بابل ومراكزها العلمية إضافة إلى إستخدامها كلغة طقسية في المعابد تماماً مثلما تستخدم اللاتينية اليوم كلغة طقسية في الكنائس الرومانية الكاثوليكية ، وكان آخر ما وصلنا من نصوص مسمارية هو النص البابلي الفلكي المؤرخ بحدود عام ٨٠ م أي في عهد الإمبراطور الروماني دوميسيان بن فسبسيان ٨١-٩٦ م .

وجدير بالذكر أن أوليات نظام الكتابة الكلداني الحالي المتطور عن القلم الكلداني الهجائي القديم ٦٠٠ ق.م -Old Chaldean Alphabet / Empire Alphabet- إنما يعود إلى القرن الأول لما قبل الميلاد حيث حكمت الإقليم البابلي مملكة كرخينا / ميشان الكلدانية لغة وقومية ، أما الآرامية الرافدية فقد أستبدلت بعد المسيحية في مطلع القرن الخامس ق.م بلغة كلدان مملكة كرخينا الرافدية التي أزدهرت في العهد المسيحي المبكر بلهجتها الغربية في منطقة أورهاي التي كناها المقدونين أديسا نسبة لعاصمة مقدونيا ، وكذلك بلهجة نصيبين المشرقية وقد عرفت هذه اللغة منذ الجيل الخامس بمصطلح (سورييا) التي ترجمت إلى الكلمة العربية (السريانية) في الحقبة العباسية بحدود القرن التاسع للميلاد ، وإلى هذه الحقائق أشار كل من اللغوي الإيطالي ماريو بيي -Mario Pei- صاحب كتاب (قصة اللغة) ، كما أشار إليها نوح ويبستر -Noah Webster- صاحب معجم ويبستر الشهير قائلاً : بأن اللغة العالمية بمعنى اللغة الأم لجميع اللغات هيّ كلدي -Chaldee / Kaldee- أي اللغة الكلدانية القديمة لغة الكلدان الأوائل التي أطلق عليهم الكتاب المقدس تسمية كشديم / كلدايي ، وإلى أهل هذه اللغة تنسب مدينة أور التي يسميها الكتاب المقدس على عهد بابن أوراهم / إبراهيم أبو الأنبياء أور الكلدان ، وتقع في قلب مستوطن الكلدان التاريخي الذي يشغل معظم مساحة الإقليم البابلي .

وقد تناول تطور مزيج الكلدانية الآرامية الرافدية العديد من الدارسين ومنهم المطران أوجين منا الكلداني في مجلديه الموسومين المروج النزهية في آداب اللغة الآرامية (باللغة الكلدانية) والأب ألبير أبونا في كتابه المهم المطبوع باللغة العربية والموسوم (آداب اللغة الآرامية) وكذلك المطران طيمثاوس إرميا مقدسي المتوفى عام ١٩٢٩م في كتابه الموسوم (قواعد اللغة السريانية) باللهجة الشرقية / الكلدانية ، كما تناول قواعدها أيضاً المطران أوجين منا

الكلداني في مؤلفه الموسوم (الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية) باللغة العربية ، وأيضاً تضمن كتاب الأستاذ سليم مطر الموسوم (الذات الجريحة) دراسة مهمة في علاقة اللغة الكلدانية المعاصرة وتأثيرها في اللغة العربية ، أما الأستاذ الدكتور فاضل عبد الواحد علي فقد أحتوى كتابه الموسوم (من ألواح سومر إلى التوراة) على جداول لغوية أكدت على تداخل لغة أسلاف الكلدان الأوائل باللغتين السومرية والأكدية وأيضاً باللغة العربية القرشية (لغة أهل بكة / مكة) المشتقة عن إختلاط الكلدانية الجزيرية من عهد نبونائيد وخلفائه في تيمو وددانو ويثريبو بالحبشية القديمة والتي يؤكدها المؤرخون العرب كما عند صاحب كتاب الجمهرة والمسعودي في أخبار الزمان .

ويمكننا أن نوجز تطور اللغة الكلدنية القديمة (الرافدية الأولى / الكلدانية الأم) من خلال تطور أنظمة الكتابة (الكلدانية الصورية المبكرة / السومرية / الكلدانية القديمة) عبر التاريخ (أنظر الملاحق) والتي تناولناها في موضوعنا هذا على النحو التالي :

١- في حدود ٤١٠٠ ق.م أبتكر الكلدان الأوائل مؤسسو حضارة وسط وجنوب العراق من فترة العبيد أولى أشكال الكتابة الصورية وكانت على شكل علامات حسابية وصور تجريدية ورمزية أولية على خرز من الطين المفخور والحصى أطلق عليها العلماء تسمية -Clay-Tokens- .

٢- العصر الشبيه بالكتابي ٣٥٠٠-٢٨٠٠ ق.م -Proto-literate- الذي يحتوي على نماذج صورية ومسمارية ويشمل دور أوروك الأخير (الطبقات ٥ و٤ أ ، ب ، ج) ، ودور جمدة نصر ٣١٠٠-٢٩٠٠ ق.م -Jemdet Nasr- وعصر فجر السلالات ٢٩٠٠-٢٨٠٠ ق.م ويتميز الدور الأول منه أي جمدة نصر بكتابة الكلمة مائلة بزاوية قدرها تسعون درجة بعكس حركة عقرب الساعة ، كما أمتاز هذا العصر أيضاً بإختلاط السومريين الوافدين من الشمال مع الكلدان الأوائل الذين تسميهم المصادر بتسميات مختلفة ، أشهرها تسمية الساميين الإختيارية فيما نسميهم نحن (الكلدان الأوائل) لكونهم سكان مستوطن الكلدان التاريخي داخل حدود العراق الطبيعية والتاريخية ، بينما التسمية السامية ترجعهم إلى أقوام وهمية سكنت في فترات خيالية منطقة الجزيرة التي تسمى الآن بالعربية .

من هذا العصر (الشبيه بالكتابي) جاءتنا نماذج عديدة أشهرها وأقدمها نموذج مدينة كيش وهو نحت في حجر من نوع المايكروليتك ، ونماذج أوروك فترة ما قبل التواجد السومري الطبقة الرابعة ، وفي عصر فجر السلالات تطورت الصورة إلى مقاطع رمزية تشبه المسامير يعبر كل رمز عن شيء مادي محدد وصار الطين سواء المجفف منه أو المفخور المادة الحاملة لهذا النمط من الكتابة التي طورها السومريون مادة ووسيلة ، وفي هذا العصر أيضاً صعد نجم السومريين وهيمنت لغتهم الإيمي سال -Eme-sal- على نظام الكتابة مع تطبعها بالجذور الرافدية القديمة لأسلاف الكلدان أساتذة حضارة العبيد .

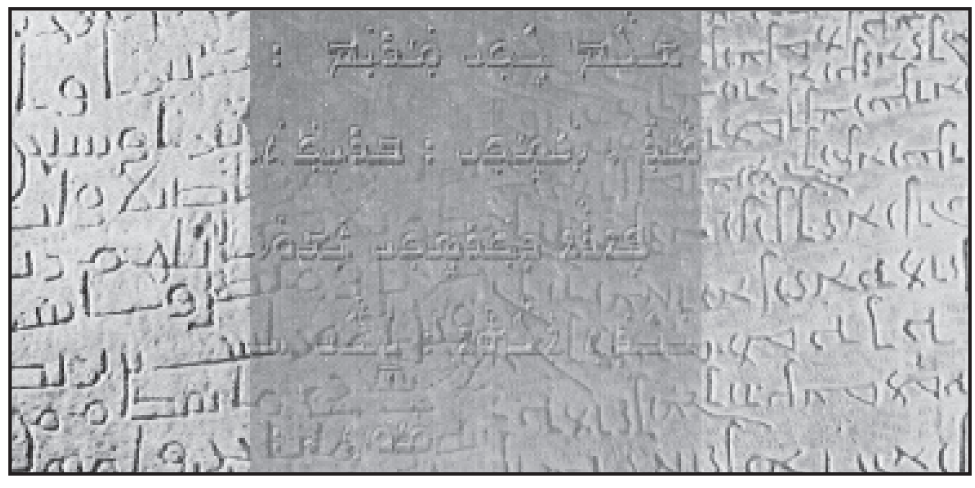
٣- في عصر فجر السلالات أو عصر دويلات المدن ٢٨٠٠-٢٣٥٠ ق.م ، الذي يطلق العالم الألماني أنطوان مورتكات -Anton Moortgat- على نصفه الثاني تسمية عصر ميسالم (ملك كيش الكلدي العظيم) الذي ينتمي عرقياً للكلدان الأوائل ، تم تحويل الكتابة من دلالاتها الصورية القديمة إلى الدلالات الصوتية وأدخلت عليها حروف الجر وتم التمييز بين مقاطع العلة والصحيحة ، مثلما أستخدمت المقاطع الدلالية في أول وآخر بعض الكلمات ، وكان من

بين تلك المقاطع ما يرجع منها لغوياً إلى عصر الكلدان الأوائل كالمقطع الصوتي (كشتا أو كش) وفي الكلدانية (قشتا) أيٍ خشبة أو الخشب إجمالاً ، والمقطع (شم) دلالة على نبات زكي الرائحة وعلى العطور إجمالاً .
الإبتكار الآخر كان في إستبدال رأس القصبة المثلث الرفيع بمثلث غليظ لازم الكتابة المسمارية حتى إندثارها أواخر القرن الأول للميلاد ، كما تم في زمن الملك إين شاكوش أنا بحدود ٢٤٠٠ ق.م ترتيب الكتابة المقطعية بحسب ترتيبها الصوتي ، وقد كانت العلامات المستخدمة في كتابات بعض المدن تقرب من ألف علامة وإذا ما قمنا بجمع كافة العلامات في مطلع هذه الفترة لرأيناها بحدود ألفي علامة ، لكنها أختصرت في الفترة ما بين ميسالم وإين شاكوش أنا إلى ثمانمائة علامة .
٤- في مطلع العصر البابلي ، أندثرت اللغة السومرية الإيمي سال وأستبدلت بما يتعارف عليه العلماء مجازاً باللغة الأكدية وهي لغة الرافديين الوسطجنوبيين الأوائل / الكلدان الأوائل ، وقد تم اختصار العلامات إلى ٥٠٠ علامة ، كما أدخل البابليون والآشوريون (تسميتان إقليميتان) على قلمهما البابلي المستخدم في كلا الإقليمين بعض التزويقات في طريقة رسم العلامات المسمارية ، وقد حدثت هذه النقلة النوعية بإنسيابية تبعث على الدهشة عند الكثيرين ، لكنها من وجهة نظرنا جاءت متوازنة مع السياق التاريخي لتطور الكتابة التي بدأت بجذور عبيدية بمعنى بإبتكار من لدن الكلدان الأوائل الوسط جنوبيين لتنتهي إليهم بعدما منحتها العبقرية السومرية إضافات رائعة .
٥- في ذلك الوقت أي مع مرحلة الإنتقال من الطبيعة الصوتية للعلامة المسمارية إلى الشكل الحروفي وبشكل أدق التشكيل الهجائي نشأت عدد من الخطوط المسمارية ، كما في محاولة مدينة أوغاريت العمورية الفينقية بحدود ١٨٠٠ ق.م التي تسبق بما يزيد على ألف وثلاثمائة عام نظام الحروف العيلامية المسمارية الذي تم إبتكاره بحدود ٥٥٠ ق.م ، وعلى كل فقد أستمدت كلتا التجربتين مادتهما الأساسية من الكتابة المسمارية الرافدية ذات الأصول الوسط جنوبية للكلدان الأوائل ، ومع أن القلم العيلامي المسماري كان يتصف بالديناميكية لكن وقوع عيلامٍ تحت التأثير الثقافي الرافدي وسطوة الحرف الهجائي الإمبراطوري (الكلدي) قلص كثيراً من إمكانات تطور قلمها وبالتالي إندثاره في زمن قصير ، أما الكتابة المسمارية الأوغاريتية فقد قدر لها البقاء لفترة أطول وبخاصة بعد إنفتاحها على مدنٍ الساحل السوري المجاورة فنشأت الحروف الهجائية الفينيقية بتأثيرات مزدوجة ظاهرياً ، بمعنى تأثيرات رئيسة رافدية (أوغاريتية) وتأثيرات هامشية مصرية (تمتد جذورها إلى سلالة مانسو الأكدية بحسب وادل) وبمعنى آخر أن كلا المصدرين ينتهيان بطريقة أو بأخرى إلى الكتابة العبيدية التي أبتكرها الكلدان الأوائل .
٦- في أواخر القرن الحادي عشر أبتكر الفينيقيون (عموريو الساحل السوري / الفينقيون) قلمهم الخاص الذي أقتبسه الآراميون الرافديون في زنجرلي -Zinjirli- عاصمة مملكة سمعال / يعدي فحسنوه بعض الشيء إلى ما يعرف اليوم بقلم الآرامية الرسمية بحدود ٨٠٠ ق.م ، وهي نوع من الآرامية المبسطة التي تشبه إلى حد ما اللهجة الآرامية التي وصلتنا منها نماذج مكتوبة أبرزها (شريعة بر ركوب) -Bir-Rakib- ثم شهد قلم الآرامية الرسمية تطويره اللاحق والأخير بحدود ٧٠٠-٦٠٠ ق.م والذي تمثله النماذج المكتشفة في حترا /

الحضر خير تمثيل .
٧- الكلدانية الحديثة (السورث / سودايا) وهيّ اللغة التي أطلقت عليها المصادر العربية تسمية (السريانية) ، يعود إبتكار قلم الكلدانية الحديثة المختلف كلياً عن القلم الآرامي من ناحية الشكل إلى مطلع القرن السادس ق.م أي بحدود ٦٠٠ ق.م ، وتتمثل أقدم الكتابات الكلدانية في البلاطات التي أكتشفها السير ليونارد وولي في معبد إيه نون ماخ --E-Nun Makh- شمال شرق الزقورة في أور الكلدان من عهد الملك نبوخذنصر الثاني ٦٠٤-٥٦٢ ق.م ، والتي كانت تتألف من عشرين حرفاً هجائياً (ينقص هذا النص القصير حرفين لتكمل حروف الألف باء الكلداني المعروف إختصاراً بعبارة (ألب بيث / ألب تاو) ، وقد سعى وولي دون جدوى لإستكمال الحرفين الأخيرين من خلال التنقيب في معبد الميناء الذي بناه نبوخذنصر الثاني في مدينة أور .
مع ذلك تعتبر هذه الحروف أقدم الأشكال المعروفة للحرف الكلداني المشرقي الأسطرنجيلي الذي تطور في القرن الأول للميلاد أي فترة حكم المملكة الكلدانية الشهيرة ميشان / كرخينا التي أسسها يوسب بر سكد أودو ناق عام ١٢٧ ق.م فشملت كل الإقليم البابلي وكانت عاصمتها إلكساندريا-أنطاكيا /مدينة العمارة الحالية وقد تمكن هذا القلم الرافدي الذي تناوله العديد من الباحثين أمثال وولي وألبرايت و د. حياة إبراهيم وجواد علي من التأثير على قلم حيرتا / الحيرة والإنتشار شمالاً حتى ضواحي حترا التي كانت تعتمد القلم الآرامي المعدل ومنها إلى نصيبين وماردين وآمد / ديار بكر وغيرها من المدن المسيحية في الأجيال الأولى لإزدهار المسيحية .
ولعل التداخل الحروفي ما بين القلمين الكلداني الإمبراطوري والآرامي المعدل الذي طغى على كتابات فترة أمرئ القيس بن عمرو ملك حيرتا أبلغ دليل على شيوع القلم الكداني ، وإلى هذا القلم الكلداني العتيق تعود النصوص المتبقية التي وصلتنا من ميشان بحدود القرن الأول للميلاد ، ولا سيما كتابات الشواهد التي لا تؤهلنا لمعرفة إمكاناتها الأدبية ولكنها تعطينا تصوراً كاملاً عنها كخط محسن عن خط بلاطات نبوخذنصر الثاني أو الخط الكلداني الإمبراطوري .
وقد تطور هذا القلم بلهجته الرافدية فيما بعد في منطقتي أورهاي (كاليرهوي / الينبوع الحسن) وبالعربية الرها ونصيبين ، حيث إنقسم هذا القلم بفعل الجدالات العقائدية المسيحية في القرن الخامس للميلاد إلى ما يعرف اليوم في البلدان الناطقة بالعربية بالسريانية الشرقية والغربية ، ونتج عن إنقسام الجيل الخامس إختلافات لفظية وكتابية واضحة ، ولدينا اليوم ثلاثة أشكال من الخطوط هي الاسطرنجيلي (سطر إنجيلي) الذي يرجع إلى قلم بلاطات نبوخذ نصر الثاني والقلم المشرقي الكلداني (مدنحايا) أي قلم شرق الفرات أو كما يسميه البعض قلم السريان المشارقة / الكلدان ، والقلم السرياني الغربي (معروايا) أي قلم غرب الفرات .
ويرى الأب ستاركي كما أورد الأب ألبير ابونا في تحفته المعروفة بآداب اللغة الآرامية : بأن اللغة العربية مشتقة من الآرامية ويقصد بها (السريانية الشرقية / الكلدانية) ، والحقيقة أن ما تعرف اليوم مجازاً باللغة السريانية إنما تعود إلى إبتكارات المدارس اللغوية الكلدانية الأربعة الشهيرة من عهد الملكين سلوقس الأول نيكاتور ٣١١-٢٨١ ق.م -Seleucus I

-Nicator- وأنطيوخيوس الأول سوتير ٢٨١-٢٦١ ق.م -Antiochus I Soter- ، إذ عملت هذه المدارس التي تعود إلى أسر الكتبة الكلدان (إيكور ذاكر) و(سين ليقي أونيني) و(أخوتو) و(خونزو) إلى إشاعة نمط من الكتابات المزدوجة من الكلدانية البابلية العتيقة (المسمارية) والكلدانية الهجائية (ألب بيث) المستلهمة من النظام المتبع في الكتابة الآرامية الرسمية مع إختلافها البين والمتميز عن القلم الآرامي ، بمعنى أنها كتابة كلدانية بابلية خالصة أبتكرت في عهد السلالة الإمبراطورية وبقي إنتشارها في عهود ما قبل المسيحية محدداً بالإقليم البابلي حتى مطلع عهد مملكة ميشان الكلدانية ، حيث طور نظام الكتابة هذا إلى الخط الكلداني المستعمل اليوم من قبل أتباع الكنائس الرافدية / السريان المشارقة والسريان الرافديين الكاثوليك بلهجة أهل الرافدين الكلدان الذين تخلوا عن النسطرة وعادوا إلى حضن الكنيسة الجامعة .

وهكذا يتبين بأن قلم اللغة الكلدانية الأم الذي نشأ في أريدو وكيش فأثر وتأثر خلال ما يزيد على ثلاثة آلاف وسبعمائة عام على شعوب ومناطق مختلفة ، قد عاد إلى مسقط رأسه الرافدي بحلته الألف بائية المختلفة كلياً عن الآرامية الرسمية ، إذ أبتكر بشكله الحديث (ألب بيث الإمبراطورية) في عهد الملك الشمس نبوخذنصر الثاني ، ليمر بعدئذ بمراحل تطورية محلية جعلته يتبوأ موقع الصدارة على طول وادي الرافدين وعرضه ، حتى تم تحجيمه في القرن التاسع الميلادي أثر منعه في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ٦٨٥-٧٠٥ م -Abd al-Malik ibn Marwan- لغرض نشر اللغة العربية في البلدان غير الناطقة بها كالعراق ومصر وبلاد الشام فأنحصر إستخدامه في الأديرة والكنائس ، لكن أجدادنا لم يتخلوا للحظة عن إستخدامه ، وهكذا عادوا إلى إستعماله ثانية وبشكل واسع في الحياة الثقافية منذ القرن السابع عشر للميلاد ، وبدأت صحفنا ومواقعنا الإلكترونية ترفد العالم كله بلغتنا وقلمنا الرافدي الكلداني الذي يرجع في خطه البياني إلى عهد الكتابة الصورية المجردة في الإقليم البابلي الكيشي -Kish- القديمة بحدود ٤١٠٠ ق.م .



القلم الآرامي والكلداني والعربي / انظر الملاحق في آخر الكتاب

الإتجاهات في الفكر العراقي المحلي
مفهوم الشرق والغرب في اللغة الدارجة

أنتشرت منذ القدم تسميات عديدة في بلاد وادي الرافدين يخص بعضها دولاً أستمدت تسمياتها من عواصم حكمها كالأكدية والبابلية والآشورية أو من دويلات المدن التي كانت مركز إدارتها او من الشعوب التي أستوطنت ما بين النهرين منذ القدم ، كما حملت بعض المدن أسماء تسميات مدن قديمة مندثرة ، ولذلك صرنا نرى أن مواقع عديدة أستخدمت ذات التسمية القديمة أو صفاتها وعلى سبيل المثال فإن دور شروكين / خورسباد التي بناها سرجون الثاني قد حملت نفس التسمية التي أطلقها شروكين / سرجون الكبير على القسم الإداري من مدينته التي أشتهرت بأسم أكد ، ووفق هذا السياق فإن نينوى العاصمة الأخيرة للآشوريين قد إستعارت أسمها كما هو مرجح من مدينة نينوى أو نينا الشمرية في الإقليم البابلي / لجش في عهد سلالة أور الثالثة ، ونينا أو ننوى هي الإلهة السمكة ومعروف أن نينوى الجنوبية أشتهرت بالأسماك في حين تندر الأسماك في أطباق الشماليين ، أما بابل التي تشتهر بنواحيها القديمة ومنها كيش فتوصف بأرض منشأ الحياة وهي تتشابه في هذه الصفة مع مدينة أريدو ، علماً أن كلتيهما تعدان من أولى مدن ما قبل وبعد الطوفان !!

وقد حمل الخليج الذي كان يمتد إلى أريدو تسمية (بحر الشرق) وأيضاً تسمية بحر الكلدان (تام تي شا مات كلدي) ، وإذ لم تكن تسمية بحر الكلدان مستغربة من قبل الباحثين وأساتذة التاريخ القديم بسبب التواجد الكلداني القديم في المنطقة ، فإن أطلاق تسمية بحر الشرق على موقع جنوبي قد يبدو غريباً للوهلة الأولى ، لكن فهم التصور الشعبي لمفهوم الإتجاه عند العراقيين سرعان ما يبدد إستغرابنا الأولي هذا ، ذلك أن من الأمور التي تميز بها العراقيون منذ العصور القديمة هي إستخداماتهم (المجازية لمفهوم الشمال والجنوب) وهذه المفاهيم أشترك بها البابليون القدامى مع البغداديين المعاصرين ، فكما يعرف الجميع تعد بغداد مركز العراق المعاصر مثلما كانت بابل تعتبر مركز العالم القديم .

ووفقاً لمركزيتها التاريخية تلك كانت الإتجاهات تتحدد ، فكل ما هو شمال بابل يعتبر شمالاً وكل ما هو جنوب بابل يعد جنوباً ، لكن العراقيين لم يستخدموا في حياتهم اليومية مفاهيم الإتجاهات هذه (ولاسيما عند العامة) بصورة صحيحة مع أنها تتعارض مع معارفهم العلمية ، وكدليل على ذلك يطلق البغادة على أبواب بغداد الشهيرة الأربعة إبان العهد العثماني الأسماء التالية ، وهيّ : الباب الشمالي أو الباب المعظم ، الباب الجنوبي أو الباب المظلم أو باب كلواذى الشهير بأسم الباب الشرقي ، والباب الوسطاني أو الباب الأبيض وهو الواقع في جهة الشرق ، وأخيراً الباب الغربي أو باب الجسر الذي كان يواجه النهر ، وما يهمنا هنا لتأكيد ما نذهب إليه هو تسمية البغادة للباب الجنوبي بأسم الباب الشرقي .

ويسمي البغادة ريح الشمال الباردة (الهوى الغربي) ويطلقون على ريح الجنوب الحارة تسمية (الهوى الشرجي بمعنى الشرقي ، أي قلب القاف إلى جيم) ، مع معرفتهم التامة بأن الهوى الغربي مصدره الشمال وأن الهوى الشرجي بمعنى الشرقي مصدره الجنوب . كما يطلق العامة من أهل بغداد على سكان الجنوب تسمية (شركاوي أي شرقاوي) ، لأن مفهوم الشروكي أو الشركاوي عند العامة من البغداديين يعني الجنوبي ، لذلك من الصعب عند

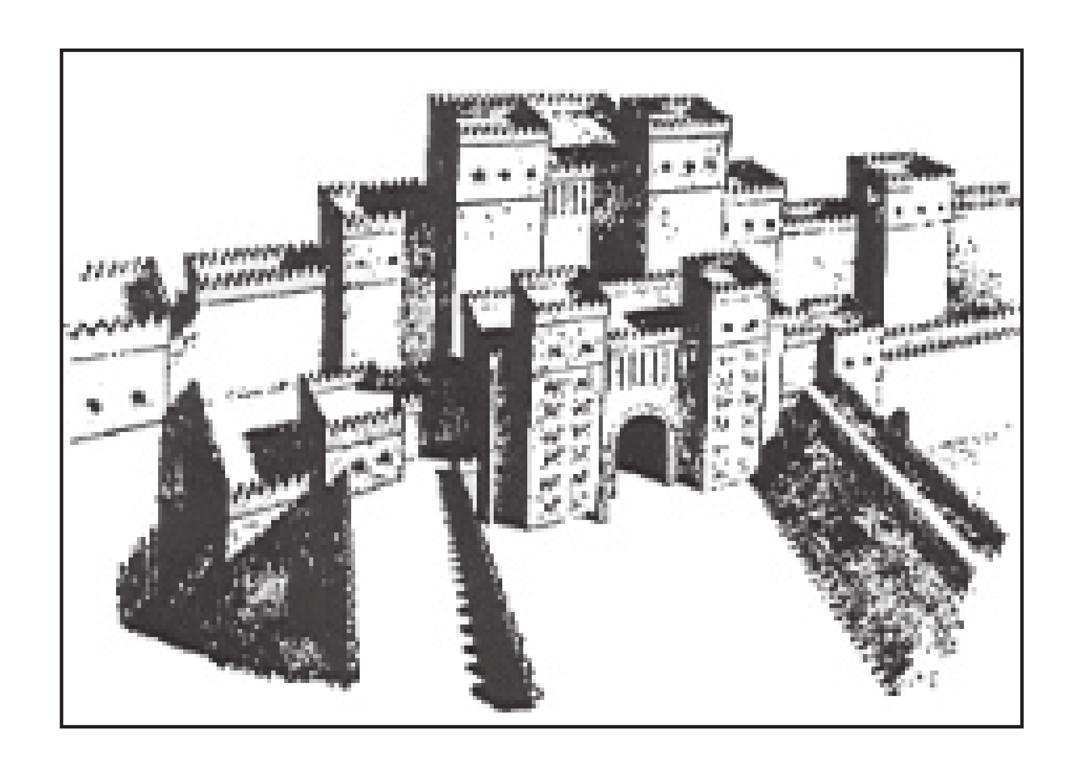
قراءة بعض النصوص القديمة معرفة الجهة المقصود بها في النص المكتوب إلا إذا ما أقترنت بمدينة أو منطقة مشهورة وما إلى ذلك من شواخص ودلالات موقعية ، ولهذا نجد أن كتبة العهد القديم (الذين تطبعوا بالثقافة البابلية والمفاهيم المحلية للعراقيين القدماء) قد أستخدموا المفهوم العراقي المحلي لمفهوم الجنوب في كتاباتهم ، كما في الإصحاح الثاني من سفر التكوين حيث استخدم الكتابيّون مفردة الشرق عند تناولهم لموضوع (جنة عدن) حيث يرد بالشكل التالي : وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً ، وأسكن هناك آدم الذي جبله .. تكوين ٢ : ٨ ، وتشير الدراسات الميدانية الحديثة بأن مستوطن الكلدان التاريخي في جنوب العراق والذي كان يدعى أيضاً بالقطر البحري هو الموقع الأقرب للتصور العلمي لأن يكون موقع جنة عدن التي جاء ذكرها في العهد القديم ، ومما ساعد على ترسيخ هذا الرأي المعلومات الجيوفيزيائية التي حصل عليها العلماء الجيولوجيون مؤخراً حيث أثبتت المسوحات الفضائية لجنوب العراق بأن أنهار الجنة الأربعة المقصودة في سفر التكوين والتي تتألف إضافة إلى دجلة والفرات من نهرالكارون (فيشون) ونهر حفر الباطن أو كما يسمى بوادي بطن الرمة (جيحون) ، وهو الوادي الذي يحيط بدويلة الكويت من الغرب والذي بدأ ماؤه بالجفاف في حدود القرن الثامن للميلاد إنما يكمل التصور التوراتي لموقع الجنة .



منظر من بغداد (الباب الشرقي / باب كلواذى)

ويؤكد الإصحاح الحادي عشر هذا الفهم المحلي لمفردة (الشرق) أثناء تناوله لحادثة بلبلة الألسن في بابل والتي يقول فيها : وكان لأهل الأرض كلها لغة واحدة وكلام واحد . فلما رحلوا من المشرق / الشرق (الجنوب) وجدوا بقعة في سهل شنعار ، فأقاموا هناك (بابل) تك : ١١ : ١-٢ .

ومن البديهي لنا ، أن الذين بنوا بابل هم ذاتهم سكان الجنوب الرافدي القدماء الذين بنوا أريدو ، ولذلك حملت كلتا المدينتين الأسم القديم ذاته (نون كي) والمعبد الرئيس لكلتا المدينتين التسمية ذاتها أي (إيساكيلا) ، ولأن مفهوم (الشرق) يعني في اللغة المحلية كما بينا ما يعنيه مفهوم (الجنوب) العلمية ، نجد أن هذا المقطع يؤكد مسألتين هامتين ، توضح الأولى المعنى المحلي العراقي لمفردة (شرقاوي أو مشرقي) ، كما تثبت الثانية حقيقة أن أريدو(نون كي) عاصمة البلاد ما قبل الطوفان كانت هي الموقع الأصلي للوافدين الذين أبتنوا بابل (نون كي) المدينة الدينية المقدسة ومعبدها المقدس في أريدو وبابل (إيساكيلا) وجعلوا من كيش البلدة المجاورة لها عاصمة سياسية للبلاد (الإقليم البابلي) بعد الطوفان العظيم ، مما يضيف دليلاً جديداً إلى مجموع الأدلة التي تدحض نظرية الأصل الجزري التي لا تؤيدها الأسانيد العلمية .



البادية الغربية كمدخل للهجرات المحلية إلى بابل

أثبتت كتابات العديد من الباحثين الأكاديميين من مؤرخين وآثاريين في العقود الثلاثة المنصرمة الأخيرة بطلان نظرية الهجرات الجزيرية التي روج لها بعض الكتاب الذين تبنوا الفكرة السامية (تسمية مستحدثة أبتكرها شلوتزر عام ١٨٧١م) علاوة على ترجمات بعض المؤرخين العرب من مؤيدي النظرية السامية / الجزرية و بعض المتزمتين لأسباب عرقية أو دينية ، وهو ما بدا واضحاً وجلياً إبان حكم النظام البعثي في العراق ونظام البعث الحاكم في سوريا وكذلك مع المروجين للأفكار الناصرية والسلفية في بلدان شمال أفريقيا والجزيرة العربية ، لكن الدراسات الميدانية المعاصرة والمدعمة بالأسانيد العلمية دحضت النظرية السامية ورجحت كفة الرأي الذي ذهب إليه كل من جاودي -Gaudi- ولاندزبيركر -Landsberger- وهوتجنسون -Hutchinson- الذين كانوا من أوائل من حدد (مستوطن الكلدان التاريخي) وتحديداً القطر (البحري / مات كلدي) كمصدر لتلك الهجرات التي أخذت الهجرات الخارجة منها عبر التاريخ تسميات لاحقة نسبة للأقاليم والمواقع الجغرافية التي أنتهت إليها أو لمسار حركتها ، ومنها هجرة الأكديين (نسبة لمدينة أكد) والعموريين (بلاد عمورو) والآشوريين (نسبة لمدينة آشور الشوبارية) والأحلامية الآرامية (تسمية خليطة طبوغرافية جغرافية وأيضاً من المعاهدات السياسية / أحلاف قبائلية) ، والمهم هنا أن هؤلاء العلماء أكدوا كما قلنا بأن الموطن الأصلي لتلك الهجرات كان جنوب العراق ووقمة الساحل الشرقي للجزيرة التي أثبتت المكتشفات الآثارية منذ العقد السادس للقرن الماضي على وجود مستوطنات عديدة فيه كانت تضج بالحياة والثقافة الرافدية ، وقد واصلت هذه المستوطنات نشاطاتها الحياتية متزامنة مع فترة منتصف عصر فجر السلالات في الأقليم البابلي (شومر وأكد) وذلك بحدود عام ٢٥٠٠ ق.م أي بعد ثلاثة قرون من نشأة دول المدن في العراق القديم .
وكان السؤال الذي واجه العلماء من مؤرخين وآثاريين ولا سيما الذين أكتشفوا السمات العرقية المشتركة ما بين الأريدويين وبين الكشيين الأكديين البابليين هو : لماذا لم تسلك تلك الهجرات الطريق التقليدي الأسهل ؟
أي الإنتقال من المناطق البطائحية والريفية والرعوية في جنوب العراق وأمتداده الذي يطلق على مجموعه مصطلح (مات كلدي / بلاد الكلدان) ، وبالتالي لماذا توجب عليهم من أجل الإستقرار في المدن البابلية المرفهة أن يقوموا بهذه الرحلة المضنية شبه الدائرية التي تقرب من زاوية تعادل ٢٧٠ درجة ؟
الجواب كان بسيطاً جداً ومقنعاً إلى حد كبير ولا سيما بعد إسناده بالدلائل العلمية ، فقد أدت الإختلافات ما بين قيم المدن البابلية الحضارية المرفهة وقيم البادية الرعوية (عموريين / آراميين) وزراعية بطائحية وريفية (الكلدان الجدد منذ السلالة البابلية الثامنة) إلى نشوء نوع من الجفاء (العداء التقليدي) ، وإلى إستعلاء أهل المدن على أهل البادية والريف الذي يشبه تماماً إستعلاء أهل بغداد في منتصف القرن الماضي على (الشروك أي الجنوبيين) الوافدين من ميسان (العمارة) والمنتفك / الناصرية (أور) الذين أستقدمهم الزعيم الوطني العراقي الراحل عبد الكريم قاسم إلى مدينة الثورة كأيد عاملة لمشاريعه الصناعية التي كان قد باشر بتنفيذها في مدينة بغداد ، وقد ظل هؤلاء الشروك وهو مصطلح (جغرافي) يطلق

على العراقيين الجنوبيين يعانون من نظرة دونية من قبل سكان مدينة بغداد (البغادة) حتى بعد أن أمتزجوا بالبغداديين وتزاوجوا معهم وتمكن أبناؤهم وأحفادهم من الحصول على أعلى الدرجات العلمية الأكاديمية وبرز من بينهم نسبة كبيرة من العلماء والقضاة والأساتذة الجامعيين والمثقفين والمبدعين العراقيين الذين تركوا بصماتهم العميقة في الثقافة العراقية والمجتمع العراقي منذ عقد السبعينات ، بل أن بعض مفردات لهجتهم الجنوبية (العراقية الإصيلة) تسللت إلى اللهجة البغدادية ، وصارت بسبب إستعمالها الواسع في الأغاني ذات الشعبية العالية شائعة ومستخدمة بشكل يومي حتى طغت على المفردات البغدادية التي كانت مستخدمة في عقدي الخمسينات والستينات .

هذا الصراع الحضاري التقليدي بين ثقافة الحضر (سكان المدن) و مجتمعات المزارعين الريفيين والرعاة / البدو كان العامل الرئيس الذي منع تلك القبائل من النزوح بشكل موسع عبر الطريق التقليدي المؤدي إلى المدن الثرية المتمكنة عسكرياً ، لكنه لم يمنع بعض الأسر والأفراد من التسلل بأعداد صغيرة وذلك للعمل في الحرف والمهن البسيطة التي تتطلب مهارات محدودة وقوة عضلية كبيرة وبالتالي تمكنوا من الإستقرار في المدينة والتطبع بعاداتها وقيمها عبر القرون والإندماج بها بل وحتى حمل أفكار المدينة الإستعلائية المناوئة لقيم الريف والبادية .

ولو نظرنا إلى خارطة المدن الجنوبية منذ عصر ما قبل الطوفان لوجدناها مزدحمة بالمدن الكبيرة والبلدات والقصبات وحتى بالمستوطنات العشائرية تماماً كما هو عليه الحال الآن ، إن مراجعة سريعة لأهم تلك المدن إبتداء بمدينة أريدو -Eridu- عاصمة أسلاف الكلدان الأولى ثم باد تبيرا -Bad-tibira- ولرك -Larak- وسبار -Sippar- وبورسيبا -Borsippa- وشروباك -Shuruppak- وكيش -Kish- وكيش -Kesh- الأخرى (نجهل موقعها) واي-أنا -E-anna- (القسم الشرقي الديني من مدينة أوروك قبل توحدها مع القسم الغربي والمسمى كولاب -Kullaba-) ثم أور -Ur- وأوان -Awan- وخمازي أو حمازي -Hamazi- وأدب -Adab / Udab- وكوا -Kua- وماري -Mari- وأكشك -Akshak- وأوروك -Uruk- ولجش / لجاشو -Lagashu- وجرسو -Girsu- ونينا -Nina / Surghul- و سرارا -Sirara- (أورو- كوكك -Ur-Kug- أي المدينة المقدسة) وأوما -Umma- ونيبور -Nippur / Nibrua- وكار دنكر را -Kar ra dingera- (وتقرأ باربار أي بابل) ودور أنو -Dur-Anu- (دير) وإيشنونا -Eshnunna- وبعد الهجرة الأولى نشأت في الإقليم البابلي مدن أكد -Agade- ودوركوريكالزو -Dur Kurigalzu- وأورورا -Urura- وإيسن -Isin- ولارسا -Larsa- ودابروم -Dabrum- وبوزريش داكان -Buzresh-Dagan- وأولكاشيا / الكوفة -Ulgashia- وأبياك -Abiak- وماراد / الديوانية -Marad- وإيريش -Eresh- وبوش -Bush- وأورو- ساكرك -Uru-sagrak- وكودوآ -Gudua- (كوثا) وزارلو -Zarlu- وآخا -Akha- وأوروم -Urum- وشادوبوم -Shaduppum- (تل حرمل في بغداد) وملكيئوم -Malkium- (الكوت) وأولغاشة -Ulgasha- ودلبات -Dilbat- وأوبس -Opis- (سلوقيا) وشالوروم -Shalurum- وبيكاسي -Pikasi- (تل عنتيك) وشاتما -Shatma- وشلبي -Shalpi- ، والحق فإن هذه المدن التي تقرب من خمسين كانت من المدن الرئيسة التي تراوحت في أهميتها بين كونها عاصمة لسلالة حاكمة أو مزاراً دينياً كبيراً

أو مركزاً تجارياً ناهيك عما يتبعها من قصبات وبلدات صغيرة تحيط بها إحاطة السوار بالمعصم ، ومن الطبيعي أن هذه المدن كانت تنتشر في مناطق متجاورة وأحياناً متداخلة مما يؤدي إلى نشوب المعارك الصغيرة فالحروب ما بينها ، ولهذا كان من الصعب على سكان القسم الجنوبي من وادي الرافدين التسلل بأعداد كبيرة إلى المدن المسورة ، لاسيما وأنهم كانوا يعيشون في مستوطنات غير مسورة في بيوت من الطين أو الخيام أو صرائف القصب والبردي ويعيشون أما على زراعة المسطحات المائية أو المناطق الزراعية الريفية أو على رعي الأغنام والمواشي وصيد الأسماك وتربية الجاموس الوحشي حتى مجيء الأبل (الجمال) في منتصف القرن الثاني عشر ق.م وتكاثرها في المناطق الصحراوية .
ولهذا أرتأت القبائل الكبيرة في هجراتها الواسعة من جنوب العراق وأمتداداته الساحلية حتى قطرايا سلوك الطريق الصحراوي الغربي الذي يقع داخل الحدود الرافدية القديمة التي تشكل مدن الفرات الأعلى كمدينة ماري ودير الزور وصوار والحسكة والقامشلي والرقة حتى حران الإمتداد الطبيعي لبلاد وادي الرافدين القديم ، (ذلك أن سوريا القديمة أوبلاد حاتي كما كانت تسمى في القديم كانت تتألف من المدن الساحلية والمدن القريبة والمجاورة منها والتي تمتد على طول الساحل المتوسطي من منطقة الإسكندرونة الحالية حتى بوابة صحراء سيناء أي مدينة خان يونس الحالية) .
وتأكيداً لما طرحه العلماء المختصون منذ عدة عقود يكفي أن نستشهد بسور (موريق تدنيم / مانع المتسللين) الذي بدأ ببنائه الملك شوسين ٢٠٣٧-٢٠٢٩ ق.م في السنة الرابعة من حكمه أي في نحو عام ٢٠٣٤ ق.م وأكمل إستحكاماته آبي سين ٢٠٢٨-٢٠٠٤ ق.م آخر ملوك سلالة أور الثالثة أو كما تسمى بالإمبراطورية الأورية أو عصر السومريين الذهبي لصد هجرات قبائل العامورو وبالسومرية (مارونو) والمعنى واحد أي الغربيين ، حيث أمتد على مسافة تقرب من ٢٧٥ كم ، ووصف بحسب (رسالة غير كاملة) بسبب تشوه بعض معلوماتها وتعود إلى فترة حكم الملك شوسين ، بأن بدايته كانت في موضع ما بين مدينتي هيت والرمادي الحاليتين لينتهي قرب قناة أبكلات بين بغداد (بعل داد / أدد بعل = الرب) والفلوجة ، لكن دراسات لاحقة أثبتت بأن ذلك السور كان يمتد من شمال غرب بحيرة الحبانية إلى التلال الكائنة بين بغداد والفلوجة ، ولو قمنا بسحب خط بين الموقعين لوجدناهما يمتدان داخل الحدود العراقية الحالية التي هي أصغر بكثير من الحدود الأصلية لوادي الرافدين القديم مما يؤكد بأن تلك الهجرات الجنوبية القديمة (الأكدية العمورية) كانت هجرات داخلية تتشابه جملة وتفصيلاً مع الهجرات التي كانت وما تزال تشهدها المدن العراقية المتقدمة إجتماعياً وأقتصادياً قياساً بالأرياف والقصبات النائية المحيطة بها وذلك على طول التاريخ العراقي .
ولو تفحصنا آخر تلك الهجرات القديمة (الآرامية) بشيء من التمحيص لوجدنا أن الهجرة الآرامية للمدن العراقية قد أخذت مسارين تاريخيين أولهما منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ، حيث قصدت القبائل الجنوبية التي كان هدفها وسط العراق المرفه والمستقر أقتصادياً البادية العراقية الغربية من أجل إختراقه من المنطقة الواقعة بين بابل ومدينة ماري وهي منطقة واسعة ومقفرة ، ولكنها لم تتمكن من التسلل إلى الإقليم البابلي بسبب تواجد دولتين مهمتين أولاهما في وسطجنوب وادي الرافدين وتحديداً في عهد الملك البابلي شوموآبوم

١٨٩٤-١٨٨١ ق.م والثانية في شمال الرافدين وذلك بعد توسع الملك الإيشنوني شمشي أدد الأول ١٨١٣-١٧٨١ ق.م وأحتلاله لمدينة آشور الشوبارية ، علاوة على تواجد سلالة ماري القوية ١٨٥٠-١٧٦١ ق.م في الفرات الأعلى والتي تمكنت من التوسع حتى حلبو (حلب الحالية) ، كان وجود هذه السلالات القوية عاملاً قوياً دفع المهاجرين الجنوبيين نحو الغرب الرافدي في حركة غير مستقرة على مدى بضعة قرون أنتهت بتأسيس دويلات مدن في مستوطنات محلية لم تعرف سلالات حاكمة من قبل أشهرها مملكة دمشقا وهو ما يمثل الإتجاه الأول لتلك القبائل التي تبدلت تسميتها الإجمالية عبر القرون .

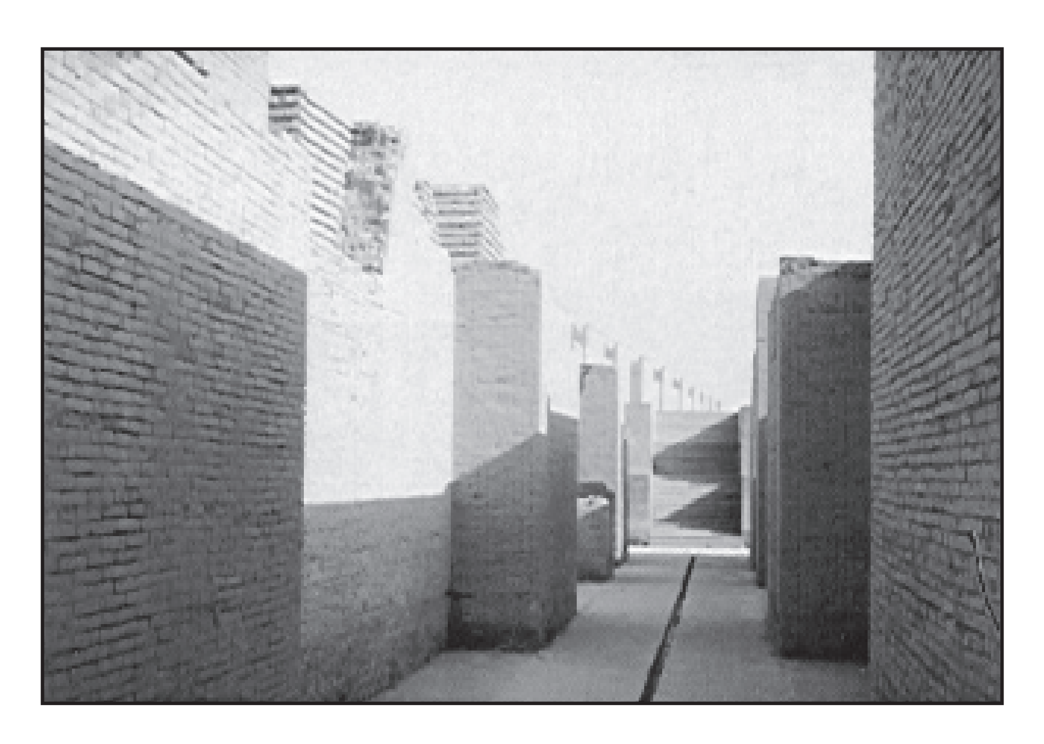
فقد حملت في أول الأمر أي منذ أواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن الرابع عشر لما قبل الميلاد تسمية (أحلامو) التي جاءت مدونة في مدونات تل العمارنة القرن الرابع عشر ق.م ، وفي القرن الثاني عشر ق.م جاءت تسمية تلك القبائل بشكل (أحلامو آرامو) حتى غلبت عليهم منذ مطلع القرن العاشر ق.م أي بعد تمركزهم في منطقة الهضبة الغربية تسمية (آرامو) ، وهي المرحلة الثانية من هجرة تلك القبائل الجنوبية الرافدية القديمة .

ويشير العالم الآثاري والمؤرخ الفرنسي المعروف أ. دوبون سومر بأن (آرامو) كان فخذاً من (الأحلامو) أخذ بالتوسع والقوة والسيطرة حتى غلبت تسميته على الأصل أحلامو ، وقد نجح الآراميون منذ القرن التاسع للميلاد بدخول المواقع البابلية المرفهة وتأسيس مستوطنات واسعة خاصة بهم ، ويتأكد هذا من وثيقة ملك دولة آشور شمشي أدد الخامس في حملته على بابل عام ٨٢٣ ق.م التي يذكر فيها أنه واجه قوة مشتركة تتألف من القوات الرسمية للعاصمة بابل والإمارات الكلدانية مع حلفائهم من قوات عيلامتو ونمري وقبائل آرومو (مما يؤكد أن الآراميين آنذاك بدأوا يشكلون ثقلاً عسكرياً يؤخذ به بنظر الإعتبار) ، ولو قمنا أيضاً بمراجعة أخرى لمسار توسع العموريين في الشرق القديم لوجدناه مشابه تماماً لمسيرة حركة الآراميين اللاحقة ، حيث انقسم العموريون إلى مجموعتين أسست المهاجرة منها إلى الساحل السوري عدداً من الإمارات والممالك الشهيرة فيما تمكنت المشرقية منها من تأسيس دول مهمة منها بابل وآشور .

وتشبه دورة العموريين والآراميين إلى حد بعيد الدورة التي قامت بها القبائل اللرية المعروفة بالكشيين فعندما حاولت هذه القبائل أن تستقر في وسط العراق المرفه واجهت مقاومة عنيفة من خلفاء حمورابي ومنهم الملكين شمشو إيلونا وآبي إيشوخ وبسبب العداء ما بين قبائل الكشيين الجنوبيين وقبائل شمال جبال زاكروس كالكوتيين وللولوبيين لم يتمكنوا من الأتجاه شمالاً فأستخدموا الثغرة ما بين الدير وخانقيين وتوجهوا منها إلى إقليم خانا (عانة) وأستقروا فيه على عهد ملكهم الأول كنداش المعاصر لشمشو إيلونا وتطبعوا خلال القرنين اللاحقين بالثقافة واللغة الرافدية (البابلية) ، وعندما تمكن الحيثيون من إسقاط الإمبراطورية البابلية القديمة في عهد الملك سمسو ديتانا ١٦٢٥-١٥٩٥ ق.م دخل الكشيون الصورة ولكن هذه المرة (كرافديين وكحماة لبابل) ، وذلك في عهد ملكهم آكوم الثاني المعروف بأسم آكوم كاكريما ١٥٩٥-١٥٨٥ ق.م الذي أعاد لبابل تمثال إلهها الوطني مردوخ وزوجته صربانيتم اللذين أسرهما الحيثيون ، فدخل بابل دخول الملوك الوطنيين المنتصرين على الأعداء .

وهكذا يتبين لنا أن طابع الجغرافيا السياسية لمنطقتي وسط وجنوب الرافدين (وجود دويلات مدن قوية على طول التاريخ القديم) قد لعب الدور الحاسم في توجيه الهجرات الرافدية

الجنوبية بإتجاه البادية الغربية التي لا تتواجد فيها مدن تعرقل من حركة المهاجرين ، وبالتالي أدى هذا العامل الحاسم إلى تحديد مساراتها التقليدية وإلى إشاعة التصور المغلوط عن الهجرات الجزيرية التي تم دحضها منذ منتصف العقد السبعيني بشكل حاسم .
وبديهي أن عامل الهجرات الداخلية ما بين المناطق الرافدية عمل على شدة لحمة السكان وتطور الرافدين بشكل سلسٍ وأنسيابي على الرغم من شدة الطموحات السياسية لمراكز القوى الرافدية ، ولهذا أيضاً كان وادي الرافدين (وحدة متكاملة) منذ عصر الرافديين الأوائل / الكلدان الأوائل حتى نهاية الدولة البابلية الحديثة (الكلدان الجدد) ، علاوة على أن أصالة السلالات الحاكمة ووحدتها الثقافية وإنسيابية تطورها الإجتماعي واللغوي قد أدى إلى سيطرة وادي الرافدين (ثقافة ولغة) على الشرق القديم كله لما يزيد على خمسة آلاف عام ، وإلى إستمرار هيمنته (لغة وثقافة) بعد فقدان إستقلاله السياسي حتى أواخر القرن التاسع للميلاد ، أي طوال ما يزيد على ألف وخمسمائة عام أخرى وبمعنى آخر ما يزيد على ستة آلاف ومائتي عام ، وهي مسألة أذهلت العلماء من آثاريين ومؤرخين على حد سواء .



تفصيل من مدينة بابل (شارع الموكب/ شارع مردوخ)

تماثيل اللاماسو (الحيوانات المجنحة الحارسة)
هل هيّ من مبتكرات إقليم آشور حقاً ؟

للإجابة على سؤال من هذا النوع ، لا بد لنا أن نشرح معنى كلمة لاماسو -Lamasu- والأصل اللغوي لهذه المفردة قبل أن نبين أصل هذه التماثيل الرافدية التي يعتقدها العامة مبتكرات محلية خاصة بإقليم آشور ، أن المعنى الحرفي لكلمة (لاماسو) هو (الحامي أو الحارس) ، ومن أشهر الأماكن القديمة في العراق القديم التي دخلت في تركيب أسمائها هذه المفردة هو القسم الجنوبي من شارع الموكب والذي كان يسمى عشتار لاماسو أومياشو -Ishtar Lamasu ummaishu- ومعناه عشتار حامية الجيوش ، أما أصل كلمة -La-mas su- الأكدية أي لغة الوسط جنوبيين وبمعنى آخر لغة (سكان الإقليم البابلي) فهيّ كلمة -Lama- السومرية كما يعتقد البعض من المؤرخين ، لكن حقيقة الأمر كما يثبت هذا البحث هو العكس تماماً ، بدليل أن (لاماسو أريدو) كان موجوداً في مستوطن أسلاف الكلدان القدماء بناة أريدو قبل هجرة السومريين من إقليم الشمال بما يقرب من ألفي عام ، كما أن هذه المفردة في أول عهدها كانت تطلق على الجنيات الأناث الحارسات فيما يطلق على الجن من الحراس الذكور تسمية -Shedu- الأكدية وتسمية -Alad- السومرية ، وعلى كل سواء كانت المفردة السومرية أو الأكدية هيّ الأصل بحسب وجهتي النظر اللتين أوردتهما ، فإن أول إستخدام لهذه المفردة كان في وسط وجنوب العراق وليس في إقليم الشمال ، وقد كان ذلك قبل غزو الشوباريين (بناة مدينة آشور) لشمال وادي الرافدين بما يقرب من ثلاثة آلاف عام !!!

أن أقدم أشكال التماثيل الحارسة التي عثر عليها في العراق القديم كان تمثال أسد أريدو (بأرتفاع متر و ٦٤ سنتيمتر) والذي كان يحرس معبد الإله إنكي / أيا ، كما عثر في مدينة شادوبوم -Sha du pu um, ki- في بغداد (تل حرمل) على أسدين حارسين من الفخار بذات الهيأة كانا يحرسان المعبد الكبير في مدينة شادوبوم واللذين يرجعان إلى العهد البابلي القديم ، وتشير المدونات البابلية من العهدين البابلي القديم والحديث إلى وجود تماثيل مجنحة لأسود وثيران برؤوس بشرية كانت تحرس بوابة عشتار والمعابد الرئيسة للمدينة ، وكانت التماثيل التي تمثل الذكور تدعى الإله الحارس -ala d lammu- بحسب قراءة جيرمي بلاك وأنثوني غرين للنصوص المسمارية أما التماثيل الحارسة المعبرة عن الأناث فكانت تدعى -Apsasu- وقد أنتقلت هذه التسميات إلى إقليم الشمال مع الهيمنة الأكدية في عهدي سرجون الكبير وحفيده نرام سين وكذلك مع البابليين العموريين الذين أسسوا الدولة الآشورية في عهد شمشي أدد الأول ، التي أتسعت وترسخت في العهد الإمبراطوري أي في عهد الأسرة السرجونية فأستقدمت الفنانين -Umana- والكتاب -Dub Sar- البابليين سواء بالترضية أو بالإكراه مع المهجرين من البلدات الكلدانية في وسط وجنوب الإقليم البابلي إبان التهجيرات الكبرى وذلك لإستنساخ المدونات البابلية وتنفيذ الأعمال الفنية ومن بينها تماثيل اللاماسو العملاقة التي ترمز للتابع الحيواني لإله الحكمة الوسط جنوبي الشهير ننار / سن إله مدينة أور الكلدان الشهير الذي عبد بذات القوة والفاعلية من قبل السومريين والأكديين على حد سواء ، وقد أدت الصدف الحسنة والتقارير التي كانت تشير إلى وجود كسرات أثرية في بعض تلول نينوى إلى إكتشافها أول الأمر في إقليم آشور .

ولعل من أشهر النحوت والرسوم التي تمثل مخلوقات (اللاماسو البابلية) الأصل والأقدم عهداً من تماثيل كلخو وكذلك المخلوقات المجنحة المركبة الأخرى ، هو حجر ميشو الشهير -Michaux- الذي أرسله عالم النباتات الفرنسي ميشو إلى المكتبة الوطنية في باريس عام ١٧٨٦ م وكان من بين الأشكال التي ترمز للآلهة رمز الإله أيا (الجدي السمكة) ولكنه صور هنا مجنحاً ، ومعروف لدينا بأن من الأعمال المناطة بهذا الإله هو حماية البشر بدليل أسطورة الطوفان البابلية ، ومن تلك الأعمال الشهيرة أيضاً ما أكتشف منها من العهد البابلي القديم في قصر زمري ليم ١٧٨٠-١٧٦٠ ق.م -Zimri-lim- في ماري الذي أحتوى على أسود وثيران مجنحة برؤوس بشرية منفذة بالألوان وبأسلوب التصوير الجصي -Fresco- ، ومدينة ماري كما يعرف المختصون هيّ عاشر مدينة حاكمة من مدن ما بعد الطوفان في الإقليم البابلي والتي تأسست قبل بناء كلخو بما يزيد على ألفي عام ، كما أن قصر ماري هذا كان قد بني في حدود ٢١٠٠ ق.م أي قبل تأسيس الدولة الآشورية ذاتها بما يقرب من ثلاثة قرون .

كما وصلتنا من لارسا أختام إسطوانية تحتوي على نقوش لحيوانات ذات رؤوس بشرية ، وكذلك جاءتنا أختام من الفترة الأكدية تحمل ذات الموضوعات ولعل من أشهرها تلك الأختام التي تصور الإله شمش برفقة وزيره ميشارا مع مخلوق برأس بشري يعبران البحر الكوني بواسطة زورق ، ولعل من أشهر تلك الثيران المجنحة القديمة هو الثور السماوي الذي خلقه آنو لعشتار وتمكن جلجامش وأنكيدو من قتله ، ومن الفترة الأكدية أيضاً وصلنا ختم الإله أشكور أحد الأشكال القديمة للإله أدد وهو يمتطي عربته السماوية التي يجرها الأسد المجنح وهو المخلوق الشهير اساكو أو كما يسمى أنزو وأساج وأمدوجود الذي أشتهرت نحوته في العهد البابلي القديم الذي وصلتنا منه أيضاً مجموعة كبيرة من الأختام الإسطوانية التي تحمل تفاصيلها ثيران وأسود مجنحة برؤوس بشرية وحيوانية .

كما جاءتنا من السلالة البابلية الكشية أختام أحتوت على مشاهد لخيول مجنحة ، لكن السبب الوحيد لشهرة لاماسو كلخو أي المخلوقات المركبة المجنحة التي يعتقدها العامة خطأ من بنات أفكار سكان إقليم الشمال (آشور) ، ومنجزاً شمالياً محضاً رغم معرفة المختصين بأنها من إبتكار مدنيات الإقليم البابلي منذ عصر الكلدان الأوائل ، إنما يعود للضخامة الهائلة التي تميزت بها تلك الآثار التي جاءتنا من إقليم آشور ، ولا سيما التماثيل التي جلبت من نمرود / كلخو حيث تأثر ملوك آشور بالحجوم الكبيرة للتماثيل المصرية ولاسيما بعد غزوهم لمصر القديمة .

والحق إن كانت النحوت البابلية والسومرية وكذلك الرسوم التي تناولت هذه الموضوعات منذ القدم تتصف برقتها ورهافة خطوطها وبراعة نقشها ولاسيما في الأختام الإسطوانية وبخاصة ما جاءنا من العهد السومري القديم والعهدين الأكدي والبابلي القديم ، غير أن ما جاءنا منها من إقليم آشور قد أمتاز بتعبيرية عالية وأسلوب زخرفي راق ومعالجة رائعة في تصوير العضلات لم تتمكن أي مدنية في العصور الماضية من مضاهاته في الروعة والأناقة ورهافة الحس الفني ، علاوة على أن المنجز الذي جاءنا من آشور يعتبر خلاصة للتطورات السابقة لتماثيل اللاماسو التي أبتكرت في الإقليم البابلي ، لا سيما وأن القطر العراقي القديم كان يقوم على وحدة ثقافية مصدرها هو الإقليم البابلي .

وهكذا يتبين بأن اللاماسو (كمفردة لغوية وكإبتكار فني) إنساني وجدا من أجل خلق حصانات متخيلة لحماية البشر من الأرواح الشريرة ومن شرور البيئة وما يحيط بالبشر من أخطار ميتافيزيقية ، إنما هو من إبتكار الكلدان الأوائل في أريدو وكيش وغيرها من مدن وسط وجنوب وادي الرافدين وليس إبتكاراً محلياً خاصاً بإقليم آشور .



جدارية ملونة من العصر البابلي القديم تحتوي على ثيران وأسود مجنحة من قصر (زمري لم) الذي بني قبل تأسيس الدولة الآشورية بثلاثة قرون

سنة آشورية .. أم سنة كلدانية بابلية ؟

مع أن كلدان مدينة ديترويت كانوا منذ عام ١٩٩٧م وبإقتراح من مدير المركز الثقافي الكلداني الأمريكي في ديترويت عامر فتوحي (مؤلف الكتاب) قد طرحوا فكرة كتابة التاريخ القومي الكلداني مع التاريخ الميلادي في المراسلات الرسمية للمركز إلا أن ذلك لم يتم العمل به إلا عندما ترسخ إستخدامه بعد عام ٢٠٠٠م ، وبخاصة بعدما بدأ بعض الشباب الناشطين من الكلدان في أستراليا بطرح ذات الموضوع ، حيث وصلني شخصياً ما يؤكد هذا بواسطة المهندس (بسام فريتي) الذي طرح بدوره مجموعة من الإستفسارات والأفكار التي أتسمت بالإيجابية ، ونتيجة لتزايد طروحات الكلدان في بلدان المهجر ولاسيما من قبل جمعية الثقافة الألمانية العراقية / مجموعة المهندس عماد حنا والمجموعة الكلدانية في فرنسا / مجموعة المهندس ليث دانيال ، ولأهمية الإتفاق على تاريخ علمي موحد ومدعم بالدليل العلمي فقد طرح الموضوع لدراسة موسعة وبعد عدد من الجلسات بين مندوبين من منظمة المركز الثقافي الكلداني في ديترويت وهي أقدم منظمة ثقافية قومية مسجلة في الولايات المتحدة منذ عام ١٩٧٤م وبين ممثلين من الرابطة العالمية للفنانين المحترفين الكلدان التي تضم أرفع الدرجات العلمية في مجالات الفنون التشكيلية والتاريخ والعمارة فقد تم الموافقة على دراسة الباحث عامر فتوحي المعنونة (التاريخ الكرونولوجي للأمة الكلدانية) التي كانت قد قدمت عام ١٩٩٧م للجنة التراثية التابعة للمركز الثقافي الكلداني الأمريكي في مدينة ديترويت (المدينة الكلدانية) كما أدرجت بشكل مختصر منذ عام ٢٠٠٠م في الصفحة الرابعة لموقع الأنترنيت لعلم الكلدان القومي (www.chaldeanflag.com) ، وهكذا بدأت المراسلات الخاصة بهاتين المنظمتين بإستخدام التاريخ القومي الكلداني الذي يبدأ بعام ٥٣٠٠ ق.م الخاص بتأسيس أريدو عاصمة الكلدان الأوائل إلى جانب التاريخ الميلادي ، كما صارت المراسلات الشخصية تستخدم هذا التاريخ بعد أن نشر المركز الثقافي الكلداني أول تقويم قومي كلداني عام ٢٠٠٢ ميلادية حمل التاريخ القومي الكلداني ٧٣٠١-٧٣٠٢ كلدانية ، ذلك أن السنة الكلدانية تبدأ في الفاتح من نيسان من كل عام .

ومن الجدير بالذكر أن الأحزاب السياسية الآشورية (مصطلح سياسي) قد دأبت على إستخدام تاريخ ٤٧٥٠ ق.م كبداية للتاريخ القومي الآشوري ، ولأن الحكمة تقول : (الشك أساس اليقين) ، فأنني سأسعى هنا لإثبات بعض الحقائق العلمية المادية التي تدحض هذا التصور الخاطيء ، بخاصة بعد أن أوضحت كيفية أعتماد الكلدان لتاريخهم القومي الذي أدرجته مختصراً في فصل (التاريخ الكرونولوجي للأمة الكلدانية) .

في المقابل صار البعض من الناطقين بالسورث يبتكر بدوافع سياسية مصطلحات لا تخضع لمنطق التاريخ متناسين أن حقائق التاريخ المادية قد أثبتت وبشكل لا يقبل الجدال ، بأن حسابات البيادر المتخيلة لأمثال هؤلاء المتحمسين هي غير حسابات الحقل تماماً ، ومن تلك التسميات المطروحة مؤخراً تسمية السنة (الكلدوآشورية) والسنة (البابلية الآشورية) ولأننا أثبتنا بالحجة العلمية خطل التسمية كلدوآشور فإننا لن نناقش مصداقية هذه التسمية لأن المقدمات الخاطئة لا يمكن أن تؤدي إلا إلى نتائج خاطئة بالضرورة .

أما بالنسبة لتسمية السنة البابلية الآشورية فإننا كنا سنخوض فيها لو كان ينطبق عليها الفهم

القومي الذي يحتمي به هؤلاء المنظرون ، لا سيما وأن هاتين التسميتين تعودان لدولتين سادتا ثم بادتا ، ولأنهما كذلك ولأن التاريخ الذي يعتمده البعض لا يعتمد على أسس قومية فإن إضفاء أبعاد قومية على هذا المصطلح (بابلي آشوري) هو مجانبة للصواب وللواقع التاريخي .
ولكن ماذا بخصوص ما يروج له البعض بصفة (سنة قومية آشورية) ؟ وبالتالي ما هيّ حقيقة التاريخ المعتمد لمثل هذه السنة لو كانت هنالك مثل هذه السنة القومية فعلاً ؟
أن ما يدعوني لتوضيح ذلك هو ترديد العامة لفكرة خاطئة هيّ آشورية أصل عيد الأكيتو (العيد البابلي الكلداني) وأيضاً الإعتقاد غير الواقعي بقدسية الرقم الخيالي ٤٧٥٠ ق.م كبداية لتاريخ (تقويم) دولة آشور الذي يردده كلدان الجبال (الآثوريون) بعفوية أو بقصدية تدعو للإبتسام ، الأنكى أنه صار يستخدم بسبب من تكراره المبرمج حتى في كتابات المثقفين والسياسيين الكلدان دون الرجوع للمختصين ودونما تفكير أو تمحيص في جلية الأمر ؟!
بالنسبة لي كمختص لا يمكنني أن أقبل التاريخ البدئي للسنة (الآشورية) الخيالي ٤٧٥٠ ق.م ، لأن تاريخ الدولة الآشورية وهي هنا ليست الأمة الآشورية (المتخيلة الذي أثبتنا عدم وجودها الواقعي) لا يتعدى ٧٥١ عام بحسب مؤسس الدولة الفعلي آشور أوبالط الأول ١٣٦٣-١٣٢٨ ق.م ، بل أنه لا يتعدى ١٢٠١ عام بحسب شمشي أدد الأول العموري ١٨١٣-١٧٨١ ق.م مؤسس دولة الإقليم ، لذلك فإن مثل هذا الرقم الخيالي المستخدم اليوم ٦٧٥٤ ق.م إنما يتجاوز على الواقع التاريخي من ناحيتين وهما :
-١ أن التاريخ الفعلي للدولة الآشورية المنقرضة لا يتجاوز في أقصى حدوده ١٢٠١ سنة أي منذ ١٨١٣ ق.م ولغاية ٦١٢ ق.م وهو التاريخ الفعلي للدولة الآشورية وهو بالضرورة ليس التاريخ الخاص بالآشوريين الأوائل لأن الآشوريين الأوائل كما بينا هم (الشوباريون) بناة مدينة آشور بحدود ٢٠٠٠ ق.م .
وعلى إفتراض أن تلك الدولة البائدة (آشور) ما تزال مستمرة حتى يومنا هذا (بحسب إدعاءات هؤلاء الموهمين) ، فإن تاريخها السياسي ما كان ليتعدى ٣٣٦٧ عام بحسب تاريخ آشور أوبالط الأول ، أو ٣٨١٧ عام بحسب تاريخ شمشي أدد الأول ، ومع ذلك فإن هنالك فارق زمني هائل بين التقويم الفنتازي الذي تعتمده الأحزاب الآشورية وبين التواريخ الفعلية أو تلك المقترحة التي أفترضناها لغرض زيادة عدد السنوات الفعلية التي عاشتها تلك الدولة المنقرضة ، وهذا الفارق الزمني الهائل لايقاس بعشرات أو مئات السنين وإنما يتراوح عملياً بين ٥٥٥٣ عام وبين ٢٩٣٧ عام ؟!!
-٢ أن الآشورية كما بينا ليست تسمية قومية ، لأنها ترتبط قبلياً بالشوباريين الذين لا تتعدى معرفتنا بهم أكثر من أنهم كانوا مجاميع من الشعوب الهندوأوربية الجبلية البدوية ولا نعرف هل كانوا يتحدثون بلغات متعددة أم بلغة واحدة مشتركة تجمع بين مجموع القبائل التي غزت المستوطن الزراعي السومري الذي حوله كيكيا الشوباري بحدود ٢٠٠٠ ق.م إلى مدينة . لذلك لا يمكن لنا أن نقطع بأصلهم العرقي وبشكل أدق هل كانوا عرقاً واحداً أم مجموعة أعراق ؟
ذلك أن العديد من الشعوب حملت تسمية واحدة أخذوها عادة من المناطق أو الشعوب التي سكنت في موقع ما قبلهم ، وخير مثال على ذلك تسمية (الحيثيين) وهم مجاميع قبلية كبيرة

من الشعوب التي تتحدث بثلاث لغات هندو أوربية مختلفة هي اللويانية والبلايكية والنسايتية لكنها تسمت جميعاً بأسم الحيثيين بعد فتحهم لمركز هضبة الأناضول التي كانت تسمى محلياً حاتي ، وهو تماماً ما حدث للعموريين المنحدرين عن أسلاف الكلدان القدماء بعد فتحهم لمدينة آشور الشوبارية حيث تكنوا بتلك التسمية الإقليمية بعد سكنهم في مدينة آشور ، ويؤكد العالم ليو أوبنهايم ذلك بقوله : أن شمشي أدد الأول كان فاتحاً أجنبياً عمورياً (بمعنى غير شوباري) أغتصب مدينة آشور (من الشوباريين) وحاول خلق دولة إقليمية في بلاد ما بين النهرين العليا .

ولولا معرفتنا بلغة العموريين لما تمكنا من إرجاعهم عرقياً إلى أسلاف الكلدان القدماء ، ذلك لأن لغتهم ليست أكثر من لهجة تتشابه مع لهجة الفترة الأكدية التي ترجع بدورها إلى اللغة الأم أي لغة الأريدويين الكيشيين (نسبة لمدينتي أريدو وكيش) أي الكلدان الأوائل .

والآن وبعد أن بينا أن الرقم الخيالي للسنة الآشورية ليس أكثر من مغالطة غير علمية تفتقد للمنطق وتتعارض مع الإثباتات المادية ، وبعد أن أثبتنا عدم صحة إطلاق صفة القومية على مثل هذه السنة لجهلنا بتفاصيل الإنتماء العرقي للآشوريين الأوائل (الشوباريون) من ناحية ، ولكون من تسموا من العموريين والآراميين والكلدان الجدد المهجرين من الإقليم البابلي ليسوا من الشوباريين (بناة آشور) ، وبأن إطلاق هذه التسمية المجازية عليهم لا تتعدى تسميتنا لجميع العراقيين من مختلف الأعراق اليوم بالعراقيين نسبة للإقليم (العراق) ، لذلك فإن أحفاد الكلدان الأوائل من مهاجرين أو مهجرين إلى إقليم آشور ليسوا آشوريين قومياً ، لأن الآشورية لم تكن في القديم تسمية قومية ، ولأن هؤلاء المهاجرين والمهجرين كانوا جميعاً ودونما إستثناء ينتمون لغة وعرقاً إلى الكلدان الأوائل سكان وادي الرافدين الوسطجنوبيين الأصليين .

بقي تساؤل واحد وهو ، هل كان (أكيتوا) إبتكاراً من إبتكارات سكان إقليم آشور كما يدعي البعض بذلك ؟

من المعروف أن دولة آشور كانت كما أشرنا سابقاً قد أنشئت كإقليم صغير على زمن الملك العموري شمشي أدد الأول ١٨١٣-١٧٨١ ق.م ثم أختفت من المشهد العراقي لبضعة قرون لوقوع الإقليم تحت الهيمنة الميتانية فالحيثية حتى ظهرت ثانية على عهد آشور أوبالط الأول ١٣٦٣-١٣٢٨ ق.م ، وحتى وقتذاك لم يصلنا أي دليل مادي على إعتماد الإقليم الشمالي لمناسبتي زاكموك وأكيتي بسبب عدم إعتراف الغزاة الميتانيين والحيثيين بالمناسبات الوطنية للإقليم البابلي التي كانت معروفة في العهد الأكدي وكانت أور الكلدان هي مركز الإحتفالات الرسمي حتى أنتقل المركز إلى بابل في عهد السلالة البابلية الأولى .

الواقع أن هذا التقليد كان قد بدأ في أريدو ثم أنتقل إلى أوروك قبل أن يستقر في أور حتى مطلع العهد البابلي القديم ، وفي الوقت الذي لا توجد فيه أية إشارة لممارسة إحتفالات زاكموك وأكيتي في إقليم الشمال (قبل السلالة السرجونية) كما أشرت سابقاً ، فإن هاتين المناسبتين كانتا معروفتين في الإقليم البابلي (سومر وأكد) منذ عصر أريدو بدليل أساطير الخلق السومرية وأساطير رحلات آلهة المدن القديمة التي ذكرت أريدو وإلهها الرسمي أيا والد الإله ماردوخو ، ولهذا يستخدم الكلدان تاريخ (٥٣٠٠ ق.م) كتاريخ بدئي للإحتفال بمناسبة عيد رأس السنة الكلدانية البابلية لكون أريدو هي عاصمة الكلدان الأولى وبابل هي

قبلتهم .
أما عن تثبيت الإحتفال برأس سنة واحدة بدلاً من الإحتفال في مناسبتين (زاكموك وأكيتو) ، فإن المدونات التاريخية تثبت بأن تنظيم الإحتفال بشكله النهائي إنما يعود إلى السلالة البابلية الأولى التي يعود لها فضل إعتماد الأول من شهر نيسان وتعديل الطقوس الإحتفالية لتلك المناسبة الهامة ، وقد نشرت ذلك مفصلاً في مجلة (بابل اليوم) في عددها الثالث السنة الثانية ١٩٩٩م .
والحقيقة فإن مطلع الألف الثاني قبل الميلاد هو تاريخ حسم مكانة مناسبتي أكيتو وزاكموك ، إذ تم على عهد هذه السلالة العمورية التي تتحدر عن الكلدان الأريدويين الأوائل ترتيب حلقات الحياة بشكلها شبه النهائي في حياة سكان ما بين النهرين ، سواء من الناحية الدينية أو الإقتصادية أو الإجتماعية ومنها توحيد التقويم فصار الإحتفال الرسمي بعيد أكيتو في بابل يمثل عيد رأس السنة ، ولا تجرى إحتفالات المدن الأخرى وبضمنها أحتفالات مدن كلخو وآشور ونينوى إلا بعد الإنتهاء من الإحتفال الرسمي في بابل ، فيما صار يحتفل في الخامس عشر من شهر أيلول بعيد التجدد أو عيد شجرة الحياة (النخلة المقدسة) .
وهكذا يتبين بأن العراقيين القدماء كانوا يحتفلون بعيد رأس السنة (أكيتو) بشكل رئيس ومركزي في بابل ، أي أنه كان عيداً وسط جنوبي ولم يكن من إبتكار إقليم آشور ، كما أن الوسط جنوبيين من الكلدان الأوائل كانوا يحتفلون به منذ عهد أريدو ٥٣٠٠ ق.م فيما لم تعرف مدن الإقليم الشمالي هذه الإحتفالات رسمياً إلا في حدود ١٢٠٠ ق.م ، وذلك أثر نقل توكلتي ننورتا الأول لتمثال الإله مردوخ (البابلي) إلى إقليم آشور مما أدى إلى إحتفال السكان بعيد أكيتو الذي تدور أحداثه حول تنظيم مردوخ للكون وهو ما يدحض تماماً المغالطة التي تشاع من قبل البعض حول عائدية عيد أكيتو لإقليم آشور .
في المقابل ، كنا قد أثبتنا إنحدار كلدان اليوم عرقياً عن الكلدان الأوائل الأريدويين ، ولأن تاريخ أريدو كمدنية متميزة يرجع إلى ٥٣٠٠ ق.م فإن من حقنا نحن أحفاد الكلدان الأوائل أن نحتفل بسنتنا القومية الكلدانية عن قناعة ومنطق علمي تسنده الإثباتات المادية مبتدئين بعام ٥٣٠٠ ق.م .



موسيقيون من الإقليم البابلي يحتفلون بعيد الأكيتو (رأس السنة)

من تزوير إلى آخر

دأب بعض الكتاب على تصوير الكلدان بغير حقيقتهم كأمة قومية وكسكان أصليين لوطننا الأم عراق الرافدين (بيث نهرين) ، ومثلما سلخت المناهج التربوية الشوفينية هوية كل العراقيين وجيرتها إلى الحجازيين الغرباء عن وادي الرافدين ، هكذا يفعل هؤلاء الكتاب الذين يدعوننا بأسم الوحدة والأخوة إلى التخلي عن هويتنا الكلدانية وإنتمائنا الرافدي وأتخاذ هوية بديلة أجنبية شوبارية (بناة آشور) ، وبالتالي نكران أصالتنا في وطننا الأم بيث نهرين / وادي الرافدين من خلال إرجاع جذورنا القومية إلى أصول أجنبية هندوأوربية .

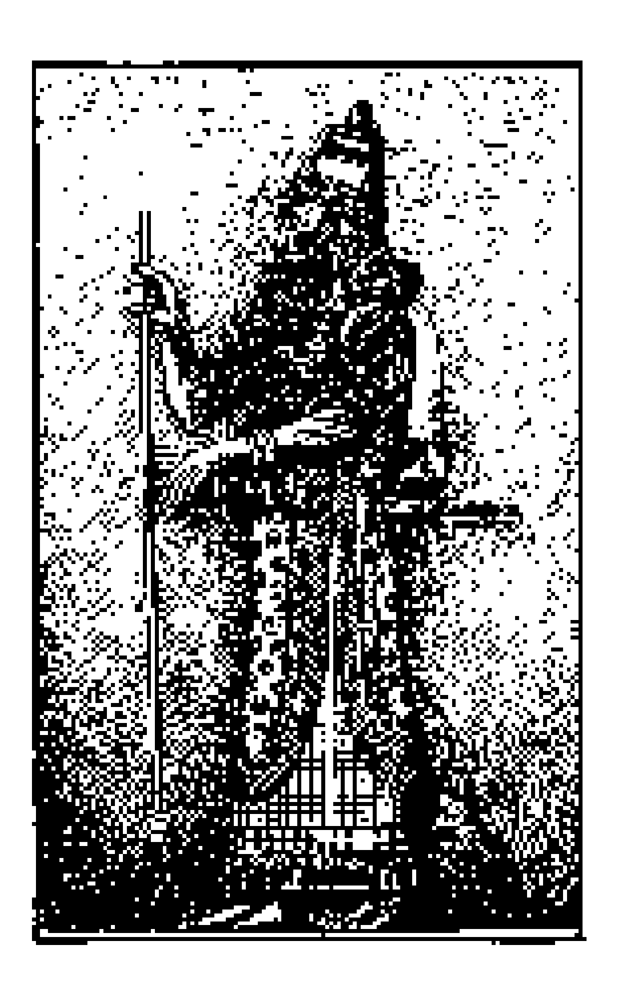
إن إضفاء الشرعية على مثل هذه الأساليب لن يخدم الكلدان الذين تؤكد كل المصادر التاريخية بأنهم كانوا قوميين ومؤمنين بهويتهم الوطنية الرافدية على الدوام ، لقد فعلها بالأمس سرجون الثاني عندما قام بأول محاولة للتزوير في التاريخ العراقي القديم والذي يورده كل من جورج روو وطه باقر على النحو التالي : تسنم ملك كلداني من بيت ياقين (إمارة القطر البحري) يدعى مردوخ ابلا إدينا (الإله المردوخ أعطى وريثاً) وهو مردوخ بلادان في العهد القديم ، عرش بابل في ذات السنة التي اعتلى فيها سرجون عرش آشور ، وبسبب النزاع ما بين بابل وآشور فقد زحف سرجون الثاني على الإقليم البابلي وواجه خصومه في منطقة الدير (بدرة / دور آنو- دور إيلو) بين نهر دجلة وجبال زاكروس ، وعند عودته إلى إقليم آشور أدعى بأنه قد حقق نصراً ساحقاً على البابليين ، لكن وثيقة بابلية عثر عليها فيما بعد أكدت بأنه قد خسر المعركة مع قوات طلائع الجيش البابلي التي كانت تتألف من وحدات عيلامية ، فيما كانت جيوش مردوخ أبلا أدينا تقوم بعمليات إكتساح للحاميات الآشورية في الإقليم البابلي ، للمزيد من التفاصيل أنظر المصدر-So-called "Assur Charter"- .

ولعل من التفصيلات الطريفة حول حادثة التزوير هذه ، أن مدونة الملك البابلي مردوخ أبلا إدينا قد تم العثور عليها في مدينة نمرود / كلخو حيث تكفل سرجون بجلبها من أوروك عام ٧١٠ ق.م ليبدلها بإسطوانة من الصلصال تحمل روايته الكاذبة والتي تختلف عن الرواية البابلية بشكل جذري ، ومما يؤكد حصول ذلك التزوير ، أن مردوخ أبلا أدينا قد حكم بابل أحد عشر عاماً بعد تلك المعركة التي أدعى سرجون الثاني فيها أنه أباد الجيش البابلي !

ويؤكد جورج روو بأن الملك البابلي (مردوخ أبلا إدينا) كان يتمثل بأخلاق الملوك العظام وليس بفضائح السادة البربريين (يعني هنا سرجون الثاني) ، حيث ترك ذلك الملك الكلداني العظيم آثاراً لإصلاحاته ونشاطاته العمرانية في مدن عديدة . وقد ذكر حادثة التزوير هذه أيضاً وبشكل مفصل الأستاذ طه باقر في كتابه الموسوعي(مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) على الصفحة ٥١٢ ، حيث يؤكد بأن وجود نص مردوخ أبلا إدينا في نمرود مرده هو (تزوير تاريخي متعمد) من جانب الملك الآشوري سرجون الثاني ، فما أشبه اليوم بالبارحة ؟!!

ولان الأبن على سر أبيه كما يقولون فقد عمد سنحاريب بدوره إلى تزوير نتيجة معركة هالول التي جرت عام ٦٩٤ ق.م بينه وبين خليفة مردوخ أبلا إيدينا الثاني الملك موشيزيب مردوخ ، حيث تمكن الأخير من دحر سنحاريب في هالول على تقاطع نهر دجلة بنهر ديالى ، فأنسحب سنحاريب بعدما تكبد خسائر فادحة بينما أحتفظ الملك الكلداني بعرشه ، لكن

سنحاريب يذكر في حولياته بأنه دحر الجيش البابلي وقتل منهم خلقاً كثيراً ، أما التسجيل البابلي فيبين كذب إدعاء سنحاريب الذي أنسحب إلى عاصمته ولم يحتك بجيش موشيزيب مردوخ إلا في عام ٦٩٠ ق.م حينما وصلت سنحاريب أنباء تفيد بإصابة الملك العيلامي بالشلل وفقدان موشيزيب حليفه القوي .



لوح يمثل سرجون الثاني ملك آشور

القسم الثاني
المشهد الحضاري في العراق القديم

لقد تناولت الكثير من الكتب والدراسات الحلقات الحضارية الرئيسة في العراق القديم بالدرس والتمحيص وقد نشرت المؤسسات الأكاديمية مئات المجلدات التي تتناول المعارف الرافدية القديمة التي يمكن الرجوع إليها عند الحاجة لمعرفة المشهد التفصيلي للحياة اليومية في وادي الرافدين ، لكنني في بحثي هذا أرتأيت أن أكتب عن هذه الجوانب المهمة من تاريخنا الرافدي بشكل مختصر مع التركيز علىٍ عدد من النقاط التي لم يتم تناولها بشكل دقيق وكذلك تلك التفاصيل التي لم يتم تناولها أصلاً لسبب أو لآخر ، ذلك أن مثل هذه الإشارات ستعزز بالحتم الجوانب التكميلية للبحث ، لهذا سعيت هنا لتناول ما تم التطرق إليه من قبل عدد كبير من الباحثين بشكل سريع مستثنياً من ذلك كما أشرت آنفاً بعض النقاط التي لم تقدم في دراسات منفصلة موسعة أو لورودها في معظم الكتب التي تتناول الحضارة الرافدية بشكل هامشي أو مبتسر وغير مباشر ، لذلك أرجو أن لا يستغرب القارئ الكريم تناولي وبشكل مكثف لموضوعات لم تستوقفه من قبل ، وفي المقابل مروري بشكل سريع على مواضيع أخرى واسعة وأساسية لبناء المشهد الحضاري الرافدي والتي تتوفر في دراسات واسعة ومتخصصة .

الفنون والعمارة :

كان لندرة الأحجار في العراق القديم أثره الكبير في توجه الفنانين الرافديين إلى إستخدام خامات بديلة يمكن أن توصل مشاعرهم وأحلامهم ورغباتهم للآخر بشكل حيوي ومؤثر ، وهكذا توجه الفنان الرافدي القديم إلى تطويع الطين كخامة حاملة بديلة دخلت بعد تشكيلها بالنار في منحوتاته وفخاره ، بل تجاوزتها إلى إستعمالها في فن العمارة بشكل مذهل ومثير حتى أن الفنانين في إقليم آشور وبلاد فارس إعتمدوا الطين المفخور في أعمالهم الفنية برغم توفر الحجارة فيها ، ومع تركيز الفنان العراقي القديم على منتجات الطين إلا أنه لم يحصر إبداعاته فيها ، لأنه استخدم كل المواد المتوفرة أو المستوردة لإنجاز أعماله الفنية كالحجارة بأنواعها والعاج والخشب والأصداف والمعادن من ذهب وفضة ورصاص ونحاس وسبائك البرونز ، مثلما أستخدم عظام الحيوانات والزجاج ، كما تمكن الفنان الرافديني القديم من إبتكار الطلاءات العضوية من منتجات نباتية وحيوانية علاوة على الطلاءات المعدنية ولاسيما طلاءات التزجيج والمينا .

تميز الفن في العراق القديم بتشعبه وتخصصه الدقيق فكان هنالك رسامون ونحاتون وسيراميكيون وكتبة متخصصون في الكتابة بشكليها الصوري والمقطعي بمرحلتيها الأولية والصوتية ولعل أقدم ذكر لنحات / فنان تشكيلي ما جاء في أثبات الملوكية حيث ورد أسم الملك نانّيا -Nanniya- بصفته نحاتاً بالأصل تمكن من أن يملك على كيش ، إذ كان نانّيا آخر ملوك سلالة كيش الرابعة ، أما أبرز النتاجات الفنية القديمة فكانت تتوزع على الأنواع الفنية التالية : الفخار والخزف ، الأختام المنبسطة والدائرية ، الرسم ، النحت بأنواعه المجسم والمحفور (البارز والغائر على الحجر والفضة والنحاس) وأحجار الكودورو والأحجار

النذرية المثقوبة المركز والمسلات والنحت المزدوج (ريليف مجسم) وأخيراً الريليفات المزججة (النحت البارز والغائر).
أما على صعيد العمارة فتمتاز العمارة الرافدية بإبتكارها لأبرز المعالم المعمارية المعاصرة كالعمود والقوس والقبة ونظام الرفع الهيدروليكي للمياه في الأبنية المرتفعة وشبكات تصريف المياه الثقيلة بمعنى النوعين الرئيسين للعمارة الوظيفية والجمالية ، كما أشتهر العراقيون القدماء بالفنون التطبيقية كأعمال الحفر على الخشب والنقش والطرق على النحاس والزخرفة بأنواعها والصياغة بالذهب والفضة والمعادن الأخرى التي تحتاج لوحدها إلى دراسات موسعة ، ولأهمية هذه العناصر الرافدية الأصيلة التي رفدت العالم القديم بإبداعاتها ووسمته بسماتها الرافدية من ناحية ولإستمرار تأثيرها على الفنانين المحدثين في شتى بقاع المعمورة ومنهم فنان القرن العشرين بابلو بيكاسو والنحات الشهير قسطنطين برانكوزي وسلسلة طويلة أخرى من كبار الفنانين أمثال كاندنسكي وباول كليه وكازمير ماليفيتش الذين تأثروا برسوم فترة فخار سامراء الألف السادس ق.م ، وكذلك بفخاريات تل حلف وأربجية التي عمادها الخط والنقطة والتلاعب بتشكيلات المثلث ناهيكم عن الخطوط الحيوية والإختزال المثير الذي تتسم به رسوم الأختام الإسطوانية .
والحق لقد أبتدع أسلافنا القدامى منذ الألف السادس ق.م أنماطاً فريدة من الفنون ليس على صعيد المادة (الخامة) حسب ولكن على صعيدي الرؤية والتقنية ، لقد كانت دراستي لفنون العراق القديم مدعاة للبهجة الروحية وتطويراً لإسلوبي الفني الذي أعتمدته وأشتهرت به منذ أواخر عام ١٩٨٨ م ، كانت كل زيارة لي للمتحف العراقي وكل محاولة لإستنساخ ختم إسطواني في مختبر المسماريات إبان رئاسة العالمة العراقية د. بهيجة خليل إسماعيل بمثابة ولوج عالم جديد وأكتشاف آفاق رحيبة كلما أوغلت فيها فتحت لي آفاقاً أوسع فكنت مثل حالم يتدحرج من غيمة إلى غيمة هدفه أن يلمس قوس قزح ويستشعر بدفء مشاعره ، لكن الخيالات الملهمة لم تكن وحدها ما أستوقفتني في رحلة دراستي تلك التي لم تنته حتى يومنا هذا ، ذلك أن تلك الدراسة كشفت لي عن وهمية المسافة ما بين تلك الوجوه السومرية الأكدية المتعبدة ونتاجات البورتريه الأوربي ولاسيما عند فنانين كبار أمثال فان كوخ وجوجان وماتيس وديرين ومونخ وموديلياني ويافولونسكي وكيرخنر !
ولأهمية كل هذه العناصر فإنني سأتجاوز التقسيم الأوربي للفنون التشكيلية وأقدمها وفق تميزها الرافدي القديم بشيء من الإقتضاب والتبسيط ذلك أن من يريد الإستزادة حول فنون وادي الرافدين القديمة ، ما عليه إلا أن يرجع للمصادر الموسوعية المتخصصة المتوفرة في المكتبات ودور النشر والمتاحف والمؤسسات الفنية الأكاديمية .

الفخار والخزف :

أشتهر العراق القديم بفخاره وخزفه حتى لقد طبع العالم القديم كله بطابعه ولم يتوقف تأثير الخزف الرافدي القديم أو تنكمش مبتكراته حتى بعد غزو المسلمين لوادي الرافدين حيث أنتجت الحضارة العباسية الزاهرة التي تنامت على جذور كلدانية (السريان المشارقة) وأنتشرت منها ثانية إلى أوربا وبلاد الصين ، لقد تمكن الخزاف الرافدي القديم من تزجيج فخاره وتشكيله نحتياً مع طلائه بالمينا والمعادن الأخرى ، ولعل أرقى أمثلة الخزف العراقي

القديم هو ما يصطلح على تسميته بخزف سامراء (الألف السادس ق.م) الذي أشتهر بطابعه الهندسي وبإختزاله للأشكال البشرية والحيوانية والنباتية ، إضافة إلى خزف العبيد وفخار أور وخزف أوروك لمرحلتي ما قبل وبعد السومريين ، مما يدل على رقي النتائج التي توصل إليها الخزاف القديم .
وهنا لابد من الإشارة إلى فسيفساء ومخاريط معابد أوروك ومنها معبد (أي أنا) النصف الثاني للألف الرابع ق.م (فترة هيمنة الكلدان الأوائل) وكذلك تزجيج لواء أور الذي يعتقد أنه الصندوق الأصلي للقيثارة الأورية الشهيرة وهذا الصندوق عبارة عن تشكيل بالصدف والمعادن والعاج مزخرف من جهاته الأربعة ومثبت بالقار ، أما موضوعاه الرئيسان فكانا الحرب والسلام اللذين ألهما الروائي الشهير دستوفيسكي والفنان بابلو بيكاسو رائعتيهما في الرواية واللوحات الكبيرة ، وقد تم تقديم موضوعاتهما من قبل الفنان الأوري بأسلوب الأفاريز وهي ذات الطريقة قبل السومرية المعتمدة في إناء أوروك النذري ، ولعل من اشهر الأعمال الرافدية القرميدية المزججة هي نقوش وزخارف معبد أريدو واجهة معبد (نن خرساك) الذي بناه سين آني بيدا ٣٦٠٠ ق.م وواجهة بوابة عشتار في بابل القرنين السابع والسادس ق.م .

الأختام المنبسطة والإسطوانية :

تعد ظاهرة إستخدام الأختام المنبسطة والإسطوانية من أبرز سمات حضارة مابين النهرين القديمة على الرغم من إكتشاف نماذج قليلة منها في الهند وإفغانستان وساحل الخليج الفارسي / العربي ومصر ولكن تلك الأختام كانت كما أفترض العلماء والمختصين إما قد وصلت تلك المناطق من خلال التجار الرافديين أو كمنهوبات ، وفي أحسن الأحوال كهدايا أو بتأثير الأختام الرافدية ، ومما يدلل على عدم أصالتها في تلك البلاد ندرتها وتشبه القليل المكتشف منها بالموضوعات الرافدية الرئيسة والثقافة الرافدية ، في المقابل أبدع الفنان الرافدي في تعامله مع الختم وتشكيله بالرسوم والكتابات ليعطي بعداً إجتماعياً ذا مدلولات تعريفية ، مثلما أستعمله لدلالات تشخيصية حيث كان الختم يحدد هوية حامله كما تحدد التواقيع وبصمات الأصابع في يومنا هذا هوية صاحبها .
وبديهي أن العناية بالجانب الفني للأختام في بداية ظهورها كان أمراً ثانوياً ولاسيما عندما يكون صاحب الختم من عامة الشعب أو من أصحاب الأعمال الصغيرة ، لكن الأختام مثلها مثل بقية الفنون التشكيلية الأخرى شهدت في العهد الأكدي تحولاً دراماتيكياً على صعيدي التقنية والموضوع والأسلوب ، كما راح الفنان الرافدي يزيد من عنايته بجمالية الموضوع وطريقة إخراجه فنياً ، وفي أحيان كثيرة كانت عناية الفنان الفائقة بتقنية إنجازه الفني للختم أي (عمله الفني) تفوق وإلى حد كبير إهتمامه بالموضوع ، حتى أننا نستطيع أن نشبه ذلك التحول بثورة الفنانين الأوربيين على المعايير الفنية التي سادت أوربا أواخر القرن التاسع عشر والتي نتج عنها حركات الفن الحديث إبتداءاً بالإنطباعية والوحشية ومروراً بالتكعيبية والمستقبلية والدادائية والسريالية ووصولاً للحركات التي أعقبتها منذ منتصف القرن الماضي .
ومن الجدير بالذكر أن الأختام بنوعيها (المنبسط القديم والإسطواني الذي أعقبه) قد أشتملت

على مواضيع أثيرة منها عراك الحيوانات ومجالس الشرب والتعبد والتقديم للآلهة والأساطير المرتبطة بالبشر والآلهة وأنصاف الآلهة علاوة على رسومات المعبد المجنح ومشاهد الصيد والزراعة والحراثة والحياة اليومية كما تناولت في أحيان قليلة مشاهد الحب الإيروتيكية والزواج المقدس ، وفي العهد البابلي أشتهرت عدد من الموضوعات الأثيرة ومنها الحيوانات المجنحة من أسود وخيول وثيران علاوة على عودة إستخدام رمز الصليب المشع وهو أحد الرموز القديمة للإله شمش .

ويمكننا دونما جدال إعتبار الأختام الإسطوانية الأساس الذي بنيت عليه أعمال الطباعة الفنية الحديثة -Graphic Arts- بل الطباعة بشكل عام ، ذلك أن مبادئ الطباعة الحديثة تتشابه تماماً مع مبدأ إنتاج طبعة الختم الإسطواني ، لأن حفر الموضوع على كليهما يكون بعكس الإتجاه الأصلي أي بطريقة النظر في المرآة حيث يصبح اليسار يميناً وبالعكس ، وكلاهما يعتمدان على تمرير العمل الأصلي على المادة الحاملة (الطين في العراق القديم) والورق أو القماش حالياً ، وهنا يتفوق فن الأختام الإسطوانية على شبيهه المعاصر بأنه يعتمد مادتين فحسب وهما العمل الفني (الختم) والخامة الحاملة (الطين) فيما يحتاج الشبيه المعاصر (الطباعة بأشكالها السلك سكرين والليثوغراف والأوفسيت .. إلخ) إلى الأحبار علاوة على العمل الفني أو الطبعة المعدنية والورق لإنتاج العمل الفني أو التأثير الطباعي ، لذلك ينبغي أن يدين العالم كله للفنان الرافدي القديم كأستاذ ومبتكر لأساسيات فن وعلم الطباعة .

الرسم :

عرف العراقيون القدامى فن الرسم وأستخدموه منذ عهود موغلة في القدم ، وإذا ما تركنا جانباً الرسوم الرائعة التي نفذت فيها هذه الرسوم على سطوح الفخاريات القديمة وسلطنا الضوء على الرسوم الجدارية -Frescoes- التي زينت المعابد والقصور والزقورات ، لأدهشتنا حقاً تلك القدرة الهائلة على أحتواء الخيال والتعبير الثري عن أبسط وأعقد تفاصيل الحياة والأساطير التي تميز بها الفنان الرافدي القديم ، الذي تميز علاوة على موهبته الفائقة بالشاعرية ورهافة الخطوط ، ولعل خير الأمثلة ما جاءتنا من معابد أريدو ولاسيما معبد أي أبسو وكذلك اللوحات الجدارية من تل العقير جنوبي بغداد وبخاصة تلك الرسوم الملونة للحيوانات المفترسة كالفهود المرقطة والأسود والثيران التي أتسمت بحيوية مثيرة ، وتعد جدارية الفهود من تل العقير أقدم لوحة جدارية معروفة ، إضافة إلى رسوم الحقبة البابلية القديمة التي تجلت في أبدع صورها في رسوم قصر ماري من القرن الثامن عشر ق.م وقصر كوريكالزو الثاني ١٣٣٢-١٣٠٨ ق.م في عقرقوف ورسوم قصر نوزي من القرن الخامس عشر ق.م ، وكذلك ما جاءنا من إقليم آشور القرنين الثامن والسابع ق.م حيث أبدع الفنان الرافدي في التعبير من خلال رسومه المتميزة عن مشاهد القتال بحيوية وأسلوب يجمع ما بين الفرادة والقوة ، كما جاءتنا من العهد البابلي الحديث رسوم عديدة أستعاد من خلالها الرسام الرافدي تراثه الوسط جنوبي وموضوعاته القديمة ولكنه عالجها برؤية تناسب عصره ، مزج فيها بين طغيان السمات الروحية مع حرية الحركة والتنفيذ الفائق الصنعة الذي عمد إلى تقويته بإستخدام ذكي لإمكانات الألوان المتجانسة والمتكاملة .

النحت :

يتسم النحت الرافدي كما أشرنا بتنوعه وغناه فهو إضافة إلى إستخدامه للطرائق المعروفة في النحت المجسم والبارز والغائر فقد أنتج النحات الرافدي عدداً من الأشكال النحتية الفريدة التي لم تستخدم إطلاقاً خارج حدود الرقعة الجغرافية الطبيعية لوادي الرافدين القديم بإستثناء إيران التي كانت منطقة عيلام فيها تابعة ثقافياً وسياسياً لوادي الرافدين على طول التاريخ القديم .

وبديهي أن النحت مثله مثل الدين والفنون البصرية الأخرى انطلق من جذور سحرية وسرعان ما تحول السحر إلى دين وبالتالي إلى فلسفة ، لذلك فقد كانت أولى أشكال النحت تدور حول الطواطم السحرية وآلهة العين الحارسة والآلهة الأم وكانت تلك المنحوتات الصغيرة غالباً ما تنفذ بالحصى وكسر الحجارة والطين المفخور التي غالباً ما كانت تلصق بها بواسطة القار عيون من الخرز الثمين والعاج ، وبشكل عام بدأ فن النحت سكونياً متأثراً إلى حد كبير بإظهار الخشوع الديني وتصوير الآلهة بطريقة تأنف المحاكاة وتبتعد عن المشابهة البشرية فالعيون واسعة والآذان كبيرة إلى حد مبالغ به ، وهنالك ثمة تشويه متعمد في النسب ، ويلوح عليها جميعاً وقار شديد ورصانة طاغية ، حتى جاءت الفترة الأكدية فنسفت تلك القوالب السكونية وأشاعت حياة جديدة ملؤها الحركة والديناميكية .

ولو عدنا القهقرى إلى المرحلة الأولى التي شهدت تطور النحت بشكل راق فإن علينا أن نبدأ مع عصر الكلدان الأوائل بناة أريدو ، حيث وصلنا منه تمثال (أسد أريدو) الذي أكتشفه تايلر عام ١٨٥٥ م وبسبب حجمه ووزنه الكبير عاد إلى طمره حتى أخرجته مديرية الآثار العراقية عام ١٩٤٧ م ، ويعد أسد أريدو تحفة فنية رائعة منفذة بحجر البازلت البركاني وبأرتفاع متر ونصف وعرض ٦٠ سنتيمتراً ويزيد وزنه على الطن الواحد .

يمتاز أسد أريدو بإقتصاد في التفاصيل وقوة في الخطوط وبمحاولة النحات على إحتواء موضوعه ضمن حدود الخامة المتوفرة له مع منحها أقصى طاقة تعبيرية ممكنة ، ويتشابه أسد أريدو في جلسته المهيبة مع الأسود الأخرى المكتشفة في الإقليم البابلي ومنها (أسدي شادوبوم) الفخاريين الرائعين وهما أيضاً من الأعمال النحتية المجسمة الفريدة والمهمة ، ولعل من أثمن الأعمال المجسمة أيضاً من الألف الرابع ق.م رأس حسناء أوروك (تم إستعادته مؤخراً) ويعود هذا الرأس المنفذ بدقة آسرة إلى فترة أوروك ما قبل العصر السومري ، وقد أكتشف معه الإناء النذري الثمين والمنفذ بأسلوب الحفر البارز والذي ما يزال مفقوداً بعد سرقته من المتحف العراقي عام ٢٠٠٣م ، كما يعود إلى هذه الفترة أيضاً تمثال المرأة العارية الرخامي ، ويعتبر هذا العمل ملهماً لعدد كبير من الفنانين الأوربيين الذين تعلموا منه الإقتصاد في الخطوط لإنجاز عمل نحتي معبر يجمع ما بين جمالية النحت الحديث والقدرة على أستنطاق الحجر ، كما يعود لهذه الفترة القديمة أيضاً بورتريه المتعبد الشهير المنفذ بحجر الكلس .

والحقيقة فإن هنالك سلسلة طويلة من الأعمال المهمة والجميلة التي تكشف عن أسلوبية وتقنية مرهفتين ، ومنها سلسلة تماثيل كوديا وأور ننكرسو وتماثيل الأسس أو كما تسمى ودائع الأسس وأشهرها ما تعود إلى أورنمو وأبنه شولكي ، وكذلك مجموعة الإله آبو والرأس البرونزي الدقيق لشروكين أو حفيده نرام سين الذي يعتقد بأنه أحد أرقى وأولى

الأعمال الفنية المنفذة بطريقة (الصب بالبرونز) وكذلك رأس الثور البرونزي من عصر ميسالم الذي يشبه إلى حد بعيد رأس الثور الذي صنعه بيكاسو من مقعد ومقود دراجة هوائية ، كذلك هنالك رأس الثور الذهبي الشهير في القيثارة الأورية وتمثال الكبش الذهبي من أور ، والبورتريه المعروف برأس حمورابي المنفذ بحجر الديورايت وكذلك تمثال آشورناصربال الثاني والعفريت بازوزو وتمثال أسد بابل الشهير .

وقد عرف العراقيون القدماء شكلاً من أشكال النحت المزدوج الذي يجمع ما بين النحت المجسم والريليف وخير مثال عليه تماثيل اللاماشو أو اللاماسو وهي التماثيل الحارسة التي أشتهرت بها البوابات البابلية منذ العصر البابلي القديم سواء في شادوبوم أو بوابة شارع الموكب ، لكن أفضل ما جاءنا من نماذج لهذا الأسلوب النحتي إنما يعود إلى فترة السلالة السرجونية القرنين الثامن والسابع ق.م ، مع أن أصول هذا النوع من النحت المزدوج إنما يعود إلى فترة العبيد وتحديداً الأفريز المزدوج المعروف في معبد إلهة الولادة ننخرساك وتمثل إمدوكود -Imdugud- وهو عبارة عن نسر محفور برأس أسد مجسم يقف على غزالين شبه مجسمين ويعود العمل كما يعتقد إلى ملك سلالة أور الأولى آ أنيبادا في حدود ٢٥٠٠ ق.م .

أما على صعيد أعمال الريليف أي النحت الغائر والبارز فعلاوة على الإناء النذري من عصر أورك ما قبل السومريين وقرص كاهنة معبد القمر في أور أنخيدونا أبنة إمبراطور أكد الكلداني شروكين ، فإن هنالك سلسلة من الأعمال المهمة إبتداء بإفريزي معبد (أي أنا) في أوروك أواخر الألف الرابع ق.م وأفريز معبد (نن خرساك) في تل العبيد ٢٤٧٥ ق.م مروراً بأفاريز مقبرة أور الملكية وأنتهاء بأفاريز إقليم آشور التي يمثل فيها نحت العضلات ذروة ما توصل إليه النحات الرافدي القديم ، ولاسيما في مسلة صيد الأسود التي تعد معجزة في مجال النحت الإفريزي ، مع ملاحظة أن النحاتين الشماليين قد تحاشوا نحت النساء والآلهة وركزوا جل إهتمامهم بمواضيع الحرب والصيد ومشاهد الملوك ، وإن كانت أفاريز آشور المذهلة تمثل قمة ما توصل إليه العراقي القديم في مجال النحت والحفر المزدوج فإن أفاريز شارع الموكب في بابل تمثل ذروة ما توصل إليه النحات العراقي القديم في مجال التعبير بالكتل البارزة والألوان .

أما الأنواع الأخرى من الحفر فهي التي تتوزع الأحجار النذرية مثقوبة المركز والمسلات بأنواعها وأخيراً أحجار الحدود الكودرو -Kud urru- ولعل من أجمل الأمثلة على الأحجار النذرية المثقوبة المركز حجر تلو الذي يصور مستويات العالم الثلاثة ممثلة بالطائر أنزو أو إمديكود ذي رأس الأسد (رمز العواصف الرملية) وهو يقف على أسدين ، أما المستوى الثاني فيمثل الرجل المتعبد مع خروف التضحية فيما تمثل الأفعى المتداخلة بأسلوب زخرفي هندسي العالم تحت الأرضي ، ومن تلو أيضاً وصلنا حجر آخر يمثل تقديم نذر على شكل ماء مثلج للإلهة ننخرساك ، لكن أشهر هذه الأعمال قاطبة هو حجر أورنانشة حاكم لجش بحدود ٢٤٨٠ ق.م ويتألف هذا الحجر من مشهدين يصور العلوي منهما الحاكم وهو يحمل على رأسه سلة الطابوق تمهيداً للبناء ترافقه كاهنة عليا وكهنة مطهرون ومعوذون لبقاء البناء ، وفي المشهد السفلي يبدو أور نانشة وهو يحتسي خمرة عصير التمر (العرق) في جو إحتفالي كما جاءنا من نفر الحجر الشهير الذي يشبه في تفاصيله أفاريز لواء أور (الحرب

والسلام) ومن خفاجي جاءنا حجر يحتوي على تفاصيل مشابهة لتلك التي حصلنا عليها من مسلة العقبان ، ومما لا شك فيه فإن هذا النوع من الأحجار كان يثبت في المعابد على دبابيس حجرية تبرز من الجدران ولهذا كانت الثقوب تؤدي وظيفة الحمالات فيما يدور المشهد حول مركز العمل النذري .

أما المسلات فقد أشتهرت في العراق القديم منذ عصور قديمة وأشهر تلك المسلات القديمة هي مسلة صيد الأسود من أوروك الفترة قبل السومرية مع أن البعض يرجعها إلى السومريين أما مبرر إرجاعي لها لعهد أقدم ، أي إلى عهد الكلدان الأوائل تحديداً ، فذلك لأن اللباس الذي يرتديه الصيادون وغطاء الرأس مضاف له اللحية الطويلة التي تميز بها الكلدان الأوائل عن السومريين الحليقي اللحى ، ومما يؤكد عائديتها إلى أسلاف الكلدان أن السلاح المستخدم هنا هو القوس والنبال (قشتا وكيرا) وهو سلاح لم يستخدمه السومريون لأنهم أشتهروا بالفؤوس والدبابيس والهراوات والرماح .

كما جاءتنا أولى أشكال المسلات المتطورة من لجش وأشهرها مسلة النصر أو العقبان -Stele of the Vultures- لأنتيمينا أشهر أمراء لجش وتمتاز هذه المسلة بمشاهدها الأمامية التي تمثل الإله ننكرسو -Ningirsu- الإله المحلي المحارب لمدينة لجش ، ومشاهد خلفية تمثل تفاصيل من إنتصار أي إيناتم على جيوش مدينة أوما المجاورة وتمثل هذه المسلة ذروة الفكر السومري الذي يرتبط بالآلهة والمعارك وأسلوب القتال السومري ، أما اشهر المسلات الأكدية فهي تلك التي تمثل إنتصار نرام سين -Naram Sin- على قبائل اللولوبي الجبلية ، ومن أشهر المسلات أيضاً مسلات الملك أورنمو -Ur Nammu- وكوديا -Gudea- أمير لجش التي تتميز بترتيبها الأفريزي ثم المسلة الشهيرة المعروفة بمسلة حمورابي من عصر سلالة بابل الأولى كما جاءتنا عدد من المسلات الرائعة من إقليم آشور أشهرها هي المسلة المعروفة بالمسلة السوداء ومسلة حدد نيراري الثالث .

ومن العهد البابلي الوسيط والحديث جاءتنا مجموعة من أشهر المسلات وهي مسلة النجمة الثمانية الكلدانية البابلية -Eightfold Chaldean Babylonian Star- التي حافظت على التقاليد القديمة وتعد هذه المسلة الأساس الذي أعتمده مصمم علم وشعار الكلدان القومي لإنجاز عمله الفني المعاصر ، ومن أشهر المسلات لهذه الفترة أيضاً مسلة الملك مردوخ أبلا إيدينا ومسلات نبوخذ نصر الثاني ونبونائيد التي أكتشفت في حران وشمال غربي الجزيرة العربية .

أما أحجار الحدود فهي نمط فريد من المسلات تتألف من قسمين ، العلوي منها يحمل رموز الآلهة المعروفة آنذك فيما يحمل القسم السفلي تفاصيل معاهدات لترسيم الحدود بين دويلات المدن أو بين أقسام الدولة الواحدة وقد أبتكرت أحجار الكودورو هذه في عهد السلالة البابلية المعروفة بالسلالة الكشية -Kassite Dynasty- مع أنها قد أستخدمت أيضاً من قبل السلالات الأخرى ومن أشهر تلك الأحجار الكشية كودورو ميليشباك وكودورو مليشيخو الثاني وكودورو نبوخذنصر الأول .

ومن الأنماط النحتية التي أبتكرت في بابل ، أسلوب النحت القرميدي أي النحت البارز المنفذ على بلاطات قرميدية يتم صفها بعد طلائها بالمينا وتزجيجها بالحرارة على الجدار لتنتج عملاً نحتياً مميزاً ، والحقيقة أن حاجة النحات البابلي إلى الأحجار بكثرة هيّ التي دفعته

لأن يبتكر هذا الأسلوب النحتي الفريد ، الذي تمثله بوابة عشتار وجداريات النحت المزجج لشارع الموكب في بابل خير تمثيل ، إلا أن الغريب في الأمر أن الأخمينيين ومن بعدهم الفرثيين قد تبنوا هذا النوع من العمل النحتي بالرغم من توفر الحجارة المناسبة للنحت في بلادهم ، ولم يكن هذا ليحدث لولا تبعية بلاد عيلام الثقافية لحضارة وادي الرافدين ، ولنا في خرائب قصر داريوس في سوسة ومواكب الجيوش في برسيبولس خير مثال ليس على تبني هذا الأسلوب فحسب ولكن في تبني جميع الموتيفات البابلية في أدق تفاصيلها .
ومع غزو جيوش الحجاز لوادي الرافدين على عهد التوسعات الإسلامية ، تبنى الغزاة الحجازيون ثقافة وادي الرافدين ومدنية وتراث بابل وتحولت تلك الأفاريز النحتية الفخارية المزججة والملونة بالأزرق الفيروزي إلى مايسميه العامة اليوم بنمط الزخرف القاشاني ، الذي لا يزال واحداً من أبرز سمات الفنون التطبيقية العراقية المعاصرة ولاسيما في زخرفة المعابد والتكايا الإسلامية .

العمارة :

وعلى صعيد العمارة ، أشتهر العراق القديم بكونه من أقدم مناطق الإستيطان المتمدن في العالم ، ففي العراق القديم وبسبب من خلو البلد من الأحجار والأشجار القوية الجذوع فقد عمد البنّاء العراقي القديم بحدود ٦٧٥٠ ق.م إلى إبتكار القبة التي كانت بدائية على عهد الأبنية الدائرية المكتشفة في تل يارم تبه في سنجار ، وفي عهد أريدو تم أبتكار الطابوق (المستوي - المحدب) الذي أستمر أستخدامه حتى أواخر عصر فجر السلالات ، وفي طور العبيد قرب أور أستبدل نمط الطابوق القديم بالطابوق المستوي الذي ظل أستخدامه في العراق حتى منتصف القرن الماضي حيث كانت تغطى به سطوح البيوت ويسميه العامة (الطابوق الفرشي) .
وفي عصر أريدو هذا تم أبتكار نظام الدخلات -Recesses- والطلعات -Buttresses- في الجدران الذي أخذ شكله النهائي في عهد أورنمو ممثلاً بزقورة أور ، وكذلك أبتكر نظام جدران الأعمدة المتراصة بشكله البدائي الذي طور وزوق بمخاريط الفسيفساء في أوروك ممثلاً بأعمدة معبد أي أنا ، وفي أريدو أيضاً أنتقل المعبد من نظام البناء الأرضي إلى نظام المصطبة البدائي الذي تحول في العهد الأكدي إلى ما يعرف بالزقورة التي صارت علامة فارقة للمعابد الرافدية ، ومنها أنتقل إلى مصر إبان العهد الأكدي حيث تم الإستفادة من هذا النظام لبناء هرم صقارة المدرج الذي يعد أقدم أشكال الأهرام المصرية قبل تميزها اللاحق في عهد خوفو وخفرع ومنقرع .
وفي عصر فجر السلالات الثاني الذي شهد بداية التاريخ الصحيح كانت كيش المدينة الضاحية لبابل الكبرى ، قد تأسست فيها أول سلالة حاكمة ، في هذا العهد إستخدام اللبن المعروف بالمستوي المحدب في جميع المعابد والقصور التي قطعت شوطاً كبيراً في مجال إتساعها وفخامتها ، كما أشتهر العصر الأكدي بنمط جديد من اللبن المستطيل والمربع وبحجم كبير يقرب من ٥٢ سنتيمتر للضلع الواحد ، وفي عهد سلالة أور الثالثة أشتهر نظام العقادة المعروف (بالكربولي) وبنظام التغليف بالآجر الذي يدعى بالبابلية (كبسو) ، كما عرف نظام العقود نصف الدائرية والقبة نصف الكروية ، وكان أساس هذين الإبتكارين خلو وسط

وجنوب الرافدين من أعمدة التسقيف الساندة التي تحتاج إلى جذوع الأشجار القوية والطويلة وهي مميزات لا تتوفر في سيقان أشجار النخيل الهشة .
وهكذا تفتقت عقلية المعمار والمهندس الرافدي القديم إلى أبتكار العقد والقوس والقبة نصف الدائرية التي تدخل في بناء سقوف القصور والمعابد الكبيرة ، وكان الأساس الذي أعتمده المعمار العراقي القديم هو توزيع وحدات شد الجهد بشكل مثالي على جميع وحدات سقف البناء بالتساوي ، وذلك وفق نظام رياضي هندسي علمي ودقيق فتوصل إلى قوام إنشائي تتوزع على جميع وحداته شدة البناء (الجهد) وفق نظام متساو ودقيق يكون كل جزء فيه في حالة مثالية من التوازن -Equilibrium- بتأثير الأحمال الواقعة عليه ، ولهذا نجد أن الزقورات القديمة كانت تحتوي على قباب مذهبة وأشهر تلك القباب هي قبة زقورة أور وقبة برج بابل التي أعاد الفرنسي (شيبيه) ترسيمها تحت تسمية (المعبد الكلداني) ونشرها أندريه بارو في كتابه الموسوم (سومر) .
كما أبتكر المعمار العراقي أسلوباً في الخداع البصري ، حيث وجد أن الخطوط العمودية عندما ينظر إليها عن بعد توحي بالإنحناء نحو الداخل فتبدو مقعرة ولهذا صمموا الجدران الخارجية للزقورات ومنها زقورة أور مع ميل أو إنتفاخ وسطي غير محسوس إلى الخارج مما يجعل الرائي الذي يقف على مبعدة من الزقورة من رؤية جدرانها مستقيمة توحي بالصلابة والرسوخ وتدعى هذه الخاصية بخاصية التحدب -Entasis- ، وقد قلد الإغريق هذا الأسلوب الرافدي العريق ولكن بعد ما يقرب من ألفي عام ، ولعل خير مثال على ذلك أعمدة البارثينون (هيكل الإلهة أثينا) الذي يعد من أبدع مباني الأكروبولس والذي شيد في عهد بريكلس ٤٦٠-٤٢٩ ق.م ، وكذلك أعمدة ساحة القديس بطرس -St. Peter Basillica- في روما للمعماري برنيني -Gianlorenzo Bernini's columns- ، كذلك أستخدم المعمار الرافدي في زقورة أور التي جددها الملك الكلدي نبونائيد خاصية الميلان نحو الداخل والتي تعرف عراقياً بأسم (السبط) -Batter- وهيّ نوع من الميلان نحو الداخل يؤدي إلى نوع من الخداع البصري الذي يكسب الزقورة إرتفاعاً ظاهرياً في جدرانها وإمتداداً وهمياً لأضلاعها .
ومن المبتكرات الرافدية المهمة التي ما زلنا نستخدمها حتى اليوم هو نظام الدخلات -Recesses- والطلعات -Buttresses- ، ويمتاز هذا النظام بفوائد عديدة فمن الناحية الجمالية يكسر هذا النظام رتابة الجدران المستوية ويوحي بالفخامة والإتساع كما يتيح للمعمار البابلي من التلاعب بالمسافات ما بين الدخلة والطلعة لإبتكار تصاميم خارجية متنوعة للجدران الخارجية ، أما على الصعيد الإنشائي فإن إستخدام مثل هذا النظام في الجدران يمنحها المتانة والإرتكاز أي التوازن حتى لو بنيت كجدران مفردة ، كما يعمل هذا الأسلوب في معالجة الجدران الخارجية بتحريك تيارات الهواء وتلطيف الجو ولاسيما في الأيام الحارة والرطبة ، وقد عمد المعمار البابلي إلى تزيين هذه الجدران بزخارف آجرية على شكل جذوع النخيل ولاسيما في المعابد والزقورات ، وخير مثال على ذلك واجهات المعبد والزقورة وفناء المعبد الرئيس في تل الرماح الذي شيده بناؤون بابليون بأمر من شمشي أدد الأول ، أما على صعيد عظمة العمارة الرافدية العملاقة ، فلنا في أسوار بابل وبرجها الشهير علاوة على معابد بابل وقصورها ، ولاسيما قصر نبوخذنصر الثاني الذي شبهه الآثاريون كمدينة داخل مدينة

لضخامته وتفاصيله المعمارية الكثيرة والمثيرة في آن ، وكذلك القصور والمعابد في إقليم آشور ومدن أور وأوروك ودوركوريكالزو ونيبور ما يمكننا أن نعتبره قمة ما توصلت إليه العمارة الرافدية القديمة .



معبد ننماخ نموذج للعمارة البابلية

الأزياء الكلدانية البابلية

تعتبر الأزياء الكلدانية الفولكلورية خلاصة منطقية لتطور الأزياء في العراق القديم لكونها الوريث الشرعي لخلاصة المنجز البابلي الذي أنعكست تأثيراته على إقليمي عيلام وآشور ووصلت تأثيراته حتى الساحل السوري ، والحق فقد كانت للعراقيين القدماء أزياء متنوعة ترتدى كل بحسب وقتها ومناسبتها ومكان أرتدائها ، فهنالك اللباس اليومي وهنالك ملابس الأعياد والمناسبات الدينية ومناسبات الفرح والحزن ، أما على الصعيد القصر والجيش ، فكانت هنالك للملوك أزياء يرتدونها أثناء ممارستهم للسلطة المدنية وملابس أخرى في فترة

الحرب والصيد ، كما كانت ملابس القادة تختلف عن ملابس الجند وملابس الخيالة تختلف عن ملابس رماة النبال أو المشاة .

وكانت الملابس التقليدية للرجال من العامة بحسب ما وصلتنا من معلومات أستقيناها من الرسوم والمنحوتات القديمة تشبه وإلى حد بعيد الزي البغدادي الذي كان شائعاً في مطلع القرن العشرين في بغداد والموصل والبصرة ، وهو ذات الزي المستخدم حتى يومنا هذا في بخديدا وتلكيف حيث كان يتألف من غطاء الرأس (كلوثا) التي يسميها العامة في بغداد العرقجين ويحيط بها ما تسمى بالكوفية باللهجة البغدادية والتي تسمى بعد لفها حول الطاقية أو الكلوثا بالجراوية وباللغة الكلدانية (جمداني) .

أما الملابس الداخلية فتتألف من قميص طويل (شوقتا يرختا) وسروال داخلي طويل (لباس) يلف حوله حزام من القماش أو يوضع في داخل ثنية خاصة حبل رفيع ليشد به ويسمى (تكثا) ، كما يرتدي الرجل في قدميه نوعاً من الأحذية الخفيفة (جروخة) ، وقد أشتهرت الرسوم القديمة بمجموعة كبيرة من الصنادل التي تغير تصميمها العام بفعل السنين ولكن الأساس لم يتغير ما بين القديم منها والحديث ، ويرتدي الرجال فوق القمصان الطويلة نوعاً من الصديري العديمة الأردان والتي تدعى (زاخما) ، ويرتدي الرجال أيضاً ما يعرف عند العامة بالزبون شتاء والصاية صيفاً ويلف حول الوسط نوعاً من الأحزمة الكتانية (طسما) تشبه الأحزمة الشعبية المعروفة بأسم (حياصة) ، أو تلف حول الوسط لفائف طويلة مفردة منسوجة من الصوف أو الكتان .

كما عرف العراقيون القدماء أنواع الدشاديش الرجالية القصيرة والمتوسطة الطول والطويلة التي كانوا يرتدونها في المنزل أو أثناء الزراعة ، وكانت عادة ما تحتوي على فتحات جانبية تصل حتى أسفل الفخذ لتسهيل الحركة ، أو تحتوي مثل هذه الدشاديش على فتحات واسعة جانبية مفردة تصل إلى ما تحت مستوى الفخذ وتزين حافاتها بالخيوط الملونة لتقويتها من ناحية وتجميلها من ناحية أخرى .

وبديهي أن العراقي القديم لم يعرف مطلقاً لبس الشروال والأزياء الكوردية الجبلية المستوردة من همذان إبان القرن السادس عشر للميلاد والشائعة اليوم في قرى ألقوش وأرادن وغيرها من القرى الجبلية ، وهذا ما تؤكده لنا الرسوم والمنحوتات القديمة سواء تلك التي جاءتنا من إقليم بابل أو آشور .

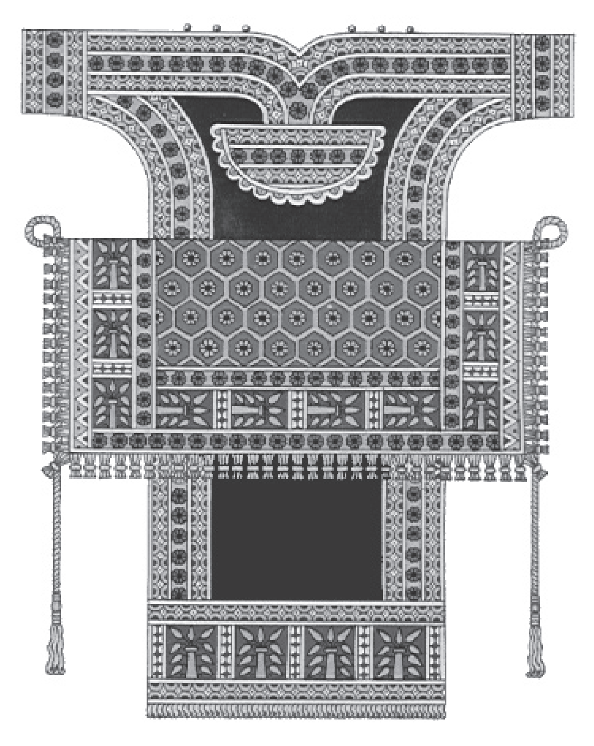
أما أجمل ما وصلنا من أزياء رجالية فقد كان (الرداء الملكي) للملك الكلداني مردوخ نادن آخي الذي كان يتألف من قطعتين ، القطعة الأولى تتألف من دشداشة طويلة فضفاضة مزخرفة بنقوش بابلية على شكل موتيفات لزهرة ثمانية ورسم مبسط للنخلة على هيأة رمزية تعبر عن المعنى الشائع لشجرة الحياة ، أما القطعة الثانية فكانت أشبه ما تكون بالوزرة التي تلف حول الخصر ، تحتوي بدورها على ذات الرموز والموتيفات إضافة إلى نقشة مركزية .

كما عرفنا من خلال النحوت العديدة الأزياء الدينية التي كان يرتديه الملوك والأمراء والكهنة أثناء ممارستهم لطقوس العبادة ، وأشهر تلك الأزياء ما جاءنا ممثلاً بزي العبادة العائد للملك البابلي الشهير حمورابي وملك سلالة أور الثالثة أورنمو .

أما الزي النسائي التقليدي فلم يكن يختلف كثيراً عن أزياء النساء في قرى وبلدات تلكيف وألقوش وبخديدا وغيرها من قرى كلدانية لم تتأثر بالأزياء الكوردية أو التركية ، حيث كان

يتألف من هبرية أو قجما كغطاء للرأس تزين عادة بمصوغات ذهبية أو فضية أو نحاسية ومن أشهر أنواع أغطية الرأس النسائية القديمة ما جاءنا من أور الكلدان والعائد للملكة بو آبي ، كما ترتدي النساء اللباس الداخلي الفضفاض (شوقتا) وفوقها الزبون ويلف حول جسم المرأة ما يسمى بالشال أو الميزر الذي نراه في العديد من المنحوتات والتماثيل والأختام ولعل أجمل أنواع المآزر النسائية هو ميزر نساء بخديدا الذي يمتاز بوفرة رموزه الملونة وهو ما يمتاز به على المآزر الأخرى التي تقتصد بالرموز وتكتفي بأشرطة جانبية تتألف من تكرار موتيف المثلث ومن أشهر هذه المآزر الكلدانية المقتصدة مأزر ألقوش .

أما أجمل ما وصلنا من رسوم لأزياء نسوية قديمة ، هي تلك الأزياء التي وضعت رسومها الفنانة كابريلا شوليوك -Gabriella Sulyok- والتي أحتواها الكتاب الموسوم (الأزياء البابلية) .



بدلة الملك الكلداني مردوخ نادن آخي ١٠٥٠ ق.م

الموسيقى وأصولها البابلية (شومر وأكد)

عرف العراقيون القدماء الموسيقى منذ أقدم العصور ، حيث لعبت دوراً رئيساً في رقصاتهم السحرية البدائية التي تحولت مع تطور المجتمعات إلى رقصات دينية ، فصار الرقص المصحوب بالعزف والغناء لازمة رئيسة في معتقدات العراقيين القدماء وكانت الموسيقى تصاحب الكثير من طقوس العبادة التي تؤدى في المعابد والساحات المفتوحة إبان المناسبات

الدينية ومنها إحتفالات أكيتو أي عيد رأس السنة الكلدانية البابلية ، كما لعبت الموسيقى جانباً رئيساً في الحفلات الترفيهية وكعناصر مكملة في الحانات التي كانت تدار من قبل النساء , وقد عرف العراقيون القدماء الجوق الموسيقي العسكري الذي كان يصاحب المحاربين ويعزف لهم الأناشيد العسكرية .
ومن الجدير بالذكر أن أساتذة الرياضيات القدماء تمكنوا من إبتكار طريقة ترميزية للإرقام ، ومن خلال هذه الرموز الرقمية تمكنوا من إبتكار النوطة الرقمية حيث لم يكن الموسيقي العراقي القديم يكتب ألحانه بطريقة النوطة المعروفة اليوم (دو ريه مي فا) ولكن بطريقة علمية صرفة ، تستخدم تنويعات الرقم كسلم موسيقي أي أن الأرقام كانت تلعب في العراق القديم ما يلعبه اليوم السلم الموسيقي الذي يعتمد الدرجات الموسيقية دو ريه مي .
ولتوضيح المعنى بشكل أدق فأن (دو) على سبيل المثال تعني الرقم (واحد) والصوت (ريه) يعني الرقم (أثنان) وهكذا .. ، وهذه الطريقة العلمية هيّ التي تعتمدها اليوم أجهزة الكومبيوتر المعقدة لعزف الألحان المختلفة لكونها أنضج وأدق من أسلوب النوطة الأوربية التي تفتقر إلى ديناميكية الأرقام التجريدية ، ولهذا يمكننا أن نعد جذور النوطة الرقمية المعاصرة رافدية محضة ، حيث ترجع في زمنها لأكثر من أربعة آلاف سنة ق.م .
وبسبب تسجيل الموسيقي الرافدي لألحانه بواسطة النوطة الرقمية تمكن العازفون المحدثون وأشهرهم ريتشارد كروكير -Richard L. Crocker- من إعادة عزف أشهر القطع الموسيقية القديمة لقيثارة أور وبنجاح منقطع النظير ، ولعل من أشهر تلك المقطوعات التي أعيد عزفها بعد ما يزيد على أربعة آلاف عام من عزفها لأول مرة : أغنية الزواج وأغنية قارئة الطالع وترتيلة لأيا (إله الفنون والسحر) وأغنية الملكة بوآبي ونشيد النصر ونواح على الأسود (الشهداء) وأغنية العزلة وغروب (شفق) على الماء وغيرها من معزوفات موسيقية رائعة حافظت على طراوتها ونقلت إلينا الحس الموسيقي المرهف للفنان الرافدي القديم ، ولم يكن ذلك ليتحقق لولا تدوين تلك الألحان بطريقة النوطة الرقمية .
الطريف أيضاً ، أن الملوك القدماء كانوا يتباهون عادة بمعرفتهم للقراءة والكتابة بأكثر من لغة أو بأصطياد الأسود والفيلة ، لكن الملك العظيم شولكي -Shulgi- أبن مؤسس سلالة أور الثالثة تجاوزت شهرته الفتوحات العسكرية وتنظيم إدارة الدولة وتقديسه المفرط للإله ننار مع أحترامه الشديد للإلهة الأخرى إلى حد إعتباره الموسيقار الأول في المملكة ، ويشير طه باقر في كتابه الموسوعي (مقدمة في تاريخ الحضارات) إلى أن شولكي كان يجيد العزف على أكثر من ثماني آلات موسيقية من بينها قيثارة بثلاثين وتر وآلة موسيقية لا نعرفها سميت بأسم أحد ملوك سلالة كيش القدماء هو (أور زبابا) .
والحق فقد ساعدتنا الأساطير والقطع الأدبية الرافدية علاوة على المنحوتات والرسوم على الإستدلال وتمييز عدد كبير من الآلات الموسيقية ، وقد ضاعف ذلك العدد المكتشفات الآثارية لعدد من الأدوات الموسيقية الشهيرة يقف في مقدمتها القيثارة الأورية .
ويمكننا الآن أن نقسم الآلات الموسيقية القديمة إلى آلات وترية تضم القيثارات المختلفة الأوتار من ثمانية أوتار وأحد عشر وتراً وخمسة عشر وتراً علاوة على قيثارة شولكي النادرة في إقليم بابل ، وقيثارات من خمسة وسبعة أوتار في ديالى التي تمثل إمتداداً لبابل لكنها كنت تقع ضمن حدود مملكة إشنونا ، وهنالك الربابة وكذلك السنطور بشكله القديم .

أما آلات القرع فكانت تتألف من الطبول الكبيرة جداً والتي كانت تحتاج إلى طبالين أثنين للدق عليها ودحرجتها ثم الطبول المتوسطة والصغيرة والدقيقة ، وكذلك أنواع الدفوف الكبيرة والصغيرة ومنها الدف المعروف محلياً بأسم (الزنجاري) ، ومن أدوات العزف أيضاً آلة الطنبور الذي تمسكه العازفة بكلتا يديها ، كما عرف الموسيقيون القدماء الصنوج بأنواعها ، أما على صعيد أدوات النفخ فقد عرف العراقيون القدماء العديد من أدوات النفخ التي كانت شائعة منذ القديم وتواصل إستعمالها على مر العصور حتى يومنا هذا ، ومن أشهر تلك الآلات الناي ذو القصبة الواحدة والناي ذو القصبة المزدوجة والمتعدد القصبات وكذلك المزمار القصير والطويل ، كما عرف البابليون العزف على الأبواق وخاصة المتوسطة منها .



رقصة كلدانية (خوكا) بالملابس الفولكلورية

الآداب في العراق القديم .. منجز بابلي الأصول

لقد مكنتنا التنقيبات في المواقع والتلول الآثارية التي لم تغط حتى الآن إلا نسبة مئوية بسيطة منها قياساً بعدد التلال الأثرية المعروفة من جمع ما يزيد على مليون رقيم يتناول جوانب الحياة المتنوعة في العراق القديم ، ولكن الرقم التي وصلتنا من ذلك الكم الهائل والتي تتناول آداب وادي الرافدين لم تكن لتتجاوز حتى منتصف عقد الثمانينات من القرن المنصرم خمسة آلاف رقيم ، ومرد ذلك أن العراقي القديم كان يتناقل القصص والأساطير عن الكون والعالم والآلهة والعفاريت شفاهاً وقد بقيت هذه السمة ملاصقة لذلك المجتمع الأولي ، ولم يتغير هذا التعود على النقل الشفاهي للآداب والمآثر القديمة حتى بعد إبتكار الكتابة إلا قليلاً , وذلك لسببين رئيسين هما أن النصوص الكتابية الأولى سواء الصورية منها أو المسمارية كانت كتابات غير ناضجة بمعنى أنها كانت تتعامل مع المرئيات والملموسات ولكنها لم تكن قادرة على تصوير المشاعر والإنفعالات ، من ناحية أخرى كانت القراءة والكتابة إمتيازاً خاصاً بقلة من أبناء المجتمع عهدذاك .

وبديهي أن الرافدي القديم لم يتمكن من تدوين أفكاره بشكلها الأدبي إلا في منتصف الألف الثالث ق.م ، حيث تسبق أقدم النصوص الأدبية العراقية القديمة أقدم النصوص المصرية بما يقرب من ألف عام ، كما تسبق النصوص العراقية القديمة أقدم النصوص التوراتية التي بدأ تدوينها في القرن السادس ق.م بألفي عام تقريباً ، أما السبب الآخر لتأخر كتابة النصوص الأدبية فكان في قلة عدد المدارس (أي دوبا) والكتبة (دوب سار) المتخصصون لتدوين تلك الآداب .

والحقيقة فإن معظم الآداب الرافدية التي تعود معظمها إلى عصر الكلدان الأوائل قد كتبت لأول مرة في عصر نضج الكتابة الذي وافق مرحلة التفوق السومري لذلك كان أبطالها يحملون الملامح السومرية ويتميزون بالطابع السومري مع أنهم كانوا أصلاً صدى لحكايات تنتهي في التاريخ المجهول لوطننا الأم ، ومما ساعدنا على تلمس تلك التأثيرات القديمة ، أن الكاتب السومري لم يخف تلك الأصداء بل أعترف بأفضلية وأسبقية مدن كان مؤسسوها من الكلدان الأوائل بناة أريدو وكيش وأوروك وأور وبابل العصر المجهول .

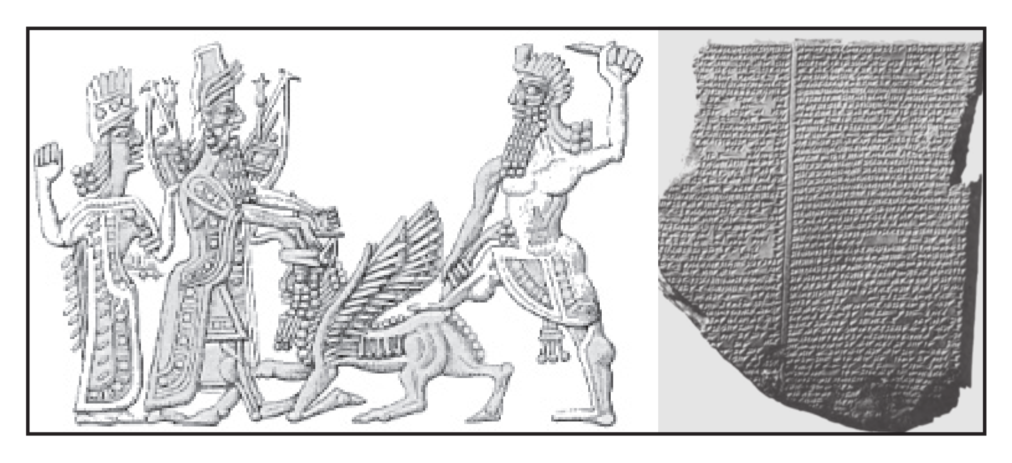
ولعل من أشهر تلك الملاحم والأساطير القديمة ما يتعلق بخلق العالم ومصير العالم والمدن القديمة والانسان ومنها (أسطورة خلق أريدو) وكذلك أساطير وملاحم الآلهة والأبطال ، ومنها (أسطورة إيتانا الراعي) ملك كيش الذي حلق في السماء على جناحي نسر كوني فأعطى تفاصيل الأرض تماماً كما لوكان قد ركب مركبة فضائية ثم (أسطورة الحكيم أدابا) ، وهنالك أساطير المفاضلة بين الراعي والفلاح وبين النخلة والشجرة وإلى ما ذلك من مفاضلات ، كذلك هنالك الأساطير التي تتعلق بالزراعة والتقويم وآلهة العالمين العلوي والسفلي الأنوناكي -Anunnaki- والإيجيجي -Igigi- ، وهنالك مجموعة من الترانيم (سرنام) التي تقابل مفهوم (سوغياثا) في لهجة السودايا الكلدانية الحديثة ، وكذلك مجموعة التعاويذ أشهرها تعويذة دودة الأسنان وكذلك أساطير الرحلات كأسطورة (إنانا / عشتار إلى أريد) و (رحلة ننار / سين إلى نيبور) ورحلة إنكي / أيا) التفقدية وتنظيمه للكون وكذلك أساطير البطولة الإلهية كأساطير إنكي وننورتا وإنانا مع التنين كور وأسطورة الطائر زو /

آنزو وأساطير زواج وموت الآلهة ومنها زواج ننليل وموت تموز ونزول عشتار إلى العالم السفلي وأساطير الإنتقام الإلهي وأشهرها (أسطورة الطوفان) .
ومن أدب الملاحم تأتي مجموعة ملاحم كلكامش في المقدمة عادة بسبب من شهرتها وقدمها ومنها ملحمة كلكامش -Gilgamesh- العامة وملحمة كلكامش وأنكيدو -Enkidu- والعالم السفلي وملحمة موت كلكامش ، كما أن هنالك اسطورة الحكماء السبعة -Sha pi apkalle- وهم الذين علموا البشر أصول العمران في أقدم سبع مدن رافدية إبتداء بأريدو عاصمة أسلاف الكلدان الأولى ، أما أشهر أساطير وملاحم الملوك فهي (ملحمة ولادة الملك شروكين) التي تشبه وإلى حد بعيد حكاية ولادة موسى النبي وكذلك ملحمة ملك الحرب -Sharru-Tamkhari- وبطلها أيضاً هو شروكين الكلدي / سرجون إمبراطور أكد ، كما وصلتنا نصوص أدبية رائعة منها الرسائل المتبادلة بين الملوك ومخاطبات وتضرعات الملوك للآلهة ونصوص الحكم والنصائح والأمثال ونص أيوب السومري وأسم النص الأصلي هو (المعذب) وكذلك وصلتنا قصائد الرثاء وأشهرها (رثاء أور) وندب الآلهة مثلما وصلتنا القصائد العاطفية الرومانسية والساخنة وأشهرها بين عشتار وتموز وقصائد الزواج المقدس وهنالك نصوص أدبية أخرى تتناول الأدعية والتراتيل الدينية ، أما أشهر المدونات الأدبية الرافدية قاطبة فهما أسطورة خلق العالم / الإينمو إيليش -Enûma elish- وملحمة كلكامش -Epic of Gilgamesh- .
ومن الجدير بالذكر أن الأساطير تختلف عن الملاحم في أن الأولى سجل لمنجزات الآلهة فيما تدور الثانية حول الأبطال القدماء وأنصاف الآلهة ، والحق فإن الأساطير والملاحم السومرية البابلية كانت قد أنبثقت عن أصول غنائية موغلة في القدم كانت ترافق الرقص السحري في المراحل البدائية ، حيث كانت التفاسير السحرية هي المعول عليها لتفسير الظواهر الطبيعية , وكانت تلك الطقوس تعتمد الحركات الإيمائية المصحوبة بالإيقاعات النغمية ، وقد أستمرت تلك الأنشطة الغنائية في الإستخدام وبخاصة أثناء أحتفالات (الأكيتو) ، حيث كان هنالك مجاميع غنائية رئيسة ترافقها مجموعة من الندابين ومجموعة أخرى من المرتلين ، ولم ينبثق الأدب النثري المتطور إلا في الألف الأول ق.م فيما ظل الأسلوب الشعري المعروف بالدارمي والمربع والمخمس والسباعي مستخدماً عند العامة حتى يومنا هذا ولاسيما في المناطق البطائحية .
ولعل من أبدع ما كتب في التاريخ الرافدي هو كتاب -Babyloniaca- أو -Chaldaica- للمؤرخ الكلداني برحوشا المعروف بأسم بيروسس -Berossus- والذي كان من علماء بابل المشهود لهم بالنبوغ حيث أنشأ برحوشا مدرسة للتعليم في جزيرة كوس -Cos- الإغريقية ، أما كتاب (البابليات أو الكلدانيات) فهو إنجاز موسوعي دون فيه برعوشا تاريخ بابل منذ الخليقة حتى حكم الأسكندر الكبير ، وكان الكتاب بمثابة هدية لخليفة الأسكندر الملك أنطيوخس الأول -Antiochus I- حاول برحوشا / برعوشا من خلاله أن يعرف الإغريق على تاريخ بلاده العريق وأمجاد الملوك الكلدان القدامى منذ عصر عاصمتهم الأولى أريدو .
كما يعتبر معجم آنا إتيشو -Ana Ittishu- أقدم معجم معروف لحد الآن في تاريخ البشرية ومعنى عبارة آنا إتيشو هو (ملبي الطلب أو حين الطلب) وهيّ أول عبارة في هذا المعجم ، ويضم المعجم جداول للمفردات السومرية والأكدية المتقابلة في المعنى ، وفي شتى مجالات

المعارف والعلوم ، وتعود نسخة المعجم المكتشفة إلى القرنين الثامن أو السابع ق.م لكن دراسة هذا المعجم بشكل واف بينت لنا بأنه نسخة عن أصل أقدم يعود إلى العهد البابلي القديم أي مطلع الألف الثاني ق.م .

وبديهي أن العراقيين القدماء قد أحتاجوا لمؤسستين لحفظ وأستنساخ وتطوير الأداب لذلك كانت هنالك مكتبات -Tuppi Bitim- تعتمد الفهرسة للنصوص حيث كان كل نص يعنون بحسب مقدمته ، وعلى سبيل المثال فإن أسم ملحمة كلكامش (هو الذي رأى كل شيء) وأسم ملحمة الخليقة البابلية هو (عندما في العلى) وذلك لأن هذين العنوانين كانا أول سطر في بداية هاتين القطعتين الأدبيتين ، وهكذا فقد كان السطر الأول يمثل عنوان العمل الأدبي في النصوص المسمارية ، وكانت الألواح تحفظ في رفوف أشبه بأوعية فخارية وتسمى خزانات الألواح تلك بيسان دوبا -Pisan Dub ba- أي صندوق الألواح أو الأرشيف ، وتعلق في أعلى كل صندوق بطاقة أي لوح طيني (فهرست) صغير يبين نوع المحفوظات في كل صندوق .

المؤسسة الثانية التي كان الرافدي القديم بحاجة ماسة إليها هي المدرسة -E Dubba- حيث يتم فيها تدريس أسس الكتابة والعلوم الأخرى وكانت الدراسة على مرحلتين يتعلم الطالب -Dumu E Dubba- في المرحلة الأولى مبادئ القراءة والكتابة وأصول المعاملات التجارية وتوازي هذه الدراسة المرحلة الثانوية وفي المرحلة الأعلى أي ما يوازي التعليم الجامعي يتقن الطالب الطب والعلوم والآداب ، وكانت طبقة الكتاب -Dub Sar- والفنانين -Umana- تمثل مجموعة النخبة للطبقة المتوسطة في المجتمع الرافدي القديم .



نص من ملحمة كلكامش / كلكامش وأنكيدو يصرعان الثور السماوي

الأصول البابلية للطب والصحة العامة

مع أن الطب في العراق القديم قد تعرض للكثير من سوء الفهم وأحياناً للتجني من قبل عدد من الباحثين الأجانب ، غير أن علماء من نوع كونتينو ولابات وكوشر وروتن والدكتور عبد اللطيف البدري قد أنصفوا بكتاباتهم ذلك الحقل الغزير من المعرفة ، ويكفي أن نعرف أن (شعار الطب) المستخدم اليوم في العالم كله والذي يسميه اليونان والرومان القدماء (كاديكيوس) ويتألف من عصا تلتف حولها أفعى وفي أحيان أخرى يتألف من ثعبانين يلتفان حول عصا ، والذي نسبه اليونان لهم على أساس أنه رمز إله الطب إسكلابيوس -Asclepios- ما هو في الواقع إلا شعار إله الطب والشفاء ننكشزيدا وزوج الإلهة كولا إلهة الشفاء التي أقتبس عنها إسكلابيوس أيضاً تابعها الحيواني (الكلب) ، وقد وجدت لرمز ننكشزيدا أكثر من عمل نحتي قرباني في مدينة لكش كونه إلهها الحامي ، ويرجع شعاره الرافدي هذا إلى الألف الثالث ق.م أي قبل أن يستعمله الإغريق رمزاً للإله إسكلابيوس بما يقرب من ألفي عام !

والحق فإن من أجمل الأعمال التي جاءتنا من العراق القديم بهذا الخصوص هو كأس كوديا -Gudea- ٢١٤٣-٢١٢٢ ق.م من حجر الستيتات من تلو والمتواجد حالياً في متحف اللوفر ، صحيح أن الطب الرافدي لقدمه قد بدأ طباً سحرياً أعتمد في ظاهره على تعاويذ تقرأ على الماء العذب وتسقى للمرضى ، ولكون إله الماء العذب والحكمة هو الإله أيا فقد دعي الأطباء القدماء بأبناء أيا أو العارفون بالماء وباللغة السومرية (آزو) وفي البابلية (آسو) ، لكن الطب الرافدي القديم جداً ما لبث أن أتخذ هيأة قريبة من طب العصر العباسي الزاهر ، حيث توزعت مهنة الطب على ثلاث أنواع من الأطباء وهم الأطباء الفاحصون (الآسيبو) والأطباء المعالجون (الآسي) والجراحون ، حيث يقوم الآسيبو بتقرير نوعية المرض وهل هو مرض جسماني أم مرض إلهي / نفسي ، وفي حالة كون المرض جسمانياً يتم إستدعاء الآسي الذي يعاين المريض ويقرر له نوع العلاج ويكتب له نوع الدواء وعدد مرات أخذه في اليوم الواحد وهل يؤخذ الدواء مع الطعام أم على معدة خاوية ، وإذ كان المرض نفسياً عندئذ يستدعى المعزمون وطاردوا الأرواح الشريرة حيث يقومون بغسل المريض وإعطائه جرعات من الماء العذب أو الخمر الذي يقرأ عليه تعاويذ خاصة وهذا في الواقع يشبه العلاج العصري بالإيحاء النفسي وبخاصة مع المرضى الذين لا يشكون من علة جسمانية ، أما إذا كان المرض من النوع الذي يتطلب التداخل الجراحي فيستدعى الجراح المختص في نوع المرض حيث يتم تطهير المكان بالتعازيم وغسل مكان إجراء العملية وغسل المريض وإعطائه المسكنات والمخدرات بحسب نوع العملية وموقعها من الجسم .

ويؤكد الدكتور عبد اللطيف البدري في بحثه الموسوم (الطب في العراق القديم) بأن القوانين البابلية حددت مهن الأطباء وتخصصهم فكان هنالك أطباء مختصون في الجراحة وأطباء مختصون في الأمراض العامة وآخرون مختصون بأمراض النساء والولادة ، كما تؤكد قوانين حمورابي على عدم جواز ممارسة الطبيب البيطري لمهنة علاج المرضى من الناس ، وكذلك منعت الطبيب البشري من علاج الحيوانات ، وتميز هذه القوانين كما تشير إلى ذلك مارغريت روتن بين مهنة الطبيب العام والطبيب الجراح والبيطري والحلاق الذي كان

يلعب دور طبيب الأسنان أيضاً ، وتحدد أجور كل واحد منهم مثلما توضح عواقب أخطائهم المهنية .
وتؤكد الأدوات الجراحية التي أكتشفت على ضفاف الفرات من الحقبة السومرية إلى عمق معرفة الطب الجراحي في العراق القديم ، كما أوضحت المكتشفات الآثارية عن وجود محلات تشبه الصيدليات الحديثة متخصصة في بيع الأدوية المعقدة علاوة على النباتات والأعشاب الشافية والخمور وكحول التعقيم والمسكنات والعطور ، وقد أورد كامبل تومسن -Reginald Campbell Thompson- في ترجمة له لأحد الألواح الصيدلانية ذكر ٢٥٠ نوعاً من النباتات الشافية و١٢٠ مركب طبي من مواد معدنية و١٨٠ مادة عقارية متنوعة كما ذكر في ذلك اللوح الصيدلاني ٦٣٠ مرة إضافة الكحول لمواد تدخل في قائمة تحضير العقاقير و٣٠٠ مرة إستخدام الدواء مع مزيج البيرة القوية (المركزة) و١٠٠ مرة مع بيرة السمسم و٩٠ مرة بمزج العقاقير مع النبيذ الأحمر كما ذكرت الشحوم ١٧٠ مرة والزيوت ٣٤٠ مرة والعسل ٨٠ مرة والشمع ٣٠ مرة والحليب ٤٠ مرة ، مما يؤكد ضلوع الصيدلانيين القدماء وتمكنهم من تحضير مختلف العقاقير والأدوية وبطرق علمية .
وقد عرف العراقيون القدماء إنتقال العدوى الجرثومية بالتلامس وعن طريق الهواء ومن خلال الحشرات ، وتؤكد المادة ٢٧٨ من شريعة حمورابي على إبطال عقد شراء العبد الذي يظهر عليه الجذام -Bennu- بعد شهر من بيعه بسبب خوفهم من نقله للعبيد الأصحاء ، كما حذر من النجاسة والحشرات والقوارض التي تنقل مرض الطاعون -Mutanu- ، ويذكر أحد الرقيمات الطينية نصيحة طبيب لأحد الملوك يبلغه فيها بأن الحبة التي أصيب بها ستدوم لسنة واحدة ثم تختفي ، وهي أعراض ما عرفت لاحقاً بحبة بغداد ، وعرف الأطباء الحقن الشرجية ومخفضات الحرارة وبعض العلاجات النسائية المعقدة ، كما وصفت للمرضى قطرات العين وعلاجات إنسداد الأنف والغسول والمراهم .
وقد صلتنا رقم طبية تحمل نصائح تؤكد على النظافة وأهميتها ولاسيما غسل اليدين والوجه قبل تناول الطعام وذلك لتجنب الأمراض ومنع الريح الشريرة (العدوى) من الإنتقال عن طريق الأوساخ إلى الفم وبالتالي إلى داخل الجسم ، وقد وصلنا رقيم طيني يعود إلى مطلع الألف الثاني ق.م هو لوح (نيبو لئو) الذي يحتوي على ثلاثة أعمدة سطر في العمود الأول منها أسم ١٥٠ نبات طبي وفي العمود الثاني المرض الذي يعالجه كل نبات وفي العمود الثالث كميات الدواء التي تعطى للمريض وعدد مرات الإستخدام في اليوم الواحد مع ملاحظة إستعماله قبل تناول الطعام أم بعد الأكل ، كما وصلنا لوح طبي من لجش يعود إلى أواخر الألف الثالث ق.م ذكرت فيه أسماء آلات جراحية وطريقة تحضير بعض الأدوية وقد وقع الرقيم من قبل طبيب يبدو من أسمه أنه ينتمي إلى الكلدان الأوائل حيث ورد أسمه على هيأة (أور د كالدي أنا) وهو أقدم تسجيل لأسم طبيب عراقي وأقدم تسجيل لأسم طبيب في العالم كله .
ولعل ما يؤكد ضلوع العراقيين القدماء في مجال الطب وألتباس الأمر على الكتاب الغربيين الذين تناولوا تاريخ الرافدين القديم فخلطوا بين الممارسات البدائية التي تعتمد السحر والتعاويذ التي تعود إلى الألف السادس ق.م وبين الممارسات الطبية العلمية التي أزدهرت منذ العصر البابلي القديم ، فإننا نستشهد برقيم طبي أكتشف في نيبور ويرجع تاريخه إلى نهاية الألف

الثالث ق.م حيث تعود أهميته إلى خلوه من أية إشارة للتعاويذ أو ذكر للأرواح الشريرة أو السحر ، بل سجل كاتب اللوح وصفات ومعالجات تعتمد كلياً على الجانب المادي العلمي من التطبيب ، مما يؤكد أن الطب الرسمي كان علمياً تسوده الممارسات العملية مع أن الوسط الشعبي لم يكن يخلو من ممارسين للطب السحري وفي هذا يتشابه الماضي مع الحاضر ، فبرغم كل التقدم العلمي الذي وصل إليه الطب الحديث ما زالت هنالك بعض المجتمعات التي تؤمن بحجابات المحبة وبالتعاويذ الحارسة وقدرات الأولياء الصالحين ، مثلما تتواجد أعداد من المؤمنين بمثل هذه الأفكار في المجتمعات المتطورة كأوربا وأميريكا .

أما العراقيون القدماء فقد وصلوا منذ عصر ميشالم إلى مرحلة من التطور الإجتماعي الذي أهلهم للتأكيد على الجوانب الصحية في حياتهم ولعل خير مثال على ذلك وجود مجاري المياه الثقيلة في كيش والتي يرجع تاريخها إلى أواخر الألف الرابع ومطلع الألف الثالث ق.م ، وكذلك وجود حمامات ذات أرضية لا ينفذ فيها الماء ، وكانت البيوت البابلية تحتوي على مستودع خارج البيت تجمع فيه المياه الثقيلة التي يتم تنظيفها في فترات مناسبة ومن قبل حرفيين محترفيين ، وهذا ما كان مستخدم في بغداد حتى منتصف الخمسينات من القرن المنصرم ولاسيما في الدور البعيدة عن النهر .

وقد وجدت دورات المياه (المراحيض) في منازل مدينة أور من الطبقة البنائية التي تعود إلى ٢٠٠٠ ق.م وكانت دورة المياه في أحد الدور تعود إلى طبقة تاريخية أقدم أي بحدود ٣٥٠٠ ق.م ، فيما لم تعرف أوربا مثل هذه الدرجة من الوعي الصحي على المستوى الشعبي إلا بعد عصر النهضة الأوربية أي مطلع القرن الرابع عشر للميلاد بمعنى بعد ٥٠٠٠ آلاف عام من معرفتها وإستخدامها من قبل الكلدان الأوائل !



مشهد يصور طبيباً يقوم بفحص مريض بأسلوب علمي بحضور مندوبين عن إله المعرفة والفنون أيا / إنكي

العلوم البابلية / الرياضيات والهندسة والفلك وجدول الأعداد الرقمية

لا يمكننا أن نقوم بإجراء مراجعة تاريخية لمنجزات وادي الرافدين عبر تاريخه الطويل دون أن ننحني إحتراماً وإعجاباً لعبقرية أسلافنا القدماء ، ذلك أن العلوم التي تشكل حجر الزاوية في حياتنا المعاصرة إنما قد أبتكرت وتطورت خلال ما يزيد على خمسة آلاف عام ق.م في وادي الرافدين مهد الحضارة البشرية ولا جدال على ذلك ، ولأن طبيعة بحثنا لا يعنى بتناول هذه العلوم تفصيلياً فإنني سأمر عليها مر الكرام من أجل إعطاء فكرة عامة فحسب ، أما من يريد الإستزادة حول هذا الموضوع فهنالك عشرات المراجع المتخصصة .

الرياضيات والحساب وعلم العدد :

تؤكد الرقم الطينية التي وصلتنا من العراق القديم على معرفة السومريين بنظام ستيني معقد أعتمد المزاوجة بين النظامين الستيني التقليدي والنظام العشري وذلك لحل إشكالية إيجاد رموز لستين وحدة غير متكررة من وحدات النظام الستيني مجاراة لوحدات النظام العشري ، إذ يحتاج النظام العشري على سبيل المثال عشرة رموز أساسية تبدأ برقم واحد وتنتهي بالصفر بمعنى رقم عشرة ، ولتوضيح الصورة بشكل أفضل للقارئ غير المتخصص , أشير إلى أنه كانت للنظام العشري علامات من رقم واحد / دش أو كي -Desh or Ge- حتى رقم تسعة إيليمو -Ilmmu- على شكل مسامير ثم الرقم عشرة / خو أو أو -Khu or U- على شكل زاوية أو رأس مسمار ، وكان هنالك علامة للرقم ستين / كش -Gesh- ثم علامة للرقم ستين مضروباً في الرقم عشرة بمعنى ستمائة كش أو -Gesh U- ثم مربع الرقم ستمائة أي ٣٦٠٠ وهو رقم دائرة كاملة مضروب في عشرة ويلفظ شار -Shar- ، وهكذا بالنسبة للأرقام المركبة كالرقم مائة مثلاً ويلفظ مي -Me- فقد كان يكتب بالعلامتين ستين وإلى يساره أربع علامات للرقم عشرة ، وفي الأرقام المركبة توضع الأرقام الصغيرة إلى يسار العدد الكبير ، ولم يكن للرياضي السومري علامة تمثل الصفر ، لذلك كان عند إجرائه للمعادلات الرياضية والحسابات يترك مكاناً فارغاً يقصد به الرقم (صفر) ، ولكن علماء الرياضيات الكلدان تمكنوا في القرن السادس ق.م من إبتكار الصفر بشكله الأولي الذي طور في العهد السلوقي بحدود منتصف القرن الرابع ق.م وذلك من قبل الرياضي الشهير كيدينو -Kidinu- بحدود ٣٥٧ ق.م , مع أن هنالك من يشير بأن الذي طوره هو الرياضي الكلداني نبوريماني -Nabu rimani- .

وقد تعدت معرفة العراقيين القدماء إستخدام الأعداد الصحيحة إلى التعامل مع الكسور حيث كان يكتب الكسر (نصف) ١/٢ بشكل مسمار عمودي يقطعه من وسطه مسمار أفقي صغير ، أما رمز الكسر (ثلث) ١/٣ فكان يرسم بعلامة تتألف من مسمارين عموديين يقفان على مسمار أفقي صغير . وبذلك قد تمكن هؤلاء العباقرة من حل أعقد المعادلات الرياضية وأجراء أصعب الحسابات من خلال ذلك النظام الرياضي المزدوج .

ولمعرفة أسلوب كتابة الأرقام في هذا النظام فإن الرقم ستمائة يكتب بالعلامتين عشرة وإلى يمينها الرقم ستين , أما الرقم أحد عشر فيكتب بالعلامة عشرة وإلى يمينها الرقم واحد ، أما الرقم ٩٥٤ يكتب على النحو التالي في خانة الآحاد يوضع الرقم أربعة ويلفظ ليما أو ليمو

-Limmu- وفي خانة العشرات يكتب الرقم خمسين ويلفظ نيمين أو نينو -Niminu- أي خمس مرات عشرة وفي خانة الستينات يوضع الرقم تسعمائة ويلفظ كش أو كش إيا -Gesh U Gesh Ia- ويتألف من الرقم ستمائة ومعه خمس مرات رقم ستين ، وقد تبدو هذه الطريقة صعبة لأول وهلة لكنها تشبه في سهولتها المفرطة مبدأ وضع الفيش (الأحجار) في لعبة الطاولي التي لا تحتاج لأكثر من خبرة بضع دقائق .

لكن أهم ما وصلنا من رقم طينية رياضية هي تلك التي تزيد على خمسمائة رقيم طيني والتي تمثل أثمن الألواح الرياضية الرافدية وأكثرها شهرة والتي جاءتنا من العصر البابلي من فترتي ٢٠٠٠ ق.م و ١٦٠٠ ق.م وكذلك من الفترة الكلدانية السلوقية أي القرن الرابع ق.م .

ويعد من أهم المنجزات الرياضية القديمة إبتكار نظام المرتبات العددية أي (الأحاد والعشرات والمئات والألوف) وهي ما نستخدمه في يومنا هذا لحل أصعب المعادلات الرياضية ، فقد تمكن الرياضيون البابليون من إبتكار طاولة أو لوح خشبي يحتوي على مسارات محفورة طولياً يمثل كل مسار مرتبة عددية ، ويقسم كل مسار إلى عدد محدد من الخانات توضع فيها خرز أو حصى تمثل كل واحدة منها رقماً يتغير بحسب موقعه من المسار ودرجاته ويعد هذا أقدم إبتكار لحاسوب رقمي -Computer- معروف ، يعد دونما شك أساس علم الحاسبات الرقمية التي تعتمد الأسلوب ذاته ولكنها تشتغل بالطاقة الكهربائية ، وكان التمرن على هذه الأدوات يمنح المتدرب سرعة فائقة في حساب أعقد الأرقام وأكبرها .

وفي المجال الرياضي أيضاً أبتكر الرياضي الرافدي الدساتير العددية ومنها دستور مربع مجموع عددين ومربع الفرق بين عددين ، كما تم رفع وجذر الأعداد إلى مختلف القوى ، وعرف الرياضي البابلي إستخراج قيم تقريبية لما تعرف اليوم بالأرقام الصماء ، كما عرف إستخراج الجذر اللامعقول والذي يسمى اليوم بالصيغة الهيرونية -heronienne Formule- كما عرف الرياضي البابلي القديم المتواليات العددية والهندسية ، وكذلك عرف الرياضي البابلي حل المعادلات الجبرية كالمعادلات الآنية ومعادلات الدرجة الثانية والثالثة وبذات الأسلوب المستخدم حالياً ، كما عرفوا نظرية اقليدس الذي عاش في القرن الثالث ق.م التي تعتمد مبدأ تشابه المثلثات القائمة الزاوية المحدثة من إنزال عمود من الزاوية القائمة في مثلث قائم الزاوية على الوتر وذلك قبل أن يعرفها اقليدس بسبعة عشر قرناً ، كما وصلتنا جداول رياضية مطولة بضرب الأعداد وجذرها ورفعها وكذلك عرفوا النسبة الثابتة والكسور .

وقد أشتهر الرياضيون السومريون البابليون بعلم فلسفة العدد ، حيث كانوا يرمزون لكل شيء في الحياة والمحيط والآلهة بالأرقام ، وكانت العلاقات بين تلك الأرقام توحي لهم بالعديد من الأفكار ، وكمثال على ذلك كان يرمز للسماء / آنو بالرقم ٦٠ والأرض بالرقم ٥٠ وهو رقم الإله إنليل أيضاً والعالم السفلي بالرقم ٤٠ وهو رقم الإله أيا ، كما كان يرمز للشمس والإله شمش وللملك بالعدد ٢٠ والقمر والإله ننار بالعدد ٣٠ والرقم ١٠ للإله مردوخ وأحياناً أدد مع أن رقم أدد هو ٦ أما الرقم ١٥ وكذلك ١٤ فكان يرمز لكوكب الزهرة / الإلهة عشتار فيما خصص الرقم ٧ للعفاريت والشياطين لكثرة عددهم ذلك أن الرقم ٧ كان يشير عند العراقيين القدماء إلى الكثرة ، كما كان رقم الملك شرو كين هو ١٦٢٨٠ ، وقد وقع أحد الفلكيين أسمه بطريقة الشفرة أي بالأرقام المرادفة للمقاطع الصوتية التي تؤلف أسمه وذلك على النحو التالي ٢١ ٣٥ ٣٥ ٢٦ ٤٤ بن ٢١ ١١ ٢٠ ٤٢ ، وقد توصل هؤلاء الرياضيون

القدماء إلى إبتكار الألغاز والألعاب المسلية والمفيدة في آن واحد ، علاوة على دخول مثل هذا الأسلوب في اللاهوت البابلي وفي علم العدد المقدس الذي دخل في مجال العرافة وعلم التنجيم .
ومن الجدير بالذكر أيضاً أن الرياضيين القدماء تمكنوا بفضل طريقة ترميزهم للإرقام ومن إبتكار السلم الموسيقي الرقمي ، إذ لم يكن الموسيقي العراقي القديم يكتب ألحانه بطريقة النوطة الأوربية (دو ريه مي فا) المستخدمة حالياً ، ولكن بطريقة علمية صرفة وهي الطريقة التي تم شرحها في موضوع الموسيقى .
وحري بالذكر أيضاً ، أن الرياضيين البابليين القدماء قد تمكنوا من معرفة خواص الأعداد الفيثاغورية ، حيث كانوا يستخدمون الطرق التي يطلق عليها اليوم تسمية معادلة فيثاغورس -Gnomon de Phythagore- وذلك قبل ولادة فيثاغورس نفسه بقرون عديدة .
كما تمكن الرياضيون البابليون القدماء من حل أعقد القضايا الهندسية وأصعب المسائل الرياضية بسبب من أمتلاكهم للقدرة على التعامل مع المجردات وتحويلها إلى محسوسات وهي قدرة تحتاج إلى عقول متفوقة وأمكانات ذهنية هائلة ، لذلك لم يخطيء الآثاري الشهير فرانسوا تورو دانجن ١٨٧٢-١٩٤٤م -Fr. Thureau Dangin- عندما قال في بحث له حول علم الرياضيات عند كلدان وادي الرافدين : لقد وصل نبوغ التعبير العددي في المنهج العلمي لدى الكلدانيين درجة من البساطة والمجانسة والتنظير لن يتجاوزه غيرهم !

علم الفلك :
تميز العراقيون القدماء منذ عصر أريدو بتفوقهم في مجال علم الفلك الذي أبتدأ بممارسات سحرية للسيطرة على القوى الطبيعية ومعرفة تأثيرات الكواكب على طالع المدن والملوك وعامة الناس ، وتقول مارغريت روتن بهذا الصدد في كتابها الموسوم علوم الكلدان ص٨١ : لقد وصل إلينا تعجب المؤلفين القدامى من حكمة الكلدانيين ، وقد أكد العلماء المعاصرون أيضاً على الدور الذي لعبه الكلدان في تاريخ العلوم وذلك إنطلاقاً من النصوص المسمارية عينها .
يعرف المختصون بأن الرافديين القدامى قد قسموا الأجرام السماوية إلى مجموعتين ، أجرام عليا وهي المريخ والمشتري وزحل وأجرام سفلى هي عطارد وعشتار وذلك نسبة لمداراتها حول الشمس كما يذكر ستجن في كتابه الموسوم (الكوكب الثاني عشر / ط١ -١٩٧٦) بأن العراقيين القدماء قد عرفوا كوكب أورانوس مع إن إعادة أكتشافه ثانية تعود إلى عام ١٧٨٢م وكذلك كوكب نبتون الذي أكتشف ثانية عام ١٩٤٦م ، وقد سجل الرافديون القدامى مشاهدات لأربعة وعشرين نجمة أسموها قضاة الكون قسموها إلى قسمين ، قضاة شماليون يؤثرون في حياة الأحياء وقضاة جنوبيون يؤثرون على الأموات .
ويذكر المؤرخ الإغريقي سيمبليسيوس -Simplicius- بأن الكلدانيين كانوا يستشهدون في زمن الإسكندر بمشاهدات متتالية عمرها ١٩٠٣ سنة وهو تقدير لا مغالاة فيه ، وجدير بالذكر أن سيمبليسيوس هذا أرسل تلك المشاهدات إلى ارسطو ليطور من خلالها علم الفلك الإغريقي ، ويعتقد أن تلك المشاهدات قد جاءت في كتاب ارسطو الثاني المسمى -DeCoelo- ، ويخبرنا سترابون -Strabo- بحسب ماركريت روتن -Marguerite

Rutten- عن الفلكيين الكلدانيين بأن شغلهم الرئيس هو علم الفلك ، مما يؤكد وجود فلكيين حقيقيين بالمعنى الدقيق للكلمة ، ولعل من أشهر الفلكيين الكلدان كيدينو -Kidinu- من سبار -Sippar- ونابو ريماني -Nabu rimani- وسودينو -Soudino- وبرغم أن الفلكيين الكلدان قد سبقوا الإغريق في علم الفلك بأكثر من ألف عام ، إلا أن ما تركوه لنا يفوق كثيراً في أهميته بما تركه لنا الإغريق ، ويؤكد سينيكا -Seneca- بأن إبيجينوس -Epigege- قد درس علم الفلك على يد الفلكيين الكلدان .

وقد أشار العلماء الكلدان بأن هنالك علاوة على الكواكب الرئيسة ٣٦ جرماً سماوياً آخر أطلقوا عليها تسمية (الآلهة المستشارون) ، وقد قسم العلماء منطقة السماء إلى دائرة أسموها دائرة البروج ، وتتألف من أثني عشر برجاً أي بيرو -Berou- يترأس كل واحد منها دائرة البروج لمدة شهر واحد ، بمعنى أن كل بيرو -Berou- يتألف من ٣٠ درجة -Gesh- ، وكانت الدروب السماوية الكبرى التي تقسم السماء هي درب آنو وهو خط الإستواء ودرب إنليل وهو برج السرطان ودرب أيا وهو برج الجدي ، وقد قسم البابليون منطقة البروج إلى ٣٦ محطة بمعنى ٣٦٠ درجة ، وهو ذات ما يستخدمه العلماء في عصرنا الحاضر ، علماً أن المعرفة الدقيقة بتفاصيل هذه البروج كانت تساعد في تحديد مواعيد القطاف وخصوبة الأرض وما إلى ذلك .

ولعل من أشهر تلك التنبؤات ما جاءتنا من اللوح المعروف إينوما آنو إنليل -Enouma Anu Enlil- من الفترة السلوقية ، كما عرف العراقيون القدماء دورة الشمس ومدتها والقمر ودورته بدقة أثارت دهشة العلماء المحدثين ، وقد عرف الرافديون القدامى ولاسيما الكلدان ظاهرتي الكسوف والخسوف مثلما أعطوا تفسيرات للأرض معتقدين بأنها كوكب منحن يشبه السفينة التي تدور في البحر الكوني وهو تصور يتجاوز تصور الأوربيين عن الأرض المسطحة بحسب تفسيرات المفكرين في القرون الوسطى ، كما يقترب التصور الرافدي كثيراً من التصور العلمي المعاصر لو أستبدلنا مفردة المنحني بإنحناء متكامل أي االدائرة والسفينة بالجرم السماوي أو الكوكب والبحر الكوني بالفضاء الخارجي ، ولأكتشفنا التشابه الكبير في الأفكار العامة مع الإختلاف في إستخدام المفردات ، حيث يمكننا تصوير رؤيتهم للأرض بشكل كوكب يسير في فضاء كوني وفق حركة دائرية حول الشمس !

إن هذا التصور العلمي المتطور الذي يعود لأكثر من أربعة آلاف عام ليبعث على الدهشة والإعجاب معاً ، لاسيما عندما نقارنه بتصور أوربا في عصر ما قبل النهضة أي إلى قبل ما يقرب من أربعة قرون فقط ، حيث كان الأوربيون يعتقدون بأن الأرض هي جسم مسطح تدور الكواكب والشمس والنجوم من حوله !

ومما يبعث على الإعجاب والدهشة أيضاً أن حسابات الفلكيين الكلدان كانت دقيقة بشكل عجيب ، وكمثال على تلك الدقة العجيبة فإن ٥٧ دورة لزحل تساوي ٥٩ سنة و٦٥ دورة للمشتري تساوي ٧١ سنة وخمس دورات للزهرة تعادل ثمان سنوات وهذه هيّ ذات الحسابات التي توصل إليها العلماء في النصف الثاني من القرن العشرين ، كما أن أقدم تسجيلين مثبتين لمذنب هالي -Halley's Comet- إنما يعودان للعالم الفلكي الكلداني كيدينو رئيس مرصد مدينة سبار !

وتؤكد روتن بأن أبحاث الفلكيين الكلدان بالرغم من صبغتها الدينية إلا أنها في الواقع كانت

تسيرها روح علمية بحتة ، وقد عرف الفلكيون الكلدان المراصد الفلكية وكان أشهرها مرصدي (أوروك وأور) قبل أن يتفوق عليهما (مرصد بابل) الذي كان في أعلى برج بابل الذي يقدر ارتفاعه بحدود ٩٠ متراً ، وكانت هنالك مراصد أخرى مهمة في (بورسيبا) و(سبار) و(نيبور) و(أربيل) .

في عام ١٩٨٦م نشر الباحث عدنان مبارك في مجلة آفاق عربية في عددها لشهر حزيران موضوعه المعنون (أولى الرحلات الفضائية هل أنطلقت من العراق القديم) وعنوان ثانوي (قصة الكوكب الثاني عشر) ، وما دعاني لتناول ذلك البحث هو التأكد مؤخراً من إكتشاف كوكب جديد في فضاء ما بعد كوكب بلوتو ويدور هذا الكوكب الهائل البعد حول الشمس في مسار فلكي كبير ، وكانت مؤسسة ناسا -NASA- لأبحاث الفضاء قد نشرت بياناً في الثاني عشر من شهر حزيران من عام ١٩٨٢ تؤكد فيه على وجود مثل هذا الكوكب على بعد ٨٤ مليار كيلومتر من الأرض .

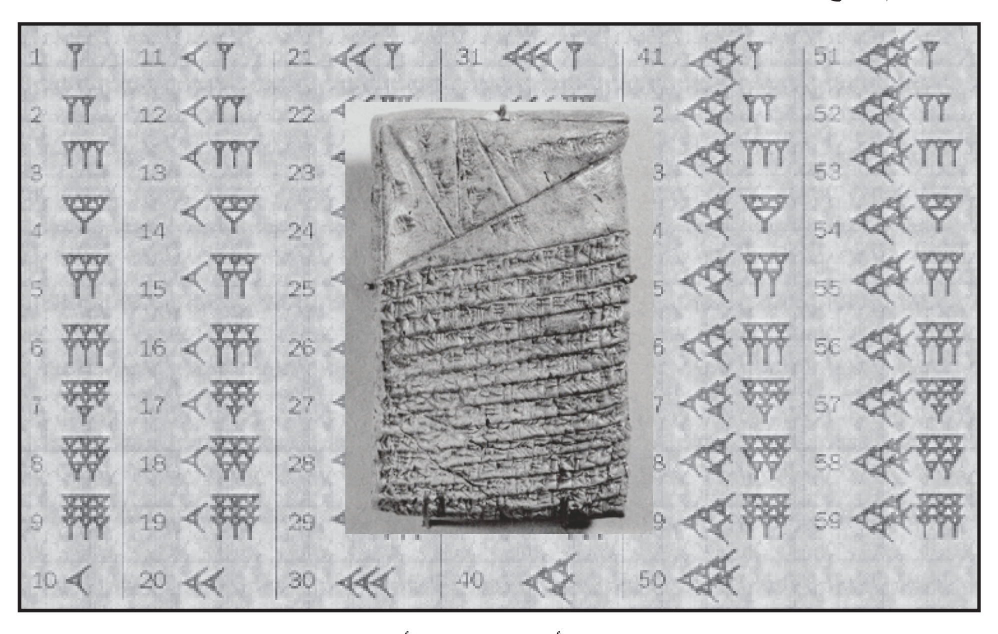
والحقيقة فأن موضوع السيد عدنان المبارك كان يستند أساساً إلى جملة من البحوث التي نشرها العالمان الأمريكيان زكريا ستجن -Zacharia Sitchin- وموريس شاتيلان -Maurice Chatelain- ، ففي كتابه الموسوم (الكوكب الثاني عشر) يقول ستجن عن المعلومات التي عرفها العراقيون القدماء : كانوا يعرفون جميع المعلومات الأساسية في هذا الحقل (الفلك) ، فقد عرفوا نظام المجموعة الشمسية وشكل الأرض وتقسيم الدائرة إلى ٣٦٠ درجة وقسموا السماء إلى ١٢ برجاً وكانوا أول من قسم اليوم إلى ٨٦٤٠٠ ثانية أي ٢٤ ساعة كل واحدة منها تتألف من ٦٠ دقيقة تتكون بدورها من ٦٠ ثانية ، ويقول ستجن أيضاً : نعم لقد أقنع كوبرنيكوس البشرية بأن الأرض تدور حول الشمس ، لكنه قام بالأساس بأمر واحد فقط وهو تذكيرهم بما كان منسياً وبما عرفه السومريون / الرافديون قبل ٥٥٠٠ سنة .

إلا أن أغرب معضلة وجد البابليون القدماء حلاً لها من خلال الأساطير هي معضلة الكوكب المتفجر بين مداري المريخ والمشتري أو كما يسمى حالياً (بحزام الكويكبات) والذي أسماه السومريون والبابليون تعامت -Tiamat- وهو كوكب تعرض للزوال بسبب كارثة كونية ، والغريب أن البابليين القدماء قد وضعوا مساراً لذلك الكوكب أي أن دورانه حول الشمس كان يستغرق ١٦٨٢ يوماً وكان يتقاطع مع مدار المريخ كل ١١٦٠ يوماً ومع مدار المشتري كل ٢٧٨٠ يوماً .

ولعل أغرب ما جاءنا من أختام إسطوانية هو الختم الذي يحمل صورة دوران الكواكب حول الشمس ، ويستغرب العالم شاتيلان من معرفة البابليين القدماء للمسافة بين الأرض والقمر التي يسجلونها وبدقة متناهية وهو ما لم يستطع العلماء المحدثون من معرفته إلا قبل بضعة عقود وبمعونة أجهزة بالغة في الدقة ، وهنالك لوح في المتحف البريطاني يصور بكتابات مسمارية مرفقة الطريق بين السماء والأرض ، مما دعا البعض إلى الإعتقاد بمعرفة العراقيين القدماء بعلم الطيران الكوني وهي محض تخمينات أساسها الإنذهال أمام عبقرية أسلافنا القدماء وعدم القدرة على إستيعاب بعض النصوص التي تدور حول تحليق الإله إنليل (إله الجو) ما بين الأرض والسماء أو تحليق الإلهة عشتار .

ويقول الأستاذ ستجن : بأن من غير المعقول معرفة أدق التفاصيل للمسافات الكونية ما بين الكواكب والتي تسجلها لوحة من نيبور درسها البروفيسور -Neugebauer- وتتواجد اليوم

في متحف -Yen- ، غير أن الإكتشافات الرياضية التي وجدت في شادوبوم بينت لاحقاً مدى تفوق العلم الرياضي التجريدي عند العراقيين القدماء والذي ساعدته المشاهدات المتتالية خلال آلاف من السنيين ، ولو لا العمل الأخرق للملك الكلداني نبوناصر ٧٤٧-٧٣٤ ق.م الذي حرمنا من معلومات تم تجميعها خلال القرون السابقة لحكمه ، وذلك عندما أمر بجمع سجلات الملوك الكلدان الذين سبقوه في الحكم وإتلافها ، معتبراً أن الحكم السلالي للبابليين الجدد (الكلدان) ينبغي أن يبدأ مع تاريخ إستلامه للحكم لكنا اليوم نمتلك خزيناً هائلاً من المعلومات الفلكية والرياضية علاوة على تفاصيل بالغة الأهمية عن الملوك الكلدان القدماء .
مع ذلك كان عهد نابو ناصر من العصور الزاهرة في التسجيلات الفلكية ، حتى أن الإغريق أعتبروه علماً كلدانياً خالصاً وهو ما يؤكده الدكتور عامر سليمان بقوله : بلغ الفلكي البابلي (الكلداني) من الشهرة لدى اليونان ما جعلهم يطلقون على هذا العلم مصطلح (العلم الكلدي) ، وتؤكد العالمة مارغريت روتن -Marguerite Rutten- في الصفحة ٩٨ من كتابها الشهير علوم الكلدان قائلة : يكفينا يقيناً بأن الكلدان هم أكبر الشعوب علماً بالفلك ، وأنهم أشد من أهتم بهذا العلم ببالغ العناية .



لوح من العهد البابلي القديم يضم حل مسألة منسوبة خطأ إلى إقليدس مع نموذج للترقيم البابلي

التقويم في العراق القديم (شومر وأكد)

من المعروف علمياً أن التقويم بشكليه القديمين (القمري) و(الشمسي) هما من إبتكار أسلافنا القدماء ، إذ عرف الكلدان الأوائل مؤسسو أريدو ٥٣٠٠ ق.م السنتين الشمسية والقمرية وأستخدموهما لتحديد أوقات زراعتهم مثلما كانوا أول من أستخدم النظامين الستيني والعشري ونظام الحساب المزدوج الذي يجمع بين الفهمين الرياضيين المعادل للتقسيمين القمري

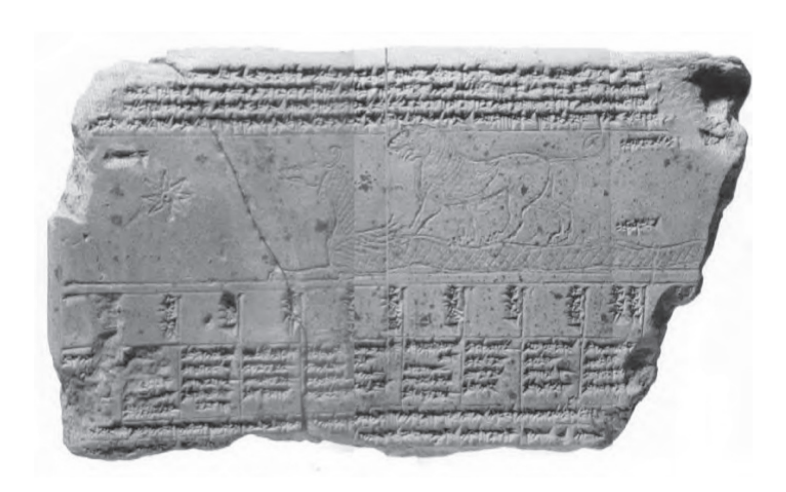
والشمسي ، ومما يؤكد ذلك أن الإله القمر سين وباللغة السومرية ننار إله الحكمة أو الإله الشهر لم يكن يحمل الرقم ٢٨ أو ٢٩ وهي الأرقام التقليدية لدورة القمر حول نفسه وحول الأرض وإنما كان يحمل الرقم المقدس ٣٠ ومعبده الرئيس كان حتى إبان عصر الغزاة أي بعد سقوط بابل بيد الأخمينيين في مدينة أور الكلدان ، والإله ننار هو والد الإله الشمس شمش ، حيث تمثل بنوة الإله الشمس سطوة الفهم الطبيعي في الفكر العراقي القديم الذي أنعكس على تقاويمهم الزراعية .

وقد كان العراقيون القدماء يحتفلون برأس السنة الشمسية الرافدية القديمة ريش شاتيم -Rêsh Shattim- في مناسبتين هما أكيتي شي كور كو -á-ki-ti-še-gur10-ku5- في الأول من شهر نيسان وزاكموك -Zagmuk- أي بداية السنة الذي يحتفى فيه أيضاً بالشجرة المقدسة (النخلة) في الخامس عشر من شهر إيلول من كل عام ، وهو نفس التاريخ بزيادة أو نقصان بضعة أيام الذي يحتفل فيه المشرقيون اليوم بعيد الصليب كما أنه ذات التاريخ الذي يحتفل فيه اليهود برأس السنة اليهودية روش هاشانا -Rosh hashanah- وكلا التاريخين الأخيرين مستمدان من التقويم البابلي القمري المعدل .

وقد كانت السنة الشمسية العراقية القديمة كما يؤكد معهد التاريخ العالمي في ساكريمنتو تتألف من موسمين أي فصلين شتاء -Enten- وصيف -Emesh- كل منهما يتألف من ستة أشهر ، وخير ما يمثل السنة الشمسية الرافدية بأفضل صورها القديمة هي إسطورة نزول عشتار إلى العالم السفلي كل ستة أشهر لإنقاذ زوجها تموز إله النخيل والزراعة ، علماً أن أقدم تسجيل وصلنا حول إستخدام التقويم الشمسي يعود إلى فترة أواخر دور العبيد ٣٧٦٠ ق.م أي قبل دور أوروك ما قبل السومريين والذي يشمل الطبقات ١٢-٧ التي كانت الهيمنة فيها على وسط وجنوب الرافدين للكلدان الأوائل / الفراتيون الأوائل-Proto Euphratin- ، وكان العراقيون القدماء ينتهجون آنذاك مبدأ إضافة التعديل الثماني لتقريب الفروقات بين التقويمين الشمسي والقمري ، ثم ما لبثوا عام ٢٨٠٠ ق.م حسب تسجيلات مدينة نيبور أن أبتكروا التعديل المعروف علمياً بأسم (دورة تعديل التقويم كل تسعة عشر سنة) والذي حمل تسمية -Iti dirig- وأفضل من كتب حول هذا التعديل هما المؤرخان دوايت بليفينس وكارل فرانكلين في دراستهما الموسومة وثائق تاريخية حول دورة تعديل كل تسعة عشر عام - -Historical Evidence of 19-Year Calation Cycle .

وفي العهد البابلي القديم أي بين أوخر القرن الثاني والعشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين ق.م وبسبب التطورات المعلوماتية في عهدي جمدة نصر ٣٠٠٠-٢٩٠٠ ق.م وميسالم ٢٥٥٠ ق.م -Mesalim- تم التأكيد على إعتماد رأس سنة واحدة وهي السنة القمرية المعدلة والتي يحتفل بها الكلدان قومياً وتسمى بعيد الأكيتو ، وقد تم تنظيم هذا الإجراء بشكله النهائي في عهد السلالة البابلية الأولى التي كان من أشهر ملوكها حمورابي ، حيث كان يحتفل بعيد الأكيتو في الأول من شهر نيسان الذي كان يصادف الإنقلاب الشمسي الربيعي وذلك بتداخل الرياضيات الرافدية القديمة التي تجمع بين النظامين الستيني والعشري , ويذكر الدكتور حكمت كوكي -H. P. Gogue- في دراسة نشرت له عام ١٩٧٠م والمعنونة (الوقت ، حسابه وساعاته) بأن حمورابي وبتوصية من كهنته قد أرسل إلى حاكم لارسا بمناسبة سنة غير كاملة تعليماته بوجوب تسجيل أحد شهور تلك المدينة بأسم شهر أيلول ، وذلك من أجل

توحيد التقويم في البلاد .
وقد أستمرت الحكومات المتعاقبة التي مرت على العراق منذ العهد البابلي حتى حكم الجمهورية العراقية الأولى عام ١٩٥٨م بإعتماد رأس السنة البابلية أي الأول من نيسان كرأس سنة مالية في العراق حتى ألغي توقيت رأس السنة المالية العراقية هذا في منتصف عقد الثمانينات من القرن المنصرم ، فقطع آخر خيط يشد سكان العراق الحاليين بمنجزات الأسلاف في مجال التقويم .
وفي عهد السلالة البابلية الأخيرة ومرحلة هيمنة الثقافة الكلدانية العالمية على الشرق القديم تم إضافة التعديل النهائي الذي أعتمده الإغريق ، وذلك لمعادلة التقويم القمري القديم الذي كانوا يستخدمونه ، وتؤكد الألواح المكتشفة في كرسو -Girsu- والمدن الرافدية الأخرى بأن الرافديين القدماء كان يعرفون التقويمين القمري والشمسي منذ منتصف الألف الخامس ق.م ، أي قبل المصريين وبقية شعوب الشرق القديمة ولكن الدواعي الطقسية (الدينية) أوجبت عليهم نبذ التقويم الشمسي القديم وإعتماد التقويم القمري ، لذلك تعتبر السنة الرافدية البابلية سنة قمرية بسبب تأكيدها على مدار القمر مع أنها تعتمد الإنقلاب الشمسي بداية لها وذلك بتأثير من بقايا التقويم الشمسي الرافدي القديم .



لوح تقويم كلداني وجد في أوروك من العصر السلوقي

وهذا هو عكس ما فعله المصريون القدماء ذلك أنهم كانوا أيضاً يعتمدون التقويمين الرافديين القمري والشمسي معاً مع تعديلات تناسب البيئة المصرية ولاسيما مسألة فيضان نهر النيل ، ثم عدلوا عنهما إلى ما يعرف بالتقويم الشمسي المصري مع أنهم أستخدموا من حيث المبدأ ذات الإسلوب الرافدي الرياضي ولكن بشكله الهندسي غير الحسابي ، لقد عرف المصريون القدماء ثلاثة أنواع من التقاويم لكن الإستخدام الفعلي للسنة الشمسية المصرية لا يعود بحسب الإثباتات المادية لأبعد من عام ١٣١٧ ق.م .

ولضبط السنة الرافدية القديمة ، فإن العراقيين القدماء إنفردوا بإبتكار مزولة (قطب

المغناطيس) المعقدة تكنولوجياً والتي ينسبها الإغريق إلى برحوشا الكلداني ، حيث تكشف هذه المزولة المتميزة معرفة قدامى العراقيين العميقة والمذهلة عن علاقة الشمس بالأرض والقمر ، ذلك أن مزولة قطب المغناطيس هي إختراع معقد يجمع ما بين الساعة والتقويمين الشمسي والقمري ، ولم يتوصل أحد من القدماء لمعرفة وأستخدام مثل هذا الإختراع المعقد بإستثناء قدماء الفلكيين العراقيين ، فيما عرفت الشعوب الأخرى ومنهم المصريين والصينيين القدماء المزولتين الشمسية والمائية -Sundial & Clepsydra- وبالبابلية -Maltaktu- اللتين تتسمان ببساطتهما وبمحدوديتهما عملياً ، وبديهي أن هاتين المزولتين كانتا مستخدمتان في العراق القديم منذ أزمنة موغلة في القدم .

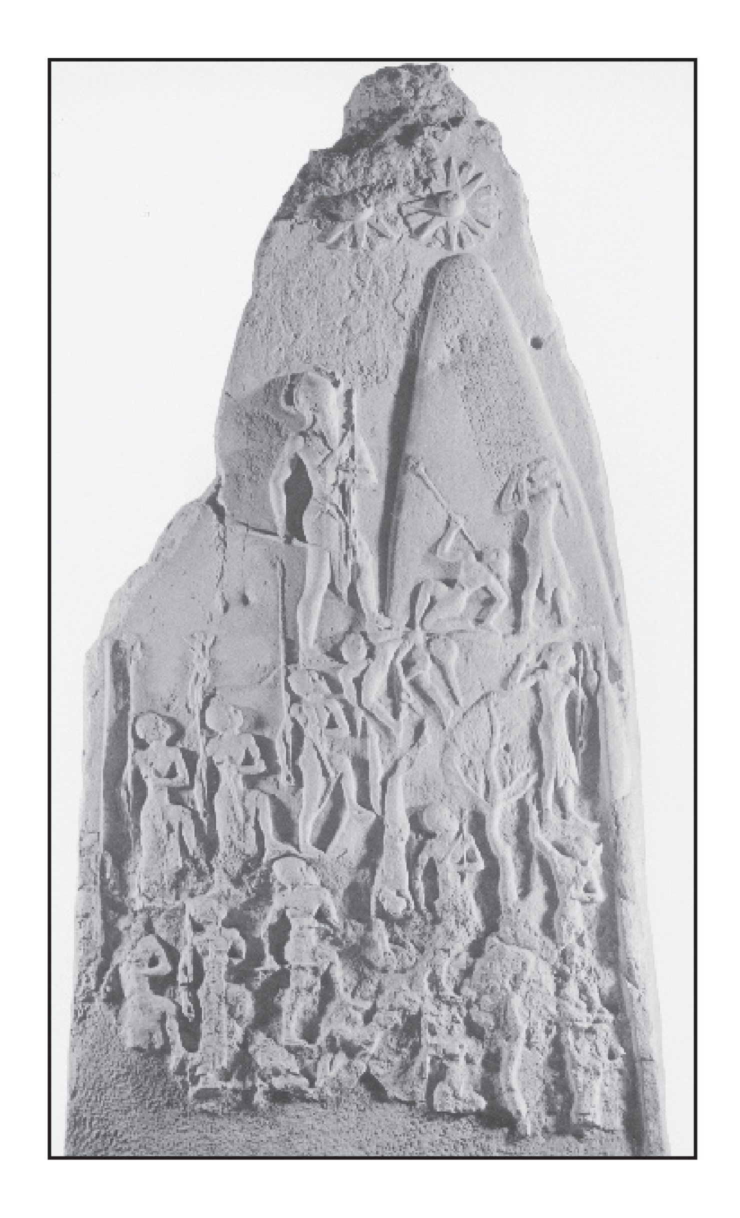
إتماماً للفائدة فأنني أدرج أسماء الأشهرفي التقويم البابلي مع مرادفتها في التقويم السومري ثم أسماء أيام الأسبوع وعلى النحو التالي :

نيسان -Nisan or Nissanu- شهر الإله آنو وإنليل وهو أيضاً شهر قيامة الإله مردوخ
أيار -Ayyar or Ajaru- شهر الإله أيا سيد الشعوب وإله مدينة الكلدان الأوائل (أريدو)
حزيران -Siwan or Simanu- شهر الإله ننار إله الحكمة
تموز -Dumuzi or Du'uzu / Tam(m)uzu- شهر الإله ننورتا البطل الكبير وأيضاً شهر قيامة الإله تموز
آب -Abu- شهر إلهة الأرض ننكيزيدا
أيلول / التهليل -Elul or Ululu- شهر الإلهة عشتار سيدة الشعوب
تشرين أول -Teshrit or Tashritu- شهر الإله شمش بطل كل العالم
تشرين ثاني -Arkhshamne or Arashamna- شهر الإله مردوخ أكثر الآلهة حكمة
كانون أول -Kislev or Kis(si)limu- شهر الإله نركال ملك العالم السفلي
كانون ثاني -Tebet or Tebetu- شهر الإله بابسو كال وزير الإله آنو والإلهة عشتار
شباط -Shebat or shabatu- شهر الإله أدد الإله المرعد
آذار -Addar or Addaru- شهر الآلهة السبعة العظام

أما أيام الأسبوع فهيّ :

الأحد / يوم الشمس -Umu Shamash-
الأثنين / يوم القمر -Umu Sin-
الثلاثاء / يوم المريخ -Umu Nirgal-
الأربعاء / يوم عطارد -Umu Nabu-
الخميس / يوم المشتري -Umu Mardukhu-
الجمعة / يوم الزهرة -Umu Ishtaru-
السبت / يوم زحل -Umu Ninurta- (يوم عطلة يحرم فيه إنجاز الأعمال)

وقد نقل الرومان أيام الأسبوع البابلية حرفياً ثم ترجمها الإنكليز من اللاتينية إلى الإنكليزية القديمة ، وفيما يلي أسماء أيام الأسبوع الرومانية مع معناها وهيّ :
يوم الشمس -Dies Solis- ، يوم القمر -Dies Lunae- ، يوم المريخ -Dies Martis- ، يوم عطارد -Dies Mercuri- ، يوم المشتري -Dies Jovis- ، يوم الزهرة -Dies Veneris- ، يوم زحل -Dies Saturni- .



مسلة نرام سين تصوره وهو يقضي على قبائل اللولوبيين

السياسة والدين في العراق القديم

نعرف من خلال دراستنا العامة للمجتمعات البدائية بأنها كانت مجتمعات أمومية بدلالة تماثيل الآلهة الأم التي كانت تهيمن على المجتمعات البدائية تلك ، ثم أنتقلت تلك المجتمعات في مرحلة شبه الزراعية (زراعة النباتات البرية) إلى الإنحياز للعامل الذكوري حتى هيمن المجتمع الأبوي أخيراً ، وخير مثال على هيمنة الذكورة على عنصر الأنوثة هو التسلسل الهرمي للآلهة والإنتقال بها من هيمنة الإلهة تعامت (الأم الكبرى) إلى هيمنة الإله (أيا) أريدو ثم إنليل نيبور وأخيراً إله بابل مردوخ إبن الإله أيا ، وقد صاحب هذا الإنتقال تبدل في قيادة المجتمعات البدائية من الأم الكبرى إلى المحارب القوي ، أي إنتصار مبدأ القوة العضلية على عنصر الخصب الأمومي ، لكن عنصر القوة العضلية كان يفتقد في أحيان كثيرة إلى الحكمة التي كان يمثلها الشيوخ ، لذلك عمد بعضهم إلى إستثمار خبرته العمرية لتفسير الظواهر الطبيعية وإدعاء قدرات فائقة للطبيعة تغطي على نقصه العضلي ، وهكذا نشأت وظيفة المعزم والساحر التي راحت تترسخ في مرحلة تحول السحر إلى طقوس دينية ، وهنا نشأ المعبد الذي كان مركز نشاط المستوطنات الزراعية الأولية (المجتمعات الريفية) ، وعندما تحولت تلك المستوطنات إلى مدن مسورة ثم إلى دويلات مدن ، كان المعبد مركز نشاطات تلك المدن الصغيرة ، حيث كانت البيوت تبنى حول المعبد الذي يتم فيه حسم الأمور الدينية والدنيوية .

وهكذا عرفنا بأنه منذ أواخر الألف الرابع ق.م تميز حاكم المدن القديمة بإزدواجية الوظيفة فهو الحاكم المطلق وهو الكاهن الأعظم ، وكان يطلق على هؤلاء الحكام الدينيين لقب إين -En- أي السيد وكان الإين يدعي ببنوته الإلهية أي أنه من نسل الآلهة ، وفي أحسن الأحوال عندم يكون شخصاً مجهول النسب أو من العامة فإنه يدعي بأن الآلهة قد أختارته وبأنه مفضلاً عندها ، وفي منتصف الألف الثالث ق.م وبسبب تطور تلك المجتمعات المدنية إلى مدن كبيرة بإحتياجات جديدة كثيرة ومتنوعة ، بدأت الصعوبات تواجه الإين لعدم تمكنه من القيام بكافة الوظائف الدينية والمدنية وهنا حصل تطور أولي حيث تبدل أسم الإين إلى إينسي -Ensi- أي السيد المقرن بمعنى السيد الإله لأن القرون كانت علامة من علامات الإلوهية فيما صار الإينتو -Entu- يمثل الكاهن الأعلى للمعبد ومع ذلك بقيت السلطة الفعلية المدنية والدينية على حد سواء بيد الإينسي الذي صار يسمى في بعض دويلات المدن لوكال -Lu-Gal- بمعنى الرجل العظيم أي الملك ، وبحدود العام ٢٤٠٠ ق.م لم يبق حاكم في الإقليم البابلي يحمل اللقب إينسي وبذلك تم الفصل بين وظيفتي المعبد والقصر حتى تخصص الملك في العهد الأكدي كلياً وصار يحمل اللقب الأكدي شارو -Sharru- أي الملك .

لقد كان الحاكم الرافدي هو المالك الشرعي لمنطقة الحكم فإن توفى ورثه أبناؤه حتى ينتقل الحكم لسلالة جديدة فيأتي ورثة جدد ، أما نظام الحكم فكان في الغالب الأعم فردياً ولكنه لم يكن يخلو من إستشاريين وفي أحيان كثيرة من مجالس إستشارية ، ولنا في قصة حرب مدينة كيش على عهد ملكها البطل أكا -Agga- مع بطل مدينة أوروك كلكامش خير مثال على تبني العراقيين القدماء لمفاهيم الديمقراطية والإستشارات السياسية ، فعندما نشبت الحرب بين المدينتين كانت كيش هي المتفوقة فقصد كلكامش مجلس الشيوخ (الأعيان) لإستشارتهم

في الأمر فطلبوا من كلكامش أن يعلن إستسلام المدينة لأن جيش أكا البطل لايمكن قهره ، فغضب كلكامش ولكنه لم يقوى على مناقشة المجلس ، لذلك قصد مجلس رجال الحرب (النواب) الذين حثوه على قتال أكا ، ومع أن الحكاية تنتهي بصداقة الملكين فإن ما يهمنا هنا هو وجود مجالس شعبية تمثل نخبة نبلاء المدينة من مدنيين وعسكريين ، مما يعني وجود نظام ديمقراطي بمستوى مقبول ، وفي زمن كان العالم القديم بمعظمه وبضمنه أوربا يعيش في دياجير الظلام والجهل والتخلف .

النقطة المهمة الأخرى وهي الصراع بين السلطتين المدنية والدينية التي يصورها الدكتور فوزي رشيد على النحو التالي : كانت السلطة السياسية في بداية ظهورها فتية ولا تمتلك عمق الجذور التي تمتلكها السلطة الدينية لذلك خاضت طوال ما يزيد على ألف عام حرباً باردة مع السلطة الدينية التي كانت السلطات المدنية تنساب كالرمل من بين أصابعها كلما زادت سعة المدينة الدولة أو زاد عدد نفوسها ، وفي المقابل كانت السلطة المدنية(السياسية) تتحين أي فرصة ممكنة لتوسع من مجال نفوذها على حساب السلطة الدينية ، ومنذ عصر ميسالم ٢٥٥٠ ق.م تحددت السلطة الدينية وبدأت تتراجع أما السلطات المدنية السياسية حتى أنتهى دورها السياسي كلياً في عهد الملك شاروكين / سرجون الكبير الذي فصل بين السلطتين السياسية والدينية وسن تشريعات صريحة فصل فيها الدين عن الدولة ، مع إعطاء مكانة مميزة لرجال المعبد وتوفير كل الإمكانات اللازمة لإنجاز الطقوس الدينية بأفضل صورها ، وبمعنى آخر كان فصل الدين عن الدولة من أجل ضمان بقاء الدولة قوية موحدة لا فرق فيها بين المواطنين على أساس العرق أو الدين وفي المقابل توفير الوقت المناسب لرجال الدين لإستكمال المتطلبات الدينية التي غالباً ما كانت تتقاطع أو تتعارض في العهود السابقة مع إلتزاماتهم المدنية .

ومما يجدر ذكره هنا ، أننا قد تناولنا في موضوع (إدعاء أن الكلدان لم يكونوا شعباً وإنما كهنة وسحرة وعرافين) وبشكل تفصيلي رتب ودرجات وأسماء رجال الدين في العراق القديم لذلك أكتفي هنا بالإشارة إلى فروض الصلاة والصوم والزكاة وتقديم القرابين التي كانت تمثل أهم الممارسات الدينية في العراق القديم ، إذ كان المتعبد الرافدي يكثر من الصلوات وتسمى الصلاة في البابلية قرابو -Qarabu- أي التقرب من الله / الإله وتكتب مقطعياً بعلامة مركبة من الفم واليد ، أما أهم المعابد الرافدية الوطنية القديمة أي المعابد التي كان العراقيون القدماء يقدسونها على طول وادي الرافدين وعرضه فهي معبد آنو (أي أنا) ومعناه معبد السماء في مدينة أوروك ، ومعبد أيا (أي أبسو) ومعناه معبد المياه السطح والعمق في مدينة أريدو ، ومعبد إنليل (أي كور) ومعناه المعبد الجبل أو السامق في مدينة نيبور ومعبد شمش (أي ببار) ومعناه معبد الضوء في سبار ومعبد ننار (أي كيش نو كال) في مدينة أور ومعبد عشتار (أي أنا) ومعناه معبد السماء في مدينة أوروك ومعبد رئيس آخر في مدينة أكد ومعبد مردوخ (إيساكيلا) ومعناه المعبد المرفوع الرأس في بابل وأريدو ومعبد نابو (أي زيدا) ومعناه معبد الإخلاص في بورسيبا ، ومعبد ننورتا هو (الأي نينو) ومعناه معبد الخمسين وهونفس الرقم السري لوالده إنليل ومعبد حدد أو إيشكور في كاركارا البابلية ومعبد ننخورساك إيماخ في أداب ومعبد ننكرسو في لجش ويحمل أسم معبد أخيه ننورتا أي معبد (أي نينو) ، كما عرف العراقيون القدماء آلهة أجنبية بقيت عبادتها ضمن حدود الرقعة

الجغرافية للمدينة أو الإقليم وأشهر تلك الآلهة الإله الشوباري آشور / آ أوسار في مدينة آشور الشوبارية ومعبده هو (أي خور زاك كوركورا) ومعناه معبد الجبل للأقاليم الجبلية ، والإله الكشي كشو أو دانياش في دور كوريكالزو (عقرقوف) والإله الأغريقي هرقل في حترا وبرغم طول فترة الإحتلال الأخميني الفرثي الساساني لم يعبد العراقيون القدماء الآلهة الفارسية ، إذ لم يعثر على بيت نار واحد في العراق القديم .

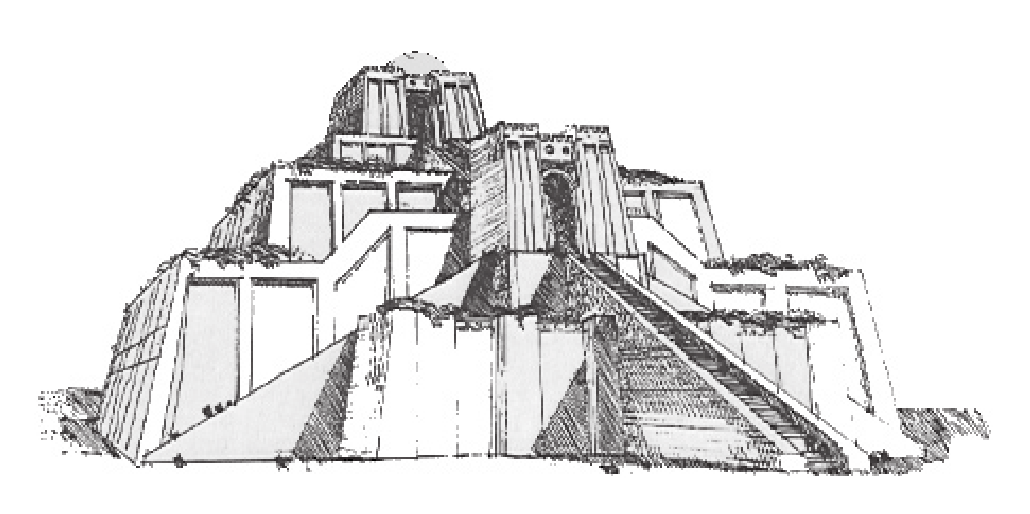
يتبين مما ذكرت أنه كان لكل مدينة إله واحد وزقورة واحدة تستثنى من ذلك مدينة أوروك التي كانت تعد أكبرمدينة رافدية قبل التوسعات الهائلة في بابل ، وقد كانت أوروك بالأساس مدينتين منفصلتين ولكن توسعهما أدى إلى تداخلهما فأصبحتا مدينة واحدة كبيرة ، لذلك كانت المدينة الرافدية الوحيدة التي تحتوي على معبدين مدرجين أي زقورة والتي تلفظ في السومرية (زيقوراتي) وفي البابلية (زقارو) ومن أبرز معانيها هو العلو أو السمو ومنها أشتقت اللفظة زقورة -Ziggurat- ، ويمكن تقسيم المعبد إلى قسمين رئيسين وهما الزقورة ومعبدها العلوي الذي يمثل مكاناً لإستراحة الإله عند نزوله من عليائه السماوي ، ثم المعبد الأرضي والمعبد المخصص لإداء الطقوس والمراسيم الدينية .

أما المراسيم الدينية فلم تكن لتختلف كثيراً عن المراسيم التي نقوم بها حالياً ، إذ كانت تؤكد على الصوم والصلاة وتقديم النذور والقرابين إضافة إلى الزكاة والحج السنوي لمعبد الإله الأعلى ، وكانت الصلاة تفرض على المصلي الوضوء واللباس النظيف وتغطية الرأس أثناء الصلاة ، وكان المتدينون يتميزون بحلاقتهم للشوارب وإطالة اللحى وهذا ما يسمى بالطراز البابلي الذي أتبعه حكام سلالة أور الثالثة بسبب عراقة التقاليد الدينية للكلدان الأوائل في أور ، ويختلف التقليد البابلي المستخدم منذ عهد الكلدان الأوائل عن التقليد السومري ، بأن المصلين السومريين كانوا يتقربون للآلهة بعد حلاقتهم للرأس بالموس مع حلاقة اللحية والشوارب .

ومن العادات البابلية الشهيرة (تقديس السبت) حيث كان محظوراً على الناس أن يطبخوا في يوم السبت أو أن يغيروا ثيابهم أو أن يقدموا ضحايا وقرابين ، كما كان محظوراً على الملك أن يخطب في الشعب ، وأن يقوم بأي واجب عسكري أو البت في أي مسألة مدنية أو ركوب مركبة أو دابة ، بل وصل الأمر لدى البعض من المتشددين حد الإمتناع عن أخذ الدواء .

لقد كان الرافدي القديم يسعى عادة لتفسير كل الظواهر الطبيعية من حوله وفق رؤيته الدينية ، لذلك عندما نظر إلى السماء هاله منظر الأجرام السماوية كما أدهشه إنتهاء حدود الأرض عادة بالمياه ، مما جعله يتبنى تصوراً كوزمولوجياً فريداً للعالم رسخ له التقدم العلمي بقياس ذلك العصر ، وبديهي أنه لم يكن لبعض الشعوب المتخلفة المجاورة للعراق القديم تصور واضح عن ماهية العالم ، لذلك كانت تفسيراتهم مرتبكة ، أما العراقيون القدماء فقد تأسست لديهم منذ عهد قدامى كلدان أريدو تصور مزج بين الأسطورة وبين الظواهر الطبيعية التي تحيط بهم ، وتوصلوا آخر الأمر إلى تشبيه العالم (الكرة الأرضية) بسفينة مقعرة تشبه الهلال تعوم على فضاء كوني تسبح فيه الأجرام السماوية ، وقد وصلنا نقش يصور هذه الرؤية الفريدة للعالم ، حيث تم تقسيم العالم إلى أرض محدبة مركزها بابل / أريدو ، يحيط بها الغمر العظيم أي البحر المحيط وينتهي هذا البحر المحيط ببوابتين أحداهما في الشرق والأخرى في الغرب ، ويقع مدخل كل بوابة على قمة جبل عظيم (جبل الشروق وجبل الغروب) ، وينحدر

من كل جبل ممر ينتهي إلى باطن الأرض ، حيث تقسم الأرض إلى سبع طبقات تمثل العالم السفلي / أرصيتو شبليتو -Irsit Shaplitu- أي طبقات الجحيم السفلى أو الأرض التي لا عودة منها / أرصة لا داري -Irsit la Dari- والتي تنتهي إليها أرواح العالم بعد الممات ، وتسمى تلك الأرواح مخلوقات الظلام وباللغة السومرية كك ديم -Gig Dim- التي ركبت بشكل كلمة واحدة هيّ إيديم -Idim- التي تشير أحياناً للموتى الذين لم يدفنوا أو لم يتم دفنهم وفق الأعراف الصحيحة .



زقورة أور

في المقابل يحيط بالأرض سماء سفلية تدعى الجو المحيط وهي الطبقة المحيطة بالأرض والتي تحتوي على الهواء وهيّ سماء الإله إنليل / إيليل ، وإلى الأعلى منها سبع سموات تمثل منازل الآلهة والملائكة الحارسة ، وتنتهي حدود آخر طبقة بالقبة السماوية التي هيّ ذروة السموات السبعة (أنظر خرائط ومرتسمات / مخطط التصور البابلي الكوزمولوجي للعالم) .
وبرغم قدم هذا التصور الذي يعود إلى ما يزيد على سبعة آلاف عام ، فإن من المثير حقاً أن يتسلل هذا التصور للسموات السبعة وطبقات الجحيم السبعة إلى الديانات الكتابية الكبرى ، المثير أيضاً أن يصل التصور الرافدي القديم إلى القرآن ولاسيما قصة رحلة الشمس الخرافية بين الليل والنهار ، حيث تذكر الروايات البابلية بأن الإله شمش (الإله الشمس) يطل خلال النهار على الأرض عبر بوابة جبل الشروق متخذاً مساراً مقوساً عبر الجو المحيط ، حتى ينتهي به المطاف عند المغيب فيدخل عبر بوابة جبل الغروب حتى يصل إلى حفرة في

الأرض ليبيت الليل مسافراً في العالم السفلي وقد خبا نوره ليخرج من الجهة الأخرى عند الصباح مشرقاً ، وهذا التصور الخيالي هو ما يرد تماماً في سورة الكهف ١٨ : ٨٣-٨٦ (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سبباً حتى بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين ماء حمئة [أي أنه وجد الشمس تغرب في بئر ماء حامية] ووجد عندها قوماً) ، ومما يدهش حقاً أن تفسير البيضاوي لهذه السورة جاء على ذكر جبلين يفصلان بين مغيب الشمس ومطلعها ، وهما ذات الجبلين اللذين يحتويان على البوابات المؤدية من وإلى العالم السفلي في الفكر الرافدي القديم ، علماً أن بين تأسيس الأسطورة في أريدو الكلدان الأوائل وشيوعها في (يثرب) المدينة / يثريبو الكلدانية في زمن الدعوة الإسلامية وإستخدامها في القرآن بصفتها حقيقة علمية ما يقرب من ستة آلاف عام .

آلهة العراق القديم

عبد العراقيون القدماء آلهة عديدة مع أن كل دولة مدينة كانت قد تميزت في العهود ما قبل التاريخية والتاريخية الأولى بإله واحد حسب ، لكن بعد نشأة الدولة الإقليمية التي صارت تضم أكثر من مدينة ، وبالتالي في عهد دولة القطر الواحد منذ عصر ميشالم ملك كيش ، عمد الكهنة إلى إبتكار تأليفات تجمع بين مختلف الآلهة لحل مشكلة إختلاف الديانات ، فصارت كل مدينة تحتوي على معابد ومزارات العديد من الآلهة وفي الوقت ذاته بقيت مكانة الإله الحامي للمدينة مميزة ، والحقيقة فقد أستمدت التأليفات الدينية المتأخرة التي تربط الآلهة بعلاقات أسرية إلى إساطير خلق العالم التي لم تكن تلك العلاقات واضحة فيها ، ولكن نشأة دولة القطر الواحد دعمت هذا التوجه فأنتجت حكايات وجداول إلهية وطبعاً كانت آلهة المدن الكبيرة تحظى بأدوار كبيرة كما كانت صفات الآلهة ونساؤهم وعلاقاتهم الأسرية تجير من إله إلى آخر بحسب مكانة مدينة ذلك الإله قياساً بالمدن الرئيسة الأخرى ، ولهذا أيضاً نجد أن آلهة بعض المدن الرافدية القديمة المندثرة عبدت في مدن أخرى بتسميات جديدة مع الحفاظ على كل الامتيازات والمؤهلات القديمة وخير مثال على ذلك أن أصول مردوخ القديمة كانت قد نشأت في ضواحي أريدو منذ عهد أسلاف الكلدان القدماء ، حيث كان يكنى بأسالوخي / أسري لو خي -Asarilukhi- أي الثور الشاب الإلهي للشمس .
وبديهي أن ملحمة أو أسطورة الخلق تذكر أسماء آلهة عديدة كان لها في العهود المجهولة أدوار رئيسة ثم أقصيت من الصورة في العهود التاريخية اللاحقة ، ومن أشهر الآلهة القديمة تعامت -Tiamat- وهي البحر الكوني وزوجها أبسو -Apsu- مياه العمق ووزيرهم ممو -Mummu- أي الضباب وزبد البحر ، وفي أسطورة الخليقة تزوجت تعامت من أحد أحفادها وهو كنكو -Qingu- الذي قطعه مردوخ إلى قسمين صنع منهما الأرض والسماء ومن عصارة دمه والرمل صنع طيناً ووضع في ذلك الطين روح الإله وخلق الإنسان الأول -Lalu- أو (-Ullugara- وزوجته -Nigara- بحسب أسطورة خلق الإنسان من دم إله حرف صغير أسمه -Lamga-) ، وقد ولد لتعامت وأبسو الإله لخمو -Lakhmu- والإلهة

لخامو -Lakhamu- ، وولد للأخيرين أن شار-Anshar- أي الكلية العليا وكي شار -Kishar- أي الكلية السفلى ، ومن أجل معرفة أفضل فقد قمت بإستلال جدول لأهم الآلهة والعفاريت في العراق القديم من كتابي الموسوم (آلهة وشياطين / بغداد ١٩٨٩م) ، ويحتوي هذا الجدول على تسلسل الآلهة في العراق القديم ووظائفها بعد التعريف بأسم كل واحد منها بالسومرية والبابلية مبتدئين بأسماء أهم آلهة العالم العلوي ومعنى أسمائهم ووظائفهم وأسماء زوجاتهم أو أزواجهن مع وزرائهم وعلى النحو التالي :

آن / آنو -Anu- ومعنى أسمه السماء وهو أبو الآلهة العظام وكذلك الآلهة الأنوناكي -Anunnaki- والإيجيجي -Igigi- وزوجته هي أنتو -Antu- وفي أحيان أخرى الإلهة أوراش -Urash- وأوراش أيضاً هيّ صيغة أسم لإله ذكري عبد في مدينة ديلبات -Dilbat- جنوب بابل .

إنليل وأيضاً إيليل -Enlil / Elil- ومعنى أسمه السيد الهواء هو الإله الجو ، ومن ألقابه الرئيسة الجبل العظيم وكذلك المنتقم وصاحب العينان البراقتان والإله الذي لا رجعة لقراراته ، وزوجته هي الإلهة ننليل -Ninlil / Mullissu- وأسمها القديم سود -Sud- ووزيره هو نسكو -Nusku- إله النار .

إنكي / أيا / نوديمود -Enki / Ea / Nudimmud- ومعنى أسمه السيد أو إله الأرض أو الحياة أما معنى (أيا) فهو بيت الماء ، وأيا هو إله المياه العذبة وإله الفنون والمعارف وكذلك إله الطب القديم (التعاويذ) ، ومن ألقابه سيد القدر والإله الخالق وسيد القصب والفخار الإلهي لأنه خلق الإنسان من الطين ونفخ فيه نسمة الحياة وهو الإله الذي أنقذ البشرية بشخص أوتونابشتم -Utanapishtim- من الطوفان العظيم عندما أخبره بضرورة بناء فلك له ولأسرته ولحيوانات المعمورة ، وزوجته هي الإلهة دامكينا أو دامكالنونا -Dam ki na Damgalnuna /- بمعنى سيدة الأرض والسماء أي ننخرساك -Ninkhursaga- ، أما وزيره فهو أوسمو -Usmû- .

ماردوخو /أسرلوخي / بيل أو بعل / مار أوتو -Asarlukhi - Mardukho - Bel-Marutu --. ومعنى أسمه السيد إله المسكن المقدس وأيضاً جاموس الشمس الشاب وهو إله العمران والحضارة ، ومن ألقابه كبيتي إيلاني أي أثقل الآلهة وزناً بمعنى أقواهم مكانة ، وزوجته هي صاربانيتم - Sarpanitu(m)- أي الوضاءة كالفضة أو خالقة النطفة وفي أحيان أخرى نانايا -Nanaya- التي يعتقد بأن أسم نينوى قد أشتق منها أو من الإلهة السمكة .

ننار / سين / آن زو -Nannar - Sin or Suen -Anzû - ومعنى أسمه إله الحكمة وأيضاً إله التقويم ، ومن ألقابه زورق السماء المضيء وزوجته هي الإلهة ننكال -Ningal- السيدة الكبيرة ويكتب أسمه بنفس العلامة المستخدمة للرقم ٣٠ التي تشير للأيام بمعنى الشهر .

أوتو / شمش -Utu -Shamash -Babbar- ومعنى أسمه المضيء وهو إله القضاء والعدل والقانون وزوجته هي شيريدا -Sherida- وبالبابلية آية -Aya- أي الفجر ووزيره هو ميشارا -Mesharra- أو بونين -Bunene- .

إنانا / عشتار -Inanna - Ishtar- و معنى أسمها هو سيدة السماء وهي إلهة الحب والحرب وربة الجيوش وهي الرمز الأنثوي للطبيعة وزوجها هو تموز -Tammuz- العنصر الذكوري للطبيعة ووزيرها (وزيرتها) ننشوبور -Ninshubur- ، ومن ألقابها لبوة الإيجيجي وسيدة المناوشات وكذلك دعيت بالعذراء المقدسة أم البشر ، كما عرفت في مدينة الحضر بحدود القرن الأول ق.م بأسم أترعتا وتنعت أيضاً بأسم مرتن بمعنى (سيدتنا / ربتنا) .

ننورتا أو إينورتا / ننكرسو -Ninurta also Ningirsu- ومعنى أسمه سيد الإعصار وهو إله الصيد والري والسدود والقنوات وفي العصور اللاحقة صار من آلهة الحروب ولاسيما في إقليم آشور كما يعد أيضاً الإله المسيطر على الفيضانات ، ومن ألقابه عاصفة إنليل وهو أخو ننكرسو تارة وصورة عنه تارة أخرى ، وزوجته هي إن نيبور -En Nippur- أي سيدة نيبور وأيضاً كولا -Gula- إلهة الشفاء ، وكولا هي زوجة صورته أو شبيهه وأحياناً أخاه التوأم ننكرسو -Ningirsu- أي رب كرسو أي رب الحي المقدس في لجش .

نابو -Nabû- ومعنى أسمه هو اللامع وهو إله الكتابة والكتبة ، ومن ألقابه الناطق بأسم الآلهة والمستجيب للدعاء ومن صفته هذه أشتقت كلمة النبي العبرية الأصل -Navi- وزوجته هي تشميتو أو تشميتم -Tashmetum- أي العبقرية ومن أشكال زوجته القديمة الإلهة نيسابا -Nisaba- إلهة الكتابة أو سيدة القصبة ، ويعد نابو من أول أشكال عبادات التوحيد في العراق القديم .
حدد أو أدد وأيضاً أدو وإيشكور -Ishkur - (H)Adad- ومعناه المحطم أو المهدم ، ومن ألقابه المرعد وسيد الثروة وهو إله الرياح والبروق والعواصف والأمطار وهو صاحب القفل الفضي لقلب السماء وزجته هيّ شالا -Shala- وله وزيران هما شولات -Shullat- وحانيش -Hanish- .

زبابا -Zababa- وهو من آلهة الحرب والصيد ويلقب بمردوخ المعارك ويشبه أو يوحد في أحيان عديدة بننورتا وننكرسو ، وزوجته بحسب تقاليد مدينة كيش هي الإلهة عشتار لكن زوجته التقليدية هيّ الإلهة باو -Bau- التي يرمز لها بالوزة وكذلك مروحة الرياح ، وكان اللجشيون يعتبرونها زوجة إلههم ننكرسو -Ningirsu- .

ننخرساك / ننماخ / بيلت إيلي / مامي / كي / آرورو -Ninkhursaga - Nin makh -- Belt ili - Mami -Ki - Aruru ومعنى أسمها سيدة الجبل أو السيدة المعظمة أو السامية ولها ألقاب عديدة لكونها من أقدم أشكال آلهات الأمومة والخلق وهي أم الإله مردوخ -Mardukho- .

الآلهة سبتي -Sebitti- وهم الآلهة السبعة الموكلون بسموات آنو السبعة وهم من الآلهة الحافظة أو الحامية من الحسد والشر والعفاريت .

نسكو / كيبيل -Nusku- وزير الإله إنليل ومن ألقابه بخور الآلهة ومؤسس المدن كاشف السراق وصاهر المعادن وزوجته هي سد نورتا -Sud nurta- .

دموزي / تموز -Tammuz - Dumuzi- ومعنى أسمه الأبن المخلص وهو امو شومكال أنا -Ama ushumgal anna- أي رب الحياة والنمو في النخلة ، وهو أحد حارسي بوابة السماء والمسؤول عن دورة الفصول عندما يبعث حياً كل ستة أشهر ، ومن ألقابه الراعي والثور الوحشي ومن وظائفه الأخرى الإشراف على المراعي وهو إله الحظائر ويمثل عنصر الذكورة في الطبيعة وزوجته هي الإلهة عشتار -Ishtar- .

أما أهم آلهة العالم السفلي فهم :

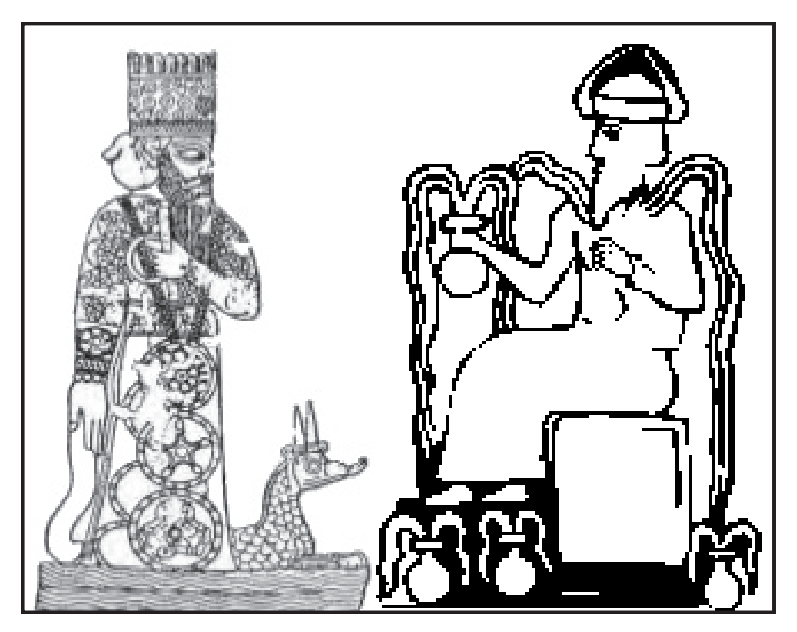
إيريش كيجال -Eresh-kigal- ومعنى أسمها سيدة الأرض العظمى ومن ألقبها لاز ومعناه العاقر وهي إلهة العالم السفلي أرصة لا داري أي أرض اللاعودة وهي زوجة الإله نرجال أما وزيرها فهو نمتار -Namtar- أي نذير الموت وحامل عرشها هو كشزيدا -Gishzida- رب مدينة كشبندا -Gishbanda- قرب أور -Ur- .

نرجال / كور / إيرا -Nergal / Kur / Erra- ، معبده هو -E Mesalam- أي بيت ميسالم في مدينة كوتو -Kutu- من ضواحي بابل ، ومعنى أسمه هو ملك العالم الأسفل أو المدينة العظيمة وهو إله الأمراض والمعارك الدموية وزوجته هي إيريشكيجال -Eresh-kigal- وفي أحيان أخرى واميتو -Mamitu- ، أما وزيره فهو إيشوم -Ishum- وأحياناً نمتار -Namtar- وزير إيريشكيجال وفي أحيان أخرى يطابق نرجال مع إيرا -Erra- إله الطاعون أو يذكر إيرا كوزير لنرجال .

ننكشزيدا / كيزيدا -Ningishzida- وهو أحد حارسي بوابة السماء أو بوابة العالم السفلي والمسؤول عن دورة الفصول عندما يكون على قيد الحياة ومعنى أسمه هو سيد الشجرة الطيبة وهو من آلهة الشفاء تماماً مثل أبيه ننازو -Ninazu- إله الأطباء ، وزوجته هي نن تي -Nin ti- أي السيدة المحيية أي مانحة الحياة وكذلك سيدة الظل وفي العالم السفلي يشرف على مجموعة العفاريت .

كشتن أنا / بيلي صيري -Beli(t) S̲iri / Geshtinanna- ومعنى أسمها خمرة أو كرمة السماء ومعنى أسمها الآخر ربة الصحراء أو القفر المجدب بمعنى عالم الأموات وذلك لفدائها لأخيها تموز ونزولها طوعاً لتموت مكانه ستة أشهر من كل عام وهي كاتبة الإلهة إيريش كيجال .

كولا -Gula- ومعنى أسمها العظيمة ، وهي من مجموعة آلهة الطب والشفاء وزوجة الإله ننورتا -Ninurta- وتابعها الحيواني هو الكلب الذي إستعاره الإغريق وجعلوه التابع الحيواني لإله الطب الإغريقي -Asclepios- .



الإله أيا إله أريدو ووالد مردوخ مع تخطيط يمثل مردوخ الإله الوطني لبابل

تفاصيل أخرى عن آلهة العراق القديم :

آنو : معبده الرئيس في مدينة أوروك هو معبد الأي أنّا -E anna- أي معبد السماء فيما يعتقد البعض أن المعبد الأبيض في أوروك هو الآخر يخص الإله آنو ، شعاره القديم هو النجمة الثمانية ثم أصبح رمزه الشائع بشكل تاج مقرن وعلى قمته نبتة الأثل أي الطرفاء وكوكبه هو نجمة (الفهد) ورقمه المقدس (٦٠) وتابعه الحيواني هو الثور السماوي أو الذئب وشهره هو نيسان .

مردوخ : معبده القديم في الضاحية الريفية القريبة من مدينة أريدو المسماة كو ارا -Ku-ara- وأيضاً في مدينة بابل التي يتواجد فيها معبده الرئيس إيساكيلا -E sag ila- أي المعبد المرفوع الرأس وهو المعبد الرئيس في أريدو بحسب ملحمة الخلق البابلية ، وشعاره هو عمود برأس حربة أو مخروط صنوبر وكوكبه هو الكوكب العملاق المشتري أكبر كواكب المجموعة الشمسية قاطبة ، أما رقمه المقدس فهو ١٠ وتابعه الحيواني هو التنين موشخوششو -Mushkhushshu- وهو أحد حكام الأسبوع ويومه هو الخميس ولونه هو الأحمر الإرجواني .

إنليل : ومعبدهِ هو أي كور -E Kur- أي المعبد الجبل في مدينته الرئيسة نفر -Nippur- ويسمى أيضاً نام تيلا -Nam ti-la- أي بيت الحياة ، أما شعاره فهو الخوذة المقرنة وهي ذاتها شعار الإله آنو وكوكبه هو مارجيدا أي الدب الأكبر ورقمه هو ٥٠ وتابعه الحيواني هو الأسد المجنح ، أما سلاحه فهو الفأس والشبكة ووزيره هو الإله نوسكو وقد خصص له شهر نيسان مثل الإله آنو .
وحري بالذكر أن مفردة (ألله) العربية المشتقة من الأصل الكلداني (ألها) ومرادفتهما العبرية (إيلوهيم) إنما ترجع جميعاً لصيغة الأسم البابلي للإله إنليل الذي يقرأ في البابلية إيليل -Elil- ويلفظ مختصراً بصيغة -El- التي تعني السيد / الإله ، ومنهما أبتكرت الصفة البابلية الدالة على الإلوهية (إيلو) للمفرد و(إيلي) لصيغة الجمع ، ولهذا يأتي أسم (ألله) في العهد القديم بصيغتين ، قديمة بشكل (يهوى) التي قد تكون إشتقاقاً آخر عن المفردة الرافدية -Iahu- أي الطير السماوي أو الرسول السماوي ، وكذلك الصيغة البابلية الحديثة (إيلوهيم) .

أيا / انكي : معبده هو الأي أبزو -E Abzu- أي معبد المياه العذبة في أريدو وشعاره هو الإناء الفوار -Spouting Vase- أو رأس الكبش على عمود وهو أفق السماء الذي يقسم السماء بين مداري السرطان والجدي أي بين آنو وإنليل ، أما رقمه المقدس فهو ٤٠ ويقرأ أيضاً شنبي -Shin bi- بمعنى ثلثي الرقم ٦٠ أي رقم آنو ، وسلاح أيا هو الكلمة القادرة (كن فيكون) وتابعه الحيواني هو الجدي السمكة ومعدنه هو النحاس .

ننار / سين : معبده الرسمي هو الأي كيش نو كال -E kish nu gal- في أور وهو الإله القمر ، أما شعاره فهو النجمة الخماسية أو السداسية أو السباعية مع الهلال أو من هلال داخل دائرة أو الهلال منفرداً ، ورقمه المقدس هو ٣٠ وتابعه الحيواني هو الثور المجنح ومعدنه هو الفضة وهو من آلهة الأيام وهو الموكل بيوم الأثنين ولونه هو الفضي .

شمش : معبده الرئيس هو الأي ببار -E bab bar- في سبار وشعاره هو النجمة الثمانية ذات الحزم الضوئية ، وقد نّصف الشوباريون والكشيون هذا الرمز في مسلاتهم وكودوراتهم ويرمز له بالشمس ورقمه المقدس هو ٢٠ وسلاحه هو المنشار الذي يشق به الظلمة ليشع النور وتابعه الحيواني هو الأسد المجنح وكذلك الحصان ، معدنه هو الذهب وهو الموكل بيوم الأحد ولونه هو الذهبي .

عشتار : معبدها الرئيس هو -E anna- في أوروك -E mash dari- في بابل ، وهيّ الإلهة الحامية لمدينة أكد وشعارها هو النجمة الثمانية وجرمها السماوي هو كوكب الزهرة ورقمها المقدس ١٥ وسلاحها هو السيف والقوس والنبال وتابعها الحيواني هو الأسد ، وهي الموكلة بيوم الجمعة ولونها هو الأبيض في بابل والأسود في آشور .

ننورتا : معبده هو الأي نينو -E ninnu- أي معبد الخمسين في لكش الذي يشاركه فيه

أخوه التوأم أو صورته ننكرسو كما يعتقد أن معبده الأقدم -E shu me sha- كان في مدينة نيبور ورمزه هو السهم أو المحراث وكذلك رأس حصان أو رأس أسد على عمود أو كرسي وكوكبه هو زحل ورقمه المقدس ٥٠ وهو ذات رقم أبيه إنليل ، أما تابعه الحيواني فهوالحصان وكذلك الأسد ، ولأن الجرم السماوي للإله ننورتا هو كوكب زحل وهو أبطأ الكواكب في دورانه حول الشمس بمعتقدات ذلك الزمان فقد رمز أيضاً للإله ننورتا برمز السلحفاة ، والإله ننورتا هو أحد الآلهة الموكلة بأيام الأسبوع ، فهو الموكل بيوم السبت ، أما لونه فهو الأسود .

نابو : معبده هو الأي زيدا -E zida- أي معبد الإخلاص في بورسيبا وشعاره هو قصبة الكتابة أو القلم وكوكبه هو عطارد وتابعه الحيواني هو التنين الذي هو ذات التابع الحيواني لأبيه مردوخ ، وهو من آلهة الأسبوع فهو الموكل بيوم الأربعاء ولونه هو الأزرق .

زبابا : معبده الرئيس هو الأيميتي أورساك -E mete ursag- في كيش وشعاره رأس نسر على عمود وتابعه الحيواني هو النسر .

حدد : أقدم معابده في حي بابلي قديم هو كاركارا الذي يعطي رمزه المقطعي أيضاً معنى الريح كما أن له معبد آخر في مدينة آشور هو المعبد المزدوج مع الإله آنو ، وشعار أدد هو عمود الصاعقة المزدوج ورقمه المقدس ٦ أما سلاحه فهو البرق وتابعه الحيواني هو العجل السماوي وأيضاً الأسد المجنح كما يوضح ذلك ختم من العصر الأكدي ووزيراه هما شولات -Shullat- وحانيش -Hanish- وزوجته هي شالا أو شارا -Shala- ويرمز لها بصورة العقرب .

ننخرساك : مركز عبادتها الرئيس في مدينتي أداب وكيش وشعارها هو باروكة الشعر أو الرحم المقوس الذي يشبه حرف الأوميكا -Omega- الإغريقي .

سيبتي : ترمز لهم بسبعة دوائر وهم مجموعة نجوم الثريا -Pleiades- ستة نجوم ساطعة وواحدة لا ترى بالعين المجردة .

نسكو : رمزه هو المصباح الزيتي والشعرى اليمانية هي جرمه السماوي .

إيريش كيجال : معبدها الرئيس مع زوجها نرجال هو أي مسلام -E meslam- في كوثى وزوجها القديم هو كوكال أنا -Gugal ana- وسلاحها هو الصرخة المميتة ووزيرها هو نمتار -Namtaru- أي القدر أو المنية .

تموز : مركز عبادته في مدينة كينيرشا -Genir sha- قرب لكش وشعاره هو النخلة وفي قمتها نجمة ثمانية أو تاج النخلة (سعفها) ، أما كوكبه فهو الجوزاء وتابعه الحيواني هو الثور

البري ، وهو من آلهة الشهور وشهره هو تموز رابع شهور التقويم البابلي وسادس شهر في التقويم المحلي لإقليم آشور قبل إعادة توحيده بالتقويم البابلي في العهد البابلي الجديد ، وكان هذا الشهر يقرأ بالسومرية -Du uzu or Duzu- .

نرجال : معبده هو أي ميسلام -E meslam- مركز عبادته في كوثى -Kutu- التي تكنى بمدينة الأموات ومن رموز نركال الصولجان برأس الأسد أو أسد مجنح وكوكبه هو المريخ وتابعه الحيواني هو الغراب وسلاحه المطرقة والأمراض الفتاكة ، وهو من آلهة الشهور وشهره هو كسليب أي كانون الأول وهو من آلهة الأسبوع أيضاً فهو الموكل بيوم الثلاثاء ولونه هو القرمزي .

ننكشزيدا : مركز عبادته الرئيس في كشباندا -Gishbanda- قرب أور ورمزه هو الثعبان الملتف على عمود , وتابعه الحيواني هو التنين الأفعى أو الثعبان المقرن المسمى باشمو -Bashmu- .

كولا : معبدها الرئيس أي كال ماخ -E gal makh- في مدينة إيسن -Isin- وكذلك في نيبور -Nippur- يرمز لها بصورة كلب وهو تابعها الحيواني وكذلك السنجاب الذي يسميه العامة في العراق جرذ النخيل .



الإلهة عشتار إلهة الحب والحرب

الجن والشياطين والغيلان والعفاريت :

أشتهرت في العراق إبان العصور المتأخرة شخصيات خرافية بعضها شرير وبعضها خير أو طيب ، من الشخصيات الشريرة الطنطل والحنفيش والديو والصير والسعلوة ، أما الشخصيات الخيرة فمنها جن المصباح وجيش البوق وحراس الشمعدان والحيوانات التي تتكلم كالبشر ، وقد سيطرت مغامرات الأخيرة وتقاطعاتها مع الأبطال الشعبيين وبقيت ذات تأثير نفسي متميز وبخاصة عند العامة ، كذلك كان الحال في العراق القديم الذي أشتهرت فيه شخصيات عديدة لعبت أدواراً رئيسة في أحداث الأساطير والملاحم القديمة ، وقد تنامت أهمية العفاريت في الحياة اليومية لدى العراقي القديم حتى ضرب فيهم المثل الشهير (أن من يمشي بلا إله سيكون العفريت دثاره) ولعل من أشهر تلك الشخصيات الخارقة بنوعيها الطيب والشرير هي :

الجن الطيب والآلهة الصغيرة :

الشيدو -Shedu- وهم الذين يقومون بتقديم الآلهة والملوك للآلهة الكبار وهم عادة ما يصورون بشكل بشري بأجنحة أو بدون أجنحة وأحياناً بشكل ثيران أو أسود مجنحة وبخاصة في النماذج القديمة وهنالك اللاماسو -Lamassu- وهم الثيران المجنحة الأنثوية الأصل ، ثم أصبحت في العهود المتقدمة تمثل على هيأة بشرية رجالية فيما صار يطلق على الأشكال الأنثوية منها تسمية -Apsasu- ، ويميز الجن الطيب عن الجن الشرير أو العفريت بأن أسم الجن الطيب يحتوي ضمن تركيبة أسمه على الرقم ٥ أو ١٠ وهي نسب رقم الإلهة عشتار التي رقمها المقدس هو ١٥ ، وهنالك جن اللاخما أو اللاخمو -Lakhama- وهم من الجن الحارسة لبوابات المعابد وتتداخل وظائفها أحياناً مع وظائف اللاماسو .
ومن الجدير بالذكر أن أصل اللاماسو والشيدو يعود إلى عهد فجر السلالات في إقليم سومر وأكد / الإقليم البابلي ، وقد لعب جن الشيدو دور أرواح الموتى الحارسة ، أما من العهد الأكدي فقد وصلتنا نماذج لثيران برؤوس بشرية بعضها مجنحة وبعضها الآخر غير مجنحة وكان يطلق على تلك المخلوقات تسمية -Kusarikku- ، ومن الجن الطيب أيضاً القزم المحدودب الظهر والرجلين المسمى بيسو -Pessu- ومهمته حماية النساء الحوامل أثناء الولادة وحماية الأطفال من العين الشريرة ، وهنالك إلهان صغيران مندثران هما لاتراك -La-tarak- ولولال -Lulal- وكانت تماثيلهم توضع تحت عتاب البيوت لحمايتها من الأعمال السحرية الشريرة ويمثلان عادة بشكل إنسان برأس أسد ومهفة من شعر ذيل الحيوانات أو من رجل برأس سمكة .

الشياطين والعفاريت :

الأودوك -Udug- أو الأوتوكو -Utukku- السبعة في الأكدية وهم سبعة مخلوقات غير متميزي الجنس ، كانوا أصلاً أبناء الإله آنو بمعنى أنهم آلهة سماويون لكن أفعالهم الشريرة أدت إلى طردهم من السماء وطرحهم في الجحيم ، أما أتباعهم فهم الأشباح ومنهم الإيتيمو -Etemmu- أو الإدمو -Idimu- وبالسومرية كيديم -Gidim- أي أرواح الأشخاص الذين

لم يتم دفنهم بشكل صحيح أو لم يتم دفنهم أصلاً ، ثم عفاريت العالم السفلي الأصلية ومهمتهم نقل الموتى إلى العالم السفلي أو أرض اللارجعة -Erṣet la dari- وبالسومرية كور نو كي آ -Kur nu gi a- وعفاريت العالم السفلي هم الأخازو -Akhazu- أي الآخذون والرابيصو -Rabisu / Mashkim- المتربصون واللاباسو -Labassu- المتلبسون أو المخربون الذين يسببون مرض الصرع والليلو أو الشال با إي -Lilu or Shal pa e- وهم مسوخ الليل نصفهم بشر ونصفهم الآخر شيطان ، وهم سفاكو دماء لا يستثنى من ضررهم وشرهم حتى الآلهة ، وهم ذكور لا يؤذون النساء بل يراودونهن عن أنفسهن ، ويقابلهم الأردات -Ardat- أو أردات ليلي -Ardat lili- وكذلك ليليتو -Lilitu- وهن نساء يشبعن رغباتهن من الرجال أثناء نومهم ثم الإضرار بهم .

وهنالك عفاريت العالو -Aalu- وهم عفاريت الخرائب التي ترهب الناس في الليل أيضاً ، وهنالك العفاريت الشريرة السبعة المسماة -Iminbi- وهم غير الأوتوكو ، ومن أشهر العفاريت الشريرة قاطبة هو بازوزو -Pazuzu- أبن خنبي -Khanbi- الذي يصور عادة بجسد بشري ورأس وحش وله أربعة أجنحة وهو ملك عفاريت رياح الشر ، وهنالك الموكولون بحراسة بوابات الجحيم السبعة ومنهم رئيس الحراس نيدو أو نيتي -Ne ti or Ne du- وله رأس أسد ويدي بشر ورجلي طائر ثم كشار -Kish ar- وأنداشرّيمانو -Aninda shari manu- وإنرلا -Enrla- وإنددكجا -Endid Kigga- وإندشبا -Ende shipa- وإنكيكي -En gigi- .

وهنالك نهر الجحيم خوبور -Khubur- وفي السومرية -Id lu rugu- الذي قد يعني أسمه النهر الذي يعترض طريق الإنسان وملاحه المدعو خوموط تابال -Khumut tabal- ويعني أسمه أحمل بسرعة أو أسرع وخذ ويصور خومو طبال عادة بشكل إنسان برأس طائر وأجنحة وهو المسؤول عن نقل أرواح الموتى كيديم -Gidim- إلى العالم السفلي ثم آللو خبو -Allu Khapu- أي المختطف أو قابض الأرواح وله رأس أسد ويدين وقدمين بشريتين ، وهنالك مجموعة ناموتو -Nammutu- وهم عفاريت المرض وكذلك عفاريت الكالا -Galla- الموكولون بجلب البدائل للعالم السفلي ، ومن العفاريت الشهيرة العفريتة المسماة اللاماشتو -Lamaṣhtu- وتصور عادة بجسد بشري ورأس أسد وأقدام على شكل مخالب نسر وهنالك أيضاً الأومو دابروتو -Umu Dabrutu- ومعنى أسمه في البابلية العواصف العنيفة وهو أحد الوحوش التي خلقتها تعامت في صراعها مع الآلهة الشابة .

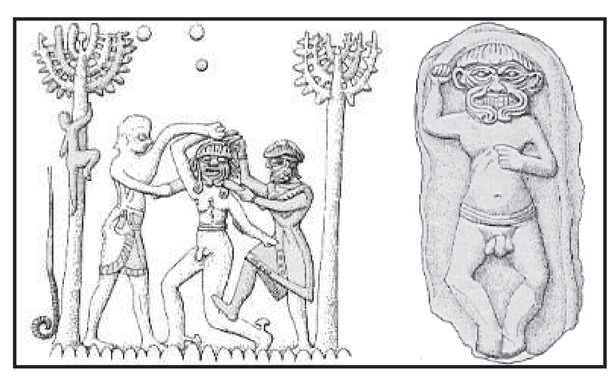


العفريت بازوزو

الوحوش والغيلان والمخلوقات الأسطورية الأخرى :

أشهرهم هو حارس غابة الأرز خمبابا أو خواوا -Khumbaba or Khuwawa- الذي تعاون كلكامش وإنكيدو على قتله وأساككو -Asakku- أو أساجو -Asagu- كما يقرأ أحياناً أنزو -Anzu- أوأمدوكود -Imdugud- وهو وحش مجنح ومركب نصفه الأمامي أسد ونصفه الخلفي نسر أو نسر برأس أسد وقد أشتهر في الإسطورة التي تدور حول سرقته لألواح القدر من أنكي بالنسخة السومرية ومن إنليل بالنسخة الأكدية وقد تمكن الإله ننورتا من قتله وإعادة ألواح القدر ، وهنالك الرجال الذين نصفهم العلوي بشكل بشر ونصفهم السفلي بشكل سمكة ولهم أشباههم من النساء الأسماك -Merman & Mermaid- ويطلق على الأناث منهن في الحكايات الأوربية تسمية حوريات البحر ، وهنالك التنين موشخوششو -Mushkhushshu- وهو وحش الإله مردوخ الذي ينفذ أحياناً برأس واحد كما في بوابة عشتار أو بسبعة رؤوس كما في النحت المنسوب إلى عصر فجر السلالات ، وهناك الثعبان العملاق المقرن المسمى باشمو -Bashmu- ، وكذلك الجدي السمكة -Goat-Fish- وهو وحش الإله أيا ، وتعد هذه من الوحوش من المخلوقات غير المؤذية ، لأنها تعمل على نشر الإرادة الإلاهية أي أنها لا تؤذي إلا الأشرار .

وهنالك وحوش بأجساد أسود ولكن بدلاً من الرأس البشري فقط -Centaur- يصورون بهيأة نصفها العلوي بشكل كائن بشري -Lion Centaur- يطلق عليهم تسمية أورماخ لوللو -Urmakh lullu- أشهرهم هو موكل ريش ليموتّي -Mukil resh lemutti- والثور السماوي وهو الوحش الذي تعاون جلجامش -Gilgamesh- وصديقه إنكيدو -Enkidu- على قتله ، وهنالك مجموعة من المخلوقات التي تصور بأشكال مركبة كالرجال العقارب -Girtablullu- والرجال الطيور والرجال العقبان والجن المجنحون والمخلوقات السبعة المسماة -Apkallu- وهم مجموعة من سبعة مخلوقات بشكل يجمع بين البشر والأسماك وهم غير من أطلقنا عليهم تسمية رجال وحوريات البحر ، ويطلق على هؤلاء تسمية القضاة السبعة الذين عاشوا ما قبل الطوفان إبتداء بأوانيس -Oannes- وإنتهاء بأوداكون -Odakon- ويعتبرون وفق الأساطير الرافدية المخلوقات التي أسست الحضارة والمدنية لمدن الإقليم البابلي القديمة إبتداء بمدينة أريدو ، كما يعتبرهم الرافديون القدماء بناة أسوار مدينة أوروك -Uruk- ما قبل الفترة السومرية .



خمبابا / كلكامش وأنكيدو يصرعان خمبابا في غابة الأرز

القسم الثالث / الملاحق



أسد بابل مع علم الكلدان القومي

التاريخ الكرونولوجي للأمة الكلدانية

يبدأ التاريخ الكرونولوجي للأمة الكلدانية بما يسمى بدور العبيد / طور أريدو الطبقات ١٩-١٥ وعلى النحو التالي :

* ٥٣٠٠-٣٥٠٠ ق.م حكم الكلدان الأوائل -Proto-Kaldee- أو الفراتيون الأوائل بحسب لاندزبيركر -Benno Landesberger- عاصمة الكلدان الأولى أريدو / نون كي -Eridu- التي كانت مركز مستوطن الكلدان التاريخي كلديا / مات كلدو أو الفردوس الأول بحسب الكتاب المقدس ويعد الملك ألولم -Alulim- من أشهر ملوك ما قبل الطوفان .

* ٣٥٠٠-٢٠٠٤ ق.م يداً بيد مع الكلدان الأوائل ، أنشأ السومريون (٣٥٠٠-٢٨٠٠ / ٢١١٢-٢٠٩٥ ق.م) المهاجرون من شمال العراق إلى القسم الجنوبي من مستوطن الكلدان التاريخي أول حضارة إنسانية معروفة في التاريخ البشري على أرضية كلدانية توضحت بأبهى صورها في عهد الملك الكلدي ميسالم -Mesalim- بحدود ٢٥٥٠ ق.م والذي يرجح أن يكون آخر ملوك سلالة كيش الأولى (أقدم سلالة بين سلالات ما بعد الطوفان) التي أسسها الكلدان الأوائل ، وكذلك في عهد سلالة الملك الكلدي شروكين إمبراطور أكد ٣٣٤-٢١٥٤ ق.م .

* ٢٣٣٤-٢٣١٦ ق.م إمبراطورية أكد (نسبة للعاصمة أكد / أكادة التي يسميها السومريون كي أوري) وتلقب ملوكها الكلديين بلقب ملوك بلاد سومر وأكد (شار شوميري أوو أكادي / شار مات كلدي لاحقاً) ثم توسعوا ليحكموا الشرق القديم كله ويؤسسوا في عهد الملك شروكين / سرجون الكبير ٢٣٣٤-٢٢٧٩ ق.م أول إمبراطورية في التاريخ ، وفي هذا

العهد أستخدم لأول مرة مصطلح الإقليم (قليما / قالما) كدلالة على القطر كله (بلاد وادي الرافدين) .
* إيشبي إيرا ٢٠١٧ -١٩٨٥ ق.م -Ishbi-Erra- بداية العهد البابلي القديم مع تأسيس سلالة إيشن / إيسن الأولى ٢٠١٧-١٧٩٤ ق.م ، في هذا العهد لمع أسم بابل القديم باب إيلو أو بابلم الذي يعني بوابة الإله بدلاً من ترجمته السومرية (كا دنكر را) الذي يعني أيضاً بوابة الإله ، وقد أشتهر من هذه الفترة الملك إنليل باني -Enlil Bani- الذي كان بستانياً لدى الملك الرسمي إيرا إيمتي -Erra Imitti- ولكن طقس الملك البديل وموت الملك الرسمي مسموماً بعد تناوله للحساء (طلوخه؟) جعل إنليل باني ملكاً رسمياً للإقليم .
* ١٨٩٤-١٥٩٥ق.م تأسيس أول سلالة بابلية على أيدي العموريين أحفاد الكلدان الأوائل ، أشتهرت هذه السلالة بسادس ملوكها المشرع العظيم ومجدد وحدة البلاد حمورابي ١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م -Hammurabi- ، وقد تجاوزت حدود مملكته الشرق القديم لتصل حتى جزيرة قبرص .
* ١٧٤٠-١٥٠٠ ق.م أسس إيلوما إيلو -Ilumae Ilu- الذي ادعى نسبه إلى ملك إيسن الشهير دامق إيليشو -Damiq Ilishu- سلالة القطر البحري الأولى -Uru Ku Ki- ، وقد حكمت هذه السلالة في قلب القطر البحري وبضمنها منطقة الأحواز العراقية وأدت إلى إشعال حرب داخلية ما بينها وبين أحفاد حمورابي وإلى إنفصال مدينة آشور ونواحيها تحت حكم أداسي ١٧١٦-١٦٨٧ ق.م -Adasi- الذي حمل لقب ملك محلي / إنسي -Ensi- .
* ١١٥٧-١٠٢٦ ق.م تأست سلالة إيسن الثانية / السلالة البابلية الرابعة من قبل مردوخ كابت أخيشو -Mardukh Kabit Akheshu- وأشتهرت بملكها الرابع نبوخذنصر الأول ١١٢٥-١١٠٤ ق.م -Nebuchadnezzar I- وقائده العسكري الأعلى (قائد العربات الكلداني) رتي مردوخ -Ritti Mardukh- أمير (بيل بيتو) قبيلة (بيث كرز يابقو) الذي أنقذ حياة ملكه ثم تمكنا معاً من دحر العيلاميين وطردهم من البلاد.
* ١٠٢٦-١٠٠٥ ق.م تأسيس سلالة القطر البحري الثانية أي سلالة بابل الخامسة من قبل شمش شيباك / سمبار شيباك -Simbar shipak- التي حكمها ثلاثة ملوك وهم إضافة إلى مؤسسها الملكين أيا موكين -Ea Mukin Zeri- زيري وخاشو نادن آخي -Khashshu -Nadin Akhi- .
* ١٠٠٤-٩٨٦ ق.م تأسيس السلالة البازية / سلالة بازي -Bazi- ومؤسسها هو إيلوماش شاكن شُمي ١٠٠٤-٩٨٨ ق.م -Eulmash shakin shumi- وتعتبر سلالة بازي السلالة البابلية السادسة في جدول السلالات البابلية .
* ٩٧٨-٩٤٣ ق.م تأسيس سلالة بابل الثامنة من قبل نبو موكين أبلي -Nabu Mukin Apli- ، أما السلالة السابعة فيعتقد بعض المتخصصين بأنها كانت عيلامية مع أن الأسانيد لا تثبت ذلك ، حكمها ملك واحد هو مار بيتي أبلا أوصر -Mar Biti Apla Usur- لمدة خمس سنوات فقط ٩٨٤-٩٧٩ ق.م وهو قائد عسكري رفيع من مستوطن الكلدان التاريخي ، يتميز عهد سلالة بابل الثامنة بحكم تسعة عشر ملكاً (٢٤ إلى ٢٨ ملكاً بحسب طه باقر) وتتميز هذه السلالة بأن ملوكها أستخدموا التسميتين الوطنية(بابل) والقومية (كلدو) في بعض وثائقهم إبتداء من عهد مردوخ أبلا أوصر -Mardukh Apla Usur- ويقع تسلسله الثالث قبل آخر

ملوك السلالة نابو شمو أشكن ٧٦٠-٧٤٨ ق.م -Nabu shuma Ishkun- .
* ٧٤٧-٧٣٤ ق.م تأسيس سلالة بابل التاسعة من قبل نبوناصر ٧٤٧-٧٣٤ ق.م -Nabunassar- ، إمتازت هذه السلالة بمحاولة مؤسسها إتلاف سجلات الملوك الكلدان الذين سبقوه مما أدى إلى تلف العديد من الوثائق البابلية المهمة وذلك لرغبته لبدء التاريخ السلالي الكلداني الحديث بعهده ، في المقابل أمتازت سجلات هذا العهد الرسمية بدقتها وبتقدم علم الفلك الكلداني ، من ناحية ثانية تحالف نبوناصر مع الحكام الآشوريين وقبل بمنصب ملك مستقل في بابل تحت المظلة الآشورية ، وهو ما جعل الكلدان يثورون على خليفته (أبنه) وقتله تنصيب ملكاً آخر بدلاً عنه .
* ٧٣١-٧٢٩ ق.م تأسيس سلالة بابل العاشرة من قبل ملك بابل المحبوب نابو موكن زيري ٧٣١-٧٢٩ ق.م -Nabu Mukin Ziri- ،أمتاز عهد هذه السلالة بتدخل الآشوريين الجدد (عموريو الشمال) في حكم بابل وبقيام الثورات الكلدانية الكبرى وبتألق نجم الملك الثائر مردوخ أبلا أدينا -Mardukh Abla Iddina II- الذي يسميه الكتاب المقدس مردوخ بلادان -Merodach Baladan II- .
* ٦٢٦-٥٣٩ ق.م تأسيس السلالة البابلية الإمبراطورية الحديثة المعروفة بأسم السلالة الكلدانية الذهبية / البابلية الحادية عشر ، أسسها الملك نبوأبلا أوصر ٦٢٥-٦٠٥ ق.م -Nabu-Apla Usur- الذي يسميه الكتاب المقدس نبوبلاصر -Nabopolassar- ، أشتهرت هذه السلالة بملكها الثاني الإمبراطور نبوخذنصر الثاني ٦٠٥-٥٦٢ ق.م -Nebuchadnezzar II- الذي عرف بلقب الملك الشمس ، وفي عصره أشتهرت بابل بجنائنها المعلقة وأسوار بابل التي عدت مع الجنائن من عجائب الدنيا السبعة ، ونبوخذنصر هو مجدد زقورة بيت أسس الأرض والسماء (إيه تيمن آن كي) في بابل .
في هذا العصر أشتهر المثل الذي ردده هيرودتس : (عندما يلد البغل يتمكن الفرس من إحتلال بابل) ، وذلك لأن بابل لم تحتل من قبل الفرس وإنما من قبل الخائن غوبارو -/ Ugbaru Gobryas- قائد جيش الشمال الرافدي بمساعدة رجال المعبد الذين ضربت مصالحهم في عهد نبونائيد ٥٥٥-٥٣٩ ق.م -Nabonidus- .
* ٥٢٢-٤٨٢ ق.م عصر الانتفاضات ، أنتهى الحكم الإمبراطوري العراقي القديم مع السلالة الكلدانية الذهبية في عهد آخر ملوكها نبونائيد ٥٥٥-٥٣٩ ق.م ، لكن الحس القومي الكلداني والوطني البابلي لم تنطفيء جذوته فأشتعلت ثورة نبوخذنصر الثالث / ندنتوبيل ٥٢٢-٥٢١ ق.م -Nebuchadnezzar III / Nidntu Bel- ثم نبوخذنصر الرابع ٥٢١ ق.م عراقا بر كلديتا -Nebuchadnezzar IV / Araqa Bir Kaldeta- الذي أدعى أنه أبن نبونائيد ، وفي عام ٤٨٢ ق.م ثار بيل شماني -Bel shimanni- وأستقل ببابل وبعد إخماد ثورته ثار شمش إربا -Shamash eriba or Shummi raba- أو (شومي رابا) في أيلول من ذات العام ٤٨٢ ق.م وقضى على حاكم بابل الفارسي زوفيروس ، فقام ميغابايسوس قائد جيوش أحشويرش الأول -Artaxerxes I- الهائلة العدد بالقضاء على الثورة والتنكيل بالثوار وتدمير بابل .
* ١٢٧ ق.م - ٢٢٥ م تأسيس مملكة ميشان الكلدانية / كرخينا -Karkhina- وعاصمتها براث ميشان أو أليكساندريا-أنطاكيا (مدينة العمارة) وشملت كل الإقليم البابلي والأحواز

حتى قطرايا ، أما مؤسسها فهو الملك الكلداني يوسب بر سكد أودو ناق -Yousip Bir-Sagid Odo-naq- ، وقد حظيت مملكة ميشان بنوع من الإستقلال منذ عام ٣١١ ق.م أثناء حكم الملك المقدوني أليكسندر (الإسكندر) الرابع -Alexander IV- .

* في النصف الأول من القرن الأول للميلاد بدلالة حكم أرطبان الثاني ١٠-٣٨ م -Artabanus II- الذي تأسست في عهده كنيسة كوخي (الأكواخ) في ساليق تقبل كلدان الرافدين البشارة المسيحية على يد رسول الشرق الحواري مار توما -St. Thomas- وتلميذه مار أدي -Mar Addai- وأتباعه الطوباويون مار ماري -Mar Mari- (باني كنيسة كوخي ودير قنّي) وآجي -Agai- وفالوط -Phalout- وبرشلاما -Bir Shlama- وبرسميا -Bir Simia- وآخرون فتسمى كلدان الرافدين سوربيا دمدنحا (مسيحيو شرق الفرات / السريان المشارقة) وفي اللغة العربية سريان ، وكانوا مثل بقيةالمسيحيين في الأجيال الأولى للمسيحية يعترفون بالكنيسة الجامعة في روما مع خصوصية رافدية بدلالة مجمعي ساليق ٤١٠ و٤٢٠م ، وأن أول رئيس عام على كرسي المشرق كان ماربابا ٣٢٩م ، وبرغم أرتباط مسيحيو الرافدين بالآباء الغربيين روحياً إلا أنهم كانوا يرتبطون أيضاً بعلاقات طيبة مع كنيسة أنطاكيا (السريان الغربيون / سوربيا دمعروا) .

* في الربع الأول من القرن الثالث نشأت مملكة حيرتا / الحيرة (المخيم) وكانت نواتها إمارة بيث عديني -Beth Edini- الكلدانية مع بعض القبائل المسيحية القادمة من العربية ومنها تنوخ والأحلاف وكانت الأخيرة تضم مزيجاً من الوافدين العرب والمحليين الكلدان ، وقد حكمها خمسة ملوك كلدان ثم هيمن العرب المسيحيون عليها بحدود ٢٨٨م في عهد الملك أمرؤ القيس بن عدي ٢٨٨-٣٢٨م -Umrou Al Qayis Bin Uday- وقد كانت لغة هذه المملكة ومراسلاتها الرسمية وطقوسها الكنسية تجري باللغة الكلدانية وبقلم مختلط من الحروف الكلدانية والآرامية .

* بعد مجمع أفسس عام ٤٣١م ونشأة البدعة النسطورية -Nestorian- التي حرمتها الكنيسة في ذلك المجمع المسكوني ، أنفصل مسيحيو الرافدين عن الكنيسة الجامعة وأتبعوا العقيدة النسطورية شكلياً وظلوا يتسمون بالسريان المشارقة حتى عودة مجاميعهم المتواجدة في نيقوسيا برئاسة المطران طيمثاوس -Timothee- إلى أحضان الكنيسة الكاثوليكية الأم في ٧ آب عام ١٤٤٥م ، أما في وادي الرافدين فقد تمكن الراهب يوحنا الديلمي من كسب بعض السريان المشارقة / النساطرة في القرن السابع الميلادي ، فأنفصلوا عن كنيسة المشرق الأم وتحولوا إلى الطقس السرياني المونوفيسي ثم إلى الكثلكة في القرن الثامن عشر ، فيما أنقسمت كنيسة المشرق الرافدية إلى فرعين فرع نسطوري يتبع أسرة أبونا -Abuna Dynasty- في دير الربان هرمزد -Rabban Hormazd- وفرع يتبع مار يوحنا سولاقا -Youhanna Soulaqa- الذي أعلن خضوعه للكرسي الأبوي في روما وأعترف به في ٢٠شباط عام ١٥٥٣م بطريركاً على بابل حسب طلبه ، في عام ١٦٧٠م أنقلب مار شمعون الثالث عشر -Mar Shimoun XIII- على كنيسة روما وعاد إلى البدعة النسطورية من مقره في قوجانس / تركيا ، ثم حدث إنقسام لاحق فأنشطرت الكنيسة النسطورية إلى كنيستين هما كنيسة المشرق الآشورية التي تسمت بهذه التسمية رسمياً عام ١٩٧٥م ، وقد أنتقل كرسيها إلى الولايات المتحدة ويرأسها غبطة البطريرك مار دنخا الرابع -Mar Denha IV- والكنيسة الشرقية القديمة في بغداد ويرأسها غبطة البطريرك مار أدي الثاني -Mar Addai II- ، في المقابل تخلى الأبويون الرافديون

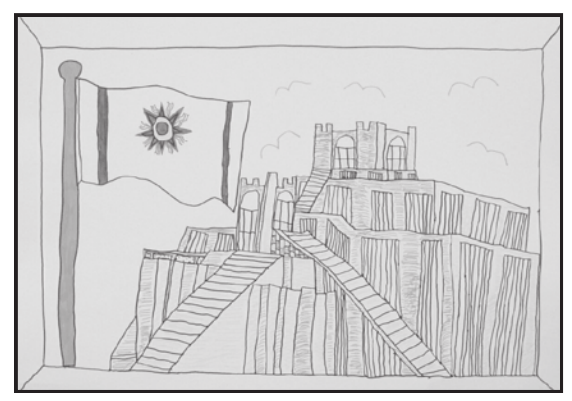
في عهد المطران يوحنان السابع هرمز أبونا -Youhanna VII Hormez- عام ١٨٣٠م عن البدعة النسطورية وأتحد مع روما ، وأعلن يوحنان السابع بطريركاً لبابل (الإقليم) على الكلدان (القومية) ، ويتولى شؤون هذا الفرع منذ ٣ كانون الأول عام ٢٠٠٣م غبطة البطريرك مار عمانوئيل الثالث دلي الكلي الطوبى -Mar Emmanuel III Daley- .
* منذ أحتلال جيوش المسلمين لوادي الرافدين عام ٦٣٦م ، مرت على كلدان الرافدين (السريان المشارقة / النساطرة وكذلك السريان المشارقة الذين تحولوا إلى الطقس الغربي) سنوات آمنة وأخرى غير مستقرة تهدد فيها أمان المسيحيين وتعكر صفو حياتهم (راجع التفاصيل في الجزء الثاني من البحث) ثم مرت سنوات إضطهاد مريرة حتى خليت بغداد من الكلدان الذين هاجروا نحو الشمال وألتجأوا إلى سهل نينوى والجبال الإيرانية التركية .
* في النصف الأول من القرن السادس عشر بدأ إضطهاد جديد بعد أن جلب العثمانيون (السنة) القبائل الكوردية البدوية (السنية) وراحوا يسكنونها منذ عام ١٥١٥م في مناطق وبلدات الكلدان في شمال الرافدين والمناطق المتاخمة التابعة للدولتين الفارسية العثمانية ، لغرض جعل الكورد بمثابة جدار واقي للعثمانيين من هجمات الفرس (الشيعة) ، وذلك بسبب العداء المذهبي (السني العثماني / الشيعي الفارسي) المستفحل بين البلدين ، ولأن المسيحيين الكلدان لم يكونوا طرفاً يعتمد عليه من قبل العثمانيين (السنة) فقد أستمرت مخططات تشريدهم وتهجيرهم ، فتوجهت المجاميع الكلدانية في هجرة معاكسة إلى مناطق الكلدان التاريخية في مدن الموصل وبغداد والبصرة حتى صارت بغداد في منتصف عقد التسعينات من القرن المنصرم تضم لوحدها أكثر من نصف عدد الكلدان المتواجدين في العراق على تنوع طوائفهم والذين يزيد عددهم الإجمالي في الوطن الأم على مليوني نسمة .
* بعد تسلم البعثيين للحكم في العراق عام ١٩٦٣م قام الرئيس الذي أختاره الإنقلابيون (عبد السلام عارف) بإضطهاد المسيحيين عامة ، فنال الكلدان (على تنوع طوائفهم) الجانب الأكبر من هذا الإضطهاد الذي شمل كل مسيحيي العراق ، فبدأ سكان البلاد الأصليين (الكلدان) بمغادرة بلدهم بأعداد كبيرة تقدر بمئات الألوف ، أستقرت معظم الهجرات الكبيرة في الولايات المتحدة وكندا وأستراليا ، وبعد حرب الخليج هاجرت الكثير من العوائل المسيحية إلى خارج العراق بسبب الظروف الحياتية الصعبة في الوطن الأم ، وتواصلت هذه الهجرات بعد سقوط النظام البعثي وتسلط الإرهابيين السلفيين على الشارع العراقي الخالي من متطلبات الأمن والأمان في وسط وجنوب العراق ، فيما بدأت القوى الكوردية المتسلطة على الشمال الرافدي الذي كان حتى منتصف القرن الماضي مناطق كلدانية عربية تركمانية بتسريب مئات الألوف من الكورد عبر منافذ إيران وتركيا وسوريا في مخطط القصد منه ترسيخ (تكريد الشمال الرافدي) كمحاولة أولى لخلق دولة كوردية ، وفي ذات الوقت راحت الأجنحة العسكرية والجهات الأصولية السلفية تمارس شتى أنواع الأساليب الإرهابية مع العوائل المسيحية المدنية والتي تجاوزت في وحشيتها وإنحدارها الخلقي الممارسات التي أنتهجها البعثيون ، ووصل الأمر بالسلفيين الذين يتبعون إيران بالتلويح بفصل المحافظات الجنوبية المحاذية لإيران العمارة والبصرة وميسان التي كانت يوماً تشكل المستوطن التاريخي القديم للكلدان / القطر البحري .
وفيما تتواصل اليوم في الشمال الرافدي عمليات تسجيل العوائل الكلدانية كاكراد مسيحيين

وفق ذات الأسلوب البعثي القديم لتعريب الكلدان ، فإن وسط وجنوب العراق يعاني من حملات إرهابية منظمة ضد المسيحيين بشكل عام لغرض أسلمتهم أو تهجيرهم من وطنهم الأم بتخطيط وتمويل من مركزي السلفية والتخلف في كل من إيران والسعودية وبتنفيذ من العصابات الإرهابية الفلسطينية المتوزعة في الأردن وسوريا .

* في عام ٢٠٠٣م أتفقت الكنائس المسيحية على إتخاذ تسمية سياسية موحدة (كلدوآشور) تضم كافة الناطقين بالسورث علاوة على الأرمن (هندوأوربيون) ! الذين وفدوا إلى العراق في هجرة كبيرة ضمت خمسة وعشرين ألف أرمني عام ١٩١٧م ، وكان ذلك الإتفاق (محاولة سياسية خالصة) هدفها (الظاهري) الحصول على تمثيل للمسيحيين العراقيين يتناسب وحجمهم الواقعي في حكومة ما بعد نظام البعث ، لكن هذه التسمية التوفيقية السياسية التي تتفتقد للمنطق ولدت ميتة ، إذ سرعان ما أهملها أبناء الأمة الكلدانية .

* في الأحد الموافق الأول من شهر آب عام ٢٠٠٤م تم تفجير خمسة كنائس في بغداد وواحدة في الموصل من قبل السلفيين المتواجدين في العراق ، اتبعتها عمليات قطع رؤوس عدد من المسيحيين العاملين مع قوات التحالف بصفة مترجمين ، وكذلك قتل العمال والموظفين المسيحيين من قبل السلفيين ، وذلك لبث الرعب في قلوب المسيحيين ودفعهم للهجرة من وطنهم الأم ، وقد أدانت جميع القوى الوطنية هذه الأفعال الجبانة كما أدانها جميع المثقفين والمبدعين العراقيين ، لقد دفع الفراغ الأمني بعشرات الألوف من المسيحيين العراقيين إلى مغادرة العراق ، لكن مئات الألوف من المسيحيين الناطقين بالسورث (الكلدان) ما يزالون متشبثين بالوطن الأم .

* إذا ما أستثنينا الثمانية ملايين من كنيسة كلدان الملابار (العدد غير مؤكد رسمياً) الذين كانوا يتبعون طقسياً كنيسة بابل على الكلدان والذين هم خليط بنسبة عددية كبيرة من الهنود ونسبة ضئيلة جداً من المهاجرين الكلدان الرافدين الذين أنصهروا منذ قرون في العرق الهندي ، فإن عدد الكلدان (الناطقون بالسورث) اليوم في العالم يقرب من أربعة ملايين ، يتواجد ما يزيد على مليونين في الوطن الام العراق (بيث نهرين) ويمثلون القومية الثالثة بعد العرب والكورد ، فيما يتوزع القسم الآخر من الكلدان في بلدان المهاجر وبلدان الشتات .



لوحة أور الكلدان للطفل سومر ١١ سنة \ ٢٠٠٢
الفائزة بمسابقة (معرض الفنانين الصغار في ديترويت)

الأعياد القومية الكلدانية

١-١١ نيسان / رأس السنة الكلدانية البابلية / أكيتو
١٧ أيار/ يوم العلم الكلداني ، (تحرير بابل في يوم السابع عشر من شهر أيار عام ٤٦٧٤ كلدانية والموافقة لتاريخ ١٧ أيار ٦٢٦ ق.م) لمزيد من المعلومات أنظر موقع الأنترنيت www.chaldeanflag.com
١ آب / يوم الشهيد (تفجير خمسة كنائس في بغداد وواحدة في الموصل)
١ أيلول / يوم بابل (ذكرى تسنم الملك الكلداني الشمس نبوخذنصر الثاني عرش بابل)
١٥ أيلول / عيد زاكموك : عيد تجدد الحياة أو يوم النخلة (الشجرة المقدسة عند العراقيين)
٢١ آذار يوم اللغة الكلدانية الأم

كما يحتفل الكلدان / السريان كبقية المسيحيين الكاثوليك في العالم بجميع المناسبات الدينية التي تقرها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، علاوة على الإحتفاء كرافديين بأيام جميع شهداء المشرق (بيث نهرين) .



الإحتفاء بالعلم الكلداني في الدانيمارك

أكيتو رأس السنة الكلدانية / البابلية ٥٣٠٠ ق.م

يعود الإحتفال برأس السنة الرافدية في الأول من نيسان إلى السلالة البابلية الأولى ، أي إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ، إذ تم على عهد هذه السلالة العمورية التي تنحدر عن الكلدان الأوائل ترتيب حلقات الحياة بشكلها شبه النهائي في حياة سكان بلاد ما بين النهرين سواء من الناحية الدينية أو الإقتصادية أو الإجتماعية ، أما قبل ذلك التاريخ فكان الإحتفال بأكيتو -Akitu- أو كما يسمى بالسومرية أكيتي -Akiti- يمثل أحد مناسبتين رئيستين (أكيتو وزاكموك) ، كان الوسط جنوبيون يحتفلون بهما منذ عهد الكلدان الأوائل في أريدو ٥٣٠٠ ق.م ، وكان هذين الإحتفالين يتميزان بأهمية خاصة في كيش وأور وأوروك في فترة ما قبل الهجرة السومرية حتى نهاية العهد السومري الحديث ٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م ، وكانت أور ممثلة بإلهها ننار -Nannar- تلعب دوراً رئيساً في هذه الإحتفالات ، وبخاصة في عهد سلالة أور الثالثة .

وبديهي أن الرافدين الوسط جنوبيين القدماء من الكلدان الأوائل والسومريين كانوا قد أعتمدوا الإعتدال الخريفي زاكموك -Zagmuk- الذي يتم فيه جني التمور كبداية للسنة مع احتفالهم بكلا الاعتدالين الربيعي والخريفي بذات القوة والأهمية ، لكن بداية السنة وهي الترجمة الحرفية للكلمة السومرية (زاكموك) الذي تبناه السومريون كانت طقوسه تتركز حول قدسية شجرة النخيل وممارسة شعائر الخصب والتجدد / الزواج المقدس -Hashadu- ممثلة في العهد البابلي بمردوخ -Mardukh- الإله الوطني للبابليين وزوجته صربانيتم -S̲arpanitum- اللذين يمثلهما على الأرض الملك البابلي وكاهنة المعبد العليا -السيدة الإلهية- إينتوم -Entum- .

والحقيقة فإن الأسم أكيتو مشتق عن تسمية قديمة جداً هي آكيتي شي كور كو - -á-ki-ti-še-gur10-ku5- وهو عيد جز الصوف الذي كان يحتفل به منذ القديم في الفترة ما بين شهري آذار ونيسان ، وكان يعني عند العامة أيضاً رأس السنة الجديدة وبخاصة في العهد قبل السرجوني (شروكين الكبير) ، حيث كان يحتفل به كما يثبت لنا ذلك نص لوح وصلنا من كرسو -Girsu- في مدينة أور الكلدان أولاً ، ثم بعد إنتهاء الإحتفالات الرسمية يحتفل به في مدينة نيبور ، ولكن مع عودة هيمنة العموريين المنحدرين عن الكلدان الأوائل لازمته صفة (عيد بداية السنة) أي رأس السنة وبالبابلية القديمة -Resh Shattim- ، فصار أكيتو الإحتفال الرسمي الوحيد الخاص برأس السنة الجديدة .

وقد أنفرد البابليون بممارسة طقوس الأحتفال بعيد رأس السنة البابلية (أكيتو) في الأول من شهر نيسان من كل عام ، فيما كان الإحتفال بهذه المناسبة يتم في المناطق الأخرى من وادي الرافدين وخاصة في إقليم الشمال شوبارو / آشور في تواريخ لاحقة .

وبديهي أن الإله مردوخ كان هو محور الإحتفال بعيد أكيتو سواء كان ذلك في بابل التي كانت هيّ المدينة الأولى التي يحتفل بها بهذه المناسبة المهمة أو في المدن الأخرى ، ولكن بعد دمار بابل على يد الملك الآشوري سنحاريب عام ٦٨٩ ق.م توقفت الإحتفالات العظيمة في بابل ، فقام سنحاريب بالإحتفال بعيد أكيتو في عاصمته نينوى جاعلاً الإله الشوباري الأصل آشور يلعب الدور الرئيس في الإحتفالات ، فأنقلب عليه أهل بيته وتمكن أحد أبنائه من قتله ،

وهنا قام أبنه أسرحدون عن نية حسنة أو بناءً على رغبة والدته الكلدانية نقية / زاكوتو باللغة البابلية -Naqia / Zakutu- بإعادة تعمير بابل ، وإعادة طقوس مراسيم الإحتفال بكبير آلهة العراق القديم مردوخ ، ويعتبر قمبيز الثاني -Cambyses II- أبن كورش الثاني -Cyrus-II- آخر ملك قام بمراسيم أخذ يد الإله مردوخ في بابل عام ٥٢٩ ق.م ، وذلك قبل تدمير زقورة بابل ومعبد الإيساكيلا في عام ٤٨٢ ق.م في عهد الملك الأخميني أحشويرش الأول -Artaxerxes I- ، لكن الإحتفال بعيد أكيتو بقي مستمراً في الإقليم البابلي بحسب الوثائق التي جاءتنا من مدينة أوروك حتى منتصف القرن الثاني ق.م .
والحق فإنه منذ العهد البابلي القديم كانت جميع الأنظار تتطلع في الأول من نيسان من كل عام صوب بابل -Bâbel- العاصمة الرسمية للبلاد ، حيث كانت تجرى فيها الاحتفالات الباذخة وسط تجمعات بشرية هائلة تحج إليها من كل أنحاء البلاد الرافدية القديمة وبضمنها الأحواز والشريط البحري الممتد حتى قطرايا ومنطقة الفرات الأعلى وصولاً إلى حران .
وكانت الإحتفالات تجرى على مرحلتين وفي موقعين مختلفين هما معبد الإله الأعظم مردوخ إي ساك إيلا -E sag ila- أي المعبد المرفوع الرأس في زقورة بابل الشهيرة المعروفة بأسم إيه تيمن آن كي -E-temen-an-ki- أي بيت أسس السماء والأرض ، أما الموقع الآخر فهو المعبد المعروف بأسم بيت أكيتو (Bith Akitu) الذي يقع خارج أسوار المدينة من جهة الشمال ، وجدير بالذكر أنه منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد عمد البابليون إلى تحاشي مناداة الإله مردوخ بأسمه المجرد بسبب سطوته الإلهية وهيبته في نفوس المؤمنين ، وبدلاً من ذلك راحوا يستخدمون أثناء ذكرهم له صفته الرمزية إيلو بعل أي (السيد الإله) المشابهة لما أعتمده كتبة العهد القديم في إستخدامهم لعبارة (الرب الإله) كصفة لإيلوهيم / الله العبراني .
يبدأ عيد رأس السنة الجديدة أكيتو في اليوم الأول من شهر نيسان ويستمر لمدة أحد عشر يوماً . وتخصص الأيام الثمانية الأولى لممارسات التكفير عن الذنوب ولا يسمح لغير كهنة القداديس الإحتفالية الأوريكالو -Urigallu- بالإقامة في معبد الإيساكيلا الذي يعلو كما قلنا برج بابل المسمى إيتيمناكي ، حيث تقام الصلوات وتنشد التراتيل ، وفي اليوم الرابع يفتتح الإحتفال جماهيرياً ويعلن الكاهن الأعلى للإيساكيلا الشيشكالو -Sheshgallu- بدء المراسيم الإحتفالية للسنة الجديدة على مستوى العامة ، مبتدئين بالتلاوة الشعرية لأسطورة الخليقة البابلية الإينمو إيليش -Enûma elish- التي تعني عندما في العلى ، وذلك من قبل كاهن القداديس الإحتفالية الأوريكالو مصحوباً بكادر من الممثلات والممثلين الذين يقومون بتمثيل تفاصيل الملحمة وما تزال هذه التمثيليات الشعبية تشاهد في تمثيل (تشابيه) معركة الطف من قبل أبناء الطائفة الجعفرية الذين ينحدر معظمهم عن البابليين الكلدان .
وبعد الإنتهاء من تلاوة الأسطورة يمضي الملك إلى معبد إله الكتابة وأبن الإله مردوخ الإله نابو -Nabû- ليستلم الصولجان المقدس من الكاهن الأعلى الشيشكالو -Sheshgallu- ، بعدئذ يسافر الملك إلى مدينة بورسيبا -Borsippa- مدينة الإله نابو التي تبعد سبعة عشر كيلومتراً عن بابل ، حيث يقضي هنالك ليلته في معبد إله المدينة المقدس من البابليين والآشوريين على حد سواء (رسخت شميرام الكلدانية عبادته في آشور) ، وهنا يقوم الشيشكالو بتلاوة أسطورة الخلق في بيت السنة الجديدة (بيث أكيتو) ، إن المغزى من زيارة الملك لمعبد

الإله نابو هو لمساعدته في إخراج مردوخ من عالم الظلمة الكونية التي يعتقد أنها في العالم السفلي (كور) -Kur- أو كما يسمى أرصت لاداري (أرض اللاعودة) -Irs̱it lâ dâri- أو أرصيتو ناشه شيبلاتي بمعنى أرض الناس السفليون -Irs̱itu Nashe Shaplâti- .

وفي اليوم التالي (الخامس) يعود الملك بصحبة تمثال نابو الذي يتركه عند البوابة الجنوبية الغربية المسماة بوابة أوراش -Urash gate- ، ثم يقوم الملك بعدئذ بالتخلي عن شارت ملوكيته وهي الصولجان والحلقة والسيف أمام بوابة معبد الإيساكيلا ، وبعد سلسلة من الطقوس تعاد له شاراته تلك بعد تطهيره وتطهيرها بالماء المقدس ، ثم يعاد تثبيته كملك على البلاد لكي يستطيع أن يدخل المعبد (طاهراً) لغرض أكمال الطقوس الإحتفالية ، فيما يكرس بقية اليوم الخامس لطقوس التطهير التي يقوم بها كاهن المشماشو وذلك بنحر كبش ومسح جدران المعبد شكلياً بدمه ثم إلقاء رأسه في النهر على أساس أن كبش الفداء هذا سيأخذ معه كل آثام السنة المنصرمة .

وهنالك طقس يقوم به الملك في عصر اليوم الخامس أيضاً بصحبة الشيشكالو تكون مادة هذا الطقس شعائر أساسها ثور وحشي أبيض اللون ، وفي غضون ذلك يكون الأهالي في حالة من قصوى من الأهتياج وبخاصة بعد أن تمر عربة مردوخ في الشوارع دون سائقها كدلالة على الفوضى والعماء الكوني قبل تنظيمه من قبل مردوخ . وفي اليوم السابع ينظف تمثال كبير الآلهة مردوخ ويكسى بثوب جديد كما تنظف بقية تماثيل الآلهة وتكسى أيضاً بثياب جديدة ، ثم يقوم نابو بزيارة الإله المحارب ننورتا -Ninurta- في معبده حيث يقومان سوية بالتغلب على إلهين من آلهة العماء في تمثيلية طقسية يدحر فيها تمثالي نابو وننورتا تمثالين ذهبيين رمزيين ، ثم يمضي بهما الكهنة إلى معبد الإيساكيلا لينضما إلى تمثال كبير الآلهة ، وفي غضون اليومين التاليين تصل بابل تباعاً آلهة أور وسيبار وكوثا وكيش وأوروك ونيبور والمدن الأخرى قادمة عن طريق البر أو بواسطة النهر في سفن خاصة توضع داخل المدينة على عربات تجرها الخيول ، وفي اليوم الثامن يبعث مردوخ من جديد فتتصاعد حدة الإحتفالات إلى ذروتها بعد اخراج الآلهة من غرفها وعرضها على الشعب في طقوس يراد منها تأكيد ولاء بقية الآلهة لإله بابل الرسمي والإله الأعلى لوادي الرافدين القديم ، ويتم هذا الطقس بواسطة تدخل الملك ، حيث يدخل الملك إلى ضريح الإله ويأخذ بيده ويضعه في الباحة الرئيسة للإيساكيلا ، فتتقدم كل آلهة البلدان لمنحه السلطة المطلقة عبر تنازلها له عن صفاتها الإلهية وترديد أسماء مردوخ المركبة الخمسين .

يتلو بعدها (ممثل البرلمان) الخطة المزمع تنفيذها في السنة الجديدة والتي تشبه إلى حد بعيد ما يقوم به اليوم رئيس الولايات المتحدة عند إلقائه لخطاب الاتحاد السنوي -State of Union- ولكنها هنا تكون مشفوعة بالتمنيات والدعاءات بسنة خير وسلام ونجاح .

بعدئذ يقوم الملك بقيادة عربة الإله مردوخ الوهاجة بالذهب والفضة تتبعها عربات بقية الآلهة لتطوف شارع الموكب وسط روائح البخور المتصاعدة متوجهين صوب النهر ترافقهم أصوات المغنين والموسيقيين بينما يركع الناس تعبداً لدى مرور الموكب ، أخيراً يترك الموكب بابل متوجهاً صوب معبد بيت الأكيتو وبعد سفرة قصيرة على جانب الفرات يصل الموكب إلى بيت الأكيتو الضاج بالنباتات والزهور حيث يقوم الملك بمرافقة تمثال الإله وإدخاله بنفسه إلى داخل بيت الأكيتو ، فترتل الأناشيد الطقسية ومن بينها تلك المخصصة

لإلهة الجنس والحرب عشتار ، وكذلك الأناشيد التي تخص الإله أيا والد مردوخ وحامي مدينة أريدو عاصمة الكلدان الأوائل ، فيما تتعلق الانشودة الأخيرة بتساؤلات بقية الآلهة عن مبرر تركهم لمعابدهم ، ثم يتوصلون إلى ضرورة تواجدهم مع مردوخ في هذه المناسبة الهامة ، ثم تجرى بعض مراسيم التضحيات (القرابين) كما تجرى طقوس الزواج المقدس -Hashadu- خلال اليومين التاسع والعاشر وذلك في الموقع الخاص من المعبد الذي يطلق عليه تسمية كيكونو -Gigunu- أو الكاكوم -Gagum- وهيّ مقصورة الكاهنة العليا .

وفي اليوم الأخير يتم في معبد الإيساكيلا ترديد الدعاءات والتمنيات للسنة الجديدة ثانية بحضور كافة الآلهة المشاركة في الموكب ، بعدئذ تختتم الأحتفالات بوليمة عامة باذخة لجميع سكان بابل والحجاج القادمين من المدن الأخرى تصاحب هذه الوليمة الموسيقى والتراتيل وكل تعابير الفرح الأخرى ويشارك في إحياء هذه الإحتفالات :

الأسطال وهو الموسيقي -Astalu-

الحبو وهو الدرويش أومؤدي الرقصات الدينية -Huppu-

الأسينو وهو الصبي المعين -Assinnu-

القابستو وهو منظم الأدوار -Qapistu-

القوالو وهم المرددون أي القوالون -Qulu u-

الكور كارو وهوالراثي وهو من الخدام الدينيين -Kur garru-

الموباب بيلو وهو المضحك البهلول -Mubabbilu-

الموميلو والموميلتو وهما الممثل والممثلة -Mummelu Mummeltu-

المصطابسو وهو المصارع -Mustapsu-

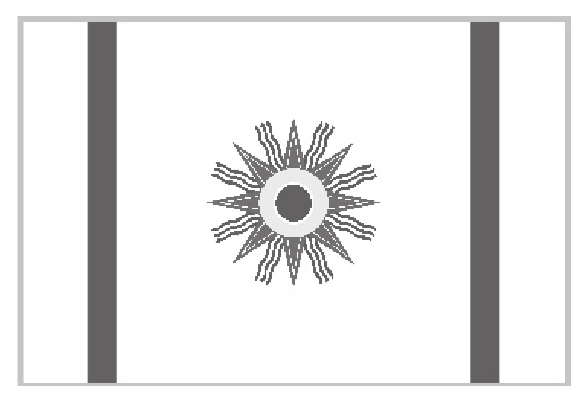
الزميرو وهم المزمرون -Zammeru-

وفي اليوم الثاني عشرتبدأ تماثيل الآلهة التي وعدت بحماية بابل وتدعيم ركائز الحكم وتلطفها بالسكان بالعودة إلى معابدها ويكون تمثال نابو هو أول من يغادر بابل تتبعه تماثيل بقية الآلهة ، وهكذا يعود الكهنة إلى معابدهم والحياة إلى مجراها الطبيعي .



ختم اسطواني مع طبعته من عصر ملك أكد الكلدي شاركلي شري
يصور تفصيل من ملحمة كلكامش

علم وشعار الكلدان القومي من الألف إلى الياء



علم الكلدان القومي

عندما تم تبني علم وشعار الكلدان القومي عام ١٩٩٧م ، أثار البعض من الناطقين بالسورث أسئلة من نوع ، لماذا علم للكلدان وفي ذلك الوقت بالذات ، وبالتالي هل سيكون هذا في صالح الوحدة الكنسية بين الكنيستين الكلدانية والآثورية (إيتا دمدنحا) أم العكس ، وأيضاً ، هل ينبغي للناطقين بالسورث دعم منجز من هذا النوع أم أن عليهم التعامل معه بحذر ؟
وقد كان جوابنا بسيطاً وواضحاً وهو ، أننا نؤمن بأن العلم القومي الكلداني الذي أقرته الرابطة الدولية للفنانين التشكيليين المحترفين الكلدان بشكله النهائي وتبنته العديد من المنظمات والمؤسسات الكلدانية داخل وخارج الولايات المتحدة منذ عام ١٩٩٩م ، إنما يمثل برموزه الواقعية المستمدة من مسيرة شعبنا عبر ما يزيد على ٧٣٠٠ عام حضورنا القومي الحالي كما يمثل حلماً طالما راود المخلصين من أبناء الأمة ، ذلك أنه يعكس وبأمانة تطلعاتنا ومآثرنا الحضارية التي لا يمكن لأمة أو شعب أن يضاهي بمنجزاته ما حققه الكلدان ماضياً وحاضراً ، علماً أن مثل هذه المقارنة لا تنطلق من نظرة إستعلائية وإنما من إستقراء للتاريخ البشري حسب .
وعندما نذكر (الكلدان) فإننا نعني بهم من منطلق قومي متنور جميع الرافديين من الناطقين بالسورث (لهجات السودايي للغتنا الكلدانية الأم) ، وثانياً ، نحن نؤمن بأن الشعارات والأعلام التي تبنتها بعض التنظيمات ذات الطابع السياسي المحض ، إنما تفتقر إلى المقومات الشكلية والموضوعية التي تنتمي لنا ، وبالتالي مع إحترامنا لوجهات نظر تلك التنظيمات وما إعتمدوا من رموز (دون الرجوع لأحد من الكلدان) ، فأن علمنا القومي الكلداني جاء ليمثل أمانينا وتطلعاتنا القومية بكل أمانة وموضوعية ، كما جاء ليعبر تعبيراً كاملاً عن هويتنا القومية الكلدانية وإنحدارنا الوطني الرافدي البابلي ، لذلك نجد أن جميع الغيارى الكلدان من منظمات وأفراد قد أعتمدت هذا الرمز التاريخي القومي وأحتضنته بكل محبة وإعتزاز حتى صار اليوم يرى محلقاً على طول المعمورة وعرضها إبتداء بوطننا الأم ممثلاً بحزب الإتحاد الديمقراطي الكلداني والعديد من التجمعات الثقافية والقومية ومروراً بتلك الجمعيات في إستراليا وأوربا والأمريكتين .

أما عن علاقة تبني علم للأمة الكلدانية بمشروع الوحدة ما بين شقي (كنيسة المشرق) القديمة ، فليس ثمة من علاقة بينهما البتة ، ذلك أن مشروع العلم الكلداني هو مشروع قومي علماني محض ، أما مسألة الوحدة بين شقي الكنيسة فهي مسألة دينية مؤسساتية تقررها المؤسسة الكنسية وفق ضوابطها وتعاليمها الروحية الخاصة ولا علاقة لهذه الضوابط الدينية من قريب أو بعيد بالمسائل العلمانية والتطلعات القومية للشعوب .



علم الكلدان القومي في كل مكان

تاريخ علم الكلدان :

حفزت أجواء تصميم شعارات المحافظات التي دعت لها وزارة الحكم المحلي العراقي عام ١٩٨٥م وما أعقبها من إهتمام بالأعلام الفنان عامر فتوحي (المؤلف) لأن يولي تصميم علم الكلدان الذي كان قد أنجزه مطلع ذلك العام المزيد من الإهتمام ، بخاصة بعد إقامة معرضه الشخصي الثاني (بيت الجنون) على قاعة الرواق قاعة العرض الفنية الأولى في العراق آنذك أي عام ١٩٨٥م ، وأثر المقابلة التي أجرتها معه مجلة اليمامة السعودية (الطبعة الدولية) بيّن فيها الفنان فتوحي وبكل وضوح (إنتماؤه) لأعرق أمة رافدية هي الأمة الكلدانية .

وبعد هجرة الفنان إلى الولايات المتحدة عام ١٩٩٥م توفرت له ظروف مناسبة للعمل ولاسيما بعد إشتغاله في تحرير وتصميم (مجلة الشرق) حيث راح يطور تصميمه لعلم الكلدان ، وكان دعم المركز الثقافي الكلداني الأمريكي الذي ترأسه الفنان فتوحي منذ عام ١٩٩٦م والدعم الشخصي لراعي كنيسة القلب الأقدس الأب الفاضل يعقوب يسو خير معينين له لمواصلة هذا المشروع القومي ، وقد أقر نموذج عام ١٩٩٦ / ١٩٩٧م في الشهر التاسع من عام ١٩٩٧م كأول علم رسمي كلداني على مدى تاريخ الكلدان الطويل ، وتم تهيئة مطبوعات وهدايا بشكل لصقات ودبابيس معدنية ملونة توضع على الصدر للترويج للمشروع ، وفي عام ١٩٩٩م تم

تعديل العلم لثلاث مرات نشر التعديل الأول متأخراً بعض الشيء في تقويم الكنيسة الكلدانية لعام ٢٠٠٠م (بسبب ظروف تأخر طباعة التقويم) فيما نشر التعديل الثاني في العدد الثالث من مجلة بابل اليوم في شهر تموز عام ١٩٩٩م ، أما التعديل النهائي الذي كان ينبغي طرحه بمناسبة (يوم زاكموك) أي عيد النخلة أو عيد تجدد الحياة في العراق القديم في منتصف شهر أيلول فقد عرض على الرابطة الدولية للفنانين التشكيليين المحترفين الكلدان ، وهي أرفع مرجع متخصص في مجال الفنون التشكيلية والتاريخ والعمارة الرافدية ، فأقر في يوم الثاني والعشرين من شهر كانون أول عام ١٩٩٩م وصدر بيان بهذا الخصوص مع كتاب تقدير موقع من قبل الرئيس العام للرابطة الدولية للفنانين الكلدان الفنان العراقي الرائد الأستاذ عيسى حنا دابش وذلك بتاريخ الثالث والعشرين من شهر كانون أول عام ١٩٩٩م ، كما تم تبني المشروع من قبل عدد من المنظمات الكلدانية في جميع أرجاء العالم ، وقد تم رفع العلم الكلداني (رسمياً) لأول مرة على مبنى المركز الثقافي الكلداني مع العلم الأمريكي في إحتفال مهيب ، وذلك في يوم السابع عشر من شهر أيار عام ٢٠٠١م بمناسبة يوم العلم الكلداني ، ثم رفع بعد ذلك على مبنى معهد الجالية الثقافي في ديترويت وعدد من المباني الكلدانية مثلما أحتل العلم مكانه في العديد من القاعات الثقافية والمواقع الكلدانية كالمتحف القومي الكلداني البابلي للتاريخ والتراث والفنون وزين صدر القاعات المخصصة للمناسبات والمحاضرات وكذلك في قاعات الإستقبال لعدد من المؤسسات والشركات التي يمتلكها أبناء الجالية الكلدانية في الولايات المتحدة وكندا ، كما أهديت مجموعة من الأعلام بالحجم الكبير (٤ في ٦ قدم) إلى عدد من المنظمات الكلدانية في أوربا وأستراليا لغرض رفعها على مباني منظماتهم ، ثم طبعت منه نماذج ملونة على القمصان وزعت على الشبيبة الكلدانية لإرتدائها في المناسبات القومية الكلدانية ، كما تم إعلام الجهات الكلدانية الأخرى بسحب التصاميم القديمة من التداول وتوحيد العلم بشكله النهائي (ذو النجمة الثمانية الكلدانية البابلية) والذي أقرته الرابطة الدولية للفنانين التشكيليين المحترفين وصدقت عليه المنظمات التي تبنته منذ عام ١٩٩٩م .

مواصفات علم الكلدان :

يتألف العلم من خطين عموديين أزرقين -Panton ٣٠٠C- ونجمة ثمانية رافدية تضم في داخلها دائرتين ، الخارجية صفراء اللون بنسبة ٧٥٪ والداخلية زرقاء اللون -Panton ٣٠٠C- ، الخطان العموديان يقتربان من الحدود الخارجية للعلم بنسبته التقليدية (طول العلم = مرة ونصف عرضه) ، تاركين في الوسط مربعاً أبيض تحتل مركزه النجمة الثمانية الكلدانية البابلية التي تنبثق منها إشعاعات باللون الأزرق -Panton ٣٠٠C- فيما تحتوي أذرع النجمة الثمانية على مثلثين متداخلين باللون الأحمر -١٠٠m/١٠٠c- تفصلهما زاوية تتألف من خطين متلاقيين باللون الأبيض .

رموز علم الكلدان ومعانيه :

يمثل الخطان العموديان نهري دجلة والفرات الخالدين اللذين ينبعان من الشمال ويصبان في الجنوب ويرمزان للوفرة والعطاء ، فيما ترمز الأضلاع والإشعاعات الثمانية والقرص

الدائري الأصفر للشمس رمز الخير والعدل والمساواة والمدنية ، وإذا ما أضفنا إليها الدائرة الداخلية الزرقاء التي تمثل القمر فإنهما سيرمزان للأجرام السماوية الرئيسة في المعتقد البابلي الكلداني ويرمزان ضمناً إلى حضارة الكلدان وإبتكاراتهم في مجال العلوم ومنها علم الفلك الكلداني القديم الذي يعد أساس علم الفلك المعاصر .

يوم العلم الكلداني :

من أجل تكريم الملك الكلداني نبوبلاصر مؤسس السلالة الإمبراطورية المعروفة بالسلالة الكلدانية الأمبراطورية ومحرر بابل في يوم السابع عشر من شهر أيار عام ٤٦٧٤ كلدانية والموافقة لتاريخ ١٧ أيار ٦٢٦ ق.م ، وبالتالي تسنمه عرش عاصمة العالم القديم بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني عام ٦٢٦ ق.م .

للمزيد من المعلومات حول علم الكلدان والشعار الكلداني يمكنكم زيارة موقع الرابطة الدولية للفنانين المحترفين الكلدان (www.chaldeanart.com) أو المواقع الكلدانية الرئيسة التالية : www.chaldeanflag.com or www.chaldean4u.org .



علم الكلدان القومي في المكتب والبيت والمدرسة

نجمة الكلدان رباعية أم ثمانية ؟

بسبب المداخلات التي أفرزها مشروع العلم القومي الكلداني ، كانت تصلني العديد من من الإستفسارات حول مبرر تجاوزي لبعض تصاميمي السابقة من مشروع علم الكلدان والأسباب التي دعتني لإعادة إستخدام النجمة الثمانية التي أعتمدتها منذ تصميم عام ١٩٨٥م ، وكذلك عن ماهية الفرق بين إستخدام النجمتين الثمانية المستخدمة في المطبوعات العلمانية والنشاطات القومية والثقافية والرباعية التي تستخدمها المطبوعات الدينية بأشكال مختلفة ، وأيهما تمثل النجمة الفعلية للأمة الكلدانية ؟

إزاء أسئلة من هذا النوع ، كان لا بد لي من شرح بعض الأمور التي تتعلق بكلتا النجمتين الثمانية والرباعية من الناحية التاريخية ، وبالتالي توضيح أي منهما هي النجمة الكلدانية الصحيحة بمعنى النجمة الشرعية للأمة الكلدانية .

الحقيقة التي يجهلها عامة الكلدان أن مشروع العلم الكلداني هو (مشروع قومي) لا علاقة له بالتقسيمات الطقسية لكنائس بيث نهرين ، وإن العلم قد أبتكر أساساً ليعزز إنتماء الكلدان بالمعنى القومي للكلمة (الرافديون الناطقون بالسورث) بوطنهم الأم تاريخياً وإنسانياً ، لذلك لا علاقة للكنيسة الكلدانية رسمياً بهذا المشروع ، أما تشجيعه من قبل بعض رجال الكنيسة فينطلق من إعتزاز هؤلاء الكلدان بإنتمائهم الرافدي وهويتهم القومية ، وهو إعتزاز مشروع يشبه إعتزاز أي شخص آخر من أية قومية أخرى بهويته القومية التي لا تتعارض مع إنتمائه الوطني أو الديني أو ما شابه ذلك .

أما فيما يخص النجمة الرباعية المستخدمة في بعض تقاويم ومطبوعات الكنيسة الكلدانية منذ منتصف عقد السبعينات والتي توقف عن إستعمالها غبطة البطريرك عمانوئيل الثالث دلي بعد تسنمه للسدة البطريكرية ، فإنها لم تكن يوماً شعاراً للكنيسة الكلدانية ، وإنما هي الشعار الخاص بغبطة البطريرك الراحل مار روفائيل الأول بيداويد الذي حاول أن يطبع الكنيسة الكلدانية بالأفكار التي أنبثقت عن مؤتمر الاتحاد الآشوري العالمي المنعقد عام ١٩٧٥م في نيويورك ، أما الشعار الرسمي للكنيسة الكلدانية فهو الشعار (المسيحي) الذي عاد إلى إستخدامه غبطة البطريرك الجديد مار عمانوئيل الثالث دلي الكلي الطوبى بعد سيامته بطريركاً على الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية المقدسة ، ويتألف الشعار الكنسي (الصحيح) للكنيسة الكلدانية من مشهد مركزي يضم العائلة المقدسة داخل المذود في بيث لحم ، فيما يسجد أمام رب العرش (يسوع الطفل) ثلاثة من الملوك المشارقة الوثنيين (قدامى الكلدان) مع رموز كنسية ودينية وعبارة بالكلدانية هيّ (حزين كير -Gear- كوكويه بمدنحا) التي تعني (رأينا نجمه في المشرق) ، إضافة إلى عبارة أخرى هيّ (بطريركية بابل للكلدان) باللغات الكلدانية والعربية واللاتينية ، وكنت قد نشرت هذا التوضيح في العدد الأول من مجلة كلدو لعام ٢٠٠٢م .

وفي زيارة خاصة لي لسيادة المطران إبراهيم إبراهيم الجزيل الإحترام بتاريخ السادس والعشرين من شهر آذار لعام ٢٠٠٤م ، وخلال محاورة مع سيادته ببعض الشؤون أعطاني بطاقة التهنئة الخاصة بغبطة مار عمانوئيل الثالث دلي التي حملت الشعار الرسمي (الديني) للكنيسة الكلدانية ، كما وصلني مؤخراً طرداً بريدياً أستلمته عن طريق المطرانية وكان

الطرد يحتوي على الرسالة الراعوية لغبطة مار عمانوئيل الثالث دلي بشكل كراس صغير يزين غلافه الأخير الشعار الرسمي (الصحيح) للكنيسة الكلدانية ، وهيّ محاولة ذكية من راعي الكنيسة الكلدانية الأعلى لإعادة تسيير دفة الكنيسة وفق التوجهات الروحية متجنباً تعقيدات السياسة ومنزلقاتها ، وهذا ما يؤكد وبخاصة لمن يجهل هذه الحقائق ، بأن النجمة الرباعية ليست النجمة الرسمية للكلدان على الصعيد الديني كما كان البعض يتوهمون .



شعار الكنيسة الكلدانية الرسمي لا علاقة له بالنجمة الرباعية

وإن لم تكن النجمة الرباعية هيّ النجمة الصحيحة للكلدان على المستوى الكنسي ، فهل هي كذلك على الصعيد التاريخي والقومي ؟
تؤكد الإثباتات المادية التاريخية بأن النجمة الرباعية لم تكن النجمة الخاصة بالسكان الأصليين الوسط جنوبيين أي سكان الإقليم البابلي من الكلدان الأوائل بناة أريدو ٥٣٠٠ ق.م ، لأنها وبكل بساطة نجمة هامشية ودخيلة على الحضارة البابلية بشكل عام والعهد الذهبي الكلداني بشكل خاص ، إذ لم تستخدم هذه النجمة في المسلات الرافدية على طول التاريخ البابلي إلا في أربع حالات نادرة وهي :
-١ في أحجار الكودورو الكشية ، وهي أحجار حدود أوجد إستعمالها لأول مرة غزاة آسيويون جبليون عرفوا في التاريخ بأسم الكشيين نسبة لإلهتهم كشو ، وهؤلاء الأقوام الجبلية الهندوأوربية لا علاقة لهم من قريب أو بعيد بوادي الرافدين أو بالكلدان عرقاً أو لغة .
-٢ في حجر حدود كودورو الملك نبوخذنصر الأول وهو ليس الإمبراطور الشمس نبوخذنصر الثاني أبن نبوبلاصر ، وقد أستعمل فنانو هذا الملك في حجرة الحدود الخاصة به الإسلوب الكشي الشائع في عصرهم آنذاك ، وهو الأسلوب الذي أستخدمه الكشيون الذين حكموا الإقليم البابلي لما يقرب من أربعمائة عام فأثروا وتأثروا بالحضارة الرافدية ، وبديهي أن الإسلوب المستخدم في كودورو نبوخذنصر الأول هو إسلوب (دخيل) خاص بهؤلاء الملوك الأجانب .
-٣ من قبل الحاكم المحلي (نبو أبلا إيدينا) وهو حاكم كلداني محلي لا حول له ولا طول ، نصبه الملوك الآشوريون حاكماً محلياً بأسمهم على بابل عام ٨٧٠ ق.م إبان فترة تفوقهم عسكرياً ، وتتسم فترة حكمه القصيرة بالتبعية لإقليم آشور وبسيادة الفوضى وإنحسار الروح الوطنية البابلية وإنكماش الحماسة القومية الكلدانية ، ولهذا فقد استخدم في لوحه المكرس للإله شمش رمزاً شمالياً لم تستخدمه المسلات البابلية مطلقاً وذلك تزلفاً لولي نعمته آشورناصربال الثاني ، الذي كان متأثراً بدوره بالتصورات الآسيوية الشوبارية الأجنبية السائدة آنذاك في

إقليم آشور الذي كان يتسمى على المستوى الشعبي بلاد شوبارو .
-٤ مسلة الملك نبونائيد في حران وهيّ غير مسلته الأخرى التي رمز فيها للإله شمش بقرص مجنح ، وبديهي أن يستخدم النحات الحراني في مسلة نبونائيد ثقافته الشوبارية (الأجنبية) لتصوير رموز الآلهة وفق العقلية الشمالية التي لم تكن تعنى بالتفاصيل المتعارف عليها في الإقليم البابلي ، وخير دليل على ذلك أن نجمة الإلهة عشتار نفذت تارة بستة رؤوس وتارة أخرى بسبعة رؤوس وفي كلتا الحالتين جانب النحات الشمالي الصواب ، ومما يؤكد تأثير الثقافة الشوبارية لإقليم آشور على منفذي مسلة نبونائيد ، أنها لم تستخدم في بابل كما أنها كانت موجهة أصلاً لمخاطبة سكان مدينة حران الذين كانوا قد تطبعوا بهذا الرمز الأجنبي الدخيل منذ عهد الهيمنة الشوبارية الأولى .

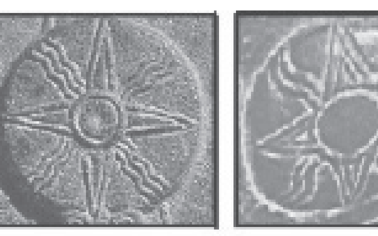
في المقابل كانت (النجمة الثمانية) أساسية ومستخدمة في الإقليم البابلي منذ عهد الكتابة الصورية وهو عصر سيادة الكلدان الأوائل في الألف السادس ق.م حيث كانت النجمة ترسم بشكل أربعة خطوط متقاطعة ينتج عنها نجمة بثمانية رؤوس ، ثم صارت تكتب منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد بشكل أربعة مسامير متقاطعة (ثمانية رؤوس) ، ويقرأ هذا الرمز دنكر بالسومرية -Dinger- وإيلو بالأكدية -Ilu- ، وظلت هذه المسامير المتقاطعة (ثمانية الرؤوس) مستخدمة حتى عهد آخر رقيم طيني وصلنا من الإقليم البابلي بحدود ٨٠م ، أي أن إستخدامها قد أستمر على طول فترة تزيد على خمسة آلاف عام ، كما إن النجمة الثمانية قد أستخدمت أيضاً بشكلها الثماني الأصيل في الفخاريات الرافدية منذ العهود الموغلة في القدم ، وقد وصلتنا منها نماذج تعود إلى حقبة سامراء ٥٥٠٠ ق.م .
وكتأكيد على ما نذهب إليه فإن الملك نرام سين -٢٢٥٤-٢٢١٨ ق.م -Naram Sin- حفيد الإمبراطور الكلداني شروكين ٢٣٣٤-٢٢٧٩ ق.م -Sharru kin- مؤسس الإمبراطورية الأكدية قد أستخدم نقش (النجمة الثمانية) في مسلته الشهيرة التي تصور إنتصاره على قبائل اللولوبيين الآسيويين ، وقد حاول العيلاميون طمس معالم هذا النقش من المسلة فيما بعد ، لكن خشيتهم من العواقب الإلاهية لآلهة بابل جعلهم يترددون من طمس كامل معالم الرمز ، فعاد البابليون إلى نحت النجمة ثانية بشكلها البابلي الثماني فيما بعد ، ولهذا تنفرد مسلة الملك نرام سين بوجود نجمتين ثمانيتين واحدة مشوهة وأخرى كاملة ترمزان لمعنى واحد هو شمش / الشمس (الخير والعدل / الحضارة) .
ولو اطلعنا على النجوم المستخدمة في عصر الإمبراطورية الأورية أو كما تسمى سلالة أور الثالثة لوجدنا محافظة الملوك السومريين على إستخدام النجمة الرافدية القديمة التي أبتدعها الكلدان الأوائل أي (النجمة الثمانية) الرسمية للإقليم البابلي ، ويلوح ذلك جلياً في مسلات أورنمو الشهيرة ، وقد بقيت هذه النجمة الثمانية في الإستخدام إبان العهد البابلي الأخير الذي يسمى بالعهد الكلداني الإمبراطوري أو سلالة بابل الحادية عشر ، ولنا في المسلة التي نشرت من قبل كل من الباحثة والمؤرخة الفرنسية آني كابيه -Annie Caubet- والآثاري باتريك بويسيغر -Patrick Pouyssegur- في كتابهما الموسوم (الشرق الأوسط القديم) ص١٨٣ خير دليل ، حيث تناولا بالشرح أحدى المسلات البابلية التي تحمل النجمة الثمانية الكلدانية المتواجدة في متحف اللوفر (أنظر ص٢٠) ، والملاحظ في شرحهما ذاك أنهما لم يكتفيا

بالإشارة إلى عائدية المسلة للإقليم البابلي وإنما أكدا على كونها من عهد السلالة الكلدانية الذهبية (سلالة الملك الشهير نبوخذنصر الثاني) ، وتؤكد مسلات مردوخ أبلا إيدينا الثاني -Mardukh Apla Iddina II- الذي نفر من الإسلوب الكشي (الهندوأوربي) والآشوري (الشوباري / الآسيوي) نفور عامة الكلدان من التقاليد الأجنبية ، فعاد في مسلته إلى إستخدام الرموز الشهيرة القديمة المتفق عليها في الإقليم البابلي ، وهذا هو ما فعله تماماً نبوخذنصر الثاني -Nebuchadnezzar II- في مسلته المكتشفة مؤخراً .
وكمثال أخير على كون (النجمة الثمانية) هي النجمة الكلدانية البابلية ، فإن الإله الوطني للبابليين أي إله الكلدان الرسمي مردوخ -Mardukh- كان يزوق جسمه بزخارف أساسها النجمة الثمانية -Eightfold Star- كما في ختم الملك الكلداني مردوخ ذاكر شمي ٨٥٤-٨١٩ ق.م -Mardukh Dhakir Shumi I- ، كما أن الكلدان القدماء عندما رسموا تصورهم للعالم بشكل خريطة فإنهم لم يستخدموا النجمة الرباعية الأجنبية وإنما أستخدموا النجمة الرسمية الثمانية لنقل تصورهم الكلداني عن العالم ، وتعد هذه الخارطة الكلدانية اليوم أقدم خارطة للعالم في التاريخ البشري .

لهذه الأسباب المستندة جميعاً إلى الأسس العلمية والبحث التاريخي الدقيق فإننا قد تأكدنا من أن النجمة الكلدانية هي (النجمة الثمانية) البابلية وليس النجمة الأجنبية الرباعية التي أستخدمها البعض من الرافديين تأثراً بالثقافات الأجنبية الشوبارية والكشية ، ولبطلان مصداقية النجمة الرباعية من الناحيتين القومية والوطنية ، فقد عمد الفنان فتوحي مبتكر ومصمم علم الكلدان القومي إلى تجاوز بعض تصاميمه السابقة التي أعتمد فيها النجمة الرباعية بدوافع دينية ، بخاصة وأن العلم الكلداني هو علم قومي وليس علماً كنسياً ، وهكذا كان الخيار النهائي للفنان أن يقدم علماً قومياً بدلالات تراثية وطنية رافدية ، ولم يكن هنالك أفضل من إعادة تصميم النجمة الكلدانية الثمانية البابلية مع إضافة عناصر بصرية أخرى ، جعلت من العلم الكلداني علماً فريداً في العالم كله ، لأنه العلم الوحيد الذي يستخدم الخطوط العمودية كرموز وطنية معبرة بشكل جمالي وعملي عن وطننا الأم بيث نهرين / وادي الرافدين .

إن أهمية النجمة الثمانية الكلدانية البابلية لم تتوقف عند إستخدامها في التاريخ القديم ، بل أنها بقيت في الإستخدام خلال العصور اللاحقة وخير مثال على ذلك تشكيلاتها إبان العصر العباسي الزاهر الذي كان أساسه الفن البابلي القديم ، حيث أستخدمت النجمة الثمانية في الخط والزخرفة والرقش والأربسك -Arabesque- والحفر في الحجر وعلى الخشب وفي تصميم القباب وأشهرها القبة المعروفة بالقبة الصليبية ، وتواصل إستخدامها في العهود اللاحقة حتى أستخدمت كشعار للجمهورية العراقية عام ١٩٥٨م ، بعد أن أعتمدها أثنان من مؤسسي الفن الحديث في العراق ، هما الفنان الخالد جواد سليم (المصمم) والأستاذ الفنان الرائد عيسى حنا دابش (المنفذ) وهو الرئيس العام للرابطة الدولية للفنانين التشكيليين المحترفين الكلدان ، حيث قاما بتصميم وتنفيذ شعار الجمهورية العراقية بعد ثورة الرابع عشر من تموز، أما سبب إختيارهما للنجمة الثمانية فهي كما يؤكد الأستاذ دابش (لأنها تمثل وطنياً كل حضارة بيث نهرين) ، بينما لم تمثل النجمة الرباعية المحدودة الإستخدام إلا نموذجاً دخيلاً .

والحق فإن بوسع كل من يريد التأكد من لا شرعية النجمة الرباعية لتمثيل الأمة الكلدانية ، أن يراجع المسلات الوطنية البابلية المنجزة في الإقليم البابلي سواء كانت تلك التي أنجزت قبل العصر البابلي القديم أم خلال العصرين البابليين القديم والحديث على حد سواء ، ليتأكد من أن (النجمة الثمانية الكلدانية البابلية) كانت وحدها رمز حضارة بيث نهرين ودليل عزته وسيادته وتميزه تاريخياً وحضارياً ، لهذا أعتمد الفنان فتوحي النجمة الثمانية الكلدانية البابلية العريقة لتزين علم الأمة الكلدانية إحتراماً لمنجزات أسلافنا الكلدان ووفاء لهم .


من اليمين إلى اليسار نماذج من من النجوم المستخدمة في وادي الرافدين القديم
نجمة الكلدان الأوائل الثمانية من عهد إمبراطور أكد الكلدي نرام سين ، النجمة الرباعية
الآسيوية من العهد الكشي ، النجمة الرباعية من العهد الآشوري القرن التاسع ق.م ،
وأخيراً النجمة الثمانية الكلدانية البابلية من القرن السابع ق.م .

النخلة .. شجرة الحياة البابلية المقدسة

قدس العراقيون القدماء شجرة النخيل (داقلا) -Sacred Palm Tree- منذ أقدم الأزمنة المعروفة ولمكانة النخلة في حياة الكلدان الأوائل فإنهم إشتقوا منها أو من مكانتها المقدسة أسم عاصمة الرافدين الأولى أريدو -Eridu- التي تكتب مقطعياً (نون كي) -Noon ki- و يعني أسمها باللغة العتيقة (الكلدانية الأم) أصل أو باب الحياة أو الرفاهية وفي قراءة أخرى (موطن النخيل) ، وهذا الترادف في المعنى بين الحياة والنخلة إنما يوضح مكانتها الروحية عند أسلاف الكلدان القدماء -Proto-Kaldee- ، والحقيقة فإن العراقي القديم منذ عصر ما قبل الطوفان بل وحتى يومنا هذا ما يزال مولعاً بسحر وجمال ورشاقة هذه الشجرة التي ما فتئت تبسط ظلها على أرض الرافدين مذ خلقها الله لتكون زينة جنة عدن وأول شجرة في العالم ، ومن المرجح لدى علماء النباتات أن العراق هو الموطن الأول لهذه الشجرة العريقة التي يسميها العراقيون النخلة الخالدة أو شجرة الحياة الأولى ، وبسبب ملائمة مناخ العراق

لهذه الشجرة المباركة ، فقد كان يزرع في العراق حتى منتصف عقد الثمانينات من القرن المنصرم ما يقرب من ٤٠٪ من نسبة التمور في العالم كله ، وقد كانت في العراق قبل جريمة إجتثاث مناطق كاملة في وسط وجنوب العراق من قبل النظام البائد ما يزيد على ٣٢ مليون نخلة أي حوالي ٣٨٪ من مجموع النخيل في العالم .
ولعل من أجمل الأساطير العراقية القديمة المعروفة بأساطير المقارنات هي تلك التي كانت بين النخلة والأثلة ، والنخلة هي رمز الإله تموز إله الخصب الذكوري بحسب إسطورة عشتار وتموز ، كما كانت تدخل ضمن التعاويذ الخيرة الشافية والحامية ، مثلما كانت أجزائها تدخل ضمن ممارسات الطب الشعبي القديم .
وللتمر فعل سحري يعتقد به العامة منذ قديم الزمان كمنشط حسي ومحرك للغريزة ، لذلك كان يستخدم في طقوس الزواج المقدس ، وما تزال هذه العادة مستخدمة حتى يومنا هذا .
والنخلة مباركة في التقليد المسيحي لأنها السجادة التي فرشت في درب الرب يسوع المسيح في عيد الشعانين وبها لوحت الجموع وهيّ تهلل (أوشعنا لوريه [لبر] ددوايذ / المجد لأبن داود) ، كما أنها ما زالت تدخل في المراسيم النهرية العراقية كمراسيم الخضر التي كان يمارسها جميع العراقيون دونما إستثناء حتى أواخر القرن الماضي .
أما على صعيد القيمة الغذائية فإذا ما تركنا جانباً القيمة الغذائية للتمور ولاسيما أن عدد أصناف التمور العراقية تزيد على ثلاثمائة وخمسين نوعاً ، منها ما يزيد على ١٥٠ نوعاً من التمور النادرة التي لا تثمر إلا في العراق ، فإن النخلة وأجزائها قد أستخدمت في الحياة اليومية ، إبتداء من سعفها التي تغزل به السلال والحصران مروراً بكربها المتعدد الإستخدامات وجريدها الذي يدخل في صناعة الأثاث المنزلي من الكراسي والطبلات والمناضد والأسرة والخزانات الخشبية دون الحاجة إلى دق ولو مسمار واحد ، ولهذا فضلها العراقيون القدماء في بناء منازلهم النهرية أو تسقيف منازلهم البعيدة عن النهر ، ناهيكم عن إستخدم اليابس منها في أيام الشتاء الباردة كوقود غير مخدش للعين والأنف والرئتين .
وقد كانت شجرة النخيل وما تزال ذات سطوة عند العامة إذ لا يجوز قطعها إلا لغاية أساسية ، وعند قطع شجرة النخيل يجب قراءة الصلوات وترديد التعاويذ الحامية وإلا تعرض قاطع النخيل وفق المعتقد الشعبي العراقي للأذى الإلهي ، والحقيقة فقد كانت شجرة النخيل تدخل في طقوس التقرب للآلهة حيث كانت توضع الفسائل الصغيرة في أكواز فخارية قدام الإله الذي تجري طقوس التقرب إليه ويكون ذلك بواسطة سكب الماء المثلج في الكوز الفخاري الذي يحتوي على فسيلة النخيل كتعبير عن تقديم عطية الماء البارد للإله لأن الماء البارد (المثلج) كان من الأمور المرفهة التي لا تقدم إلا للآلهة والملوك وعلية المجتمع .
ولعل النماذج التي جاءتنا من عهد الملك أورنمو ٢١١٢-٢٠٩٥ ق.م -Ur Nammu- والمسلة الكلدانية ذات النجمة الثمانية المتواجدة أيضاً في متحف اللوفر ، إنما تعد من أجمل النماذج التي توضح هذا التقليد الوسط جنوبي (إقليم بابل) الذي أبتكر في أريدو وأنتشر إستخدامه في جميع أنحاء وادي الرافدين القديم ، مع أن الكلدان الأوائل وكافة السلالات الحاكمة في الإقليم البابلي تعاملوا مع موضوع شجرة الحياة هذه فنياً بشكل يقرب من المحاكاة ، غير أن فناني إقليم آشور صوروا شجرة الحياة الوسط جنوبية الجذور ، بشكل طغت عليه الزخرفة والرمزية وكانت بحق من أجمل ما تركه لنا الفنان الرافدي القديم .

أما الختم المنسوب للعهد السومري / البابلي الذي يعتبر أقدم ختم للنخلة المقدسة ، فيعد وفق رأي عدد من نقاد الفن المعروفين من أروع ما نفذه فنان الإقليم البابلي ، يصور هذا الختم مشهد جني التمور من نخلة مع فسيلتين و بحضور نساء نبيلات في مشهد طقسي مع رمز الإله ننار (الإله القمر) ووزتين كان يعتقد بأنهما ترمزان للإلهة باو بحسب بعض التفسيرات القديمة ذلك أن رمز الإلهة باو كما تبين مؤخراً هو (المهفة) ريش المروحة الدائرة / المتحركة -Winnowing fan- .

ومن الجدير بالذكر هنا ، أنه برغم إعتقاد البعض بأن شجرة النخيل المقدسة قد باحت لنا بكل أسرارها التي تناقلها أسلافنا القدماء أباً عن جد ، لكن الأمر غير ذلك تماماً ، وكمثال على ذلك ، فقد أتفقت الديانات الكبرى على أن آدام قد طرد من الفردوس (جنة عدن) بسب أكله من ثمرة الحكمة التي أعطتها له حواء بإيحاء من الأفعى ، ونعلم أن آدم بعدما أكل من الثمرة عرف أمرأته بمعنى (ضاجعها) وكان جزاؤه وأمرأته أن يطردا من الفردوس .

وقد صور الفنانون الأوربيون تلك الثمرة (بالتفاحة) ، ولأن التفاح ليس من الثمار المنتشرة في وسط وجنوب العراق ، ولأن جنة عدن بحسب الدراسات الحديثة تتمثل في وسط وجنوب العراق بدلالة الأسم (عدن) ودلالة أنهار الجنة الأربعة ، فقد كان من المستحيل إعتماد التصور الأوربي لثمرة التفاح ، بخاصة وأن ليس لفاكهة التفاح أية تأثيرات جنسية ، لهذا فقد أعتقد البعض بأن الثمرة لا بد وأن تكون ثمرة عراقية وأي ثمرة غير (التمر) تلك التي تملأ الجسم حيوية وتصعد السعرات الحرارية ، وهيّ الثمرة التي تقدم حتى اليوم للعريس مع اللبن في ليلة الدخلة .

لكن الأمر لم يكن مقبولاً من قبل الكثيرين بسبب شيوع التصور الأوربي عن التفاحة ، حتى كشفت التنقيبات عن ختم يعتقد بأنه يرجع إلى تاريخ يمتد بين عصري فجر السلالات القديم وميسالم ٢٩٠٠-٢٥٥٠ ق.م ، ويحتوي هذا الختم على مشهد يتألف من الثيمات الأساسية لقصة آدام وحواء ، حيث نجد رجلاً مقرناً بمعنى أنه مخلوق غير فان (خالد) وأمامه تجلس أمرأة لا تلبس التاج المقرن مما يوحي بأنها قد فقدت خلودها للتو ، وبينهما شجرة النخيل وقد تدلت عذوقها ، ويبدو في المشهد وكأن المرأة تدعو الرجل المخلد لمشاركتها في الأكل ، وتستكمل الصورة التوراتية عن آدم وحواء بوجود الأفعى خلف المرأة وكأنها تحثها على دفع الرجل للأكل من التمر المتدلي من النخلة ، قد يقول البعض أنها مصادفة وربما تكون كذلك !

ولكن لوتمعنا في الأمر ملياً لوجدنا أن أسم جنة عدن مشتق أساساً من الكلمة السومرية -Ed-en- التي تعني (سهل) وبمعنى آخر الجنان المخضوضرة ، وأن المقطع -Ed- منفصلاً يعني أيضاً النهر ، كما أن تفاصيل المشهد بمجموعها لا تقبل تأويلاً آخر ، وما يدعم هذا الرأي أن التمر معروف في العراق بمزاياه الجنسية ، كما أن المشهد يجمع بين رجل وأمرأة وثعبان وفاكهة التمر وكلها عناصر رئيسة ، مصورة كما وردت حرفياً في الإصحاح الثالث من سفر التكوين بعد ذلك بما يزيد على ألفي عام !

أن شجرة النخيل عند العراقيين القدماء قد أقترنت دائماً بالحكمة وأنفتاح الذهن وبالحيوية الجنسية ، وهيّ ما ترمزه حتى اليوم عند العراقيين المعاصرين ، لذلك كان العراقيون القدماء يحتفلون بعيد زاكموك -Zagmuk- في الخامس عشر من شهر أيلول من كل عام

بمناسبة جني التمور كعيد للخصوبة وتجدد الحياة ، وكان الزواج المقدس -Hashadu- حجر الأساس لذلك العيد الذي كان يعتبر بمثابة بداية للسنة الجديدة قبل أن يعطي مكانته المتميزة لعيد الأكيتو -Akitu- ، ومع ذلك كان الإحتفال بالإله تموز العائد من الموت والإلهة عشتار المنتظرة عريسها الإلهي يمثل ذروة طقوس الفرح عند العراقيين القدماء ، وكانت شجرة الحياة المقدسة (النخلة) تمثل السمة المميزة والرئيسة لإحتفال الخصوبة هذا .



ختم من الفترة البابلية القديمة يصور موضوع آدم وحواء

الأصول الرافدية للرموز الدينية

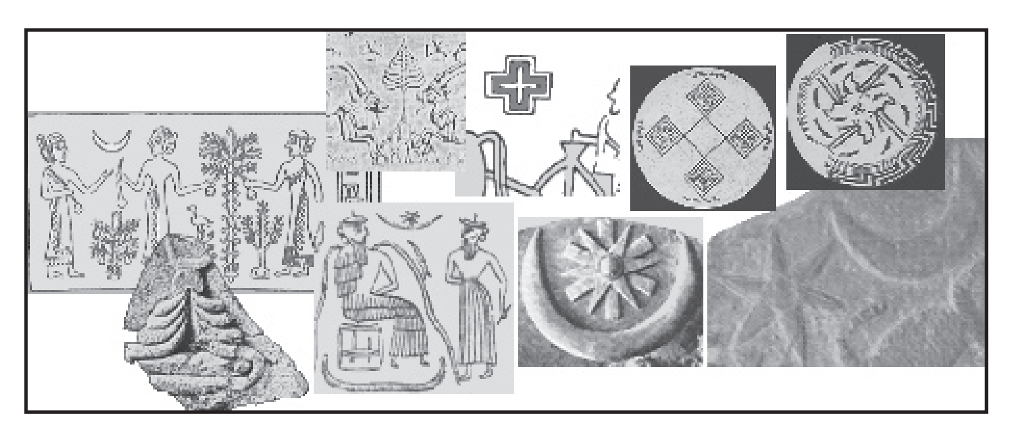
الصليب التقليدي والصليب المعقوف -Swastika or Fylfot- والصليب المالطي -The Maltese Cross- والنجمة السداسية -Sixfold star or David Star- وتركيب النجمة والهلال -The Star & the crescent- والسبعة عيون -The Seven dots- والقباب الدينية الذهبية والفيروزية -The Golden & Turquoise Domes- وغيرها من الرموز المتداولة في عصرنا الحالي التي تطالعنا في البيت والشارع وموقع العمل وفي وسائل الإعلام والمواصلات وحتى على ملابسنا ، هل هيّ منجزات مرتبطة بما هو شائع عنها زماناً ومكاناً وأحداث ، وبمعنى آخر هل أن هذه الرموز كالصليب والنجمة السداسية قد أشتقت من أصول تنتمي للديانتين السماويتين القديمتين اليهودية والمسيحية ، وهل أن الرموز الأخرى كالنجمة والهلال أو القباب المذهبة وتلك المزوقة بالقاشاني تنتمي حقاً إلى الديانة الإسلامية وثقافتها المحلية التي أبتدأت في مكة ؟

الواقع غير ذلك تماماً ، فليست هذه الرموز كما يعتقد البعض رموز دينية يهودية مسيحية إسلامية وإنما هيّ رموز تاريخية معروفة حاول أتباع هذه الديانات أن يكيفوها مع أفكارهم ويستخدمونها للتعبير عن فلسفتهم وأفكارهم ، ولرب سائل يقول : وأذن ، ما هيّ حقيقة هذه الرموز وما هو عمقها التاريخي ؟

تؤكد المكتشفات الآثارية التي وجدت على طول التاريخ القديم لوطننا الأم بأن رمز الصليب التقليدي -Traditional Cross- الذي أستخدم من قبل المسيحيين مع مطلع القرن الرابع الميلادي ، أي بعد قرون من حادثة صلب الرب في أرشليم كدلالة على الديانة المسيحية وتذكيراً بحادثة الفداء الإلهي ، كان قد أستخدم في وادي الرافدين منذ الألف السادس ق.م للدلالة على الخير والنور إذ كان واحداً من أقدم رموز الإله الشمس شمش قبل أن يشيع إستخدام النجمة الثمانية الكلدانية البابلية ، ولعل من أجمل الأمثلة التي تصور رمز الإله شمش على شكل صليب مشع ما جاءنا على ختم إسطواني من مدينة نفر / نيبور -Nippur- الألف الثالث ق.م ، كما عاد الصليب المشع إلى الإستخدام ثانية كرمز للإله شمش في عهد السلالة السرجونية التي تبنت الثقافة البابلية في معظم تفاصيلها .
الغريب أن الإنقلاب الصيفي القديم يقع ضمن شهر نيسان ، أي أول شهر من شهور السنة الرافدية البابلية القديمة المؤذنة بعودة الحياة والتجدد والخضرة والربيع ، وهذا يتوافق مع بحث علمي لمجموعة من الفلكيين الذين أجروا مؤخراً بحثاً أثبتوا من خلاله ، أنه في العام السادس قبل الميلاد (وهو التاريخ الفعلي لولادة السيد المسيح) حدثت ظاهرة فلكية نادرة أدت إلى سطوع أحدى النجمات بتاريخ السابع عشر من شهر نيسان وهو التاريخ الذي يتأرجح فيه الإحتفال بعيد القيامة ، ولهذا يصور البعض من المسيحيين النجمة بشكل يقرب من الصليب وهو أيضاً من رموز الإله الشمس ولاسيما في الأختام الإسطوانية ، إن أقدم ما وصلنا من رموز تمثل الإله شمش بشكل صليب تقليدي جاءتنا من فخار أريدو -Eridu- نهاية الألف الخامس ق.م وكذلك من عصر فجر السلالات -Jemdet Nasr- فيما جاءنا (الصليب المعقوف) من عصر فخار سامراء الألف السادس ق.م / تل حسونة -Samarra Hassuna /- حيث أستخدم هذا الرمز برؤية تجريدية أو رمزية كدلالة على حيوية الحياة وأستمراريتها .
أما ما يعرف بالصليب المالطي والذي يسمى كذلك (بسبب من إكتشافه لأول مرة في جزيرة مالطا) فقد جاءنا من وادي الرافدين من فترة فخار سامراء ٦٠٠٠-٥٥٠٠ ق.م وكذلك من فترة فجر التاريخ الرافدي وتحديداً من فخار اريدو وكذلك بشكل ختم من أوروك عصر ما قبل السومريين (الألف الرابع ق.م) الذي يصور مشهداً لقطيع من الماعز في غابة ويطل عليهما من السماء الصليب المالطي وذلك قبل بضعة آلاف من السنين على إنتقال تأثيراته إلى فن جزر البحر المتوسط ومنها جزيرة مالطا الذي أكتشف فيها هذا النوع من تصاميم الصلبان لأول مرة .
ومن الرموز المسيحية الأخرى الأقنوم الثلاثي (الآب والأبن والروح القدس) الذي يرمز له بمثلث التوحيد ، ذلك أن كل ضلع في المثلث يلتقي مع الضلعين الآخرين ويكملهما في وحدة فريدة ، وقد أستخدم البابليون عامة وكذلك أسلاف الكلدان القدماء المثلث القائم على عمود لإلههم القومي مردوخ ، كما رمز للإله أيا برأس خروف أو بحمل ، وكذلك بدائرة تحيط بصليب وهي أولى أشكال ما يعرف بفن الماندلات -Mandala- أو الهالات الدينية وقد أنتقل هذا الرمز الرافدي إلى الشرق الأقصى وكذلك إلى أوربا فصار السيد المسيح يرسم وقد كلل رأسه بهالة في داخلها صليب وهو رمز الخروف الرافدي / الذي كان يعد القربان المفضل أي التضحية والفداء في العراق القديم لغسل الذنوب القديمة ، أما على الصعيد الديني فيمثل

هذا الرمز يمثل العمل الخلاصي الذي قام به السيد المسيح لفداء العالم .
كما أستخدم الإغريق وقت قبولهم للبشارة المسيحية رمز السمكة ، وقد فسر علماء المسيحية ذلك بأن السمكة التي تلفظ في الإغريقية إختيس -٣O١KG- إنما تتألف من خمسة حروف يمثل مجموعها أولى الحروف من الكلمات الخمسة التي ترمز للسيد المسيح ، وهي حرف (آيوتا) الذي يرمز لكلمة يسوع وبالإغريقية إيسوس -٣- و(خي) -O- وترمز لكلمة خريستوس أي المسيح و(ثيتا) -١- وترمز لكلمة ثيون أي أبن و(إيبسلون) -K- وترمز لكلمة أالله وأخيراً سيكما -G- وهي أول حرف من حروف كلمة سوتير أي المخلص أو الفادي ، وبذلك يكون معنى رمز السمكة الإغريقي المسيحي هو (يسوع المسيح أبن أالله المخلص أو الفادي) ، ويلفظ الكلدان هذه الكلمات على النحو التالي (إيشوع مشيحا برت آلاها باروقا) .
وبديهي أن السمكة كانت أيضاً عنصراً مكملاً لأحد رموز الإله أيا أبو البشر في ملحمة الطوفان المعروفة أيضاً بأسم بطلها أوتونابشتم -Utanapishtim- أو زيوسدرا -Ziusudra- ، حيث يرمز لأيا بجدول تسبح فيه السمكات ، كما أن السمكة هي رمز الإلهة العراقية القديمة نانشة الإلهة السمكة إلهة مدينة نينا أصل تسمية مدينة نينوى في إقليم الشمال الرافدي .
والحقيقة فإن المسيحية عندما دخلت وادي الرافدين في القرن الأول للميلاد لم تكتسح الديانة الرافدية الوثنية إلا شكلياً ، ذلك أن بوادر التوحيد كانت متواجدة أصلاً في الفكر الرافدي القديم ، لذلك تقبل كلدان الرافدين البشارة المسيحية بعد أن طبعوها بتراثهم الروحي العريق ، وهكذا إنتقلت رموزهم الشهيرة إلى الديانة الجديدة ، مثلما تحولت النعوت التي كانوا يستخدمونها لكبار آلهتهم إنليل ومردوخ اللذين كان البابليون يتحاشون ذكر أسمائهم بل يكتفون بتسميتهم بالسيد الإله (إيل بعل) إلى كتبة العهد القديم فيستخدمونها لوصف الرب الإله ، كما أطلقوا على أمنا العذراء تسمية مريم العذراء حافظة الزروع أو سيدة النجاة وغير ذلك من ألقاب الإلهة البابلية عشتار التي كانت تلقب أيضاً بالآلهة الطاهرة وأيضاً بالعذراء السماوية والحافظة للخصوبة .
ورب قائل يقول لكن نجمة داؤد السداسية نجمة قديمة ، وهنا لا بد لي وأن أصحح هذه المعلومة ذلك أن داؤد الملك يرجع إلى إبراهيم (القرن التاسع عشر ق.م) وإبراهيم يرجع إلى كلدان أور الأوائل ، وأهل أور قد أستخدموا النجمة السداسية في مسلاتهم منذ مطلع الألف الرابع ق .م ، وقد شاع إستخدامها في عصر الملك أورنمو حيث كانت ترسم النجمة السداسية منفصلة أو جزءاً من رمز الإله الرسمي لمدينة أور ننار / سين أي الإله القمر ، فإن كان الملك داود قد أستخدمها شعاراً له فإنه لم يفعل إلا التأكيد على أصله الأوري الرافدي وهو ما يتوافق مع سفر التكوين ، ولعل من أجمل الأمثلة على النجمة السداسية الرافدية تلك التي نقشت على لوح من الحجر البني كرمز للإلهة عشتار ، ويعود زمن هذا اللوح إلى العهد البابلي القديم وهو اللوح المرقم ٥٥٢٧م ع والذي كانت تضمه الخزانة رقم ٢٣ في الجناح الأكدي والبابلي القديم من المتحف العراقي .
أما الدين الإسلامي فلم يعرف الرموز إلا بعد إنتقال مركز سلطة المسلمين الأوائل من الحجاز إلى وادي الرافدين وذلك بعد التوسعات الإسلامية ، ولإنتماء العرب ثقافياً إلى حياة البادية والثقافة الصحراوية التي لا تعرف الإستقرار ، فقد كانوا يفتقدون إلى المقومات الحضارية المتقدمة المتواجدة في وادي الرافدين منذ آلاف السنين ، وتؤكد الإشارات التاريخية على أن

العرب لم يكونوا ملمين بفن النحت ولهذا كانوا يستوردون تماثيل الآلهة التي يعبدونها من وادي الرافدين وبلاد الشام ، ولهذا أيضاً كانت بعض مرتكزات ثقافتهم الأولية صدى لثقافة وادي الرافدين العريقة .
والحق لم يفعل المسلمون الأوائل بعد غزوهم لوادي الرافدين في القرن السابع للميلاد إلا ما فعله من قبلهم بقية الغزاة الذين يتوجهون عادة بغزواتهم الكبرى من منطلقاتها البدوية غير المتحضرة إلى مراكز المدنيات الشائخة ، وهو ما فعله العديد من الغزاة بعدهم ، إذ أخذوا من المدنيات التي غزوها معارفها وقيمها الحياتية فأقتبسوها وتشربوا بها ، أن تعلم الغزاة البدو من المدنيات التي يقومون بغزوها هي بديهية لا تحتاج إلى جدال ، وكدليل على ذلك غزو المغول -Mongolian Tribes- للدولة العباسية -Abbasid Empire- وغزو قبائل الجيرمان -Germanic Tribes- للدولة الرومانية -Roman Empire- .
عموماً ، بعد أن أستقر الحجازيون بأعداد قليلة في وادي الرافدين ، إحتاجوا لبناء المساجد فأستعانوا بخبرة العراقيين الذين دخلوا الإسلام (بطريقتي الترغيب والترهيب) ، وهكذا عندما بني أول مسجد بقبة في الكوفة / أولكاش الرافدية ، فإنه نفذ على غرار الكنائس المسيحية في الحيرة ، والحقيقة فإن كنائس المسيحيين ذاتها كانت إستمراراً للتراث البابلي الكلداني القديم ، ولهذا نجد أن الكلدان الذين أسلموا وتشيعوا في وسط وجنوب العراق قد أمتازت أبنيتهم بالقباب الذهبية وبكثرة العقود وبنمط البلاطات المزججة (القاشاني) -Faience- أما كلدان العراق في وسط وشمال العراق الذين دخلوا المذهب السني كالمالكي والشافعي والحنفي والحنبلي ومذهب المعتزلة فقد أتسمت مساجدهم بالتقشف وبإستخدام القباب الفيروزية أي الأزرق المخضر -Turquoise- .
كما تسلل إلى الإسلام رمز الإله نناز الإله القمر ورب الحكمة وإله الشهور والذي كان يرمز له بالرمز الرافدي القديم النجمة والهلال ، حيث تعني النجمة كرمز دلالي على الإلوهية -Dinger / Ellu- الذي يسبق عادة كتابة أسم الإله ، بينما يدل الهلال على الإله نناز / سين بشكل خاص وعلى الأزلية الإلاهية بشكل عام ، وقد تم إختصار هذا الرمز لاحقاً فصار يكتفى بمجرد الهلال أو بهلال داخل دائرة دلالة على الكلية والشمولية .
وخير ما جاءنا من أمثلة مجموعة الأختام المنشورة في كتاب الدكتور أحمد سوسة الموسوم (تاريخ حضارة وادي الرافدين ط١٩٨٣) حيث يبدو الهلال منفرداً أو مع النجمة الخماسية والسداسية والسباعية ، وأحياناً لا تأتي النجمة بوضعها التقليدي أي فوق الهلال وإنما تحته وهيّ حالات نادرة كما جاءنا هذا الرمز في أروع صوره منقوشاً على المسلة الشهيرة العائدة إلى مؤسس السلالة الأورية الذهبية أورنمو.
وهكذا يتبين لنا أن معظم الرموز الدينية المعروفة قد تمت استعارتها من الأصول الرافدية القديمة ناهيكم عن العديد من مقومات العبادة المتداولة عند العامة ، وبديهي أن هذه الرموز هيّ دلالات (شكلية) محضة ، أما علة تشابه الرموز في غايتها ومعناها فناتج عن أن في كل الديانات قديمها وحديثها رغبة إنسانية في التعبير عن الولاء والمحبة والتقديس للإله الكوني خالق الأرض والسماء .



مجموعة من الرموز الدينية التي تؤكد أسبقية وادي الرافدين في إبتكارها

خارطة العالم الكلدانية أول خارطة في التاريخ

عرف العراقيون القدماء التخطيط الهندسي وعلم المساحة منذ الألف السادس ق.م ، حيث أكتشفت العديد من المخططات المعمارية للقصور والمعابد التي كانت تنفذ مخططاتها قبل بدء العمل الفعلي على تشييدها ، وذلك إعتماداً على تلك المخططات الهندسية الدقيقة ، ولعل من أجمل تلك المخططات الهندسية هو مخطط معبد (إي نيونو) من عهد سلالة لجش الثانية مدينة تلو -Tello- أي كرسو سابقاً ، كما وصلتنا خرائط المدن القديمة وتقسيماتها الإدارية ومواقع أبرز أبنيتها ، وتعد من أفضل الخرائط التي وصلتنا خرائط مدن كل من أوروك -Uruk- ونيبور -Nippur- ، وتعد خارطة مدينة نيبور من العهد البابلي من أروع خرائط المدن المكتشفة ولا تضاهيها روعة إلا خارطة مدينة نوزي -Nuzi- من العهد البابلي الوسيط ، فقد تميزت الأولى بكونها خارطة هندسية صرفة فيما تميزت الثانية بكونها أقدم خارطة طبوغرافية حيث وزعت الشواخص الجغرافية فيها بشكل يدعو إلى الإعجاب والدهشة .

كما تعد خارطة نيبور الأخرى المسماة بخارطة تحديد موقع الحقل الملكي أقدم خارطة توضح بالتفاصيل رسماً وكتابة نمط الحياة عهدذاك ، حيث توضح الخارطة تنظيم شبكات المياه وتوزيع الحقول مع ذكر الأماكن العامة كالمباني والشوارع ومواقع المياه والمراعي ، وقد دللت الأبحاث على أن هذه الخارطة تحديداً والمكتشفة في نيبور أي نفر -Naphar- تعود إلى منتصف الألف الثاني ق.م ، إلا أننا نتوقع أن تكون نسخة عن أصل أقدم بكثير .

ومع أن المدنيات الأخرى قد عرفت فيما بعد خرائط تخطيط المدن ، إلا أن البابليين تميزوا عنهم بكونهم (أول من رسم خارطة متكاملة للعالم بحسب تصورهم آنذاك) ، إذ تعد خارطة العالم من عهد السلالة الكلدانية الذهبية أي السلالة الإمبراطورية أواخر القرن السابع ق.م أقدم خارطة معروفة للعالم القديم ، حيث قام الفنان الكلداني الذي نفذ تلك الخارطة على شكل

النجمة الثمانية الكلدانية البابلية برسم العالم حفراً على لوح من الطين المفخور ، مصوراً الأرض بشكل قرص عظيم يطفو على البحر العالمي وهو البحر الذي يحيط بالأرض إحاطة السوار بالمعصم ، وفي مركز القرص العالمي هذا ، أي العالم القديم نقش الفنان مدينة بابل -Bâbel- في مركز العالم يقطعها من منتصفها نهر الفرات الذي ينحدر من الشمال إلى الجنوب ، تحيط بها من الشمال منطقة أوراراتو أي أرمينيا وكذلك المناطق الجبلية ، كما تبرز ضمن مجموعة مدن الشمال مدينة آشور -Assur- ومدن أخرى غير واضحة التسميات بسبب التشويه الذي لحق باللوح ، وهنالك إشارة توضح معرفة البابليين بالقطب الشمالي حيث ترد عبارة المنطقة التي لا تظهر عليها الشمس ممثلة بمثلث مظلم وهيّ المنطقة الخامسة بين مجموع المثلثات الثمانية الخارجية ، وقد عزا بعض العلماء هذه الإشارة للظلمة الدائمة بالليل القطبي .

أما إلى الشرق فتبرز مدينة دير / دور آنو شمالي شرقي منطقة الأهوار وإلى الجنوب الغربي منطقة بيث ياقين -Bit Yaqin- ومنطقة المسطحات المائية وبحر الكلدان -Tam ti sha-mat kaldee- مع إشارات للقنوات المائية والأهوار ، كما تمثل المثلثات السبعة الأخرى الممتدة من من البحر العالمي مناطق أو مقاطعات تدعى واحدتها -Nagu- وهي تسمية تقرب من معنى الإقليم ، أشهر تلك المناطق إضافة إلى المنطقة القطبية أي الإقليم الخامس ، الإقليم السابع في الأهمية والذي قد يمثل منطقة الإستواء ، حيث تشير له الخارطة بعبارة المنطقة التي تظهر عليها الشمس لفترة طويلة .

ويعتقد أن هذه الخارطة هي نسخة عن أصل بابلي أقدم قد يعود إلى العصر البابلي القديم أو حتى إلى السلالة الإمبراطورية الأكدية أو مرحلة دولة كيش الإقليمية بمعنى الكلدان الأوائل ، بخاصة وأن مدينتي كيش وأكد كانتا في القديم بلدات ضواح من بابل كما أن أكد كما يذهب إلى ذلك العديد من المؤرخين والآثاريين هيّ بابل نفسها ، لذلك تصلح كل من كيش أو أكد لأن يحتلا موقع بابل على الخارطة أو أن تنسب الخارطة إليهما .

لكن المشكلة التي نواجهها ، إذا ما أخذنا بوجهة النظر هذه والتي ترتأي بأن هذه الخارطة ما هيّ إلا تصويراً لحملة كيشية أو أكدية هو وجود مدينة آشور ، حيث أن من المعلوم لدينا بأن كيكيا قد بنى سور آشور أي حولها من مستوطن ريفي إلى مدينة بحدود ٢٠٠٠ ق.م ، والحل المنطقي الوحيد الذي يرتأيه العلماء هو أن أسم آشور قد أضيف من قبل النساخ في القرن السابع ق.م مثلما بدلوا أسم أكد -Agade- إلى بابل .

وحتى نتوصل إلى رأي قاطع بهذا الصدد فإننا نعتبر النسخة التي في حوزتنا الآن والموجودة في المتحف البريطاني ترجع تاريخياً إلى عهد الكلدان الذهبي ، حيث كانت فيه آشور ما تزال بمثابة العقدة في طريق المنشار البابلي .



أول خارطة لأقطار العالم القديم من العهد البابلي الحديث

الرابع عشر من تموز ٢١٢٠ ق.م
أول حرب تحرير تموزية في التاريخ

في أحدى تعليقاته الممتعة التي ظلت عالقة في ذهني قال أستاذنا الفاضل طه باقر : كانت ثورة أوتو خيكال -Utu khegal- أول ثورة تموزية عراقية على إحتلال أجنبي ، المثير للدهشة أنها صادفت يوم الرابع عشر من تموز الذي نحتفل فيه اليوم بثورة الشعب العراقي وولادة الجمهورية العراقية (الأولى) ، وذلك بعد ما يزيد على أربعة آلاف عام على ثورة أوتوخيكال ، وقد عاد ذلك الأستاذ الجليل إلى ذكر تلك الحادثة في كتابه الموسوعي (مقدمة في تاريخ الحضارات) وذلك في معرض تناوله لمؤسس سلالة أوروك الخامسة أوتوخيكال .
يعد الملك الشاب أوتو خيكال إينسي (حاكم) أوروك واحداً من أشهر الشخصيات التاريخية في العراق القديم ، لأنه تمكن أن يجمع قوى المدن السومرية الأكدية ويوحدها بالرغم من تنوعها العرقي واللغوي ، ثم يوجهها كمقاومة وطنية متآخية لمحاربة المحتلين الكوتيين -Gutians- بدو الجبال الذين هيمنوا على مقدرات البلاد لما يقرب من قرن ، نشروا خلاله الفوضى والجهل ، مثلما تفشت في عهدهم ظاهرة السلب وإنعدام الأمن وتردي الحالة الإقتصادية للبلاد .
وحري بالذكر ، أن الكوتيين الغزاة قد أنتشروا في بادئ الأمر في بعض المدن الحدودية

لوادي الرافدين ، وذلك منذ أواخر عهد الملك الأكدي شار كلي شري ٢٢١٧-٢١٩٣ ق.م -Shar kali sharri- ، لكن وجهتهم الرئيسة كانت عاصمة البلاد أكد -Agade- التي دخلوها في عهد آخر ملوكها شوترول ٢١٦٨-٢١٥٤ ق.م -Shu turul- ، بخاصة وأن مدينة أكد كانت في تصور الرافديين جميعاً مدينة مفعمة بالحيوية ومبانيها مليئة بالذهب والفضة والنحاس واللازورد ، وأن سكانها كما كان مشاعاً عنهم يشتهرون بالحكمة والمرح ، فنهبها الكوتيون وعاثوا فيها خراباً ، حتى كتبت في خرابها العديد من القصائد لعل أشهرها تلك التي تشرح سبب الخراب الذي لحق بأكد العاصمة ، مبررة ذلك الخراب الرهيب بكونه لعنة إلهية سببها عدم مراعاة آخر ملوك أكد لمكانة الإله إنليل الذي وعده ثمانية من الآلهة أن ينتقموا له من أكد ، فيسلطوا عليها الكوتيين ثعابين وعقارب الجبال وتكون لعنة على أكد فلا تقوم لها قائمة ، وتورد الأستاذة أوتس تفاصيلاً من تلك اللعنة على النحو التالي :

لتتناثر بساتينك (يا أكد) كالغبار ... ليعد آجرك إلى أعماق الأرض

ليتحول قصرك الذي شيد بقلب مفعم بالفرح إلى خراب

لينطلق الثعلب الذي يجوب التلال في الأماكن التي مورست فيها شعائرك وطقوسك

ليعجز كل أنسان عن المشي فيك بسبب الثعابين والعقارب ...

لكن الكوتين الذين أقتحموا العاصمة السياسية للبلاد لم يتمكنوا من إحتلال المدن الرئيسة الأخرى بإستثناء بعض مدن الضواحي المحيطة (ببابل أو أكد) وكذلك مدن شمال الرافدين التي تعرضت لنهب وإضطراب شديدين ، أما أور وأوروك ولجش فقد ظلت مدناً منيعة برغم إنتشار قطاع الطرق وإستفحال المجاعة بسبب خراب نظم الري ، عندئذ قرر الملك المحلي أوتوخيكال الذي كان قد أسس قبل سنتين سلالة أوروك الخامسة ، أن يتصدى لجيوش الكوتيين ويطردهم من البلاد ، وتوحي سير الأحداث بأن أوتوخيكال لم يفعل ذلك منفرداً وإنما بالتعاون مع مدن البلاد الأخرى ولاسيما أور ولجش ، ومن أجل أن يفعل ذلك كان لا بد له من أخذ مباركة الإله إنليل ، فتوجه نحو نيبور وصلى في معبد الإله إنليل لكي يمنحه القوة ، ثم عاد إلى معبد الإلهة إنانا / عشتار في أوروك وأبلغها بقرار الإله إنليل ، ثم طلب منها أن تكون عونه في النزال ، وفي طريقه إلى ساحة المعركة توقف عند معبد الإله أشكور / حدد ليكون سلاحه في المعركة ، وهكذا دخل المعركة بقلب من حديد ورجال أوروك من خلفه كأنهم رجل واحد ، فأنزلوا بجيش الكوتيين هزيمة قاسية ، وتمكن أوتوخيكال من أسر قائدي الجيش الكوتي لكن ملك الكوتيين تريقان -Tiriqan- فر كالطير من المعركة متوجهاً إلى مدينة دبروم -Dubrum- وهنالك ألقي القبض عليه من قبل أهل المدينة الذين قدموه وعائلته إلى الملك أوتوخيكال ، فأضطجع تريقان أمام أوتوخيكال الجالس على عرشه في كولاب (أوروك) ، عندئذ نهض أوتوخيكال ووطأ بقدمه رقبة تريقان ملك ثعابين الجبال معلناً زوال الحكم الأجنبي وعودة الملوكية إلى البلاد ، ثم أعلن نفسه ملكاً على بلاد سومر وأكد فكان أوتوخيكال أول ملك في تاريخ العراق القديم يعيد لهذا اللقب هيبته ، ويقرأ هذا اللقب بالسومرية -Lugal Ki-en-gi Ki Uri- وبالأكدية -shar mat Shumerim u Agadim- .

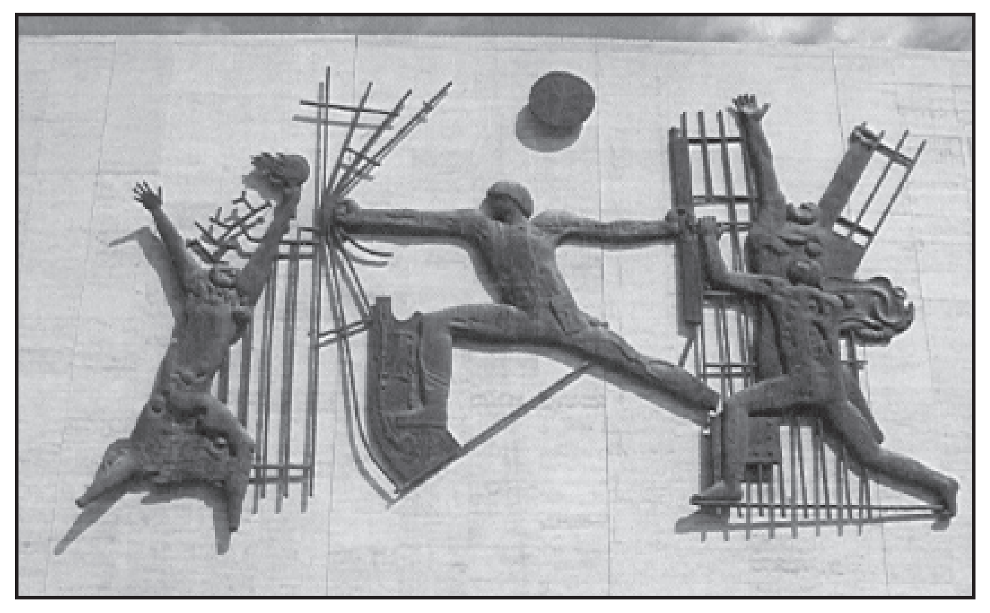
وقد ترجم نص مسلة أوتوخيكال المنقوشة على الحجر العالم الآثاري الأمريكي صامويل نوح كريمر -Samuel Noah Kramer- في كتابه الموسوم (السومريون) ، ويؤكد الأستاذ

باقر بأن نص الملك أوتوخيكال يعد من أجود ما وصلنا من نصوص أدبية تنتمي إلى عهد إنتعاش الأدب السومري الذي شهد نضوجه منذ عهد كوديا -Gudia- ، أستهل من هذا النص بعض فقرات مقدمته وخاتمته مع ترجمتها بتصرف إعتماداً على ترجمات كل من الأستاذ طه باقر والدكتور فاضل عبد الواحد والدكتور جورج روو وعلى النحو التالي :

فوض الإله إنليل ملك البلدان الرجل العظيم (الملك) أوتوخيكال
ملك أوروك ، ملك جهات العالم الأربع
الملك الذي لا يخالف أحد أمره
أن يحطم أسم الكوتي أفعى وعقرب الجبال
الذي رفع يده ضد الآلهة
الذي نقل ملوكية سومر للأجنبي
وملأ بلاد سومر بالعداوة
الذي أبعد الزوجة عن زوجها
والطفل عن أبيه
والذي نشر العداوة والفوضى في البلاد
(وبعد أن يسرد النص ترتيبات أوتوخيكال للمعركة يخلص النص إلى الخاتمة)
كان الكوتيون قد جمعوا جيوشهم هناك (إيلي تبّا ؟)
إلا أن أوتوخيكال الرجل العظيم
دحرهم وأسر قادتهم
عندئذ فر تريقان إلى مدينة دبروم
لكن أهالي المدينة ألقوا القبض عليه ووضعوا القيد في يديه
وسلموه مع عائلته إلى أوتوخيكال
ولما جيئ بتريقان ألقى بنفسه أمام عرش أوتوخيكال
فوضع أوتوخيكال قدمه على رقبة تريقان
وأعاد ملوكية سومر إلى يديه (الحكم الوطني)

ومن الجدير بالذكر أن أوتوخيكال الذي يعني أسمه (الإله أوتو / شمش مانح الخير أو الأنعام) قد حكم بلاد سومر وأكد بعد طرده للكوتيين وتحرير العراق القديم مدة سبع سنوات وستة أشهر و١٥ يوماً ، وذلك خلال السنوات ٢١٢٠-٢١١٤ ق.م بحسب الأستاذ باقر وجورج روو ، أما جوان أوتس فتؤرخ تاريخ حكم أوتوخيكال بالسنوات ٢١٢٣-٢١١٣ ق.م أي مذ كان أوتوخيكال حاكماً أو ملكاً محلياً على دولة المدينة (أوروك) وهو ذات التاريخ الذي يستخدمه نيكولاس بوستيغيت ، وقد أنتهى حكم هذا الملك الشجاع بالموت غرقاً أثناء تفقده عملية بناء أحد السدود على نهر الفرات ، وذلك بحسب نص من نصوص الفأل التي أشارت إلى موت أوتوخيكال أثناء إشرافه على بناء أحد السدود .
وهنالك إشارات تفيد بأن أورنمو مؤسس سلالة أور الثالثة الذي كان يشغل منصب حاكم لمدينة أور الخاضعة لسلالة أوروك الخامسة كان في الواقع أخاً لأوتوخيكال ، لكنه قرر أن ينفصل بمدينة أور عن سلالة أوروك الخامسة قبل وفاة أوتوخيكال ، وذلك أثر مشكلة حدثت

بين لجش وأور حكم فيها أوتوخيكال لصالح مدينة لجش .
ولكن برغم قصر فترة حكم الملك الشاب أوتوخيكال ، إلا أن ذكره كملك عظيم بقي في ذاكرة العراقيين القدماء لزمن طويل ، حتى أن نصوص الفأل التي كانت تعتمد قراءة الكبد أشارت بعد ذلك بزمن طويل إلى أنه في حالة رؤية العراف لستة علامات في الكبد فإن ذلك يعني إندحار الكوتي ، وقد أعتمد الرقم ستة لكون أوتوخيكال قد هزم جيش الكوتيين في اليوم السادس من توجهه للمعركة ، كما جاءنا نص آخر يقول : أنه في حالة حدوث خسوف للقمر في اليوم الرابع عشر من شهر تموز فإن هذا يعني قيام ثورة على الكوتيين وطردهم من البلاد في إشارة لثورة أوتوخيكال التي حدثت في يوم الرابع عشر من شهر تموز .



نحت جداري للفنان الكبير جواد سليم يصور الجندي العراقي مفجر ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

البيت البغدادي أم البيت البابلي ؟

لعل خير ما يمثل البيوت البغداية التقليدية هي بيوت عقد النصارى في بغداد التي بقيت محافظة على الأسس الرئيسة في فن معمار المنزل العراقي ، وإلى هذه الحقيقة يشير الأستاذ جورج كونتينو -George Conttenau- في كتابه الموسوم (الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور) حيث يقول : أن أفقر أحياء المدن الكبرى مثل مدينة بغداد ، كانت مشابهة بشكلٍ قريب جداً لمدينة من بلاد الرافدين في الألف الأول ق.م ، ويستطرد في مكان آخر قائلاً : أن المخطط الأرضي للبيت في الشرق ، لأسباب عديدة يكاد لم يتغير عبر التاريخ .
والحقيقة كان هنالك نوعان من التصاميمٍ الخاصة بالمنازل في الإقليم البابلي وهما التصميم الريفي الذي ما يزال حتى اليوم مستخدماً في العراق ويطلق عليه اليوم تسمية (بيت الطين) ، وهيّ بيوت تبنى جدرانها من الطين المجفف وتكسى سقوفها بتكسية منفذة بالحصران التي

تمد على أعمدة خشبية من سيقان شجرة التين أو الفوغ كما تفضل أحياناً جذوع النخيل بعد شقها إلى ثلاثة أقسام أو أكثر ، حيث تستعمل هذه السقوف كعوازل حرارية وأيضاً لمنع تسرب مياه المطر ، وعادة ما تطلى هذه السقوف بطبقة من الطين المخلوط بالتبن المخمر لعدة أيام ، إن عدم إستخدام التبن أو اليوه مع الطين يؤدي إلى سرعة تشقق البناء وسقوطه المبكر ، ومن أجل التهوية يتم عمل فتحات على شكل مثلثات وفق زخرفة لم تتغير منذ عصر أريدو ، ولعل أشهر نماذج الزخرفة بالمثلثات ما جاءنا من عهد سلالة أور الثالثة .

لكن ما يهمنا هنا ليس بيت الطين الريفي أو صرائف الأهوار الشهيرة المنفذة بالقصب والبردي التي جاءتنا نماذج مطابقة لها وبشكل دقيق على أختام إسطوانية تعود إلى عصر فجر السلالات ، وإنما ما يطلق عليه اليوم خطأ تسمية (البيت البغدادي) ، والذي يحلو للبعض تسميته بالبيت العربي الإسلامي ، بمعنى البيوت التي يرجعها البعض خطأ إلى العهد العباسي تحديداً ، وفي هذا تجن على التاريخ ومغالطة لا يمكن السكوت عنها .

عندما كنا صغاراً ، أي في عقد الخمسينات من القرن المنصرم ، كانت جميع البيوت البغدادية تتشابه إلى حد بعيد في مخططها العام مع إختلافات بسيطة في التفاصيل بين البيت الذي يحتوي على سرداب والبيت الذي لا يحتوي على سرداب ، والحقيقة فإن أهم وظيفة للسرداب علاوة على وظيفته الرئيسة كمخزن ، كانت لنوم القيلولة (منتصف النهار) أيام الصيف بعد أن ترش أرضيته بالماء وتفتح كواته المسماة بالبادكير لإدخال تيارات الهواء .

وقد كانت هنالك إختلافات بين البيوت الصغيرة التي تخلو من الحديقة الأمامية الصغيرة والحديقة الخلفية الكبيرة ، وبين نمط بيوت عقد النصارى التي تفتقد للحدائق ، ذلك أن هذه البيوت كانت تقام بشكل بيوت متلاصقة تطل على أزقة ضيقة لا تسمح إلا بمرور المشاة والدواب ، وكانت وظيفة تلك الأزقة الضيقة منع دخول الشمس لفترات طويلة مما يخفف من درجة الحرارة صيفاً ، كما تعمل هذه الأزقة الضيقة على الإحتفاظ بالطاقة الحرارية المتولدة في البيوت وعدم تصريفها بسرعة إلى الجو أيام الشتاء ، علاوة على حمايتها للمنازل من لسعات الرياح الباردة شتاءً ، وعادة ما يكون الطابق الأرضي في هذا النمط من المنازل دون نوافذ تطل على الزقاق ، فيما يحتوي الطابق العلوي على ما يطلق عليه تسمية الشنشولة وجمعها شناشيل وهيّ بروز (أشبه بالبالكونات المسورة والمسقفة) يطل على الزقاق ويحتوي على نوافذ واسعة ، مغلفة بشبابك خشبية تحتوي على كوات صغيرة عديدة .

في كتابه الموسوم (صور بغدادية) يشرح لنا الكاتب كمال لطيف سالم طبيعة البيت البابلي الذي نجد أفضل نماذجه في البيت الذي أكتشفه اسير ليونارد وولي في أور / الحقبة البابلية والذي يقدمه السيد سالم خطأ كنموذج للبيت العربي البغدادي ، علماً أنه قد أشار أثناء تناوله لذلك البيت على بعض التفاصيل التكميلية التي ترسخت خلال القرنين الماضيين ، إلا أنه نسي أن يذكر مكونات رئيسة في البيت التقليدي البغدادي / البابلي ، لذلك أرتأيت أن أعيد كتابة ملخص لأهم مواصفات هذا البيت على نحو أدق معتمداً في ذات الوقت على المعلومات القيمة للسيد كمال لطيف سالم على النحو التالي :

(يتألف البيت البغدادي / البابلي من باب خشبي كبير بمطرقة (طلاكة) رئيسية للطرق على الباب ، ويؤدي الباب إلى ما يعرف بالمجاز الذي يحتوي على دكتين في الجدار ينام فيها رب المنزل وولده الكبير (غالباً للحراسة) ، ومن المجاز يمكن الدخول إلى حوش الدار الذي

يحتوي على زاوية تسمى الحبانة التي تحتوي على حب كبير للماء يغطى بغطاء خشبي ويوضع تحته جرة فخارية تسمى (بواكة) التي تجمع (مي الناكوط) الذي يترشح من الحب ، وفي مواجهة نهاية المجاز يقع المطبخ الذي يحتوي على (الكرر) وهو مخزن المؤونة وإلى جواره الحمام الذي تسخن أرضيته بالفحم وفي الزاوية تقع غرفة المرحاض ، وعلى الجهة اليمنى القريبة من المطبخ يقع ديوان العائلة الرئيس أو غرفة المعيشة وتسمى بالتكمة أو الدلكة .

وهنالك عادة غرفة أو غرفتان للنوم وفي الفترات الحديثة صارت تفتح بشبابيك خشبية مزخرفة على الشارع وتسمى (الأرسي) ، أما الطابق الثاني الذي يرتقى له بواسطة سلم مغطى بالطابوق المتعارف عليه بالفرشي ، فكان يحتوي عادة على مجموعة من الغرف التي تتراوح بين ثلاث وخمس غرف تطل على طارمات محاطة بمحجرات خشبية تطل على حوش (صحن) الدار ، وهنالك سلم آخر يرتقى بواسطته إلى سطح الدار حيث يغلف السطح بالطابوق الفرشي الذي يرش بالماء صيفاً وذلك لغرض نوم أهل الدار على السطح الذي يزود بالتنك ومفردها تنكة -Tunga- وهي جرار فخارية لشرب الماء ، كما يحتوي السطح على مساحة مسقفة تسمى البيتونة توضع فيها الحاجيات والأفرشة في فصل الصيف أثناء النهار لحمايتها من أشعة الشمس الحارقة .

أثناء تنقيبات السير ليونارد وولي -Sir Leonard Woolley- في مدينة أور في السنوات ١٩٢٢-١٩٣٤ م أكتشف في المنطقة السكنية نموذجاً لهذا البيت البغدادي الذي كان سائداً عهذذاك في الإقليم البابلي ، وقد تمكن وولي من إعادة تنفيذ البيت مع كافة تفاصيله المعمارية علاوة على وسيلة تصريف المياه (المرازيب) التي كان يصب بعضها في الشارع ويصب البعض الآخر في بالوعة الدار ، حيث تم تخطيط هذا المنزل بالكامل إستناداً إلى بقاياه وجدرانه المكتشفة .

وقد قام الأستاذ صامويل نوح كريمر بنشره أيضاً في كتابه الشهير (السومريون) ، كما نشره الباحث شريف يوسف في كتابه الموسوعي الموسوم (تاريخ فن العمارة العراقية) كما توالى نشر هذا النموذج البابلي في العديد من الكتب والبحوث الأكاديمية التي تتناول وادي الرافدين .

ويعود هذا المنزل إلى الألف الثالث ق.م أي قبل دخول جيوش الحجازيين العرب إلى العراق ، بل قبل أن يتواجد (العرب) في العراق بما يزيد على ثلاثة آلاف عام !

والمنزل كما يبدو من المخطط المرفق بالموضوع يتألف من طابقين بذات المواصفات التي أوجزتها عن البيت البغدادي ، الذي يتصوره المعماريون العراقيون وبعض الباحثين العرب طرازاً معمارياً عربياً إسلامياً ، مع أنه في الواقع وكما ثبت بالدليل العلمي ، طراز عراقي رافدي قديم أشتهر به الإقليم البابلي منذ عصر ميسالم ٢٥٥٠ ق.م ، بل ربما يعود مخططه إلى عهود أقدم .



بلد أولى المبتكرات

أمثلة عن أهم المنجزات

تناولت في الفصول السابقة من هذا البحث العديد من المعالم الحضارية الرئيسة للعراق القديم ، كما ألمحت بشكل سريع إلى عدد من أهم المنجزات التي عملت على ترسيخ المدنية وتأسيس بؤرة إشعاع حضارية بالغة التأثير ليس على الشرق القديم وحده حسب ، وإنما شمل تأثيرها جهات المعمورة الأربعة جميعها ، وكان من بين ما ألمحت إليه هو نظام السقاية الذي يعتمد الرفع الهيدروليكي للمياه ، الذي كان واحداً من مجموعة أنظمة السقي العملية التي أبتكرت في العراق القديم وما زال بعضها مستخدم حتى يومنا هذا بذات المواصفات التي لم تتغير خلال أكثر من خمسة آلاف عام ، ومنها أسلوب السقاية المعروف بأسم الداليّة -Dalia- المستخدم في البصرة وأطرافها والتي وجدت نماذجها في الأختام الإسطوانية لعصر فجر السلالات ، وكذلك نظام الكرد أو البكرة -Kard or Bakra- وأخيراً نظام السقاية بواسطة الناعور -Water weel or Na'aur- الذي يعمل بقوة تيار المياه وهو ذات نظام المولدات الكهربائية التي تعمل بواسطة تيارات المياه ، وهنالك رافعة الأثقال التي تعتمد نظام الحبل والبكرة ، حيث كانت تلك الرافعة تثبت على ثلاثة أعمدة خشبية متينة بشكل هرم ، تعلق البكرة في قمته ، ثم يتم رفع الحمل الثقيل بواسطة حبل طويل حيث يتم تعويض القوة بطول الحبل ، وتعتبر هذه القاعدة من قواعد الفيزياء الميكانيكية ، وأذكر جيداً بأن العراقيين كانوا حتى منتصف عقد الستينات من القرن الماضي يستخدمون هذا النوع من الرافعات العملية والزهيدة الثمن .

والحق فإن هنالك عشرات من الأمثلة على تلك الإختراعات ولاسيما في مجال الصناعات الحربية التي لن أتناولها في بحثي هذا ، لكنني تعميماً للفائدة سأتناول بشكل موجز أبرز الإنجازات الرافدية القديمة التي دعت مؤسسة تعليمية شهيرة كمؤسسة فرانك شيفر -Frank-Schaffer- لأن تطلق على العراق تسمية بلد أولى الأشياء -The Land of Firsts- ، وما دفعني لذلك هو عدم معرفة البعض بعراقية هذه المنجزات التي يعتبرها الكثيرون خطأ منجزات إغريقية أو مصرية في أحسن الأحوال ، كما يجهل العديد من غير المختصين هذه المعلومات أصلاً .

البطارية الكهربائية البابلية

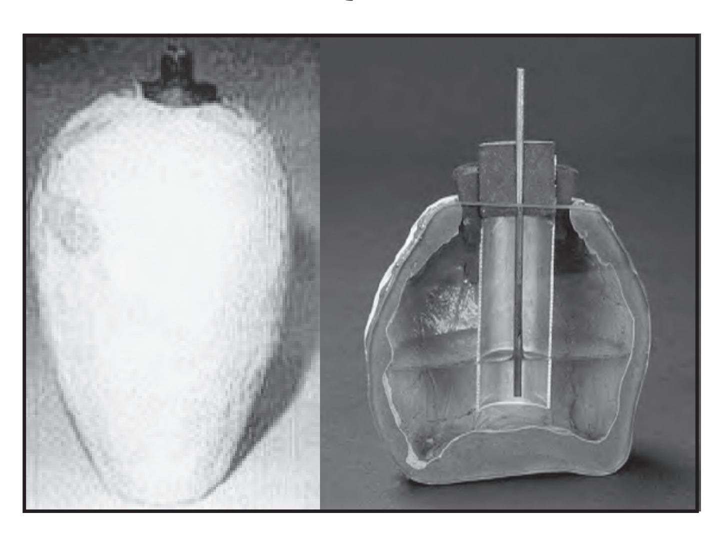
ينسب إختراع البطارية الكهربائية إلى العالم إليساندرو فولتا -Alessandro Volta, ١٧٩٩- الذي أبتكر نموذجه للبطارية ذات التيار المستمر عام ١٧٩٩م ، ولكن في عام ١٩٣٨م وأثناء عمل الآثاري النمساوي الدكتور وليام كونك -Dr. Wilhelm Konig- في المتحف العراقي ، عثر صدفة في سرداب المتحف على إناء سيراميكي بابلي أصفر اللون بإرتفاع ستة إنجات يحتوي على الأجزاء التقليدية للبطارية تعود إلى عهد مثلث أساطين

العلماء الكلدان (كيدينو ونبورماني وسودينو) بين القرنين الرابع والثالث ق.م مع أن بعض الآثاريين يرجحون أن يكون زمن تصنيع هذه البطارية بالذات إبان العهد الإمبراطوري الكلداني أي في حدود القرن السادس ق.م .

عندما أختبر كونك نظريته حول البطارية البابلية ، تمكن من الحصول على فولتية تعادل ما قيمته ٢ فولت ، فأطلق على ذلك الإناء تسمية البطارية البابلية ، ومما عزز نظريته تلك إكتشافه في ذات السرداب على أدوات مطلية بالفضة تتطلب عملياً طلاؤها بالكهرباء ، وهكذا أثبت الدكتور كونك بأن أسلافنا الكلدان كانوا أول من أبتكر البطارية الكهربائية ، التي صارت تعرف بأسم بطارية بغداد البابلية بالقرب من الموقع الشهير المعروف بأسم تل حرمل -Tell Harmal- أو بالأسم القديم شادوبوم -ša du pu um, ki- .

وقد دلت المكتشفات اللاحقة لكسرات غير متكاملة من هذه البطارية بأن أصلها يعود إلى زمن أقدم ، أي إلى ما قبل ٢٥٠٠ ق.م وتحديداً إلى عهد ميشالم الكلدي حيث أكتشفت كسرات أخرى تحتوي على غلاف داخلي من مادة العتق -Patina- ثم شريحة عازلة مع مواد محفزة كهربائياً.

تستعمل البطارية البابلية نظام التيار الكهربائي المستمر -DC- وهو ذات النظام المعمول به في البطاريات الكهربائية الحديثة ، أما الغاية من إبتكارها فليس للإضاءة كما يعتقد البعض خطأ ، ولكن لإنجاز عمليات الطلاء الكهربائي ، وهيّ عمليات ما تزال مستخدمة من قبل الصاغة حتى يومنا هذا ، وخير مثال على ذلك طلاء المصوغات النحاسية والملاعق وغيرها من الأدوات الزهيدة الثمن بطبقة من الذهب للحفاظ عليها من عوامل الطبيعة وإعطائها قيمة جمالية ومادية أعلى ، وبديهي أن هذا الإبتكار لا بد وأن يكون قد عرف في فترات أقدم من عهد ميسالم ٢٥٥٠ ق.م ، لكن المنقبين لم يعثروا لحد الآن إلا على بطاريات كاملة تعود إلى فترة لقى بغداد / بعل أدد وشبيهتها بطارية -Khujut Rubu'a- وهو موقع آخر في بغداد يعود إلى فترة كلدان العهد السلوقي في السنوات ٢٦٦-٢٤٨ ق.م ، لكن الجدير بالذكر هنا ، هو أن العلماء لم يكتشفوا مثل هذا الإختراع الذي لم يعرف العالم القديم مثيلاً له إلا في وادي الرافدين حسب ، مما يكشف بكل يسر ووضوح عن عبقرية أسلافنا البابليين الكلدان .



مزولة قطب المغناطيس الكلدانية

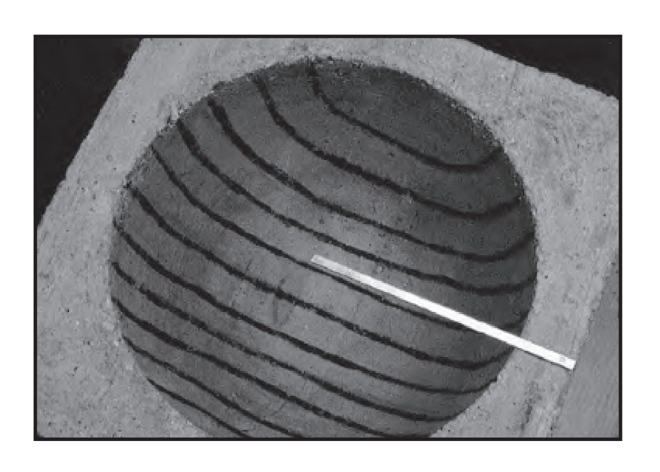
ينسب الإغريق إختراع المزولة الفلكية المسماة قطب المغناطيس إلى مؤلف مجلدات البابليات -Babyloniaca- أو الكلدانيات -Chaldaica- المؤرخ الكلداني وكاهن معبد الإله مردوخ المعروف بأسم برحوشا حيث كرس مؤلفه المكتوب بالإغريقية للإمبراطور أنتيوخس سوتيروس ٢٨١-٢٦١ ق.م -Antiochus I- ، لكن الحقيقة أن برحوشا أو بر عوشا الذي يلفظه الأغريق بصورة بيروسس -Berossus- لم يخترع المزولة المغناطيسية وإنما قام بالترويج لها إبان تدريسه في جزيرة كوس -Cos- أحدى الجزر المهمة في بلاد الإغريق .

أن مزولة قطب المغناطيس وهيّ نمط معقد من الأجهزة الفلكية التي تجمع بين الساعة والبوصلة تفرد بها علماء الكلدان والتي قد يعود زمن إختراعها إلى فترة مثلث أساطين المعرفة الكلدان ، وهم علماء الرياضيات والفلك كيدينو ونبورماني وسودينو الذين تنسب لهم العديد من المنجزات العلمية الراقية .

وما يهمنا هنا هو أن الإنسان القديم قد تمكن من إبتكار المزولة الشمسية والمائية في كل من وادي الرافدين والصين ومصر القديمة ، لكن علماء وادي الرافدين على عهد البابليين الكلدان تفردوا وحدهم بإنجاز إبتكار معقد ودقيق وسهل الإستعمال في آن واحد ، وذلك لقياس الوقت ومراقبة متغيرات الأجرام السماوية .

تتألف الساعة المغناطيسية أو المزولة الكلدانية من نصف كرة مقعرة ومحززة وفي داخلها كرة معدنية معلقة وفي أحيان أخرى يستخدم دبوس معدني معلق ، مما يسمح لمستخدمها ليس بالتمكن من قياس الوقت حسب ، وإنما معرفة إنقلاب الفصول أيضاً .

والحقيقة فإن ساعة قطب المغناطيس تكشف عن عبقرية فريدة ، وعن معرفة عميقة ومذهلة بعلاقة الشمس بالأرض والقمر ، كما أن التقعر المقصود في تصميم أرضية المزولة تكشف عن محاولة العلماء الكلدان لتمثيل شكل القبة الظاهري للسماء . وبسبب من إعتماد الفلكيين الكلدان لهذا الشكل الذي يشبه (الطاسة النحاسية) الشائعة الإستعمال في العراق ، فقد أطلق العلماء الإغريق على هذا النوع من المزاول تسمية (الساعة القارب) .



العجلة ودولاب الخزف من كيش

تعتبر العجلة وشبيهها في الآلية دولاب الخزف مع الإختلاف في الوظيفة من أهم المنجزات الأساسية الرافدية التي حققتها العقلية العلمية العراقية القديمة ، فقد عملت العجلة على تطوير وسائل النقل وزيادة الأحمال وتوسيع جغرافية التجارة البرية وتحسين الإقتصاد لدويلات المدن بشكل خاص والقطر العراقي القديم بشكل عام ، هذا من الناحية المدنية ، أما على الصعيد الحربي فقد مكنت العجلة الجيوش الرافدية القديمة من تحقيق التفوق العسكري عبر إنتاج أسلحة متطورة على الصعيد التكنولوجي قياساً بالأسلحة التقليدية المستخدمة في ذلك العصر الموغل في القدم ، فقد مكنت العجلة المهندسون الحربيون من بناء عربات القتال الخفيفة السريعة ، وعربات الإقتحام المدرعة وعربات دك البوابات المصفحة ، علاوة على عربات نقل الجنود والأرزاق ، مما ساعد على تفوق الآلة الحربية لوادي الرافدين ومكن جيوش الرافدين من فرض سيطرتهم العسكرية على الشرق القديم برمته .

في المقابل أدى إبتكار دولاب الخزف إلى تطوير الخزف اليدوي وتوسيع أثره في البيئة المحلية والإقتصاد المحلي ، ذلك أن دولاب الخزف قد عمل على توسيع الإنتاج بكميات كبيرة ، وهو ما أدى بدوره إلى تخفيض قيمة المنتجات الفخارية وتوفرها بكميات كبيرة وأسعار زهيدة ، لاسيما وأن المواد الأولية للخزف لا تتعدى مادة الطين المجانية المتوفرة في كل وقت ومكان ، وهكذا تمكن الخزاف العراقي القديم من توفير أوانيه المختلفة الأشكال والحجوم والإستخدامات إبتداء بالطاسات والتنك والجرار (تلما) والأزيرة (قوختاثا) والحبانات ، علاوة على أنابيب تصريف المياه الثقيلة وجرار الدفن وفخار المرافق الصحية ومختلف الأدوات والحاجيات المنزلية المتنوعة .

وقد بينت الآثار المكتشفة التي تعود إلى سلالة أور الأولى التي أسسها مزيج من الكلدان الأوائل والسومريين الوافدين من شمال الرافدين ، بأن مؤسس السلالة ميس آني بدا (بحدود ٢٤٧٥ ق.م) وأبنه آني بدا قد قدما تذكارات للإلهة ننخرساك أحتوت على أوان فخارية مزينة بنقوش هندسية وأشكال نباتية وحيوانية ، وقد وجدت هذه الأواني في المعبد الضخم الواقع في منطقة تل العبيد المجاور لمدينة أور ، ويعود تاريخ تلك الأواني العالية الصنعة والمنفذة بدولاب الخزف إلى عهد الملك ميس آني بدا ، غير أن تلك الصناعة الراقية كشفت عن عراقة فخار سلالة أور الأولى وبأن هذا الفخار المنفذ بواسطة دولاب الخزف هو مرحلة متوسطة لمرحلة أقدم .

وقد دلتنا المكتشفات الآثارية اللاحقة بأن أقدم دولاب معروف للخزف قد أكتشف في البلدة البابلية الشهيرة المعروفة بأسم كيش والتي ينحدر أهلها عن الكلدان الأوائل ، ويعود تاريخ إبتكار الدولاب بحسب اللقى الآثارية إلى الإقليم البابلي ، ويعود تاريخ هذا الدولاب للفترة ما بين أوخر الألف الرابع ق.م أو مطلع الألف الثالث ق.م وبين عصر ميسالم ٢٥٥٠ ق.م ، كما أن أقدم عجلة رافدية قد عثر عليها في الإقليم البابلي أيضاً ، وتحديداً في منطقة تل أجرب شرقي بغداد ويعود زمنها إلى عهد فجر السلالات بحدود ٢٩٠٠ ق.م ، وقد أشار ديورانت في الصفحة ٥٢ / الجزء الثاني من كتابه الموسوم قصة الحضارة إلى عبقرية أسلافنا الرافديين المنحدرين عن الكلدان الأوائل وأسبقيتهم في تحقيق هذين المنجزين الحضاريين

الكبيرين .
ولمعرفة أهمية هذين المنجزين في عصرهما القديم قياساً بمنجزات شعوب المنطقة آنذك ، أشير بأن المصريينِ القدماء برغم تقدمهم الحضاري لم يعرفوا دولاب الخزف ، بل أنهم لم يعرفوا العجلة أصلاً إلا في عهد الملوك الغزاة المعروفين بأسم الهكسوس ١٦٥٥-١٥٧٠ ق.م -Hyksos- ، والهكسوس كلمة مصرية مركبة تعني الملوك الرعاة (البدو) الذين غزوا مصر قادمين من بادية العراق والشام (إقليم بارابوتاميا) ناقلين منجزات الحضارة العراقية القديمة إلى مصر ، وكان من جملة ما أدخلوه إلى مصر من منجزات رافدية (العجلة والعربات الحربية والخيول والقوس نشاب والقوس المركب وسيف الحديد المقوس) وغيرها من منجزات لم يعرفها المصريون القدماء من قبل ، ويمكن بإستقراء بسيط ملاحظة الفارق الزمني الشاسع بين معرفة المصريين المتأخرة للعجلة ودولاب الخزف وبين تاريخ إبتكارهما في وادي الرافدين الذي يقرب من ألفي عام !

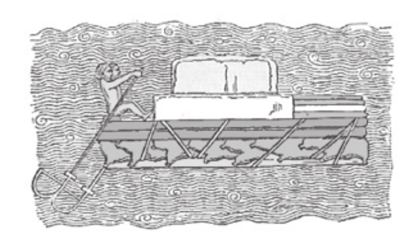


الحاسبة الرقمية

في موضوع الرياضيات والحساب وعلم العدد أشرت إلى أن الرياضيين البابليين تمكنوا من إبتكار طاولة أو لوح خشبي يحتوي على مسارات محفورة طولياً ، يمثل كل مسار منها مرتبة عددية (آحاد - عشرات - مئات - ألوف ... ألخ) ويقسم كلٍ مسار إلى عدد محدد من الخانات توضع فيها خرز أو حصى تمثل كل واحدة منها رقماً يتغير بحسب موقعه من المسار ودرجاته ، ويمثل هذا اللوح الحسابي أو الأداة العملية أقدم إبتكار معروف لحاسوب رقمي -Computer- ، يعد دونما شك أساس علم الحاسبات الرقمية التي بوشر فيها منذ عام ١٨٧٤م بعد نجاح المهندس السويدي ويلكوت أودنير -Willgodt T. Odhner- من تصميم أول حاسبة أعتمدت مبادئ (العجلة والمسمار) التي هيّ الأخرى بدورها من المبتكرات الرافدية ، ذلك أن حاسبة أودنير التي صممها في مدينة بيتربورج -Peterburg- الروسية ثم تم تصنيعها في السويد بعد الحرب الكونية الأولى بطريقة الإنتاج الموسع ، إنما تعتمد ذات الأسلوب الذي أبتكره الرياضيون الرافديون القدماء ، أي مبدأ الخانات الرقمية ، ولكن

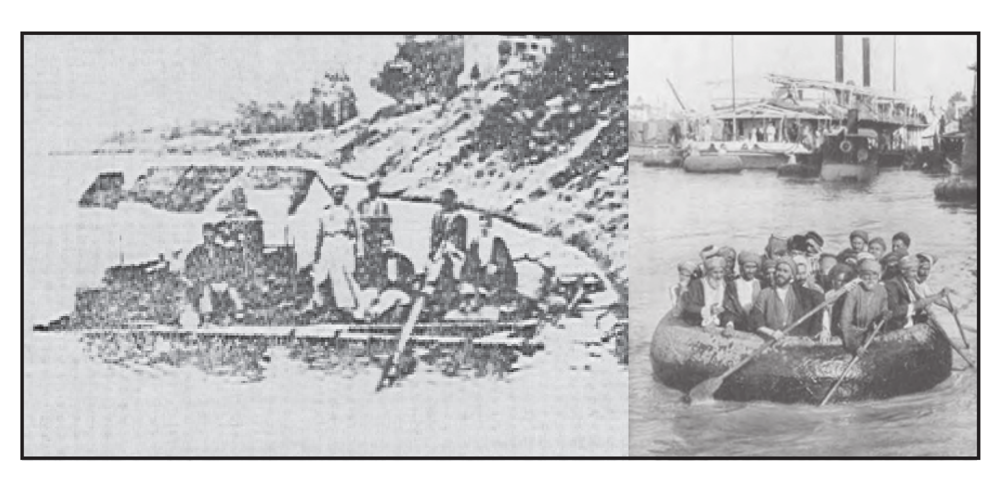
حاسبة المهندس أودنير أستعاضت عن الطاقة البدنية البشرية بالطاقة الميكانيكية ثم الطاقة الكهربائية في تصاميمها اللاحقة وذلك لإنجاز العمليات الحسابية .
ومن الجدير بالذكر أن الأمريكي فرانك بولدوين -Frank Baldwin- كان قد أنجز تصميماً يعتمد مبدأ المسمار والعجلة قبل تصميم المهندس أودنير بسنتين ولكن تصميمه لم يحظى بالنجاح ، أن التمرن المتواصل للرياضي الرافدي القديم على تلك الأدوات الحاسبة عمل دائماً على منح المتدرب سرعة فائقة في حساب أعقد العمليات الحسابية ومكنه من التعامل بسهولة مع أكبر الأرقام .

القفة والكلك وقرب الغوص والسباحة



تعطينا الصور الفوتوغرافية من القرن الماضي والمتوفرة في إرشيفنا ، وكذلك الرسوم النقوش الحجرية من العهد البابلي الحديث وفترة الأسرة السرجونية وكذلك من العهد البابلي القديم الأقدم عهداً فكرة عن القفة -Guffa- والكلك -Kellck- الذي يسمى بالبابلية كلكو -Kalku- ، وهما من أشهر وسائل النقل النهري التي توقف العراقيون عن إستعمالها سواء لنقل الناس من ضفة إلى أخرى أو لنقل حاصلات الحقول ولاسيما في موسم الرقي والبطيخ ، فيما لا يزال المشحوف -Mashẖuf- المستخدم في منطقة البطائح والأهوار العراقية منذ آلاف السنين محافظاً على تصاميمه ووظائفه التي أبتكر من أجلها .
وقد كانت القفة تنفذ على أحجام متعددة بحسب الوظيفة التي كانت تؤديها ، أما المواد التي تتألف منها فلا تتعدى الأخشاب والنباتات المجدولة والحلفا المطلية بالقار ، ويطلى داخل القفة بخليط من الرمل الناعم والقار لمنع تسرب الماء ، كما تحشى القفة من الداخل بالصوف ، أما الكلك البابلي الشهير فكان يصنع من الأجربة المنفوخة ، وكان جدي زيا -Zaya- لوالدتي جميلة -Jamila- ملاحاً يقود كلكه بعد أن يتبضع بالبضائع من قرية تلكيف -Telkepa- والبلدات القريبة منها ثم يقوم بتصنيع كلكه ، الذي كان يصنعه بواسطة ربط جذوع الأشجار واحدة مع الأخرى بحبال من القنب ، ثم يضع تحت هذه الجذوع المتراصة ما يقرب من ستين إلى سبعين قربة جلدية منفوخة بالهواء ، يبدأ بعدها بتحميل الكلك بالبضائع الثقيلة والمسافرين ، ليبدأ رحلته ميمماً مع أتجاه تيار نهر دجلة شطر بغداد أو البصرة ، وهنالك يقوم جدي بتفسيح الكلك وبيع جذوع الأشجار والمتاجرة بالمواد التي جلبها معه من الشمال ، ثم يقوم بالتبضع من البصرة وبغداد محملاً بضاعته مع القرب المفرغة من الهواء على الحمير ليعود بها إلى تلكيف والبلدات الأخرى للمتاجرة .
ومن الوسائل النهرية الأخرى الشائعة الإستخدام في العقود الأولى من القرن المنصرم

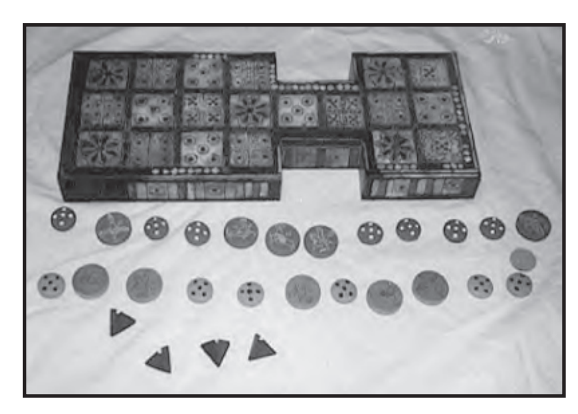
كانت قرب السباحة الجلدية ، حيث كان العامة من العراقيين يمرنون أطفالهم على السباحة إما بإستخدم كرب النخيل التي تتميز بقابليتها العالية للطفو على الماء أو بإستخدام قرب الجلد المعبأة بالهواء والتي كانوا يشدونها حول جانبي الطفل المتمرن على السباحة ليضمنوا بقاء رأس المتمرن فوق مستوى الماء وضمان عدم غرقه ، مثلما كان يستخدم هذا النوع من القرب سباحو المسافات الطويلة للإستراحة في الماء قبل معاودة السباحة من جديد أو لصيد السمك .
والحقيقة فإن هذه القرب الجلدية ليست إبتكاراً جديداً وإنما يعود إبتكارها وفق ما أستنتجناه من المدونات البابلية إلى ما يزيد على ثلاثة آلاف عام ق.م ، لكننا لم نحصل على ما يوثق هذه القرب والأكلاك والقفف الشائعة الإستعمال في المدن والبلدات القريبة من شاطئي دجلة والفرات بالرسوم التفصيلية إلا من منحوتات عهد السلالة السرجونية .
وبطبيعة الحال فإن غالبية إستخداماتها كما يلوح من المشاهد التي نفذت في عهد السلالة السرجونية لم تكن في المدن الشمالية وإنما أثناء مهاجمة معاقل الثوار الكلدان في الأهوار والمناطق النهرية ، مما يؤكد أن إستخداماتها في الغالب الأعم كانت إستخدامات وسط جنوبية المنشأ ، بمعنى من إبتكارات سكان الإقليم البابلي بدلالة الأختام الإسطوانية التي تعود إلى الحقبة السومرية ، لكن الجيش الآشوري تبناها ووثقها الفنانون المرافقون لهذه الجيوش لفعاليتها خلال المعارك وكعنصر مهم للمباغتة ، وبخاصة إذا ما تم إستخدام أكثر من قربة جلدية بمعنى واحدة للسباحة تحت الماء (الغوص) والأخرى للتنفس تحت الماء .



اللعبة الملكية من أور

أن لوح اللعب الأوري -Royal Game of Ur- الشهير الذي عثر عليه السير ليونارد وولي ١٨٨٠-١٩٦٠ م -Sir Leonard Woolley- الباحث والمنقب الآثاري الشهير مسؤول حملة التنقيب في أور الكلدان ١٩٢٠-١٩٣٠ م بمساعدة المنقب ماكس مالون -Max Mallowan- زوج الكاتبة الشهيرة أجاثا كريستي -Agatha Christie- ومساعدته في

التنقيب ، يعد اليوم واحداً من أندر المكتشفات الآثارية ليس على صعيد العراق القديم فحسب ، ولكن على المستوى العالمي ، لأنه أول لوح لعب في التاريخ من ناحية ، ولأن قاعدة لعبه هيّ الأساس للعديد من الألعاب القديمة التي أبتكرت فيما بعد ، ومنها الشطرنج والطاولي وغيرها من الألعاب المشابهة في المبادئ وطريقة اللعب .
ومن الجدير بالذكر أنه قد أكتشف لحد اليوم خمسة ألواح لعب يسميها البعض لوح العشرين مربع فيما أشتهر اللوح بأسم (لوح اللعب الملكي من أور) ، أكتشف أثنان من هذه الألواح في المقبرة الملكية ويعود تاريخهما إلى ٢٥٠٠ ق.م ، ثم أكتشف لوح مشابه في مصر يعود لفترة العام ١٠٠٠ ق.م أي بعد ١٥٠٠ عام على تاريخ إبتكاره وإستخدامه للعب في وادي الرافدين ، ويطلق على اللوح المصري أسم لوح العشرين مربع أو التاو -Tau- لتمييزه عن للوح الملكي الرافدي مع أنه مشابه للوح الأوري في التصميم وطريقة اللعب ، كما أكتشف مؤخراً في أحدى المقاطعات الهندية التي تقطنها جالية يهودية ذات اللوح الذي يعتقد أنه قد نقل إلى الهند بواسطة يهود بابل أو التجار الكلدان .
وبديهي أنه كان هنالك الكثير من النقاشات حول طريقة لعب هذا اللوح ، ولكن إيرفنج فنكل - Irving Finkel- أمين المتحف البريطاني أكتشف لوحاً بابلياً يعود تاريخه إلى عام ١٧٧ - ١٧٦ ق.م يشرح طريقة اللعب بشكل تفصيلي ، يتألف لوح اللعب ولواحقه من اللوح الرئيس المقسم إلى عشرين مربع ، ومعه أربعة عشر زر دائري سبعة منها سوداء اللون محفور عليها خمسة دوائر ، أما السبعة الأخرى والتي تعود للاعب الثاني فهيّ بيضاء مع خمسة دوائرة منقوشة أيضاً ، وهنالك أخيراً نوع من الزار (زهر اللعب) هرمي الشكل مرقم من واحد إلى أربعة .
وكانت اللعبة تتم بأستخدام الزار وتحريك الأزرار الدائرية وفقاً للرقم الذي يحصل عليه من ألقاء زار اللعب ، ويتجه كل لاعب بعكس حركة الآخر ولكن من نقطة إنطلاق واحدة ، للمزيد من المعلومات حول هذه اللعبة يرجى مراجعة بحث الأستاذ إيرفنج فنكل الموسوم -La tablette des régles du jeu royal d'Ur- وكذلك بحث الأستاذة كاثرين سوبيراند -Catherine Soubeyrand- الموسوم -The Royal Game of Ur- .



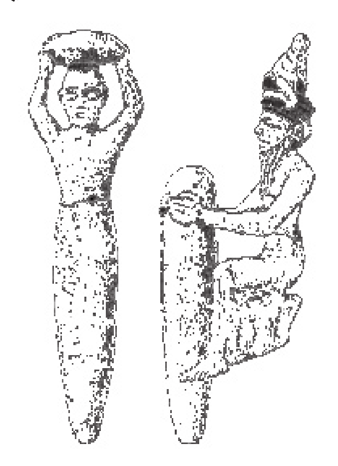
لقد بينت مكتشفت المقبرة الملكية في أور وشهرة اللعبة في وادي الرافدين عموماً والإقليم البابلي بوجه الخصوص ، بأن مصدر اللعبة وطريقة لعبها التي تعتمد الأسلوب الرقمي الذي

يعد سمة رئيسة لحضارة ما بين النهرين ، بأن أسلافنا القدماء هم دون جدال مبتكروا هذه اللعبة التي أنتشرت بعد إبتكارها في وادي الرافدين بعدة قرون إلى أنحاء الشرق القديم كله وكذلك في الهند التي تعد اليوم مصدر لعبة الشطرنج الذي ترجع أسسه إلى لعبة العشرين مربع الرافدية .
وبديهي أن إكتشاف هذه اللعبة في المقبرة الملكية لمدينة أور الكلدان بحدود العام ٢٥٠٠ ق.م أي فترةٍ إزدهار حضارة الكلدان الوسيطة (فترة ميسالم) لايعني أنها أبتكرت في ذلك التاريخ تحديداً ، وإنما يرجح أن يكون تاريخ إبتكارها أقدم ، حتى أنه قد يعود إلى فترة أريدو أو أوروك الأولى التي أسسها ورسخ لها الكلدان الأوائل .

ودائع أو تماثيل الأسس ننشوبور -Nin-Shubur-

يمارس العالم المتمدن اليوم عادة دفن ودائع تذكارية خاصة في أسس المباني والمشاريع قبل المباشرة في تنفيذها ، ولو سألت أي أنسان عن مصدر هذا التقليد لأجاب بعدم معرفته لمصدرها ، أما من لا يريد بأن يظهر بمظهر غير العارف فإنه سيجيبك على الفور بأنها عادة إغريقية وفي أحسن الأحوال فإنه ربما سينسبها للمصريين القدماء ، ذلك أن هذين الشعبين عرفا بمنجزاتهما الحضارية المهمة وقد لعبت العديد من العوامل الموضوعية التي لا مجال هنا للخوض فيها إلى إحتلال الإغريق والمصريين القدماء لواجهة المشهد التاريخي القديم مع أن الكثير من منجزاتهما كما بينت لنا التنقيبات المتأخرة إنما تعود إلى أصول رافدية .
والواقع أن هذا التقليد (دفن التذكارات في أسس المباني) مستمد بالأصل عن تقاليد رافدية موغلة في القدم بدأت مع عصر الكلدان الأوائل بناة أريدو في مرحلة جمدة نصر وأستمرت حتى نهاية الحكم الوطني الإمبراطوري في العراق القديم عام ٥٣٩ ق.م ، عندئذ قام المحتلون من إغريق وفرس وغيرهم من الشعوب بتبنيها ونقلها إلى جهات العالم الأربع .
أن أصل ودائع الأسس -Building Rites and Deposits- يعود إلى ما يتعارف عليه بين الأكاديميين بتماثيل الأسس الحارسة أو تماثيل الأسس إختصاراً -Apotropaic Figurine- وهيّ تماثيل صغيرة لحيوانات أو مخلوقات خارقة للطبيعة أو رموزها أو أسلحتها تدفن في أسس البنايات والمعابد وتحت عتبات الأبواب لطرد الأروح الشريرة ، وفي العهود اللاحقة صار يدفن تمثال الإله نن شوبور بشكل دمى صغيرة وكذلك على هيأة تماثيل أسفينية أو تقليدية صغيرة لملوك مؤلهين وهم يحملون سلة البناء ولاسيما في أسس المعابد .
وقد أطلق على هذا النوع من دفائن أو دائع الأسس تسمية بابسوكال -Papsukkal- التي أستخدمها لأول مرة عام ١٩١١م منقب بابل الشهير روبرت كولدفاي -Koldewey- حتى بطل إستعمال هذه التسمية وإستبدالها بأسم نن شوبور -Nin-Shubur- بالإستناد إلى نص مسماري بابلي نشره عام ١٩٧٣م العالم آر بوركر -R. Borger- ، وبرغم شيوع التسمية الجديدة إلا أن بعض الباحثين ما زالوا يستخدمون مصطلح الودائع المقدسة تيمنو -Temnnu- وهو إستخدام غير دقيق ، كما أن المصطلح نن شوبور ذاته محدد بالودائع التي

تحمل تماثيل الإله نن شوبور فيما تتنوع ودائع الأسس المكتشفة منذ عهد سلالة أور الأولى حتى نهاية العهد الكلدي الأخير بمحتوياتها ، ناهيكم عن أن هذا التقليد العريق الذي يرقى زمن إبتكاره كما ذكرت بالإستناد إلى الإشارات التي تحتويها الأساطير والملاحم المدونة عن أصول شفاهية إلى فترة جمدة نصر وأريدو .
وجدير بالذكر أن تلك الودائع قبل دفنها في زوايا المباني وعتبات الأبواب كانت تحفظ عادة في صناديق مكعبة من الفخار أو سلال من ورق النخيل المطلية بالقار وهيّ الطريقة التي أشتهرت في العهد الكلدي الأخير ، وبطبيعة الحال كانت هنالك طقوس تطهير ومراسيم دينية خاصة ومعقدة تمارس على مراحل لحماية المبنى وسكانه من الأرواح الشريرة والعفاريت المؤذية والأمراض الفتاكة .
وقد أشتهر الملك الكلدي نبونائيد بولعه في البحث عن ودائع الأسس هذه ، التي جعلت بعض المؤرخين يطلقون عليه تسمية الملك المنقب أو الملك الآثاري .



الخمر والبيرة

ذات يوم زارنا فتوحي -Fatuhi- جدي لأبي قادماً من بخديدا -Beth Khudeda- ، وما أن حل العصر حتى فرشت الجودليات (البسط المزوقة بالنقوش) في الحديقة ونصب شراب العرق (عصير التمر المخمر) ودارت الكؤوس مع أغان الفنان الكبير ناظم الغزالي -Nadhem Al-Ghazali- ، عندئذ سمعت والدي حنا -Hanna / John- يردد العبارة البغدادية الشعبية الشهيرة (مادام بالنخلة تمر ما نجوز من شرب الخمر) ، وقد تعجبت وقتذاك لأن التمر كان مقروناً بتفكيري الطفولي آنذاك بالدبس وأكلة المريس التي كانت عبارة عن قلاء الخبز أو قطع الصمون (الرغيف) المحمص في خليط من الدبس والدهن الحر (الدهن الحيواني) ، وعندما توجهت للنوم رحت أفكر بما كان يردده والدي حول عدم توقفه عن الخمر إلا عندما تتوقف شجرة النخيل عن إنتاج التمر ، ولأن ذلك مستحيل من الناحية العملية ، فقد أستنتجت بأن أبي كان يقصد بأنه لن يتوقف يوماً عن تناول الخمر ، والغريب أن والدي قد توفي في الثمانينات من عمره بعد أن حاول التوقف عن شرب العرق !
وبديهي ، أن الخمرة كانت وما تزال تشكل جزءاً لا يتجزأ من ممارسات الحياة عند العراقيين

منذ أقدم الأزمنة سواء كانت (العرق أو النبيذ أو البيرة) ، وتسمى البيرة باللغة السومرية -Kash- وباللغة الأكدية شيكارو -Shikaru- وتعني عصير الشعير (Shi) المخمر الذي كان يدعى أيضاً -Gak-kul- ، وقد كانت بيرة -Shikaru- هيّ المفضلة لدى عامة الرافديين القدماء بل أنها كانت الشراب الوطني للعراقيين القدماء حيث كانت النسوة تصنعها في البيوت والحانات ، لذلك كانت هنالك أنواع عديدة من البيرة بتسميات متنوعة وذلك حسب اللون والطعم ونسبة الكحول ، ومن الأمثال الشائعة عن البيرة عصرذاك : السفر متعب لكن البيرة منعشة .

وقد كان العراقيون القدماء أول من أنتج العرق -Alappanu- من التمر ومن العنب النبيذ الذي يقرأ في السومرية -Geshtin- والأكدية الكلدية -Karanu- ومنها أشتق العبرانيون كلمة -Kerem- والعرب كرمة .

وقد كانت البيرة المصنعة من الشعير كما يذهب إلى ذلك الأستاذ جان بوتيرو -Jean-Botter- في مؤلفه الموسوم (المطبخ في العالم القديم) إبتكاراً كلدانياً ، حيث يؤكد أسبقية الكلدان الأوائل (يسميهم بوتيرو الأكديون القدماء) في تصنيع البيرة ، مما يدعوني لأن أرجح بقاء الخمرة بكافة أشكالها كشراب مفضل ومميز للعراقيين مهما تبدلت الأزمنة وتغيرت الحكومات والعقليات الحاكمة ، ومما يؤكد ذلك أن العرق والبيرة والنبيذ بأنوعه كان سمة لازمة لجميع العراقيين ليس في العهود الوثنية القديمة أو في العهد المسيحي حسب ٣٠ - ٦٣٧ م وإنما في عهدي الخلفاء الأمويين والعباسيين أي بعد التوسعات الإسلامية وأحتلال العراق والشام أثر معركتي القادسية واليرموك .

ولعل من أقدم القطع الشعرية التي تمتدح البيرة والعرق والنبيذ هيّ تلك القصيدة التي تشيع فيها البهجة والحبور والتي نشرها الأستاذ بوتيرو في الصفحتين ٩٠-٩١ من المصدر السابق (المطبخ ...) .

وقد أشتهر الخلفاء العباسيون بلياليهم الباذخة التي تعزف فيها الموسيقى وتغني فيها القيان الحسان وترقص الراقصات الفاتنات ويدار بالخمرة على الندماء ، وفي جلسات السمر تلك تجري المناقشات ومسابقات الشعر والبلاغة ، وبرغم تحفظ بعض الخلفاء بسبب بعض الروادع الدينية ، إلا أنه لم يتم تحريم بيع الخمور إبان عهود الدولة الإسلامية ، بل أن تجارة الخمور قد أزدهرت وتعددت حانات الخمر الشهيرة في بغداد والنجف التي أشتهرت بجودة خمورها ، ولعل من أشهر أماكن بيع الخمور كان بظاهر الكوفة بالقرب من الأديرة الشهيرة هناك ، ولعل حائية أبو نؤاس خير ما قيل في خمرة تلك النواحي والتي يقول فيها :

يا دير حنة من ذوات الأكيراح   من يصح عنك فإني لست بالصاحي
يعتاده كل مجفو مفارقه   من الدهان عليه سحق أمساح
في فتية لم يدع منهم تخوفهم   وقوع ما حذروه غير أشباح
لا يدلفون إلى ماء بباطية   إلا إغترافاً من الغدران بالراح

وقد بقي الخمر بأنواعه متاحاً وبشكل علني خلال العهود اللاحقة ، وفي مطلع القرن العشرين كانت المنتديات الليلية والحانات العامة تملأ شوارع بغداد والموصل والبصرة وبقية المحافظات ، حتى أن مدناً تتسم بتحفظها الشديد كالنجف وكربلاء كانت تجيز لنواد الموظفين وبعض الأماكن العامة ببيع الخمور التي كانت تحتل المكان الرئيس في الجلسات

الليلية سواء في النوادي أم في سراديب النجف وغيرها من المدن المتحفظة .
وفي عقدي السبعينات والثمانينات من القرن المنصرم تجاوز عدد النوادي والحانات العامة أرقاماً خيالية ، حتى تم تحجيمها أثر الحملة الإيمانية التي أشترطتها العائلة المالكة في السعودية على حكام العراق ، والتي رسخ لها بعد سقوط نظام صدام المجموعات الإرهابية المتسربلة بلباس الفضيلة وذلك بتوجيه وتنسيق ودعم مباشر من قبل السلفيين الوافدين من السعودية وإيران .
إن أقدم إشارة وصلتنا عن الخمر جاءتنا من أساطير الرحلات وتحديداً من إسطورة نقل الملوكية من مدينة الكلدان الأوائل (أريدو) إلى مدينة أوروك ، وذلك أثناء زيارة إنانا / عشتار لوالدها أنكي / أيا وتناولهما للبيرة وتبرع أيا لعشتار بأمتيازات مدينة أريدو ، كما جاءتنا أيضاً على لسان الإلهة عشتار متشكية بعد نزولها للعالم السفلي وموتها وتساؤلها : هل قدر عليها أن تشربٍ منذ ذلك الحين (بدء تواجدها في العالم السفلي) من الماء العكر (الماء الملوث بالطين) بدلاً من البيرة اللذيذة التي كانت تشربها عندما كانت على قيد الحياة .
كما جاءتنا من ملحمة كلكامش -Gilgamesh- إشارات عديدة أولها عندما قدمت كاهنة الحب -Harimtu- شمخة -Shamkhat- لإنكيدو -Enkidu- شراب البيرة القوي قبل إستمالته لترك البرية والتوجه لملاقاة كلكامش ، كما تردنا ثانية عند زيارة كلكامش لحانة سيدوري -Siduri- بحثاً عن طريقة لعبور بحر العالم السفلي -River of the Netherworld- ، كما ترد إشارات عديدة للخمرة بأنواعها في الأساطير والملاحم الرافدية القديمة .
ومع أن النسخ التي وصلتنا قد كتبت في عهود لاحقة إلا أنها تتناول أحداثاً تنتمي تاريخياً إلى العهد البطولي (منتصف الألف الرابع ق.م) أو إلى عهود أقدم ، ولأهمية الخمرة في حياة العراقيين القدماء فإنهم خصصوا لها إلهة هيّ كشتن أنا -Geshtin-anna- ومعناها الكرمة السماوية أو النبيذ السماوي وهيّ أخت الإله تموز ، كما وصلتنا نقوش نحتية ورسوم عديدة توضح طرق تناول الخمرة وبخاصة في الإحتفالات كما في العمل الشهير المعروف بأسم لواء الحرب والسلام من أور وكذلك حجر أورنانشة حاكم لجش بحدود ٢٤٨٠ ق.م الذي يتألف من مشهدين يصور العلوي منهما الحاكم وهو يحمل على رأسه سلة الطابوق تمهيداً للبناء يرافقه كاهنة عليا وكهنة مطهرون ومعوذون لبقاء البناء وفي المشهد السفلي يبدو أور نانشة وهو يحتسي خمرة عصير التمر (العرق) في جو إحتفالي ، كما وصلتنا رقم طينية تحمل وصفات طبية يدخل النبيذ والعرق والبيرة ضمن تركيبها ، وتدلل ملحمة كلكامش وأسطورة الخلق السومرية البابلية وأساطير الرحلات وأسطورة نزول عشتار إلى العالم السفلي بأن العراقيون القدماء كانوا أول من أنتج الخمر بأنواعه وأول من تفنن في إستخداماته سواء الدينية أو الإحتفالية أو للمتعة العابرة حسب !
ويبدو أنه مهما حاول السلفيون أن يضعوا حداً لعملية تناول الخمرة من قبل العراقيين فإنهم واهمون وخاسرون مثلهم مثل دون كيخوته في محاربته لطواحين الهواء ، وكما قال والدي حنا (رحمه ألله) : ما دامت التمور تجنى من النخلة فإن العراقيين لن يتخلوا أبداً عن شرب الخمرة ، وبالعامية العراقية (ما دام بالنخلة تمر .. ما نجوز من شرب الخمر) .

العملة والمصارف

يعتقد الغربيون بأن فيدون -Pheidon- ملك آرجوس -Argos- الرئيس الأعلى للمدن الإغريقية السبعة من العصر الدوري القرنٍ الثامن - السابع ق.م أول من أختط أسلوب العملة في العالم القديم معتمداً في ذلك عدداً من العملات وهيّ الطالنت -Talent- الذي يقسم إلى ستين منا -Mina- ويقسم المنا إلى مائة دراخما -Drachma- وتقسم الدراخما أي الدرهم إلى ستة أوبول -Obol- ، و في حدود عام ١٨٧ ق.م بدأ الرومان بسك العملة المعروفة بالديناريوس -Denarius- وكسوره كويناريوس -Quinarius- والسيسترتيوس -Sestertius- ثم تفننت المدنيات الأخرى بعد ذلك في سك عملتها .

ولرب سائل يقول ، هل بدأت العملة حقاً بشكلها الحديث كما يعتقد البعض مع الدولتين الإغريقية والرومانية أم ترى قد سبقتها أشكال أخرى قديمة لم تحظ بشهرة العملات الإغريقية الرومانية القديمة لسبب أو لآخر ؟

وبالتالي ماذا يا ترى كان يستعمل القدماء في تصريف شؤون حياتهم الإقتصادية واليومية عندما لم تكن هنالك مثل هذه الوسيلة (العملة) ؟

الحقيقة التي يجهلها الكثيرون هو أن سك العملة سواء بشكلها المزوق القديم كالطالنت والمنا وهما عملتان أبتكرتا في الإقليم البابلي منذ عهد ميسالم ٢٥٥٠ ق.م ثم أقتبسهما الإغريق عن حضارة وادي الرافدين ، أو بشكلها الحديث المستخدم اليوم في كافة أرجاء المعمورة ، ليس إلا تطويراً للعملات التي كانت تستخدم في العراق القديم على نطاق واسع ، إذ تجاوز العراقيون القدماء مع فجر السلالات أسلوب المقايضة بالقمح والملح ، إلى أسلوب إعتماد المقايضة بالنحاس والفضة وسبائك البرونز بحسب أوزان ثابتة ، لكن العملات العراقية القديمة بحسب بعض الإفتراضات الغربية لم تكن مزوقة بالنقوش وهذا هو إختلافها الوحيد عن العملات اللاحقة ، علماً أننا لا نمتلك دليلاً مادياً على ذلك ، غير أن القوانين الرافدية القديمة التي كانت تحدد أشكال وأوزان العملات القديمة قد أشارات وبمنتهى الوضوح إلى أن تلك العملات القديمة كانت تحتوي في الأقل على كتابات أو نقوش تحدد قيمها .

وجدير بالذكر أن أورنمو وأبنه شولكي أوليا نظام العملة أهتماماً كبيراً ، كما إهتما بدقة الموازين التي يستخدمها الباعة والتجار ، وكان الشيقل -Shiqlu- البابلي الذي يستخدم حالياً في إسرائيل بأسم الشاقل -Shekall- هو العملة الرئيسة في وادي الرافدين حيث كان يسمى بالسومرية -Gin- ويعادل ١٨٠ حبة -She- ، وفي العهد البابلي القديم أي قبل أكثر من ألف عام على إبتكار عملة آرجوس ثبت حمورابي سعر الشيقل الحجري والفضي قياساً بالمن -Mina- ، وكانت هنالك متابعات وعقوبات صارمة لمن يتلاعب بأسعار صرف العملة ، مما يؤكد أن العملة هيّ إبتكار رافدي نشأ وتطور في الإقليم البابلي .

أما المصارف الأقدم تاريخاً من العملة نفسها فقد بدأت في أول عهدها بشكل بيوت قرض وبيع وشراء تابعة للمعبد وذلك منذ دور العبيد أو دور أريدو الأقدم عهداً ، حيث شهد دور أريدو تصاعد أمتيازات المعبد في الحياة المدنية ، وقد بقيت تلك المصارف محافظة على أهميتها حتى نهاية الحكم الإمبراطوري الوطني في العراق القديم عام ٥٣٩ ق.م .

لكن العهد البابلي الحديث شهد قفزات واسعة في آلية عمل بيوت المال هذه ، فإلى جانب

بيوتات مال المعبد التقليدية نشأت مصارف أهلية بآليات عمل ورؤية لا تختلف عن آلية عمل أو رؤية أي مصرف حديث ، وقد أشرت في موضوع (اليهود وبابل) بأنه قد أشتهرت في العصر البابلي الحديث عدد من الأسر اليهودية التي تمكنت من مزاحمة بنوك المعبد بل وتحجيم دورها في الحياة المدنية ، حيث تمكن هؤلاء المصرفيون النابغون من تطوير طريقة الإئتمان المصرفي -Credit- ، ولعل من أشهر تلك العوائل المصرفية عائلة بيث مراشو في نيبور ٤٦٠-٤٠٠ ق.م التي توسعت أعمالها فأفتتحت فرعاً آخر لها في مدينة أوروك ، كما أشتهرت عائلة مصرفية أخرى -Beth Eqibi- التي تمركز عملها المصرفي في العاصمة بابل ، وقد أسس مصرف عائلة إقبي في عهد نبوخذنصر الثاني ٦٠٤-٥٦٢ ق.م وأستمر بالعمل حتى عهد داريوس -دارا- الأول ٥٢١-٤٨٦ ق.م ، ولم تكتف هذه الأسر المصرفية بالتعامل بأسلوب الأرباح والقروض وإنما تحولت إلى بيوت مالية ضخمة تعنى بإستثمار الأرباح -Mutual Funds- وبالصفقات السريعة والجيدة .

الأوقات

لم يترك لنا الكلدان الأوائل (بناة أريدو) جداول مكتوبة تخص الأوقات ، لكن أحفادهم الذين تسموا بالأكديين نسبة إلى عاصمة ملكهم أكد ومن جاء بعدهم من البابليين القدماء والبابليين الجدد فعلوا ذلك ، ويمكننا بمقارنة بسيطة بين مصطلحات الوقت في العراق القديم وبين أستخدامنا الحالي أن نكشف وببساطة متناهية بأن كلدان اليوم هم ذاتهم كلدان الأمس وبأن هذا الشبل من ذلك الأسد ، عموماً ، قسم العراقيون القدماء السنة إلى ١٢ شهراً ، والشهر إلى أسابيع ، والأسبوع إلى سبعة أيام ، واليوم إلى ١٢ ساعة مضاعفة بمعنى ٢٤ ساعة من ساعاتنا الحالية ، كما قسموا الساعة إلى ٣٠ دقيقة مضاعفة بمعنى ٦٠ دقيقة بتوقيتنا الحالي كما قسموا الساعة إلى ٣٦٠ درجة وهو ما نستخدمه اليوم تماماً ، وقد أستخدم أسلافنا القدماء مربع الثانية أي الثانية مضروبة في أثنين ، ولأن دقيقة البابليين والسومريين كانت مضاعفة فأن ثانية أسلافنا القدماء كانت تعادل ثانيتين من توقيتنا الحالي .

وكان السومريون يطلقون على السنة أسم مو -Mu- وبلغة الكلدان الأوائل شاتو -Shattu- ونسميها بالكلدانية الحديثة شاتا -Shatta- وتكتب وفق الألف باء الكلداني شنتا ولكن النون مبطلة أي صامتة . ويطلق على الشهر بالسومرية إتو -Itu- وبلغة الكلدان الأوائل ورخو -Warkhu- ونسميه نحن حالياً يرخا -Yarkha- ، ويسمى الأسبوع بأسم اليوم السابع والذي يمكن ترجمته باليوم المؤذي -the evil day- ويلفظ بالسومرية -ud-khul-gal- وبالأكدية -Umu limnu- وأيضاً -Shabattum- أما بالكلدانية الحديثة فنستخدم شوعا التي تكتب شوبعة لكن حرف البيث (الباء) مركخة بمعنى مخففة (أي تقلب إلى واو) وكذلك نستخدم للأسبوع كلمة (شبثا) المعدلة عن البابلية الحديثة والتي تعني مجازاً الراحة (أي تجنب أي عمل ينعكس على فاعله بالأذى) وهو ذات معنى كلمة يوم السبت الذي كان يوم العطلة الأسبوعي عند البابليين القدماء ، وقد تبناه يهود بابل فلفظوا الشباتوم البابلي بشكل شابث أو سابث .

ويطلق على اليوم بالسومرية أوو U4 ويسميه أسلاف الكلدان القدماء أومو ويلفظ أيضاً يومو -Umu- ويسميه الكلدان الحاليون يوما ، وتسمى الساعة بالسومرية دان نا -Dan-

na- وبلغة الكلدان الأوائل بيرو -Berou- وبلغة الكلدان المحدثين شيتا أو شيثا ، أما الدقيقة المضاعفة القديمة -Gesh- فقد كانت تساوي دقيقتان بتوقيتنا الحالي ، فيما كانت الدرجة القديمة تعادل أربع دقائق وكانت تسمى بالسومرية أوس -Us- ولا نعرف لفظها بلغة الكلدان الأوائل ، لكن الكلدان الحاليون يستخدمون للدرجة كلمة مينينا وكذلك حوقا ، وللدقيقة لفظة دقيقا وكذلك قطينتا ، وتسمى الثانية القديمة التي تعادل أربع ثوان بتوقيتنا الحالي بالسومرية كار -Gar- ولا نعرف لفظها بلغة الكلدان الأوائل ، لكن لفظها بالكلدانية الحديثة هو ترينيثا وكذلك تو وأيضاً تتينوثا .

وقد كان هنالك أسلوبان يستخدمان لتعريف الأيام ، فإما كان يستخدم الأسلوب الكوكبي ، بمعنى أن كل جرم سماوي أي (إله) يعني يوماً محدداً كما هو مبين بالجدول المرفق مع الموضوع ، حيث يبدأ الأسبوع بيوم الشمس ثم القمر ثم المريخ ثم عطارد ثم المشتري ثم الزهرة وأخير زحل الذي يوافق يوم السبت وهو يوم العطلة الأسبوعية ، وقد أنتقل هذا النظام إلى الإغريق وتبناه الرومان من بعدهم ، وعندما سيطر الجيرمان على روما أبدلوا أسماء أربعة من أيام الأسبوع التي كانت تحمل أسماء الآلهة الإغريقية الرومانية بأسماء آلهتهم ، فأبدلوا فينوس / الجمعة بإلهة الحب الجرمانية فرايا -Fria or Freya- أو فريج -Frigg- ، وأبدلوا الإله جوبيتر / الخميس بإله العواصف الجرماني ثور -Thor- وأبدلوا ميركوري / الأربعاء بإله العدالة الجرماني تيو -Tiw- وأبدلوا الإله مارس / الثلاثاء برب الآلهة الجرمانية وإله الحكمة وتن -Wotan- أو أودن -Odin- باللغة الأسكندافية ، وهكذا تبنى الإنكليز وغيرهم من الشعوب الأوربية التعديلات الأخيرة والتي ترجع جميعها إلى الأصل الرافدي .

Sumerian	Babylonian	Greek	Latin	English
Utu	Shamash	Helios	Sôl	Sun
Nannar	Sin	Selenê	Luna	Moon
Gugalanna	Nergal	Ares	Mars	Mars
Enki	Nabû	Hermes	Mercurius	Mercury
Enlil	Mardukh	Zeus	Iuppiter	Jupiter
Inanna	Ištar	Aphroditê	Venus	Venus
Ninurta	Ninurta	Kronos	Saturnus	Saturn

أما الأسلوب الرافدي الثاني والذي عرف إستخدامه في العهد البابلي الجديد مع أنه على ما يبدو وإعتماداً على بعض الإشارات يرجع إلى العصر البابلي القديم ، فهو تسمية الأيام بحسب تسلسلها ضمن أيام الأسبوع ، أي يسمى الأحد اليوم الأول في الأسبوع ، والأثنين اليوم الثاني في الأسبوع إلى أن نصل إلى يوم الجمعة الذي يسمى التجمع (بقصد تأدية الفروض الدينية) ، بينما يسمى السبت أما شوعا أي سبعة أي السابع أو شبثا أي الأسبوع بمعنى إكتمال الإسبوع والذي كما أشرت سابقاً يعني مجازاً يوم الراحة أو تجنب العمل الذي

قد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه .
والحق يعود هذا الإعتقاد إلى كلمة الشبتوم البابلية القديمة والتي تعني القمر كاملاً أي البدر والذي كان يوحي بخروج الأرواح الشريرة وحدوث الخوارق المؤذية ، وقد أنتقل هذا الإعتقاد إلى أوربا وأميريكا حيث بنيت عليه حكايات الرعب المنسوبة للرجل الذئب -Werewolf- وغيره من شخصيات الرعب التي ترجع أصولها إلى حكايات الغيلان والجن البابلي السومري .
ويستخدم الكلدان المحدثون الأسلوب الثاني حيث يعني يوم خوشابا أي خا بشبثا الأول في الأسبوع وهكذا حتى نصل يوم السبت فنسميه شبثا أي الأسبوع كاملاً ومعناه المجازي يوم الراحة كما بينت آنفاً ، ويعتمد اليهود اليوم الأسبوع الكلداني البابلي ، كما يستخدم العرب الأسبوع الكلداني البابلي أيضاً ولهذا أستخدموا أسم يوم الجمعة بدلاً من اليوم السادس في الأسبوع لكونه اليوم الذي يجتمعون فيه للصلاة تماماً كما كان يفعل الكلدان القدماء ، كما بقيت تسمية يوم السبت المحرفة عن شبثا الكلدانية وسبث اليهودية المشتقة من شابتوم البابلية القديمة .
لقد نشأت الأوقات كما تبين لنا بشكل واضح وجلي في مستوطن الكلدان الأوائل وتطور أستخدامها في العهود السومرية البابلية التي كانت خاتمة التطورات في هذا الحقل ، وما الإستخدامات الحالية في جميع أرجاء الكرة الأرضية اليوم إلا صدى لعبقرية أسلافنا الكلدان الأوائل .

الأوزان والمقاييس (المكاييل)

من أجل عدم تلاعب التجار والباعة بالأوزان سن أورنمو قوانين صارمة بحق كافة المخالفين ، كما أكد في شريعته التي تعد أقدم شريعة معروفة (عملياً) في تاريخ العراق القديم على أهمية تثبيت الأوزان على النحو التالي : في ذلك الوقت .. أقر السيلا البرونزي (نوع من المكاييل) وثبت المنا ، وثبت الشيقل الحجري والفضي بالقياس إلى المنا، ومثله فعل أبنه شولكي حيث أمر بنحت أوزان ثابتة بنوع من الحجارة القاسية مما يجعل عملية تآكلها وتغير الوزن لصالح البائع من الأمور شبه المستحيلة ، ولكي يضمن إلتزام الباعة بالأوزان فقد أمر بتنفيذها على شكل بطة ، كما جعل الحرفيين ينقشونها بختمه الخاص مع عبارات تؤكد على الإرادة الإلهية للإله ننار ، وقد جعل وزن كل (بطة وزن) خمس منات ، علماً أن المنا الواحد يساوي بأوزاننا الحالية ٥٠٥ غم ، أما الأوزان الرافدية القديمة فكانت التالنت -Talent- أو البلتو -Biltu- وبالسومرية كو -Gu- ويعادل ثلاثين كغم وثلاثة أعشار الكيلوغرام ، ثم المنو -Manu- وبالسومرية منا -Ma na- ويساوي ٥٠٥ غم وهنالك المنو الصغير -Manu Shehru- وبالسومرية -Ma na Tur- ويساوي ثلث المنو الإعتيادي ثم الشيقل -Shiqlu- وبالسومرية -Gin- ويساوي ثمانية غرامات وأربعة أعشار الغرام ، ثم الشيقل الصغير الذي نفترض أن يكون أسمه بالأكدية -Shiqlu Shehru- وبالسومرية -Gin Tur- ويعادل ما وزنه ١٤٠ بالألف من الغرام الواحد ، وأخيراً الحبة شيو -She'u- وبالسومرية شي -She- وتعادل ٤٦ مليغرام و٧٥ بالمائة من المليغرام الواحد .
أما المكاييل بالأكدية -Qa- وبالسومرية سيلا -Sila- فكانت تتألف من ست وحدات رئيسة

هيّ السيلا -Sila- والبان -Ban- والبي -Pi- والكور -Gur- والشيقل -Shiqlu- والحبة -She'u- وقد أختلفت هذه الوحدات في قيمها ما بين العهد البابلي القديم والعهد البابلي الحديث ، وخير مثال على ذلك فإن الكا وبالسومرية سيلا والتي تعني بمفهومنا الحالي لتر ويعادل ما قيمته ٨٤٢ بالألف من اللتر الحالي ، كان في العهد البابلي القديم يساوي واحد على عشرة من البان أي أن كل واحد (بان) كان يساوي عشرة (سيلا) ، أما في العهد البابلي الحديث فكان كل واحد (بان) يساوي ستة (سيلا) .



بطة وزن من أور مع أسد وزن من بابل

الأطوال والمساحات

يعتبر الكوش أو الكيوبت -Cubit or kush- بمعنى الذراع وحدة أساسية سومرية تقابلها وحدة القياس البابلية للذراع المسماة أماتو -Ammatu- ويساوي الذراع السومري ٥٠ سنتيمتراً ويعادل من المقاييس القديمة ٢ شبر -Shu bad- وبالأكدية -utu- ، ويعادل الذراع ثلاثة فتر -She du a- وبالأكدية -Shizu- ، كما يعادل ثلاثون أصبع / أنج -Shu Shi- وبالأكدية -ubanu- ، ويعادل الذراع أيضاً مائة وثمانون حبة -She- وبالأكدية -She 'u- ، وقد أكتشفت مسطرة الكيوبت لأول مرة في مدينة نيبور وكان يتراح طولها بحدود ٥١,٧٢ سم ، وفي حدود عام ١٩٥٠ ق.م أي إبان العهد البابلي القديم ، قسمت وحدة الذراع إلى أربعة أقسام وقسم كل قسم منها إلى ١٦ جزء ، ويتراوح طول الذراع البابلي ٤٨ سم ، وقد وصلنا أقدم نص يتناول الذراع من فترة الملك كوديا -Gudea- حاكم لجش -Lagash - بحدود ٢٥٧٥ ق.م . ولمعرفة أبعاد الأطوال البابلية السومرية القديمة أرفق لكم الجدول التالي :

كل ستة حبات -She- = أصبع واحد -Shu She-

وكل ٣٠ أصبع / أنج -Shu She- = ذراع واحدة -Cubit or kush- أي ما يقرب من نصف متر

وكل ستة أذرع -Cubit or kush- = واحد قصبة وتقرأ كي أو قانو -Gi or Qanu -

وكل أثنا عشر ذراع -Cubit or kush- = واحد كار -nindanu/ GAR - ومعناه حدود وتساوي هذه الوحدة ستة أمتار بقياسنا الحالي

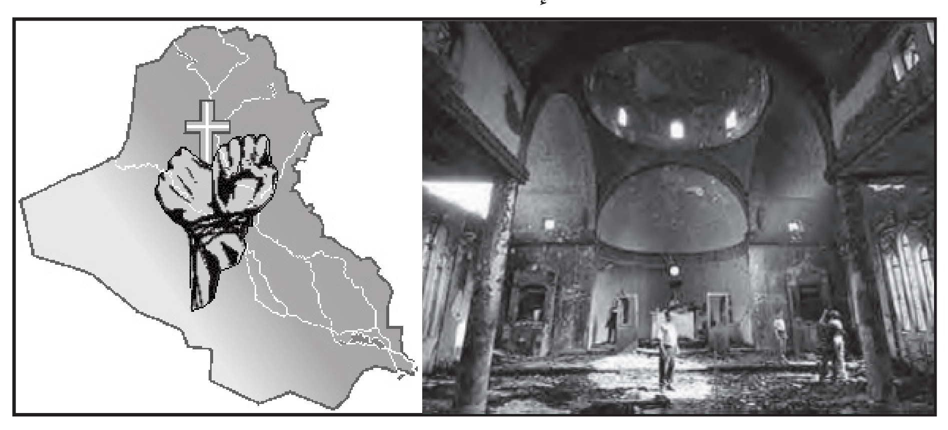
وكل عشرة حدود -nindanu/ GAR - = حبل واحد -eshe-

وكل ستون نندانو -nindanu/ GAR- بمعنى عصا أو قضيب وأيضاً قصبة = واحد أوش -ush- بمعنى ضلع والذي يساوي ٣٦٠ متر

وكل ثلاثون ضلع -ush- = ميل واحد -berou- علماً أن البيرو يساوي ١٠,٨ كيلومتر

أما للمساحات فكانت الدائرة التي تقرأ سار -sar- أو شار -Shar- التي يشبه لفظها كلمة مشارة العامية هيّ المعول عليها كوحدة أساسية لقياس المساحات ، وتلفظ بالبابلية شارو -Sharu- التي تعادل مساحة عشرة حقول -iku- وقد أشتق هذا المصطلح من عملية تجزيئ الأراضي الزراعية (الحقول) التي كانت تقسم إلى شارات أي مساحات زراعية متساوية ، ولمعرفة وحدات قياس المساحات الرافدية القديمة أرفق لكم الجدول التالي :
أن وحدة عشرة دوائر وتقرأ -Shar u- هيّ أعلى وحدة قياس للمساحات وتساوي مقدر ٣٨٨٨٠ كيلومتر مربع ، تليها وحدة الدائرة وتقرأ شار بالسومرية وشارو بالأكدية وتساوي ٣٨٨٨ كيلومتر مربع ، ثم البور أو -Bur u- الذي يساوي ٦٤٨ كيلومتر مربع وهو أكبر بعشر مرات من وحدة البور وبالأكدية بورو -buru- التي تساوي ٦٤,٨٠٠ كيلومتر مربع ، تليها الإيشي -eshe- بمعنى الحبل وبالأكدية أبلو أو حبلو -eblu- والتي تساوي ٢١,٦٠٠ كيلومتر مربع ، ثم وحدة الحقل بالسومرية -Gan- وبالأكدية -iku- والتي تساوي ٣,٦٠٠ كيلومتر مربع ، ثم الأوبو -ubu- التي تلفظ كذلك بالأكدية وتساوي١,٨٠٠ كيلومتر مربع ، ثم الشار الصغير -Shar- ويلفظ بالأكدية مشارو -musharu- التي تشبه لفظة مشارة العراقية الدارجة وتساوي ٣٦ متر مربع ، ثم تأتي وحدة الشيقل -Shiqlu- وهيّ هنا تعبر عن وحدة مساحة وبالسومرية كن -Gin- وتساوي هذه الوحدة ٦٠ سنتيمتر مربع ، ثم حبة المساحة -She- وبالأكدية -She 'u- وتساوس سبعة سنتيمترات مربعة .

إحصاءات



كنيسة محروقة مع رسم يصور وضع المسيحيين في العراق في الفترات التي يسود فيها الجهل والتخلف

مسيحيو العراق الأصليون (أحفاد الكلدان القدماء)

في كتابه الموسوم (الذات الجريحة) يذكر الباحث سليم مطر في الصفحة ١٤١ : بأن عدد سكان العراق (قبل التوسعات الإسلامية) كان يتجاوز التسعة ملايين وهنالك تقديرات أخرى

أقل ، ولكن ما يهمنا هنا هو أنه يقول : بأن أكثر من ٩٠٪ من من سكان العراق كانوا وقتذاك من المسيحيين مع نسبة ٥٪ من اليهود .
وفي الصفحة ١٤٢ من ذات الكتاب يرفق الباحث مطر جدولاً للطوائف في زمن الخلافة العربية ، نستل من كتابه الأرقام التالية قبل التوسعات الإسلامية :

بلاد الرافدين : إجمالي السكان (تسعة ملايين ومائة ألف نسمة) ، المسيحيون (تسعة ملايين وتسعة آلاف نسمة) ، اليهود (٩١,٠٠٠ ألف نسمة)

في منتصف عقد السبعينات من القرن الماضي وتحديداً بعد صدور قانون (منح الحقوق الثقافية للناطقين باللغة السريانية الذي بقي حبر على ورق) نشر إحصاء أولي لمسيحيي العراق المتواجدين داخل حدود الوطن الأم من قبل جهة غير رسمية ، ولم يكن ذلك الإحصاء دقيقاً بالشكل الذي يتناسب مع واقع الأمر ، وقد عزي الأمر إلى تعذر القيام بالإحصاء في بعض المناطق الساخنة عسكرياً ، وأيضاً عدم الأخذ بنظر الإعتبار عدد المسيحيين (الناطقون بالسورث) من المهاجرين والمهجرين إلى خارج العراق إضافة إلى كلدان مدن الجوار ، حيث كان مجموع هؤلاء المتواجدين خارج الحدود العراقية يتجاوز وقتذاك مليون نسمة بين مهاجر ومهجر ومقيم ، نستل من ذلك الإحصاء الأرقام التالية للعلم والإطلاع حسب :
الكنيسة الكلدانية ٣٣١,٠٠٠ ألف نسمة فيما يورد الأب الدكتور يوسف حبي الرقم ٣٥٠,٠٠٠ نسمة في كتابه الموسوم كنيسة المشرق
الكنيسة السريانية الكاثوليكية ٤٤,٠٠٠ ألف نسمة + الكنيسة السريانية الأرثوذكسية ٤٥,٥٠٠ ألف نسمة = ٩٥,٥٠٠ نسمة
الكنائس الآثورية ٩٠,٠٠٠ ألف نسمة
وفي أواخر عقد السبعينات من القرن الماضي نشرت مجلة الفكر المسيحي إحصاءً أتسم بجديته وقد أرفق الإحصاء بمخططات توضح النسبة المئوية لأبناء الكنائس العراقية ، وكانت نسبة أبناء الكنيسة الكلدانية تفوق ٦٠٪ ثم أبناء الكنيسة السريانية التي كانت نسبتهم تقرب من ٢٠٪ ثم أبناء الطائفة الآثورية وتقرب نسبتهم من ١١٪ ، وقد أقتسم النسب المئوية المتبقية أبناء الكنيسة الأرمنية وكنائس اللاتين والروم الكاثوليك والكنيسة الإنجيلية .
(لم يدخل في الحساب كلدان إيران وسوريا ولبنان والأردن وتركيا ، كما لم يدخل في الإحصاء كلدان العراق المهجرين والمهاجرين في الأمريكتين وأوربا وأستراليا) .
في عام ٢٠٠٢ نشرت الموسوعة الشرقية إحصاء لسكان العراق مع النسبة المئوية للأديان الممارسة في العراق ، فكانت نسبة المسيحيين على النحو التالي :
كنيسة المشرق بفرعيها الكلداني والنسطوري مع السريان الكاثوليك ١,٢٧٠,٠٠٠ نسمة ، ولم يرد إحصاء يخص عدد السريان الأرثوذكس والذين يتجاوز عددهم ١٠٠,٠٠٠ ألف نسمة ، ليكون تعداد الناطقين بالسورث المتواجدين في العراق ما يزيد على مليون وربع المليون نسمة . أما بخصوص نسبة المسيحيين العراقيين من غير الناطقين بالسورث فكانت :
١- الأرمن الأرثوذكس ٢٠,٠٠٠ ألف نسمة (لم يشمل الإحصاء عدد الأرمن الكاثوليك الذي يقدر بضعف عدد الأرمن الأرثوذكس !) .

٢- مسيحيون آخرون (لاتين ، رومان كاثوليك ، إنجيليون ، أقباط) ١٠,٠٠٠ نسمة
الغريب أن هذا الإحصاء جعل عدد أبناء المعتقد اليزيدي ٥٠٠,٠٠٠ نسمة ، وجعل عدد المندائيين ٣٠,٠٠٠ نسمة ، والبهائيين ٣,٠٠٠ نسمة ، مع الإشارة إلى وجود ما يقرب من ٢,٥٠٠ يهودي عراقي (سكان أصليون) .

ولدى مراجعتنا للجدول أعلاه نجد أن التخمينات والأرقام التي قامت الجهات السياسية بتزويدها لإدارة هذه الموسوعة قد لعبت دوراً كبيراً في صياغة هذه الأرقام ونسبها ، وخاصة محاولة التقليل من شأن نسبة سكان العراق الأصليين الكلدان على تنوع طوائفهم ، حيث بينت جداول هذه الموسوعة بأن نسبة المسيحيين لا تتجاوز ٣٪ وهيّ نسبة فيها الكثير من المغالطات ، إذ أن نسبة المسيحيين العراقيين المتواجدين اليوم في العراق تزيد عن ٥٪ وأن نسبة الناطقين بالسورث تزيد عن ٤,٥٪ ، وهيّ نسبة ينبغي أن يحسب حسابها في أية إنتخابات قادمة ، بخاصة وأن المسيحيين العراقيين يتمتعون بنسبة عالية من المتعلمين والإختصاصيين في المجالات العلمية والإنسانية والإبداعية ، مما يجعلهم في مقدمة شرائح الشعب العراقي قياساً بنسبة كل شريحة .

أن العدد الإجمالي لمسيحيي العراق من الناطقين بالسورث الذين يرجعون إلى الكلدان الأوائل والذين يتوزعون الوطن الأم (العراق) وبلدان الشرق الأوسط القديم والأمريكتين وأوربا وأستراليا يقرب عددهم اليوم من أربعة ملايين نسمة ، ولو أردنا حساب نسبتهم على إفتراض أن عدد سكان العراق الإجمالي هو ٢٥ مليون نسمة لكانت نسبتهم ١٦٪ .

ولو أفترضنا أن عدد سكان العراق الإجمالي مع المهجرين والمهاجرين من غير المسيحيين هو ٣٠ مليون نسمة لكانت نسبتهم ١٣,٣٣٪ ، إذ يتواجد منهم في العراق اليوم ما يقرب من مليون ونصف المليون نسمة ، لكن مشكلة الإحصاء في العراق أن إحصائي عام ١٩٧٧م و١٩٨٧م أعتبر الناطقون بالسورث من أحفاد الكلدان الأوائل المقيمين في مدن العراق الكبرى كبغداد والبصرة والموصل عرباً ، فيما اعتبرتهم أجهزة الإحصاء الكردية كورداً .

وهكذا ووفق المثل الشعبي العراقي (بين حانة ومانة ضيعنا لحانا) تناقصت الأرقام ، بخاصة إذا ما أخذنا بنظر الإعتبار خشية الكثيرين على حياتهم وحياة عوائلهم مما جعلهم يحجمون عن الإفصاح عن هويتهم القومية ، وما زاد الطين بلة ، أن مثل هذه الإحصاءات تجرى من قبل أجهزة لا تعترف أصلاً بالوجود القومي لغير العرب أو الكورد ، ومع ذلك فقد تم الإشارة إلى أعداد تخمينية (للمسيحيين) بولغ في تحجيمها من قبل السلطات المختصة ، كما أن معظم هذه الأرقام لا تتسم بدقة المسوح الميدانية ، كون مصدرها الوحيد هو المؤسسة الدينية ، التي تعتمد أساليب إحصائية بدائية تجعل من التخمينات الأولية علاوة على سجلات العماذ والزواج والولادة الأكثر دقة أساسها الإحصائي الوحيد ، علماً أن العديد من هذه السجلات غير متكاملة بسبب ما عانته على مر الأجيال من العديد من النكبات .

ولعل خير دليل على ذلك ، أنني عندما شرعت بإجراء معاملة زواجي عام ١٩٨٨م ، أكتشفت بأن سجل عماذ زوجتي مفقود من كنيسة العائلة المقدسة ولا توجد نسخة له في مقر البطريركية الكلدانية ، وبرغم الإتصالات الكثيرة وقرب موعد الزواج لم يعثر على ذلك السجل ، ولولا توفر نسخة (مصورة) قديمة من سجل عماذ زوجتي تم العثور عليها صدفة في منزل والديها ولولا تدخل مثلث الرحمات غبطة مولانا الراحل بولص شيخو لحل هذا

الإشكال ، لكنت ما أزال حتى اليوم أبحث عن سجل العماذ دونما جدوى ؟!
لقد عانت كنائسنا من السطو المستمر والحرق والهدم وتلف السجلات وضياعها وحتى إتلافها من قبل المعتدين على حرمات كنائسنا ، مما يقلل من دقة هذا المصدر بالرغم من أهميته البالغة .
ومع ذلك فإن نظرة عاجلة لعدد أحفاد الكلدان الأوائل في القرن السابع الميلادي (تسعة ملايين نسمة) وعددهم اليوم (أربعة ملايين نسمة) وهو تنام عكسي لا يستوعبه أي منطق علمي ، إنما يوضح وبشكل جلي حجم الغبن الذي لحق بسكان العراق الأصليين (الكلدان) ، وحجم الإضطهاد وعمليات الصهر والتمييع التي مورست وما تزال بحقهم حتى اليوم ، وبالتالي فظاعة حجم مأساتهم التي يغض العالم طرفه عنها لأنها لا تتعارض مع سوق النفط والإقتصاد والعملة ، ولأن هنالك أطراف في الشرق الأوسط ينامون على آبار من النفط وهم يحلمون بإلغائنا ليس من وادي الرافدين وطننا الأم حسب بل من الشرق الأوسط كله .
ومما يبعث على التقزز حقاً ، هو أن ذات الأبواق العالمية وبضمنها منظمة الصليب الأحمر ومنظمات حقوق الإنسان ومنظمات حماية الحيوانات السائبة كانت ستملأ العالم كله زعيقاً وتطبيلاً لو كان هذا قد حدث في الشيشان أو مع البوسنيين ولدفعت العالم كله للوقوف وقفة رجل واحد ، مطالبين بأحقاق حقوق البوسنيين الشيشانيين الذين كانوا لقرون عديدة أدوات قمع وإرهاب بيد الدولة العثمانية وما عملية تفجير قطار مدريد ومدرسة الأطفال الروس إلا نماذج لإزدواجية المعايير الدولية لقضايا الشعوب إعتماداً على المنافع الإقتصادية ، لهذا نجد أن عائدات النفط السعودي الإيراني ليست المسوغ الأول لقادة المجتمع الدولي من أجل غض النظر عن جرائم الشيشانيين والبوسنيين والوهابيين حسب ، بل أن أموال الدم هذه قادرة دائماً على تجييش الجيوش العالمية للدفاع تحت ذريعة (الديمقراطية) عن أمثال تلك المجتمعات الظلامية .
أما الناطقون بالسورث (الكلدانية) فليس هنالك من يدافع عن حقوقهم المستلبة ، لا سيما بعد أن أعطت أوربا ظهرها للمسيحية وتنكرت أستراليا وأمريكا الشمالية للمسيحية بعدما تزيت بأسمال الإشتراكية الرثة وتسلل الليبراليون والملحدون والمعادون للكنيسة والقيم العائلية إلى مواقع القرار مستثمرين الثغرات التشريعية في دساتير هذه الدول .
وهكذا فليس للسكان الأصليين لوادي الرافدين من الكلدان الناطقين بالسورث من عزاء غير المسيح وغير محبتهم لوطنهم الأم بيث نهرين (العراق) وتسامحهم التاريخي الحضاري مع مضطهديهم .



التاريخ الكرونولوجي لوادي الرافدين
١٠٠,٠٠٠ ق.م -٢٠٠٤ م



جدارية من بابل تمثل موشخوششو تنين الإله مردوخ

١٠٠,٠٠٠ عام قبل الميلاد أدوات إنسان برده بلكا الحجرية -Parda Balka- من العصر الآشولي قرب جمجمال -Chamchamal- في كركوك

٦٠,٠٠٠ - ٤٥,٠٠٠ عام ق.م آثار إنسان النياندرتال -Neanderthal- في كهف هزار مرد / السليمانية الطبقة C وكهف شانيدار / أربيل -Shanidar- الطبقة D .

٢٠,٠٠٠ عام ق.م آثار الإنسان العاقل -Homo Sapiens- في كهفي زرزي -Zarzi- وهزارمرد -Hazar Mird- ضمن حدود محافظة السليمانية -Sulaymaniyah- .

١٢,٠٠٠-٨,٠٠٠ ق.م فترة مستوطنات كهوف زاوي جمي -Zawi Chemi- الواقعة على الزاب الأعلى ، ١٠,٠٠٠ عام ق.م ، تدجين الخراف الوحشية .

٨,٥٠٠ ق.م كنج دارية -Ganj Dareh- شمال شرقي تبي كوران -Tepe Guran- في جبال زاكروس شرقي مندلي ، أولى دلائل إستخدام الخزف تطور محاولات تدجين الحيوانات .

٦,٧٥٠-٥,٩٠٠ ق.م مستوطنة جرمو -Jarmo- المطلة على وادي تبي كورا -Tepe-Gura- شرقي كركوك -Kirkuk- ، خزف ، أكواخ الطين الدائرية والإشتغال بالزراعة .

٦,٣٠٠-٦,٠٠٠ ق.م مستوطنة تبة كورا -Tepe Gura- شرقي جوخة مامي -Chokha-Mami- بالقرب من الموصل ، أكواخ الخشب المسقفة بالحصران وكذلك بيوت الطين

المبلطة بالحجر .
٦,٠٠٠ ق.م مستوطنة أم الدباغية -Umm Dabaghiyeh- بين الحضر -Hatra- والشرقاط -Shurqat- مساكن تحتوي على مخازن متطورة .
٦,٠٠٠-٥,٧٠٠ ق.م دور حسونة -Hassuna- وجد أيضاً في تل الصوان --Tell Al-Sawwan- وشمشارة -Tell Shemshara- يتصف بإزدهار الفخار اليدوي .
٥,٧٠٠ ق.م دور سامراء -Samarra- ، فخار ملون يدوي مع فخار يعتقد بأنه منفذ بواسطة دولاب الخزف ، يتميز فخار سامراء برموز تمثل صلبان وأشكال هندسية ونباتية تجريدية .
٥,٥٠٠ ق.م طور حلف -Halaf- تل يطل على نهر الخابور وأفضل أشكاله قرية الأربجية -Arpchiyeh- بين كركوك والموصل -Mosul- ، تطور القرى الزراعية وفن الخزف .
٥,٥٠٠-٤,٨٠٠ ق.م مستوطنة جوخة مامي شمال غرب مندلي -Chogha(Chokha) Mami- تماثيل طينية للإلهة الأم مزينة بنقوش -Tatto- ولبن البناء الطويل .
٥,٣٠٠ -٣,٥٠٠ ق.م دور العبيد -Ubaid- ويشمل أطوار أريدو وحاج محمد -Hajji-Muhammad- والعبيد الثالث والرابع التي تنتمي جميعاً للكلدان الأوائل .
٥,٣٠٠-٤٩٠٠ ق.م طور أريدو -Eridu- أو ما قبل السومريين -Pre-Sumerians- نشأة المدن وبناء المعابد والقصور من قبل الكلدان الأوائل -Proto Kaldee- .
٤,٩٠٠-٤,٣٠٠ ق.م طور حاج محمد -Hajji Muhammad- قرب أوروك ويمتاز بفخار هو مزيج من فخار حلف والعبيد الواقعة قرب أور .
٤,٣٠٠-٣,٧٠٠ ق طوري العبيد -Ubaid III & IV- يتميزان بمسامير الفخار -Bent-Clay Nails- ومناجل الفخار والجرار السلحفاتية -Tortoiise Jars- .
٣,٧٠٠-٣,٥٠٠ ق.م دور أوروك الطورين القديم والوسيط -Uruk / Old & Middle- يتميز بمعابد المصطبات وبأستعمال أواني النحاس بالطرق والصب (السباكة) وترجع منجزات هذين الدورين لما قبل السومريين للكلدان الأوائل .
٣,٥٠٠-٣,١٠٠ ق.م طور أوروك الحديث -Uruk III- يتميز بالكتابة الصورية وتطور الزقورات / زقرتا (باللغة الكلدانية) ومخاريط الفسيفساء -Cones- وبأقدم لوحة جدارية تمثل فهدين حارسين وبدء الإختلاط الحضاري بين الكلدان الأوائل -Proto-Kaldee- والسومريين الوافدين من الشمال .
٣,٥٠٠-٢,٩٠٠ ق.م الدور الشبيه بالكتابي أو الشبيه بالتاريخي -Proto-Literate or-Proto-Historic- ويضم طور أوروك الحديث وطور جمدة نصر شرق كيش .
٣,١٠٠-٢,٩٠٠ ق.م طور جمدة نصر -Jemdet Nasr- يتميز بالأعمال الشهيرة حسناء أوروك والإناء النذري (سرق عام ٢٠٠٣م) وبهيمنة ثقافة الكلدان الأوائل .
٢,٩٠٠-٢,٨٠٠ ق.م عصر دويلات المدن أو العصر السومري الأول -Sumerian I-City State-- سيادة الثقافة السومرية والحكام السومريين .
٢,٨٠٠-٢٥٥٠ ق.م عصر فجر السلالات -Early Dynastic- إزدهار الثقافة السومرية ونضج نظام الكتابة السومري .
٢٥٥٠-٢٤٣٢ ق.م عصر ميسالم -Mesalim Period- تصاعد الروح القومية للكلدان الأوائل / المرحلة الوسيطة وبداية إحتواء الكلدان الأوائل للوافدين السومريين .

٢٤٣٢-٢٣١٦ ق.م العصر السومري الثاني -Sumerian II - بداية التوجه لدولة القطر على يد الملك السومري الثقافة لوكال زاكيزي -Lugal Zagesi- .

٢٣٣٤-٢١٥٤ ق.م السلالة الأكدية -Sargonic Period / Akkadians- هيمنة ثقافة ولغة الإقليم البابلي المحلية ، الدولة الإقليمية ، أول إمبراطورية في التاريخ .

٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م عصر السومريين الذهبي / سلالة أور الثالثة -Ur III Dynasty- إزدهار العمران والقانون وذروة الثقافة والقلم السومري .

٢٠١٧-١٧٩٤ ق.م العصر البابلي القديم -Old Babylonian Period- أو سلالة إيسن الأولى -Isin I Dynasty- نهاية الوجود السومري ، هيمنة أحفاد الكلدان الأوائل وبداية عصر الإزدهار البابلي .

١٨٩٤-١٥٩٥ ق.م سلالة بابل الأولى -Babylonian I Dynasty- الشهيرة بملكها حمورابي -Hammurabi- ، النزاع على الشرعية بين بابل والقطر البحري .

١٧٤٠-١٥٠٠ ق.م سلالة القطر البحري -Sea Land I Dynasty- أو سلالة بابل الثانية -Babylonian II Dynasty- شملت حدودها مستوطن الكلدان القديم .

١٧٣٠-١١٥٥ ق.م السلالة الكشية -Kassite Dynasty- بدأ حكم هذه السلالة الأجنبية في بابل في عهد ثامن ملوكها ، حيث حكم ملوكها السبعة الأوائل في خانة / عانة .

١١٥٧-١٠٢٦ ق.م سلالة أيسن الثانية أو بابل الرابعة -Isin II / Babylonian IV- ، أمتازت بملكها الشهير نبوخذنصر الأول الذي طرد العيلاميين من بلاد بابل .

١٠٢٦-١٠٠٥ ق.م سلالة القطر البحري -Sea Land II Dynasty- أو سلالة بابل الخامسة -Babylonian II Dynasty- شملت حدودها الإقليم البابلي .

١٠٠٤-٩٨٥ ق.م سلالة بازي أو بابل السادسة -Bazi Dynasty- حكم فيها ثلاثة ملوك مدة عشرين عاماً تقريباً ودام حكم ملكها الأخير ثلاثة أشهر فقط .

٩٨٤-٩٧٩ ق.م السلالة البابلية السابعة -Babylonian VII Dynasty- حكم فيها ملك واحد يعتقده البعض أجنبياً / عيلامياً ، لكن هنالك معلومات تفيد بأنه كلداني من القطر البحري وقد حمل أسماً كلدانياً هو مار بيتي أبلا أوصر -Mar biti apla usur- ، مع ذلك تشير بعض المصادر إلى أنه عيلامي وتطلق على فترة حكمه أسم السلالة العيلامية -Elamite Dynasty- .

٩٧٨-٧٤٨ ق.م السلالة البابلية الثامنة -Babylonian VIII Dynasty- العصر البابلي الكلداني الوسيط -Middle Kaldee Period- هيمنة ثقافة القطر البحري .

٧٤٧-٧٣٢ ق.م السلالة البابلية التاسعة -Babylonian IX Dynasty- بداية تدخل الدولة الآشورية في شؤون الإقليم البابلي .

٧٣١-٧٢٩ ق.م السلالة البابلية العاشرة -Babylonian X Dynasty- ذروة النزعة القومية الكلدانية ، الصراع بين الملوك القوميين الكلدان وملوك الدولة الآشورية .

٦٢٥-٥٣٩ ق.م السلالة الكلدانية الذهبية -Babylonian XI Dynasty or Chaldean Golden Period- آخر عصور الإستقلال الوطني / الإمبراطوري .

٥٣٨-٣٣١ ق.م الإستعمار الأخميني -Achaemenid Rulers- مؤسس السلالة كورش

الثاني ، آخر الإنتفاضات وفترات الإستقلال الكلدانية (٥٢٢-٤٨٢ ق.م) .
٣٣٠-٣٠٧ ق.م الإحتلال المقدوني -Macedonian Rulers- الإسكندر الكبير -Alexander III the Great - ، محاولة جعل بابل عاصمة العالم القديم .
٣١١-١٢٥-٩٦ ق.م السلالة السلوقية -Seleucid Dynasty- هيمنة اللغة الإغريقية بثقافة كلدانية على الشرق القديم .
١٢٧ ق.م - ٢٢٥ م تأسيس مملكة ميشان الكلدانية / كرخينا -Karkhina- وعاصمتها براث ميشان أو أليكساندريا-أنطاكيا (مدينة العمارة) ، شملت كل الإقليم البابلي والأحواز حتى قطرايا ، أما مؤسسها فهو الملك الكلداني يوسب بر سجد أودو ناق -Yousip Bir Sagid-Odo-naq- .
٢٥٠-١٤٠ ق.م -٢٢٧ م العهد الفرثي / الأرشاقي -Parthian / Arsacid- وادي الرافدين مسرحاً للحرب بين الفرثيين والرومان ، نشوء دويلات المدن .
٢٢٧-٦٣٧ م العهد الساساني -Sasnian- نشوء مملكة حيرتا / الحيرة -Herta- التي تعني المخيم باللغة الكلدانية وليس كما يعتقد البعض بأنها مشتقة من الأسم الذي عرفت به الإلهة عشتار في الحضر ، وذلك لأن الحيرة قد نشأت في عهود إزدهار المسيحية المبكرة وقد كانت نواتها إمارة بيث عديني -Beth Edini- الكلدانية . بداية الإضطهاد الساساني للمسيحيين .
٦٣٧-٦٦١ م حكم الخلفاء عمر وعثمان وعلي -Islamic Period- Last Three of the First Four Caliphs- العراق ولاية خاضعة للدولة الإسلامية ، إنتقال مركز الحكم من الحجاز إلى العراق الكوفة / أولكاشيا الكلدانية القديمة ، وذلك في عهد الخليفة علي بن أبي طالب .
٦٦١-٧٥٠م الخلافة الأموية -Umayyed Dynasty- عودة الحكم إلى ملوك قريش ، معاوية بن أبي سفيان -Muawiya- يؤسس الدولة الأموية .
الخلافة العباسية ٧٥٠-١٢٥٨ م بدء دعوة محمد بن العباس للعباسيين من آل البيت ، حولها موالي طي وتميم وشيبان من دعوة سرية إلى أمر واقع .
الدور الأول ٧٥٠-٨٤٧ م : أشهر الخلفاء مؤسس السلالة السفاح ، باني بغداد (دار السلام) أبو جعفر المنصور والخليفة الشهير هارون الرشيد والمعتصم مؤسس سامراء .
الدور الثاني ٨٤٧-٩٤٤ م : سيطرة القواد التركمان ، ثورة الزنج ٨٧١ م وثورة القرامطة ٨٩٢ م
الدور الثالث ٩٤٤-١٠٣١ م : سيطرة القواد الأجانب البويهيون من الديلم على البلاد ، حتى تم طردهم من قبل السلاجقة التركمان ، الحمدانيون في الموصل وتكريت .
الدور الرابع ١٠٣١-١١٥٢ م : سيطرة السلاجقة ، إستيلاء طغرك بك على بغداد ١٠٧١م ، الحروب الصليبية ، تأسيس سلالة الأتابكة في الموصل .
الدور الخامس١١٣٦-١٢٥٨ م : محاولة الخلفاء للتخلص من نير السلاجقة والخوارزميين ، إضطهاد المسيحيين ، سقوط بغداد على يدي هولاكو قائد الإمبراطور المغولي مانغوخان بمعونة مؤيد الدين بن العلقمي .

١٢٥٨-١٣٣٥ م المغول / الإيلخانيون -Mongols / Ilkhanis- بداية عصور الظلام في العراق ، إستباحة البغداديين وعودة إضطهاد المسيحيين .
١٣٣٦-١٤٣٢ م المغول / الجلائريون -Mongols / Jalayrids- إستمرار الفوضى والتخلف ، غزو تيمورلنك بغداد واستباحتها عام ١٣٩٣م .
١٣٧٥-١٤٦٨ م التركمانيون / القرة قوينلو (الخروف الأسود) -Turkumenians / Qara-Qoyunlu- الشاه محمد بن قرة يوسف الباراني من قبائل الغز يلحق العراق بدولة عاصمتها تبريز ، إهمال شؤون العراق تفشي الجهل والفقر والأمراض ، وقد كانت هذه السلالة بحسب المؤرخ ابن تغري بردي سبباً لخراب بغداد .
١٤٦٨-١٥٠٨ م التركمانيون / الآق قوينلو (الخروف الأبيض) -Turkumenians / Aq-Qoyunlu- الشاه حسن الطويل أوزون يملك على تبريز ويلحق العراق بدولته ، تولى شؤون العراق الأمير مقصود بن حسن الطويل فنال العراق شيئاً من الإستقرار المؤقت ، هيمنة الإضطرابات والفوضى والفراغ الأمني بعد موت حس الطويل .
١٥٠٨-١٥٢٣ م الصفويون -Safavids- إسماعيل بن حيدر الصفوي يعلن نفسه شاهاً لتبريز ثم إحتلال بغداد وإستخدام سياسة التمييز الديني بين مذاهب المسلمين وبين المسلمين وغير المسلمين ، تواصل الإنحطاط الإقتصادي والإجتماعي في العراق ولاسيما في عهد الشاه طهماسب الذي عمد إلى سياسة إستئصال المسيحيين .
١٥١٥م جلب العثمانيين للقبائل الكوردية من خارج العراق وتوطينها في المناطق العراقية الحدودية وتسهيل عملية إستيلاء الأغوات الكورد على البلدات الكلدانية في شمال الرافدين والمناطق المتاخمة ، وقد لعب الكورد (السنة) بالمقابل دور الجدار الواقي للعثمانيين (السنة) من هجمات الفرس الصفويين (الشيعة) .
١٥٢٧-١٥٢٩ م حكومة الوافد الكوردي ذو الفقار بن علي بك رئيس قبيلة موصلو الهمدانية ، طرد الوالي الصفوي من بغداد ، إشاعة العدل والمساواة بين الناس ، تآمر أخويه مع الشاه طهماسب وأغتياله من قبل أحدهما فإنهارت المقاومة العراقية .
١٥٢٩-١٥٣٤ م تولي الفرس لشؤون العراق بأمرة الشاه طهماسب الصفوي ، حكم ذو الفقار كش (قاتل ذو الفقار) بغداد ، التدخل البرتغالي لمساعدة قبائل جنوب العراق .
١٥٣٤-١٩١٧ م الإحتلال العثماني -Ottoman- مر العراق خلال عهد الإحتلال العثماني الطويل في فترتين رئيستين .
الفترة الأولى ١٥٣٤-١٨٣١م ، تميزت هذه الفترة بسن <u>(معاهدة زهاب -Zahab Treaty- في السابع عشر من شهر أيار عام ١٦٣٩م)</u> بين الجانبين العثماني والفارسي حددت بموجبها الحدود العراقية الإيرانية وتعد معاهدة زهاب أكمل معاهدة بين الجانبين ، وقد عانى العراق والعراقيون الأمرين جراء تأرجح العراق بين الإحتلالين العثماني الفارسي علاوة على حكم المماليك وعلى النحو التالي :
-١ حركة بكر صوباشي ١٦٢١-١٦٢٣م ، سيطرة الجند الإنكشاريين على السلطة .
-٢ الإحتلال الفارسي ١٦٢٣-١٦٣٨ م -Persian Occupation- دخل جيش الشاه عباس بغداد فذبح كل من صادفه في طريقه من الجند الإنكشارية ومن والاهم ، ومن نجى من الذبح لم ينج من التعذيب بحسب المؤرخ نظمي زادة ، عانى العراقيون خلال الحكم الصفوي

الجديد ألواناً من المآسي والفواجع .
-٣ ثورة عشائر المنتفك ١٦٩٤-١٦٩٧م ، قاد مانع بن مغامس ثورة عشائر المنتفك وقام بطرد العثمانيين من ولاية البصرة لكن حاكم الحويزة تمكن من ضمها لممتلكاته .
-٤ الإحتلال الفارسي للبصرة ١٦٩٧-١٧٠١ م ، نشر هذا الإحتلال الفوضى والخراب .
-٥ غزوات نادر قلي شاه ١٧٣٢م / ١٧٣٣م ، أنتهت بطلب الشاه للصلح و(تعديل معاهدة زهاب) فكان ذلك في ١٩ كانون الأول عام ١٧٣٣م .
-٦ غزوة شط العرب في نيسان ١٧٣٥م ، دخلت قوات إيرانية برية تعدادها ٨٠,٠٠٠ جندي مع ثلاثة سفن من نوع (الغراب) وخمسون سفينة من نوع (الترانكي) فتصدى البصريون مع القوات العثمانية لهذه الغزوة ودحروا الغزاة .
-٧ غزوة ١٧٤٣م بقيادة الشاه نادر قلي نفسه ، تعرضت خلاله البلدات الكلدانية في سهل نينوى لخراب ليس له مثيل ، كما نهبت وأحرقت الأديرة وكنائس عديدة .
-٨ الإحتلال الفارسي الأخير للبصرة ١٧٧٦-١٧٧٩ م ، أشاعت فترة الإحتلال القصيرة هذه خراباً كبيراً ، وتعطلت الملاحة .
-٩ حكم المماليك ١٧٤٩-١٨٣١ م ، بدأ حكم المماليك بتسلم المملوك القرجي سليمان آغا حكم العراق بموافقة شكلية من السلطان العثماني ، وتعد فترة حكم سليمان باشا الكبير ١٧٨٠-١٨٠٢م ذروة حكم المماليك ، كما تعتبر ثورة سليمان الشاوي رئيس عشائر العبيد وثويني العبد الله شيخ عشائر المنتفك وحمد الحمود شيخ الخزاعل بداية النهاية لحكم المماليك الذي تفشى في نهايته مرض الطاعون في بغداد وفاض نهر الدجلة فأمتلأت بغداد بالجثث .
الفترة العثمانية الثانية ١٨٣١-١٩١٧ م ، تميزت بالحكم العثماني المباشر للعراق رغم قيام العراقيين بعدد من الثورات ضد السلطة العثمانية ، كما تميزت هذه الفترة بتوطيد النفوذ البريطاني وبإصلاحات الوالي مدحت باشا ١٨٦٩-١٨٧٢م ، وبإنشاء أول دائرة للطابو (التسجيل العقاري) وصدور أول جريدة في بغداد هيّ جريدة الزوراء في ١١ حزيران ١٨٦٩م .
١٩١٣م (١٧ تشرين الثاني) إتفاقية الاستانة -Constantinople / Istanbul Protocol- لتثبيت الحدود العراقية الإيرانية ومن أهم بنودها أن الأحواز والكويت وقطر هيّ أراض عراقية ، وأن شط العرب -Shatt Al-Arab- هو موقع مائي عراقي صرف ١٠٠٪ .
١٩١٤-١٩١٨ م الإحتلال البريطاني -British Occupation- تم إحتلال البصرة في ٥ تشرين الثاني ١٩١٤م وإحتلال بغداد في ١١ آذار ١٩١٧م والموصل في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨م وكان السير برسي كوكس -Sir Percy Cox- رئيساً لإدارة الإحتلال .
١٩١٩م تأسيس جمعية (العهد العراقي) وتأسيس الكيان العراقي من قبل الحكومة البريطانية في العاشر من شهر كانون الثاني عام ١٩١٩م .
١٩٢٠م صدرور قرار من عصبة الأمم المتحدة بتاريخ -League of Nations Mandate- يؤيد الإنتداب البريطاني على العراق ، نشوب ثورة العشرين في مطلع حزيران من ذلك العام ، مهاجمة معسكر الرميثة والإفراج عن الشيخ شعلان أبو الجون ، دامت الثورة خمسة أشهر وأدت إلى تغيير سياسة بريطانيا في العراق .
١٩٢١ م قام السير برسي كوكس -Sir Percy Cox redraws- بإعادة ترسيم الحدود

العراقية فأقتطع الكويت -Kuwait- عن ولاية البصرة -Basra province- من أجل تضيق إنفتاح العراق على الخليج .
١٩٢١ م تأسيس المملكة العراقية وفوز الشريف الأمير فيصل بن الحسين -Faisal I- بأصوات الشعب العراقي وإعلانه ملكاً على العراق في ٢٣ آب ١٩٢١م ، أتسم حكم الملك فيصل بتغليب الروح الوطنية العراقية وعدم الإنسياق في التيارات العروبية ، وقد رفع الملك فيصل شعار الدين لله والوطن للجميع .
١٩٢٣م مشكلة ولاية الموصل ، أكدت معاهدة لوزان في ذلك العام حلها بين بريطانيا وتركيا ، وفي حالة عدم التوصل إلى قرار مناسب عرضها على عصبة الأمم .
١٩٢٤م عرضت قضية الموصل على عصبة الأمم في ٣٠ أيلول من ذلك العام ، تمت دراسة الموضوع وقام فريق عمل بزيارة لواء الموصل وقدم تقريراً مفصلاً في ١٦ تموز عام ١٩٢٥م وكان رأي اللجنة أن تكون الموصل تابعة للعراق على شرط أن تبقى تحت الإنتداب البريطاني لمدة ٢٥ عاماً ، وقد أقرت عصبة الأمم هذا التقرير .
١٩٢٦م موافقة العراق على شروط عصبة الأمم وإبرامه معاهدة بهذا الخصوص مع بريطانيا في ١٣ كانون الثاني ١٩٢٦م ، وكذلك إبرام معاهدة ثلاثية مع بريطانيا وتركيا في ٥ حزيران ١٩٢٦م .
كانون أول ١٩٢٢- كانون أول ١٩٢٦م ، إبرام معاهدة منطقة الحياد -Neutral Zone- مع العربية السعودية .
١٩٢٥م إحتلال إيران لمنطقة الأحواز العراقية بأمر من الشاهنشاه الجديد رضا بهلوي متجاوزاً بذلك المواثيق والمعاهدات المبرمة بهذا الخصوص .
١٩٢٧م (١٣ تشرين الأول) تدفق النفط بغزارة من حقل بابا كركر قرب كركوك ، وفي ٨ حزيران ١٩٢٩م ، أستبدلت شركة النفط التركية بشركة نفط العراق المحدودة .
١٩٣٠م سن معاهدة -Anglo-Iraqi Treaty of ١٩٣٠- أعلن فيها بأن العراق سيعتبر دولة مستقلة ذات سيادة إعتباراً من عام ١٩٣٢م .
١٩٣٢م إعلان الإستقلال التام للعراق ودخوله عصبة الأمم بتاريخ ٣ تشرين أول ١٩٣٢م ، إستبدال المندوب السامي البريطاني بالسفير البريطاني .
١٩٣٣م (١-٧ آب) تورط ولي العرش الأمير غازي بتشجيع من رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني ووزير الداخلية حكمت سليمان بمذبحة سميل -Sumel- أو كما تسمى في الأدبيات الرسمية (فتنة الآثوريين) التي راح ضحيتها ما يزيد على ٥,٠٠٠ مسيحي من الذين جلبتهم القوات البريطانية من خارج العراق علاوة على بعض المسيحيين الكلدان الذين صادفهم الجيش العراقي في طريقه إلى سميل فتم قتلهم ، وعندما وصلت الأخبار إلى الملك فيصل في منتجعه الطبي في أوربا عن طريق مثلث الرحمات البطريرك عمانوئيل الثاني ، حزن وطلب من الحكومة إستخدام اللين والتحلي بالصبر لكن الأمير غازي ومدبري المذبحة وعلى رأسهم رشيد عالي الكيلاني لم يأبهوا لتوصيات الملك المريض .
٧ أيلول ١٩٣٣م توفي الملك فيصل في منتجعه الطبي في سويسرا وفي ٨ أيلول توج أبنه الوحيد الأمير غازي ملكاً -Ghazi - على العراق ، أتسمت فترة حكم الملك غازي بالإنحراف عن سياسة والده الوطنية وبإهمال الروح الوطنية العراقية وبالطموح لإقامة دولة

عربية كبيرة .
١٩٣٤م بوشر بتصدير النفط العراقي عن طريق موانيء البحر المتوسط .
١٩٣٦م (٢٩ تشرين الأول) إنقلاب بكر صدقي ، وتنازله بسبب ضعف حكومته لإيران عن جزء من شط العرب -Shatt Al-Arab- في معاهدة حدود بين العراق وإيران في ٤ تموز ١٩٣٧م ، وقد كان الشاه قد طلب من وزارة ياسين الهاشمي ممثلة بنوري السعيد -Nuri Es-Sa'id- الطلب ذاته عام ١٩٣٥م لكن نوري السعيد رفض طلب الشاه وأعلمه بأنه سيوافق على تأجير تلك المساحة من شط العرب على شرط موافقة إيران على حسم قضايا الحدود المعلقة ، أما التنازل عن شبر من العراق فهذا ما لن يكون .
١٩٣٧-١٩٤١م تفشت في العراق بعد مقتل بكر صدقي -Bakir Sudqi- ظاهرة الإنقلابات العسكرية .
١٩٣٩م (٣ نيسان) مصرع الملك غازي ، وفي نفس الليلة تم تنصيب أبنه فيصل -Faisal-II- ملكاً على العراق وتعيين خاله الأمير عبد الإله -Abdul Illah- وصياً على العرش .
حركة نيسان / أيار ١٩٤١م (العقداء الأربعة) ، كان هدف هذه الحركة ضرب الروح الوطنية العراقية وتجيير الهوية الوطنية للأفكار العروبية ، وكان من نتائج هذه الحركة الغبية إحتلال بغداد في ٢٩ أيار من قبل القوات البريطانية ، إعلان الهدنة في ٣٠ أيار بشرط الرجوع لمعاهدة ١٩٣٠م وخسارة العراق لسيادته الوطنية .
١٩٤١م (١-٢ حزيران) بدء ما يسمى بالفرهود -Farhood / Looting- ، نتيجة للأفكار العنصرية التي أشاعتها حركة الضباط المتمردين الأربعة ، حدثت مجزرة لم يعرف لها مثيل في تاريخ العراق المسالم والمعروف بتآخي مواطنيه على تنوعهم العرقي والديني ، وذلك عندما أغار الرعاع وحتى الجنود والشرطة على محلات اليهود وبيوتهم فنهبوا وأغتصبوا وقتلوا خلال يومين خلقاً كثيراً من اليهود ومن حاول حمايتهم من المسيحيين والمسلمين الشجعان الذين تصدوا للرعاع ، ولم تنته المأساة إلا بعد عودة الحكومة الشرعية للبلاد حيث قام رئيس الوزراء محمد الصدر بالإيعاز إلى مدير الدعاية (الإعلام) حامد الصراف بالإعلان بأن يهود العراق هم مواطنون مخلصون وأخوة لكل العراقيين ، وقد ذهب ضحية تلك المجزرة ١١٠ أشخاص بحسب التقرير الحكومي و ١٣٠ قتيلاً بحسب تقرير رئيس الطائفة اليهودية في بغداد .
١٩٤٨م وقع العراق ممثلاً برئيس الوزراء صالح جبر ووزير خارجية بريطانيا السيد بيفن في منتصف كانون الثاني معاهدة بورتسموث في مدينة بورتسموث البريطانية ، ولكن وزارة محمد الصدر ألغت المعاهدة في ٢٩ كانون الثاني .
١٩٤٨ (١٥ أيار) إندلاع الحرب بين دولة إسرائيل والدول الناطقة بالعربية ، إرسال قوات عراقية بضغط من الأحزاب القومية العروبية تنفيذاً لقرار الجامعة العربية .
١٩٤٨م (٢٦ حزيران) أثر الحرب الإسرائيلية العربية ، أجبرت وزارة الصدر على الإستقالة ، فألف المتزمت الأمين الباجه جي وزارة جديدة ، فبدأ بعزل اليهود من الوظائف الحكومية كما قيد أعمال التجار اليهود فتفشت البطالة في العراق وأنتشر العوز والفاقة ، حتى أضطرت الحكومة للإستدانة من البنك الشرقي لدفع رواتب الموظفين .
١٩٤٨م (٢٣ أيلول) إعدام التاجر اليهودي (الوطني) شفيق عدس -Shafik Adas- في

البصرة (رغم معرفة المحكمة العسكرية ببراءته) في محاولة لتجنب فتنة قد تؤدي إلى قتل الآلاف من يهود العراق .
١٩٥٠م العراق من بين البلدان الكبرى المصدرة للنفط -Strong Increase in Oil-Revenues- .
١٩٥٠-١٩٥١م جراء المضايقات الإقتصادية وتهديدات المتطرفين والتكتيكات السياسية في المنطقة هاجر من العراق جواً ما يزيد على ١٢٠,٠٠٠ مواطن يهودي عراقي في عملية سميت -Operation Ezra and Nehemiah- وكانت هذه أكبر هجرة يهودية من العراق -The Jewish Exodus from Iraq- وتعد هجرة يهود العراق ثاني أكبر هجرة في تاريخ العراق الحديث بعد هجرة ما يزيد على نصف مليون كلداني في عهدي عبد السلام عارف وصدام حسين .
١٩٥٣م إنتخابات برلمانية مباشرة وتسنم الملك فيصل الثاني رسمياً لعرش العراق (كان عمره ثلاث سنوات عندما توفي والده) .
١٩٥٥م (٢٣ شباط) وقع العراق مع تركيا وثيقة تحالف ضد المعسكر الشرقي وفي ٥ نيسان أنضمت بريطانيا إلى هذا التحالف الذي سمي بحلف بغداد -Baghdad Pact- ، وقد أنضمت إليه الباكستان رسمياً في ٢٣ أيلول ١٩٥٥م وإيران في تشرين الثاني من نفس العام .
١٤ شباط ١٩٥٨- ١٤ تموز ١٩٥٨م الوحدة الهاشمية بين العراق والأردن -Arab Union,-Federation- .
١٩٥٨م ثورة الرابع عشر من تموز ، إنهاء الحكم الملكي وقيام الجمهورية العراقية الأولى ، مقتل العائلة المالكة ورئيس الوزراء الوطني نوري السعيد .
١٩٥٨م حل الوحدة مع الأردن وإعلان تأسيس مجلس سيادة وتعيين الزعيم الوطني عبد الكريم قاسم -general Abdul Karim Qassem- رئيساً للوزراء .
١٩٥٩م إنسحاب العراق من حلف بغداد -Baghdad Pact- .
١٩٦٣م في ٨ شباط قام البعثيون بإنقلاب -Military Coup- على حكومة الزعيم قاسم الوطنية وتنصيب عبد السلام محمد عارف -Abdul Salam Arif- لنفسه رئيساً للعراق ، إعدام عبد الكريم قاسم في الثامن من تموز في مبنى الإذاعة والتلفزيون العراقي ، تطرف عروبي إسلاموي أدى إلى هجرة المسيحيين الكلدان إلى الولايات المتحدة الأمريكية بأعداد كبيرة تقدر بعشرات الألوف ، بدء مجازر الحرس القومي بعد قتل قاسم ورفاقه (قتل وتصفية معارضو البعث ودفن العراقيين أحياء من قبل قوات الحرس القومي -Ba'th National Guards- وإغتصاب العراقيات والعديد من الفضائع) .
١٩٦٦م (١٣ نيسان) مصرع عبد السلام عارف في حادثة طائرة الهليكوبتر والعراقيون يهزجون تشفياً الهوسة الشهيرة (صعد لحم نزل فحم) ، التعيين الشكلي لأخيه الأكبر عبد الرحمن عارف -Abdul Rahman Arif- رئيساً للعراق .
١٩٦٧ (٥ حزيران) حرب الأيام الستة -Six-Day War- إندحار الجيوش العربية أمام الجيش الإسرائيلي ، إنكسار المعنوية العراقية جراء الإندحار المشين .
١٩٦٨م (١٧ تموز) إنقلاب عسكري قاده البعثيون ، نفي عبد الرحمن عارف وتنصيب أحمد حسن البكر -Ahmed Hassan Al-Bakr- رئيساً للجمهورية .

١٩٦٨م (٣٠ تموز) تصفية الجناح الإنقلابي المعارض الذي يقوده العقيد عبد الرزاق النايف -Abd ar-Razzaq an-Nayif- رئيس الإستخبارات العراقية في عهد عارف والعقيد إبراهيم عبد الرحمن الداود -Ibrahim 'Abd ar-Rahman ad-Da'ud- ، نفي الأول إلى المغرب بصفة سفير للعراق وعدم عودة الثاني من زيارة له إلى عمان .

١٩٦٩م (٨ كانون الثاني) مذبحة صوريا -Suryah- في زاخو -Zakho- ، ذهب ضحيتها أكثر من ٣٢ قتيل كلداني وعشرات المعوقين والجرحى .

١٩٧٥م إتفاقية الحدود مع إيران -Algeria Treaty- بشرط عدم مساعدة الشاه للحركة العسكرية الكوردية في شمال العراق .

١٩٧٨م ميثاق العمل المشترك مع سوريا كبداية لتوحيد سوريا والعراق .

١٩٧٩م إزاحة البكر من الحكم وتسنم صدام حسين -Saddam Hussein- لحكم العراق ، التحول من الشعارات الإشتراكية العروبية إلى الدكتاتورية المطلقة ، تصفية صدام حسين في شهر آب لما يقرب من ٤٠٠ بعثي من خصومه في الحزب بتهمة التواطؤ مع سوريا ضد مصلحة العراق .

١٩٨٠م (١٧ أيلول) إلغاء معاهدة ١٩٧٥م مع إيران وإعتبار شط العرب الذي أستحوذ على جزء منه شاه إيران عام ١٩٣٦م منطقة عراقية خالصة ، بدء الحرب العراقية الإيرانية في ٢٢ أيلول ١٩٨٠م ، إحتلال العراق للشريط الحدودي والمدن الحدودية الإيرانية من قاطع مندلي حتى الخليج .

١٩٨١ (٧ حزيران) قصفت الطائرات الإسرائيلية مفاعل تموز النووي -Tammuz Nuclear Reactor- لمنع صدام والبعثيين من إنتاج القنبلة النووية .

١٩٨٢م إنسحاب معظم قطعات الجيش العراقي من إيران إلى الحدود العراقية مع بقاء بعض الألوية داخل الحدود الإيرانية .

١٩٨٨م (٨ آب) إعلان وقف الحرب العراقية الإيرانية والمصادقة على القرار في ٢٠ آب ١٩٨٨م . في عام ١٩٨٨م قتل الآلاف من الكورد والكلدان جراء قصف حلبجة بالغازات السامة .

٢ آب ١٩٩٠م-٢٧ شباط ١٩٩١م ضم الكويت للعراق -Occupation of Kuwait- بأمر من صدام حسين وإعتبار الكويت المحافظة العراقية التاسعة عشر

-١٩th Province of Iraq- ، صدور قرار من الأمم المتحدة بإنسحاب العراق من الكويت قبل ١٥ كانون الثاني ١٩٩١م .

١٩٩٠م (٦ آب) حظر إقتصادي دولي على العراق بقرار من هيئة الأمم المتحدة .

١٩٩١ (١٦ كانون الثاني) القوات الدولية تهاجم من قواعدها في السعودية قطعات الجيش العراقي في العراق والكويت أسفرت عن مقتل مئات الألوف من العراقيين من عسكريين ومدنيين ، تدمير كامل البنية التحتية العراقية -Infrastructure- ، دخول قوات التحالف للعراق عن طريقي الناصرية والبصرة .

١٩٩١م (٣ آذار) معاهدة إستسلام الجيش العراقي بدون قيد أو شرط ، أبرمت المعاهدة على الحدود العراقية الكويتية بين القوات الدولية والحكومة العراقية .

١٩٩١م إنتفاضة الشعب العراقي على البعثيين في جنوب وشمال العراق وقمعها بوحشية من

قبل سلطات صدام حسين ، عدم تعاون صدام حسين مع الأمم المتحدة في مجال تدمير أسلحة الدمار الشامل مما أدى إلى إبقاء الحظر الإقتصادي على العراق ، هجرة العقول العراقية وإنتشار الفقر والجريمة وتفشي الأمراض الغريبة والمجاعة وأنتشار الجهل والأفكار الإسلاموية والتعلق بالغيبيات بدعم مالي من السعودية ، أدت المقاطعة الإقتصادية التي شملت كافة مناحي الحياة إلى وفاة ما يقرب من مليون طفل خلال سنوات الحصار وإلى إنعزال العراق حضارياً عن بقية دول العالم .

١٩٩٤م قوات صدام للحرس الجمهوري تقوم بتصفية الحساب مع الكورد في الشمال والشيعة من سكان الأهوار في الجنوب ، تجفيف الأهوار وتخريب البيئة العراقية .

١٩٩٤م (١٠ تشرين أول) إعتراف حكومة صدام حسين (المهينة) بسيادة دولة الكويت .

١٩٩٩م (شباط) وقعت روسيا عقداً مع العراق لتطوير طائرات الميك -MiG- العراقية .

٢٠٠٢م (تشرين الثاني) الأمم المتحدة تطالب بعودة المفتشين الدوليين للعراق أثر قرار مجلس الأمن المرقم (١٤٤١) وبسبب تهديد أمريكا بالهجوم على العراق في حالة عدم إلتزام العراق بقرارات الأمم المتحدة .

٢٠٠٣م وزير الخارجية الأمريكي كولن باول -Colin Powell- يعرض في منظمة الأمم المتحدة وثائق تؤكد إستمرار العراق في تطوير مشاريع أسلحة الدمار الشامل ووثائق أخرى توضح تدريبات منظمة أنصار الإسلام -Ansar Al-Islam- الإرهابية المتحالفة مع منظمة القاعدة -Al-Qa'ida- المسؤولة عن مجزرة الحادي عشر من أيلول -September ١١- والتي تسميها منظمة القاعدة الإرهابية غزوة نيويورك وواشنطن -Ghazwat / Invasion of New York & Washington- .

٢٠٠٣م (٢٠ آذار) بدأت قوات الإئتلاف بزعامة الولايات المتحدة بهجوم واسع على العراق القصد منه تقويض حكم الدكتاتور صدام حسين .

٢٠٠٣م (٩ نيسان) هروب صدام حسين وزمرة البعثيين بعد دخول قوات الإئتلاف إلى بغداد وإسقاط تمثال الدكتاتور في منطقة العلوية / ساحة الفردوس .

٢٠٠٣م (٦ أيار) تسلم السيد بول بريمير -Ambassador L. Paul Bremer III- رئاسة إدارة سلطة قوات الإئتلاف -Administrator of the Coalition Provisional Authority- وقد حاول هذا المسؤول الأمريكي تحسين الوضع في العراق وتحسين أوضاع العراقيين ولكن جهوده أفتقرت بشكل عام للتخطيط الموضوعي .

٢٠٠٣ (٢٢ أيار) رفعت الأمم المتحدة الحصار عن العراق بعد ١٣ عاماً من تطبيقه ، كما تم إلغاء ٦٥ قراراً ملحقاً بقرار الحصار الأصلي .

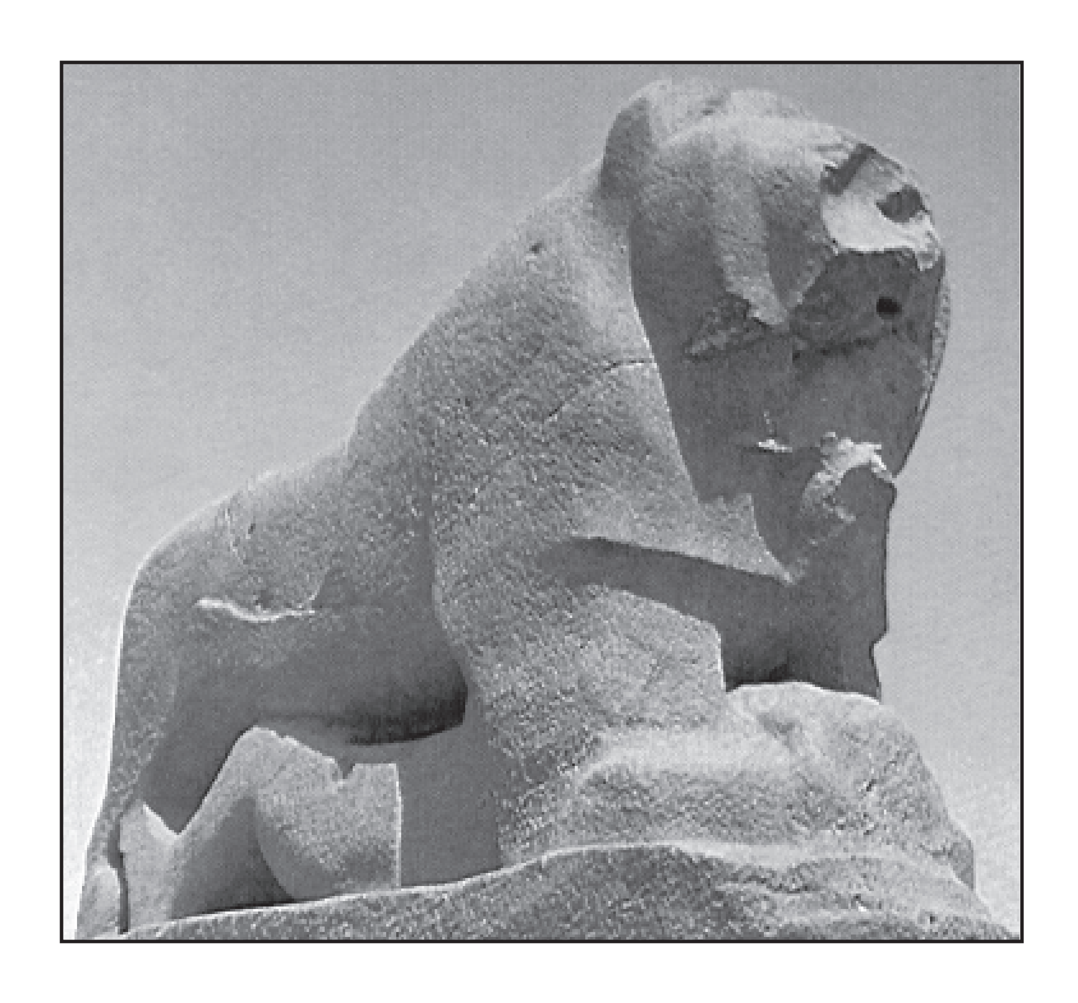
٢٠٠٣م (تموز) تأسيس مجلس الحكم الإنتقالي -Iraqi Governing Council- ، (أيلول) تشكيل أول مجلس وزراء عراقي .

٢٠٠٣م (١٣ كانون الأول) تمكنت القوات الأمريكية من ألقاء القبض على صدام حسين الذي كان مختبئاً في حفرة قرب أحد قصوره الرئاسية في تكريت .

٢٠٠٤م (١ حزيران) إنتخاب الشيخ غازي حميد الياور-Ghazi Al-Yawer- رئيساً للعراق للفترة الإنتقالية ، وإنتخاب الدكتور أياد هاشم علاوي -Iyad Hashem Allawi- رئيساً للوزراء .

٢٠٠٤م (٢٨ حزيران) إنتقال السلطة / السيادة -Sovereignty- من قوات التحالف ممثلة بالسفير بول بريمر إلى العراقيين (الحكم المؤقت) ممثلاً بالرئيس العراقي غازي الياور ورئيس الوزراء أياد علاوي وأعلان السيادة العراقية على كامل الأرض العراقية ، مغادرة السيد بريمر مسؤول الإدارة الأمريكية للعراق ، ومباشرة السفير الأمريكي جان ديمتري نيكروبونتي -John Dimitri Negroponte- بتمثيل مصالح الولايات المتحدة في بغداد .

٢٠٠٤م (٢٨ حزيران) الرئيس الأمريكي جورج بوش -President George W. Bush- ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير -British Prime Minister Tony Blair- يبلغان منظمة حلف شمال الأطلس / الناتو -NATO- في مؤتمرهم المنعقد في أنقرة بإنتقال السيادة للعراق ، ووزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري -Foreign Minister Hoshyar Zebari- يصرح في المؤتمر بأن العراقيين جاهزون للتحديات القادمة .



التاريخ السلالي لوادي الرافدين

الجداول المدرجة هنا هيّ خلاصة إستقراء لعدد من الباحثين المعروفين ، وقد أعتمدت في تثبيتها منهجاً دقيقاً يمزج ما بين القراءات السابقة المتعارف عليها مع آخر المستجدات التي طرأت عليها ، والحق أنني لم أخرج في الغالب الأعم عن ترجمة أثبات الملوك التي يسميها الكتبة القدماء (الملوكية) وبالسومرية -Nam Lu gal- وهو مجموعة الاثبات التي أوردها فنسنت -Vincente ١٩٩٥- ، كذلك ترجمة الأستاذ باقر / كريمر الرئيستين ، إلا أنني حاولت من خلال الجهد المبذول هنا ، ضبط قراءة ما لم يضبط من أسماء الملوك الذين أوردهم كل من باقر وفنسنت ، وبخاصة توضيح تلك القراءات وإعادتها لأصولها العراقية القديمة .

ولتبسيط الصورة للقارئ فإن عبارة (كلا ندابا أنّا بدّا) تقرأ أيضاً (كلا ندابا سكل أو سكلا) وتعني العبارة العلم عند (إلهة الكتابة) ندابا / نيسابا -Nisaba or Nidaba- والتي تشبه العبارة التي نستخدمها اليوم (العلم عند ألله) ، أما ترجمتها الأولى فكان يعتقد بأنها أسم لملك كيشي -Kishian- .

وقد حاولت قدر المستطاع أثناء كتابتي لهذه الجداول أن أجري مقارنة (لفظية) في قراءة هذه الأسماء مع الأخذ بنظر الإعتبار اللفظ الكلداني الحديث كأساس لهذه القراءة ولاسيما في الكلمات الكلدانية القديمة التي ما زلنا نستخدمها حتى اليوم والتي تترجم أحياناً إلى العربية بغير لفظها الصحيح ، وعلى سبيل المثال يقرأ الغربيون أسم الإلهة عشتار بشكل إشتار ويلفظ الباحثون العراقيون بعض المفردات التي تحتوي الحرف (Pei) بشكل (باء) كما في بحارا / خزف ، أو بشكل (فاء) كما في بورات / فرات .

ولا بد من الإشارة هنا إلى أنني أعتمدت مجموعة كبيرة من الجداول للخروج بقراءة موحدة ، لكنني من أجل عدم إرباك القارئ غير المتخصص بالفروقات التقنية في القراءات فقد أعتمدت على ثلاثة جداول رئيسة لقراءتي هذه ، وهي جدول فنسنت وترجمة الأستاذ طه باقر ومجموعة الجداول التي أوردها معجم أعلام العراق القديم .

وقد يلاحظ القارئ الكريم بأن فترة حكم الملوك الأوائل هيّ فترات خيالية من حيث عدد السنين ، والحقيقة كنت قد شرحت ذلك في كتابي الموسوم (الأشوريون .. سكان دولة أم قومية ؟) ، وتفسيري هنا يعتمد نقطتين رئيستين وهما :

١- أن الرقم المذكور لكل ملك إنما يمثل أيضاً سنوات حكم سلالة ، مثلما نستخدم اليوم مصطلح السلالة السرجونية لنشير لحكم ملوك بلاد آشور المنحدرين عن سرجون الثاني ، أو كما نستخدم مصطلح السلالة السلوقية أو الإرشاقية أو العثمانية أو العباسية وغيرها من سلالات تعتمد أسم مؤسس السلالة أو أسم الجد الأول لمؤسس السلالة ، وكنت قد أوضحت هذا الفهم المزدوج للفرد والسلالة بشيء من التفصيل في موضوع (أصل التسميات القديمة بين القومية والإقليمية .. الكلدانيون / الكلديون) .

٢- يصبح الرقم مقبولاً لتاريخ حكم سلالة إذا ما رفعنا الصفرين الأخيرين ، وكمثال على ذلك أن الملك إيلو لم قد حكم لمدة ٢٨,٠٠٠ ألف عام ، ولكننا لو حذفنا الصفرين الأخيرين اللذين وضعا للمبالغة أو لأسباب تتعلق بألغاز حسابية لم نتوصل لحلها بعد ، فإن الرقم ٢٨٠ عاماً

سيصبح مقبولاً لحكم سلالة ، كما أنه مقبول أيضاً من قبل المختصين في علم الكتاب المقدس ، وبخاصة إذا ما قارنا سنوات حكم هؤلاء الملوك بسنوات عمر نوح تكوين : الإصحاح التاسع وأيضاً تكوين : الإصحاح الحادي عشر .
ومما يدعم مثل هذه النظرية ويمنحها بعداً واقعياً ، أننا لوجمعنا سنوات حكم ملوك ما قبل الطوفان وفق الرأي المطروح هنا لوجدناه مقارباً وبشكل مثير للفترة التاريخية التي تفصل ما بين نشأة الملوكية في أريدو وبداية حكم سلالات ما بعد الطوفان ، كما أن هذا المقترح يتوافق مع زمن حدوث الطوفان الكبير الذي تدل بقاياه المكتشفة بشكل ترسبات غرينية في مدن عديدة منها كيش وأوروك وشروباك ولجش ، وتعود هذه الطبقات الغرينية الفاصلة بين دور جمدة نصر وعصر فجر السلالات .

جدول ملوك ما قبل الطوفان .. (أثبات الملوكية) -pre-diluvian dynasties-

هبطت الملوكية من السماء فكانت في أريدو ثم أنتقلت الملوكية إلى مدينة باد تابيرا (تل المدينة) الذي يقع نحو ٤٥ كم شمال شرقي مدينة أوروك ونحو ٣٢ كم جنوب غربي مدينة الشطرة ، ثم أنتقلت الملوكية إلى مدينة لاراك (تل الولاية ؟) لم تحسم بعد مسألة تأكيد بقايا لاراك بتل الولاية الذي يقع في ناحية الحسينية التابع لمحافظة واسط ، ومن لاراك أنتقل الحكم إلى مدينة سبار الشهيرة (تل أبو حبة) نحو ٢٠ميلاً جنوبي غرب بغداد ، وأخيراً إلى مدينة شروباك (تل فارة) ، أما تسلسل حكم ملوك هذه السلالات فكان على النحو التالي :
١- أريدو -Eridu(g)- حكم ألولم -A-lu-lim- لمدة ٢٨,٠٠٠ عام ، وحكم ألكار --A-lal-gar- لمدة ٣٦,٠٠٠ عام ، ملكان حكما لمدة ٦٤,٠٠٠ عام .
٢- باد تابيرا -Bad-tibira- حكم إين مين لو أنّا -En-men-lu-anna- لمدة ٤٣,٠٠٠ عام وحكم إين مين كال أنّا -En-men-gal-anna- لمدة ٢٨,٠٠٠ عام ثم حكم دموزي الراعي -Dumuzi,d- لمدة ٣٦,٠٠٠ عام ، ثلاثة ملوك حكموا في باد تابيرا لمدة ١٠٨,٠٠٠ عام .
٣- لاراك -Larak(g)- حكم إن سيباد زيد أنّا (إنسي باد زيد أنّا) --En-sipad-zid-anna- وفي قراءة ثانية -En-si-paz-id-anna- لمدة ٢٨,٠٠٠ عام ، ملك واحد حكم لمدة ٢٨,٠٠٠ عام .
٤- سيبار / زمبير -Sippar or Zimbir- حكم إن مين دور أنّا -En-men-dur-anna- وفي قراءة ثانية -En-med-ur-anna- لمدة ٢١,٠٠٠ عام ، ملك واحد حكم لمدة ٢١,٠٠٠ عام .
٥- شروباك -Shuruppak- حكم أوبار توتو -Ubara-Tutu- لمدة ١٨,٦٠٠ عام ، ملك واحد حكم لمدة ١٨,٦٠٠ عام .
ثم حدث الطوفان العظيم فغرقت كل البلاد ، وقد حكمت قبل الطوفان العظيم خمس سلالات ، حكمت جميعها في الإقليم البابلي (سومر وأكد) ، في هذه المدن الخمسة حكم ثمانية ملوك لمدة ٢٤١,٠٠٠ عام .
وفق النظرية التي أوردتها ، فإن المعنى سيكون ثمان سلالات في خمس مدن ، أما مدة حكمها فهيّ ٢,٤١٠ عام .

جدول سلالات ما بعد الطوفان -post-diluvian dynasties-

بعد الطوفان نزلت الملوكية ثانية من السماء وحلت في مدينة كيش ، أحدى مدن الضواحي لمدينة بابل الكبرى فيما بعد .

I- سلالة كيش -Kish I-
١- حكم كا أور أو كورا -Ga-Ur / Gura- لمدة ١,٢٠٠ عام
٢- كُولا نيدابا أنّا باد أو كولاس سينا بيل بحسب فنسنت -Kullassina-bel- حكم لمدة ٩٦٠ عام ، إن المعنى الآخر لما يعتقده بعض المترجمين أسماً للملك الثاني لسلالة كيش ليس إلا عبارة كتبها كتبة أثباتات الملوك يوضحون فيها عدم معرفتهم بأسم الملك الثاني والعبارة تعني (العلم عند إلهة الكتابة نيسابا أو نيدابا) .
٣- بلا كيم آتم -Pala Kim atim- حكم لمدة ٩٠٠ عام ، يسميه فنسنت إن تارح أنّا -En-tarah-ana-- بسنوات حكم مختلفة يجعلها ٤٢٠ عاماً وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ونصف اليوم ، كما يجعل تسلسله رابعاً أي بعد نن كش لي شما الذي يجعله ثالثاً في التسلسل !
٤- من (نن) كش لي شما -Man(Nan)Gish Li Shmma- حكم لمدة غير معروفة بحسب باقر ...؟ أما بحسب فنسنت فقد حكم لمدة ٦٧٠ عاماً !
٥- باخينا -Ba-khi-na- حكم لمدة غير معروفة بحسب باقر ... ؟ أما في قراءة فنسنت -Babum- فقد حكم لمدة ٣٠٠ عاماً .
٦- بو آنم -Bu an um- أو شر ري موم -Shir ri mum- حكم لمدة ٨٠٠ عام وبحسب فنسنت فإن بوآنوم -Puannum- قد حكم لمدة ٨٤٠ عام
٧- كليبوم -Kalibum- حكم لمدة ٩٦٠ عاماً .
٨- قلو موم -Qalu-mum- حكم لمدة ٨٤٠ عاماً بحسب باقر ومدة ٩٠٠ عام بحسب فنسنت .
٩- زو قاق إي بوم -Zu-qaq-i-pum- حكم لمدة ٩٠٠ عاماً .
١٠- أتاب أو آخ آب -Atab or Akh Ab- ويقرأ أيضاً آبا بحسب فنسنت ، حكم لمدة٦٠٠ عاماً .
١١- ميش دا أبن أتاب -Mish-da- حكم لمدة ٨٤٠ عاماً .
١٢- أروي أوم أبن ميشدا -Ar wi um- حكم لمدة٧٢٠ عاماً .
١٣- إيتانا (الراعي) -Et anna- حكم لمدة ١٦٥٠ عاماً وبحسب فنسنت ومعجم الأعلام ١٥٠٠ عاماً ، إيتانا صعد إلى السماء على متن نسر سماوي ثم عاد ليوطد حكم كل البلاد (النص في إسطورة إيتانا الراعي) .
١٤- بالخ -Balikh- أبن إيتانا ، حكم لمدة ٤٠٠ عاماً .
١٥- إينمي نوننا -En-me-nunna- حكم لمدة ٦٦٠ عاماً .
١٦- مي لام كيش -Me-lam-Kish- أبن إينمي نوننا ، حكم لمدة ٩٠٠ عاماً .
١٧- برسال نوننا -Bar-sal-nuna- أبن إينمي نوننا حكم لمدة ١٢٠٠ عاماً .
١٨- ميش زامك -Mesh-Zamug- أبن برسال نوننا ، حكم لمدة ١٤٠ عاماً .
١٩- تز قار -Tiz qar- أبن ميش زامك ، حكم لمدة ٣٠٥ عاماً .

٢٠- إيلكو -Il ku- حكم لمدة ٩٠٠ عاماً .
٢١- إيل تا شا دوم -Il ta sha dum- حكم لمدة ١٢٠٠ عاماً .
٢٢- إينمي برا كي سي -En-me(n)-bara ge-si- حكم لمدة ٩٠٠ عاماً (محطم جيوش عيلام) .
٢٣- أكا البطل -Agga- أبن إينمي برا كي سي ، حكم لمدة ٦٢٥ عاماً .
حكم سلالة كيش ٢٣ ملكاً لمدة ٢٤،٥١٠ وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ونصف اليوم . دحرت كيش وأنتقلت الملوكية إلى أي أنّا (أوروك) .
* من المرجح أن يكون عصر ميسالم الكيشي -Mesalim / Meshalim- الذي أتفق المؤرخون والآثاريون على أنه كان في حدود ٢٥٥٠ ق.م بمثابة آخر فترة حكم لملك من سلالة كيش الأولى هذه ، ومعلوم أن ملوك هذه السلالة يرجعون للكلدان الأوائل عرقاً ولغة ، كما أن ميسالم بحسب العديد من الإشارات المادية التاريخية يعد أول ملك تمكن من توحيد القطر العراقي القديم ، ولهذا كان مصطلح ملك كيش يعني في تلك العصور القديمة ملك كل القطر وبشكل مجازي ملك العالم .

II- سلالة أي أنّا -E-anna-
١- مس كيك كاشر -Mes-kig-gasher- أبن أوتو / شمش حكم لمدة ٣٢٤ عاماً ، ويطلق عليه لقب -En- الذي يعني الكاهن الأعلى والذي يجمع بين الوظيفتين الدينية والمدنية ، ومقطع -En- أينما يرد في أسماء الملوك الأوائل فإنه ليس جزءاً من الإسم ولكن صفة لأسم الملك ، وقد أشتهر مس كيك كاشر بوصوله إلى البحر وأرتقائه للجبال ، مخر البحر مرة أخرى ولم يعد .
٢- إين مر كار -En-mer-kar- أبن مس كيك كاشر وباني مدينة أوروك ، حكم لمدة ٤٢٠ عاماً .
٣- لو كال بندا الراعي -Lugalbanda- حكم لمدة ١،٢٠٠ عام .
٤- دموزي السماك (صياد السمك) -Dumuzi(d)- أصله من مدينة كو آ أو كو آرا -Ku-ara- حكم لفترة ١٠٠ عام ، تمكن بيديه العاريتين من القبض على إينمي برا كي سي .
٥- كلكامش أبن لولا -Gilgamesh (son of) Lulla- يستخدم فنسنت الصفة كان أباه شبحاً بدلاً عن الأسم (لولا) حارب البطل أكا وتصالحا ، حكم لمدة ١٢٦ عاماً .
٦- أور نن كال -Ur-Nungal- وفي ترجمات نادرة -Ur-lugal- أبن كلكامش ، حكم لمدة ٣٠ عاماً .
٧- أودول كالاما -Udul-kalama- أبن أور ننكال حكم لمدة ١٥ عاماً .
٨- لباشم أو لباشر -La-ba-shum or La-ba-sher- حكم لمدة تسعة (٩) أعوام .
٩- إين نن تارح أنّا -En-nun-tarah-ana- وفي قراءة باقر -En-nun-dar-ana- حكم لمدة ثمانية (٨) أعوام ، لاحظ أن الأسم تارح وهو أسم والد إبراهيم / بابن أوراهم كان مستخدماً آنذاك .
١٠- ميش إيدي أو ميش حي -Mesh-ede or Mish-he- الحداد ، حكم ٣٦ عاماً .
١١- ميلام أنّا -Melem-ana- حكم لمدة ست (٦) سنوات ، وهنالك قراءة مختلفة كلياً للأسم

وسنوات حكم مبالغ فيها .
١٢- لوكال كيدو -Lugal-kidu- حكم لمدة ٣٦ عاماً .
حكم سلالة أي أنّا ١٢ ملكاً لمدة ٢,٣١٠ عاماً ، ثم دحرت أي أنّا (المدينة الشرقية من أوروك الكبرى) وأنتقلت الملوكية إلى أور .

III- سلالة أور الأولى -Ur I-
١- ميش آني بدا -Mesh-Anne-padda- حكم لمدة ٨٠ عاماً . كان الإعتقاد سابقاً بأن هذا الملك هو الملك الشهير -M(e)i Shalim- ولكن المكتشفات الآثارية أبطلت ذلك .
٢- ميش كيك نونّا -Mesh-ki-ag-Nunna- حكم لمدة ٣٦ عاماً !
تؤكد الاثبات الملوكية التي جاءتنا من أور بأن آنيبدا -Anne-padda- هو الذي خلف والده -Mesh-Anne-padda- في الحكم ، مما يعطينا الإنطباع بأن -Mesh-Anne-padda- كان الأبن الأكبر لمؤسس السلالة ، ولا نعرف سبب عدم تضمين أسم آنيبدا ضمن ملوك هذه السلالة .
٣- إيلولو -Elulu- حكم لمدة ٢٥ عاماً .
٤- بالولو -Balulu- حكم لمدة ٣٦ عاماً .
أربعة ملوك حكموا هذه السلالة -Urim- لمدة ١٧٧ عاماً قبل أن تدحر وتنتقل الملوكية إلى أوان .

IV- سلالة أوان -Awan- (بالقرب من علي الغربي / محافظة ميسان)
١- حكم .... لمدة ....
٢- حكم .... لمدة ....
٣- حكم .... لمدة ٣٦ عاماً .
ثلاثة ملوك حكموا لمدة ٣٥٦ عاماً . (بسبب تشوه النص لم نتمكن من قراءة أسماء ملوك سلالة أوان) ، دحرت أوان وأنتقلت الملوكية إلى كيش .

V- سلالة كيش الثانية -Kish II-
١- حكم سوسودا ؟ -Susuda- قصّار الأقمشة لمدة ٢٠١ عام (٢١٠ عام عند باقر) ، لم يشر كريمر أو باقر إلى أسمه ضمن ملوك السلالة ، ورد أسمه ناقصاً في معجم الأعلام بشكل سو لاخ -Su-Lakh-?- وبسنوات حكم أمدها ٢٠١ عام . ويعتبره -Obsidian- الملك الشهير -M(e)i shalim-
٢- دا دا سك -Dadasig- لمدة ٨١ عاماً بحسب فنسنت . يشير باقر بأن هنالك من بين الباحثين من يعتقد بأن هذا الملك هو ذاته الملك الشهير -M(e)i shalim-
٣- ماماكال / ما كال كال لا -Mamagal or Ma gal gal la- السفان (البلام) حكم لمدة ٤٢٠ عاماً .
٤- كالبوم -Kalbum- أبن ماماكال حكم لمدة ١٣٢ عاماً .
٥- توكي -Tuge- ؟ حكم لمدة ٣٦٠ عاماً .

٦- مي نونّا -Me-nunna- أبن توكي حكم لمدة ١٨٠ عاماً .
٧- لو كال مو -Lugal mu- حكم لمدة ٤٢٠ عاماً .
٨- إبّي أيا / إبي ني .. -Ibbi Ea or I bi ni.. - حكم لمدة ٢٩٠ عاماً .
ثمانية ملوك حكموا لمدة ٣,١٩٥ عاماً ، في بعض الترجمات وردت أسماء الملكين السابع والثامن متبادلة في التسلسل بحسب -TL ,N١+mss. L١- ، دحرت سلالة كيش وأنتقلت الملوكية إلى سلالة خمازي أو حدانش -Hadanish- .

VI- سلالة حمازي أو خمازي -Khamazi-
١- حكم حادانش أو آنش -Hadanish- لمدة ٣٦٠ عاماً .
ملك واحد حكم لمدة ٣٦٠ عاماً ، دحرت خمازي فأنتقلت الملوكية ثانية إلى أوروك -Unug- بحسب اللفظ المقطعي .

VII- سلالة أوروك الثانية -Unug or Uruk II-
(في عهد هذه السلالة كانت أوروك تتألف من المدينة الشرقية أي أنّا والمدينة الغربية كولابا)
١- إن شاكوش أنّا -En-shakaush anna- بحسب المعجم حكم لمدة ٦٠ عاماً ، لا يذكر أسمه باقر وكريمر وإنما جاء لدى فنسنت بصيغة إن شاك أنشا .
٢- لوكال أوري -Lugal-ure- حكم لمدة ١٢٠ عاماً . أما المصدر -BT١٤+ms. P٣- فيذكره بأسم لوكال كينيشي دودو -Lugal-kinishe-dudu- .
٣- أركن ديا -Argandea- والمرجح أن يكون أسمه -Arga na da ea- أو -Arga na-de a- ، حكم لمدة سبع (٧) سنوات وقد أورده معجم الأعلام بصيغة لوكال كيزال شي -Lugal ki zal shi- .
ثلاثة ملوك حكموا هذه السلالة لمدة ١٨٧ عاماً ، دحرت أوروك وأنتقلت الملوكية إلى أور -Urim- .

VIII- سلالة أور الثانية -Ur II-
١- ناني -Nani- حكم لمدة ١٢٠ عاماً (٦٦ عاماً) ، يقدمه معجم الأعلام بأسم لوكال كينيشي دودو -Lugal-kinishe-dudu- الذي يرد أسمه في أثبات سلالة أوروك الثانية .
٢- ميش كي آك ننار أبن ناني -Mesh-ki-ag-Nannar- بحسب فنست ، فيما يورده معجم الأعلام بصيغة -Lugal ki zal shi- وهو ذات الأسم الذي يحمله ثالث ملوك سلالة أوروك الثانية ، وقد حكم لمدة ٤٨ عاماً .
٣- ... كي -... gi- أبن .... حكم لمدة (٢) عامين . يورد المعجم ملكاً رابعاً هو كا كو -ka-ku- والمرجح أن يكون ذات الملك (... كي) الذي حكم لمدة عامين ، ومما يؤكد ذلك أن باقر وكريمر وفنسنت وغيرهم من باحثين ومصادر أكاديمية لم تذكر سوى ثلاثة ملوك لسلالة أور الثانية ، كما أن كا كو لم يرد في المعجم إلا بسبب إندحاره أمام سلالة أكد ممثلة بالملك ريموش -Rimush- أبن الملك شاروكين .

ثلاثة ملوك حكموا لمدة ١١٦ عاماً ، دحرت أور فأنتقلت الملوكية إلى -Adab- .

IX- سلالة أدب -Adab-

١- لوكال آني موندو -Lu-gal-ane-mun-du- حكم لمدة ٩٠ عاماً .

ملك واحد حكم لمدة ٩٠ عاماً . دحرت سلالة أدب وفي ترجمات أخرى خربت أدب وأنتقلت الملوكية إلى ماري .

X- سلالة ماري -Mari-

١- إيلشو / أنبو بحسب باقر / فنسنت -Ilshu / Anbu- حكم لمدة ٣٠ عاماً ، يذكره المعجم أيضاً بأسم آن سود -An-sud- .

٢- .... / أنبو بحسب باقر / فنسنت -.... / Anbu- حكم لمدة ١٧ عاماً ، يذكره المعجم أيضاً بأسم لوكال تار زي -Lu-gal-tar-zi- .

٣- .... / بازي صانع الجلود (الدباغ) بحسب باقر / فنسنت -.... / Bazi- حكم لمدة ٣٠ عاماً ، يذكره المعجم بأسم لوكال .... -Lugal-....-

٤- .... / زيزي قصّار الأقمشة بحسب باقر / فنسنت -.... / Zizi- حكم لمدة ٢٠ عاماً ، يسميه المعجم لوكال .... -Lugal-....-

٥- .... / ليمير بحسب باقر / فنسنت -.... Limer/- وهو كاهن كودو -Gudu- حكم لمدة ٣٠ عاماً ، يسميه المعجم بي موش ماشو -Bi-mush-mashu- وهذه التسمية على ما يبدو وظيفة دينية معروفة في الإقليم البابلي وتعني (المعزم أو طارد الأرواح الشريرة) ومما يدعم هذا الرأي ، أن هذا الملك كان بالأصل كاهناً .

٦- .... / كاروم إيتير بحسب باقر / فنسنت -.... / Karrum-iter- حكم لمدة تسع سنوات ، أما المعجم فيورده ناقصاً بأسم ني أو أوكا -Ni / Uga-

ستة ملوك حكموا هذه السلالة لمدة ١٣٦ عاماً . دحرت ماري وأنتقلت الملوكية إلى كيش (تقع اليوم هذه المدينة العراقية ضمن الحدود السورية) .

XI- سلالة كيش الثالثة -Kish III-

١- كوباو أو كوبابا يسميها فنسنت كوك باو -Kug-Bau- ، حكمت هذه الملكة (صاحبة حانة بالأصل) لمدة ١٠٠ عام ، أول ملكة في التاريخ .

ملكة واحدة تنتمي للكلدان الأوائل حكمت لمدة ١٠٠ عام ، دحرت كيش وأنتقلت الملوكية إلى أكشاك .

XII- سلالة أكشاك -Akshak- (بين بغداد والعزيزية)

١- أونزي -Unzi- حكم لمدة ٣٠ عاماً .

٢- أون دالولو -Undalulu- حكم لمدة ١٢ عاماً .

٣- أورورو -Ururu- حكم لمدة ٦ أعوام .

٤- بوزر نيراب -Puzur-Nirab- حكم لمدة ٢٠ عاماً .

٥- إيشو إيل -Ishu-Il- حكم لمدة ٢٤ عاماً .
٦- شو سين -Sh-Suen / Shu-Sin- أبن إيشو إيل ، حكم لمدة ٧ أعوام .
ستة ملوك حكموا لمدة ٩٩ عاماً ، خربت بعدها أكشاك وأنتقلت الملوكية إلى كيش .

XIII- سلالة كيش الرابعة -Kish IV-
١- بوزر سين -Puzur Sin- أبن الملكة كوباو / كوبابا ، حكم لمدة ٢٥ عاماً .
٢- أور زبابا -Ur-Zababa- أبن بوزر سين ، حكم لمدة ٤٠ عاماً .
٣- شيمو دررا -Shimu-darra- ، حكم لمدة ٣٠ عاماً ، يذكره فنسنت بأسم زيكو إياكي -Zigu-iake- .
٤- أوشي وتر بحسب باقر -Ushi-watar- وأبسي وتر بحسب فنسنت -Ubsi-watar- ، أبن شيمو دررا حكم لمدة ٧ أعوام .
٥- عشتار موتي -Ishtar-muti- حكم لمدة ١١ عاماً .
٦- نانّيا -Nanniya- النحات (ناحت الحجارة) حكم لمدة ٧ أعوام .
سبعة ملوك حكموا لمدة ٤٩١ عاماً ، دحرت كيش وأنتقلت الملوكية للمرة الثالثة إلى اوروك -Unug- .

XIV- سلالة أوروك الثالثة -Unug or Uruk III-
١- لوكال زاكيزي وأسم أبيه بوبو -Lugal Zage-si son of Bubu- عرف بالبطولة وكان أوائل الملوك الذين سعوا لتوحيد وادي الرافدين بشطريه الوسطجنوبي والشمالي ، حكم لمدة ٢٥ عاماً ، وهو أصلاً من مدينة أوما لكنه أستقر في أوروك بعد سيطرته عليها .
ملك واحد حكم لمدة ٢٥ عاماً . دحرت أوروك وأنتقلت الملوكية إلى أكد -Akkad or Agade- السلالة الخامسة عشر -XV- حيث حكم أحد عشر ملكاً لمدة ١٩٧ عاماً ، دحرت أكد وأنتقلت الملوكية إلى اوروك (حول ملوك سلالة أكد انظر سلالات الإقليم البابلي منذ عهد ميشالم) .
XVI- سلالة أوروك الرابعة -Uruk IV-
١- أور نكن -Ur-nigin- حكم لمدة ٧ أعوام .
٢- أور كيكر -Ur-gigir- أبن أور نكن ، حكم لمدة ٩ أعوام .
٣- كودّا -Kudda- حكم لمدة ٦ أعوام .
٤- بوزر إيلي -Puzur-ili- حكم لمدة ٥ سنوات .
٥- أور اوتو -Ur-utu- حكم لمدة ٦ أعوام .
خمسة ملوك حكموا لمدة ٣٠ سنة . دحرت أوروك ، غزا الكوتيون البلاد وأسسوا سلالة أجنبية -Gutium- هيّ السلالة السابعة عشر -XVII- ، كان حكمها محدداً بمناطق محدودة ، فحكم ١٢ ملكاً لمدة ٩١ عاماً ، وتمكن أوتو خيكال من طرد الكوتيين وتأسيس سلالة وطنية جديدة في أوروك .

XVIII- سلالة أوروك الخامسة -Uruk V-

١- أوتوخيكال -Utu-khegal- حكم لمدة ٧ أعوام و ٦ أشهر و ١٥ يوماً .
ملك واحد حكم لمدة ٧ أعوام و ٦ أشهر و ١٥ يوماً . دحرت أوروك وأنتقلت الملوكية إلى أور -Urim-

XIX- سلالة أور الثالثة -Ur III-
١- أورنمو -Ur-nammu- حكم أورنمو لمدة ١٨ عاماً ٢١١٢-٢٠٩٥ ق.م ، تشير العديد من الدراسات إلى أن أور نمو هو شقيق الملك أوتوخيكال .
٢- شولكي -Shulgi- أبن أورنمو ، حكم لمدة ٤٦ عاماً ٢٠٩٤-٢٠٤٧ ق.م
٣- آمر سين -Amar-sin / Amar-suen- أبن شولكي ، حكم لمدة ٩ أعوام ٢٠٤٦-٢٠٣٨ ق.م
٤- شو سين -Shu-sin- أبن آمر سين ، حكم لمدة ٩ أعوام ٢٠٣٧-٢٠٢٩ ق.م
٥- إبّي سين -Ibbi-sin- أبن شو سين ، حكم لمدة ٢٥ عاماً ٢٠٢٨-٢٠٠٤ ق.م
دحرت أور من قبل العيلاميين وأنتقلت الملوكية إلى إيسن -Isin- حيث تأسست السلالة العشرون -XX- وفق أثبات الملوكية (Nam-Lugal) ، وبنهاية سلالة إيسن ينتهي سجل أثبات الملوكية التي سجلت حكم ٢٠ سلالة كان مجموع ملوكها ١٢٨ ملكاً .

سلالات مهمة لم يدخلها كتبة الإثباتات في جداول السلالات القديمة

بغض النظر عن عدم نشوء سلالات حاكمة في المدينة المقدسة نيبور / نفر -/ Nippur Niffer also Nuffer- بسبب من كونها مدينة دينية ومركز عبادة الإله إنليل ، حيث كان جميع الملوك يقصدونها لزيارة معبده والحصول على شرعيتهم لحكم البلاد ، وذلك قبل أن تعطي دورها الرئيس هذا لبابل إبان عهد السلالة البابلية الأولى ، مع ذلك بقيت نيبور مدينة دينة صرفة ومصدراً للممارسات الدينية وجامعة للعلوم والثقافة ومكتبة عامرة بالسجلات والمدونات المتنوعة ، وإن لم تدرج نيبور ضمن جدول السلالات الحاكمة القديمة لأنها لم تعرف أصلاً مثل هذه السلالات ، فإننا لا نعرف مبرر عدم إدخال سلالات لجش -Lagash- من قبل كتبة أثبات الملوكية الشهير والمعروف بتسميته الحديثة (أثبات الملوك السومرية) وهيّ تسمية غير دقيقة لإحتواء الثبت على سلالات تنتمي للكلدان الأوائل علاوة على سلالة أجنبية (السلالة الكوتية) .
والحقيقة فقد كشفت التنقيبات التي أجراها الفرنسيون في الإقليم البابلي وبخاصة فرانسواز ثور دانجن -Francois Thureau Dangin- صاحب المؤلف الشهير (كتابات سومر وأكد ١٩٠٥م) عن وجود سلالات تزامنت مع تلك التي وردت في أثبات الملوكية ، وبرغم حضورها المؤثر والمهم فقد تم تجاهلها أو عدم إدراجها في أثبات الملوكية ، علماً أن هنالك آراء تفيد بأن كتبة لجش أمتنعوا عن تزويد كتبة أثبات الملوكية بأسماء ملوكهم بسبب نزعتهم الإستقلالية .
ومهما يكن الأمر فإن أهم تلك السلالات التي لم يرد ذكرها في أثبات الملوكية هيّ سلالة لجش وسلالة أوما -Umma- (تل جوخة) ، وقد كانت مملكة لجش التي تقع مدنها في دائرة

محيط ناحية الشطرة ونهر الغراف الحاليين وتشغل مساحات زراعية واسعة ، مملكة عامرة أشتهرت بمدينتها الواسعة كرسو -Girsu- أي تلو -Tello- الحالية والتي جاءتنا منها العديد من السجلات ، وتقع كرسو على مسافة ١٦ كيلومتراً شرقي مدينة الشطرة على نهر الغراف ، ومن مدن مملكة لجش الشهيرة مدينة لجش / أورو كوك -Lagash / Uru-kug- ، ومن أسم العاصمة لجش جاء أسم المملكة والسلالة ، وبديهي أن أسم أوروكوك والذي يعني (المدينة المقدسة) قد لا يكون إلا صفة لمدينة لجش الواقعة في منطقة تلول الهباء --Al -Hiba .

ومن مدن مملكة لجش أيضاً مدينة نينا / سرارا -Nina / Sirara- في منطقة سرغل -Sarghal- ، ومع أن سلالة لجش تبدأ بالملك أور نانشة ، إلا ان السجلات التي حصلنا عليها تورد ذكر ملوك أقدم عهداً وتسجل مآثرهم ، ومنهم الملك إين خيكال -En-khegal- الذي وصلنا منه لوح إداري حجري سجل فيه تفاصيل الأراضي الزراعية التي قام بشرائها ، ولكن أخبار خلفائه تختفي حتى نصل إلى الملك لوكال شاك أشكور أو لوكال شاك إنكور -Lugal shag engur- الذي ذكره ملك كيش الشهير ميشالم ، مما يجعلنا نتوقع أن فترة حكمه لمملكة لجش كانت قبل جيل أو جيلين من بدء فترة حكم سلالة أور نانشة ، أي في حدود ٢٥٧٠ ق.م .

أما بالنسبة لمدينة أوما المتاخمة لحدود مملكة لجش ، فقد عاشت هذه المملكة صراعاً حدودياً مع لجش من ناحية وحرب مياه من ناحية أخرى معها ، وذلك لوقوع أوما في أعلى مصادر المياه التي تمد المملكتين ، وقد تواصل هذا الصراع بينهما لما يزيد على مائة عام ، أتصفت معظمها بالإندحارات المتواصلة لمملكة أوما ، لكن ملك أوما الشهير لوكال زاكيزي حسم هذه الحرب الطويلة الأمد في معركة خاطفة قضى فيها على مملكة لجش .

وجدير بالذكر أن أقدم ملك ورد أسمه في أوما هو أيا بوزر -Ea puzur- وهو أسم غير سومري وإنما ينتمي للكلدان الأوائل مثله مثل أسم والد لوكال زاكيزي المدعو بوبو ، لذلك نرى أن سلالة أوما لا تبدأ بالملك أيا بوزر وإنما بالملك كش أو أوش -Gish / Ush- ، بسبب من كون ملك كيش الشهير ميشالم هو الذي قام بتقسيم الحدود بين المملكتين في المعاهدة الشهيرة المسماة -Gu Edina- مما يدفعني للإعتقاد بأن كلتا المملكتين كانتا تابعتين لكيش ، وأن ايا بوزر هذا لم يكن إلا حاكماً معيناً من قبل ملك كيش ، علماً أن تسمية كيش في العراق القديم كانت مرادفة لملك القطر بمعنى كامل إقليم شومر وأكد (إقليم بابل) ، وإليكم جدولاً لحكام السلالتين :

I- سلالة لجش -Lagash- (ناحية الشطرة) ٢٥٧٠-٢٣٤٢ ق.م

١- أور نانشة -Ur-Nanshe- أبن كونيدو -Um- حكم لمدة ٣٠ عاماً ٢٤٩٤-٢٤٦٥ ق.م

٢- آكور كال -Akurgal- حكم للفترة ٢٤٦٤-٢٤٥٥ ق.م

٣- إي أنّاتم -E anna tum- (عم الملك إنتيمينا) ٢٤٥٤-٢٤٢٥ ق.م ، بدأ هذا الملك مفاوضات حدود دائمية مع أوما ، أمتد سلطانه إلى ماري ومستوطنات شوبارو الزراعية

٤- إن أنّاتم الأول -En anna tum I- (شقيق الملك إنّاتم) ٢٤٢٤-٢٤٠٥ ق.م

٥- إنتيمينا -En temena- أبن إن أنّاتم ، ٢٤٠٤-٢٣٧٥ ق.م ، أكمل حوار الحدود مع أوما

، أمر بحفر نهر الحي بين دجلة والفرات ، أشتهر في عهده الكاتب الوزير دودو -Dudu-
٦- إن أنّاتم الثاني -En anna tum II- أبن إنتيمينا ٢٣٧٤-٢٣٦٥ ق.م
٧- إين تارزي -En(en)-tarzi- كان من طبقة الكهنة ، أتسمت فترة حكمه ٢٣٦٤-٢٣٥٩ ق.م ببداية تدهور لجش سياسياً بسبب فساد الكهنة وإبتزازهم للعامة وجمع الثروات
٨- لوكال أندا -Lugal-anda- كان كاهناً أيضاً ، أتصفت فترة حكمه ٢٣٥٨-٢٣٥٢ ق.م بتدخل زوجته بارانامترّا -Baranamtarra- بشؤون الحكم
٩- أور إنيم كينا كان يقرأ سابقاً أوركاجينا --Uru(inim)enem-gina (Previous) Uru-ka-gina- ملك وكاهن ومصلح إجتماعي كبير قضى عليه ملك أوما لوكال زاكيزي في حرب خاطفة ، دام حكمه لمدة تسعة أعوام تقريباً ٢٣٥١-٢٣٤٢ ق.م ، كانت زوجته شاشا -Shasha- تتمتع بمنزلة عالية ، تميز عهد كوديا بمحاربة الفساد وكف يد الكهنة عن إبتزاز الشعب وكف يد الملاكين من مصادرة قوارب الصيادين والملاحين وقطعان المزارعين ، كما أتصف هذا الملك بالرحمة والعفو عن الملاحقين بالديون / وأوجد قانوناً يحمي الضعفاء والمعوقين ، كما أبطل العديد من الضرائب التي سنت في السابق بتأثير من الكهنة والتي كانت تثقل كاهل الشعب .

مرحلة أمراء لجش -Ensis of Lagash- الفترة ٢٢٣٠-٢١١١ ق.م

تمتع حكام لجش الأوائل بالتسمية لوكال السومرية والتي تعني الملك ، لكن بعد قضاء لوكال زاكيزي على آخر ملوك سلالة لجش أورإنيم كنا الشهير بالأسم القديم أوركاجينا أصبحت لجش تابعة لكيش ثم تابعة لإمبراطورية أكد ، وخلال تلك الفترة حمل حكام لجش المحليين تسمية أمير -Ensi- أو لقب الحاكم المحلي -Umma- ويقابله في البابلية -Ish shak-kum- ومن هؤلاء الحكام بحسب معجم الأعلام : كي كو إيد -Ki ku ed- وإين كي لا -En-ki la- وأورا -Ura- ، وبعد إسقاط الكوتيين -Guti- لإمبراطورية أكد ، حكم في لجش ثلاثة عشر حاكماً تباينوا في مستوى حكمهم وتأثيرهم في إقليم بابل حتى أصبحوا جزءاً من إمبراطورية أور الثالثة ، ثم صارت لجش واحدة من مدن الإقليم البابلي التي خضعت لكافة المتغيرات التي طرأت على الإقليم حتى فقدان الإستقلال السياسي بعد نهاية الحكم الأمبراطوري الوطني أي الإمبراطورية البابلية الحديثة -Neo Babylonian Empire-
وهؤلاء الحكام هم :

١- لوكال أوشوم كال -Lugal ushum gal- في حدود ٢١٠٠ ق.م
٢- بوزر ماما -Puzur mama-
٣- أور أوتو -Ur-Utu-
٤- أور ماما -Ur-mama-
٥- لو بابا -Lu-Baba-
٦- لوكالا -Lugala-
٧- كاكوك -Kakug-
٨- أور بابا -Ur-Baba-
٩- كوديا -Gudea-

١٠- أورننكرسو -Ur-Ningirsu-
١١- أوك مي -Ugme-
١٢- أور كار -Ur-gar-
١٣- نما خني -Namma khni-

II- سلالة أوما -Umma- (تل جوخة)
حكمت سلالة أوما في منتصف الألف الثالث ق.م / فجر السلالات الثالث ، ومن ملوكها القدماء أيا بوزر -Ea puzur- أما تسلسل ملوكهم السلالي فهو :
١- أوش أو كش -Ush / Gish- نقض معاهدة الحدود التي أبرمها إلهي لجش / ننكرسو وأوما / شارا ، وأزال نصب ميشالم وغزا لجش في عهد الملك إي أنّاتم .
٢- إناكالي -Ena kalli- حكم بعد قضاءٍ إي أنّاتم على الملك أوش ، قبل بالصلح مع لجش وأن يحفر قناة بديلة تزود أوما بالمياه بدلاً من المصدر الذي يزود لجش .
٣- أور لومّا -Urlumma- نقض الصلح من جديد وحارب إناأنّاتم الأول ودمر الأنصاب ومنها نصب ميشالم الذي كان خلفه قد أعاد نصبه على الحدود ورماه في النار .
٤- إيل .. (ي) -Il .. i- كان كاهناً في أوما ، أستلم الحكم بعد قضاء إنتيمينا على عمه أور لومّا .
٥- كش آك كيدو / أو- كوش -Gish-akkidu - يرد أسمه في المعجم بصيغة -U-Kush-
٦- بوبو -Bubu- وهو والد لوكال زاكيزي ، وقد كان كاهن الإلهة نيسابا -Nisaba- يساعده في الكهانة أبنه لوكال زاكيزي .
٧- لوكال زاكيزِي -Lugal-zagesi son of Bubu- أبن بوبو ٢٣٤٠-٢٣١٦ ق.م ، دمر لجش دماراً رهيباً رددته الأجيال في العديد من مرثيات المدن ، ومنها مرثية تستنزل على لوكال زاكيزي لعنات الآلهة الكبار لما أوقعه بلجش من خراب ، هجر أوما وأستقر في أوروك حيث أسس سلالة أوروك الثالثة ، وبه تنتهي سلالة أوما ، حمل لقب ملك كيش بعد إستيلائه عليها ، وملك كيش كما أشرت سابقاً كان يعني في العراق القديم ملك كل البلاد ، ويعتبر لوكال زاكيزي أول ملك تمكن من توحيد كامل القطر العراقي بعد ميشالم ، بل أن البعض من الباحثين يعتبره أول إمبراطور في التاريخ بدلاً من سرجون الكلدي ملك أكد ، وهو ما لم تثبته الوثائق المادية ، علماً أن كلا الملكين ينحدران عن الكلدان الأوائل .

III- سلالة كيش الخامسة -Kish IV-
١- أشدوني أرين -Ashduni arin-
٢- مانانا -Manna-na-
٣- سومو ديتانا -Sumu-ditana-
٤- يابيئم / ياويئم -Yawium-

I- عصر فجر السلالات الثاني أو عصر مي شالم -M(e)i shalim Period-
من المعروف أن إنمين براكيسي -En-me(n)-bara-ge-si- الملك رقم ٢٢ في سلالة كيش الأولى قد حكم بحسب ما جاءت به البحوث الآثارية خلال السنوات ٢٦٣٠-٢٦٠٠ ق.م وهيّ فترة حكم تتميز بواقعيتها قياساً بما ورد في أثبات الملوكية ، ثم خلفه في الحكم البطل الشهير أكا -Agga- أبن إينمين براكيسي الذي حاول غزو أوروك في عهد ملكها الذي نسجت حول بطولاته الأساطير كلكامش -Gilgamesh- ، وبعد كر وفر بين البطلين أتفقا على الصلح والصداقة ، لكن آخر ملوك سلالة إيتانا الراعي (سلالة كيش) دحر من قبل ملك أور ميش آني بدا -Meshanepada- مؤسس سلالة أور الأولى ، وبعد موت مؤسس سلالة أور الأولى تصدرت أوروك قائمة ممالك شومر وذلك في عهد بطلها الأسطوري كلكامش .
يسمي العلماء والباحثون التاريخيون الفترة التاريخية ٢١٠٠ ق.م بفترة ما قبل العهد البابلي القديم -Pre-Old Babylonian Period- ، لكن الوقائع التاريخية ذاتها والمستمدة من خارج منطقة بابل المدينة تؤكد عدم دقة هذا التاريخ أو التسمية التي تم تبنيها وذلك لسببين :
١- أن مفهوم بابل لدى الآثاريين يحمل تأويلين ، أولهما متعلق بالإقليم ككل وثانيهما بالمدينة كعاصمة لسلالات حاكمة ، ويتعارض التأويلان تاريخياً وموقعياً ، فمن ناحية الإقليم فإن كيش المدينة الضاحية في مفهوم بابل الكبرى كانت هيّ أولى مدن ما بعد الطوفان وتعود وفق الحسابات التاريخية إلى عهود أسبق من عصر طور جمدة نصر ، وهو ما يتنافى وإعتبار التاريخ ٢١٠٠ ق.م فترة لما قبل العهد البابلي ، لأن تواجد بابل إعتماداً على تواجد ضواحيها وتسمياتها المبكرة يسبق هذا التاريخ بأكثر من ألف عام في أقل تقدير .
٢- أن تدمير سنحاريب لمدينة بابل بواسطة مياه نهر الفرات أدى إلى إرتفاع مستوى المياه الجوفية لمدينة بابل وحرمنا من التنقيب والوصول إلى الأرض البكر للمدينة والتي يتجاوز عمرها قياساً بمدن الضواحي المجاورة مثل كيش وسبار بضعة آلاف من السنين ، ومما يؤكد ذلك اللقى التي حصلنا عليها في فترة إنخفاض مستوى المياه الجوفية للمدينة أثر حبس مياه نهر الفرات عن العراق في السنوات ١٩٧٤-١٩٧٧ م وهو الإجراء التعسفي الذي أقره الرئيس السوري السابق حافظ الأسد وتم إلغاؤه أواخر عام ١٩٧٧م ، وبسبب إنحباس مياه نهر الفرات تمكنت فرق التنقيب من الوصول إلى أعماق لم تتمكن من الوصول إليها من قبل ، مما لا يدع مجالاً للشك حول قدمية بابل المدينة ، وبخاصة إذا ما أعتمدنا تحليل المنجزات الأدبية التي وصلتنا من مدن الجوار ، وهو ما يعني عدم دقة التاريخ ٢١٠٠ ق.م بإعتباره تاريخاً لحقبة ما قبل بابل ، ولعل ورود أسم بابل كمدينة مقدسة في عهد شروكين الكبير إمبراطور أكد خير مثال على ما نذهب إليه .
في حدود ٢٥٥٠ ق.م تمكنت كيش من فرض سيطرتها ليس على مدن الإقليم البابلي حسب ، بل تمكنت من مد سلطانها شمالاً حتى جبال طوروس -Taurus- وجنوباً حتى بحر الكلدان / البحر الأسفل وشرقاً حتى جبال زاكروس -Zagros- وغرباً حتى سلالة ماري والمناطق التي تتبعها ، وبمعنى آخر الحدود التقليدية لعموم وادي الرافدين القديم .
ومع إن ملك سلالة أدب -Adab- البطل لوكال آني موندا -Lugal-ane-munda- كان

قد مهد لمثل هذا الإنجاز الكبير ، إلا أن هذا لم يتحقق إلا في عهد الملك الشهير ميشالم -Me(i)shlim- وذلك في عصر فجر السلالات الثاني / عهد الكلدان الوسيط ، أو كما يطلق عليه عصر ميشالم ، وهو العصر الذي عادت فيه حضارة الكلدان الأوائل بالتألق ثانية ، متجاوزة حقبة تناهز على ثلاثة قرون تركت فيها موقع الصدارة للثقافة واللغة السومرية ٢٩٠٠-٢٥٥٠ ق.م .

ومع أن مملكة لجش قد قدمت العديد من المنجزات السومرية الرائعة ، لكن سلة السومريين على ما يبدو لم تعد حبلى بالمفاجآت ولو إلى حين ، وهكذا نجد ملك أوما الذي ينحدر عن الكلدان الأوائل لوكال زاكيزي أبن بوبو يقضي في حرب خاطفة على سلالة لجش على عهد المصلح الإجتماعي الكبير أوروإينمكينا -Uruinimgina- وليكون الحاكم الأعظم على وادي الرافدين .

لكن ذلك الوضع لم يستمر طويلاً ، إذ تمكن الملك الشاب شروكين (سرجون) من دحر لوكال زاكيزي وتأسيس سلالة وطنية جديدة تنتمي للكلدان الأوائل لغة وثقافة عرفت بسلالة أكد أو الإمبراطورية الأكدية ، ولتتوالى سلالات الإقليم البابلي واحدة بعد أخرى وعلى النحو التالي :

II- سلالة أكد -Akkad also Agade- (مركزها الإداري دور شروكين البابلية) ٢٣٣٤-٢١٥٤ ق.م

١- سرجون / شاروكين -Sargon / Sharru kin- أول إمبراطور في التاريخ ٢٣٣٤-٢٢٧٩ ق.م

٢- ريموش -Rimush- الأبن الأصغر لسرجون ٢٢٧٨-٢٢٧٠ ق.م

٣- مانيش توسو / مانيس توشو (مانيس) -Manish-tusu- أبن سرجون ٢٢٦٩-٢٢٥٥ ق.م خلف أخاه الأصغر ريموش ، نشرت حوله دراسة حديثة للبروفيسور البريطاني ل. أز وادل -L. A. Waddell- أورد فيها الباحث أدلة تثبت أن مانيس توشو الذي سيطر على مناطق من أفريقيا الشمالية وإثيوبيا بحسب المصادر الرافدية هو نفسه فرعون قبطا الأجنبي مانس أو منس -Minos- أقدم فراعنة مصر ومؤسس الدولة المصرية القديمة .

٤- نرام سين -Naram-sin- ويعني أسمه محبوب الإله سين / ننار ٢٢٥٤-٢٢١٨ ق.م ، حفيد سرجون وثاني أعظم ملوك سلالة أكد ، أوجد بدعة ألوهية ملوك أكد والتي نشرها سلفه مانيش توسو في مصر ، أستخدم لقب ملك الجهات الأربعة الخاص بآلهة وادي الرافدين ، وطد حكم أكد كأمبراطورية عظيمة وشاسعة .

٥- شار كلي شري -Shar-kali(kuleh)shrri- ومعنى أسمه ملك كل الملوك ٢٢١٧-٢١٩٣ ق.م ، أبن نرام سين ، في عهده أنفصلت عيلام عن أكد ، غزو الكوتيين للعاصمة أكد ونهبها .

٦-٩ - أربعة ملوك حكموا لمدة ثلاث سنوات مضطربة ٢١٩٢-٢١٩٠ ق.م ، تذكرهم جداول الملوكية بعبارة من كان الملك فعلاً -Who indeed was king- يأتي أسم إيكيكي أولاً -Irgigi- ثم أسم إيمي -Imi- فأسم ننوم -Nanum- ولكن في المصدر -L١ .N١+in mss, Su٤+Su٣, Imi and Nanum are in reverse order- يأتي التسلسل عكسياً ، وأخيراً

يأتي أسم إيلولو -Ilulu- تذكره جوان أوتس بصيغة إيلودان -Ilul-dan- .
١٠- دودو -Dudu- حكم لمدة ٢١ عاماً ٢١٨٩-٢١٦٩ ق.م ، لم يتعد حكمه منطقة أكد وذلك بسبب مزاحمته من قبل الغزاة الكوتين .
١١- شو دورول -Shu-durul- أبن دودو ٢١٦٨-٢١٥٤ ق.م ، إستعاد من الغزاة الكوتيين منطقة إشنونا ، أنتهى النفوذ الأكدي وأنتقلت الملوكية إلى أوروك -Unug / Uruk- حيث حكم ملك واحد هو أوتوخيكال -Utu-khegal- محرر العراق القديم من الكوتيين ، وبعد موته غرقاً أثناء إشرافه على بناء أحد السدود ، أنتقلت الملوكية إلى سلالة أور الثالثة -Ur-III- التي أوردتها ضمن أثبات الملوكية ، حيث حكم فيها خمسة ملوك ، يمثل عهدهم عصر أزدهار الثقافة السومرية الأخير ، دحرت إمبراطورية أور من قبل العيلاميين -Elamite- فأنتقلت الملوكية إلى إيسن -Isin- حيث تمكن إيشبي إيرا -Ishbi-erra- من طرد العيلاميين وتأسيس سلالة وطنية جديدة .

السلالات الحاكمة في العهد الوطني البابلي القديم

نشأت أثر طرد العيلاميين من البلاد أكثر من عشر سلالات حاكمة ، أسسها العموريون المشرقيون المنحدرون عن الكلدان الأوائل ، وهذه السلالات هيّ : إيسن ومؤسسها هو إيشبي إيرّا ولارسا ومؤسسها نابلانوم وبابل ومؤسسها شومو آبم وإيشنونا ومؤسسها إيليشو إيليا وماري ومؤسسها يكديلم وآشور الأولى ومؤسسها شمشي أدد الأول وأوروك السادسة ومؤسسها سين كاشد ودور آنو -Dur Anu- أي بدرة الحالية / الدير ومؤسسها ندنوشا الذي أدعى الألوهية وسلالة كيش ومؤسسها آشدوني آرام -Ashduni-Arm- وسلالة ملكيئوم / واسط عند مصب نهر النهروان ومؤسسها هو تاكل إيليشو وسلالة مدينة يموت بعل المتاخمة لإيشنونا وسلالة سيبار ولا نعرف أسم مؤسسها الذي كان شيخ قبيلة يخرورم العمورية ، لكن ثاني ملوكها هو أميروم وهنالك سلالات أخرى أقل أهمية .
أدرج هنا أهم السلالات العمورية / الكلدان القدماء حسب تسلسل تاريخ هيمنتها على الإقليم وليس بحسب تاريخ تأسيسها ، وقد أستثنيت من السلالات الرئيسة المذكورة هنا السلالة السادسة وهيّ سلالة آشور الوطنية الأولى التي أسسها شمشي أدد الأول حيث كنت قد أوردتها ضمن التسلسل السلالي لشمال وادي الرافدين ، كما نشأت آنذاك سلالات هامشية أكتفت بمساحات ضيقة من الأرض وسرعان ما ضمها حمورابي -Hammurabi- إلى إمبراطوريته .

III- سلالة إيسن -Isin I- (إيشان بحريات)* ٢٠١٧-١٧٩٤ ق.م
١- إيشبي إيرّا -Ishbi-Erra- مؤسس السلالة ٢٠١٧-١٩٨٥ ق.م أصله من مدينة ماري عمل في خدمة ملك أور إبّي سين -Ibbi-Sin- ثم أستقل عنه وراحِ يتعامل معه كحليف لكنه كان يأمل أن تسقط سلالة أور بفعل تدخل أجنبي وهو ماحدث فعلاً من قبل العيلاميين ، فقام إيشبي إيرّا بطردهم ودخل أور محرراً وضمها إلى سلالته .

٢- شو إيليشو -Shu-Ilishu- أبن إيشبي إيرّا ١٩٨٤-١٩٧٥ ق.م
٣- إيدن دكان -Iddin-Dagan- أبن شو إيلشو ١٩٧٤-١٩٥٤ ق.م
٤- إيشمي دكان -Ishme-Dagan- أبن إيدن دكان ١٩٥٣-١٩٣٥ ق.م
٥- لبت عشتار -Lapit-Ishtar- أبن إيشمي دكان ١٩٣٤-١٩٢٤ ق.م
٦- أور ننورتا -Ur-Ninurta- أبن إيشكور -Ishkur- الفترة ١٩٢٣-١٨٩٦ ق.م
٧- بور سين -Bursin- أبن أور ننورتا ١٨٩٥-١٨٧٤ ق.م
٨- لبت إنليل / إينول -Lapit-Enlil / Enul- أبن بور سين ١٨٧٣-١٨٦٩ ق.م
٩- إيرا إيمتي -Erra-Imitti- الفترة ١٨٦٨-١٨٦١ ق.م
١٠- إنليل (إنول) باني -Enlil(Enul)-Bani- الفترة ١٨٦٠-١٨٣٧ ق.م
١١- زامبايا -Zambiya- الفترة ١٨٣٦-١٨٣٤ ق.م
١٢- إيتير بيشا -Iter-Pisha- الفترة ١٨٣٣-١٨٣١ ق.م
١٣- أور دوكوكا -Ur-Dukuga- الفترة ١٨٣٠-١٨٢٨ ق.م
١٤- سين ماكير -Sin-Magir- الفترة ١٨٢٧-١٨١٧ ق.م
١٥- دامق إيليشو -Damiq-Ilishu- أبن سين ماكير ١٨١٦-١٧٩٤ ق.م
*(إيشان بحريات) ، تقع آثارها على بعد ١٦ ميلاً إلى جنوب غرب نفر -Nippur- ، دحرت إيسن من قبل لارسا .

IV- سلالة لارسا -Larsa- (السنكرة)* ٢٠١٧-١٧٩٤ ق.م
١- نابلانوم -Naplanum- مؤسس السلالة ٢٠٢٥-٢٠٠٥ ق.م
٢- إيمي سوم -Emisum- الفترة ٢٠٠٤-١٩٧٧ ق.م
٣- سمي أوم -Samium- الفترة ١٩٧٦-١٩٤٢ ق.م
٤- زابايا -Zabai(y)a- الفترة ١٩٤١-١٩٣٣ ق.م
٥- كونكونوم -Gungunum- توطد حكم السلالة وأزدياد قوتها ١٩٣٢-١٩٠٦ ق.م ، بداية التوسع على حساب سلالة إيسن
٦- آبي ساري -Abi-Sare- الفترة ١٨٩٤-١٨٦٦ ق.م
٧- شوم ييل -Shumuel- الفترة ١٨٩٤-١٨٦٦ ق.م
٨- نور أدد -Nur-Adad- الفترة ١٨٦٥-١٨٥٠ ق.م
٩- سين إيدنا(م) -Sin-Iddina(m)- الفترة ١٨٤٩-١٨٤٣ ق.م
١٠- سين إيريبا(م) -Sin-Eriba(m)- الفترة ١٨٤٢-١٨٤١ ق.م
١١- سين إيقيشا(م) -Sin-Iqisha(m)- الفترة ١٨٤٠-١٨٣٦ ق.م
١٢- صليلي أدد -Silli-Adad- فترة أقل من عام ١٨٣٥ ق.م
١٣- وراد سين -Warad-Sin- الفترة ١٨٣٤-١٨٢٣ ق.م
١٤- ريم سين الأول -Rim-Sin I- ثاني أهم ملوك السلالة ١٨٢٢-١٧٦٣ ق.م ، قضى على سلالة إيسن عام ١٧٩٤ ق.م ، قضى عليه حمورابي في سنة حكمه التاسعة وضم سلالته إلى بابل
١٥- ريم سين الثاني -Rim-Sin II- أبن ريم سين الأول ؟ ، أعلن إنفصاله عن بابل عام

١٧٥٠ ق.م وحكم لبضعة أشهر ، لا يدرجه المؤرخون ضمن ملوك السلالة
* (السنكرة) ، تقع آثارها على بعد نحو ٣٠ ميلاً شمال غرب الديوانية .

V-a- سلالة إشنونا الأولى -Eshnunna I- (تل أسمر)* في حدود ٢٠٠٠ ق.م
١- إيليشو إيليا -Ilshu-Ilia- في حدود ٢٠٠٠ ق.م
٢- نور آخوم -Nur-Akhum-
٣- كيري كيري -Kiri-kiri-
٤- بيلا لاما -Bilalama- أبن كيري كيري ، شيد مدينة توتب / خفاجي ، أسس مدينة تابي تشبك وبنى فيها معبد الإله تشبك المسمى أي سيكل -E-Sikil-
٥- إيشار راما ششو -Ishar-Rama-Shshu- بداية الفترة المظلمة وخضوع إشنونا لسلالات إيسن ودير إيلو / الدير وكيش
٦- أوصر أواشو -Usur-Awashu- في حدود ١٩١٠ ق.م
٧- آزوزوم -Azuzum-
٨- أور ننمار -Ur-Ninmar-
٩- أور ننكشزيدا -Ur-Ningishzidda-
١٠- إبق أدد الأول -Ipiq-Adad I-
١١- شاريا -Sharria- في حدود ١٨٦٥ ق.م
١٢- بيلا كم -Belakim-
١٣- عبدي إيرا(خ) -Abdi-era(kh)-
١٤- وارسّا -Warassa-
١٥- إبالبيل الأول -Ibalpiel I-
* (تل أسمر) ، عاصمة مملكة إشنونا التي شغلت الأراضي الخصبة المحصورة ما بين نهري دجلة وديالى وحافات جبال زاكروس شرقاً ، ومن مناطقها الرئيسة خفاجي وأشجالي وتل أجرب وقد أمتدت هيمنتها حتى بغداد فكانت لها فيها مدينة إدارية هيّ شادوبوم التي أشتهرت بموقعيها (تل حرمل وتل الضباعي) ، وكان آخر ملوكها المحليين التابعين إلى سلالة أور الثالثة هو الحاكم آتريا -Atri(y)a- وذلك قبل تأسيس سلالة إيشنونا الملكية .

V-b- سلالة إشنونا الثانية -Eshnunna II- في حدود ١٨٥٠ ق.م
١- إبق أدد الثاني -Ipiq-Adad II- أبن إبالبيل الأول ، في حدود ١٨٥٠ ق.م ، منازعات مع آشور
٢- نرام سين -Naram-Sin- سيطر على آشور ورابيقم / الرمادي وقبارا / سهل أربيل وأشناكم على الخابور ، لقب نفسه بلقب (ملك آشور)
٣- دادوشا -Dadusha- هاجم ماري في عهد أميرها يسمح أدد أبن شمشي أدد الأول وضمها لمملكة إيشنونا (إستعادها أشمي دكان وأعادها لحكم أخيه يسمح أدد ، لكن زمريلم تمكن من طرد يسمح أدد ثانية من ماري)
٤- إبالبيل الثاني -Ibalpiel II- أبن دادوشا ١٧٩٠ ؟ - ١٧٦١ ق.م

٥- صليلي سين -Silli-Sin- في حدود ١٧٥٠ ق.م أصبحت إيشنونا جزءاً من مملكة حمورابي (نهاية حكم سلالة إيشنونا)
٦- إيقيش تشباك -Iqish-Tishpak- ملك محلي تابع لبابل
٧- آني -Anni- في حدود ١٧٠٠ ق.م ملك محلي تابع لبابل

السلالات البابلية ١٨٩٤-٥٣٩ ق.م

أشرت في موضوع بابل إلى أن مدينة كيش ومدينة بابل كانتا وجهين لعملة واحدة ، ففي الوقت الذي كانت فيه كيش عاصمة سياسية للمنطقة ، لعبت بابل دور العاصمة الدينية ، لذلك لم تنشأ فيها مثل مدينة نيبور مركز عبادة الإله إنليل / إيليل أي سلالة حاكمة ، ولكن مع مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ، شهدت المنطقة العديد من المتغيرات وبخاصة بعد الخراب الذي شهدته مدينتي أكد / دور شروكين وكيش ، مما ادى إلى نشوء سلالات حاكمة في بابل إبتداء بسلالة بابل الأولى ، فأحتلت بابل دور كيش السياسي لكنها لم تتنازل عن مركزها الديني ، وهكذا جمعت بابل منذ عهد سلالتها الأولى بين السلطتين الدينية والمدنية ، وأصبحت منذ ذلك الحين العاصمة الشرعية لكل وادي الرافدين حتى نهاية العهد الوطني في العراق القديم ، حيث تواصلت السيادة البابلية على طول ١٣٠٠ عام إلا من فترات متفرقة لا تتجاوز واحدتها بضع سنوات .
وبرغم خسارة البابليين لسيادتهم إبان العهد الأخميني ٥٣٩ / ٤٨٢ ق.م إلا أنهم تمكنوا من الحفاظ على توهج الحضارة البابلية الكلدانية كحضارة طليعية في المنطقة لما يقرب من ١١٠٠ عام أخرى ، قبل أن يتمكن الحجازيون الغزاة من إعادة تشكيلها وتقديمها على طبق عربي (على الأقل ظاهرياً) وذلك منذ منتصف القرن الثامن ومطلع القرن التاسع للميلاد .
المثير للدهشة حقاً ، انه برغم تعدد السلالات الحاكمة الأجنبية وتنوع أعراقها وثقافاتها المحلية طوال عهود الإحتلال الطويلة منذ خسارة الكلدان لإستقلالهم الوطني ، فقد حافظ الغزاة بفعل تمسك العراقيين الأصلاء على التراث الكلداني البابلي العريق بأدق تفاصيله .

I- سلالة بابل الأولى -Babylon I- (باب إيلو) ١٨٩٤-١٥٩٥ ق.م
١- سومو آبوم -Sumuabum- مؤسس السلالة ١٨٩٤-١٨٨١ ق.م
٢- سومو لييل -Sumulael- موطد السلالة ١٨٨٠-١٨٤٥ ق.م ، تنازع على السلطة مع كيش وضم إلى بابل مدينتي كوثى / تل إبراهيم ومدينة مرد / ونة الصدوم قرب الديوانية
٣- سابيُم -Sabium- أبن سومو لييل ١٨٤٤-١٨٣١ ق.م حكم نيابة عن أبيه في مدينة سبار ، بعد تسنمه للحكم في بابل بنى معبد الإيساكيلا ، ضم مدينة كزالو إلى بابل
٤- آبل سين -Abil-Sin- أبن سابيُم ١٨٣٠-١٨١٣ ق.م أهتم بإعمار مدينة بورسيبا مدينة الإله نابو أبن الإله مردوخ ، أشتهر بالعمران
٥- سين موبالط -Sin-Muballit- أبن آبل سين ١٨١٢-١٧٩٣ ق.م ، بدأت في عهده الإستعدادات لتوحيد البلاد
٦- حمورابي / عمورابي -Hammurabi- أبن سين موبالط ١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م المشرع

الكبير ومجدد وحدة البلاد
٧- سمسو إيلونا -Samsuiluna- أبن حمورابي ١٧٤٩-١٧١٢ ق.م ، أشتهر بكونه قائداً عسكرياً كبيراً ، أستقل في عهد إيلوما إيلو بالقطر البحري
٨- آبي إيشوح -Abieshuh- الفترة ١٧١١-١٦٨٤ ق.م ، لم يفلح في إسترجاع القطر البحري ، عقد معاهدة سلام مع الكشيين وسمح لهم بتوطيد أسس سلالتهم في خانة / عانة
٩- عمي ديتانا -Ammiditana- فترة هدوء نسبي ١٦٨٣-١٦٤٧ ق.م ، إستعاد مدينة نيبور وإيسن من سلالة القطر البحري
١٠- عمي صادوقا -Ammisaduqa- أبن عمي ديتانا ١٦٤٦-١٦٢٦ ق.م خفض الضرائب عن العامة ، وصل علم الفلك في عهده منزلة راقية
١١- سمسو ديتانا -Samsuditana- أبن عمي صادوقا ١٦٢٥-١٥٩٥ ق.م تم إحتلال بابل من قبل الملك الحثي مورسيليس الأول -Mursilis I- دونما مقاومة وبشكل يبعث على الدهشة ، ربما يكون خلف ذلك تواطؤ كشي -Kassite- حثي -Hittite- ، المثير للإستغراب حقاً ، أن الحوليات البابلية لم تتطرق إلى هذا الحدث المهم إلا بشكل عابر !

II- سلالة بابل الثانية -Babylon II / Sea Land- (القطر البحري) ١٧٤٠-١٥٠٠ ق.م
مع أن سلالة القطر البحري قد تأسست في مستوطن الكلدان التاريخي القديم ، إلا أن المؤرخين يعدونها بمثابة سلالة بابل الثانية ، فيما يجعلون من السلالة الكشية التي حكمت في بابل بعد نهاية حكم السلالة البابلية الأولى بمثابة السلالة البابلية الثالثة ، وقد حدد بعض المؤرخين فترة حكم السلالة البابلية الثانية بمدة ٣٨٦ عاماً ، علماً أن تواريخ حكم بعض ملوكها ليست أكثر من تواريخ تقريبية .
١- إيلوما إيلو -Ilima-Ilu- أدعى أنه من أحفاد آخر ملوك سلالة إيسن الملك دامق إيليشو -Damiq-Ilishu- فأستقل عن بابل وحكم لمدة ٦٠ عاماً
٢- إتي إيلي / إتي إيلي نيبي -Itti-Ili-Nibi- حكم ٥٦ عاماً في حدود ١٦٨٠ ق.م
٣- دامق إيليشو الثاني -Damiq-Ilishu II- حكم ٣٦ عاماً
٤- إشكيبال -Ishkibal- حكم ١٥ عاماً
٥- شو ششي -Shushshi- حكم ٢٤ عاماً
٦- كل كيشار -Gulkishar- حكم ٥٥ عاماً
٧- بشكل درماش -Peshgal-Daramash- حكم ٥٠ عاماً
٨- آدار كلاما -Adara-Kalamma- حكم ٢٨ عاماً
٩- إيكور دو أنّا / إيكور دوأول أنّا -Ekur-du(ul)-anna- حكم ٢٦ عاماً
١٠- ميلام كور كوكا (ككا) -Melam-Kur-Kukka(Kakka)- حكم ٧ أعوام
١١- أيا كامل -Ea-Gamil- حكم ٩ أعوام
قضي على هذه السلالة من قبل سلالة بابل المركزية على عهد الملك بورنا بورياش الذي ضمها لحكم العاصمة بابل .

III- سلالة بابل الثالثة -Kassite / Kossaioi- (الكشيون) ١٧٣٠-١١٥٥ ق.م

أسس هذه السلالة الملك الكشي كانداش ١٧٣٠ ق.م -Gandash- في منطقة خانة / عانة ، حيث حكم هنالك تسعة ملوك هم بعد مؤسس السلالة كل من آكوم الأول -Agum I- ، كاشتلياش الأول -Kashtiliash- ، أوشي -Ushshi- ، أبي رتاش -Abirattash- ، كاشتلياش الثاني -Kashtiliash II- ، أورزي كرماش -Urzigurumash- ، حربي شباك -Kharabe-Shipak- ، تبتا كزي -Tiptakzi- .

في عهد خليفته آكوم الثاني الملقب كاكريمة -Agum II, Kakrime- غزى الملك الحثي مورسيليس الأول بابل ثم أنسحب منها بعدما أسر تمثال كبير الآلهة مردوخ وزوجته صربانيتم ، ولسبب غير معروف تركهما في خانة ، فأستردهما آكوم كاكريمة في حدود عام ١٥٧٠ ق.م وأعادهما إلى بابل في إحتفال مهيب ، لتبدأ به سلالة بابل الثالثة التي حكم فيها ٢٧ ملكاً ، حكم الملوك السبعة الأوائل منهم من مدينة بابل ، وهم آكوم الثاني (كاكريمة) -Kakrime- مؤسس السلالة ، بورنا بورياش الأول في حدود ١٥١٠ ق.م -Burnaburiash I- ، كاشتلياش الثالث في حدود ١٤٩٠ ق.م -Kashtiliash III- ، أولام بورياش -Ulamburiash- يعتقد بعض المؤرخين بأنه أسم آخر لكاشتلياش الثالث ، آكوم الثالث في حدود ١٤٦٥ ق.م -Agum III- ، كدشمن حربي الأول --Kadashman-Kharabe I- ، كرة أنداش في حدود ١٤١٥ ق.م -Karaindash- ، وفي عهد الملك الثامن كوريكالزو الأول أي في حدود ١٣٩٠ ق.م -Kurigalzu I- ، قام هذا الملك ببناء مدينة جديدة له أسماها دير كوريكالزو / عقرقوف -Dur Kurigalzu / Aqarquf- بنى فيها فيما بعد الملك كوريكالزو الثاني زقورتها ، أما الملوك الذين أعقبوا كوريكالزو الأول فهم ، كدشمن إنليل الأول في حدود ١٣٧٠ ق.م -Kadashman-Enlil I- ، بورنابورياش الثاني ١٣٥٩-١٣٣٣ ق.م -Burnaburiash II- كرة خرداش ١٣٣٣ ق.م -Karakhardash- ، نازي بوكاش ١٣٣٣ ق.م -Nazibugash- (علماً أن تسلسل الملوك الواحد والعشرين الأوائل غير مؤكد ، للمزيد حول هذا الموضوع أنظر المصادر التي أوردها الأستاذ باقر) .

يأتي بعد الملك نازي بوكاش الذي يحمل التسلسل ٢١ الملك كوريكالزو الثاني ١٣٣٢-١٣٠٨ ق.م-Kurigalzu II- ، نازي مارتاش ١٣٠٧-١٢٨٢ ق.م -Nazimaruttash- ، كدشمن تركو ١٢٨١-١٢٦٤ ق.م -Kadashman-Turgu- ، كدشمن إنليل الثاني ١٢٦٣-١٢٥٥ ق.م -Kadashman-Enlil II- ، كودر إنليل ١٢٥٤-١٢٤٦ ق.م --Kudur-Enlil- ، شكاركتي شورياش ١٢٤٥-١٢٣٣ ق.م -Shagarakti-Shuriash- ، كاشتلياش الرابع ١٢٣٢-١٢٢٥ ق.م -Kashtiliash IV- (في أواخر عهد هذا الملك سيطر توكلتي ننورتا على بابل) ، إنليل نادن شمي ١٢٢٤ ق.م -Enli--Nadin-Shumi- لم يتمكن من إستعادة بابل ، كدشمن حربي الثاني ١٢٢٣ ق.م -Kadashman-Kharabe II- حاول بدوره إستعادة بابل دونما جدوى ، لكن أدد شم أدنا ١٢٢٢-١٢١٧ ق.م --Adad-Shuma-Iddina- تمكن من إستعاد بابل ، أدد شم أوصر ١٢١٦-١١٨٧ ق.م --Adad-Shuma-Usur- ، ميلي شيخو / شباك ١١٨٦-١١٧٢ ق.م -Meli-Shkhu(Shipak)- ، مردوخ أبلا إيدينا الأول ١١٧١-١١٥٩ ق.م -Mardukh-Apla-Iddina I- ، زبابا شم إيدينا ١١٥٨ ق.م -Zababa-Shuma-Iddina- ، إنليل نادن آخي ١١٥٧-١١٥٥ ق.م --Enlil-Nadin-Akhi- في عهد سلفه غزا العيلاميون البلاد ودمروا بابل ، لكن أنليل نادن آخي

تمكن من طرد العيلاميين وإستعادة بابل لمدة ثلاث سنوات قبل أن يغزوها الملك العيلامي شيلا أنشو شناك فيقضي على إنليل نادن آخي ويأسر تمثال الإله مردوخ وينهي حكم السلالة الكشية .

من الجدير بالذكر أن السلالة الكشية كانت سلالة أجنبية ، إلا أن هذه السلالة التي تميزت بكونها طبقة (أقلية حاكمة) في محيط بأكثرية سكانية ترجع إلى الكلدان الأوائل مما جعلها تتبني اللغة والثقافة والدين البابلي من أجل مواصلة حكم البلاد ، غير أن هذه السلالة تجاوزت فيما بعد حدود تبني الثقافة الجديدة إلى محاولة تعميمها ، مما طبع الشرق القديم كله في عهدهم بالثقافة البابلية ، ووصل الأمر حد تبني كل شعوب المنطقة اللغة البابلية والقلم البابلي في المراسلات الرسمية ، كما شاعت في العهد الكشي تسمية بلاد الإله دانياش / كار دانياش -Kar-Daniash- الهندوأوربية الأصل في مصر القديمة وشعوب الجوار الهندوأوربية ، كما أزدهر في عهدهم الأدب البابلي وتطورت المواصلات بعد اعتمادها على الخيول كبديل للحمير والبغال ، علماً أن الخيول كانت معروفة في العراق القديم منذ عهد سلالة أور الثالثة ، حيث كان الحصان يدعى بالسومرية أنشو كور را -Anshu-Kur-ra- أي حمار الجبل وبالأكدية أي البابلية لغة الكلدان الأوائل سيسو -Sisu- ، كما أشتهرت في عهدهم أحجار الحدود / الكودور -Kudurru- والعمارة ذات الجدران السميكة ، وبرغم محاولة الكشيين المحافظة على تقاليدهم الخاصة ضمن حدود الطبقة الحاكمة لكن فترة حكمهم الطويلة أدت إلى إنصهارهم في الأغلبية السكانية المنحدرة عن الكلدان الأوائل ، مما أدى بملوكهم إلى التخلي عن الأسماء الأجنبية وإستخدام الأسماء الرافدية البابلية .

IV- سلالة بابل الرابعة -Babylon IV / Isin II- (إيسن الثانية / إيشان بحريات) ١١٥٧-١٠٢٦ ق.م

١- مردوخ كابت أخيشو ١١٥٧-١١٤٦ ق.م -Mardukh-Kabit-Akheshu- طرد الحامية التي تركها العيلاميون وأستقل ببابل

٢- إتي مردوخ بلاطو ١١٣٩-١١٣٢ ق.م -Itti-Mardukh-Balatu-

٣- ننورتا نادن شمي ١١٣١-١١٢٦ ق.م -Ninurta-Nadin-Shumi-

٤- نبوخذنصر الأول / نبو كيدوري أوصر ١١٢٥-١١٠٤ ق.م -Nebuchadnezzar-I- أبن ننورتا نادن شومي ، ليست لدينا معلومات عن إنحداره العشائري الكلدي ، بخاصة وأن الإمارات الكلدية عهدذاك كانت منتشرة بكثرة من القطر البحري حتى شمال شرقي وغربي بغداد الحالية ، لكن مساعده وقائد جيشه الذي أنقذه من موت محقق رتي مردوخ -Ritti-Mardukh- كان شيخ إمارة (كرزيا بقو) الكلدية الحدودية ، كما أن أسم نبوخذنصر لم يستخدمه غير الملوك الكلدان إضافة إلى جد نبوخذنصر الثاني الذي كان من نبلاء مدينة أوروك

٥- إنليل نادن أبلي ١١٠٣-١١٠٠ ق.م -Enlil-Nadin-Apli-

٦- مردوخ نادن آخي ١٠٩٩-١٠٨٢ ق.م -Mardukh-Nadin-Akhe-

٧- مردوخ شابك زيري ١٠٨١-١٠٦٩ ق.م -Mardukh-Shapik-Zeri-

٨- أدد أبلا إيدينا ١٠٦٨-١٠٤٧ ق.م -Adad-Apla-Iddina- ينتمي للإمارات الكلدية في

القطر البحري
٩- مردوخ آخي أريبا ١٠٤٦ ق.م -Mardukh-Akhi-Eriba-
١٠- نابو شمو ليبور ١٠٣٣-١٠٢٦ ق.م -Nabu-Shum-Libur- ليس لدينا معلومات عن كيفية سقوط هذه السلالة .

V- سلالة بابل الخامسة -Babylon V / Sea Land II- (القطر البحري الثانية) ١٠٢٦-١٠٠٥ ق.م
١- سمبار شيباك / شمش شيخو ١٠٢٥-١٠٠٨ ق.م --Simbar-Shipak / Shamash Shikhu- يشبه الأسم شيخو لقب مثلث الرحمات البطريرك بولص الثاني شيخو
٢- أيا موكن زيري (شومي) ١٠٠٨ ق.م -Ea-Mukin-Zeri (Shummi)-
٣- كاششو نادن آخي ١٠٠٧-١٠٠٥ ق.م -Kashshu-Nadin-Akhe-

VI- سلالة بابل السادسة -Babylon VI / Bazi- (سلالة بازي) ١٠٠٤-٩٨٦ ق.م
١- أي أولماش شاكن شومي ١٠٠٤-٩٨٨ ق.م -E-Ulmash-Shakin-Shumi-
٢- ننورتا كودوري أوصر الأول ٩٨٧-٩٨٥ ق.م -Ninurta-Kuduri-Usur-
٣- شيركتي (شرقتي) شوقا مونا ٩٨٥ ق.م -Shirikti(Shiriqti)-Shuqa-Muna-

VII- سلالة بابل السابعة -Babylon VII- ٩٨٤-٩٧٩ ق.م
١- مار بيتي أبلا أوصر ٩٨٤-٩٧٩ ق.م -Mar-Biti-Apla-Usur- ، في الوقت الذي تقدم فيه بعض المصادر التقليدية هذه السلالة على أنها سلالة عيلامية -Elamite- ، إلا أن المصادر الحديثة بدأت تشكك في مثل هذا التصور الذي لا تدعمه الأدلة المادية ، وتؤكد بأن مار بيتي أبلا أوصر كان قائداً عسكرياً كلدياً يرجع أصله لإمارات القطر البحري ، ومما يدعم هذا الرأي أسمه الكلدي وإشتهار قائد عسكري كلدي كبير في نفس الفترة ونفس المنطقة .

VIII- سلالة بابل الثامنة -Babylon VIII- ٩٧٨-٧٤٨ ق.م
١- نابو موكن أبلي ٩٧٨-٩٤٣ ق.م -Nabu-Mukin-Apli- بسبب الضغوط العصيبة المحيطة ببابل لم يستطع الإحتفال بعيد رأس السنة البابلية أكيتو لمدة تسع سنوات
٢- ننورتا كودوري أوصر الثاني ٩٤٣ ق.م -Ninurta-Kudurri-Usur- حكم لمدة ثمانية شهور فقط
٣- مار بيتي آخي إيدينا ٩٤٢-٩٢٠ ق.م -Mar-Biti-Akhe-Iddina-
٤- شمش مودمق ٩٢٠-٩٠٠ ق.م -Shamash-Mudammiq- خسر هيت -Hit- وزانقو -Zanqu- إلى حدد نيراري الثاني
٥- نابو شمو أوكين الأول ٩٠٠-٨٨٧ ق.م -Nabu-Shum-Ukin I- وقع معاهدة سلام -Treaty- مع حدد نيراري الثاني لمدة ٨٠ عاماً
٦- نابو أبلا إيدينا ٨٨٧-٨٥٥ ق.م -Nabu-Apla-Iddina- سلام مع آشور ، أعاد بناء

معبد شمش -Shamash- في سيبار -Sippar- بعد ١٥٠ عاماً من تخريبه
٧- مردوخ ذاكر شومي الأول ٨٥٤-٨١٩ ق.م -Mardukh-(Z)Dakir-Shummi I- قاد أخاه ثورة ضده ، فأستعان الملك بجيش شلمنصر الثالث لقمع الثوار وضرب الأمارات الكلدية الثائرة ، في المقابل ساعد مردوخ ذاكر شمي ملك آشور شمشي أدد الخامس لقمع الثورة الكلدانية التي أشتعلت في السنوات ٨٢٧-٨٢٣ ق.م ، وكانت مشكلة حكام بابل الدائمية رفض ياقين -Mardukh- ملك الملوك الكلدان التدخل الآشوري في الإقليم البابلي .
٨- مردوخ بلاصو أقبي ٨١٨-٨١٣ ق.م -Mardukh-Balassu-Iqbi- حاول مولاة آشور ثم عاد فأنحاز إلى أبناء جلدته الكلدان فتم خلعه من العرش وأقتيد إلى آشور حيث عاش تحت الإقامة الجبرية
٩- بابا آخي إيدينا ٨١٣-٨١١ ق.م -Baba-Akhe-Iddina- خلع أيضاً وأقتيد إلى آشور ليعيش تحت الإقامة الجبرية
١٠-١٤ خمسة ملوك أسماؤهم مخرومة حكموا لمدة تقرب من أثنتي عشرة سنة في فترة مضطربة لم تنطفيء فيها نيران الثورات التي أمتدت على طول السنوات ٨١١-٨٠٠ ق.م
١٥- ننورتا أبلا .... ٨٠٠-٧٩٠ ق.م -Ninurta-Apla-....- الجزء الأخير من أسمه مخروم (على الأرجح أن يكون إيدينا قياساً على أسماء الملوك الذين سبقوه في حكم هذه السلالة)
١٦- مردوخ بيل زيري ٧٩٠-٧٨٠ ق.م -Mardukh-Bel-Zeri- لا نعرف موقفه من عملية غزو أدد نيراري الثالث لمناطق الإمارات الكلدانية
١٧- مردوخ أبلا أوصر ٧٨٠-٧٦٩ ق.م -Mardukh-Apla-Usur- أول ملك بابلي يصرح بهويته القومية الكلدية مخالفاً بذلك تقليد بابلي قديم تجنب فيه ملوك بابل الخلط بين إنتمائهم القومي الكلدي ومراكزهم كملوك لكل وادي الرافدين ، ربما كان مردو ذلك الصراع المتواصل بين بابل وآشور ، وربما يكون قد عزز هذا التوجه إرتباط ملوكية بابل آنذاك بالقسم الكلدي من وادي الرافدين (وسط وجنوب العراق القديم)
١٨- إريبا مردوخ ٧٦٩-٧٦١ ق.م -Eriba-Mardukh- أوقف هجمات القبائل الآرامية على بابل ، بقي ذكره لمئات السنين كأحد الملوك الكلدان الكبار
١٩- نابو شوما أشكن ٧٦١-٧٤٨ ق.م -Nabu-Shuma-Ishkin- من إمارة بيت داكوري الكلدية -Mardukh- أشتعلت في عهده حرب أهلية لعبت فيها آشور دوراً رئيساً وذلك لإشاعة الفوضى في الإقليم البابلي .
IX- سلالة بابل التاسعة -Babylon IX- ٧٤٧-٧٣٢ ق.م
١- نابو ناصر ٧٤٧-٧٣٤ ق.م -Nabonassar- أسمه الأصلي يكتب بصيغة --Nabu-Nasir- تحالف مع تجلاثبلاصر الثالث -Tiglath-Pileser III- في إخماد ثورات الكلدان في بابل موالياً ملك آشور ضد تطلعات أبناء جلدته الكلدان ، جمع سجلات أعمال الملوك الكلدان الذين سبقوه وأمر بإتلافها ، شهد علم الفلك في عهده تطوراً ملحوظاً
٢- نابو نادن زيري ٧٣٣-٧٣٢ ق.م -Nabu-Nadin-Zeri- أبن نابو ناصر ثار الكلدان عليه وقتلوه إنتقاماً لتواطؤ أبيه مع ملك آشور ضد الكلدان
٣- نابو شوما أوكين الثاني ٧٣٢ ق.م -Nabu-Shum-Ukin II- حكم لمدة شهر واحد

وتمت الإطاحة به من قبل أوكين زير -Ukin-Zer-

X- سلالة بابل العاشرة -Babylon X- ٧٣١-٦٢٧ ق.م
١- نابو موكن زيري / أوكن زير ٧٣١-٧٢٩ ق.م -Nabu-Mukin-Zeri / Ukin-Zer- لقب بالملك المحبوب ، رفض الكلدان في عهده كل أساليب الترغيب والترهيب التي أستخدمها تجلاثبلاصر الثالث لكي يتخلى الكلدان عن ملكهم ، واجه جيش تجلاثبلاصر الجرار فقتل مع أبنه في المعركة
٢- بولو ٧٢٨-٧٢٧ ق.م -Pulu- الأسم البابلي لتجلاثبلاصر الثالث أثناء حكمه في بابل ويسميه العهد القديم (فول)
٣- أولولو ٧٢٦-٧٢٢ ق.م -Ululaiu- الأسم البابلي لشلمنصر الخامس -Shalmaneser V- أثناء حكمه في بابل
٤- مردوخ أبلا إيدينا الثاني ٧٢١-٧١٠ ق.م -Mardukh-Apla-Idinna II- يسميه العهد القديم مردوخ بلادان -Merodach-Baladan- الملك الثائر ، دحر سرجون الثاني بدعم من الكتائب العيلامية التي كان يقودها -Humbanigash- في معركة دير الشهيرة ، أستقل ببابل ، يعتبره المؤرخون من الملوك العظام لمنجزاته المعمارية ورقي مدنية عصره ونبوغه الدبلوماسي ، في آخر عهده الأول جرح بشكل بليغ في المعركة فأنسحب به قواده إلى المدن الحدودية ، بقيت بابل تحت سيطرة الدولة الآشورية لسرجون الثاني وأبنه سين حاريب -Sin-Akhe-Eriba- لمدة سبع سنوات ، وبسبب تواصل الثورات الكلدانية ورفض الكلدان لحكم الدولة الآشورية صعد إلى عرش بابل ملك كلداني أبدى ظاهرياً موالته لسنحاريب هو مردوخ ذاكر شمي الثاني
٥- مردوخ ذاكر شمي الثاني ٧٠٣ ق.م -Mardukh-(Z)Dakir-Shummi II- حكم لمدة شهر واحد وما أن عاد مردوخ أبلا إيدينا إلى بابل حتى تنازل له مردوخ ذاكر شمي الثاني عن العرش
٦- مردوخ أبلا إيدينا (فترة ثانية) ٧٠٣ ق.م -Mardukh-Apla-Idinna II- حكمٍ لمدة تسعة أشهر ، خسر معركة (كيش) مع جيش دولة آشور ، أنسحب عبر الحدود حاملاً معه تماثيل آلهة بابل وعظام أجداده ، مات في المنفى وهو يعد العدة لحرب مقاومة جديدة
٧- بيل أبني ٧٠٢-٧٠٠ ق.م -Bel-Ibni- نصبه سنحاريب ملكاً على بابل ، لكن ظهور مردوخ أبلا إيدينا في القطر البحري وبدء مرحلة جديدة من المقاومة ، أدى إلى شك سنحاريب بولائه فتم اعتقاله ونقله للإقامة الجبرية في آشور ، تم تعيين أبن سنحاريب آشور نادن شمي ملكاً على بابل
٨- آشور نادن شمي ٩٦٦-٦٩٤ ق.م -Assur-Nadin-Shumi- تمكن خلال سنوات حكمه من السيطرة على بابل بالقوة ، لكنه وقع قرب سبار في أسر قوات المعارضة الكلدية التي سلمته للعيلاميين لغرض إحتجازه بعيداً عن بابل لكن العيلاميين قاموا بإعدامه
٩- نركال أوشيزيب ٦٩٤-٦٩٣ ق.م -Nergal-Ushezib- تحالفٍ مع العيلاميين لطرد الحاميات الآشورية من بابل ، أصيب في أحدى المعارك ونقل مصفداً بالسلاسل إلى كلخو عاصمة دولة آشور

١٠- موشيزيب مردوخ ٦٩٢-٦٨٩ ق.م -Mushezib-Mardukh- أمير كلداني تبوأ عرش بابل بعد أسر خلفه نركال أوشيزيب مستثمراً شعبيته لدى الكلدان ، واجه سنحاريب في معركة حالولة -Hallula- وكسره ، برغم إنكسار جيش سنحاريب فقد أدعى بإنتصاره على الجيش البابلي في حولياته ، لكن بقاء موشيزيب مردوخ في الحكم يثبت زيف إدعاء سنحاريب ، بعد فترة أصيب الملك العيلامي -Humban-Nimena- حليف موشيزيب مردوخ بالفالج / ذبحة دماغية أقعدته مشلولاً ، فتمكن سنحاريب من الإنفراد بجيش موشيزب مردوخ القليل العدد

١١- سنحاريب ٦٨٨-٦٨١ ق.م -Sin-Akhe-Eriba- أستغل سنحاريب الفوضى في عيلام فأنفرد بالجيش البابلي ، وبعد قتالٍ خارج الأسوار ثم حصار طويل دام لمدة تسعة أشهر ، دخل سنحاريب بابل فدمرها دماراً شاملاً وأغرقها بمياه الفرات

١٢- أسر حدون / آشور آخا إيدينا ٦٨٠-٦٦٩ ق.م --Esarhaddon / Assur-Akhe Iddina- أعاد إعمار بابل بمساعدة البابليين وذلك بسبب من ميوله الكلدانية التي ورثها عن أمه وتقديسه لآلهة بابل ، بالمقابل كافأه البابليون بالتصدي لثورة قادها زير كتي ليشير -Zer-Kitti-Lisher- ، كما صدوا جيشاً عيلامياً وألحقوا به خسائر فادحة

١٣- شمش شمو أوكين ٦٦٧-٦٤٨ ق.م -Shamash-Shum-Ukin-، هو أبن أسر حدون وأخو آشور بانيبال ، دعته ميوله الكلدانية التي ورثها عن والدته للثورة في بابل لإيمانه بأن بابل هيّ مصدر الشرعية في البلاد ، تمكن آشور بانيبال من القضاء على ثورته ، فأحرق نفسه في قصره ، توهم الأوربيون بأن آشور بانيبال هو من حرق نفسه داخل قصره فأطلقوا عليه أسم ساردينابال -Sardanapalus- ، خالد حادثة حرق الملك لنفسه مع أتباعه داخل قصره كل من الشاعر الإنكليزي اللورد بايرون -Byron- والرسام الفرنسي الرومانتيكي ديلاكروا -Delacroix-

١٤- قندلانو ٦٤٧-٦٢٧ ق.م -Q(K)andalanu- كلداني ملك على بابل بالنيابة عن آشور بانيبال ما بين ٦٢٧-٦٢٦ ق.م ، بعد وفاة قندلانو ثار في بابل أحد قادة الجيش الآشوري المدعو سين شوم ليشكر -Sin-Shum-Lishkar- فلم تكتب لثورته النجاح أو يستلم عرش بابل ، من المرجح أنه جرد من منصبه ونفي إلى خارج الحدود ، في عام تولى أبن آشور بانيبال المدعو سين شار إيشكن -Sin-Shar-Ishkun- العرش وحاول فرض سلطته على بابل ، لكن نبوبلاصر -Nabopolassar- أفشل محاولته فلاذ بالفرار إلى نينوى -Nineveh- ، عملياً تعتبر سنة ٦٢٦ ق.م سنة لم يتسنم أحد فيها رسمياً عرش بابل مع أن الملك الفعلي في بابل آنذاك كان نبوبلاصر .

XI- سلالة بابل الحادية عشرة -Babylon XI- (سلالة الكلدان الذهبية)
-Neo-Babylonian Empire- ٦٢٥-٥٣٩ ق.م

١- نبو بلاصر /نابو أبلا أوصر ٦٢٦-٦٠٥ق.م -Nabu-Apla-Usur/Nabopolassar- أستقل في القطر البحري عام ٦٢٦ ق.م ، لكن سلالته بدأت رسمياً في بابل عام ٦٢٥ ق.م ، لم ينجح حصاره عام ٦١٦ ق.م لإسقاط الدولة الآشورية ، تمكن الميديون -Medes- من إحتلال آشور عام ٦١٤ ق.م ، دخل نبوبلاصر في معاهدة تحالف مع الملك الميدي

كي إخسار -Cyaxares- (هنالك من يعتقد وفق بعض الروايات الإغريقية المتأخرة بأن نبوخذنصر -Nebuchadnezzar II- قد تزوج حفيدة الملك الميدي وهو إعتقاد لم تدعمه الإثباتات المادية) ، قام الإتحاد الكلدي الميدي بإسقاط الدولة الآشورية عام ٦١٢ ق.م ، خرب الميديون نينوى في ذلك العام ونهبوها ، تمكن الكلديون من كسر مقاومة المنفى في مدينة حران -Harran- عام ٦٠٩ ق.م ، ألحق عيلام وسوريا بالإمبراطورية البابلية

٢- نبوخذنصر الثاني / نبو كودوري أوصر ٦٠٤-٥٦٢ ق.م -Nebuchadnezzar-II / Nabu-Kudduri-Usur- تسنم عرش بابل عملياً في الأول من أيلول عام ٦٠٥ ق.م ، لكنه توج رسمياً في الخامس من نيسان عام ٦٠٤ ق.م ، أباد عام ٦٠٥ ق.م بقايا الحاميات الآشورية المتحالفة مع الجيش المصري الذي كان يتألف من القوات المصرية ومرتزقة إغريق وحبشيين ، حيث واجه نبوخذنصر هذه القوات مجتمعة في كركميش -Karkemish- فأبادها ثم طارد فلول الجيش المصري الهاربة إلى مدينة حما -Hama- ثم لاحق الفرعون نيخو الثاني ٦١٠-٥٩٥ ق.م -Nikho- مع قوات حرسه الهاربة حتى مدخل مصر -Egypt- مات ميصير باللغة البابلية -Mat-mi-sir- ، قام بشكل سنوي تقريباً بشن حملات تأديبية على المدن السورية ، أحتل لورستان -Luristan- ، في عام ٦٠٤ ق.م قضى على تمرد عسقلان -Ascalon- ، وفي عام ٦٠١ ق.م دحر الجيش المصري الزاحف على سوريا ، في عام ٥٩٩ ق.م ضم منطقة قيدار (شمال غرب الجزيرة العربية) -Qedar-region- إلى الإمبراطورية البابلية ، أحتل أورشليم -Jerusalem- بعد حصار دام لمدة ١٨ شهراً ، في عام ٥٨٨ ق.م هزم الجيش المصري في فينيقيا / لبنان -Phoenicia- ، أحتل صور -Tyre- بعد حصار دام لمدة ١٣ عاماً ، أحتل في عام ٥٨٥ ق.م دولة قليقيا -Cilicia- (ساحل تركيا الجنوبي) ، كما أحتل ليديا -Lydia- وخومي -Khume- وبيريندو -Pirindu- في بلاد الأناضول -Anatolia- ، أصطدم في أواخر عهده بكهنة مردوخ ، كما يعتقد بأنه أحتل أجزاء من مصر السفلى (مدن الساحل المصري على خط الإسكندرية) والساحل الليبي .

٣- أميل مردوخ ٥٦١-٥٦٠ ق.م -Amel-Mardukh- أطلق عليه العهد القديم أسم مردوخ الشرير -Evil Merodach- ، يعتقد أنه حكم بشكل غير متزن ، قضى عليه زوج شقيقته نركالصر

٤- نركلصر / نركال شار أوصر ٥٦٠-٥٥٦ ق.م -Neriglissar / Nergal-Shar Us̱ur- زوج أبنة نبوخذنصر الثاني ، شن حرباً ناجحة على غرب قيليقيا ، تتسم فترة نهاية حكمه بالغموض

٥- لباشي مردوخ ٥٥٦ ق.م -Labashi-Mardukh- أبن نركال شار أوصر ، أستلم الحكم وهو في بداية شبابه ، أتصف بالرعونة فأنقلب عليه الكهنة وتم إغتياله وتنصيب ممثل عنهم ، دام حكمه لمدة ثلاثة شهور فقط

٦- نابو نائيد / نبونائيد ٥٥٥-٥٣٩ ق.م -Nabu-Na'id- أبن نابو بلاصو أقبي --Nabu-Balassu-Iqbi- أشتهر في الغرب بصيغة نبونيدوس -Nabonidus- أستلم الحكم عملياً منذ عام ٥٥٦ ق.م ، غادر بابل إلى تيمو -Tem(a)u- عام ٥٥٢ ق.م حيث أستقر في منطقة قيدار / إيدوم -Edom- وهناك أعاد بناء قصر حاكم تيمو على الطراز البابلي وعاش لمدة

عشر سنوات بعيداً عن بابل ، حكم نيابة عنه في بابل أبنه بيلشاصر / بل شار أوصر ٥٤٩-٥٣٩ ق.م -Bel-Shar-Usur- ، مجد الإله سين / ننار وحاول التقليل من شأن الإله مردوخ مما جلب عليه نقمة كهنة مردوخ وسكان بابل ، عندما غزا الفرس وادي الرافدين / كلديا أنقلب حاكم إقليم الشمال كوبارو -Gobryas- على بابل وأنظم للإعداء ، قتل بيلشاصر مع معظم القوات البابلية في موقعة أوبيس -Opis- في منطقة المدائن على نهر دجلة ، حارب نبونائيد من قصره حتى النهاية كما أشار إلى ذلك المؤرخ الكلاسيكي زينفون -Xenophon- ، لكن كتبة متملقون حاولوا أن ينالوا حظوة لدى كورش -Cyrus- أشاعوا بأنه قبل وظيفة حاكم على كارمينيا -Carmenia- .

بنهاية العهد الإمبراطوري البابلي الأخير ومقتل العائلة المالكة ، دخل وادي الرافدين عهوداً طويلة من الإحتلال ، ولم يكتب لسكانه الأصليين أن يحكموه ثانية إلا من خلال محاولات يائسة لم يكتب لها الإستمرار كما في محاولات آخر الملوك الكلدان إبان العهد الأخميني ، وكذلك من خلال دويلات صغيرة مثل ميشان / ميسان وحترا / الحضر وحيرتا / الحيرة .

ملوك الإنتفاضة الكلدية ٥٢٢-٤٨٢ ق.م -Revolution Period ٥٢٢-٤٨٢ BC-

١- نبوخذنصر الثالث / ندنتوبيل ٥٢٢ ق.م -Nebuchadnezzar III / Nidintu-Bel- أدعى بأنه نبوخذنصر أبن نابونائيد ، حكم لفترة ثلاثة أشهر إبتداء من شهر تشرين أول ، قضى داريوس الأول -Darius I- على حكمه في شهر كانون أول من ذلك العام

٢- نبوخذنصر الرابع / عراقا بركلديتا ٥٢١ ق.م -Nebuchadnezzar IV / Araqa Bir Kaldeta- أدعى أنه أبن نابونائيد مع أن هنالك من يشير إلى أنه كان أورراتي الأصل -Urartian- ، حكم في بابل للفترة من شهر آب حتى شهر تشرين الثاني ، بعد القضاء على ثورته ، قام داريوس الأول بوضعه ورجال المقاومة على الخازوق لبث الرعب في قلوب الكلدان وكسر المقاومة البابلية

٣- بيل شماني ٤٨٢ ق.م -Bel-Shimanni- ثار في بابل وتسنم العرش في شهر آب من ذلك العام

٤- شمش إريبا أو شمي رابا ٤٨٢ ق.م -Shamash-Eriba / Shummi-Raba- ثار في إيلول من عام ٤٨٢ ق.م وتسنم عرش بابل بعد أن قضى على حاكم بابل الفارسي زوفيروس -Xuverus- ممثل أحشويرش الأول -Artaxerxes I- ، قضى ميكابايسوس -Megabysus- قائد الجيش الفارسي وزوج أخت الملك على الثورة البابلية بشكل وحشي ، وتعتبر نهاية ثورة عام ٤٨٢ ق.م خاتمة المطاف للحكم الوطني في العراق القديم ونهاية عهد التطلعات البابلية نحو الإستقلال .

سلالات الشمال الرافدي / إقليم شوبارو -Shubaru- (آشور) أنظر ص ١٧١

لم يعرف الشمال الرافدي سلالات عريقة في القدم كتلك التي عرفها الإقليم البابلي (سومر وأكد) ، إذ أن التاريخ السلالي لمنطقة شمال وادي الرافدين يبدأ بحدود مطلع أو منتصف القرن الثالث والعشرين ق.م ، أي بعد أكثر من ألفي عام من بدء التاريخ السلالي في الإقليم البابلي ، كما أن التاريخ السلالي لشمال الرافدين حسبما بينا آنفاً لم يبدأ بسلالة وطنية محلية

كما الحال في وسط وجنوب الرافدين ، وإنما بدأ بسلالة أجنبية غازية ، وذلك أثر غزو الشمال الرافدي من قبل العناصر الجبلية الهندوأوربية والآسيوية الذي أبتدأ في حدود ٣٥٠٠ ق.م وتواصل على طول النصف الأول من الألف الثالث ق.م بشكل هجرات صغيرة .
وفي حدودالنصف الثاني من الألف الثالث ق.م غزت الشمال الرافدي موجة جديدة من القبائل الرعوية الجبلية (سكنة الخيام) ، وكان جل قبائل هذه الموجة من الشعوب الآسيوية المجهولة العروق الذين عرفوا في الشمال الرافدي بالشوباريين (شوبارو / شوبارتو) ، وقد أسست هذه السلالة الأجنبية التي أشتهرت بالتسمية الآشورية في أحد المستوطنات الزراعية السومرية القديمة في حدود ٢٢٥٠ ق.م ، وتمكن أحد ملوكها من بناء سور لذلك المستوطن في حدود عام ٢٠٠٠ ق.م ، وقد حملت تلك المدينة المسورة منذ عهدذاك أسم آشور تيمناً بأسم إله الشوباريين الآسيوي (آ-أوسار) .
وبرغم تأسيس الشوباريين لتلك السلالة الأجنبية وإعتمادهم للثقافة واللغة السومرية المحلية للمنطقة ، فقد خضعوا سياسياً لمملكة أبلا ، حتى تمكن الأكديون من دحر مملكة أبلا وحكم إقليم الشمال الرافدي وفرض الثقافة الأكدية / ثقافة الكلدان الأوائل على الشمال الرافدي السومري الأصول ، وبعد أفول نجم إمبراطورية أكد ، أصبح الشمال الرافدي تابعاً لحكم سلالة أور الثالثة / السلالة الذهبية ، فحكم مجموعة من الحكام المحليين الشوباريين (الشيوخ) تلك السلالة الشوبارية من مدينة آشور تحت نفوذ المملكة الأورية ، ثم حمل حكامهم تسميات أكدية بسبب طغيان الثقافة الأكدية وهو ما حصل تماماً مع آخر ثلاثة ملوك أوريين حيث تسموا بأسماء أكدية / كلدية .
أما تسلسل الشيوخ والحكام الأجانب للسلالة الشوبارية (الآشوريون الأوائل) ومن تبعهم من ملوك وأمراء لسلالات الشمال الرافدي الوطنية والأجنبية فقد تناولتها تفصيلياً في الجزء الثاني من هذا البحث ، وذلك في موضوع (التاريخ السلالي لإقليم شوبارو / آشور .. ودحض الوهم الآشوري) .

عصور الحكم الأجنبي الأول
٥٣٩ ق.م - ٧٥٠ م

الأخمينيون -Achaemenid- الفترة ٦٧٥-٣٣٠ ق.م

تأسست الدولة الأخمينية في بلاد فارس على يدي مؤسسها كورش الأول ٦٤٠-٦٠٠ ق.م -Cyrus I- الذي أستولى على المقاطعات العيلامية. والأخمينيون قبائل هندوأوربية سكنت الهضبة الإيرانية وجاوروا العيلاميين وتثقفوا بثقافتهم المستمدة في معظمها من أصول رافدية ، خضعوا للدولة الآشورية ثم للدولة الميدية ، وأخيراً أستقلوا وبدأوا بتوطيد اركان دولتهم وبخاصة في عهد ملكهم الثاني قمبيز الأول ٦٠٠-٥٥٩ ق.م -Cambyses I- ، وفي عهد ملكهم كورش الثاني أسقطوا الدولة البابلية الحديثة وأحتلوا وادي الرافدين ، أما ملوكهم بعد إحتلال بابل فهم :

١- كورش الثاني (الكبير) -Cyrus II- توج ملكاً عام ٥٥٩ ق.م ، حكم وادي الرافدين الفترة ٥٣٨-٥٣٠ ق.م

٢- قمبيز الثاني ٥٢٩-٥٢٢ ق.م -Cambyses II- أبن كورش
٣- بارديا ٥٢٢ ق.م -Bardiya-
(الثورة البابلية الأولى والثانية)
٤- داريوس الأول ٥٢١-٤٨٦ ق.م -Darius I- غزا بلاد الإغريق عام ٤٨٠ ق.م
٥- أحشويرش الأول ٤٨٥-٤٦٥ ق.م -Xerxes I / Xshayarsha- قضى على ثورتي الملكين البابليين بيل شماني وشمش إريبا ودمر معبد الإله مردوخ وأشاع الدمار في بابل
٦- أرتحشتا الأول ٤٦٤-٤٢٤ ق.م -Artaxerxes I / Artaxshasha-
٧- داريوس الثاني ٤٢٣-٤٠٥ ق.م -Darius II-
٨- أرتحشتا الثاني ٤٠٤-٣٥٩ ق.م -Artaxerxes II-
٩- أرتحشتا الثالث ٣٥٨-٣٣٨ ق.م -Artaxerxes III-
١٠- أرسيس ٣٣٧-٣٣٦ ق.م -Arses / Arsha-
١١- داريوس الثالث ٣٣٥-٣٣١ ق.م -Darius III-

المقدونيون -Macedonian Dynasty- ٣٣١-٣٠٧ ق.م

وطد فيليب الثاني المقدوني ٣٥٩-٣٣٦ ق.م -Philip II- أسس الدولة المقدونية ، بعد إغتياله تمكن أبنه الفذ الإسكندر الكبير من توسيعها وتحويلها إلى إمبراطورية شاسعة وبخاصة بعدما تمكن من القضاء على الجيش الفارسي في معركة أربيل عام ٣٣١ ق.م ، ثم دخل بابل دون مقاومة حيث سلمه حاكمها مازيوس مفاتيح المدينة ، ولما توفي الإسكندر في بابل أثر إصابته بالحمى لم يكن أبنه قد ولد بعد أما أخوه فكان مضطرب العقل ، ومع أن أخاه قد حكم كملك على مقدونيا إلا أن حقوق عائلة الإسكندر بن فيليب ضاعت بين قواده الطامحين بالعرش ، وما يهمنا هنا من ملك منهم بعد الإسكندر على وادي الرافدين .
بعد وفاة الإسكندر بدأت معارك توزيع الإمبراطورية الواسعة بين ثلاثة من قواده الكبار .
١- الإسكندر الكبير الثالث ٣٣٠-٣٢٣ ق.م -Alexander III, the Great- بدأ حكم الإسكندر في مقدونيا وبلاد الإغريق منذ عام ٣٣٦ ق.م
٢- فيليب أريهديوس ٣٢٣-٣١٦ ق.م -Philip III Arrihadeus-
٣- الإسكندر الرابع ٣١٦-٣٠٧ ؟ -Alexander IV-

السلالة السلوقية -Seleucid- ٣١١- ١٣٩ ق.م - ١٢٥ ق.م

يبدأ العهد السلوقي في العراق القديم بتاريخ ٣ نيسان ٣١١ ق.م ويستمر لغاية العام ١٣٩ ق.م ، وقد كانت السنوات بعد عام ١٣٩ سنوات تأرجح وادي الرافدين بين هيمنة فارسية / برثية مؤقتة وبين عودته لحكم السلالة السلوقية ، في عام ١٢٥ ق.م حسم الأمر أخيراً لصالح الفرس فيما أستمرت الدولة السلوقية في سوريا الكبرى / بلاد الشام حتى ضمها القائد الروماني الشهير بومبي -Pompey- إلى الجمهورية الرومانية عام ٦٥-٦٣ ق.م ، وفي عام ٢٧ ق.م تحولت الجمهورية إلى إمبراطورية .
١- سلوقس الأول نيقاطور ٣١١-٢٨١ ق.م -Seleucus I Nicator- تزوج من نبيلة كلدانية

٢- أنطيخوس الأول سوتير ٢٨١-٢٦١ ق.م -Antiochus I Soter-
٣- أنطيخوس الثاني ثيوس ٢٦١-٢٤٦ ق.م -Antiochus II Theos-
٤- سلوقس الثاني كالينيكوس ٢٤٦-٢٢٥ ق.م -Seleucus II Callinicus-
٥- سلوقس الثالث سوتير ٢٢٥-٢٢٣ ق.م -Seleucus III Soter-
٦- أنطيخوس الثالث ؟ الكبير ٢٢٣-١٨٧ ق.م -Antiochus III, the Great-
٧- سلوقس الرابع فيلوبتر ١٨٧-١٧٥ ق.م -Seleucus IV Philopator-
٨- أنطيخوس الرابع إيبفنس ١٧٥-١٦٤ ق.م -Antiochus IV Epiphanes-
٩- أنطيخوس الخامس يوبتر ١٦٤-١٦٢ ق.م -Antiochus V Eupator-
١٠- ديمتريوس الأول سوتير ١٦٢-١٥٠ ق.م -Demetrius I Soter-
١١- الإسكندر بالس ١٥٠-١٤٥ ق.م -Alexander Balas-
١٢- ديمتريوس الثاني نيقاطور ١٤٥-١٣٩ ق.م -Demetrius II Nicator-
١٣- أنطيخوس السادس إيبفنس ١٤٥-١٤٢ ق.م -Antiochus VI Epiphanes-
١٤- أنطيخوس السابع سايديتس ١٣٩-١٢٩ ق.م -Antiochus VII Sidetes / -Euergetes
١٥- ديمتريوس الثاني نيقاطور ١٢٩-١٢٥ ق.م -Demetrius II Nicator-
١٦- الإسكندر الثاني زابيناس ١٢٨-١٢٣ ق.م -Alexander II Zebinas-
١٧- أنطيخوس الثامن كريفوس ١٢٥-٩٦ ق.م -Antiochus VIII Gryphus-
١٨- سلوقس الخامس ١٢٥ ق.م -Seleucus V-

عهد التسلط البرثي / الفارسي -Parthian- ١٢٥ ق.م - ٢٢٤ م

البرثيون أو الفرس من القبائل الهندوأوربية موطنهم الأصلي هو سهوب بحر قزوين -Caspian sea- أطلقت عليهم تسمية البارثيين نسبة لموقع في إيران أحتلوه في حدود عام ٢٥٠ ق.م ويسمى بارثو -Parthu- ، ويرجح بعض المؤرخين إنتماء البرثيين للقبائل القديمة المعروفة بأسم الأشكوزيين أو الإسكيثيين -Scythians- ، ولغة البرثيين هيّ اللغة القديمة المسماة (بهلويك) وهيّ قريبة الصلة بلغة الساسانيين المسماة (بارسيك) أي الفارسية ، وكلتا اللهجتين ترجعان للغة أم واحدة .

أسس الملك أرشاق ٢٥٠-٢٤٨ ق.م -Arsaces I- الدولة البرثية / الارشاقية نسبة له ، وفي عهد ميثرادتس الأول ١٧١-١٣٨ ق.م -Mithridates I- أحتل البرثيون بابل عام ١٥٣ ق.م ، ولكن الملك الكلداني يوسب بر ساغد أودو ناق -Yousip Bir Sagid Odo Naq- تمكن من طرد الحاكم البرثي حيميروس -Hemirus- وتأسيس مملكة ميشان -Mishan- ، وفي عهد أرطبان الثاني ١٢٨-١٢٤ ق.م -Artabanus II- أنهى الفرثيون حكم السلوقيين على وادي الرافدين وأصبح العراق القديم جزءاً من إمبراطوريتهم الواسعة ، ثم جعلوا من عاصمة السلوقيين سلوقيا عاصمة شتوية لهم بعد أن وسعوها حتى الجانب الإيسر من النهر وأطلقوا عليها أسم قطيسفون -Ctesiphon- .

وقد حكم قبل أرطبان الثاني سبعة ملوك فيما تجعلهم بعض الجداول ثمانية وهم أرشاق الأول ٢٥٠-٢٤٨ ق.م -Arsaces I- ، تيريداتس الأول ٢٤٨-٢١١ ق.م -Tiridates I- (لا تدرج

العديد من الجداول أسم هذا الملك ؟) ، أرطبان الأول ٢١١-١٩١ ق.م -Artabanus I- ، برياباتيوس ١٩١-١٧٦ ق.م -Priapatius- ، أفراهاط الأول ١٧٦-١٧١ ق.م -Phraates I- ، ميثرادتيس الأول ١٧١-١٣٨ ق.م -Mithridates I- ، أفراهاط الثاني ١٣٨-١٢٨ ق.م -Phraates II- ، أما الملوك الذي حكموا وادي الرافدين فهم :

١- أرطبان الثاني ١٢٨-١٢٤ ق.م -Artabanus II-

٢- ميثرادتيس الثاني ١٢٤-٧٨ ق.م -Mithridates II-

٣- كوتارس الأول ٩١-٧٨ ق.م -Gotarzes I- وجيه بابلي غير كلداني (أرجح كونه برثي لوجود ملك آخر من العائلة الأرشاقية بنفس الأسم لكن كوتارس الأول ليس من العائلة الأرشاقية المالكة) ، عينه البرثيون حاكماً على وادي الرافدين فأستقل وزوجته أشي أباتوم في بابل ، لم تدخل مملكة ميشان تحت سلطته

٤- أورودس الأول ٧٨ ق.م -Orodes I-

٥- سناطرق ٧٧-٧٠ ق.م -Sanatruces- يشبه أسمه أسم ملك حترا / الحضر الكلداني سين طروقا -Sin-Taruqa / Sanatruq- الذي عاش في نفس الفترة ، (الحضر مدينة كلدانية الأصل نزح إلى نواحيها العرب منذ أواخر القرن الثاني الميلادي ثم بدأوا في الإستقرار فيها مع مطلع القرن الثالث للميلاد)

٦- أفراهاط الثالث ٧٠-٥٨ ق.م -Phraates III-

٧- ميثرادتيس الثالث ٥٨-٥٧ ق.م -Mithridates III-

٨- أورودس الثاني ٥٧-٣٧ ق.م -Orodes II-

٩- أفراهاط الرابع ٣٧-٣٠ ق.م -Phraates IV-

١٠- تيريداتس الثاني ٣٠-٢٩ ق.م -Tiridates II-

١١- أفراهاط الرابع ٢٩-٢٨ ق.م (فترة حكم ثانية) -Phraates IV-

١٢- تيريداتس الثاني ٢٨-٢٦ ق.م (فترة حكم ثانية) -Tiridates II-

١٣- أفراهاط الرابع ٢٦-٢ ق.م (فترة حكم ثالثة) -Phraates IV-

١٤- أفراهاطاق ٢ ق.م - ٤ م -Phraataces II-

١٥- أوردوس الثالث ٤-٧ م -Orodes III-

١٦- أونونس الأول ٧-١١ م -Vonones I-

١٧- أرطبان الثالث ١١-٣٨ م -Artabanus III- يعتمد باقر جدولاً يدرج الملك تيرادتس الثالث لعام ٣٦ م -Tiridates III- ؟ وكيناموس لعام ٣٧ م -Kinamus- ؟

١٨- كوتارس الثاني ٣٨-٥١ م -Gotarzes II-

١٩- وردانس ٣٩-٤٧ م -Vardanes-

٢٠- ولكاش الأول ٥١-٧٨ م -Vologases I- الطوباوي مار ماري أول بطاركة كنيسة المشرق في حدود ٥٧ م أي بعد ثلاثين عاماً من صعود سيدنا إلى السماء

٢١- باقور الثاني ؟ ٧٨-٧٩ م -Pacorus II-

٢٢- أرطبان الرابع ٧٩-٨١ م -Artabanus IV-

٢٣- باقور الثاني ؟ ٨١-١١٥ م (فترة حكم ثانية) -Pacorus II-

٢٤- ولكاش الثاني ١٠٦ م -Vologases II-

٢٥- خسرو ١٠٩ م -Chosroes-
٢٦- برثامسباتس ١١٦ م -Parthamaspates-
٢٧- خسرو ١١٧-١٢٨ م (فترة حكم ثانية) -Chosroes- في عهده يبدأ التسلسل التاريخي الدقيق لكنيسة المشرق ممثلاً بالبطريرك أبريس (أمبرواس) ١٢١-١٣٧م
٢٨- ميثرادتيس الرابع ١٢٨-١٤٧ م -Mithridates IV-
٢٩- ولكاش الثالث ١٤٨-١٩٢ م -Vologases III- وقد حكم الملك ولكاش الرابع -Vologases IV- لمدة عام واحد أي عام ١٩١ م وذلك أثناء فترة حكم ولكاش الثالث
٣٠- ولكاش الخامس ٢٠٧-٢١٣ م -Vologases V- حكم هذا الملك بعد فترة إضطرابات أمتدت على طول السنوات ١٩٢-٢٠٧ م
٣١- أرطبان الخامس ٢١٣-٢٢٦ م -Artabanus V- آخر ملوك السلالة البرثية الحاكمة في وادي الرافدين ، تعتبر بعض الجداول الملك أرتواسديس -Artavasdes- الذي حكم للفترة ٢٢٦-٢٢٧ م آخر ملوك هذه السلالة إلا أنه عملياً لم يحكم على وادي الرافدين .

عهد التسلط الساساني -Sassanid- ٢٢٤-٦٣٧ م

إن المؤسس الفعلي لهذه السلالة هو ساسان -Sassan- كاهن النار في معبد أناهيتا في برسيبولس ، كان وجيهاً داهية حرض أبناءه على قتل الحكام واحتلال مناصبهم في الدولة الفرثية ، توفي فخلفه أبنه بابك -Papak- الذي حصل لأبنه أردشير على منصب قائد عسكري رفيع ، إغتال بابك ضيفه ملك الإقليم في قصره المعروف بأسم (القصر الأبيض) وكتب إلى أرطبان الخامس طالباً عرش الجنوب لأبنه شابور -Shapur- ، رفض أرطبان الخامس طلب بابك ، فمات بابك وكذلك أبنه شابور فجأة (ربما غيلة) ، فتسلم الحكم أردشير الأول ، كان أول عمل قام به هو إغتياله جميع أخوته ، ثم بدأ بإقتطاع مقاطعات الدولة الفرثية حتى تمكن من إسقاطها في موقعة هرمزدجان ، ثم دخل المدائن عام ٢٢٤ م وأحتل بابل لأهميتها ، وبه يبدأ حكم هذه السلالة على وادي الرافدين .

١- أردشير الأول / شاه ٢٢٤-٢٤١ م ، بدأ حكمه في إيران عام ٢٢٦ م -Ardashir I / Shah-
٢- شابور الأول ٢٤١-٢٧٢ م -Shapur I-
٣- هرمزد الأول ٢٧٢-٢٧٣ م -Hormizd I-
٤- بهرام الأول ٢٧٣-٢٧٦ م -Bahram I / Varahran I-
٥- بهرام الثاني ٢٧٦-٢٩٣ م -Bahram II-
٦- بهرام الثالث ٢٩٣ م -Bahram III-
٧- نرسي / نرسيس ٢٩٣-٣٠٢ م -Narses / Nerseh-
٨- هرمزد الثاني ٣٠٢-٣٠٩ م -Hormizd II-
٩- شابور الثاني ٣٠٩-٣٧٩ م -Shapur II-
١٠- أردشير الثاني ٣٧٩-٣٨٣ م -Ardashir II-
١١- شابور الثالث ٣٨٣-٣٨٥ م -Shapur III-
١٢- بهرام الرابع ٣٨٨-٣٩٩ م -Bahram IV-

١٣- يزدجر الأول ٣٩٩-٤٢٠ م -Yazdagird I-
١٤- بهرام الخامس ٤٢٠-٤٣٨ م -Bahram V-
١٥- يزدجر الثاني ٤٣٨-٤٥٧ م -Yazdagird II-
١٦- هرمزد الثالث ٤٥٧-٤٥٩ م -Hormizd III-
١٧- فيروز الأول ٤٥٧-٤٨٤ م -Peroz I- ، قتلته قبائل الهون -Huns- المغولية / القبيلة البيضاء ، سيطروا على الدولة الساسانية وراحوا يعينون ملوك دمى
١٨- ولاش ٤٨٤-٤٨٨ -Valash-
١٩- قباذ / كواد الأول ٤٨٨-٤٩٧ -Kavad(h) I-
٢٠- ظمازب (مغتصب للعرش) ٤٩٦-٤٩٩ -Zamasp / Djamasp-
٢١- قباذ الأول ٤٩٩-٥٣١ (فترة ثانية) -Kavad(h) I- عاد للعرش بدعم من القبائل التركية -Turk- التي ساعدته على طرد قبائل الهون
٢٢- كسرى الأول ٥٣١-٥٧٩ م -Khusro I- أبن قباذ الأول
٢٣- هرمزد الرابع ٥٧٩-٥٩٠ م -Hormizd IV-
٢٤- كسرى الثاني ٥٩٠-٦٢٨ م -Khusro II- أحتل سوريا ومصر وآسيا الصغرى ، هزمه هرقل -Heraclius- فخلعه النبلاء
* بهرام السادس -Bahram VI- مغتصب للعرش
* بسطام ٥٩١-٥٩٥ م -Bistam- مغتصب للعرش
٢٥- قباذ الثاني ٦٢٧-٦٢٨ م -Kavad(h) II-
٢٦- أردشير الثالث ٦٢٨-٦٣٠ م -Ardashir III-
٢٧- فيروز الثاني ٦٢٩ م -Peroz II-
* شهرباراز ٦٣٠ م -Shahrbaraz- مغتصب للعرش
٢٨- بوران درة (ملكة) ٦٢٩-٦٣١ م -Boran / Borandurht-
* أظرمي درة ٦٣١ م -Azarmidurht- أمرأة حكمت بصورة غير شرعية
٢٩- هرمزد الخامس ٦٣١-٦٣٢ م -Hormizd V-
٣٠- كسرى الثالث ٦٣٢-٦٣٣ م -Khusro III-
٣١- يزدجر الثالث ٦٣٣-٦٥١ م -Yazdagird III-

في عام ٦٣٧ م تمكن تحالف من عرب الحجاز والعرب الوافدين من شمال الجزيرة بمساعدة السكان الأصليين لوادي الرافدين (الكلدان) من القضاء على الإمبراطورية الساسانية ، وذلك في المعركة الشهيرة المعروفة بأسم القادسية -Qadissiya- ، وذلك في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب -Umar- ، وفي عام ٦٤٢ م أصبحت بلاد فارس جزءاً من الدولة الإسلامية .

الخلفاء الأربعة الأوائل -Al-Khulafa-ur-Rashidun- ٦٣٧-٦٦١ م

بدء حكم الخلفاء الراشدين -The Rightly-Guided Caliphs- أثر وفاة نبي المسلمين محمد بن عبد الله -Muhammed Ibn Abdallah- متأثراً بالسم الذي دس له في طعامه في المدينة -Medina- من قبل زينب بنت الحرث / الحارث -Zainab bint al-Harith- ، عندئذ أجتمع الصحابة لإختيار خليفة لهم ، فوقع الإختيار على أبي بكر -/ Abu Bakr

-Siddiq- الملقب بالصديق ، وهو والد عائشة -Aisha- زوجة نبي المسلمين التي ورد ذكرها في ثمانية عشرة آية من سورة النور (حادثة الأفك) .
إن معنى أسم أبو بكر هو (صاحب الجمال) أما أسمه الحقيقي فهو عبد الكعبة -Abdul-Ka'aba- ، وقد حكم هذا الخليفة للفترة ٦٣٢-٦٣٤ م من مركز حكمه في المدينة التي كانت تسمى قبل الهجرة يثرب وهو أسم محرف عن أسمها الكلداني القديم يثريبو . ولما توفي أبو بكر عن كبر تولى الخلافة بعده عمر بن الخطاب بطريقة الإقتراع ، وفي عهد الخليفة الثاني تم ضم وادي الرافدين إلى حكم الدولة الإسلامية -Muslim State- التي كان مركزها في الحجاز .
١- عمر بن الخطاب ٦٣٤-٦٤٤ م -Umar Bin Al-Khatab- الملقب بالفاروق -Farooq- وهيّ كلمة كلدانية أصلها باروقا -Parooqa- أي المخلص وقد فسرها المسلمون بأنها المفرق بين نقيضين ، بعد إحتلال جيوش الحجاز لوادي الرافدين ، تم تقسيمه إلى عشر كور أو إستانات تتبع ولايتين هما الكوفة التي بنيت على أسس مدينة أولكاشيا الكلدانية وجوار مدينة الحيرة الكلدانية / حيرتا وأطلق على هذه الكورة أسم العراق الأعجمي / العراق غير العربي = الكلداني ، ثم ولاية البصرة التي أطلق عليها أسم العراق العربي وكان جل سكانه من الموالي الكلدان الذين أسلموا بعد طرد القوات الفارسية ، علاوة على خليط من المسيحيين النساطرة من عرب وكلدان تسموا بأسم العباد تجاوزاً للنعرات العرقية والطائفية (وهم أسلاف قبيلة العبادات الحالية) ، إضافة إلى عشائر أخرى كربيعة وتميم وغيرها من العشائر شمال الجزيرة العربية التي كانت على المذهب المسيحي النسطوري ثم دخلت في الإسلام .
ومنذ ذلك التاريخ شاع أسم العراق الذي يعتقده البعض خطأً من إبتكار الحجازيين ويفسرونه لغوياً بالشاطيء ، وهو تفسير صحيح ، لكنه ليس إبتكاراً عربياً على الإطلاق ، لأنه ليس أكثر من ترجمة لواحدة من ثلاثة معاني لكلمة أوروك -Uruk / Unug- الرافدية القديمة والتي تفسيرها : مدينة / ساحل البحر أو الشاطيء عامة وأخيراً الزرقة . في عام ٦٤٤ م قام الفارسي أبو لؤلؤ فيروز الملقب بالأعجمي -Magian- بإغتيال الخليفة عمر بخنجر مسموم .
٢- عثمان بن عفان ٦٤٤-٦٥٦ م -Uthman bin Affan- من عائلة الأمويين -Omayyay- ، من منجزاته توحيد نسخ القرآن الذي كان في عهده بسبعة أشكال ، فأختار واحدة وحرق النسخ الأخرى ، لذلك يسمى القرآن اليوم أيضاً مصحف عثمان ، تزوج رقية -Ruqayya- أبنة نبي المسلمين وبعد وفاتها تزوج من أختها كلثوم -Kulthum- ، وقد أطلق عليه بسبب هاتين الزيجتين لقب ذو النورين -The Possessor of the Two Lights- ، في عهد هذا الخليفة تم تطوير سلاح البحرية بواسطة أبناء الأقاليم المفتوحة كالآراميين السوريين والفينقيين اللبنانيين والأقباط ، كما تم إحتلال شمال أفريقيا وإفغانستان وأجزاء من أرمينيا ، أقتحم عليه المعارضون لسياسته غرفة نومه وأنهالوا عليه بالسيوف حتى مات .
٣- علي بن أبي طالب ٦٥٦-٦٦١ م -Ali bin Abi-Talib- أبن عم رسول المسلمين وزوج أبنته فاطمة -Fatima- ، أول من نقل دار الخلافة من الحجاز / المدينة إلى العراق / الكوفة -Kufa- ، أنشق عليه حاكم سوريا معاوية بن أبي سفيان -Muawiya- (كان أبوه أبا سفيان ملك قريش) ، أما مبرر إنتقاله إلى العراق فكان بسبب الصراع الذي أحتدم في الحجاز

بين أنصاره وأنصار معاوية وإرملة نبي المسلمين عائشة -Aisha- التي كانت ناقمة على علي لإتهامه لها بالفجور في حادثة (الأفك) -The Incident of Slander- مع صفوان بن المعطل السلمي -Safwan ibn Mu'attal Al-Sulami- ، وهيّ التهمة التي أبى علي أن يتراجع عنها حتى بعدما قرأ رسول المسلمين على أهل المدينة سورة النور -Sura al-Nur ٢٤ : ١١- التي شغلتها ١٨ آية -١٨ Verses- لتبرئة عائشة من تهمة الفجور ، إذ لم يتراجع علي ، بل طلب من نبي المسلمين أن يطلقها ، وكانت هذه الحادثة من بين جملة الأسباب الرئيسة التي أدت إلى قيام معركة الجمل -Al-Jamal / the battle of the camel- عام ٦٥٦ م التي شنها طلحة بن الزبير -Talha bin Zubayr- لصالح عائشة ، وأدت تلك الإشكالات في عام ٦٥٧ م إلى نشوء حركة الخوارج -Kharijites- المناوئة لعلي أثر موافقته على حسم حربه مع معاوية بطريقة الإحتكام وسماحه لمعاوية بحكم سوريا ، والسماح لعمر بن العاص بحكم مصر -Amr bin al-Aas- ، فقرر الخوارج قتل الحكام الثلاثة وإرجاع الخلافة لآل البيت -The Hashimite- ، وقد فشل منفذ عملية إغتيال معاوية وعمر ، إذ تم القبض عليه وإعدامه فيما نجح أبن ملجم -Ibn Muljim- في إغتيال علي بسيف مسموم .

الأمويون -Umayyad Caliphs / Ummawiyyn- الفترة ٦٦١-٧٥٠ م

أول سلالة ملكية من الخلفاء المسلمين ، أسس هذه السلالة معاوية بن أبي سفيان القرشي حاكم سوريا وأبن ملكها -King of Quraish, One of Makkha tribes- قبل السيطرة عليها وفرض الإسلام على أهلها المناوئين للرسالة الإسلامية ، وتعد هذه العائلة من أشهر وأغنى عوائل مكة التي ترجع نسباً إلى أمية -Umayyad- ، ومعلوم أن عثمان بن عفان كان قد عين معاوية حاكماً على سوريا التي ملك عليها في عهد الخليفة علي بن أبي طالب ، بعد مقتل علي عام ٦٦١ م ، أعلن معاوية خلافته على المسلمين وأسس الدولة الأموية وعاصمتها دمشق -Damascus- .

وفي العهد الأموي أبدل نظام الحكم بالإنتخاب إلى نظام الحكم الوراثي ، كما تحولت دولة المسلمين من الطابع الديني وفق الشريعة الإسلامية المنغلق على رؤية طائفية محددة إلى الطابع المدني المنفتح والمتوافق مع السياق الطبيعي للدول ذات التعددية العرقية والدينية ، وقد أستمرت الدولة الأموية في الشرق وشمال أفريقيا حتى سقوطها على يد العباسيين ، ولكن هروب الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل -Abd ar-Rahman- إلى إسبانيا مكنه من تأسيس الدولة الأموية في الأندلس -al-Andalus- .

١- معاوية بن أبي سفيان ٦٦١-٦٨٠ م -Muawiyah I ibn Abu Sufyan- أحد صحابة نبي المسلمين حارب علي وطعن بالوحي بعد تأسيسه للدولة الأموية ، فتح تونس وبنى القيروان -Qayrawan / Kairouan-

٢- يزيد الأول بن معاوية ٦٨٠-٦٨٣ م -Yazid I ibn Muawiyah- ثار العلويون -Alawites- في عهده في الكوفة -Kufa- وأرسلوا للحسين بن علي -Hussayn ibn Ali- ليبايعوه بالخلافة ، لكن والي الكوفة عبيد الله بن زياد -Ubidallah bin Ziad- تصدى للحسين وقتله مع معظم رجال آل بيته في كربلاء -Karbala- عام ٦٨٠ م

٣- معاوية الثاني بن يزيد ٦٨٣-٦٨٤ م -Muawiyah II ibn Yazid- حكم لمدة أربعين يوماً
٤- مروان الأول بن الحكم ٦٨٤-٦٨٥ م -Marwan I ibn al-Hakam- أنتزع مصر من عبد الله بن الزبير -Abdallah ibn al-Zubayr- الذي أنشق على الأمويين
٥- عبد الملك بن مروان ٦٨٥-٧٠٥ م -Abd al-Malik ibn Marwan- مثبت أركان الدولة الأموية ، قضى على الحرب الأهلية ، أعاد العراق لحكم الأمويين بعد أن قتل مصعب بن الزبير -Mus'ab ibn al-Zubayr- في معركة مسكن -Maskan- كما ولى الحجاج بن يوسف الثقفي -Hajjaj ibn Yusuf- على العراق ٦٩٤-٧١٤ م فقام هذا بإضطهاد المسيحيين والعلويين ، ثورة عبد الرحمن بن الأشعث -Abd ar-Rahman ibn al-Ash'ath- في الكوفة ، منع إستخدام اللغة الكلدانية قراءة وكتابة في العراق واليونانية والآرامية في الشام والقبطية في مصر ، أمر بتعريب دواوين الدولة ، وبنى جامع قبة الصخرة على موقع صخرة إبراهيم وهيّ كنيسة مسيحية قديمة ، أمر بإستبدال العملة الفارسية والرومانية بعملة عربية -Coins with Arab legend- ، حول كنيسة القديس يوحنا في دمشق -Church of St. John in Damascus- إلى الجامع المعروف اليوم بجامع الأمويين -Umayyay mosque-
٦- الوليد بن عبد الملك ٧٠٥-٧١٥ م -al Walid I ibn Abd al-Malik- أحتل خرسان وبلاد الترك والهند -Sind- وإسبانيا
٧- سليمان بن عبد الملك ٧١٥-٧١٧ م -Suleiman ibn Abd al-Malik- أخو الوليد ، فشل في فتح القسطنطينية -Constantinople / Byzantium- عاصمة الروم البيزنطيين
٨- عمر بن عبد العزيز ٧١٧-٧٢٠ م -Umar ibn Abd al-Aziz- عم سليمان بن عبد الملك ، إسلاموي متزمت تنسب له القوانين العمرية السيئة الصيت ، يرجع عن طريق أمه للخليفة المتزمت عمر بن الخطاب ، أثقل كاهل المسيحيين سكان البلاد الأصليين بالجزية -Jizya / poll-tax- مما جعل الكثيرين يدخلون في الإسلام بصفة موالي -Mawali- ، هنالك دراسات حديثة تذهب إلى أن الشروط العمرية ترقى زمنياً إلى القرن الرابع للهجرة وأنها قد خرجت إلى الشارع من أروقة عصر المتوكل الظلامية
٩- يزيد الثاني بن عبد الملك ٧٢٠-٧٢٤ م -Yazid II ibn abd al-Malik- عاد إلى إستخدام السياسة المدنية التي نبذها سلفه المتزمت
١٠- هشام بن عبد الملك ٧٢٤-٧٤٣ م -Hisham ibn Abd al-Malik- ضايق الموالي والمسيحيون من سكان البلاد الأصليين وأثقل كواهلهم بالضرائب ، أشتعلت في عهده الكثير من الثورات أشهرها حركة الحارث بن سريج -al-Harith ibn Surayj- في خرسان -Khurasan- ، أرتد الكثير من الموالي عن الإسلام وثار القبط -Copts- في مصر والخوارج -Kharijites- في المغرب / مراكش -Marrakesh / Morocco- ، موقعة تور وبويتزر -Battle of Tours and Poitiers- التي تسميها المصادر العربية معركة بلاط الشهداء بسبب الخسائر الفادحة التي لحقت بجيش المسلمين ، حيث تمكنت قوات شارلز مارتيل -Charles Martel- من دحر جيش المسلمين وقتل قائد الجيش عبد الرحمن الغافقي -Abd-ar-Rahman al-Ghafiqi- مما أجبر بقايا جيش المسلمين على ترك خيمهم ومعداتهم

ويلوذوا بالفرار في جنح الظلام إلى الحدود الجنوبية لوادي الرون -Rhone valley- بحسب ما جاء في الصفحة ٣١١ من الكتاب الموسوعي (المدنية .. ماضياً وحاضراً) . ثورة زيد بن علي -Zayd ibn Ali- في الكوفة
١١- الوليد الثاني بن عبد الملك ٧٤٣-٧٤٤ م -al Walid II ibn Abd al-Malik- تم إعلان العصيان عليه وخلع من الملك ، فإنتهى في عهده الحق الشرعي بالملوكية
١٢- يزيد الثالث بن عبد الملك ٧٤٤ م -Yazid III ibn Abd al-Malik- توفي بعد تسعة أشهر من توليه الخلافة ، فأعلن أبو مسلم العصيان -Abu Muslim-
١٣- إبراهيم بن عبد الملك ٧٤٤ م -Ibrahim ibn Abd al-Malik- أخو يزيد الثالث
١٤- مروان الثاني بن محمد ٧٤٤-٧٥٠ م -Marwan II ibn Muhammad- مغتصب للعرش ، خلع إبراهيم وملك بدلاً عنه ، رفعت في عهده راية العباسيين / الراية السوداء -Black Banner- على إقليم خرسان عام ٧٤٧ م ، خسر معركة الزاب مع جيش العباسيين فكانت نهاية الدولة الأموية في الشرق القديم ، بدء عمليات تصفية الجيوب الأموية وذبح ولاتهم والموالين لهم في العراق والشام

العصر العباسي -Abbasid {ab-bas'-ids} Caliphs of Baghdad-
٧٥٠-١٢٥٨ م

بدأت الحركة العباسية -Banu al-Abbas- نسبة للعباس بن عبد المطلب -Abbas ibn-Abd al-Muttalib- عم نبي المسلمين التي ينحدر منه خلفاء بني العباس كحركة رفض سياسية تدعو بوجوب الخلافة لبني هاشم / آل البيت ، وقد دعا الحزب العلوي لحصر الخلافة في آل علي ، فكانت فرقة تدعو للحسن وأخرى تدعو للحسين وثالثة / الكيسانية -Kisaniyya- تدعو لمحمد بن الحنفية -Muhammad ibn al-Hanafiyya- أبن علي من غير فاطمة ، بعد وفاة محمد بن الحنفية دعت هذه الفرقة لأبنه عبد الله أبي هاشم الذي كانت تربطه بمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس علاقة وطيدة ، بعد وفاة عبد الله أدعى العباسيون بأن عبد الله قد أوصى بقيادة الفرقة لمحمد بن علي العباسي ، وقد أنتقلت قيادة الفرقة لأبنه محمد الذي أعلن الثورة العباسية مستعيناً بموالي الكوفة وخرسان -Khorasan- (كانوا أصلاً من الأرومة الكلدانية المسيحية التي دخل آباؤهم في الدين الجديد إبان التوسعات الإسلامية) ، تولى بعده أبنه إبراهيم الإمام -Ibrahim al-Imam- شؤون الدعوة حتى ألقي القبض عليه من قبل مروان الثاني وأعدم في دمشق ، فواصل أخوه أبو العباس عبد الله السفاح ثورة العباسيين وتمكن قائده قحطبة بن شبيب الطائي -Qahtaba ibn Shibib al-Taiy- من دحر الجيش الأموي في موقعة الفلوجة عام ٧٤٩ م ، فدخل الكوفة وبايع أبا العباس بالخلافة ، لكن الدولة الأموية لم تنته في الشرق إلا بعد معركة الزاب عام ٧٥٠ م -Battle of the Greater Zab River- .
حكم العباسيون أول الأمر من مدينة الكوفة وكانوا ينظرون إلى أحفاد علي بن أبي طالب ومريديه بعين الشك والريبة ، مما خلق العداء بين العباسيين والشيعة الجعفرية -Shia- ، وفي عهد الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور بنيت دار السلام / بغداد --Baghdad / Dar al

Salam- فصارت عاصمة لأكبر إمبراطورية شرقية عرفها العالم القديم . ولكن في الثامن والعشرين من شهر شباط عام ١٢٥٨ م قضى المغول -Mongol- بقيادة هولاكو -Hulagu-Khan- على الأمبراطورية العباسية ، لكن الدولة العباسية أستمرت في الحكم بشكل أسمي في مصر وكانت عاصمتها القاهرة .

العهد العباسي الأول -ab-bas'-ids I- ٧٥٠-٨٤٧ م
١- أبو العباس السفاح / عبد الله ٧٥٠-٧٥٤ م -Abu'l Abbas al-Saffah / Abdallah- نقل مقر حكمه من الكوفة مركز التجمع الشيعي المجاور للحيرة المسيحية إلى الأنبار تجنباً للمشاكل مع العلويين .
٢- أبو جعفر المنصور ٧٥٤-٧٧٥ م -Abu Ja'far al-Mansur- أخو عبد الله / أبو العباس السفاح (علماً أن كلمة السفاح هنا تعني الجزيل العطاء) ، ويعد أبو جعفر المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، قضى على ثورة عمه عبد الله بن علي في الشام ، قضى على تمرد القائد أبو مسلم الخرساني -Abu Muslin al-Khorasani- في إقليم خرسان ، قضى على حركة الراوندية -Rawandiyya- نسبة لعبد الله الراوندي (الجناح المتطرف من الحركة العباسية) ، قضى على الحركات العلوية وبخاصة على زعامة آل الحسن في شخص زعيمهم عبد الله بن الحسن ووالداه محمد النفس الزكية وإبراهيم ، موت جعفر الصادق -Ja'far al-Sadiq- مؤسس الحركة الجعفرية عام ٧٦٥ م .
٣- المهدي ٧٧٥-٧٨٥ م -Al-Mahdi- بداية حركة التنوير العلمي التي قادها العلماء الكلدان سكان العراق الأصليين ، ظهور حركة الزندقة المجوسية -Mazdakite-
٤- الهادي ٧٨٥-٧٨٦ م -Al-Hadi- أنتصر على العلويين من أهل الحجاز في موقعة فخ ، حاول تولية أبنه بدلاً من أخيه هارون فمات في ظروف غامضة !
٥- هارون / هرون الرشيد ٧٨٦-٨٠٩ م -Harun al-Rashid- أخو الهادي ، يعد عهده العصر الذهبي للخلافة العباسية ، قضى على حركة البرامكة -Al-Bramika-The-Barmecide- وهم الذين آزروه ضد أخيه الهادي وذلك بتحريضمن وزيره الفضل بن الربيع ، بداية إزدهار حركة الترجمة عن الكلدانية / السريانية والإغريقية ، أوجد وظيفة قاضي القضاة -Qadhi''l Qudhat- ، إنجاز أول معمل لصنع الورق في بغداد عام ٨٠٠ م ، أوصى بتقسيم الدولة بين الأمين والمأمون .
٦- الأمين ٨٠٩-٨١٣ م -Al-Amin- وقف الفضل بن الربيع مع لتجريد المأمون من حقه في جزء من الدولة العباسية والتنازل عن ولاية العهد ، ناصر أهل الشام الأمين فلم يخلصوا له ، فيما ناصر أهل خرسان المأمون فخسر الأمين عرشه وحياته .
٧- المأمون ٨١٣-٨٣٣ م -Al-Ma'munb- بعد مقتل الأمين تولى المأمون عرش الدولة العباسية ولم يحكم من دار الخلافة في بغداد وإنما بقي في مرو عاصمة خرسان بتحريض من وزيره الفضل بن سهل ، شجع المأمون حركة الترجمة والطب وعلم الفلك بزعامة العلماء الكلدان من أهل البلاد الأصليين سواء كانوا من المسيحيين أم الموالي ، بعد حركة عصيان أهل العراق ومحاولة توليتهم علي الرضا للخلافة ، عاد المأمون إلى بغداد وفي الطريق تخلص من وزيره الفضل بن سهل ، تظاهر بالود للعلويين وعلي الرضا الذي تخلص

منه فيما بعد ، أنتهج المأمون مذهب المعتزلة الذين أضطهدوا من يخالفونهم في العقيدة أو المذهب من مسلمين وغير المسلمينٍ على حد سواء ، أنفصل في أواخر عهده طلحة بن طاهر بن الحسين في خرسان مؤسساً إمارة فارسية ، تأسيس أكاديمية بيت الحكمة في بغداد -Academy / Bayt al-Hikma- .
٨- المعتصم ٨٣٣-٨٤٢ م -Al-Mu'tasim- قضى على ثورة الزط (أصلهم من الهنود العبيد) الذين هددوا المواصلات بين بغداد والبصرة ونفاهم إلى خارج العراق وبخاصة حدود الدولة الرومانية ، ويعد غجر أوربا من بقايا الزط ، قضى على حركة الخرمية -Kurramiyya- الفارسية ، أستقدم التركمان من خارج العراق وأعتمد عليهم في الجيش ، بسبب إستياء أهل بغداد من تصرفات جند المعتصم بنى له عاصمة جديدة في منطقة سامراء أطلق عليها تسمية سر من رأى وهيّ تسمية محرفة عن الأسم الكلداني القديم شامرا ، أشرف على هندسة المدينة والمنارة الملوية وزيره ومهندسه الكلداني دليل بن يعقوب النصراني -Dalil ibn Jacob al-Nasrani- ، توفي المعتصم في طرسوس وهو في طريقه لمحاربة الروم البزنطيين بقيادة ثيوفل الذي خذله الروم الغربيون .
٩- الواثق ٨٤٢-٨٤٧ م -Al-Wathiq- بنى قصر الهاروني في سامراء ، بدء تحرير النورمان -Normans- للأراضي الإسبانية في عام ٨٤٤ م ، إضطهاد السنة والشيعة من المسلمين الذين لم يقبلوا مذهب المعتزلة -Mu'tazila- ، لاحق وزيره أبن الزيات المسيحيين بإضطهاد وأسامهم مر الهوان .

العهد العباسي الثاني -ab-bas'-ids II- ٨٤٧-٩٤٤ م
حكم في هذا العهد ثلاثة عشر خليفة لمدة ٩٧ عاماً ، أتصف عهدهم بزيادة نفوذ الترك وبدء إنحلال الإمبراطورية ، كما أتصف هذا العهد بظهور حركات عصيان كبيرة منها حركة الزنج التي أحرق فيها صاحب الزنج مدينة البصرة عام ٨٧١ م وأثار القلاقل حتى قضي على ثورته ، حركة القرامطة ٨٩٢ م نسبة إلى حمدان بن قرمط ، تردى العلم والثقافة في العهد العباسي الثاني وعانى المسيحيون في هذا العهد من إضطهادات متتالية .
١- أبو الفضل جعفر المتوكل على الله ٨٤٧-٦٨١ م -Al-Mutawakkil- أمر عام ٨٥٠ م بتهديم مشهد الحسين في كربلاء ، نبذ مذهب المعتزلة فرفعت المحنة -Mihna- عن المسلمين ،أضطهد المسيحيين إضطهاداً شديداً وطبق بحقهم (الشروط العمرية) السيئة الصيت والتي تنصل فيها المتوكل ومن جاء بعده من متزمتين عن العهود والمواثيق التي أعطاها نبي المسلمين والخلفاء الأربعة وبخاصة الإمام علي للمسيحيين واليهود من أهل الكتاب / أهل الذكر ، عادى العلماء من أهل زمانه وحط من مكانة أهل العلم من المسيحيين فأنحطت المعارف في زمانه ، ومن أجل محاربة ميل العراقيين إلى النصارى وتعاطفهم معهم وبحسب إعترافه (صارت النصارى أحب إلى العوام) فقد طلب من مولاه المسخ المعروف بالجاحظ الذي كان أباه مسيحياً ثم دخل في الإسلام بصفة مولى أن يكتب رسالة يرد فيها على المسيحيين (رسالة الرد على النصارى) لإسقاط هالة الإعجاب التي أحاطهم بها العامة والخواص على حد سواء ، وكان الجاحظ بحسب شارل بللا -Pellat- أحد الموجهين في الخفاء لسياسة المتوكل إزاء المسيحيين الذين كان البعض من المقربين للخليفة

يشعرون أمامهم بمركب النقص ، فقد كانت العامة تحترمهم لصدقهم ونظافتهم وأمانتهم ، وكان المتعلمون يقرون لهم بالصدارة في الفلسفة والعلوم والطب والفلك والترجمة ، كما أنهم كانوا على الدوام من المخلصين للوطن والخليفة ، وقد أنتقم ألله في ليلة واحدة من المتوكل ووزيره المسخ الفتح بن خاقان محرضه الرئيس على إضطهاد المسيحيين المسالمين .

٢- المنتصر ٨٦١-٨٦٢ م -Al-Muntasir- سمح بإعادة بناء هيكل دير مار يونان الذي هدم في زمن المتوكل ، مات عن خلافة دامت ستة أشهر

٣- المستعين ٨٦٢-٨٦٦ م -Al-Musta'in- كان من أقرب مقربيه دليل بن يعقوب النصراني ، خلع المستعين من قبل أبن عمه المعتز الذي أمر بقطع رأسه

٤- المعتز ٨٦٦-٨٦٩ م -Al-Mu'tazz- كان متزمتاً قاسي القلب حتى أنه عندما جلب له رأس أبن عمه المستعين لم ينظر إليه حتى فرغ من لعب الشطرنج ، أعاد سياسة أبيه الدينية في إضطهاد المسيحيين ، خلع من الحكم وحبس في غرفة حتى مات جوعاً وكان عمره ٢٤ عاماً

٥- المهتدي ٨٦٩-٨٧٠ م -Al-Muhtadi- كان من الأصوليين المتزمتين أضطهد المسيحيين وأمر بإزالة جميع الرسوم التي كانت تزين القصور بمدينة سامراء ، تم خلعه وقتل بعصر خصيتيه ولم تبلغ مدة خلافته سنة

٦- المعتمد ٨٧٠-٨٩٢ م -Al-Mu'tamid- عودة الخلافة إلى بغداد ، قام بتعيين بعض الموظفين الشيعة ، في عام ٨٧٨ م أختفى الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن (المهدي) وهو طفل حدث وذلك في ظروف غامضة في أحد سراديب سامراء ، وقد توجهت أصابع الإتهام إلى شرطة المعتمد ، في عام ٨٧٨ م أيضاً عثر على نص العهد الذي أعطاه نبي المسلمين لنصارى نجران والذي يبطل ما جاء من إجراءات متخلفة التي أحتوتها الشروط العمرية المزيفة .

٧- المعتضد ٨٩٢-٩٠٢ م -Al-Mu'tadhid- كان من المتفتحين الذين يرى بأن الرجل المناسب ينبغي أن يحتل الموقع المناسب بغض النظر عن معتقده الديني ولهذا قام بمبادرة لم يسبقه إليها أحد من الخلفاء وذلك عندما ولى عمر بن يوسف على ولاية الأنبار ، وعندما أتهم بميله للمسيحيين أجاب : أنهم (المسيحيون) آمن من المسلم لأنه بموافقته لك في الدين يروم الأحتيال على منزلتك وموضعك وآمن من المجوس لأن الملك كان فيهم .

٨- المكتفي ٩٠٢-٩٠٨ م - Al-Mukta- سار على سياسة أبيه في محبة المسيحيين ، أمر بهدم المطامر التي كانت تستخدم لتعذيب الناس ، ولى كاتبه المسيحي الحسين بن عمرو على أعمال آمد

٩- المقتدر ٩٠٨-٩٣٢ م -Al-Muqtadir- بويع بالخلافة وعمره ثلاثة عشر سنة فتقاسمت النساء السلطة وعلى رأسهن أمه شغب الرومية ، حدثت في عهده فتنة في بغداد عام ٩٢٠ م وحدث فرهود النصارى ، وكان الفرهود مقتصراً على السرقة ولعل أسوأ ما حدث عهد ذاك نهب مكتبة عبد ألله بن شمعون العامرة بالكثير من أمهات الكتب والمخطوطات وأتلف معظمها ، فقامت شرطة المقتدر بالقبض على أصحاب الفتنة وقطع أيمانهم / اليد اليمنى ، قتل الحلاج (المتصوف) عام ٩٢٢ م

١٠- القاهر ٩٣٢-٩٣٤ م -Al-Qahir- كان مزدوج الشخصية حاول أن يظهر نفسه أمام

العامة بمظهر المتدين فضغط على المسيحيين ، إلا أنه كان من المولعين بالخمرة والطرب ومؤانسة القيان الحسان ، خلع من الخلافة وسملت عيناه وحبس لمدة ١١ سنة ، ثم أفرج عنه فقضى حياته يستجدي الناس على باب المسجد الجامع حتى مماته عام ٩٥٠ م

١١- الراضي ٩٣٤-٩٤٠ م -Al-Radhi- حدثت عام ٩٣٥ م إضطرابات شديدة في بغداد وقام الحنابلة بالإعتداء على حرمات المسيحيين ونهب دكاكينهم ، كما طالب بعض مشايخهم بتطبيق الشريعة ، فخرج عليهم الراضي وتوعدهم بالضرب والقتل وحرق منازل المشاغبين منهم ، توفي عن مرض لم يمهله طويلاً

١٢- المتقي ٩٤٠-٩٤٤ م -Al-Muttaqi- شهدت بغداد سنة توليه الخلافة مجاعة ووباء وفيضان ، تعدى الحنابلة على مساجد الشيعة ، سيطرة القواد الأجانب على شؤون الخلافة ، ألقى الأمير التركي توزون القبض على الخليفة وأمره بخلع نفسه لصالح المستكفي ففعل ، ثم سملت عيناه وأنهال عليه الحراس بالضرب ، مات بعد ٢٤ عاماً من خلعه عن الخلافة كسيراً مهاناً

العهد العباسي الثالث -ab-bas'-ids III- ٩٤٤-١٠٣١ م

حكم في هذا العهد الذي أستمر لمدة ٨٧ عاماً أربعة خلفاء ؟ ، تسلط البويهيون -Buyids- من الديلم في عهدهم على شؤون الحياة ، وقد بدأ التسلط البويهي بإحتلال بغداد دونما مقاومة وذلك من قبل أحمد بن بويه عام ٩٤٥ م ، وقد تم طردهم من قبل السلاجقة -Seljuq /Selchaq- ، وتسلط الحمدانيون الذين حملوا لقب ناصر الدولة -Nasir al-Dawla- منذ عهد حسن الحمداني -Hassan al-Hamdani- على الموصل وتكريت .

١- المستكفي ٩٤٤-٩٤٦ م -Al-Mustak-

٢- المطيع ٩٤٦-٩٧٤ م -Al-Muti-

٣- الطائع ٩٧٤-٩٩١ م -Al-Ta'a-

٤- القادر ٩٩١- ١٠٣١ م -Al-Qadir-

العهد العباسي الرابع -ab-bas'-ids IV- ١٠٣١-١١٥٢ م

حكم في هذا العهد خمسة خلفاء لمدة ١٢١ عاماً وكانت سلطتهم أسمية في معظم الأحيان ، كانت هيمنة السلاجقة عظيمة على مقاليد الأمور منذ إستيلائهم على بغداد عام ١٠٤٨ م ، مع ذلك إستعاد الخلفاء العباسيون بعضاً من سلطتهم السابقة التي حرموا منها في عهد التسلط البويهي ، قام طغرلبك -Toghril Beg- بالإستيلاء ثانية على بغداد عام ١٠٧١ م ، تمكن النورمان بقيادة روبرت كسكارد -Robert Giscard- من إستعادة صقلية -Sicily- عام ١٠٧٢ م ، بدء الحروب الصليبية عام ١٠٧٤ م ، البابا أوربان الثاني يدعو الأوربيين عام ١٠٩٥ م للتوجه نحو القدس -Urban II preaches the Crusade to Jerusalem- ، تأسيس سلالة الأتابكة في الموصل -Atabeg / Mosul- عام ١١٢٧ م على يد عماد الدين زنكي بن آق صنقور -Emad al-Din Zangi ibn Aq-Sonqur- أحد قواد ملكشاه السلجوقي -Malikshah- ، شيوع ظاهرة الشطار والعيارين / الشقاوة -Ayyarin- حماة

المحلات والشوارع / الطرف أو الدربونة .
١- القائم ١٠٣١-١٠٧٥ م -Al-Qa'im- أستولى السلاجقة على بغداد عام ١٠٤٨ م
٢- المقتدي ١٠٧٥-١٠٩٤ م -Al-Muqtadi-
٣- المستظهر ١٠٩٤-١١١٨ م -Al-Mustadhhir-
٤- المسترشد ١١١٨-١١٣٥ م -Al-Mustarshid-
٥- الراشد ١١٣٥-١١٣٦ م -Al-Rashed-

العهد العباسي الخامس -ab-bas'-ids V- ١١٣٦-١٢٥٨ م
حكم فيه سبعة خلفاء لمدة ١٢٢ عاماً ، أنتهى العهد الأخير بغزو هولاكو حفيد جنكيزخان للعراق وبدء العهود المظلمة إبتداءاً بالهيمنة المغولية .
١- المقتفي ١١٣٦-١١٦٠ م - Al-Muqta-
٢- المستنجد ١١٦٠-١١٧٠ م -Al-Mustanjid-
٣- المستضيء ١١٧٠-١١٨٠ م -Al-Mustadhi-
٤- الناصر ١١٨٠-١٢٢٥ م -An-Nasir- شهد عهد الناصر ثلاثة أحداث مهمة وهيّ معركة حطين عام ١١٨٧ م ، وفاة صلاح الدين الأيوبي -Saladin the Ayyubids- عام ١١٩٣ م في القدس ، إنتصار بيتر الثاني -Peter II- حاكم آراجون -Aragon- على العرب الأندلسيين -Almohads- في موقعة -Las Navas de Tolosa- والتي مهدت لطرد العرب من إسبانيا عام ١٢٢٥ م
٥- الزاهر ١٢٢٥-١٢٢٦ م -Az-Zaher-
٦- المستنصر ١٢٢٦-١٢٤٢ م -Al-Mustansir-
٧- المستعصم ١٢٤٢-١٢٥٨ م -Al-Musta'sim-

عصور الحكم الأجنبي الثاني / العهود المظلمة ١٢٥٨-١٩١٧ م

المغول -Mongols- ١٢٥٨-١٤١١ م
بدأت طموحات المغول بالتوسع في حدود عام ١٢٠٦ م حيث تمكن تيموجن -Temujin- من الحصول على لقب الرئاسة / جنكيزخان -Genghiz / Chingiz Khan- على كل القبائل المغولية ، وفي عام ١٢١٨ م هاجم المغول تركستان / سميرجي (الأنهار السبعة) -Turkestan / Semirechye = Seven rivers- فتمكن الخوارزمشاه علاء الدين محمد -The Khwarazm-Shah Ala al-Din Muhammad- من دحر المغول وقتل العديد من قوات جنكيزخان .
لتعويض تلك الهزيمة القاسية توجهت قوات المغول منذ عام ١٢٢٠م لإحتلال إيران والشرق الأوسط فتمكنوا من إلحاق الهزيمة بالإسماعيليين عام ١٢٥٦ م ، ثم تمكنوا من إسقاط آخر خلفاء بني العباس في العراق والذي خسر جيشه معركة الدجيل (بين بغداد وسامراء) ، فأستسلم للغزاة الذين قاموا بقتله مع آل بيته وحاشيته بتدبير من وزيره مؤيد الدين بن العلقمي ، وتم إحتلال بغداد وإستباحتها في يوم الثامن والعشرين من شهر شباط عام ١٢٥٨ م .

ومع سقوط الدولة العباسية أنتهى حكم العباسيين الفعلي في العراق والشرق الأوسط ، لكن هروب أبي القاسم أحمد الظاهر بأمر الله -Al-Dhaher- إلى مصر ، أدى إلى المناداة به كخليفة للمسلمين بأسم المستنصر بالله -Al-Mustansir- وبقيام الدولة العباسية في مصر عام ١٢٦١ م ، إلا أن الحاكم الفعلي لمصر كان المملوك الظاهر بيبرس ١٢٦٠-١٢٧٧ م -Al-Sultan al-Zahir Rukin-Eddin Bybars- الذي أراد من خلال المناداة بالخليفة العباسي أن يمنح حكومته صفة الشرعية ، وقد كان آخر الخلفاء الأسميين من بني العباس في مصر هو الخليفة -Al-Mutawakkil III- الذي حكم شكلياً للسنوات ١٥٠٨-١٥١٧ م وقضى عليه السلطان العثماني سليم الأول -Selim I- فصار العثمانيون منذ ذلك العهد يحملون لقب الخليفة .

وقد حكم المغول العراق الذي تحول إلى ولاية مغولية لفترتين أتسمتا بتفشي التخلف والخراب في معظم أرجاء العراق ، حكمت في الفترة الأولى العائلة الإيلخانية وفي الفترة الثانية العائلة الجلائرية .

المغول الإيلخانيون -Ilkhanate Mongols- ١٢٥٨-١٣٣٨ م

حكم في عهد المغول الإيلخانيين الذي أستمر ١٥٣ عاماً سبعة ولاة دعي واحدهم إيلخان -Ilkhan- أو صاحب -Al-Sahib- وهنالك من بين المؤرخين من يقول حكم العراق تسعة إيلخانات مدرجاً هولاكو ١٢٥٦-١٢٦٥ م -Hulegu- وأبنه أباقا ١٢٦٥-١٢٨٢ م -Abaqa- ، أما بقية الإيلخانات فكانوا : تيكودر ١٢٨٢-١٢٨٤ م -Teguder- ، وأرجون ١٢٨٤-١٢٩١ م -Arghun- ، وكايخاتو ١٢٩١-١٢٩٥ م -Gaikhatu- ، وبايدو ١٢٩٥ م -Baidu- ، وغازان محمود ١٢٩٥-١٣٠٤ م -Ghazan- ، وأولجيتو ١٣٠٤-١٣١٦ م -Ulgetu- ، وأخيراً علي شاه الملقب أبو سعيد ١٣١٦-١٣٣٨ م -Ali-Shah / Abu-Sa'id- الذي لم يخلف وريثاً ، فقامت الحرب بين زعماء المغول أثر تسلط الأسرة الجلائرية على ناصية الحكم دون سند شرعي ، وقد أستمرت تلك الحرب المدمرة لمدة سنتين وأنتهت بتسنم مقاليد الحكم من قبل الأسرة الجلائرية .

الجلائريون -Jalayirid Mongols- الفترة ١٣٣٨-١٤١١ م

أسس هذه السلالة الأجنبية التي حكمت لمدة ٩٦ عاماً الشيخ حسن بن حسين بن آقبو آغا الشهير بأسم حسن بزرك الكبير ١٣٤٠-١٣٥٦ م -Hasan I Buzurg Taj al-Eddin- في بغداد معلناً إستقلاله عن الإيلخانيين ، أعقبه في الحكم أبنه معز الدين الشهير بأسم أويس الأول ١٣٥٦-١٣٧٤ م -Uwais I- الذي أتخذ لقب السلطان -Sultan- ونقل عاصمته إلى تبريز -Tabriz- بعد احتلاله لها ، خلفه أبنه حسين الأول جلال الدين ١٣٧٤-١٣٨٢ م -Hussein I Jalal Eddin- ، ثم ملك السلطان أحمد غياث الدين ١٣٨٢-١٤٠١ م -Ahmad I Ghiath Eddin- وفي عهده غزا المغولي تيمورلنك -Timur Khan- العراق للسنوات ١٤٠٥-١٤١٠ م وقد استعاد أحمد غياث الدين حكم بعض مناطق العراق وبخاصة بغداد التي تركها الوالي التيموري دولة خواجة إيناق -Dawlat Khawaja Inaq- ، فواصل الحكم للفترة ١٤٠٥-١٤١٠ م ، حيث قتل قرب تبريز في المعركة التي شنها ضد

قرة يوسف / أبو نصر -Qara Yusuf / Abu Nasr- ، خلفه في الحكم في بغداد السلطان ولاد ١٤١٠-١٤١١ م -Walad- ، ثم السلطان محمود ١٤١١-١٤٢٥ م -Mahmud- الذي حكم لبضعة أشهر في بغداد قبل مغادرته إلى البصرة -Basra- ، إذ سقطت بغداد بيد القوات التركمانية بقيادة شاه محمد بن قرة يوسف عام ١٤١١ م -Shah Muhammad ibn Qara-Yusuf- ، ثم تم احتلال البصرة من قبل القرة قوينلو -Qara Qoyunlu- عام ١٤٢٥ م ، وقد حكم البصرة السلطان أويس الثاني ١٤١١-١٤٢١ -Al- ، لكن السلطان الهارب من بغداد محمود تمكن من فرض سيطرته على البصرة حتى تم احتلالها من قبل القرقوينلو .

التركمان ١٤١١-١٥٠٨ م -Turkomans-

القرة قوينلو ١٤١١-١٤٦٨ م -Qara Qoyunlu-
حكمت هذه السلالة الأجنبية لمدة ٥٧ عاماً ، صار العراق أثنائها ولاية ثانوية تابعة لمملكة عاصمتها تبريز ، والقرة قوينلو ومعناها الخروف الأسود ، قبيلة تركمانية من قبائل الغز الشهيرة بأسم البارانية ، وأصلها من مناطق تركمانستان الغربية ، بعد نزوحها في القرن الثالث عشر إلى منطقة أذربيجان -Azerbaijan- وسيواس حملت تسمية القرة قوينلو ، لأنها كما تشير بعض المصادر كانت تحمل رايات مزينة بكباش سوداء .
تمكن شاه محمد بن قرة يوسف من إحتلال تبريز فأسس هنالك سلالته قبل احتلاله للعراق الذي لم يكن وقتذاك مثيراً للإهتمام ، فكان مجال صراع بين ولديه محمد وأسبان اللذين أشاعا الخراب في البلد المنهار أصلاً وذلك من خلال معاركهما للتفرد بالحكم ، ومما زاد الطين بلة أن بغداد صارت ساحة لفض نزاعات جيهان شاه ١٤٥٨-١٤٦٦ م -Jahan-Shah- مع فولاذ القاصر خليفة أسبان -Ispan- ، وقد سارت أمور العراق من سيء إلى أسوأ حيث عم الفقر والجهل وصار السكان يقتاتون على الجيف والمزابل ، فأغتنم حسن الطويل شيخ قبيلة الآق قوينلو -Aq Qoyunlu- الفرصة وأحتل العراق ، ليبدأ عهد سلالة تركمانية جديدة .

الآق قوينلو ١٤٦٩-١٥٠٨ م -Aq Qoyunlu-
حكمت هذه السلالة الأجنبية التي أصلها من أزبكستان -Uzbek- لمدة ٣٩ عاماً ، ومؤسسها هو حسن الطويل أوزون -Uzun, Hasan al-Tawil- ، أشتهرت هذه السلالة براياتها التي كانت تزينها كباش بيضاء ، لم يتمكن حسن الطويل بعد انتصاره على جهان شاه من دخول بغداد ، فتوجه إلى العاصمة تبريز وأحتلها منهياً سلالة القرقوينلو ، تولى ولاية بغداد مقصود بن حسن الطويل -Maqsoud Hasan al-Tawil- ، ثم دخلت بغداد في مرحلة جديدة من الصراعات عانى فيها العراقيون من القهر والفقر حتى حسم الأمر في عهد السلطان الأخير يعقوب -Ya'qub- ، الذي عرف العراق في فترة حكمه نوع من الاستقرار الذي ما لبث أن تبدد بعد موت السلطان وخلافة أبنه القاصر باي سنقر -Bai-Sonqur- الذي كان عمره عشر سنوات فخلع عن العرش ، وبدأت مرحلة جديدة من الإضطرابات تحول العراق خلالها إلى ولاية هامشية مهملة لا أمن فيها ولا أمان ، أستنزفت فيها خيرات البلاد حتى مجيء

طامع جديد عام ١٥٠٨ م هو الشاه إسماعيل الصفوي لتبدأ سلالة أجنبية جديدة بالتلاعب بمقدرات العراق ومصائر العراقيين .

الصفويون ١٥٠٨-١٥٢٣ م -Safavid-

تميز حكم الصفويين القصير والذي حكم في الفترة الأولى منه التي أستمرت ١٥ سنة كل من الشاه إسماعيل الصفوي ١٥٠٨-١٥٢٣ م -Ismail I- ثم الشاه طهماسب الأول ١٥٢٤-١٥٧٦ م -Tahmasp- ، أما الفترة الثانية التي أستمرت لمدة خمس سنوات فقط ١٥٢٩-١٥٣٤ م فقد تميزت بكونها واحدة من أشد الفترات إيغالاً في الجهل والفقر وإنعدام الأمن وتردي كافة مناحي الحياة ، وقد أمتاز العهد الصفوي بغزوة الوافد الكوردي من منطقة همدان الزعيم ذو الفقار بن علي ١٥٢٧-١٥٢٩ م -Dhu al-Fiqar Bin Ali- الذي تمكن من قتل والي بغداد الصفوي إبراهيم خان -Ibrahim Khan- وتمكن خلال سنتي حكمه من إشاعة العدل والأمن بين العراقيين وبخاصة وأنه أمر بالخطبة للسلطان العثماني سليمان القانوني -Suleyman I- ونقش أسمه على النقود ، وذلك لأن الصفويين أنقلبوا في مطلع القرن السادس عشر من مذهبهم السني الذي كانوا يدينون به إلى المذهب الشيعي الجعفري ، لكن طهماسب تمكن بمعاونة أخوي ذو الفقار من إغتياله وإستعادة العراق ، لتبدأ من جديد فترة أخرى من الضيم ، تحمل العراقيون خلالها شتى صنوف القهر والفقر والتمييز الديني بين المسلمين وغير المسلمين والطائفي بين الشيعة والسنة وتخريب الكنائس ومراقد الأئمة السنة ، وقد أستمر الحال على هذا المنوال حتى تمكن الأتراك العثمانيون من إحتلال العراق وطرد الصفويين الفرس عام ١٥٣٤ م .

العثمانيون ١٥٣٤-١٩١٧ م -Ottoman Empire-

في أواخر القرن الثالث عشر للميلاد وتحديداً في عام ١٢٩٠ م قدم إلى بلاد الأنضول -Anatolia- أمير طموح هو عثمان أو عصمان الأول ١٣٠٠-١٣٢٦ م -Osman I- ، حيث تمكن عام ١٣٠٠ من تأسيس إمارة صغيرة بقيت محصورة بين أملاك الإمبراطورية البزنطية المقدسة -Byzantine Empire- والأراضي الشاسعة المحتلة من قبل المغول -Mongol Empire- .

العثمانيون أصلاً من قبائل الغز -Ghazis- التركية المحاربة التي تدين بالديانة الإسلامية على المذهب السني ، تمكن أمراؤها الذين كانوا يحملون لقب البيك -Bey- من التوسع خلال بضعة قرون على حساب الإمبراطوريتين المتهالكتين البزنطية والمغولية وبخاصة في عهد محمد الثاني -Muhammad II- الملقب بالفاتح لإحتلاله القسطنطينية عاصمة المسيحية الشرقية ، وهكذا تمكن هؤلاء الأمراء الذين حملوا اللقب السلطاني -Sultan- منذ عهد ثاني حكامهم أورخان ١٣٥٩-١٣٦٢ م -Orchan- من تحويل إمارتهم العصملية -Osmali- إلى إمبراطورية واسعة سميت بالإمبراطورية العثمانية -Ottoman Empire- وفي عهد السلطان الشهير سليمان القانوني ١٥٢١-١٥٦٦ م -Suleyman I (II) Qannuni- تم إحتلال العراق ، غير أن الصفويين تمكنوا من إسترجاع العراق إلى حكمهم لبعض الوقت

حتى تم طردهم نهائياً في عهد السلطان مراد الرابع ١٦٢٣-١٦٤٠ م -Murad IV- .
بقي العراق تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية التي حمل سلاطينها لقب الخليفة -Caliph- مع اللقب السلطاني منذ عهد السلطان سليم الأول ١٥١٢-١٥٢٠ م الذي تمكن من القضاء على حكم آخر الخلفاء الأسميين من بني العباس في مصر الخليفة -Al-Mutawakkil III- الذي حكم شكلياً للسنوات ١٥٠٨-١٥١٧ م .
وقد عاش العراق تحت سلطة باشوات الدولة العثمانية كبلد هامشي أنتشرت في ربوعه التي كانت عامرة أيام سكانه الأصليين الكلدان كافة أنواع الآفات الإجتماعية من فاقة وعوز وجهل ومرض وتخلف ، وأزدهرت منذ عهد ذاك ظاهرة العيارين والشطار والشقاوات ، ومر العراق إبان الإحتلال العثماني في ثلاثة عهود حكم ، حدث في نهاية أولهما إنقلاب بكر صوباشي وإستيلاء الصفويين في عهد الشاه عباس على العراق ، ليبدأ العهد الثاني في عام ١٦٣٨ م إبان فترة حكم مراد الرابع وتستمر حتى تصاعد نجم المماليك وإستيلاؤهم على السلطة منذ النصف الأول للقرن الثامن عشر للميلاد .
ولعل من أبرز ما تميز به العهد العثماني الثاني هو ازدياد عدد الحكومات المحلية داخل كيان الدولة العثمانية . كما عرف العراق والياً مصلحاً واحداً هو والي بغداد الشهير مدحت باشا ١٨٦٩-١٨٧٢ م -Midhat Basha- ، الذي يعد من أبرز رواد الاصلاح في العراق خلال العهد العثماني الثالث والأخير ، فقد عرف العراق في عهده منذ عام ١٨٧٠ م تسيير السفن البخارية وإنشاء أول دائرة للطابو (التسجيل العقاري) وإصدار جريدة الزوراء --Al-Zawra- أول جريدة عراقية بتاريخ ١١ حزيران عام ١٨٦٩ م .
وبديهي أن العهد العثماني الأخير في العراق يبدأ بعد تمكن العثمانيين من إعادة العراق لسلطة الإستانة عام ١٨٣١ م ، وذلك إبان فترة حكم السلطان محمود الثاني ١٨٠٨-١٨٣٩ م -Mahmud II- ويستمر هذا العهد حتى إحتلال الإنكليز للعراق عام ١٩١٧ م .
السلاطين :
١- أورخان ١٣٢٦-١٣٥٩ م -Orchan-
٢- مراد الأول ١٣٥٩-١٣٨٩ م -Murad I-
٣- بايزيد الأول / يلدرم ١٣٥٩-١٣٨٩ م -Bayezid I, Yildirim- أشتعلت في عام ١٤٠٣ م نيران حرب أهلية أستمرت حتى عام ١٤١٣ م .
٤- محمد الأول / سليبي ١٤١٣-١٤٢١ م -Muhammad I, Celebi-
٥- مراد الثاني ١٤٢١-١٤٤٤ م -Murad II-
٦- محمد الثاني / الفاتح ١٤٤٤-١٤٤٦ م -Muhammad II / The Conqueror-
٧- مراد الثاني ١٤٤٦-١٤٥١ م (فترة ثانية) -Murad II-
٨- محمد الثاني / الفاتح ١٤٥١-١٤٨١ م (فترة ثانية) -Muhammad II / The Conqueror-
٩- بايزيد الثاني / ولي ١٤٨١-١٥١٢ م -Bayezid I, Wali-
١٠- سليم الأول ١٥١٢-١٥٢٠ م -Selim I-
١١- سليمان الأول (الثاني) / القانوني ١٥٢١-١٥٦٦ م -Suleyman I (II), Qannuni / The Magnificient-

١٢- سليم الثاني ١٥٦٦-١٥٧٤ م -Selim II-
١٣- مراد الثالث ١٥٧٤-١٥٩٥ م -Murad III-
١٤- محمد الثالث ١٥٩٥-١٦٠٣ م -Muhammad III-
١٥- أحمد الأول ١٦٠٣-١٦١٧ م -Ahmed I-
١٦- مصطفى الأول ١٦١٧-١٦١٨ م -Mustafa I-
١٧- عصمان الثاني ١٦١٨-١٦٢٢ م -Osman II-
١٨- مصطفى الأول (فترة ثانية) ١٦٢٢-١٦٢٣ م -Mustafa I- ، سقطت بغداد تحت الإحتلال الصفوي عام ١٦٢٣ م لغاية ١٦٣٨ م عندما أستعادها لحكم العثمانيين السلطان مراد الرابع الذي حكم العراق لمدة تزيد على سنتين ، أما سنوات حكمه كسلطان عثماني فقد كانت للفترة ١٦٢٣-١٦٤٠ م
١٩- مراد الرابع ١٦٣٨-١٦٤٠ م -Murad IV-
٢٠- إبراهيم الأول ١٦٤٠-١٦٤٨ م -Ibrahim I-
٢١- محمد الرابع ١٦٤٨-١٦٨٧ م -Muhammad IV-
٢٢- سليمان الثاني (الثالث) ١٦٨٧-١٦٩١ م -Suleyman II-
٢٣- أحمد الثاني ١٦٩١-١٦٩٥ م -Ahmed II-
٢٤- مصطفى الثاني ١٦٩٥-١٧٠٣ م -Mustafa II-
٢٥- أحمد الثالث ١٧٠٣-١٧٣٠ م -Ahmed III-
صعود نجم المماليك في القرن الثامن عشر وتأسيس سلالات محلية في العراق مع تزايد ظاهرة الإختراقات الإيرانية للحدود ، حكم الدولة العثمانية آنذاك ستة خلفاء لم تكن لديهم سلطة فعلية على العراق هم : محمود الأول ١٧٣٠-١٧٥٤ م -Mahmud I- ، عصمان الثالث ١٧٥٤-١٧٥٧ م -Osman III- ، مصطفى الثالث ١٧٥٧-١٧٧٤ م -Mustafa III- ، عبد الحميد الأول ١٧٧٤-١٧٨٩ م -Abdulhamid I- ، سليم الثالث ١٧٨٩-١٨٠٧ م -Selim III- ، مصطفى الرابع ١٨٠٧-١٨٠٨ م -Mustafa IV- ، لكن الخليفة العثماني محمود الثاني تمكن من القضاء على حكم المماليك وأرجع العراق للسيطرة العثمانية المركزية عام ١٨٣١ م .
٢٦- محمود الثاني ١٨٣١-١٨٣٩ م -Mahmud II-
٢٧- عبد المجيد الأول ١٨٣٩-١٨٦١ م -Abdulmajid I-
٢٨- عبد العزيز ١٨٦١-١٨٧٦ م -Abdulaziz- في حدود العام ١٨٧٠ م دخلت خدمات الترمواي -Tramways- إلى بغداد والسفن البخارية -Steamships- إلى العراق
٢٩- عبد الحميد الثاني ١٨٧٦-١٩٠٩ م -Abdulhamid II-
٣٠- محمد الخامس ١٩٠٩-١٩١٨ م-Muhammad V- آخر السلاطين العثمانيين الذي أنتهت في عهده سيطرة الدولة العثمانية على العراق ، إذ دخلت القوات البريطانية عن طريق البصرة عام ١٩١٤ م نتيجة إشتعال الحرب العالمية الأولى -World War I- وتم إحتلال بغداد عام ١٩١٧ م .
حكم آخر سلطانين / خليفتين عثمانيين داخل حدود ما تسمى اليوم بدولة تركيا وهما : محمد الخامس ١٩١٨-١٩٢٢ م -Muhammad V- وعبد المجيد الثاني ١٩٢٢-١٩٢٤

م -Abdulmajid II- ، وقد تنازل عبد المجيد الثاني عن لقب السلطان وأكتفى بحمل لقب الخليفة .

التاريخ الحديث -Iraq Modern History- ١٩١٧-٢٠٠٤ م

الإنتداب البريطاني ١٩١٧-١٩٢١ م -British occupation and the mandatory regime-

يبدأ التاريخ الحديث في العراق بإحتلال أجنبي آخر من قبل بريطانيا -Britsh Occupation- والذي بدأ مع إحتلال البريطانيين لمدينة البصرة -Basra- عام ١٩١٤ م والعاصمة بغداد -Baghdad- عام ١٩١٧ م والذي أستكمل بإحتلال الموصل -Mosul- عام ١٩١٨ م ، وقد تم تعيين السير برسي كوكس -Sir Percy Cox- رئيساً لإدارة الإحتلال ، وفي عام ١٩٢٠ م منحت عصبة الأمم المتحدة -League of Nations- بريطانيا الغطاء الشرعي لبقاء الإحتلال بصفه الإنتداب -Mandate- وقد ألحق السيد برسي كوكس الكثير من الأذى بالعراقيين وكان المسبب الرئيس في مقتل مئات الألوف من العراقيين وتشريد الملايين منهم علاوة على الدمار الحالي الذي يمر به العراق اليوم ، وذلك عندما قام عام ١٩٢١ م بإقتطاع أرض عراقية تاريخية هيّ قائمقامية الكويت ومنحها أثر إتفاق سري بين الحكومة البريطانية وأسرة الصباح الأجنبية الوافدة من الحجاز . لقد كان الهدف من قرار الحاكم البريطاني السيد كوكس على حد زعمه الغريب هو تضييق المنفذ البحري للعراق على الخليج !؟
لكن أبعاد ذلك القرار المجحف ، الذي يمكن وصفه بعبارة (منح من لا يملك / بريطانيا لمن لا يستحق / أسرة الصباح) أبعاداً إقتصادية وإجتماعية , ذلك أن هذا القرار ضرب عرض الحائط إتفاقية الإستانة عام ١٩١٣م (١٧ تشرين الثاني) -Constantinople / Istanbul Protocol- التي جعلت مستوطن الكلدان التاريخي الذي يمتد حتى قطرايا / قطر مروراً بالكويت والبحرين / تلمون جزءاً لا يتجزء من الأراضي التاريخية للعراق / وادي الرافدين .
نتيجة لإشتعال الثورة العراقية عام ١٩٢٠ م في مدينة الرميثة -Rumaitha- وتصريح مجموعة عراقية من المتحمسين للتوجهات القومية العربية في دمشق -Damascus- أثر مقابلتها للأمير عبد ألله -Abdulallah- الأخ الأكبر للأمير فيصل بكونه ملك العراق ، تم إعتماد مقترح الحاكم المدني السير أرنولد ويلسون -Sir Arnold Wilson, the acting civil commissioner- لحكم العراق بطريقة غير مباشرة ، وتم مفاتحة الأمير فيصل -Faysal- أبن الشريف الحسين -Sharif Husayn- الذي نصب ملكاً على سوريا أثر قيادته للثورة العربية في الحجاز عام ١٩١٦ م .
في عام ١٩٢٢١ م أجريت إنتخابات لأول مرة في تاريخ العراق الحديث ، فحصل الأمير فيصل (مواليد عام ١٨٨٥ م) على نسبة ٩٦٪ من الأصوات ونصب ملكاً على العراق في الثالث والعشرين من شهر آب عام ١٩٢١ م ، وبه يبدأ حكم السلالة الهاشمية -Hashimaite- في العراق .

بداية العهد الملكي ، الإستقلال وفترة الحكم الملكي ١٩٢١-١٩٣٢-١٩٥٨ م -Iraq-

-Independence and Iraqi Hashimaite Kingdom

١- الملك فيصل الأول مواليد ١٨٨٥ م ، حكم للفترة ١٩٢١-١٩٣٣ م -Faysal I- أتسم عهده بتنامي الحس الوطني العراقي وبسيادة روح التآخي بين العراقيين ، أثناء مرضه وغيابه عن العراق قام ولي العرش بالتصديق على مذبحة سميل عام ١٩٣٣ م التي تسميها المراجع العراقية (فتنة الآثوريين)

٢- الملك غازي مواليد عام ١٩١٢ م ، حكم للفترة ١٩٣٣-١٩٣٩ م -Ghazi- المسؤول عن مذبحة سميل ، أنحرف عن سياسة أبيه العراقية الوطنية وأنجرف خلف التيارات العروبية ، مات في حادث السيارة الشهير عند العراقيين

٣- الملك فيصل الثاني مواليد عام ١٩٣٥ م -Faysal II- ، حكم فعلياً للفترة ١٩٥٣-١٩٥٨ م ، نصب ملكاً تحت وصاية خاله الأمير عبد الإله وكان عمره ثلاث سنوات

الجمهورية العراقية الأولى -IRAQ I Republic-

بعد ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ م ، تسنم الزعيم الوطني عبد الكريم قاسم حكم العراق بصفته رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع ، وبه يبدأ الحكم الجمهوري :

١- عبد الكريم قاسم مواليد عام ١٩١٤ م ، حكم للفترة ١٩٥٨-١٩٦٣ م -Brigadier-Abdul Karim Qassemaysal- ، أعدمه الإنقلابيون البعثيون عام ١٩٦٣ م لتغليبه الحس الوطني العراقي على التوجهات العروبية التي تميز بين العراقيين وتجير ثروات العراق لغير العراقيين

٢- عبد السلام محمد عارف مواليد ١٩٢١ م ، حكم للفترة ١٩٦٣-١٩٦٦ م -Abdul-Salam Muhammad Arif- ، أول رئيس للجمهورية العراقية ، اشتهر بتزمته الديني الظاهري وتعصبه للأفكار العروبية ، رغم أن عبد الكريم قاسم كان قد أعفاه من عقوبة الإعدام لأكثر من مرة ، إلا أن أول عمل قام به بعد نجاح إنقلاب البعثيين هو إعدام عبد الكريم قاسم ، توفي عام ١٩٦٦ م في حادثة سقوط الهيلكوبتر الشهيرة التي أدت إلى ذيوع هوسة التشفي عند الشارع العراقي (صعد لحم نزل فحم)

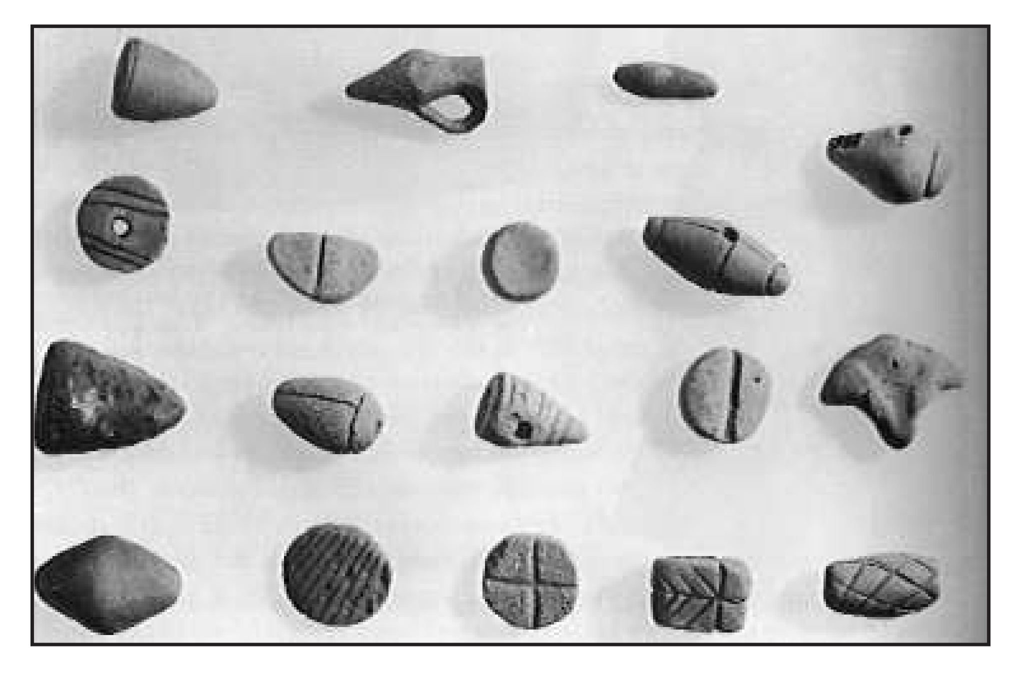
٣- عبد الرحمن محمد عارف مواليد ١٩١٨ م ، حكم للفترة ١٩٦٦-١٩٦٨ م -Gen.-Abdul Rahman Muhammad Arif- ، الشقيق الأكبر لعبد السلام محمد عارف

٤- أحمد حسن البكر تولد ١٩١٤م -Ahmed Hasan al-Bakr- حكم للفترة ١٩٦٨-١٩٧٩ م تم عزله من قبل صدام حسين وقتله بحقنة أصابته بسرطان الدم

٥- صدام حسين مواليد ١٩٣٧م -Saddam Hussein- حكم للفترة ١٩٧٩-٢٠٠٣ م خلعته قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة في التاسع من شهر نيسان عام ٢٠٠٣م ، تم إسقاط تمثاله البرونزي العملاق المنصوب في ساحة الفردوس وسحله في شارع السعدون ، بنهاية عهد هذا الطاغية تنتهي فترة حكم الجمهورية العراقية الأولى ، ويدخل العراق في فترة حكم إنتداب جديدة .

التحالف الأمريكي البريطاني وسلطة الإئتلاف ٩ نيسان ٢٠٠٣ م - ٢٨ حزيران ٢٠٠٤ م
- USA and Britain / the Coalition Provisional Authority-
أستمر الإنتداب الأمريكي البريطاني للعراق للفترة من التاسع من شهر نيسان عام ٢٠٠٣ م وهو تاريخ دخول الحلفاء إلى بغداد وهرب صدام حسين والحكومة البعثية ، لغاية الثامن والعشرين من شهر حزيران ٢٠٠٤ م ، حكم خلالها مجلس حكم مؤقت مؤلف من ٢٥ عضواً ، تأسس هذا المجلس في الثالث عشر من شهر تموز عام ٢٠٠٣ م وتقرر أن يحكم كل عضو من اعضائه لمدة شهر واحد وفق الترتيب الأبجدي للاعضاء ، وقد حل المجلس نفسه بتاريخ الأول من شهر حزيران عام ٢٠٠٤ م ، وذلك أثر إنتخاب رئاسة إنتقالية ممثلة برئيس الوزراء الدكتور أياد علاوي -PM Dr. Iyad Alawi- والرئيس المنتخب غازي حميد الياور -Ghazi al-Yawer- .

الجمهورية الثانية ٢٨ حزيران ٢٠٠٤ م -IRAQ II Republic-
١- غازي حميد الياور ٢٠٠٤م- .... -Ghazi Hamid al-Yawer- أستلم مهام منصبه الرئاسي بتاريخ ٢٨ حزيران عام ٢٠٠٤ م



حصى طينية ٤١٠٠ ق.م تمثل اقدم اشكال الكتابة الرافدية من عصر الكلدان الأوائل/ فترة العبيد

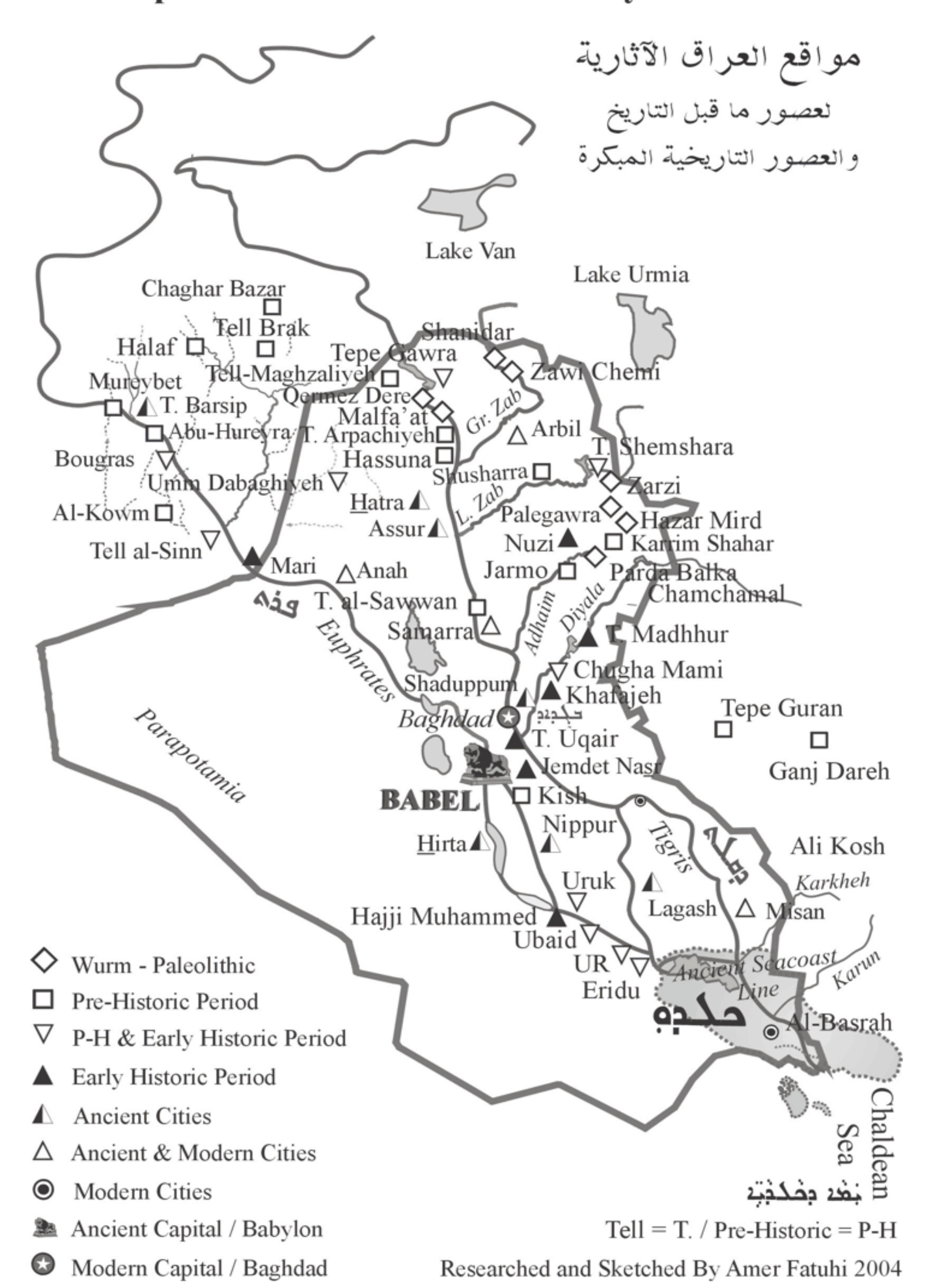
خرائط ومرتسمات

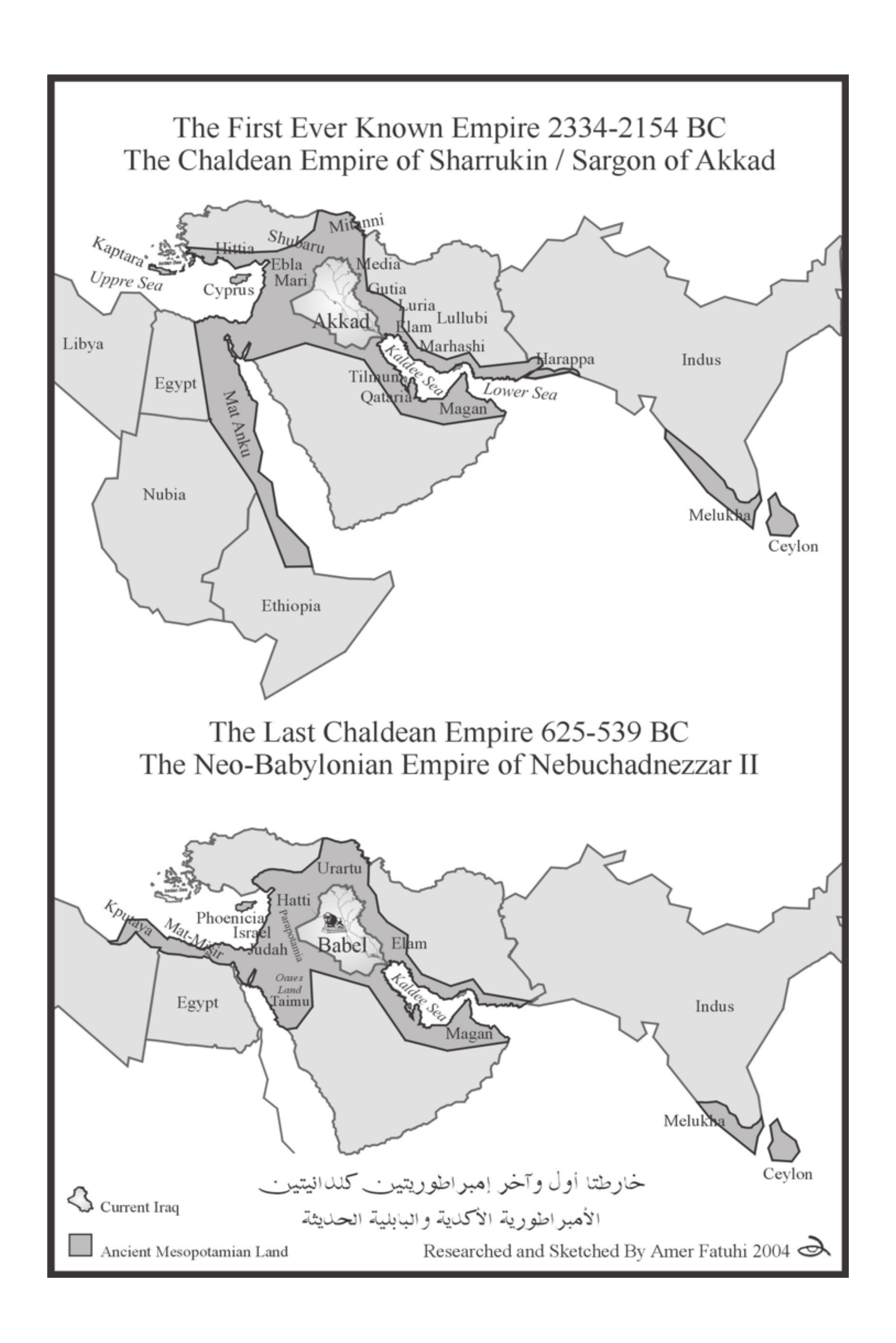
- ✤ خارطة وادي الرافدين / العراق التاريخي (بيث نهرين)
- ✤ خارطة المواقع الأثرية الرئيسة في وادي الرافدين القديم
- ✤ خارطة امبراطورية شروكين الكلدي الأكدي ونبوخذنصر الثاني
- ✤ خارطة العراق بعد إتفاقية الإستانة وبعد إقتطاع الكويت وإقتطاع الأحواز
- ✤ مخطط مدينة بابل
- ✤ مخطط الزقورة كتقويم اسبوعي
- ✤ التصور البابلي الكوزمولوجي للكون (العالم الكوني)
- ✤ جدول تطور الكتابة من الشكل الصوري إلى الحرف الكلداني
- ✤ جدول يصور المرحلة المتطورة من الحرف الإمبراطوري الكلداني والحرف المشرقي
- ✤ أشهر الرموز القومية والوطنية الكلدانية البابلية
- ✤ رموز الآلهة الكبار في العالم القديم

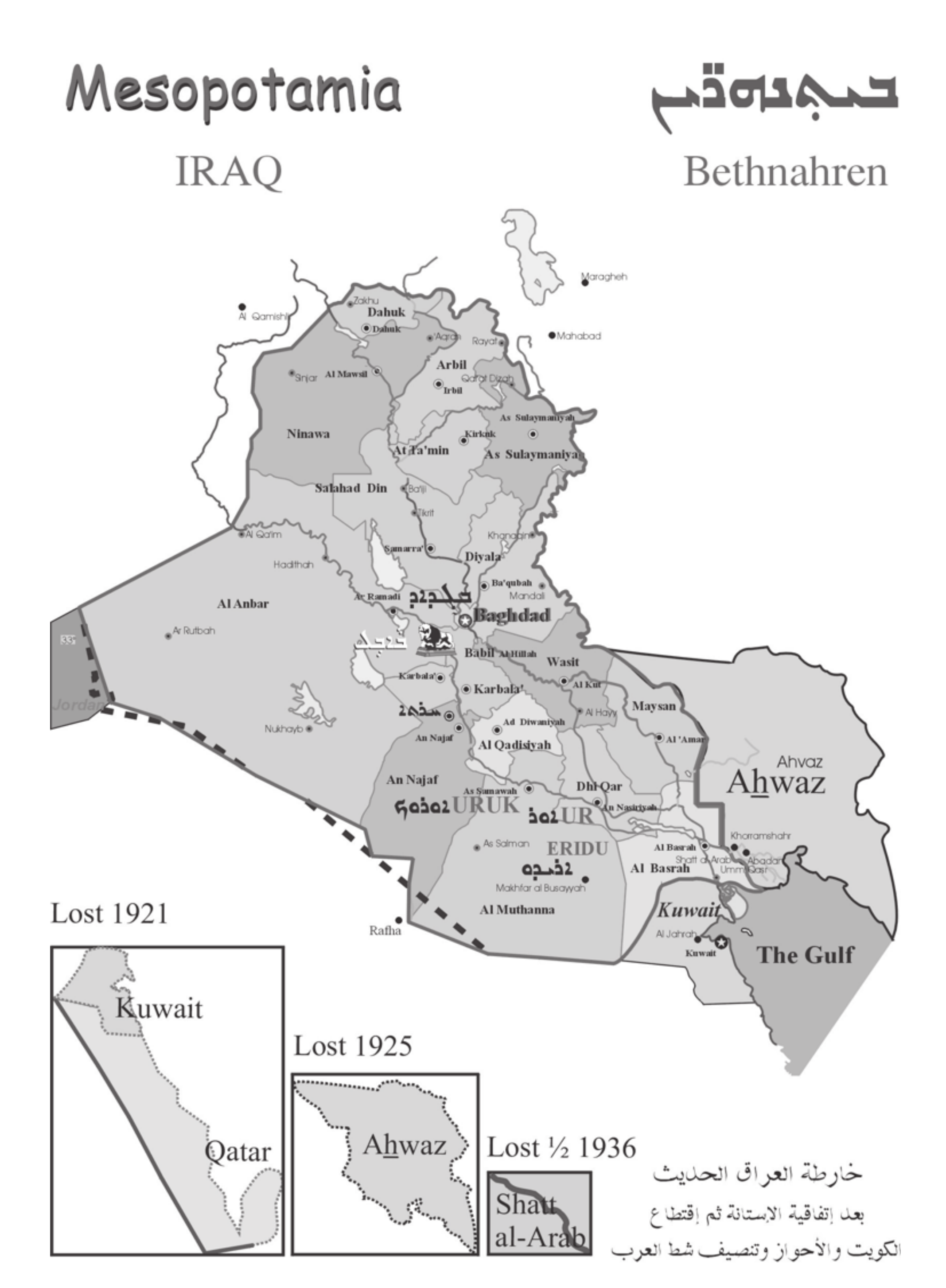


Researched and Sketched By Amer Fatuhi 2004

Mesopotamia / Pre-Historic & Early Historic Sites



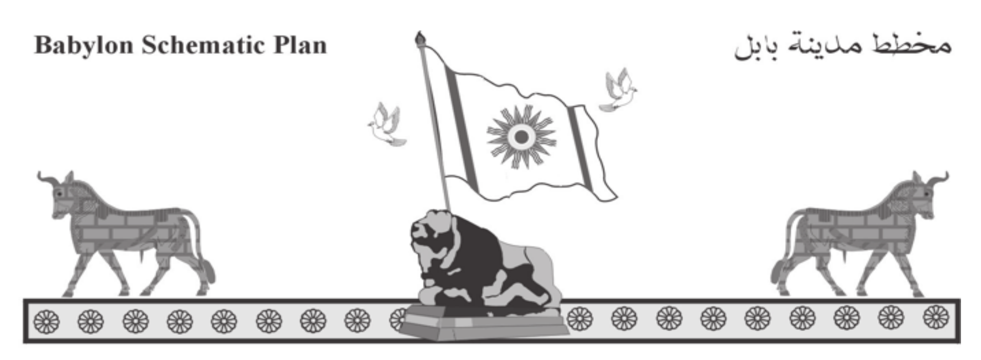

The First Ever Known Empire 2334-2154 BC
The Chaldean Empire of Sharrukin / Sargon of Akkad
Kaptara
Uppre Sea
Hittia
Shubaru
Mitanni
Ebla
Mari
Cyprus
Media
Gutia
Luria
Akkad
Lullubi
Elam
Marhashi
Libya
Egypt
Kaldee Sea
Tilmun
Qataria
Lower Sea
Magan
Harappa
Indus
Mat Anku
Nubia
Melukha
Ceylon
Ethiopia
The Last Chaldean Empire 625-539 BC
The Neo-Babylonian Empire of Nebuchadnezzar II
Urartu
Hatti
Phoenicia
Israel
Kputaya
Mat-Misir
Judah
Parapotamia
Babel
Elam
Oases Land
Taimu
Egypt
Kaldee Sea
Magan
Indus
Melukha
Ceylon
خارطتا أول وآخر إمبراطوريتين كلدانيتين
الأمبراطورية الأكدية والبابلية الحديثة
Current Iraq
Ancient Mesopotamian Land
Researched and Sketched By Amer Fatuhi 2004



Researched and Sketched By Amer Fatuhi 2004

Babylon Schematic Plan

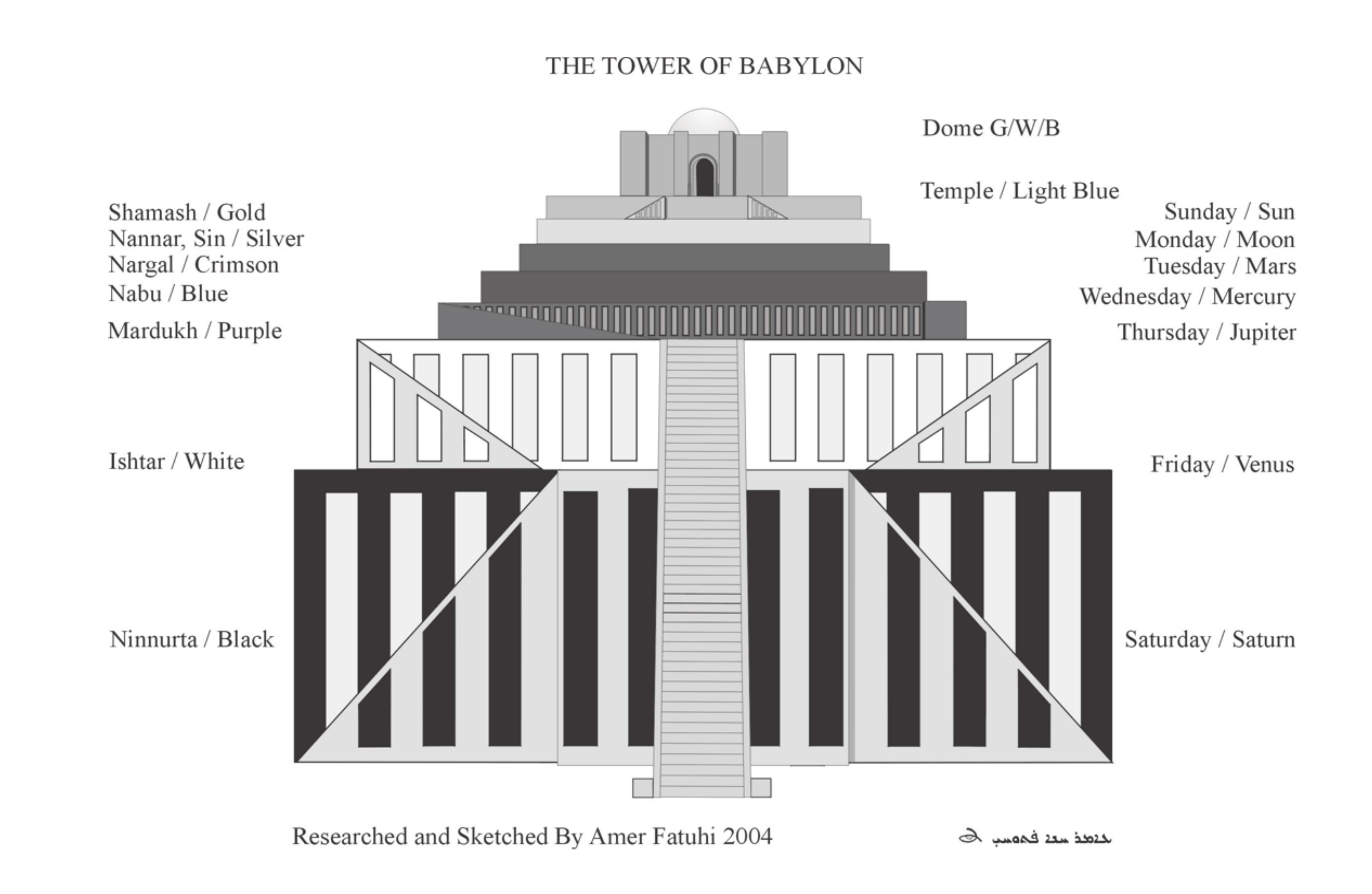
مخطط مدينة بابل



BABYLON
N
0 500 1000 Feet
Bit Akitu
New Year Festival Temple
Nannar Gate
Ishtar Gate
Northern Palace
Museum
Southern Fortress
Royal Palace
Temple of Ninmakh
Inner Wall
Outer Wall
OLD CITY
Sin / Nannar St.
Kullaba
To Kutha
Mardukh Gate
Temple of Ishtar of Agade
Mardukh St.
Ti . E Ki
Canal Libil Khegalla
Lugal Girra
Lugal Girra Gate
Nabu G.
Euphrates R.
Nabu T
Ziggurat Ete men anki
Processional Way
Enlil St.
Belti Nina T
NEW
Canal
Adad T
Temple of
Adad St.
Bridge
Esagila Temple of Mardukh
Zababa Gate
Zababa St.
Nukhar Suburb
To Akush
Adad Gate
CITY
Alu Eshshu
Kumari
Shamash St.
Araḫtum R.
Nabu St.
Ishara T
Ninurta T
Nabuchadnezzar's Outer Wall
Enlil Gate
Cemetery Gate
Shamash T
Urash Gate
Latmu Suburb
New Canal
Cemetery
Cemetery of Greats
Shamash Gate
Tuba Suburb
To Larsa
Bursippa's Canal
To Bursippa
Shar Karrabi Suburb
To Nippur
Beth Shashura



www.amerfatuhiart.com Researched and Sketched By Amer Fatuhi 2004


THE TOWER OF BABYLON
Dome G/W/B
Temple / Light Blue
Shamash / Gold
Nannar, Sin / Silver
Nargal / Crimson
Nabu / Blue
Mardukh / Purple
Ishtar / White
Ninnurta / Black
Sunday / Sun
Monday / Moon
Tuesday / Mars
Wednesday / Mercury
Thursday / Jupiter
Friday / Venus
Saturday / Saturn
Researched and Sketched By Amer Fatuhi 2004

Babylonian Cosmology Idea



Researched and Sketched By Amer Fatuhi 2004

CHALDEAN NOT ARAMAIC

كلدانية .. لا آرامية

T Sh R Q <u>S</u> P Ea S N M L K E <u>T</u> <u>H</u> Z W H D G B A

عربي

أ ب ج د هـ و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت

سرياني معروايا

كلداني مدنحايا

كلداني بابلي دميشان / تطوير حرف أور نبوخذنصر

آرامي ٨٠٠-٦٠٠ ق.م

فينيقي

أوگاريتي

Ugaritians Created originally 30 letters (Alphabet) From Mesopotamian Cuneiform Signs

Dingar Elu God / Star	4100 / 2900 BC	2800-2700 BC	2700-2500 BC	1800 BC-80 AD	دنگر إيلو إله / نجم
Shea Barley					شيه حبوب شعير

من الصورة إلى الحرف الكلداني

تطور الكتابة منذ إبتكارها كنظام صوري في الألف الخامس ق .م حتى آخر نماذجها المسمارية الرافدية بحدود ٨٠ م . القلم الأوگاريتي الهجائي المستلهم من القلم المسماري الرافدي بحدود ١٨٠٠ ق.م ، القلم الفينيقي أشتق نظامه الهجائي العام من القلم الأوگاريتي المسماري بحدود ١١٠٠ ق.م ، القلم الآرامي تقليد للقلم الفينيقي مع تطوير محدود بحدود ٨٠٠ ق.م . القلم الهجائي الكلداني خصوصية الشكل البابلي مع عودة للتقاليد الرافدية بحدود ٦٠٠ ق.م ، القلم الكلداني المشرقي الحديث من الإقليم البابلي مملكة ميشان بحدود ١٠٠ ق.م ، القلم العربي المرحلة المتطورة من العهد العباسي الأول بحدود ٨٠٠م.

Mesopotamia



ܒܝܬܢܗܪܝܢ

National Chaldean Babylonian Symbols



Lion of Babylon & The Chaldean Flag

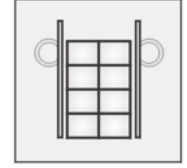
الرموز
القومية والوطنية
الكلدانية البابلية





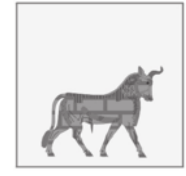


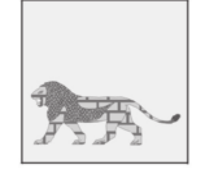


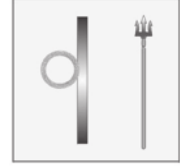










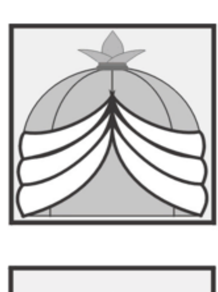
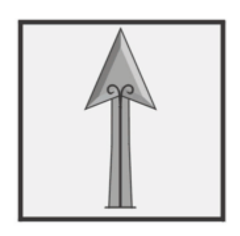




Mesopotamian Emblem
Harp of Ur / Ishtar Gate
Sacred Tree of Life &
Censer of Incense
Gate of Heaven
Date Palm Tree &
Code of Hammurabi
Dragon of Mardukh
Bull of Adad / Lion of Ishtar
Symbol of Justice &
Symbol of Kingship
Chaldean Emblem

Researched and Sketched By Amer Fatuhi 2004

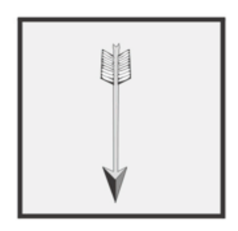
ܥܡܝܪ ܚܢܐ ܦܬܘܚܝ

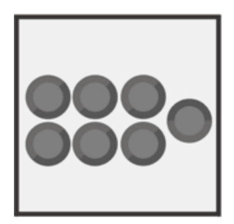
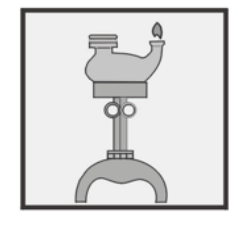
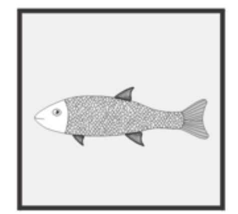
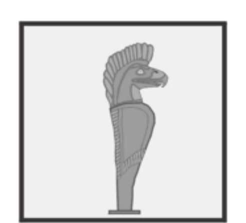



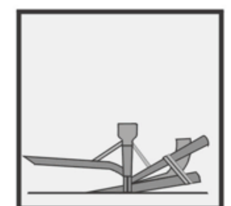
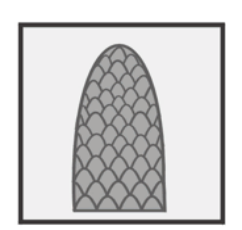









BABYLONIAN

Gods & Goddesses' Symbols

رموز الآلهة في الإقليم البابلي

Researched and Sketched By Amer Fatuhi 2004

Anu & Enlil, Mardukh, Ea
Ninkhursag, Shamash, Nannar/Sin
Ishtar, Tammuz, Nabu, Ninurta
Adad, Ningishzida, Sebitti, Nusku
Nanshe, Zababa, Gula
Geshtin-anna
Ningirsu, Eresh-kigal, Nergal

مصادر البحث -References-
عربي / كلداني / إنكليزي

* المصدر باللغة العربية / + المصدر باللغة الكلدانية / +* المصدر كلداني عربي / ** المصدر كلداني عربي إنكليزي

* الكتاب المقدس ، (العهدين) الطبعة الكاثوليكية ، طبعة طبق الأصل عن نسخة عام ١٨٧٥م - الأباء الدومنيكان في العراق
* الكتاب المقدس ، جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأوسط - ١٩٩٦م
* الكتاب المقدس ، جمعية الكتاب المقدس في المشرق - بيروت ط٤ ١٩٨٨م
* أ. م. دياكانوف و ب. س. ترافيموف ، ملحمة كلكامش - بغداد ١٩٧٣م
* أبو موسى الحريري ، قس ونبي - بيروت ١٩٨٥م
* أدي شير (المطران) ، تاريخ كلدو وآثور ، المجلد الأول بحسب طبعة الآباء اليسوعيين ١٩١٣م - الناشر يوسف دخو ١٩٧٥م
* أدي شير (المطران) ، تاريخ كلدو وآثور ، المجلد الثاني بحسب طبعة الآباء اليسوعيين ١٩١٣م - الناشر يوسف دخو ١٩٧٥م
* د. أحمد حسين الأعظمي ، مدينة أكد أم دور شروكين / المجلة الأكاديمية سومر / الجزء الأول والثاني - المجلد الحادي والأربعون لسنة ١٩٨٥م
* د. أحمد سوسة ، تاريخ حضارة وادي الرافدين - بغداد ١٩٨٣م
* د. أحمد سوسة ، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين - بغداد ١٩٨٠م
* د. أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ - بغداد (تاريخ الإصدار غير مقروء)
* أحمد عادل كمال ، القادسية ، منشورات وزارة الدفاع - بغداد (بدون تاريخ)
* * أسامة سراس (ترجمة بأشراف فراس السواح) ، شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم - دمشق ط١ ١٩٨٨م
* ألبير أبونا (الأب) ، آداب اللغة الآرامية - بيروت ١٩٩٦م
* ألبير أبونا (الأب) ، تاريخ الرهاوي المجهول ج٢ (ترجمة عن الكلدانية / السريانية) - بغداد ١٩٨٦م
* ألبير أبونا (الأب) ، شهداء المشرق ج١ - بغداد ١٩٨٥م
* ألبير رشيد الحائك ، دليل متحف الموصل - ١٩٦٥م
* الواقدي (أبي عبد الله بن عمر) ، فتوح الشام (والعراق) - دار الجيل (بدون تاريخ)
* ألياس المر ، الإسلام بدعة نصرانية - بيروت (بدون تاريخ)
* د. ألياس ملكي حنا ، تاريخنا ينادينا - بيروت ١٩٩٧م
* أندريه بارو ، سومر .. فنونها وحضارتها - بغداد ١٩٧٨م
* أندريه بارو ، بلاد آشور - بغداد ١٩٨٠م
* أندريه بارو ، برج بابل - بغداد ١٩٨٠م
* أنطوان مورتكات ، الفن في العراق القديم - بغداد ١٩٧٥م

* آني جوبير ، المسيحيون الأولون (ترجمة ألبير أبونا) - بغداد ١٩٨٢م
* أوجين تيسران (الكاردينال) ، خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية - الموصل ١٩٣٩م
+* أوجين منا الكلداني (يعقوب المطران) ، دليل الراغبين في لغة الآراميين الكلدان (كلداني عربي) - بدون تاريخ
+ أوجين منا الكلداني (يعقوب المطران) ، المروج النزهية في آداب اللغة الآرامية / المجلد الأول - مجمع اللغة السريانية - بغداد ١٩٧٧م
+ أوجين منا الكلداني (يعقوب المطران) ، المروج النزهية في آداب اللغة الآرامية / المجلد الثاني - الموصل ١٩٧٧م ؟ (بغداد ١٩٧٧م)
+* أوجين منا الكلداني (يعقوب المطران) ، الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية - شيكاغو ١٩٩٧م
* أوسكار روثر ، بابل .. المدينة الداخلية (المركز) - بغداد ١٩٨٥م (ترجمة د. نوال خورشيد سعيد و د. علي يحيى منصور)
* أ. وادل ، الأصول السومرية للحضارة المصرية - الأردن ١٩٩٩م
* إيشو ماللك خليل جوارو ، الآشوريون في التاريخ (ترجمة سليم واكيم) - (موقع الإصدار وتاريخه غير مقروئين)
* بشير فرنسيس ، بغداد .. تاريخها وآثارها - بغداد ١٩٥٩م
+* د. بطرس حداد (الأب) ، التاريخ الصغير (ترجمة عن الكلدانية) - بغداد ١٩٧٦م
* د. بهنام سوني ، بغديدا (قرة قوش) - روما ١٩٩٨م
* د. بهيجة خليل إسماعيل ، مسلة حمورابي - بغداد ١٩٨٠م
* بورخارت كيناست -Burkhart Kienast- ، أسم مدينة بابل / مجلد سومر رقم ٣٥ الجزء الأول والثاني لعام ١٩٧٩ م
* توماس بلفنش ، عصر الأساطير - بغداد ١٩٦٦م
* جاسم كاظم العزاوي ، ثورة ١٤ تموز- بغداد ١٩٩٠م
* جان موريس فييه ، أحوال النصارى في خلافة بني العباس - بيروت ١٩٩٠م
* جرجس سال (تعريب وتذييل هاشم العربي) ، حقائق عن العرب في الجاهلية النمسا (بدون تاريخ)
* جعفر الخليلي ، الملخص لكتاب العرب واليهود في التاريخ ط٢ - بغداد ١٩٧٩م
* د. جميل ميخا شعيوكا ، أقليات شمال العراق بين القانون والسياسة - جمهورية التشيك ١٩٩٩م
* جوان أوتس ، بابل .. تاريخ مصور (ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي) - بغداد ١٩٩٠م
* جورج بوييه شمار ، المسؤولية الجزائية في الآداب الآشورية والبابلية - بغداد ١٩٨١م
* د. جورج شحاتة قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ط٢ - بغداد ١٩٨٤م
* جورج روو ، العراق القديم - بغداد ١٩٨٤م
* جورج كونتينو ، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور - بغداد ١٩٨٦م
* جيمس ريموند ولستيد ، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا ط١ - لندن ١٨٤٠م / بغداد ١٩٨٤م (طبعة مستحدثة)

* جان بوتيرو ، بلاد الرافدين .. الكتابة ، العقل ، الآلهة - بغداد ١٩٩٠م
* حبيب يوسف تومي (المهندس) ، ألقوش .. دراسة أنثروبولوجية إجتماعية ثقافية - بغداد ٢٠٠٣م
* حسن النجفي ، التجارة والقانون بدءا في سومر - بغداد ١٩٨٢م
* حسن النجفي ، معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم ج١ - بغداد ١٩٨٢م
* حسن النجفي ، معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم ج٢ - بغداد ١٩٨٣م
* حسوبي عبد الوهاب (المهندس) ، الشهر القمري - بغداد ١٩٧١م
* د. حنا شيخو (الأب) ، كلدان القرن العشرين - ديترويت ١٩٩٢م
* د. حياة إبراهيم ، نبوخذنصر الثاني - بغداد ١٩٨٣م
* د. خاشع عيادة مطر و د. حسين أمين عبد المجيد وثابت إسماعيل وخزعل محمد رحيم ، التاريخ العربي والإسلامي - بغداد ١٩٧٧م
* د. خالد الجادر ، المخطوطات العراقية المرسومة في العصر العباسي - بغداد ١٩٧٢م
* د. خالص الأشعب ، مدينة بغداد .. نموها ، بنيتها ، تخطيطها - دار الجاحظ / بغداد ١٩٨٢ م
* د. خزعل الماجدي ، بخور الآلهة - بيروت ١٩٩٨م
* د. خزعل الماجدي ، إنجيل بابل - بيروت ١٩٩٨م
د. خليل إسماعيل ، نظام القرابين في المجتمع السومري - بغداد ١٩٩٠م
* دوبونت سومر ، الآراميون (ترجمة ألبير أبونا) - بغداد ١٩٦٣م
* روبرت كولدفاي ، بوابة عشتار - بغداد ١٩٨٥م
* روبرت كولدفاي ، معابد بابل وبورسيبا - بغداد ١٩٨٥م (ترجمة د. نوال خورشيد سعيد)
* روبرت كولدفاي ، القلاع الملكية في بابل ج١ / القلعة الجنوبية - بغداد ١٩٨٥م (ترجمة د. نوال خورشيد سعيد)
* روفائيل بابو أسحق ، أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية - بغداد ١٩٦٠م
* روفائيل بابو أسحق ، تاريخ نصارى العراق ط٢ - ديترويت ١٩٨٩م
* د. سامي سعيد الأحمد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم - بغداد ١٩٨٨م
* د. سامي سعيد الأحمد ، السومريون - بغداد ١٩٩٠م
* د. سامي سعيد الأحمد ، الأدب في العراق القديم - بغداد ١٩٩٠م
* سليم طه التكريتي ، العراق القديم (تأليف مجموعة من علماء الآثار السوفييت) - بغداد ١٩٧٦م
* سليم مطر ، الذات الجريحة - بيروت ١٩٩٧م
* سهيل قاشا ، أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية - بيروت ١٩٩٨م
* سهيل قاشا ، المرأة في شريعة حمورابي تاريخ البحث ١٩٨٥م - طبع في الموصل (بدون تاريخ)
* سهيل قاشا ، لمحات من تاريخ نصارى العراق - بغداد ١٩٨٢م
* سيتون لويد ، فن الشرق الأدنى القديم - بغداد ١٩٨٨م

* شاكر علي مصطفى ، العرب في التاريخ ـ سوريا ١٩٩٦م
* شاه محمد علي الصيواني ، أور .. بين الماضي والحاضر ـ بغداد ١٩٧٦م
* شريف يوسف ، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور ـ بغداد ١٩٨٢م
* د. شيرين إحسان شيرزاد ، الفن والعمارة ـ بغداد ١٩٨٥م
* شوكت الربيعي ، مقدمة في تاريخ الفن العراقي ـ بغداد ١٩٧١م
* صادق الحسني وجميل حمودي (إعداد) ، معالم اثرية في العراق ـ بغداد ١٩٧١م
* د. صبحي أنور رشيد وحياة عبد علي الحوري ، الأختام الأكدية في المتحف العراقي ـ بغداد ١٩٨٢م
* صبحي يونان ، جراح في تاريخ السريان (وضعه بالسريانية الشماس أسمر القس كوركيس عام ١٩٨٠م) ـ لبنان ١٩٨٦م
د. طارق مظلوم والمنقب علي محمد مهدي ، نينوى ـ بغداد ١٩٧١م
* طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ـ بغداد ١٩٧١م
* طه باقر ، ملحمة كلكامش ـ بغداد ١٩٦٢م
* طه باقر ، ملحمة كلكامش وقصص أخرى عن كلكامش والطوفان ـ ط٥ بغداد ١٩٨٦م
* طه باقر ، تل حرمل / شادوبوم القديمة ـ بغداد ١٩٥٩م
* طه باقر وفؤاد سفر ، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة / الرحلة الثالثة ـ بغداد ١٩٦٦م
* طه باقر وفؤاد سفر ، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة / الرحلة الرابعة ـ بغداد ١٩٦٥م !!
* طه باقر وفؤاد سفر ، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة / الرحلة الخامسة ـ بغداد ١٩٦٦م
* طه باقر وفؤاد سفر ، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة / الرحلة السادسة ـ بغداد ١٩٦٦م
+ طيمثاوس إرميا مقدسي (المطران) ، ١٨٤٧ـ١٩٢٩م ، قواعد اللغة (السريانية) الكلدانية ـ بدون تاريخ
* طيمثاوس الأول (البطريرك) ، دفاعيات مسيحية في العصر العباسي الأول ـ النمسا (بدون تاريخ)
* د. عامر سليمان ، القانون في العراق القديم ـ بغداد ١٩٨٧م
* عامر فتوحي , الإتجاهات والأساليب ... الفنون التشكيلية والعمارة عبر التاريخ (المجلد الأول والثاني) ـ بغداد ١٩٨٦م
* عامر فتوحي , أور الكلدان ـ بغداد ١٩٨٨م
* عامر فتوحي , آلهة وشياطين ـ بغداد ١٩٨٩م
* عامر فتوحي , الفن العربإسلامي بين الواقع والوهم ـ بغداد ١٩٩٠م
* عامر فتوحي , الكلدان .. شمس لا تنطفيء ـ ديترويت ١٩٩٧م
* عامر فتوحي ,الآشوريون .. سكان دولة أم قومية ؟ ـ ديترويت ٢٠٠١م
** عامر فتوحي ويعقوب يسو (الأب) ، قاموس مصور كلداني إنكليزي عربي ـ ديترويت

٢٠٠٢م
* د. عبد الرضا الطعان ، الفكر السياسي في العراق القديم ـ بغداد ١٩٨١م
* د. عبد أﷲ مرقس رابي ، الكلدان المعاصرون والبحث عن الهوية القومية ـ عمان / الأردن ٢٠٠١م
* عبد أﷲ الهاشمي وعبد المسيح بن إسحق الكندي ، رسالة دعوة إلى الإسلام ورسالة جواب ودعوة إلى المسيحية في زمن المأمون ٨٦١ م ـ دار نور الحياة للنشر (بدون تاريخ)
* عبد أﷲ أمين وميسر سعيد العراقي ، نمرود ـ بغداد ١٩٧٦م
+ عوديشو ملكو ، ملحمة كلكامش ـ بغداد ١٩٩٢م
د. علي الوردي ، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث ـ مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٩٦٩م
د. فاضل عبد الواحد ، من ألواح سومر إلى التوراة ـ بغداد ١٩٨٩م
د. فاضل عبد الواحد ود. عامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة ـ بغداد ١٩٧٩م
فراس السواح ، مغامرة العقل الأولى.. دراسة في الأسطورة ـ بيروت ط٢ ١٩٨١م
* فراس السواح ، لغز عشتار ـ دمشق ط٥ ١٩٩٣م
د. فرج بصمه جي ، نفر / نيبور القديمة ـ بغداد ١٩٦٢م
د. فرج بصمه جي ، كنوز المتحف العراقي ـ بغداد ١٩٧٢م
* فكتور سحاب ، ضرورة التراث ـ بيروت ١٩٨٤م
* فريتز كريشن ، عجائب الدنيا في عمارة بابل ط٢ ـ يوغسلافيا ١٩٨٢م
* فريمان كرونفيل ، التقويمان الهجري والميلادي ـ بغداد ١٩٧٠م
* د. فوزي رشيد ، نبوخذنصر الثاني ـ بغداد ١٩٩٢م
* د. فوزي رشيد ، حمورابي ـ بغداد ١٩٩١م
* د. فوزي رشيد ، آشور ـ بغداد ١٩٨٥م
* د. فوزي رشيد ، السياسة والدين في العراق القديم ـ بغداد ١٩٨٣م
* د. فوزي رشيد ، سرجون الأكدي ـ بغداد ١٩٩٠م
* د. فوزي رشيد ، نرام سين ـ بغداد ١٩٩٠م
* د. فوزي رشيد ، آبي سين ـ بغداد ١٩٩٠م
* د. فوزي رشيد ، قواعد اللغة السومرية ـ بغداد ١٩٧٢م
* د. فوزي رشيد ، الشرائع العراقية القديمة ـ بغداد ١٩٧٩م
* د. فوزي رشيد وصباح باقر وكامل خيرو ، تاريخ العصور القديمة ـ بغداد ١٩٧٧م
* فون دانكن ، آلهة من الفضاء الخارجي ـ بغداد (بدون تاريخ)
* د. فيصل الوائلي ، الأزياء البابلية ـ بغداد ١٩٦٨م
* قاسم الشواف (نقل وتعليق بأشراف أدونيس) ، ديوان الأساطير / الحضارة والسلطة ـ بيروت ١٩٩٩م
* قسطنطين بتروفيج ماتفيف ، الآثوريون والمسألة الآثورية ـ دار برديصان للنشر
* كاظم سعد الدين ، الحكايات الشعبية العراقية .. دراسة ونصوص ـ بغداد ١٩٧٩م
* كمال لطيف سالم ، صور بغدادية ـ بغداد ١٩٨٥م

* كوركيس عواد ، المباحث السريانية في المجلات العربية / المجلد الثاني - بغداد ١٩٧٦م
* د. لبيب ميخائيل ، إسطورة بناء الكعبة وذبح إسماعيل - الولايات المتحدة ١٩٩١م
* ليو أوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين - بغداد ١٩٨٦م
د. مارغريت روثن ، علوم الكلدان / البابليين (ترجمة الأب د. يوسف حبي) بغداد ١٩٨٠م (العنوان الأصلي للكتاب : La Science Des Chaleens - Par Marguerite Rutten, ١٩٦٠)
* مجموعة من الأساتذة ، العراق في التاريخ (ثلاثة عشر جزء)
* ماري بن سليمان ، أخبار فطاركة كرسي المشرق .. من كتاب المجدل ، طبعة ١٨٩٩م في روما (طبعة مستحدثة - الولايات المتحدة ١٩٩٥م)
* مازن بلال ، المسألة الكوردية .. الوهم والحقيقة - بيروت / بيسان للنشر (بدون تاريخ)
* ماكس مالون ، مذكرات عالم الآثار مالون وزوج أجاثا كريستي - بغداد ١٩٨٧م
* د. محمد ضيف الله البطاينة ، بحوث في التاريخ الإسلامي - الأردن ١٩٨٣م
* مسعود البارزاني ، البارزاني والحركة التحررية الكوردية (!) - مطبعة خه بات ١٩٨٦م
* مصطفى جحا ، محنة العقل في الإسلام - ج١ (بدون تاريخ)
* مصطفى جحا ، محنة العقل في الإسلام - ج٢ (بدون تاريخ)
* معروف الرصافي ، ديوان الرصافي .. المجموعة الكاملة ط٦ - بيروت ١٩٥٧م
* مجموعة أساتذة ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى / كلية الآداب ، قسم التاريخ - بغداد ١٩٨٠م
* ميخائيل أورو ، شميرام - بيروت ١٩٥٨م
* ميخائيل ججو بزي (الأب) ، تلكيف .. ماضيها وحاضرها ط١ الموصل ١٩٦٩م / الولايات المتحدة ٢٠٠٣م
* د. نائل حنون ، عقائد ما بعد الموت في بلاد وادي الرافدين القديمة ط٢ - بغداد ١٩٨٦م
د. نائل حنون ، المعجم المسماري - بغداد ٢٠٠١م
* نجم الدين السهروردي (مراجعة الأستاذ طه باقر) ، ملحمة كلكامش والفكر الرياضي - بغداد ١٩٧٧م
* نواف حردان ، أسد بابل (رواية تاريخية) - بيروت ١٩٩٧م
* نيكولاس بوستيغت ، الأمبراطوريات الأولى / حضارة العراق وآثاره - بغداد ١٩٩١م
* نينوس نيراري ، آغا بطرس - الولايات المتحدة ١٩٩٦م
* هادي منعم حسن ، دليل متحف الأزياء والمأثورات الشعبية / مديرية الآثار العامة - بغداد ١٩٧٦م
* هاري ساكز ، عظمة بابل / موجز حضارة وادي دجلة والفرات القديمة (ترجمة وتعليق د. عامر سليمان) - طبع في فرنسا عام ١٩٧٩م
* د. هاشم الطعان ، مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية - بغداد ١٩٧٨م
* هاينرش لنتسن ، كنوز من العراق - بون ١٩٦٤م
* د. هورست كلنغل ، حمورابي .. ملك بابل وعصره (ترجمة غازي شريف) - بغداد

١٩٨٧م
* يوحنان بر كلدون (القرن العاشر للميلاد) ، تاريخ يوسب بوسنايا (ترجمة يوحنان جولاغ عن الكلدانية) - بغداد ١٩٨٤م
* د. يوسف حبي (الأب) ، كنيسة المشرق الكلدانية - الآثورية / الكسليك - لبنان ٢٠٠١ م
* يوسف بابانا ، ألقوش عبر التاريخ - بغداد ١٩٧٩م
* يوسف رزق الله غنيمة ، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ط٢ - لندن ١٩٩٧م
* مجموعة أساتذة ، تاريخ العلوم عند العرب (العراق) - بغداد ١٩٨٩م
* مجموعة أساتذة ، محيط الفنون / موسوعة الفنون التشكيلية والعمارة عبر التاريخ / دار المعارف - مصر ١٩٧٠م
* مجموعة أساتذة ، أطلس العالم - بيروت (طبعة حديثة بدون تاريخ)
* مجموعة بحوث / البعثة الآثارية الفرنسية في العراق .. عشر سنوات من العمل ١٩٧٧-١٩٨٧م
* مجموعة مجلدات سومر ، المجلة الأكاديمية للمؤسسة العامة للتراث والآثار (عربي / إنكليزي)
* مجلات ومطبوعات دورية باللغات الإنكليزية والعربية والكلدانية (أقلام مهجرية / قالا سوريبا / بين النهرين / التراث الشعبي / آفاق عربية / الرواق / الحارس الكلداني / بابل اليوم / كلدو)
* مخطوطات ودراسات أكاديمية / جامعة بغداد ، مكتبة كلية الآداب (قسم التاريخ) والمكتبة المركزية في بغداد (الوزيرية)
* مطبوع / أسم المؤلف والتاريخ غير مقروئين ، الحروف الأبجدية وأصول الخط العربي
* مطبوع / أسم المؤلف والتاريخ غير مقروئين ، الفن العموري - دمشق

Recommended further reading in English

* The Bible (New American), Catholic World Press 1991
* Abduallah Abd Al-Fadi : Is the Qur'an Infallible ? , Austria 1982
* Alster, B. : Ninurta and the Turtle, JCS 24 / 1974
* Barraclough, Geoffery : Atlas of World History, Harper Collins 1999
* Baumann, Hans : In the Land of Ur, Pantheon Books
* Bertman, Stephen : Ancient Mesopotamia, 2003
* Blevins, Dwight & Franklin,Carl D. : Historical evidence of 19 - Year Collation Cycle, March 14, 2002
* Bidmead, Julye : The Akitu Festival,
* Black, Jeremy & Green, Anthony : Gods, Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, U of Texas Press 2000
* Bottero, Jean : Everyday Life in Ancient Mesopotamia GB 2001 By Nevill, Antonia
* Bottero, Jean : Mesopotamia : Writing, Reasoning, and the Gods, 1995 U of Chicago Press
* Bottero, Jean : Religion in Ancient Mesopotamia
* Botte=ro, Jean : The Oldest Cuisine in the World, Translated by Teresa Lavender, University of Chicago 2004
* Caubet, Annie & Pouyssegur, Patrick : The Ancient Near East.
* Chiera, Edward : They Wrote on Clay, The Babylonian Tablets Speak Today, University of Chicago 1996
* Collen, D. : Ancient Near Eastern Art, London 1995
* Cottrell, Leonard : Land of the Two Rivers, The World Publishing Co.
* Crawford, Harriet : Sumer and the Sumerians, Cambridge University Press 2000
* Dabrowska, Karen : Iraq, USA 2003
* Dalley, S. : Myths from Mesopotamia, Oxford 1989
* Damerji, M. S. B. : The Development of the Architecture of Doors and Gates in Ancient Mesopotamia, Tokyo 1987
* De Mieroop, Marc Van : The Ancient Mesopotamian city, 1999, OXFORD University Press
* Dick Teres; Simon & Schuster Lost Discovorys : The Ancient Routs & Modern Science From the Babyolonians to the Maya, NY 2002
* Editors of Time- Life Books : Sumer : Cities of Eden
* Foster, Leila Merrell : IRAQ, Chicago
* Foster, Leila Merrell : The Sumerians, USA 1990
* Foubister, Linda : Goddess in the Grass, Canada 2003

* George, Andrew : The Epic of Gilgamesh .. The Babylonian Epic poem and other texts, Penguin Books 2000
* Gonthier, Jean Francois : The Cultural History of Persia, Switzerland 1983
* Grayson, A. K. : Assyrian and Babylonian Chronicles, NY 1975
* Grayson, A. K. : Babylonian Historical / Literary Texts, Toronto 1975
* Gurney, O. R. : The Hittites, Harmondsworth (revd. Edition 1990)
* Healy, Mark : Ancient Assyrians, Elite series # 39, 1992
* Healy, Mark : Ancient Assyrians, Osprey Trade Editions 2000
* Hooker, J.T. : Reading the Past, University of California Pres
* Hunter, Erica C. PH.D. : First Civilization, 1994
* Hunt, Norman Bancroft : Historical Atlas of Ancient Mesopotami, Thalmmus Publishing 2004
* Ignatius, Afram: The History of Syriac, 2000
* Johns, Cloude H. : Assyrians Doomsday, AMS Press, Inc.
* Kamoo, Ray : Ancient and Modern Chaldean History, The Scarecrow Press 1999
* Khosho, Francis K.: Twin rivers Biblography, 1987
* Kienst, Burkhart : The Name of the City of Babylon, JAHAW (Sumer), Vol. XXXV 1979 1&2
* Kovacs, Maureen Gallery : The Epic of Gilgamesh, Stanford University Press 2000
* Kramer, Samuel Noah : Cradle of Civilization, Time - Life Books
* Kramer, Samuel Noah : History Begins at Sumer, Philadelphia University, 1981
* Kramer, Samuel Noah : The Sumerians, University of Chicago 1963 / 2000
* Langer, William L.- MacKendrick, Paul- Geanakoplos, Deno J.- Hexter, J. H.-Pipes, Richard : Western Civilizatio, 1968
* Landau, Elaine : The Babylonians, Millbrook Press 1997
* Landau, Elaine : The Assyrians, A Millbrook Press 1997
* Landau, Elaine : The Sumerians, Millbrook Press 1997
* Leacroft, Helenand Richard : The Buildings of Ancient Mesopotamia, Brockhampton Press 1974
* Leick, Gwendoly : The Babylonians .. An introduction, 2003 USA & Canada
* Llywellyn, Morgan: Xerox, Chelsea House Publisher
* Lloyd, Seton : The Archaeology of Mesopotamia from the Old Ston Age to the Persian Conquest, London 1978
* Malam, John : Mesopotamia and The Fertile Cresent 10,000 to 539 B.C., Raintree Steck - Vaughn Publishers 1999
* Mallowan, M. E. L. : Early Mesopotamia and Iran, McGraw-Hill Book

* Meyers, Phillip Van Ness : A General History for Colleges.
* Moortgat, A.: The Art of Ancient Mesopotamia, Oxford, 1969
* Moscati, S. : An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Language, 1964
* Moscati, Sabatino : The Face of the Ancient Orient, New York 1962
* Mesopotamian Art in the Louvre . 1992
* Nissan, Hans J. : The Early History of the Ancient Near East, 9000-2000 University of Chicago Press 1988
* Oats, Joan : Babylon, Thames Hudson 2000
* Oats, Joan : Ur and Eridu, Iraq 22 / 1960
* Pareti, Luigi : The Ancient World: 1200 B.C. to A.D. 500.
* Pofahl, Jane : Mesopotamia,
* Pollock, Susan . Ancient Mesopotamia, Cambridge University Press 1999
* Postgate, Nicholas & Postgate, J. N. . Early Mesopotamia.
* Pritchard, James B. : The Ancient Near EastB Volume I, An Anthology of Texts and Pictures, Princeton University Press
* Reade, Julian : Mesopotamia, Harvard University Press 1991
* Rhea, Karen & Nemet-Nejat : Daily Life in Ancient Mesopotamia, 1998 Greenwood Publishing Group.
* Roaf, Micheal : Cultural Atlas of Mesopotamia & the Ancient Near East, 2002
* Robinson, Charles Alexander Jr. : Ancient Mesopotamia and Persia, NY 1962
* Roux, Georges : Ancient Iraq, Penguin books 1992
* (Adopted by) Ruskin, Ariane: Prehistoric Art and Ancient Art of the Near East, McGraw-Hill Book Co.
* Safar, Fuad / Mustafa, M. A. & Lloyd, Seton : Eridu, Baghdad 1982
* Saggs, Henry W. F. : Babylonians (People of the Past), 1995
* Saggs, H.W.F. : Everyday Life in Babylonia & Assyria, Batsford & Putnam's sons
* Saggs, H.W.F. : The Greatness that Was Babylon, Frederick A. Praeger
* Sack, Ronald H. : Images of Nebuchadnezzar, Susquehanna University Press
* Seignobos, Charles : The World of Babylon, Leon Amiel, Publisher
* Sengstock, Mary C. : Chaldean Americans, NY 1999
* Service, Pamela F. : Mesopotamia, Benchmark Books 1999
* Shiotsu, Vicky : Mesopotamia, McGraw-Hill 1997
* Sitchin, Zecharia : The 12th Planet by, Avon books 1978
* Sitchin, Zecharia : The stairway to Heaven, Avon books 1983
* Sollberger, E. : The Babylonian Legend of the Flood, British Museum 1977
* Taylor, Thomas & Robb, R. I. : Iamblichus on the mysteries of the Egyptians,

Chaldeans and Assyrians 1997
* Unstead, R. J. : Assyrians.
* Vanderhooft, David Stephen :The Neo-Babylonian Empire and Babylonian
in the Latter Prophets, 2000
* Wathiq I Al-Salihi, Ph.D : Hatra, Baghdad 1973
* Wallbank, T. Walter & Taylor, Alastair M. : Civilization .. Past and Present, 1960
* Wiltshire, Katharine : Timeline of the Ancient World, the British Museum, Palgrave MacMillan 2004
* Wiseman, D. J. : Nebuchadnezzar and Babylon, Oxford University Press 1985
* Woolley, Charles Leo / Woolley, C. Leonard : Sumerians.
* Woolley, C. Leonard : Ur of the Chaldees .. A Record of Seven Years of Excavation, NY 1930
* Woolley, C. Leonard : Ur of the Chaldees B More Royal Tombs, Museum Journal 1929
* Wright, Esmond (General Editor) . The Ancient World, Nicholas Postgate & Others, Chartwell Books Inc. 1979
* Zodok, R. : The Jews in Babylonia during the Chaldean and Achaemenian Periods, University of Haifa Press 1979

عامر حنا فتوحي .. في كلمات -Biography-

درس هندسة الطيران والفن التشكيلي وتاريخ وادي الرافدين www.amerfatuhiart.com
طبق عملياً ولمدة فصلين في مختبر المسماريات / المتحف العراقي بدعم من العالمة العراقية الدكتورة بهيجة خليل إسماعيل ومارس الصيانة الموقعية في منطقة أور الكلدان ، كما درس الكتابة الصورية بإشراف العالِم العراقي الكبير الأستاذ الدكتور فوزي رشيد
عمل رئيساً لقسم الفنون التشكيلية ١٩٨٠-١٩٨٤ م والقسم الفني ١٩٨٢-١٩٨٣ م لمجلة فنون (العراقية)
ألف ونشر أربع كتب في مجال التاريخ الرافدي : أور الكلدان .. بغداد ١٩٨٨م ، آلهة وشياطين / بحث في رموز آلهة العراق القديم .. بغداد ١٩٨٩م ، الكلدان .. شمس لا تنطفيء .. ديترويت ١٩٩٧م ، الآشوريون .. سكان دولة أم قومية ؟ .. ديترويت ٢٠٠١م ، ورواية تاريخية / آن ماجور .. بغداد ١٩٩٠م ، وكتاب موسوعي / الأتجاهات والأساليب .. الفنون والعمارة عبر التاريخ (المجلد الأول والثاني) - بغداد ١٩٨٦م
أصدر كتابين لغويين : قاموس مصور كلداني عربي إنكليزي / بالإشتراك مع الأب يعقوب يسو ٢٠٠٢م ، وكتاب / اللغة الكلدانية .. للمربي الفاضل يوسف ميري / بالتعاون مع الأب يسو ومساعدة نخبة من أساتذة المركز الثقافي الكلداني في ديترويت ٢٠٠٣م
ناشر للمجلة الثلاثية اللغة (الحارس الكلداني / ناطورا كلدايا) ومجلة (بابل اليوم / بابل دأديوم) والمجلة الإجتماعية الساخرة (المطرقة)
ساهم كمستشار لمتحف وزارة الثقافة الأردنية / الجاردنز بمعية السيدة سهير التل ورئاسة السيد ناجي العمايرة وكيل عام وزارة الثقافة
مدرس الكتابة الصورية وتاريخ وادي الرافدين / المركز الثقافي الكلداني ٢٠٠٠-٢٠٠٣ م
أسس في الولايات المتحدة ونخبة من المختصين عام ٢٠٠٢م المتحف القومي الكلداني البابلي للتاريخ والتراث والفنون www.chaldeanflag.com
مستشار في التاريخ الرافدي لمشروع نشر سلسلة التراث الذهبي ١٩٨٥-١٩٨٨م والموسوعة الذهبية ١٩٩٠م
مستشار في التاريخ الرافدي لمشروع إنجاز مبنى كنيسة مار أدي الكلدانية على الطراز البابلي ١٩٩٩-٢٠٠٤م
مستشار في التاريخ الرافدي لمنظمة مسيحيو الشرق الأوسط الأمريكيون ٢٠٠٢-الآن
عضو جمعية الفنانين (الكلدان) الناطقين بالسريانية منذ عام ١٩٧٦م بصفة فنان تشكيلي
عضو جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين بصفة رسام وناقد فن منذ عام ١٩٧٨م
عضو أتحاد الأدباء والكتاب العراقيين بصفة ناقد فن وباحث تاريخي منذ عام ١٩٨٤م
عضو الرابطة الدولية للفنانين المحترفين / باريس منذ عام ١٩٨٦م
عضو مؤسس في الرابطة الدولية للفنانين المحترفين الكلدان / المقر العام - الولايات المتحدة ١٩٩٩م www.chaldeanart.com
عضو منظمتي (ArtServ MI) و (MACAA) المتخصصتان في الفنون والعمارة والتاريخ والآداب / الولايات المتحدة الأمريكية
رئيس المركز الثقافي الكلداني في ديترويت منذ عام ١٩٩٧م www.chaldean4u.org
يعكف اليوم على تهيئة المواد المنقحة والمزيدة الخاصة بطبع كتاب (الكلدان منذ بدء الزمان) باللغة الإنكليزية.

ܐܬܘܬܐ ܟܠܕܝܬܐ ܡܕܢܚܝܬܐ

CHALDEAN ALPHABET

ܗ H-Hei	ܕ D-Dalath	ܓ G-Gamal	ܒ B-Beth	ܐ A-Alap
ܝ Y-Yodth	ܛ T-Teith طيث	ܚ H-Heith حيث	ܙ Z-Zain	ܘ W-Waw
ܣ S-Simkath	S ܢ L ܢ F/M ܢ N-Noon	ܡ S/L ܡ F/M M-Meem	ܠ L-Lamadh	S ܟ L ܟ F/M ܟ K-Kap
ܪ R-Resh	ܩ Q-Qop قوپ	ܨ S-Sadeh صادي	ܦ P-Pei	ܥ A-A'eh عي
Some letters are read in sounds that have no match in English these letters are: ܚ Heth حيث ح ܛ Teth طيث ط ܨ Sadeh صاديه ص ܥ A (A'eh) عيه ع ܩ Qop قوپ ڨ			ܬ T-Taw	ܫ SH-Sheen

ܐܬܘܬܐ ܟܬܝܒܬܐ ܐܣܛܪܢܓܠܝܬܐ

ܐ ܒ ܓ ܕ ܗ ܘ ܙ ܚ ܛ ܝ ܟ ܠ

ܡ ܢ ܣ ܥ ܦ ܨ ܩ ܪ ܫ ܬ